إحياء علوم الدين

للعلامة الإمام حجة الإسلام

أبي حامد محمد بن محمد الغزالي

ومعه خمسة كتب

دار الكتب

إحياء علوم الدين

للعلامة الإمام حجة الإسلام

أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي

ومعه خمسة كتب

الأول : المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار . للحافظ زين الدين العراقي .

الثاني : تعريف الإحياء بفضائل الإحياء للعلامة عبد القادر العيدروس باعلوي .

الثالث : الإملاء عن إشكالات الإحياء للإمام الغزالي

الرابع : عوارف المعارف للعارف بالله الإمام السهروردي

الخامس : إرشاد القاصدين إلى أحاديث إحياء علوم الدين

إعداد عصام أنيس بإشراف دار الكتبي لتحقيق التراث .

الجزء الأول

دار الكتبي

الله

إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله أولا حمداً كثيراً متوالياً وإن كان يتضاءل دون حق جلاله حمد الحامدين وأصلي وأسلم على رسله ثانياً صلاة تستغرق مع سيد البشر سائر المرسلين وأستخيره تعالى ثالثاً فيما نبعث له عزمي من تحرير كتاب في إحياء علوم الدين وأنتدب لقطع تعجبك رابعاً العاذل المتغالي في العذل من بين زمرة الجاحدين المسرف في التقريع والانكار من بين طبقات المنكرين الغافلين فلقد حل عن لساني عقدة الصمت وطوقني عهدة الكلام وقلادة النطق ما أنت مثابر عليه من العمى عن جلية الحق مع اللجاج في نصرة الباطل وتحسين الجهل والتشغيب على من آثر النزوع قليلاً عن مراسم الخلق ومال ميلاً يسيراً عن ملازمة الرسم إلى العمل بمقتضى العلم طمعاً في نيل ما تعبده الله تعالى به من تزكية النفس وإصلاح القلب وتداركاً لبعض ما فرط من إضاعة العمر يائساً عن تمام حاجتك والحيرة وانحيازاً عن غمار من قال فيهم صاحب الشرع صلوات الله عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أحيا علوم الدين فأينعت بعد اضمحلالها وأعيا فهوم الملحدين عن دركها فرجعت بكلالها أحمده وأستكين له من مظالم أنقضت الظهور بأثقالها وأعبده وأستعين به لعظام الامور وعضالها وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة وافية بحصول الدرجات وظلالها واقية من حلول الدركات وأهوالها وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أطلع به فجر الايمان من ظلمة القلوب وضلالها وأسمع به وقر الآذان وجلا به رين القلوب بصقالها صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم صلاة لا قاطع لاتصالها (وبعد) فلما وفق الله تعالى لاكمال الكلام على أحاديث إحياء علوم الدين في سنة إحدى وخمسين تعذر الوقوف على بعض أحاديثه فأخرت تبييضه إلى سنة ستين فظفرت بكثير مما عزب عني علمه ثم شرعت في تبييضه في مصنف متوسط حجمه وأنا مع ذلك متباطئ في إكماله غير متعرض لتركه وإهماله الى أن ظفرت بأكثر ما كنت لم أقف عليه وتكرر السؤال من جماعة في اكماله فأجبت وبادرت اليه ولكني اختصرته في غاية الاختصار ليسهل تحصيله وحمله في الاسفار فاقتصرت فيه على ذكر طرف الحديث وصحابيه ومخرجه وبيان صحته أو حسنه أو ضعف مخرجه فان ذلك هو المقصود الاعظم عند أبناء الآخرة بل وعند كثير من المحدثين عند المذاكرة والمناظرة وأبين ما ليس له أصل في كتب الاصول والله أسأل أن ينفع به إنه خير مسؤل * فان كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه اليه وإلا عزوته إلى من خرجه من بقية الستة وحيث كان في أحد الستة لم أعزه إلى غيرها إلا لغرض صحيح بأن يكون في كتاب

﴿كتاب تعريف الأحياء بفضائل الاحياء﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي وفق لنشر المحاسن وطيها في أحسن كتاب وجعل ذلك قرة لأعين الأحباب وذخيرة ليوم المآب والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أحيا باحياء شريعته وطريقته قلوب ذوي الألباب وعلى آله الطيبين الطاهرين وجميع الأصحاب ما أشرقت شمس الاحياء للقلوب وتوجهت همة روحانية مصنفه الولي الموهوب إلى اسعاف ملازمي مطالعته ومحبيه بالمطلوب ﴿وبعد﴾ فان الكتاب العظيم الشأن المسمى باحياء علوم الدين المشهور بالجمع والبركة والنفع بين العلماء العاملين

وسلامه (١) أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله سبحانه بعلمه ولعمري إنه لا سبب لإصرارك على التكبر إلا الداء الذي عم الجم الغفير بل شمل الجماهير من القصور عن ملاحظة ذروة هذا الأمر والجهل فإن الأمر إد والخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والأجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وما سوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمسا ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام إذ لم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقها وحكمة وعلما وضياء ونورا وهداية ورشدا فقد أصبح من بين الخلق مطويا وصار نسيا منسيا ولما كان هذا ثلما في الدين ملما وخطبا مدلهما رأيت الاشتغال بتحرير هذا الكتاب مهما إحياء لعلوم الدين وكشفا عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحا لمناهي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين وقد أسسته على أربعة أرباع وهي ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وصدرت الجملة بكتاب العلم لأنه غاية المهم لأكشف أولا عن العلم الذي تعبد الله على لسان رسوله ﷺ الأعيان بطلبه إذ قال رسول الله ﷺ (٢) ﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم﴾ وأميز فيه العلم النافع من الضار إذ قال ﷺ (٣) ﴿نعوذ بالله من علم لا ينفع﴾ وأحقق ميل أهل العصر عن شاكلة الصواب وانخداعهم بلامع السراب واقتناعهم من العلوم بالقشر عن اللباب ﴿ويشتمل ربع العبادات على عشرة كتب﴾ كتاب العلم وكتاب قواعد العقائد وكتاب أسرار الطهارة وكتاب أسرار الصلاة وكتاب أسرار الزكاة وكتاب أسرار الصيام وكتاب أسرار الحج وكتاب آداب تلاوة القرآن وكتاب الأذكار والدعوات وكتاب ترتيب الأوراد في الأوقات

﴿وأما ربع العادات فيشتمل على عشرة كتب﴾

كتاب آداب الأكل وكتاب آداب النكاح وكتاب أحكام الكسب وكتاب الحلال والحرام وكتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق وكتاب العزلة وكتاب آداب السفر وكتاب السماع والوجد وكتاب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وكتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة

﴿وأما ربع المهلكات فيشتمل على عشرة كتب﴾

كتاب شرح عجائب القلب وكتاب رياضة النفس وكتاب آفات الشهوتين شهوة البطن وشهوة الفرج وكتاب آفات

الزم مخرجه الصحة أو يكون أقرب إلى لفظه في الإحياء وحيث كرر المصنف ذكر الحديث فإن كان في باب واحد منها اكتفيت بذكره أول مرة وربما ذكرته فيه ثانيا وثالثا لغرض أو لذهول عن كونه تقدم وإن كرره في باب آخر ذكرته ونبهت على أنه قد تقدم وربما لم أنبه على تقدمه لذهول عنه وحيث عزوت الحديث لمن خرجه من الأئمة فلا أريد ذلك اللفظ بعينه بل قد يكون بلفظه وقد يكون بمعناه أو باختلاف على قاعدة المستخرجات وحيث لم أجد ذلك الحديث ذكرت ما يغني عنه غالبا وربما لم أذكره * وسميته ﴿المغني عن حمل الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار﴾ جعله الله خالصا لوجهه الكريم ووسيلة إلى النعيم المقيم ﴿أحاديث الخطبة﴾

(١) حديث أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه الطبراني في الصغير والبيهقي في شعب الإيمان من حديث أبي هريرة بإسناد ضعيف (٢) حديث طلب العلم فريضة على كل مسلم ابن ماجه من حديث أنس وضعفه أحمد والبيهقي وغيرهما (٣) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن ماجه من حديث جابر بإسناد حسن

وأهل طريق الله السالكين المشايخ العارفين المنسوب إلى الإمام الغزالي رضي الله عنه عالم العلماء وارث الأنبياء حجة الإسلام حسنة الدهور والأعوام تاج المجتهدين سراج المتهجدين مقتدى الأمة مبين الحل والحرمة زين الملة والدين الذي باهى به سيد المرسلين ﷺ وعلى جميع الأنبياء ورضي الله عن الغزالي وعن سائر العلماء المجتهدين لما كان عظيم الوقع كثير النفع جليل المقدار ليس له نظير في بابه ولم ينسج على منواله ولا سمحت قريحة بمثاله مشتملا على الشريعة والطريقة والحقيقة كاشفا عن الغوامض الخفية مبينا للأسرار الدقيقة رأيت أن أضع رسالة تكون كالعنوان والدلالة على صبابة من فضله وشرفه

اللسان وكتاب آفات الغضب والحقد والحسد وكتاب ذم الدنيا وكتاب ذم المال والبخل وكتاب ذم الجاه والرياء وكتاب ذم الكبر والعجب وكتاب ذم الغرور

﴿ وأما ربع المنجيات فيشتمل على عشرة كتب ﴾

كتاب التوبة وكتاب الصبر والشكر وكتاب الخوف والرجاء وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوحيد والتوكل وكتاب المحبة والشوق والأنس والرضا وكتاب النية والصدق والاخلاص وكتاب المراقبة والمحاسبة وكتاب التفكر وكتاب ذكر الموت * فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليه بل لا يكون من علماء الآخرة من لا يطلع عليه وأكثر ذلك مما أهمل في فن الفقهيات * وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها وهي مما لا يستغني عنها متدين * وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن بإماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر من كل واحد من تلك الأخلاق حده وحقيقته ثم أذكر سببه الذي منه يتولد ثم الآفات التي عليها تترتب ثم العلامات التي بها تتعرف ثم طرق المعالجة التي بها منها يتخلص * كل ذلك مقرونا بشواهد الآيات والأخبار والآثار * وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي بها يتقرب العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تتعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ولقد صنف الناس في بعض هذه المعاني كتبا ولكن يتميز هذا الكتاب عنها بخمسة أمور ﴿الأول﴾ حل ما عقدوه وكشف ما أجملوه ﴿الثاني﴾ ترتيب ما بددوه ونظم ما فرقوه ﴿الثالث﴾ إيجاز ما طولوه وضبط ما قرروه ﴿الرابع﴾ حذف ما كرروه وإثبات ما حرروه ﴿الخامس﴾ تحقيق أمور غامضة اعتاصت على الأفهام لم يتعرض لها في الكتب أصلا إذ الكل وإن تواردوا على منهج واحد فلا مستنكر أن يتفرد كل واحد من السالكين بالتنبيه لأمر يخصه ويغفل عنه رفقاؤه أولا يغفل عن التنبيه ولكن يسهو عن إيراده في الكتب أولا يسهو ولكن يصرفه عن كشف الغطاء عنه صارف فهذه خواص هذا الكتاب مع كونه حاويا لمجامع هذه العلوم * وإنما حملني على تأسيس هذا الكتاب على أربعة أرباع أمران ﴿أحدهما وهو الباعث الأصلي﴾ أن هذا الترتيب في التحقيق والتفهيم كالضروري لأن العلم الذي يتوجه به إلى الآخرة ينقسم إلى علم المعاملة وعلم المكاشفة وأعني بعلم المكاشفة ما يطلب منه كشف المعلوم فقط وأعني بعلم المعاملة ما يطلب منه مع الكشف العمل به والمقصود من هذا الكتاب علم المعاملة فقط دون علم المكاشفة التي لا رخصة في إيداعها الكتب وإن كانت هي غاية مقصد الطالبين ومطمح نظر الصديقين وعلم المعاملة طريق اليه ولكن لم يتكلم الأنبياء صلوات الله عليهم مع الخلق إلا في علم الطريق والارشاد اليه * وأما علم المكاشفة فلم يتكلموا فيه إلا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال علما منهم بقصور أفهام الخلق عن الاحتمال والعلماء ورثة الأنبياء فما لهم سبيل إلى العدول عن نهج التأسي والاقتداء * ثم ان علم المعاملة ينقسم إلى علم ظاهر أعني العلم بأعمال الجوارح والى علم باطن أعني العلم بأعمال القلوب والجاري على الجوارح إما عادة وإما عبادة والوارد على القلوب التي هي بحكم الاحتجاب عن الحواس من عالم الملكوت إما محمود وإما مذموم فبالواجب انقسم هذا العلم إلى شطرين ظاهر وباطن والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عادة وعبادة والشطر الباطن المتعلق بأحوال القلب وأخلاق النفس انقسم إلى مذموم ومحمود فكان المجموع أربعة أقسام ولا يشذ نظر في علم المعاملة عن هذه الأقسام ﴿الباعث الثاني﴾ أني رأيت الرغبة من طلبة العلم صادقة في الفقه الذي صلح عند من لا يخاف الله سبحانه وتعالى المتدرع به إلى المباهاة والاستظهار بجاهه ومنزلته في المنافسات وهو مرتب على أربعة أرباع والمتزيي بزي المحبوب محبوب فلم أبعد أن يكون تصوير الكتاب بصورة الفقه تلطفا في استدراج القلوب ولهذا تلطف بعض

ورشحة من فضل جامعه (٤) ومصنفه (ورتبته على مقدمة * ومقصد * وخاتمة) فالمقدمة في عنوان الكتاب * والمقصد في فضائله وبعض المدائح والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه والخاتمة في ترجمة المصنف رضي الله عنه وسبب رجوعه الى هذه الطريقة

﴿المقدمة في عنوان الكتاب﴾

اعلم أن علوم المعاملة التي يتقرب بها إلى الله تعالى تنقسم إلى ظاهرة وباطنة والظاهرة قسمان معاملة بين العبد وبين الله تعالى ومعاملة بين العبد وبين الخلق * والباطنة أيضا قسمان ما يجب تزكية القلب عنه من الصفات المذمومة وما يجب تحلية القلب به من الصفات المحمودة وقد بنى الامام الغزالي رحمه الله كتابه إحياء علوم الدين على هذه الأربعة الأقسام فقال في خطبته * ولقد أسسته على أربعة أرباع ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات فأما ربع العبادات فيشتمل على عشرة كتب كتاب العلم

من

من رام استمالة قلوب الرؤساء إلى الطب فوضعه على هيئة تقويم النجوم موضوعا فى الجداول والرقوم وسماه تقويم الصحة ليكون أنسهم بذلك الجنس جاذبا لهم إلى المطالعة والتلطف فى اجتذاب القلوب إلى العلم الذى يفيد حياة الأبد أهم من التلطف فى اجتذابه إلى الطب الذى لا يفيد إلا صحة الجسد فثمرة هذا العلم طب القلوب والأرواح المتوصل به الى حياة تدوم أبد الآباد فأين منه الطب الذى يعالج به الأجساد وهى معرضة بالضرورة للفساد فى أقرب الآماد فنسأل الله سبحانه التوفيق للرشاد والسداد انه كريم جواد

﴿كتاب العلم وفيه سبعة أبواب﴾

(الباب الأول) فى فضل العلم والتعليم والتعلم (الباب الثانى) فى فرض العين وفرض الكفاية من العلوم وبيان حد الفقه والكلام من علم الدين وبيان علم الآخرة وعلم الدنيا (الباب الثالث) فيما تعده العامة من علوم الدين وليس منه وفيه بيان جنس العلم المذموم وقدره (الباب الرابع) فى آفات المناظرة وسبب اشتغال الناس بالخلاف والجدل (الباب الخامس) فى آداب المعلم والمتعلم (الباب السادس) فى آفات العلم والعلماء والعلامات الفارقة بين علماء الدنيا والآخرة (الباب السابع) فى العقل وفضله وأقسامه وماجاء فيه من الأخبار

﴿الباب الأول فى فضل العلم والتعليم والتعلم وشواهده من النقل والعقل﴾

﴿فضيلة العلم﴾

شواهدها من القرآن قوله عز وجل ـ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط ـ فانظر كيف بدأ سبحانه وتعالى بنفسه وثنى بالملائكة وثلث بأهل العلم وناهيك بهذا شرفا وفضلا وجلاء ونبلا وقال الله تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ قال ابن عباس رضى الله عنهما للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام وقال عز وجل ـ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ـ وقال تعالى ـ إنما يخشى الله من عباده العلماء ـ وقال تعالى ـ قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ـ وقال تعالى ـ قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به ـ تنبيها على أنه اقتدر بقوة العلم وقال عز وجل ـ وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ـ بين أن عظم قدر الآخرة يعلم بالعلم وقال تعالى ـ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ـ وقال تعالى ـ ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ـ رد حكمه فى الوقائع إلى استنباطهم وألحق رتبتهم برتبة الأنبياء فى كشف حكم الله * وقيل فى قوله تعالى ـ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم ـ يعني العلم ـ وريشا ـ يعني اليقين ـ ولباس التقوى ـ يعني الحياء وقال عز وجل ـ ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم ـ وقال تعالى ـ فلنقصن عليهم بعلم ـ وقال عز وجل ـ بل هو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم ـ وقال تعالى ـ خلق الانسان علمه البيان ـ وإنما ذكر ذلك فى معرض الامتنان * وأما الأخبار فقال رسول الله ﷺ (١) من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده وقال ﷺ (٢) العلماء ورثة الأنبياء ومعلوم أنه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق شرف الوراثة لتلك الرتبة وقال ﷺ (٣) يستغفر للعالم ما فى السموات والأرض وأى منصب يزيد على منصب من تشتغل ملائكة السموات والأرض بالاستغفار له فهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له وقال ﷺ (٤) ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع المملوك حتى يدرك مدارك الملوك وقد نبه بهذا على ثمرته فى الدنيا ومعلوم أن

﴿كتاب العلم * الباب الأول﴾

(١) حديث من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين ويلهمه رشده متفق عليه من حديث معاوية دون قوله ويلهمه رشده وهذه الزيادة عند الطبرانى فى الكبير (٢) حديث العلماء ورثة الأنبياء أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى الدرداء (٣) حديث يستغفر للعالم ما فى السموات وما فى الأرض هو بعض حديث أبى الدرداء المتقدم (٤) حديث الحكمة تزيد الشريف شرفا الحديث أبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى بيان العلم وعبد الغني الأزدى فى آداب المحدث من حديث أنس باسناد ضعيف

الآخرة خير وأبقى * وقال ﷺ (١) خصلتان لا يكونان فى منافق حسن سمت وفقه فى الدين ولا تشكن فى الحديث لنفاق بعض فقهاء الزمان فانه ما أراد به الفقه الذى ظننته وسيأتى معنى الفقه وأدنى درجات الفقيه أن يعلم أن الآخرة خير من الدنيا وهذه المعرفة اذا صدقت وغلبت عليه برئ بها من النفاق والرياء * وقال ﷺ (٢) أفضل الناس المؤمن العالم الذى ان احتيج اليه نفع وان استغنى عنه أغنى نفسه * وقال ﷺ (٣) الايمان عريان ولباسه التقوى وزينته الحياء وثمرته العلم * وقال ﷺ (٤) أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد أما أهل العلم فدلوا الناس على ما جاءت به الرسل وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم على ما جاءت به الرسل * وقال ﷺ (٥) لموت قبيلة خير من موت عالم * وقال عليه الصلاة والسلام (٦) الناس معادن كمعادن الذهب والفضة فخيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الاسلام إذا فقهوا * وقال ﷺ (٧) يوزن يوم القيامة مداد العلماء بدم الشهداء * وقال ﷺ (٨) من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة * وقال ﷺ (٩) من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقى الله عز وجل يوم القيامة فقيهاً عالماً * وقال ﷺ (١٠) من تفقه فى دين الله عز وجل كفاه الله تعالى ما أهمه ورزقه من حيث لا يحتسب * وقال ﷺ (١١) أوحى الله عز وجل إلى إبراهيم عليه السلام يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم * وقال ﷺ (١٢) العالم أمين الله سبحانه فى الأرض * وقال ﷺ (١٣) صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس وإذا فسدوا فسد الناس الأمراء والفقهاء * وقال عليه السلام (١٤) إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربني إلى الله عز وجل فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم * وقال ﷺ فى تفضيل العلم على العبادة والشهادة (١٥) فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى . فانظر كيف جعل العلم مقارنا لدرجة النبوة وكيف حط رتبة العمل المجرد عن العلم وإن كان العابد لا يخلو عن علم بالعبادة التي يواظب عليها ولولاه لم تكن عبادة * وقال ﷺ (١٦) فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة

(١) حديث خصلتان لا تجتمعان فى منافق الحديث الترمذى من حديث أبى هريرة وقال حديث غريب (٢) حديث أفضل الناس المؤمن العالم الحديث البيهقى فى شعب الايمان موقوفا على أبى الدرداء باسناد ضعيف ولم أره مرفوعا (٣) حديث الايمان عريان الحديث الحاكم فى تاريخ نيسابور من حديث أبى الدرداء باسناد ضعيف (٤) حديث أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد الحديث أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٥) حديث لموت قبيلة أيسر من موت عالم الطبرانى وابن عبد البر من حديث أبى الدرداء وأصل الحديث عند أبى الدرداء (٦) حديث الناس معادن الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث يوزن يوم القيامة مداد العلماء ودماء الشهداء ابن عبد البر من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٨) حديث من حفظ على أمتي أربعين حديثاً من السنة حتى يؤديها اليهم كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة ابن عبد البر فى العلم من حديث ابن عمر وضعفه (٩) حديث من حمل من أمتي أربعين حديثاً لقى الله يوم القيامة فقيهاً عالماً ابن عبد البر من حديث أنس وضعفه (١٠) حديث من تفقه فى دين الله كفاه الله همه الحديث الخطيب فى التاريخ من حديث عبد الله بن جزء الزبيدى باسناد ضعيف (١١) حديث أوحى الله إلى إبراهيم يا إبراهيم إنى عليم أحب كل عليم ذكره ابن عبد البر تعليقا ولم أظفر له باسناد (١٢) حديث العالم أمين الله فى الأرض ابن عبد البر من حديث معاذ بسند ضعيف (١٣) حديث صنفان من أمتي إذا صلحوا صلح الناس الحديث ابن عبد البر وأبو نعيم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (١٤) حديث إذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربني الحديث الطبرانى فى الأوسط وأبو نعيم فى الحلية وابن عبد البر فى العلم من حديث عائشة باسناد ضعيف (١٥) حديث فضل العالم على العابد كفضلى على أدنى رجل من أصحابى الترمذى من حديث أبى أمامة وقال حسن صحيح (١٦) حديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب أبو داود والترمذى والنسائى وابن حبان وهو قطعة من

التوبة كتاب الصبر والشكر كتاب (٦) الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق والرضا كتاب النية والصدق والاخلاص كتاب المراقبة والمحاسبة كتاب التفكر كتاب ذكر الموت * ثم قال رحمه الله فأما ربع العبادات فأذكر فيه من خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معانيها ما يضطر العالم العامل اليها بل لا يكون من علماء الآخرة من لم يطلع عليها وأكثر ذلك مما أهمل فى الفقهيات * وأما ربع العادات فأذكر فيه أسرار المعاملات الجارية بين الخلق ودقائق سننها وخفايا الورع فى مجاريها وهى مما لا يستغنى المتدين عنها * وأما ربع المهلكات فأذكر فيه كل خلق مذموم ورد القرآن باماطته وتزكية النفس عنه وتطهير القلب منه وأذكر فى كل واحد من هذه الأخلاق حده وحقيقته ثم سببه الذى منه يتولد ثم الآفات التي عليها يترتب ثم العلامات التي بها يتعرف ثم طرق المعالجة التي منها يتخلص كل

البدر على سائر الكواكب * وقال ﷺ (١) يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء فأعظم بمرتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة * وقال ﷺ (٢) ما عبد الله تعالى بشيء أفضل من فقه في الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه * وقال ﷺ (٣) خير دينكم أيسره وخير العبادة الفقه * وقال ﷺ (٤) فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعين درجة * وقال ﷺ (٥) إنكم أصبحتم في زمن كثير فقهاؤه قليل قراؤه وخطباؤه قليل سائلوه كثير معطوه العمل فيه خير من العلم وسيأتي على الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه كثير سائلوه العلم فيه خير من العمل * وقال ﷺ (٦) بين العالم والعابد مائة درجة بين كل درجتين حضر الجواد المضمر سبعين سنة (٧) وقيل يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله عز وجل فقيل أي العلم تريد قال ﷺ العلم بالله سبحانه فقيل له نسأل عن العمل وتجيب عن العلم فقال ﷺ إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله * وقال ﷺ (٨) يبعث الله سبحانه العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء ثم يقول يا معشر العلماء إني لم أضع علمي فيكم إلا لعلمي بكم ولم أضع علمي فيكم لأعذبكم إذهبوا فقد غفرت لكم نسأل الله حسن الخاتمة ﴿ وأما الآثار ﴾ فقد قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه لكميل يا كميل العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم حاكم والمال محكوم عليه والمال تنقصه النفقة والعلم يزكو بالانفاق * وقال علي أيضاً رضي الله عنه العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد وإذا مات العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها إلا خلف منه وقال رضي الله تعالى عنه نظماً

ما الفخر إلا لأهل العلم إنهم * على الهدى لمن استهدى أدلاء * وقدر كل امرئ ما كان يحسنه

والجاهلون لأهل العلم أعداء * ففز بعلم تعش حياً به أبداً * الناس موتى وأهل العلم أحياء

وقال أبو الأسود ليس شيء أعز من العلم الملوك حكام على الناس والعلماء حكام على الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنهما خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك فاختار العلم فأعطى المال والملك معه وسئل ابن المبارك من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد قيل فمن السفلة قال الذين يأكلون الدنيا بالدين ولم يجعل غير العالم من الناس لأن الخاصية التي يتميز الناس بها عن سائر البهائم هو العلم فالانسان إنسان بما هو شريف لأجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل أقوى منه ولا بعظمه فان الفيل أعظم منه ولا بشجاعته فان السبع أشجع منه ولا بأكله فان الثور أوسع بطناً منه ولا ليجامع فان أخس العصافير أقوى على السفاد منه بل لم يخلق إلا للعلم وقال

حديث أبي الدرداء المتقدم (١) حديث يشفع يوم القيامة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ابن ماجه من حديث عثمان ابن عفان باسناد ضعيف (٢) حديث ما عبد الله بشيء أفضل من فقه في دين الحديث الطبراني في الأوسط وأبو بكر الآجري في كتاب فضل العلم وأبو نعيم في رياضة المتعلمين من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف وعند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس بسند ضعيف فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد (٣) حديث خير دينكم أيسره وأفضل العبادة الفقه ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف والشطر الأول عند أحمد من حديث محجن بن الأدرع باسناد جيد والشطر الثاني عند الطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٤) حديث فضل المؤمن العالم على المؤمن العابد بسبعون درجة ابن عدي من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف ولأبي يعلى نحوه من حديث عبد الرحمن بن عوف (٥) حديث إنكم أصبحتم في زمان كثير فقهاؤه الطبراني من حديث حزام بن حكيم عن عمه وقيل عن أبيه واسناده ضعيف (٦) حديث بين العالم والعابد مائة درجة الاصفهاني في الترغيب والترهيب من حديث ابن عمر عن أبيه وقال سبعون درجة بسند ضعيف وكذا رواه صاحب مسند الفردوس من حديث أبي هريرة (٧) حديث قيل له يا رسول الله أي الأعمال أفضل فقال العلم بالله الحديث ابن عبد البر من حديث أنس بسند ضعيف (٨) حديث يبعث الله العباد يوم القيامة ثم يبعث العلماء الحديث الطبراني من حديث أبي موسى بسند

ذلك مقروناً بشواهد من الآيات والأخبار والآثار * وأما ربع المنجيات فأذكر فيه كل خلق محمود وخصلة مرغوب فيها من خصال المقربين والصديقين التي يتقرب بها العبد من رب العالمين وأذكر في كل خصلة حدها وحقيقتها وسببها الذي به تجتلب وثمرتها التي منها تستفاد وعلامتها التي بها تعرف وفضيلتها التي لأجلها فيها يرغب مع ما ورد فيها من شواهد الشرع والعقل ﴿المقصد في فضل الكتاب المشار اليه وبعض المدائح والثناء من الأكابر عليه والجواب عما استشكل منه وطعن بسببه فيه﴾ اعلم أن فضائل الاحياء لا تحصى بل كل فضيلة له باعتبار حيثياتها لا تستقصى بجمع الناس مناقبه فقصروا وما قصروا وغاب عنهم أكثر مما أبصروا وعز من أفردها فيما علمت بتأليف وهي جديرة بالتصنيف غاص مؤلفه رضي الله عنه في بحار الحقائق واستخرج جواهر المعاني ثم لم يرض إلا بكبارها وجال في بساتين العلوم فاجتنى ثمارها

بعض العلماء ليت شعرى أى شئ أدرك من فاته العلم وأى شىء فاته من أدرك العلم * وقال عليه الصلاة والسلام من أوتى القرآن فرأى أن أحداً أوتى خيراً منه فقد حقر ماعظم الله تعالى وقال فتح الموصلى رحمه الله أليس المريض اذا منع الطعام والشراب والدواء يموت قالوا بلى قال كذلك القلب اذا منع عنه الحكمة والعلم ثلاثة أيام يموت ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبهما حياته كما أن غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض وموته لازم ولكنه لا يشعر به إذ حب الدنيا وشغله بها أبطل إحساسه كما أن غلبة الخوف قد تبطل ألم الجراح فى الحال وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه أعباء الدنيا أحس بهلاكه وتحسر تحسراً عظيما ثم لا ينفعه وذلك كاحساس الآمن من خوفه والمفيق من سكره بما أصابه من الجراحات فى حالة السكر أو الخوف فنعوذ بالله من يوم كشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا وقال الحسن رحمه الله يوزن مداد العلماء بدم الشهداء فيرجح مداد العلماء بدم الشهداء وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قبل أن يرفع ورفعه موت رواته فوالذى نفسى بيده ليودن رجال قتلوا فى سبيل الله شهداء أن يبعثهم الله علماء لما يرون من كرامتهم فان أحداً لم يولد عالما وإنما العلم بالتعلم * وقال ابن عباس رضى الله عنهما تذاكر العلم بعض ليلة أحب إلى من إحيائها وكذلك عن أبى هريرة رضى الله عنه وأحمد بن حنبل رحمه الله وقال الحسن فى قوله تعالى ـ ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة ـ ان الحسنة فى الدنيا هي العلم والعبادة وفى الآخرة هي الجنة * وقيل لبعض الحكماء أى الأشياء تقتني قال الأشياء التي إذا غرقت سفينتك سبحت معك يعني العلم وقيل أراد بغرق السفينة هلاك بدنه بالموت وقال بعضهم من اتخذ الحكمة لجاما اتخذه الناس إماما ومن عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار * وقال الشافعى رحمة الله عليه من شرف العلم أن كل من نسب اليه ولو فى شىء حقير فرح ومن رفع عنه حزن * وقال عمر رضى الله عنه يا أيها الناس عليكم بالعلم فان لله سبحانه رداء يحبه فمن طلب بابا من العلم رداه الله عز وجل بردائه فان أذنب ذنبا استعتبه ثلاث مرات لئلا يسلبه رداءه ذلك وان تطاول به ذلك الذنب حتي يموت * وقال الأحنف رحمه الله كاد العلماء أن يكونوا أربابا وكل عز لم يوطد بعلم فالى ذل مصيره * وقال سالم بن أبى الجعد اشترانى مولاي بثلثمائة درهم وأعتقني فقلت بأى شىء أحترف فاحترفت بالعلم فما تمت لى سنة حتي أتانى أمير المدينة زائراً فلم آذن له * وقال الزبير بن أبى بكر كتب إلى أبى بالعراق عليك بالعلم فانك إن افتقرت كان لك مالا وإن استغنيت كان لك جمالا * وحكى ذلك فى وصايا لقمان لابنه قال يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فان الله سبحانه يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء وقال بعض الحكماء إذا مات العالم بكاه الحوت فى الماء والطير فى الهواء ويفقد وجهه ولا ينسى ذكره * وقال الزهرى رحمه الله العلم ذكر ولا يحبه إلا ذكران الرجال

﴿ فضيلة التعلم ﴾

أما الآيات فقوله تعالى ـ فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ـ وقوله عز وجل ـ فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون ـ وأما الأخبار فقوله ﷺ (١) من سلك طريقاً يطلب فيه علماً سلك الله به طريقاً إلى الجنة * وقال ﷺ (٢) إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع * وقال ﷺ (٣) لأن تغدو فتتعلم بابا من العلم خير من أن تصلى مائة ركعة * وقال ﷺ (٤) باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ومافيها * وقال ﷺ (٥) اطلبوا العلم ولو بالصين * وقال ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم

ضعيف (١) حديث من سلك طريقا يطلب فيه علما الحديث مسلم من حديث أبى هريرة (٢) حديث ان الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث صفوان بن عسال (٣) حديث لأن تغدو فتتعلم بابا من الخير خير من أن تصلى مائة ركعة ابن عبد البر من حديث أبى ذر وليس اسناده بذاك والحديث عند ابن ماجه بلفظ آخر (٤) حديث باب من العلم يتعلمه الرجل خير له من الدنيا ابن حبان فى روضة العقلاء وابن عبد البر موقوفا على الحسن البصرى ولم أره مرفوعا إلا بلفظ خير له من مائة ركعة رواه الطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف من حديث أبى ذر (٥) حديث اطلبوا العلم ولو بالصين ابن عدى والبيهقى فى المدخل

بعد أن اقتطف من أزهارها وسما إلى سماء المعانى فلم يصطف من كواكبها إلا السيارة وجليت عليه عرائس أسرار المعانى فلم ترق فى عينه منهن إلا البادية النضارة جمع رضى الله عنه فأوعى وسعى فى احياء علوم الدين فشكر الله له ذلك المسعى فلله دره من عالم محقق مجيد وامام جامع لشتات الفضائل محرر فريد لقد أبدع فيما أودع كتابه من الفوائد الشوارد وقد أغرب فيما أعرب فيه من الأمثلة والشواهد وقد أجاد فيما أفاد فيه وأملى بيدأنه فى العلوم صاحب مقدح المعلى إذ كان رضى الله عنه من أسرار العلوم بمحل لا يدرك وأين مثله وأصله أصله وفضله فضله هيهات لا يأتى الزمان بمثله * ان الزمان بمثله لشحيح

وما عسيت أن أقول فيمن جمع أطراف المحاسن ونظم أشتات الفضائل وأخذ برقاب المحامد واستولى على غايات المناقب فشجرته فى فوارة العلم والعمل والعلا والفهم والذكاء أصلها

وقال

وقال عليه الصلاة والسلام (١) العلم خزائن مفاتيحها السؤال ألا فاسألوا فانه يؤجر فيه أربعة السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال ﷺ (٢) لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله ولا للعالم أن يسكت على علمه (٣) وفى حديث أبى ذر رضى الله عنه حضور مجلس عالم أفضل من صلاة ألف ركعة وعيادة ألف مريض وشهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن فقال ﷺ وهل ينفع القرآن إلا بالعلم * وقال عليه الصلاة والسلام (٤) من جاءه الموت وهو يطلب العلم ليحيى به الاسلام فبينه وبين الأنبياء فى الجنة درجة واحدة * وأما الآثار فقال ابن عباس رضى الله عنهما ذللت طالبا فعززت مطلوبا وكذلك قال ابن أبى مليكة رحمه الله مارأيت مثل ابن عباس إذا رأيته رأيت أحسن الناس وجها وإذا تكلم فأعرب الناس لسانا وإذا أفتى فأكثر الناس علما وقال ابن المبارك رحمه الله عجبت لمن لم يطلب العلم كيف تدعوه نفسه إلى مكرمة * وقال بعض الحكماء إنى لا أرحم رجالا كرحمتى لأحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم العلم ولا يطلبه * وقال أبو الدرداء رضى الله عنه لأن أتعلم مسئلة أحب إلى من قيام ليلة وقال أيضا العالم والمتعلم شريكان فى الخير وسائر الناس همج لا خير فيهم وقال أيضا كن عالما أو متعلما أو مستمعا ولا تكن الرابع فتهلك * وقال عطاء مجلس علم يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو وقال عمر رضى الله عنه موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه وقال الشافعى رضى الله عنه طلب العلم أفضل من النافلة وقال ابن عبد الحكم رحمه الله كنت عند مالك أقرأ عليه العلم فدخل الظهر فجمعت الكتب لأصلى فقال ياهذا ما الذى قمت اليه بأفضل مما كنت فيه إذا صحت النية وقال أبو الدرداء رضى الله عنه من رأى أن الغدو إلى طلب العلم ليس بجهاد فقد نقص فى رأيه وعقله

﴿ فضيلة التعليم ﴾

أما الآيات فقوله عز وجل ـ ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون ـ والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالى ـ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه ـ وهو إيجاب للتعليم وقوله تعالى ـ وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون ـ وهو تحريم للكتمان كما قال تعالى فى الشهادة ـ ومن يكتمها فانه آثم قلبه ـ وقال ﷺ (٥) ما آتى الله عالما علما إلا وأخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين أن يبينوه للناس ولا يكتموه وقال تعالى ـ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا ـ وقال تعالى ـ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ـ وقال تعالى ـ ويعلمهم الكتاب والحكمة ـ * وأما الأخبار فقوله ﷺ (٦) لما بعث معاذا رضى الله عنه إلى اليمن لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من الدنيا ومافيها وقال ﷺ (٧) من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا * وقال عيسى ﷺ من علم وعمل وعلم فذلك يدعى عظيما فى

والشعب من حديث أنس قال البيهقى متنه مشهور وأسانيده ضعيفة (١) حديث العلم خزائن مفاتيحها السؤال الحديث رواه أبو نعيم من حديث على مرفوعا باسناد ضعيف (٢) حديث لا ينبغى للجاهل أن يسكت على جهله الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير وابن السني وأبو نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث جابر بسند ضعيف (٣) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث ذكره ابن الجوزى فى الموضوعات من حديث عمر ولم أجده من طريق أبى ذر (٤) حديث من جاءه الموت وهو يطلب العلم الحديث الدارمى وابن السني فى رياضة المتعلمين من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل هو ابن يسار البصرى فيكون مرسلا (٥) حديث ما آتى الله عالما علما إلا أخذ عليه من الميثاق ما أخذ على النبيين الحديث أبو نعيم فى فضل العالم العفيف من حديث ابن مسعود بنحوه وفى الخلعيات نحوه من حديث أبى هريرة (٦) حديث قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم أحمد من حديث معاذ وفى الصحيحين من حديث سهل بن سعد أنه قال ذلك لعلى (٧) حديث من تعلم بابا من العلم ليعلم الناس أعطى ثواب سبعين صديقا رواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

العالية ذكر الشيخ عبد الله بن أسعد اليافعى رحمة الله عليه أن الفقيه السلامة قطب اليمن اسماعيل ابن محمد الحضرمى ثم اليمنى سئل عن تصانيف الغزالى فقال من جملة جوابه محمد بن عبد الله ﷺ سيد الأنبياء ومحمد بن إدريس الشافعى سيد الأئمة ومحمد بن محمد بن محمد الغزالى سيد المصنفين وذكر اليافعى أيضا أن الشيخ الامام الكبير أبا الحسن على بن حرزهم الفقيه المشهور المغربى كان بالغ فى الانكار على كتاب إحياء علوم الدين وكان مطاعا مسموع الكلمة فأمر بجمع ماظفر به من نسخ الاحياء وهم باحراقها فى الجامع يوم الجمعة فرأى ليلة تلك الجمعة كأنه دخل الجامع فاذا هو بالنبى ﷺ فيه ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما والامام الغزالى قائم بين يدى

ملكوت السموات * وقال رسول الله ﷺ (١) إذا كان يوم القيامة يقول الله سبحانه للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة فيقول العلماء بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا فيقول الله عز وجل أنتم عندي كبعض ملائكتي اشفعوا تشفعوا فيشفعون ثم يدخلون الجنة وهذا إنما يكون بالعلم المتعدي بالتعليم لا العلم اللازم الذي لا يتعدى * وقال ﷺ (٢) إن الله عز وجل لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس بعد أن يؤتيهم إياه ولكن يذهب بذهاب العلماء فكلما ذهب عالم ذهب بما معه من العلم حتى إذا لم يبق إلا رؤساء جهالا إن سئلوا أفتوا بغير علم فيضلون ويضلون * وقال ﷺ (٣) من علم علما فكتمه ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار * وقال ﷺ (٤) نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتطوي عليها ثم تحملها إلى أخ لك مسلم تعلمه إياها تعدل عبادة سنة * وقال ﷺ (٥) الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه وما والاه أو معلما أو متعلما * وقال ﷺ (٦) إن الله سبحانه وملائكته وأهل سمواته وأرضه حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير * وقال ﷺ (٧) ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن بلغه فبلغه * وقال ﷺ (٨) كلمة من الخير يسمعها المؤمن فيعلمها ويعمل بها خير له من عبادة سنة (٩) وخرج رسول الله ﷺ ذات يوم فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله عز وجل ويرغبون اليه والثاني يعلمون الناس فقال أما هؤلاء فيسألون الله تعالى فان شاء أعطاهم وإن شاء منعهم وأما هؤلاء فيعلمون الناس وإنما بعثت معلما ثم عدل اليهم وجلس معهم * وقال ﷺ (١٠) مثل ما بعثني الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا فكانت منها بقعة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ اه فالأول ذكره مثلا للمنتفع بعلمه والثاني ذكره مثلا للنافع والثالث للمحروم منهما * وقال ﷺ (١١) إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث علم ينتفع به الحديث * وقال ﷺ (١٢) الدال على الخير كفاعله * وقال ﷺ (١٣) لا حسد إلا في اثنتين رجل

(١) حديث إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى للعابدين والمجاهدين ادخلوا الجنة الحديث أبو العباس الذهبي في العلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٢) حديث إن الله لا ينتزع العلم انتزاعا من الناس الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث من علم علما فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حديث حسن (٤) حديث نعم العطية ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها الحديث الطبراني من حديث ابن عباس نحوه باسناد ضعيف (٥) حديث الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة قال الترمذي حسن غريب (٦) حديث إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير الترمذي من حديث أبي أمامة وقال غريب وفي نسخة حسن صحيح (٧) حديث ما أفاد المسلم أخاه فائدة أفضل من حديث حسن الحديث ابن عبد البر من رواية محمد بن المنكدر مرسلا نحوه ولأبي نعيم من حديث عبد الله بن عمرو ما أهدى مسلم لأخيه هدية أفضل من كلمة تزيده هدى أو ترده عن ردى (٨) حديث كلمة من الحكمة يسمعها المؤمن فيعمل بها ويعلمها الحديث ابن المبارك في الزهد والرقائق من رواية زيد بن أسلم مرسلا نحوه وفي مسند الفردوس من حديث أبي هريرة بسند ضعيف كلمة حكمة يسمعها الرجل خير له من عبادة سنة (٩) حديث خرج رسول الله ﷺ ذات يوم على أصحابه فرأى مجلسين أحدهما يدعون الله الحديث ابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (١٠) حديث مثل ما بعثني الله به من العلم والهدى الحديث متفق عليه من حديث أبي موسى (١١) حديث إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث الحديث مسلم من حديث أبي هريرة (١٢) حديث الدال على الخير كفاعله الترمذي من حديث أنس وقال غريب ورواه مسلم وأبو داود والترمذي وصححه عن أبي مسعود البدري بلفظ من دل على خير فله مثل أجر فاعله (١٣) حديث لا حسد إلا في اثنتين الحديث

شيأ حصل لي من بركتك واتباع سنتك فخذ لي حقي من خصمي ثم ناول النبي ﷺ كتاب الاحياء فتصفحه النبي ﷺ ورقة ورقة من أوله إلى آخره ثم قال والله إن هذا لشيء حسن ثم ناوله الصديق رضي الله عنه فنظر فيه فاستجاده ثم قال نعم والذي بعثك بالحق انه لشيء حسن ثم ناوله الفاروق عمر رضي الله عنه فنظر فيه وأثنى عليه كما قال الصديق فأمر النبي ﷺ بتجريد الفقيه علي بن حرزهم عن القميص وأن يضرب ويحد حد المفتري فجرد وضرب فلما ضرب خمسة أسواط تشفع فيه الصديق رضي الله عنه وقال يارسول الله لعله ظن خلاف سنتك فأخطأ في ظنه فرضي الامام الغزالي وقبل شفاعة الصديق ثم استيقظ ابن حرزهم وأثر السياط في ظهره وأعلم أصحابه وتاب إلى الله عن

آتاه الله عز وجل حكمة فهو يقضى بها ويعلمها الناس ورجل آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير * وقال ﷺ (١) على خلفائى رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين يحيون سنتى ويعلمونها عباد الله * وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه من حدث حديثا فعمل به فله مثل أجر من عمل ذلك العمل * وقال ابن عباس رضى الله عنهما معلم الناس الخير يستغفر له كل شىء حتى الحوت فى البحر * وقال بعض العلماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف يدخل * وروى أن سفيان الثورى رحمه الله قدم عسقلان فمكث لا يسأله إنسان فقال اكروا لى لأخرج من هذا البلد هذا بلد يموت فيه العلم وإنما قال ذلك حرصا على فضيلة التعليم واستبقاء العلم به وقال عطاء رضى الله عنه دخلت على سعيد بن المسيب وهو يبكى فقلت ما يبكيك قال ليس أحد يسألنى عن شىء * وقال بعضهم العلماء سرج الأزمنة كل واحد مصباح زمانه يستضىء به أهل عصره * وقال الحسن رحمه الله لولا العلماء لصار الناس مثل البهائم أى إنهم بالتعليم يخرجون الناس من حد البهيمية إلى حد الانسانية * وقال عكرمة إن لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه * وقال يحيى بن معاذ العلماء أرحم بأمة محمد ﷺ من آبائهم وأمهاتهم قيل وكيف ذلك قال لأن آباءهم وأمهاتهم يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة * وقيل أول العلم الصمت ثم الاستماع ثم الحفظ ثم العمل ثم نشره * وقيل علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم ما تجهل فانك إذا فعلت ذلك علمت ما جهلت وحفظت ما علمت * وقال معاذ بن جبل فى التعليم والتعلم ورأيته أيضا مرفوعا (٢) تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة ومدارسته تسبيح والبحث عنه جهاد وتعليمه من لا يعلمه صدقة وبذله لأهله قربة وهو الأنيس فى الوحدة والصاحب فى الخلوة والدليل على الدين والمصبر على السراء والضراء والوزير عند الأخلاء والقريب عند الغرباء ومنار سبيل الجنة يرفع الله به أقواما فيجعلهم فى الخير قادة سادة هداة يقتدى بهم أدلة فى الخير تقتص آثارهم وترمق أفعالهم وترغب الملائكة فى خلتهم وبأجنحتها تمسحهم وكل رطب ويابس لهم يستغفر حتى حيتان البحر وهوامه وسباع البر وأنعامه والسماء ونجومها لأن العلم حياة القلوب من العمى ونور الأبصار من الظلم وقوة الأبدان من الضعف يبلغ به العبد منازل الأبرار والدرجات العلى والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته بالقيام به يطاع الله عز وجل وبه يعبد وبه يوحد وبه يمجد وبه يتورع وبه توصل الأرحام وبه يعرف الحلال والحرام وهو إمام والعمل تابعه يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء نسأل الله تعالى حسن التوفيق

﴿ فى الشواهد العقلية ﴾

اعلم أن المطلوب من هذا الباب معرفة فضيلة العلم ونفاسته وما لم تفهم الفضيلة فى نفسها ولم يتحقق المراد منها لم يمكن أن تعلم وجودها صفة للعلم أو لغيره من الخصال فلقد ضل عن الطريق من طمع أن يعرف أن زيدا حكيم أم لا وهو بعد لم يفهم معنى الحكمة وحقيقتها * والفضيلة مأخوذة من الفضل وهى الزيادة فاذا تشارك شيآن فى أمر واختص أحدهما بمزيد يقال فضله وله الفضل عليه مهما كانت زيادته فيما هو كمال ذلك الشىء كما يقال الفرس أفضل من الحمار بمعنى أنه يشاركه فى قوة الحمل ويزيد عليه بقوة الكر والفر وشدة العدو وحسن الصورة فلو فرض حمار اختص بسلعة زائدة لم يقل إنه أفضل لأن تلك زيادة فى الجسم ونقصان فى المعنى وليست من الكمال فى شىء والحيوان مطلوب لمعناه وصفاته لا لجسمه فاذا فهمت هذا لم يخف عليك أن العلم فضيلة إن أخذته بالاضافة إلى سائر الأوصاف كما أن للفرس فضيلة ان أخذته بالاضافة إلى سائر الحيوانات بل شدة العدو فضيلة فى الفرس وليست فضيلة على الاطلاق والعلم فضيلة فى ذاته وعلى الاطلاق من غير إضافة فانه وصف كمال الله سبحانه وبه

متفق عليه من حديث ابن مسعود (١) حديث على خلفائى رحمة الله الحديث ابن عبد البر فى العلم والهروى فى ذم الكلام من حديث الحسن فقيل هو ابن على وقيل ابن يسار البصرى فيكون مرسلا ولابن السنى وأبى نعيم فى رياضة المتعلمين من حديث على نحوه (٢) حديث معاذ تعلموا العلم فان تعلمه لله خشية وطلبه عبادة الحديث بطوله أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب وابن عبد البر وقال ليس له إسناد قوى

الله ﷺ إلى أن رأى النبى ﷺ دخل عليه ومسح بيده الكريمة على ظهره فعوفى وشفى باذن الله تعالى ثم لازم مطالعة إحياء علوم الدين ففتح الله عليه فيه ونال المعرفة بالله وصار من أكابر المشايخ أهل العلم الباطن والظاهر رحمه الله تعالى * قال اليافعى روينا ذلك بالأسانيد الصحيحة فأخبرنى بذلك ولى الله عن ولى الله عن ولى الله عن ولى الله الشيخ الكبير القطب شهاب الدين أحمد ابن الميلق الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله ياقوت الشاذلى عن شيخه الشيخ الكبير العارف بالله أبى العباس المرسى عن شيخه الشيخ الكبير شيخ الشيوخ أبى الحسن الشاذلى قدس الله أرواحهم وكان معاصرا لابن حرزهم قال وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى ولقد مات الشيخ أبو الحسن بن حرزهم رحمه الله يوم مات

شرف الملائكة والأنبياء بل الكيس من الخيل خير من البليد فهي فضيلة على الاطلاق من غير اضافة *واعلم أن الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم إلى ما يطلب لغيره وإلى ما يطلب لذاته وإلى ما يطلب لغيره ولذاته جميعا فما يطلب لذاته أشرف وأفضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما حجران لا منفعة لهما ولولا أن الله سبحانه وتعالى يسر قضاء الحاجات بهما لكانا والحصباء بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة في الآخرة ولذة النظر لوجه الله تعالى والذي يطلب لذاته ولغيره فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مثلا مطلوبة من حيث انها سلامة للبدن عن الألم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الى المآرب والحاجات وبهذا الاعتبار اذا نظرت الى العلم رأيته لذيذا في نفسه فيكون مطلوبا لذاته ووجدته وسيلة الى دار الآخرة وسعادتها وذريعة الى القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه إلا به وأعظم الأشياء رتبة في حق الآدمي السعادة الأبدية وأفضل الأشياء ماهو وسيلة اليها ولن يتوصل اليها إلا بالعلم والعمل ولا يتوصل الى العمل إلا بالعلم بكيفية العمل فأصل السعادة في الدنيا والآخرة هو العلم فهو إذن أفضل الأعمال وكيف لا وقد تعرف فضيلة الشيء أيضا بشرف ثمرته وقد عرفت أن ثمرة العلم القرب من رب العالمين والالتحاق بأفق الملائكة ومقارنة الملأ الأعلى هذا في الآخرة وأما في الدنيا فالعز والوقار ونفوذ الحكم على الملوك ولزوم الاحترام في الطباع حتى ان أغبياء الترك وأجلاف العرب يصادفون طباعهم مجبولة على التوقير لشيوخهم لاختصاصهم بمزيد علم مستفاد من التجربة بل البهيمة بطبعها توقر الانسان لشعورها بتمييز الانسان بكمال مجاوز لدرجتها . هذه فضيلة العلم مطلقا ثم تختلف العلوم كما سيأتي بيانه وتتفاوت لا محالة فضائلها بتفاوتها *وأما فضيلة التعليم والتعلم فظاهرة مما ذكرناه فان العلم اذا كان أفضل الامور كان تعلمه طلباً للأفضل فكان تعليمه افادة للأفضل وبيانه أن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الآخرة وهي الآلة الموصلة الى الله عز وجل لمن اتخذها آلة ومنزلا لا لمن يتخذها مستقرا ووطنا وليس ينتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم وحرفهم وصناعاتهم تنحصر في ﴿ثلاثة أقسام * أحدها﴾ أصول لا قوام للعالم دونها وهي أربعة الزراعة وهي للمطعم والحياكة وهي للملبس والبناء وهو للمسكن والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها *الثاني ماهي مهيئة لكل واحدة من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم الزراعة وجملة من الصناعات باعداد آلاتها كالحلاجة والغزل فانها تخدم الحياكة باعداد عملها * الثالث ماهي متممة للاصول ومزينة كالطحن والخبز للزراعة وكالقصارة والخياطة للحياكة وذلك بالاضافة الى قوام أمر العالم الأرضي مثل أجزاء الشخص بالاضافة الى جملته فانها ثلاثة أضرب أيضا إما أصول كالقلب والكبد والدماغ وإما خادمة لها كالمعدة والعروق والشرايين والأعصاب والأوردة وإما مكملة لها ومزينة كالأظفار والأصابع والحاجبين وأشرف هذه الصناعات أصولها وأشرف أصولها السياسة بالتأليف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من الكمال فيمن يتكفل بها مالا يستدعيه سائر الصناعات ولذلك يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة سائر الصناع *والسياسة في استصلاح الخلق وارشادهم الى الطريق المستقيم المنجي في الدنيا والآخرة على أربع مراتب *الأولى وهي العليا سياسة الأنبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا في ظاهرهم وباطنهم * والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين وحكمهم على الخاصة والعامة جميعا ولكن على ظاهرهم لا على باطنهم *والثالثة العلماء بالله عز وجل وبدينه الذين هم ورثة الأنبياء وحكمهم على باطن الخاصة فقط ولا يرتفع فهم العامة على الاستفادة منهم ولا تنتهي قوتهم الى التصرف في ظواهرهم بالالزام والمنع والشرع *والرابعة الوعاظ وحكمهم على بواطن العوام فقط فأشرف هذه الصناعات الأربع بعد النبوة افادة العلم وتهذيب نفوس الناس عن الأخلاق المذمومة المهلكة وإرشادهم إلى الأخلاق المحمودة المسعدة وهو المراد بالتعليم وانما قلنا ان هذا أفضل من سائر الحرف والصناعات لأن شرف الصناعة يعرف ﴿بثلاثة أمور﴾ إما بالالتفات إلى الغريزة التي بها يتوصل إلى معرفتها كفضل العلوم العقلية على

اللغوية

وأثر السياط ظاهر على ظهره وقال الحافظ ابن عساكر رحمه الله وكان أدرك الامام الغزالي واجتمع به قال سمعت الامام الفقيه الصوفي سعد بن علي بن أبي هريرة الاسفرايني يقول سمعت الشيخ الامام الأوحد زين القراء جمال الحرم أبا الفتح الشاوي بمكة المشرفة يقول دخلت المسجد الحرام يوما فطرأ على حال وأخذني عن نفسي فلم أقدر أن أقف ولا أجلس لشدة مابي فوقعت على جنبي الأيمن تجاه الكعبة المعظمة وأنا على طهارة وكنت أطرد عن نفسي النوم فأخذتني سنة بين النوم واليقظة فرأيت النبي ﷺ في أكمل صورة وأحسن زي من القميص والعمامة ورأيت الأئمة الشافعي ومالكا وأبا حنيفة وأحمد رحمهم الله يعرضون عليه مذاهبهم واحداً بعد واحد وهو ﷺ يقررهم عليها ثم جاء شخص من رؤساء المبتدعة ليدخل الحلقة فأمر النبي ﷺ بطرده وإهانته فتقدمت أنا

اللغوية إذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة بالسمع والعقل أشرف من السمع واما بالنظر الى عموم النفع كفضل الزراعة على الصياغة واما بملاحظة المحل الذى فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة إذ محل أحدهما الذهب ومحل الآخر جلد الميتة وليس يخفى أن العلوم الدينية وهى فقه طريق الآخرة انما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الانسان كما سيأتى بيانه إذ به تقبل أمانة الله وبه يتوصل الى جوار الله سبحانه وأما عموم النفع فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة وأما شرف المحل فكيف يخفى والمعلم متصرف فى قلوب البشر ونفوسهم وأشرف موجود على الأرض جنس الانس وأشرف جزء من جواهر الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتجليته وتطهيره وسياقته الى القرب من الله عزوجل فتعليم العلم من وجه عبادة لله تعالى ومن وجه خلافة لله تعالى وهو من أجل خلافة الله فان الله تعالى قد فتح على قلب العالم العلم الذى هو أخص صفاته فهو كالخازن لأنفس خزائنه ثم هو مأذون له فى الانفاق منه على كل محتاج اليه فأى رتبة أجل من كون العبد واسطة بين ربه سبحانه وبين خلقه فى تقريبهم الى الله زلفى وسياقتهم الى جنة المأوى جعلنا الله منهم بكرمه وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿ الباب الثانى * العلم المحمود والمذموم وأقسامهما وأحكامهما وفيه بيان ماهو فرض عين وماهو فرض كفاية وبيان أن موقع الكلام والفقه من علم الدين إلى أى حد هو وتفضيل علم الآخرة ﴾

﴿ بيان العلم الذى هو فرض عين ﴾ * قال رسول الله ﷺ طلب العلم فريضة على كل مسلم وقال أيضا ﷺ اطلبوا العلم ولو بالصين واختلف الناس فى العلم الذى هو فرض على كل مسلم فتفرقوا فيه أكثر من عشرين فرقة ولا نطيل بنقل التفصيل ولكن حاصله أن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذى هو بصدده فقال المتكلمون هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم به ذات الله سبحانه وصفاته وقال الفقهاء هو علم الفقه إذ به تعرف العبادات والحلال والحرام ومايحرم من المعاملات ومايحل وعنوا به مايحتاج اليه الآحاد دون الوقائع النادرة وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل الى العلوم كلها وقال المتصوفة المراد به هذا العلم فقال بعضهم هو علم العبد بحاله ومقامه من الله عزوجل وقال بعضهم هو العلم بالاخلاص وآفات النفوس وتمييز لمة الملك من لمة الشيطان وقال بعضهم هو علم الباطن وذلك يجب على أقوام مخصوصين هم أهل ذلك وصرفوا اللفظ عن عمومه * وقال أبو طالب المكى هو العلم بما يتضمنه الحديث الذى فيه مبانى الاسلام وهو قوله ﷺ (١) بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله إلى آخر الحديث لأن الواجب هذه الخمس فيجب العلم بكيفية العمل فيها وبكيفية الوجوب * والذى ينبغى أن يقطع به المحصل ولا يستريب فيه ماسنذكره وهو أن العلم كما قدمناه فى خطبة الكتاب ينقسم إلى علم معاملة وعلم مكاشفة وليس المراد بهذا العلم إلا علم المعاملة والمعاملة التى كلف العبد العاقل البالغ العمل بها ﴿ ثلاثة ﴾ اعتقاد وفعل وترك فاذا بلغ الرجل العاقل بالاحتلام أو السن ضحوة نهار مثلا فأول واجب عليه تعلم كلمتى الشهادة وفهم معناهما وهو قول لا إله إلا الله محمد رسول الله وليس يجب عليه أن يحصل كشف ذلك لنفسه بالنظر والبحث وتحرير الأدلة بل يكفيه أن يصدق به ويعتقده جزما من غير اختلاج ريب واضطراب نفس وذلك قد يحصل بمجرد التقليد والسماع من غير بحث ولا برهان إذ اكتفى رسول الله ﷺ (٢) من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل فاذا فعل ذلك فقد أدى واجب الوقت وكان العلم الذى هو فرض عين عليه فى الوقت تعلم الكلمتين وفهمهما وليس يلزمه أمر وراء هذا فى الوقت بدليل أنه لو مات عقيب ذلك مات مطيعا لله عزوجل غير عاص له وإنما يجب غير ذلك بعوارض تعرض وليس ذلك ضروريا فى حق كل شخص بل يتصور الانفكاك عنها وتلك العوارض إما أن تكون فى الفعل واما فى الترك وإما فى الاعتقاد * أما الفعل فبأن يعيش من ضحوة نهاره إلى وقت الظهر

﴿ الباب الثانى ﴾

(١) حديث بنى الاسلام على خمس متفق عليه من حديث ابن عمر (٢) حديث اكتفى رسول الله ﷺ من أجلاف العرب بالتصديق والاقرار من غير تعلم دليل مشهور فى كتب السير والحديث فعند مسلم قصة ضمام ابن

وقلت يارسول الله هكذا الكتاب أعنى إحياء علوم الدين معتقدى ومعتقد أهل السنة والجماعة .فلوأذنت لى حتى أقرأه عليك فأذن لى فقرأت عليه من كتاب قواعد العقائد بسم الله الرحمن الرحيم كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول الفصل الأول فى ترجمة عقيدة أهل السنة حتى انتهيت إلى قول الغزالى وأنه تعالى بعث النبى الأمى القرشى محمدا ﷺ إلى كافة العرب والعجم والجن والانس فرأيت البشاشة فى وجهه ﷺ ثم التفت وقال أين الغزالى واذا بالغزالى واقف بين يديه فقال ها أنا ذا يارسول الله وتقدم وسلم فرد عليه السلام عليه الصلاة والسلام وناوله يده الكريمة فأكب عليها الغزالى يقبلها ويتبرك بها وما رأيت النبى ﷺ أشد سرورا بقراءة أحد عليه مثل ما كان بقراءتى عليه الاحياء ثم انتبهت والدمع يجرى من عينى من أثر تلك الاحوال والكرامات وكان تقريره ﷺ لمذاهب أئمة السنة

فيتجدد عليه بدخول وقت الظهر تعلم الطهارة والصلاة فان كان صحيحا وكان بحيث لوصبر الى وقت زوال الشمس لم يتمكن من تمام التعلم والعمل فى الوقت بل يخرج الوقت لو اشتغل بالتعلم فلا يبعد أن يقال الظاهر بقاؤه فيجب عليه تقديم التعلم على الوقت ويحتمل أن يقال وجوب العلم الذى هو شرط العمل بعد وجوب العمل فلا يجب قبل الزوال وهكذا فى بقية الصلوات فان عاش الى رمضان تجدد بسببه وجوب تعلم الصوم وهو أن يعلم أن وقته من الصبح الى غروب الشمس وأن الواجب فيه النية والامساك عن الأكل والشرب والوقاع وأن ذلك يتمادى إلى رؤية الهلال أو شاهدين فان تجدد له مال أو كان له مال عند بلوغه لزمه تعلم ما يجب عليه من الزكاة ولكن لا يلزمه فى الحال انما يلزمه عند تمام الحول من وقت الاسلام فان لم يملك إلا الابل لم يلزمه إلا تعلم زكاة الابل وكذلك فى سائر الأصناف فاذا دخل فى أشهر الحج فلا يلزمه المبادرة الى علم الحج مع أن فعله على التراخي فلا يكون تعلمه على الفور ولكن ينبغي لعلماء الاسلام أن ينبهوه على أن الحج فرض على التراخي على كل من ملك الزاد والراحلة اذا كان هو مالكا حتى ربما يرى الحزم لنفسه فى المبادرة فعند ذلك اذا عزم عليه لزمه تعلم كيفية الحج ولم يلزمه إلا تعلم أركانه وواجباته دون نوافله فان فعل ذلك نفل فعلمه أيضا نفل فلا يكون تعلمه فرض عين وفى تحريم السكوت عن التنبيه على وجوب أصل الحج فى الحال نظر يليق بالفقه وهكذا التدريج فى علم سائر الأفعال التي هى فرض عين * وأما التروك فيجب تعلم علم ذلك بحسب ما يتجدد من الحال وذلك يختلف بحال الشخص إذ لا يجب على الأبكم تعلم ما يحرم من الكلام ولا على الأعمى تعلم ما يحرم من النظر ولا على البدوى تعلم ما يحرم الجلوس فيه من المساكن فذلك أيضا واجب بحسب ما يقتضيه الحال فما يعلم أنه ينفك عنه لا يجب تعلمه وما هو ملابس له يجب تنبيهه عليه كما لو كان عند الاسلام لابسا للحرير أو جالسا فى الغصب أو ناظرا الى غير ذى محرم فيجب تعريفه بذلك وما ليس ملابسا له ولكنه بصدد التعرض له على القرب كالأكل والشرب فيجب تعليمه حتى اذا كان فى بلد يتعاطى فيه شرب الخمر وأكل لحم الخنزير فيجب تعليمه ذلك وتنبيهه عليه وما وجب تعليمه وجب عليه تعلمه * وأما الاعتقادات وأعمال القلوب فيجب علمها بحسب الخواطر فان خطر له شك فى المعانى التي تدل عليها كلمتا الشهادة فيجب عليه تعلم ما يتوصل به الى ازالة الشك فان لم يخطر له ذلك ومات قبل أن يعتقد أن كلام الله سبحانه قديم وأنه مرئى وأنه ليس محلا للحوادث الى غير ذلك مما يذكر فى المعتقدات فقد مات على الاسلام اجماعا ولكن هذه الخواطر الموجبة للاعتقادات بعضها يخطر بالطبع وبعضها يخطر بالسماع من أهل البلد فان كان فى بلد شاع فيه الكلام وتناطق الناس بالبدع فينبغي أن يصان فى أول بلوغه عنها بتلقين الحق فانه لو ألقى اليه الباطل لوجبت ازالته عن قلبه وربما عسر ذلك كما أنه لو كان هذا المسلم تاجرا وقد شاع فى البلد معاملة الربا وجب عليه تعلم الحذر من الربا وهذا هو الحق فى العلم الذى هو فرض عين ومعناه العلم بكيفية العمل الواجب فمن علم العلم الواجب ووقت وجوبه فقد علم العلم الذى هو فرض عين وما ذكره الصوفية من فهم خواطر العدو ولمة الملك حق أيضا ولكن فى حق من يتصدى له فاذا كان الغالب أن الانسان لا ينفك عن دواعي الشر والرياء والحسد فيلزمه أن يتعلم من علم ربع المهلكات ما يرى نفسه محتاجا اليه وكيف لا يجب عليه وقد قال رسول الله ﷺ (١) «ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه» ولا ينفك عنها بشر وبقية ما سنذكره من مذمومات أحوال القلب كالكبر والعجب وأخواتها تتبع هذه الثلاث المهلكات وازالتها فرض عين ولا يمكن ازالتها إلا بمعرفة حدودها ومعرفة أسبابها ومعرفة علاماتها ومعرفة علاجها فان من لا يعرف الشر يقع فيه والعلاج هو مقابلة السبب بضده وكيف يمكن دون معرفة السبب والمسبب وأكثر ما ذكرناه فى ربع المهلكات من فروض الأعيان وقد تركها الناس كافة اشتغالا بما لا يعني * ومما ينبغي أن يبادر فى القائه اليه اذا لم يكن قد انتقل عن ملة الى ملة أخرى الايمان بالجنة والنار والحشر والنشر حتى

تعلية (١) حديث ثلاث مهلكات شح مطاع الحديث البزار والطبرانى وأبو نعيم والبيهقى فى الشعب من حديث أنس باسناد ضعيف

واستبشاره بعقيدة الغزالى وتقريرها نعمة من الله عظيمة ومنة جسيمة نسأل الله تعالى أن يحيينا على سنته ويتوفانا على ملته آمين (فصل) أثنى على الاحياء عالم من علماء الاسلام وغير واحد من عارفى الأنام بل جمع أقطاب وأفراد فقال فيه الحافظ الامام الفقيه أبو الفضل العراقى فى تخريجه أنه من أجل كتب الاسلام فى معرفة الحلال والحرام جمع فيه بين ظواهر الأحكام ونزع إلى سرائر دقت عن الأفهام لم يقتصر فيه على مجرد الفروع والمسائل ولم يتبحر فى اللجة بحيث يتعذر الرجوع إلى الساحل بل مزج فيه علمى الظاهر والباطن ومزج معانيها فى أحسن المواطن وسبك فيه نفائس اللفظ وضبطه وسلك فيه من النمط أوسطه مقتديا بقول على كرم الله وجهه خير هذه الأمة النمط الأوسط يلحق بهم التالى ويرجع اليهم الغالى الى آخر ما ذكره مما الاولى بنا فى هذا المحل طيه ثم الانتقال الى نشر محاسن

يؤمن

يؤمن به ويصدق وهو من تتمة كلمتي الشهادة فانه بعد التصديق بكونه عليه السلام رسولا ينبغي أن يفهم الرسالة التي هو مبلغها وهو أن من أطاع الله ورسوله فله الجنة ومن عصاهما فله النار فاذا انتبهت لهذا التدريج علمت أن المذهب الحق هو هذا وتحققت أن كل عبد هو فى مجارى أحواله فى يومه وليلته لا يخلو من وقائع فى عبادته ومعاملاته عن تجدد لوازم عليه فيلزمه السؤال عن كل ما يقع له من النوادر ويلزمه المبادرة الى تعلم ما يتوقع وقوعه على القرب غالبا فاذا تبين أنه عليه الصلاة والسلام انما أراد بالعلم المعرف بالألف واللام فى قوله ﷺ ﴿طلب العلم فريضة على كل مسلم﴾ علم العمل الذى هو مشهور الوجوب على المسلمين لا غير فقد اتضح وجه التدريج ووقت وجوبه والله أعلم

بيان العلم الذى هو فرض كفاية

اعلم أن الفرض لا يتميز عن غيره إلا بذكر أقسام العلوم والعلوم بالاضافة الى الفرض الذى نحن بصدده تنقسم الى شرعية وغير شرعية وأعني بالشرعية ما استفيد من الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه ولا يرشد العقل اليه مثل الحساب ولا التجربة مثل الطب ولا السماع مثل اللغة فالعلوم التي ليست بشرعية تنقسم الى ما هو محمود والى ما هو مذموم والى ما هو مباح فالمحمود ما يرتبط به مصالح أمور الدنيا كالطب والحساب وذلك ينقسم إلى ما هو فرض كفاية وإلى ما هو فضيلة وليس بفريضة * أما فرض الكفاية فهو كل علم لا يستغنى عنه فى قوام أمور الدنيا كالطب إذ هو ضرورى فى حاجة بقاء الأبدان وكالحساب فانه ضرورى فى المعاملات وقسمة الوصايا والمواريث وغيرهما وهذه هى العلوم التي لو خلا البلد عمن يقوم بها حرج أهل البلد واذا قام بها واحد كفى وسقط الفرض عن الآخرين فلا يتعجب من قولنا ان الطب والحساب من فروض الكفايات فان أصول الصناعات أيضا من فروض الكفايات كالفلاحة والحياكة والسياسة بل الحجامة والخياطة فانه لو خلا البلد من الحجام تسارع الهلاك اليهم وحرجوا بتعريضهم أنفسهم للهلاك فان الذى أنزل الداء أنزل الدواء وأرشد الى استعماله وأعد الأسباب لتعاطيه فلا يجوز التعرض للهلاك باهماله * وأما ما يعد فضيلة لا فريضة فالتعمق فى دقائق الحساب وحقائق الطب وغير ذلك مما يستغنى عنه ولكنه يفيد زيادة قوة فى القدر المحتاج اليه * وأما المذموم منه فعلم السحر والطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات * وأما المباح منه فالعلم بالأشعار التي لا سخف فيها وتواريخ الأخبار وما يجرى مجراه ﴿وأما العلوم الشرعية وهى المقصودة بالبيان﴾ فهى محمودة كلها ولكن قد يلتبس بها ما يظن أنها شرعية وتكون مذمومة فتنقسم الى المحمودة والمذمومة * أما المحمودة فلها أصول وفروع ومقدمات ومتممات وهى أربعة أضرب ﴿الضرب الأول الأصول﴾ وهى أربعة كتاب الله عز وجل وسنة رسوله عليه السلام واجماع الأمة وآثار الصحابة والاجماع أصل من حيث انه يدل على السنة فهو أصل فى الدرجة الثالثة وكذا الأثر فانه أيضا يدل على السنة لأن الصحابة رضى الله عنهم قد شاهدوا الوحى والتنزيل وأدركوا بقرائن الأحوال ما غاب عن غيرهم عيانه وربما لا تحيط العبارات بما أدرك بالقرائن فمن هذا الوجه رأى العلماء الاقتداء بهم والتمسك بآثارهم وذلك بشرط مخصوص على وجه مخصوص عند من يراه ولا يليق بيانه بهذا الفن ﴿الضرب الثانى الفروع﴾ وهو ما فهم من هذه الأصول لا بموجب ألفاظها بل بمعان تنبه لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتى فهم من اللفظ الملفوظ به غيره كما فهم من قوله عليه السلام (١) لا يقضى القاضى وهو غضبان أنه لا يقضى اذا كان حاقنا أو جائعا أو متألما بمرض وهذا على ضربين * أحدهما يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه كتب الفقه والمتكفل به الفقهاء وهم علماء الدنيا * والثانى ما يتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلب وأخلاقه المحمودة والمذمومة وما هو مرضى عند الله تعالى وما هو مكروه وهو الذى يحويه الشطر الأخير من هذا الكتاب أعني جملة كتاب إحياء علوم الدين ومنه العلم بما يترشح من القلب على الجوارح فى عباداتها وعاداتها وهو الذى يحويه الشطر الأول من هذا الكتاب ﴿والضرب الثالث المقدمات﴾ وهى التي تجرى منه مجرى الآلات كعلم اللغة والنحو فانهما آلة لعلم كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ وليست اللغة

(١) حديث لا يقضى القاضى وهو غضبان متفق عليه من حديث أبى بكرة

الاحياء ليظهر للمحب والمبغض رشده وغيه وقال عبد الغافر الفارسى فى مثال الاحياء انه من تصانيفه المشهورة التي لم يسبق اليها وقال فيه النووى كاد الاحياء أن يكون قرآنا وقال الشيخ أبو محمد الكازرونى لو محيت جميع العلوم لاستخرجت من الاحياء وقال بعض علماء المالكية الناس فى فضل علوم الغزالى أى والاحياء جماعها كما سيأتى انه البحر المحيط وكان السيد الجليل كبير الشان تاج العارفين وقطب الأولياء الشيخ عبد الله العيدروس رضى الله عنه يكاد يحفظه نقلا وروى عنه أنه قال مكثت سنين أطالع كتاب الاحياء كل فصل وحرف منه وأعاوده وأتدبره فيظهر لى منه فى كل يوم علوم وأسرار عظيمة ومفهومات غزيرة غير التي قبلها ولم يسبقه أحد ولم يلحقه أحد أثنى على كتاب الاحياء بما أثنى عليه ودعا الناس بقوله وفعله اليه وحث على التزام مطالعته والعمل بما فيه ومن كلامه رضى الله عنه

والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما ولكن يلزم الخوض فيهما بسبب الشرع إذ جاءت هذه الشريعة بلغة العرب وكل شريعة لا تظهر إلا بلغة فيصير تعلم تلك اللغة آلة ومن الآلات علم كتابة الخط إلا أن ذلك ليس ضروريا إذ كان رسول الله ﷺ (1) أميا ولو تصور استقلال الحفظ بجميع ما يسمع لاستغنى عن الكتابة ولكنه صار بحكم العجز في الغالب ضروريا ﴿ الضرب الرابع المتممات ﴾ وذلك في علم القرآن فإنه ينقسم إلى ما يتعلق باللفظ كتعلم القراءات ومخارج الحروف وإلى ما يتعلق بالمعنى كالتفسير فإن اعتماده أيضا على النقل إذ اللغة بمجردها لا تستقل به وإلى ما يتعلق بأحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع البعض وهو العلم الذي يسمى أصول الفقه ويتناول السنة أيضا وأما المتممات في الآثار والأخبار فالعلم بالرجال وأسمائهم وأنسابهم وأسماء الصحابة وصفاتهم والعلم بالعدالة في الرواة والعلم بأحوالهم ليميز الضعيف عن القوي والعلم بأعمارهم ليميز المرسل عن المسند وكذلك ما يتعلق به فهذه هي العلوم الشرعية وكلها محمودة بل وكلها من فروض الكفايات * فإن قلت لم ألحقت الفقه بعلم الدنيا وألحقت الفقهاء بعلماء الدنيا * فاعلم أن الله عز وجل أخرج آدم عليه السلام من التراب وأخرج ذريته من سلالة من طين ومن ماء دافق فأخرجهم من الأصلاب إلى الأرحام ومنها إلى الدنيا ثم إلى القبر ثم إلى العرض ثم إلى الجنة أو إلى النار فهذا مبدؤهم وهذا غايتهم وهذه منازلهم وخلق الدنيا زادا للمعاد ليتناول منها ما يصلح للتزود فلو تناولوها بالعدل لانقطعت الخصومات وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات فمست الحاجة إلى سلطان يسوسهم واحتاج السلطان إلى قانون يسوسهم به فالفقيه هو العالم بقانون السياسة وطريق التوسط بين الخلق إذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان ومرشده إلى طريق سياسة الخلق وضبطهم لينتظم باستقامتهم أمورهم في الدنيا ولعمري إنه متعلق أيضا بالدين ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا فإن الدنيا مزرعة الآخرة ولا يتم الدين إلا بالدنيا والملك والدين توأمان فالدين أصل والسلطان حارس وما لا أصل له فمهدوم وما لا حارس له فضائع ولا يتم الملك والضبط إلا بالسلطان وطريق الضبط في فصل الحكومات بالفقه وكما أن سياسة الخلق بالسلطنة ليس من علم الدين في الدرجة الأولى بل هو معين على ما لا يتم الدين إلا به فكذلك معرفة طريق السياسة فمعلوم أن الحج لا يتم إلا ببذرقة تحرس من العرب في الطريق ولكن الحج شيء وسلوك الطريق إلى الحج شيء ثان والقيام بالحراسة التي لا يتم الحج إلا بها شيء ثالث ومعرفة طرق الحراسة وحيلها وقوانينها شيء رابع وحاصل فن الفقه معرفة طرق السياسة والحراسة ويدل على ذلك ما روى مسندا (2) ﴿ لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف ﴾ فالأمير هو الإمام وقد كانوا هم المفتون والمأمور نائبه والمتكلف غيرهما وهو الذي يتقلد تلك العهدة من غير حاجة وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يحترزون عن الفتوى حتى كان يحيل كل واحد منهم على صاحبه وكانوا لا يحترزون إذا سئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة وفي بعض الروايات بدل المتكلف المرائي فإن من تقلد خطر الفتوى وهو غير متعين للحاجة فلا يقصد به إلا طلب الجاه والمال * فإن قلت هذا إن استقام لك في أحكام الجراحات والحدود والغرامات وفصل الخصومات فلا يستقيم فيما يشتمل عليه ربع العبادات من الصيام والصلاة ولا فيما يشتمل عليه ربع العادات من المعاملات من بيان الحلال والحرام فاعلم أن أقرب ما يتكلم الفقيه فيه من الأعمال التي هي أعمال الآخرة ثلاثة الإسلام والصلاة والزكاة والحلال والحرام فإذا تأملت منتهى نظر الفقيه فيها علمت أنه لا يجاوز حدود الدنيا إلى الآخرة وإذا

(1) حديث ﴿ كان رسول الله ﷺ أميا ﴾ أي لا يحسن الكتابة ابن مردويه في التفسير من حديث عبد الله ابن عمر مرفوعا أنا محمد النبي الأمي وفيه ابن لهيعة ولابن حبان والدارقطني والحاكم والبيهقي وصححه من حديث ابن مسعود وقولوا اللهم صل على محمد النبي الأمي وللبخاري من حديث البراء وأخذ الكتاب وليس يحسن يكتب
(2) حديث لا يفتي الناس إلا ثلاثة الحديث ابن ماجه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بلفظ لا يقص على الناس وإسناده حسن

عليكم يا إخواني بمتابعة الكتاب والسنة أعني الشريعة المشروحة في الكتب الغزالية خصوصا كتاب ذكر الموت وكتاب الفقر والزهد وكتاب التوبة وكتاب رياضة النفس * ومن كلامه عليكم بالكتاب والسنة أولا وآخرا وظاهرا وباطنا وفكرا واعتبارا واعتقادا وشرح الكتاب والسنة مستوفى في كتاب إحياء علوم الدين للإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله ونفعنا به ومن كلامه وبعد فليس لنا طريق ومنهاج سوى الكتاب والسنة وقد شرح ذلك كله سيد المصنفين وبقية المجتهدين حجة الإسلام الغزالي في كتابه المعظم الشان الملقب أعجوبة الزمان إحياء علوم الدين الذي هو عبارة عن شرح الكتاب والسنة والطريقة ومن كلامه عليكم بملازمة كتاب إحياء علوم الدين فهو موضع نظر الله وموضع رضا الله فمن أحبه وطالعه وعمل بما فيه فقد استوجب محبة الله ومحبة رسول الله

عرفت

عرفت هذا فى هذه الثلاثة فهو فى غيرها أظهر * أما الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وفيما يفسد وفى شروطه وليس يلتفت فيه إلا الى اللسان وأما القلب فخارج عن ولاية الفقيه لعزل رسول الله ﷺ أرباب السيوف والسلطنة عنه حيث قال (١) هلا شققت عن قلبه للذى قتل من تكلم بكلمة الاسلام معتذراً بأنه قال ذلك من خوف السيف بل يحكم الفقيه بصحة الاسلام تحت ظلال السيوف مع أنه يعلم أن السيف لم يكشف له عن نيته ولم يدفع عن قلبه غشاوة الجهل والحيرة ولكنه مشير على صاحب السيف فان السيف ممتد الى رقبته واليد ممتدة الى ماله وهذه الكلمة باللسان تعصم رقبته وماله مادام له رقبة ومال وذلك فى الدنيا ولذلك قال ﷺ (٢) أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم جعل أثر ذلك فى الدم والمال وأما الآخرة فلا تنفع فيها الأموال بل أنوار القلوب وأسرارها واخلاصها وليس ذلك من فن الفقه وان خاض الفقيه فيه كان كما لو خاض فى الكلام والطب وكان خارجا عن فنه * وأما الصلاة فالفقيه يفتى بالصحة اذا أتى بصورة الأعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا فى جميع صلاته من أولها الى آخرها مشغولا بالتفكر فى حساب معاملاته فى السوق إلا عند التكبير وهذه الصلاة لا تنفع فى الآخرة كما أن القول باللسان فى الاسلام لا ينفع ولكن الفقيه يفتى بالصحة أى ان ما فعله حصل به امتثال صيغة الأمر وانقطع به عنه القتل والتعزير فأما الخشوع واحضار القلب الذى هو عمل الآخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له الفقيه ولو تعرض له لكان خارجا عن فنه * وأما الزكاة فالفقيه ينظر الى ما يقطع به مطالبة السلطان حتى أنه اذا امتنع عن أدائها فأخذها السلطان قهرا حكم بأنه برئت ذمته * وحكى أن أبا يوسف القاضى كان يهب ماله لزوجته آخر الحول ويستوهب مالها اسقاطا للزكاة فحكى ذلك لأبى حنيفة رحمه الله فقال ذلك من فقهه وصدق فان ذلك من فقه الدنيا ولكن مضرته فى الآخرة أعظم من كل جناية ومثل هذا هو العلم الضار * وأما الحلال والحرام فالورع عن الحرام من الدين ولكن الورع له أربع مراتب ﴿الأولى﴾ الورع الذى يشترط فى عدالة الشهادة وهو الذى يخرج بتركه الانسان عن أهلية الشهادة والقضاء والولاية وهو الاحتراز عن الحرام الظاهر ﴿الثانية﴾ ورع الصالحين وهو التوقى من الشبهات التى يتقابل فيها الاحتمالات * قال ﷺ (٣) دع ما يريبك إلى ما لا يريبك * وقال ﷺ (٤) الاثم حزاز القلوب ﴿الثالثة﴾ ورع المتقين وهو ترك الحلال المحض الذى يخاف منه أداؤه إلى الحرام * قال ﷺ (٥) لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به مخافة مما به بأس وذلك مثل التورع عن التحدث بأحوال الناس خيفة من الانجرار الى الغيبة والتورع عن أكل الشهوات خيفة من هيجان النشاط والبطر المؤدى الى مقارفة المحظورات (الرابعة) ورع الصديقين وهو الاعراض عما سوى الله تعالى خوفا من صرف ساعة من العمر الى ما لا يفيد زيادة قرب عند الله عز وجل وان كان يعلم ويتحقق أنه لا يفضى الى حرام فهذه الدرجات كلها خارجة عن نظر الفقيه إلا الدرجة الأولى وهو ورع الشهود والقضاة وما يقدح فى العدالة والقيام بذلك لا ينفى الاثم فى الآخرة * قال رسول الله ﷺ (٦) لوابصة استفت قلبك وان أفتوك وان أفتوك وان أفتوك والفقيه لا يتكلم فى حزازات القلوب وكيفية العمل بها بل فيما يقدح فى العدالة فقط فاذا جميع نظر الفقيه مرتبط بالدنيا التى بها صلاح طريق الآخرة فان تكلم فى شىء من صفات القلب وأحكام الآخرة فذلك يدخل فى كلامه على سبيل التطفل كما قد يدخل فى كلامه شىء من الطب والحساب والنجوم وعلم الكلام وكما تدخل الحكمة فى

(١) حديث هلا شققت عن قلبه مسلم من حديث أسامة بن زيد (٢) حديث أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وعمرو بن عمر (٣) حديث دع ما يريبك إلى ما لا يريبك الترمذى وصححه والنسائى وابن حبان من حديث الحسن بن على (٤) حديث الاثم حزاز القلوب البيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود ورواه العدنى فى مسنده موقوفا عليه (٥) حديث لا يكون الرجل من المتقين حتى يدع ما لا بأس به الحديث الترمذى وحسنه وابن ماجه والحاكم وصححه من حديث عطية السعدى (٦) حديث استفت قلبك وان أفتوك أحمد من حديث وابصة

ومحبة ملائكة الله وأنبيائه وأوليائه وجمع بين الشريعة والطريقة والحقيقة فى الدنيا والآخرة وصار عالما فى الملك والملكوت * ومن كلامه الوجيز العزيز لو بعث الله الموتى لما أوصوا الأحياء إلا بما فى الاحياء * ومن كلامه اعلموا أن مطالعة الاحياء تحضر القلب الغافل فى لحظة كحضور سواد الحبر بوقوع الزاج فى العفص والماء وتأثير كتب الغزالى واضح ظاهر مجرب عند كل مؤمن ومن كلامه أجمع العلماء العارفون بالله على أنه لا شىء أنفع للقلب وأقرب إلى رضا الرب من متابعة حجة الاسلام الغزالى ومحبة كتبه فان كتب الامام الغزالى لباب الكتاب والسنة ولباب المعقول والمنقول والله وكيل على ما أقول * ومن كلامه أنا أشهد سرا وعلانية أن من طالع كتاب احياء علوم الدين فهو من المهتدين * ومن كلامه من أراد طريق الله وطريق رسول الله

النحو والشعر وكان سفيان الثوري وهو امام في علم الظاهر يقول ان طلب هذا ليس من زاد الآخرة كيف وقد اتفقوا على أن الشرف في العلم العمل به فكيف يظن أنه علم الظهار واللعان والسلم والاجارة والصرف ومن تعلم هذه الأمور ليتقرب بها الى الله تعالى فهو مجنون وانما العمل بالقلب والجوارح في الطاعات والشرف هو تلك الأعمال فان قلت لم سويت(٧) بين الفقه والطب إذ الطب أيضا يتعلق بالدنيا وهو صحة الجسد وذلك يتعلق به أيضا صلاح الدين وهذه التسوية تخالف اجماع المسلمين فاعلم أن التسوية غير لازمة بل بينهما فرق وأن الفقه أشرف منه من ﴿ثلاثة أوجه* أحدها﴾ أنه علم شرعي إذ هو مستفاد من النبوّة بخلاف الطب فانه ليس من علم الشرع* والثاني أنه لا يستغني عنه أحد من سالكي طريق الآخرة البتة لا الصحيح ولا المريض وأما الطب فلا يحتاج اليه إلا المرضى وهم الأقلون* والثالث أن علم الفقه مجاور لعلم طريق الآخرة لأنه نظر في أعمال الجوارح ومصدر أعمال الجوارح ومنشؤها صفات القلوب فالمحمود من الأعمال يصدر عن الأخلاق المحمودة المنجية في الآخرة والمذموم يصدر من المذموم وليس يخفى اتصال الجوارح بالقلب وأما الصحة والمرض فمنشؤها صفاء في المزاج والاخلاط وذلك من أوصاف البدن لا من أوصاف القلب فمهما أضيف الفقه الى الطب ظهر شرفه واذا أضيف علم طريق الآخرة الى الفقه ظهر أيضا شرف علم طريق الآخرة *فان قلت فصل لي علم طريق الآخرة تفصيلا يشير إلى تراجمه وان لم يمكن استقصاء تفاصيله فاعلم أنه ﴿قسمان﴾ علم مكاشفة وعلم معاملة* فالقسم الأول علم المكاشفة وهو علم الباطن وذلك غاية العلوم فقد قال بعض العارفين من لم يكن له نصيب من هذا العلم أخاف عليه سوء الخاتمة وأدنى نصيب منه التصديق به وتسليمه لأهله* وقال آخر من كان فيه خصلتان لم يفتح له بشيء من هذا العلم بدعة أو كبر* وقيل من كان محبا للدنيا أو مصرا على هوى لم يتحقق به وقد يتحقق بسائر العلوم وأقل عقوبة من ينكره أنه لا يذوق منه شيأ وينشد على قوله

وارض لمن غاب عنك غيبته * فذاك ذنب عقابه فيه

وهو علم الصدّيقين والمقرّبين أعني علم المكاشفة فهو عبارة عن نور يظهر في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة وينكشف من ذلك النور أمور كثيرة كان يسمع من قبل أسماءها فيتوهم لها معاني مجملة غير متضحة فتتضح إذ ذاك حتى تحصل المعرفة الحقيقية بذات الله سبحانه وبصفاته الباقيات التامات وبأفعاله وبحكمه في خلق الدنيا والآخرة ووجه ترتيبه للآخرة على الدنيا والمعرفة بمعنى النبوّة والنبي ومعنى الوحي ومعنى الشيطان ومعنى لفظ الملائكة والشياطين وكيفية معاداة الشياطين للانسان وكيفية ظهور الملك للانبياء وكيفية وصول الوحي اليهم والمعرفة بملكوت السموات والأرض ومعرفة القلب وكيفية تصادم جنود الملائكة والشياطين فيه ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان ومعرفة الآخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان والحساب ومعنى قوله تعالى -إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا- ومعنى قوله تعالى -وإن الدار الآخرة لهي الحيوان لو كانوا يعلمون- ومعنى لقاء الله عزوجل والنظر الى وجهه الكريم ومعنى القرب منه والنزول في جواره ومعنى حصول السعادة بمرافقة الملأ الأعلى ومقارنة الملائكة والنبيين ومعنى تفاوت درجات أهل الجنان حتى يرى بعضهم البعض كما يرى الكوكب الدرى في جوف السماء الى غير ذلك مما يطول تفصيله إذ للناس في معاني هذه الأمور بعد التصديق بأصولها مقامات شتى فبعضهم يرى أن جميع ذلك أمثلة وأن الذي أعده لعباده الصالحين مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وأنه ليس مع الخلق من الجنة إلا الصفات والأسماء وبعضهم يرى ان بعضها أمثلة وبعضها يوافق حقائقها المفهومة من ألفاظها وكذا يرى بعضهم أن منتهى معرفة الله عزوجل الاعتراف بالعجز عن معرفته وبعضهم يدعي أمورا عظيمة في المعرفة بالله عزوجل وبعضهم يقول حدّ معرفة الله عزوجل ما انتهى اليه اعتقاد جميع العوام وهو أنه موجود عالم قادر سميع بصير متكلم فنعني بعلم المكاشفة أن يرتفع الغطاء حتى تتضح له جلية الحق في هذه الامور إيضاحا يجري مجرى العيان الذي لا يشك فيه وهذا ممكن في جوهر الانسان لولا أن مرآة القلب قد تراكم صدؤها وخبثها بقاذورات الدنيا وانما نعني بعلم

(٧) هكذا بالنسخ ولعل الصواب لم لا سويت بدليل باقي كلامه فتأمل اهـ مصححه

فهو البحر المحيط ومن كلامه اشهدوا على أن من وقع على كتب الغزالي فقد وقع على عين الشريعة والطريقة والحقيقة * ومن كلامه من أراد طريق الله ورسوله ورضاهما فعليه بمطالعة كتب الغزالي وخصوصا البحر المحيط احياء أعجوبة الزمان * ومن كلامه نطق معاني مثنوي القرآن ولسان حال قلب رسول الله ﷺ وقلوب الرسل والأنبياء وجميع العلماء بالله وجميع العلماء بأمر الله الأتقياء بل جميع أرواح الملائكة بل جميع فرق الصوفية مثل العارفين والملامتية بل جميع سر حقائق الكائنات والمعقولات وما يناسب رضا الذات والصفات أجمع هؤلاء المذكورون أن لا شيء أرفع وأنفع وأبهى وأبهج وأتقى وأقرب الى رضا الرب كتابعة الغزالي ومحبة

طريق

طريق الآخرة العلم بكيفية تصقيل هذه المرآة عن هذه الخبائث التي هي الحجاب عن الله سبحانه وتعالى وعن معرفة صفاته وأفعاله وإنما تصفيتها وتطهيرها بالكف عن الشهوات والاقتداء بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في جميع أحوالهم فبقدر ما ينجلي من القلب ويحاذي به شطر الحق يتلألأ فيه حقائقه ولا سبيل إليه إلا بالرياضة التي يأتي تفصيلها في موضعها وبالعلم والتعليم وهذه هي العلوم لا تسطر في الكتب ولا يتحدث بها من أنعم الله عليه بشيء منها إلا مع أهله وهو المشارك فيه على سبيل المذاكرة وبطريق الأسرار وهذا هو العلم الخفي الذي أراده صلى الله عليه وسلم بقوله (١) إن من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا أهل المعرفة بالله تعالى فإذا نطقوا به لم يجهله إلا أهل الاغترار بالله تعالى فلا تحقروا عالما آتاه الله تعالى علما منه فإن الله عز وجل لم يحقره إذ آتاه إياه * وأما القسم الثاني وهو علم المعاملة فهو علم أحوال القلب أما ما يحمد منها كالصبر والشكر والخوف والرجاء والرضا والزهد والتقوى والقناعة والسخاء ومعرفة المنة لله تعالى في جميع الأحوال والإحسان وحسن الظن وحسن الخلق وحسن المعاشرة والصدق والإخلاص . فمعرفة حقائق هذه الأحوال وحدودها وأسبابها التي بها تكتسب وثمرتها وعلاماتها ومعالجة ما ضعف منها حتى يقوى وما زال حتى يعود من علم الآخرة وأما ما يذم فخوف الفقر وسخط المقدور والغل والحقد والحسد والغش وطلب العلو وحب الثناء وحب طول البقاء في الدنيا للتمتع والكبر والرياء والغضب والأنفة والعداوة والبغضاء والطمع والبخل والرغبة والبذخ والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والاستهانة بالفقراء والفخر والخيلاء والتنافس والمباهاة والاستكبار عن الحق والخوض فيما لا يعني وحب كثرة الكلام والصلف والتزين للخلق والمداهنة والعجب والاشتغال عن عيوب النفس بعيوب الناس وزوال الحزن من القلب وخروج الخشية منه وشدة الانتصار للنفس إذا نالها الذل وضعف الانتصار للحق واتخاذ إخوان العلانية على عداوة السر والأمن من مكر الله سبحانه في سلب ما أعطى والاتكال على الطاعة والمكر والخيانة والمخادعة وطول الأمل والقسوة والفظاظة والفرح بالدنيا والأسف على فواتها والأنس بالمخلوقين والوحشة لفراقهم والجفاء والطيش والعجلة وقلة الحياء وقلة الرحمة فهذه وأمثالها من صفات القلب مغارس الفواحش ومنابت الأعمال المحظورة * وأضدادها وهي الأخلاق المحمودة منبع الطاعات والقربات فالعلم بحدود هذه الأمور وحقائقها وأسبابها وثمراتها وعلاجها هو علم الآخرة وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا بحكم فتوى فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض العين بالإضافة إلى صلاح الدنيا وهذا بالإضافة إلى صلاح الآخرة ولو سئل فقيه عن معنى من هذه المعاني حتى عن الإخلاص مثلا أو عن التوكل أو عن وجه الاحتراز عن الرياء لتوقف فيه مع أنه فرض عينه الذي في إهماله هلاكه في الآخرة ولو سألته عن اللعان والظهار والسبق والرمي لسرد عليك مجلدات من التفريعات الدقيقة التي تنقضي الدهور ولا يحتاج إلى شيء منها وإن احتيج لم تخل البلد عمن يقوم بها ويكفيه مؤنة التعب فيها فلا يزال يتعب فيها ليلا ونهارا وفي حفظه ودرسه ويغفل عما هو مهم نفسه في الدين وإذا روجع فيه قال اشتغلت به لأنه علم الدين وفرض الكفاية ويلبس على نفسه وعلى غيره في تعلمه والفطن يعلم أنه لو كان غرضه أداء حق الأمر في فرض الكفاية لقدم عليه فرض العين بل قدم عليه كثيرا من فروض الكفايات فكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة ولا يجوز قبول شهادتهم فيما يتعلق بالأطباء من أحكام الفقه ثم لا نرى أحدا يشتغل به ويتهاترون على علم الفقه لا سيما الخلافيات والجدليات والبلد مشحون من الفقهاء بمن يشتغل بالفتوى والجواب عن الوقائع فليت شعري كيف يرخص فقهاء الدين في الاشتغال بفرض كفاية قد قام به جماعة وإهمال ما لا قائم به هل لهذا سبب إلا أن الطب ليس يتيسر الوصول به إلى تولي الأوقاف والوصايا وحيازة مال الأيتام وتقلد القضاء والحكومة والتقدم به على الأقران والتسلط به على الأعداء هيهات هيهات قد اندرس

(١) حديث إن من العلم كهيئة المكنون الحديث أبو عبد الرحمن السلمي في الأربعين له في التصوف من حديث

كتبه وكتب الغزالي إلى قلب الكتاب والسنة بل قلب المعقول والمنقول وأنفع يوم ينفخ إسرافيل في الصور وفي يوم نقر الناقور والله وكيل على ما أقول وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ومن كلامه كتاب إحياء علوم الدين فيه جميع الأسرار وكتاب (بداية الهداية) فيه التقوى وكتاب الأربعين الأصل فيه شرح الصراط المستقيم وكتاب منهاج العابدين فيه الطريق إلى الله وكتاب الخلاصة في الفقه فيه النور * ومن كلامه السر كله في اتباع الكتاب والسنة وهو اتباع الشريعة والشريعة مشروحة في كتاب إحياء علوم الدين المسمى أعجوبة الزمان ومن كلامه بخ بخ لمن طالع إحياء علوم الدين أو كتبه أو سمعه وكلامه رضي الله عنه في تصانيفه وغيرها مشحون من الثناء على الإمام الغزالي وكتبه والحث على العمل بها خصوصا إحياء علوم الدين وقد كان سيدي ووالدي الشيخ العارف بالله تعالى شيخ بن عبد الله العيدروس

علم الدين بتلبيس العلماء السوء فالله تعالى المستعان واليه الملاذ فى أن يعيذنا من هذا الغرور الذى يسخط الرحمن ويضحك الشيطان وقد كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب * كان الامام الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يدى شيبان الراعى كما يقعد الصبى فى المكتب ويسأله كيف يفعل فى كذا وكذا فيقال له مثلك يسأل هذا البدوى فيقول إن هذا وفق لما أغفلناه *وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخى ولم يكن فى علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه وكيف وقد قال رسول الله ﷺ (١) لما قيل له كيف نفعل اذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب ولا سنة فقال ﷺ سلوا الصالحين واجعلوه شورى بينهم ولذلك قيل علماء الظاهر زينة الأرض والملك وعلماء الباطن زينة السماء والملكوت *وقال الجنيد رحمه الله قال لى السرى شيخى يوما إذا قمت من عندى فمن تجالس قلت المحاسبى فقال نعم خذ من علمه وأدبه ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين ثم لما وليت سمعته يقول جعلك الله صاحب حديث صوفياً ولا جعلك صوفيا صاحب حديث أشار إلى أن من حصل الحديث والعلم ثم تصوف أفلح ومن تصوف قبل العلم خاطر بنفسه * فان قلت فلم تورد فى أقسام العلوم الكلام والفلسفة وتبين أنهما مذمومان أو محمودان * فاعلم أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرآن والأخبار مشتملة عليه وما خرج عنهما فهو إما مجادلة مذمومة وهى من البدع كما سيأتى بيانه واما مشاغبة بالتعلق بمناقضات الفرق لها وتطويل بنقل المقالات التى أكثرها ترهات وهذيانات تزدريها الطباع وتمجها الأسماع وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ولم يكن شىء منه مألوفا فى العصر الأول وكان الخوض فيه بالكلية من البدع ولكن تغير الآن حكمه إذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ونبغت جماعة لفقوا لها شبها ورتبوا فيها كلاما مؤلفا فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة مأذونا فيه بل صار من فروض الكفايات وهو القدر الذى يقابل به المبتدع إذا قصد الدعوة إلى البدعة وذلك إلى حد محدود سنذكره فى الباب الذى يلى هذا إن شاء الله تعالى * وأما الفلسفة فليست علما برأسها بل هى ﴿ أربعة أجزاء * أحدها ﴾ الهندسة والحساب وهما مباحان كما سبق ولا يمنع عنهما إلا من يخاف عليه أن يتجاوز بهما إلى علوم مذمومة فان أكثر الممارسين لهما قد خرجوا منهما إلى البدع فيصان الضعيف عنهما لا لعينهما كما يصان الصبى عن شاطئ النهر خيفة عليه من الوقوع فى النهر وكما يصان حديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار خوفا عليه مع أن القوى لا يندب إلى مخالطتهم * الثانى المنطق وهو بحث عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان فى علم الكلام * والثالث الالهيات وهو بحث عن ذات الله سبحانه وتعالى وصفاته وهو داخل فى الكلام أيضا والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط آخر من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة وكما أن الاعتزال ليس علما برأسه بل أصحابه طائفة من المتكلمين وأهل البحث والنظر انفردوا بمذاهب باطلة فكذلك الفلاسفة * والرابع الطبيعيات وبعضها مخالف للشرع والدين الحق فهو جهل وليس بعلم حتى يورد فى أقسام العلوم وبعضها بحث عن صفات الأجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها وهو شبيه بنظر الأطباء إلا أن الطبيب ينظر فى بدن الانسان على الخصوص من حيث يمرض ويصح وهم ينظرون فى جميع الأجسام من حيث تتغير وتتحرك ولكن للطب فضل عليه وهو أنه محتاج اليه وأما علومهم فى الطبيعيات فلا حاجة اليها فاذاً الكلام صار من جملة الصناعات الواجبة على الكفاية حراسة لقلوب العوام عن تخييلات المبتدعة وإنما حدث ذلك بحدوث البدع كما حدثت حاجة الانسان إلى استئجار البذرقة فى طريق الحج بحدوث ظلم العرب وقطعهم الطريق ولو ترك العرب عدوانهم لم يكن استئجار الحراس من شروط طريق الحج فلذلك لو ترك المبتدع هذيانه لما افتقر الى الزيادة على ما عهد فى عصر الصحابة رضى الله عنهم فليعلم المتكلم حده من الدين وأن موقعه منه موقع

أبى هريرة باسناد ضعيف (١) حديث قيل له كيف نفعل إذا جاءنا أمر لم نجده فى كتاب الله ولا سنة رسوله الحديث الطبرانى من حديث ابن عباس فيه عبد الله بن كيسان ضعفه الجمهور

الشيخ عبد الله فى الغزالى فلم يتيسر له وأرجو أن يوفقنى الله لذلك تحقيقا لرجائه ورجاء أن يتناولنى دعاء الشيخ عبد الله رضى الله عنه فانه قال غفر الله لمن يكتب كلامى فى الغزالى وناهيك ببشارة فى هذه العبارة التى برزت من ولى عارف وقطب مكاشف لا يجازف فى مقال ولا ينطق إلا عن حال وفى هذا من الشرف للغزالى وكتبه ما لا يحتاج معه الى مزيد إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد فان العظيم لا يعظم فى عينه إلا عظيم ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أهل الفضل واذا تصدى العيدروس لتعريفه فقد أغنى تعريفه عن كل تعريف ووصفه والشهادة منه خير من شهادة ألف ألف ، حصل من الاحياء فى زمانه بسببه نسخ عديدة

الحارس فى طريق الحج فاذا تجرد الحارس للحراسة لم يكن من جملة الحاج والمتكلم إذا تجرد للمناظرة والمدافعة ولم يسلك طريق الآخرة ولم يشتغل بتعهد القلب وصلاحه لم يكن من جملة علماء الدين أصلا وليس عند المتكلم من الدين إلا العقيدة التى يشاركه فيها سائر العوام وهى من جملة أعمال ظاهر القلب واللسان وإنما يتميز عن العامى بصنعة المجادلة والحراسة فأما معرفة الله تعالى وصفاته وأفعاله وجميع ما أشرنا إليه فى علم المكاشفة فلا يحصل من علم الكلام بل يكاد أن يكون الكلام حجابا عليه ومانعا عنه وإنما الوصول إليه بالمجاهدة التى جعلها الله سبحانه مقدمة للهداية حيث قال تعالى ـ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ـ فان قلت فقد رددت حد المتكلم إلى حراسة عقيدة العوام عن تشويش المبتدعة كما أن حد البذرقة حراسة أقمشة الحجيج عن نهب العرب ورددت حد الفقيه إلى حفظ القانون الذى به يكف السلطان شر بعض أهل العدوان عن بعض وهاتان رتبتان نازلتان بالاضافة إلى علم الدين وعلماء الأمة المشهورون بالفضل هم الفقهاء والمتكلمون وهم أفضل الخلق عند الله تعالى فكيف تنزل درجاتهم إلى هذه المنزلة السافلة بالاضافة إلى علم الدين فاعلم أن من عرف الحق بالرجال حار فى متاهات الضلال فاعرف الحق تعرف أهله ان كنت سالكا طريق الحق وان قنعت بالتقليد والنظر إلى ما اشتهر من درجات الفضل بين الناس فلا تغفل عن الصحابة وعلو منصبهم فقد أجمع الذين عرضت بذكرهم على تقدمهم وأنهم لا يدرك فى الدين شأوهم ولا يشق غبارهم ولم يكن تقدمهم بالكلام والفقه بل بعلم الآخرة وسلوك طريقها(١) وما فضل أبو بكر رضى الله عنه الناس بكثرة صيام ولا صلاة ولا بكثرة رواية ولا فتوى ولا كلام ولكن بشىء وقر فى صدره كما شهد له سيد المرسلين ﷺ فليكن حرصك فى طلب ذلك السر فهو الجوهر النفيس والدر المكنون ودع عنك ما تطابق أكثر الناس عليه وعلى تفخيمه وتعظيمه لأسباب ودواع يطول تفصيلها فلقد قبض رسول الله ﷺ عن آلاف من الصحابة رضى الله عنهم كلهم علماء بالله أثنى عليهم رسول الله ﷺ ولم يكن فيهم أحد يحسن صنعة الكلام ولا نصب نفسه للفتيا منهم أحد إلا بضعة عشر رجلا ولقد كان ابن عمر رضى الله عنهما منهم وكان إذا سئل عن الفتيا يقول للسائل اذهب إلى فلان الأمير الذى تقلد أمور الناس وضعها فى عنقه إشارة إلى أن الفتيا فى القضايا والأحكام من توابع الولاية والسلطنة ولما مات عمر رضى الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة أعشار العلم فقيل له أتقول ذلك وفينا جلة الصحابة فقال لم أرد علم الفتيا والأحكام إنما أريد العلم بالله تعالى أفترى أنه أراد صنعة الكلام والجدل فما بالك لا تحرص على معرفة ذلك العلم الذى مات بموت عمر تسعة أعشاره وهو الذى سد باب الكلام والجدل وضرب صبيغا بالدرة لما أورد عليه سؤالا فى تعارض آيتين فى كتاب الله وهجره وأمر الناس بهجره وأما قولك ان المشهورين من العلماء هم الفقهاء والمتكلمون فاعلم أن ما ينال به الفضل عند الله شىء وما ينال به الشهرة عند الناس شىء آخر فلقد كان شهرة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بالخلافة وكان فضله بالسر الذى وقر فى قلبه وكان شهرة عمر رضى الله عنه بالسياسة وكان فضله بالعلم بالله الذى مات تسعة أعشاره بموته وبقصده التقرب الى الله عز وجل فى ولايته وعدله وشفقته على خلقه وهو أمر باطن فى سره فأما سائر أفعاله الظاهرة فيتصور صدورها من طالب الجاه والاسم والسمعة والراغب فى الشهرة فتكون الشهرة فيما هو المهلك والفضل فيما هو سر لا يطلع عليه أحد فالفقهاء والمتكلمون مثل الخلفاء والقضاة والعلماء وقد انقسموا فمنهم من أراد الله سبحانه بعلمه وفتواه وذبه عن سنة نبيه ولم يطلب به رياء ولا سمعة فأولئك أهل رضوان الله تعالى وفضلهم عند الله لعملهم بعلمهم ولارادتهم وجه الله سبحانه بفتواهم ونظرهم فان كل علم عمل فانه فعل مكتسب وليس كل عمل علما والطبيب يقدر على التقرب إلى الله تعالى بعلمه فيكون مثابا على علمه من حيث انه عامل لله سبحانه وتعالى به والسلطان يتوسط بين الخلق لله فيكون مرضيا عند الله سبحانه

(١) حديث ما فضل أبو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام الحديث الترمذى الحكيم فى النوادر من قول أبى بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعا

حتى أن بعض العوام حصلها لما رأى من ترغيبه فيه وألزم أخاه الشيخ عليا قراءته فقرأه عليه مدة حياته خمسا وعشرين مرة وكان يصنع عند كل ختم ضيافة عامة للفقراء وطلبة العلم الشريف ثم ان الشيخ عليا ألزم ولده عبد الرحمن قراءته عليه مدة حياته فختمه عليه أيضا خمسا وعشرين مرة وكان ولده سيدى الشيخ أبو بكر العيدروس صاحب عدن التزم بطريقة النذر على نفسه مطالعة شىء منه كل يوم وكان لا يزال يحصل منه نسخة بعد نسخة ويقول لا أترك تحصيل الاحياء أبدا ما عشت حتى اجتمع عنده منه نحو عشر نسخ * قلت وكذلك كان سيدى الشيخ الوالد شيخ بن عبد الله بن شيخ ابن الشيخ عبد الله العيدروس رضى الله عنه مدمنا على مطالعته وحصل منه نسخا عديدة نحو السبع وأمر بقراءته عليه غير مرة وكان يعمل فى ختمه ضيافة عامة فلازمته ميراث عيدروسى وتوفيق

ومثابا الا من حيث انه متكفل بعلم الدين بل من حيث هو متقلد بعمل يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بعلمه * وأقسام ما يتقرب به إلى الله تعالى **(ثلاثة)** علم مجرد وهو علم المكاشفة وعمل مجرد وهو كعدل السلطان مثلا وضبطه للناس ومركب من عمل وعلم وهو علم طريق الآخرة فان صاحبه من العلماء والعمال جميعا فانظر إلى نفسك أتكون يوم القيامة فى حزب علماء الله أو عمال الله تعالى أو فى حزبيهما فتضرب بسهمك مع كل فريق منهما فهذا أهم عليك من التقليد لمجرد الاشتهار كما قيل

خذ ماتراه ودع شيأ سمعت به * فى طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

على أنا سننقل من سيرة فقهاء السلف ما تعلم به أن الذين انتحلوا مذاهبهم ظلموهم وانهم من أشد خصمائهم يوم القيامة فانهم ما قصدوا بالعلم إلا وجه الله تعالى وقد شوهد من أحوالهم ما هو من علامات علماء الآخرة كما سيأتى بيانه فى باب علامات علماء الآخرة فانهم ما كانوا متجردين لعلم الفقه بل كانوا مشتغلين بعلم القلوب ومراقبين لها ولكن صرفهم عن التدريس والتصنيف فيه ما صرف الصحابة عن التصنيف والتدريس فى الفقه مع أنهم كانوا فقهاء مستقلين بعلم الفتوى والصوارف والدواعى متيقنة ولا حاجة إلى ذكرها * ونحن الآن نذكر من أحوال فقهاء الاسلام ما تعلم به أن ما ذكرناه ليس طعنا فيهم بل هو طعن فيمن أظهر الاقتداء بهم منتحلا مذاهبهم وهو مخالف لهم فى أعمالهم وسيرهم فالفقهاء الذين هم زعماء الفقه وقادة الخلق أعنى الذين كثر أتباعهم فى المذاهب **(خمسة)** الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وأبو حنيفة وسفيان الثورى رحمهم الله تعالى وكل واحد منهم كان عابدا وزاهدا وعالما بعلوم الآخرة وفقيها فى مصالح الخلق فى الدنيا ومريدا بفقهه وجه الله تعالى فهذه خمس خصال أتبعهم فقهاء العصر من جملتها على خصلة واحدة وهى التشمير والمبالغة فى تفاريع الفقه لأن الخصال الأربع لا تصلح الا للآخرة وهذه الخصلة الواحدة تصلح للدنيا والآخرة ان أريد بها الآخرة قل صلاحها للدنيا شمروا لها وادعوا بها مشابهة أولئك الأئمة وهيهات أن تقاس الملائكة بالحدادين فلنورد الآن من أحوالهم ما يدل على هذه الخصال الأربع فان معرفتهم بالفقه ظاهرة * أما الامام الشافعى رحمه الله تعالى فيدل على أنه كان عابدا ما روى أنه كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للعلم وثلثا للعبادة وثلثا للنوم * قال الربيع كان الشافعى رحمه الله يختم القرآن فى رمضان ستين مرة كل ذلك فى الصلاة * وكان البويطى أحد أصحابه يختم القرآن فى رمضان فى كل يوم مرة * وقال الحسن الكرابيسى بت مع الشافعى غير ليلة فكان يصلى نحوا من ثلث الليل فما رأيته يزيد على خمسين آية فاذا أكثر فمائة آية وكان لا يمر بآية رحمة إلا سأل الله تعالى لنفسه ولجميع المسلمين والمؤمنين ولا يمر بآية عذاب إلا تعوذ فيها وسأل النجاة لنفسه وللمؤمنين وكأنما جمع له الرجاء والخوف معا فانظر كيف يدل اقتصاره على خمسين آية على تبحره فى أسرار القرآن وتدبره فيها وقال الشافعى رحمه الله ما شبعت منذ ست عشرة سنة لأن الشبع يثقل البدن ويقسى القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم ويضعف صاحبه عن العبادة فانظر إلى حكمته فى ذكر آفات الشبع ثم فى جده فى العبادة إذ طرح الشبع لأجلها ورأس التعبد تقليل الطعام * وقال الشافعى رحمه الله ما حلفت بالله تعالى لا صادقا ولا كاذبا قط فانظر إلى حرمته وتوقيره لله تعالى ودلالة ذلك على علمه بجلال الله سبحانه وسئل الشافعى رضى الله عنه عن مسئلة فسكت فقيل له ألا تجيب رحمك الله فقال حتى أدرى الفضل فى سكوتى أو فى جوابى فانظر فى مراقبته للسانه مع أنه أشد الأعضاء تسلطا على الفقهاء وأعصاها عن الضبط والقهر وبه يستبين أنه كان لا يتكلم ولا يسكت إلا لنيل الفضل وطلب الثواب * وقال أحمد بن يحيى ابن الوزير خرج الشافعى رحمه الله تعالى يوما من سوق القناديل فتبعناه فاذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم فالتفت الشافعى الينا وقال نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فان المستمع شريك القائل وأن السفيه لينظر الى أخبث شىء فى إنائه فيحرص أن يفرغه فى أوعيتكم ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقى بها قائلها * وقال الشافعى رضى الله عنه كتب حكيم الى حكيم قد أوتيت علما فلا تدنس علمك بظلمة

الذنوب

قد وسى فمن وفقه الله لامتثاله والعمل بما فيه واستعماله بلغ الرتبة العليا وحاز شرف الآخرة والدنيا وقال السيد الكبير العارف بالله الشهير على ابن أبى بكر ابن الشيخ عبد الله الرحمن السقاف لوقلب أوراق الاحياء كافر لأسلم ففيه سر خفى يجذب القلوب شبه المغناطيس قلت وهو صحيح فانى مع خسيس قصدى وقساوة قلبي أجد عند مطالعتي له من انبعاث الهمة وعزوف النفس عن الدنيا مالا مزيد عليه ثم يفتر برجوعي إلى ما أنا فيه ومخالطة أهل الكثافات ولا أجد ذلك عند مطالعة غيره من كتب الوعظ والرقائق وما ذاك إلا لشىء أودعه الله فيه وسر نفس مصنفه وحسن قصده والمراد بالكافر هنا يظهر الجاهل بعيوب النفس المحجوب عن ادراك الحق أى فبمجرد مطالعته للكتاب المذكور يشرح الله صدره وينور قلبه وذلك لأن الوعظ اذا صدر عن قلب

الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم * وأما زهده رضى الله عنه فقد قال الشافعى رحمه الله من ادعى أنه جمع بين حب الدنيا وحب خالقها فى قلبه فقد كذب * وقال الحميدى خرج الشافعى رحمه الله الى اليمن مع بعض الولاة فانصرف الى مكة بعشرة آلاف درهم فضرب له خباء فى موضع خارجا من مكة فكان الناس يأتونه فما برح من موضعه ذلك حتى فرقها كلها * وخرج من الحمام مرة فأعطى الحمامى مالا كثيرا * وسقط سوطه من يده مرة فرفعه انسان اليه فأعطاه جزاء عليه خمسين دينارا * وسخاوة الشافعى رحمه الله أشهر من أن تحكى ورأس الزهد السخاء لأن من أحب شيأ أمسكه ولم يفارقه فلا يفارق المال إلا من صغرت الدنيا فى عينه وهو معنى الزهد * ويدل على قوة زهده وشدة خوفه من الله تعالى واشتغال همته بالآخرة ماروى أنه روى سفيان بن عيينة حديثا فى الرقائق فغشى على الشافعى فقيل له قد مات فقال ان مات فقد مات أفضل زمانه وماروى عبد الله بن محمد البلوى قال كنت أنا وعمر بن نباتة جلوسا نتذاكر العباد والزهاد فقال لى عمر ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنه خرجت أنا وهو والحرث بن لبيد الى الصفا وكان الحرث تلميذ الصالح المرى فافتتح يقرأ وكان حسن الصوت فقرأ هذه الآية ـ هذا يوم لا ينطقون * ولا يؤذن لهم فيعتذرون ـ فرأيت الشافعى رحمه الله وقد تغير لونه واقشعر جلده واضطرب اضطرابا شديدا وخر مغشيا عليه فلما أفاق جعل يقول أعوذ بك من مقام الكاذبين واعراض الغافلين اللهم لك خضعت قلوب العارفين وذلت لك رقاب المشتاقين إلهى هب لى جودك وجللنى بسترك واعف عن تقصيرى بكرم وجهك قال ثم مشى وانصرفنا فلما دخلت بغداد وكان هو بالعراق فقعدت على الشط أتوضأ للصلاة إذ مر بى رجل فقال لى يا غلام أحسن وضوءك أحسن الله اليك فى الدنيا والآخرة فالتفت فاذا أنا برجل يتبعه جماعة فأسرعت فى وضوئى وجعلت أقفو أثره فالتفت الىّ فقال هل لك من حاجة فقلت نعم تعلمنى مما علمك الله شيأ فقال لى اعلم أن من صدق الله نجا ومن أشفق على دينه سلم من الردى ومن زهد فى الدنيا قرت عيناه بما يراه من ثواب الله تعالى غدا أفلا أزيدك قلت نعم قال من كان فيه ثلاث خصال فقد استكمل الايمان من أمر بالمعروف وائتمر ونهى عن المنكر وانتهى وحافظ على حدود الله تعالى ألا أزيدك قلت بلى فقال كن فى الدنيا زاهدا وفى الآخرة راغبا وأصدق الله تعالى فى جميع أمورك تنج مع الناجين ثم مضى فسألت من هذا فقالوا هو الشافعى فانظر الى سقوطه مغشيا عليه ثم الى وعظه كيف يدل ذلك على زهده وغاية خوفه ولا يحصل هذا الخوف والزهد إلا من معرفة الله عز وجل فانه ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ ولم يستفد الشافعى رحمه الله هذا الخوف والزهد من علم كتاب السلم والاجارة وسائر كتب الفقه بل هو من علوم الآخرة المستخرجة من القرآن والأخبار إذ حكم الأولين والآخرين مودعة فيهما * وأما كونه عالما بأسرار القلب وعلوم الآخرة فتعرفه من الحكم المأثورة عنه * روى أنه سئل عن الرياء فقال على البديهة الرياء فتنة عقدها الهوى حيال أبصار قلوب العلماء فنظروا اليها بسوء اختيار النفوس فأحبطت أعمالهم * وقال الشافعى رحمه الله تعالى اذا أنت خفت على عملك العجب فانظر رضا من تطلب وفى أى ثواب ترغب ومن أى عقاب ترهب وأى عافية تشكر وأى بلاء تذكر فانك اذا تفكرت فى واحدة من هذه الخصال صغر فى عينك عملك فانظر كيف ذكر حقيقة الرياء وعلاج العجب وهما من كبار آفات القلب * وقال الشافعى رضى الله عنه من لم يصن نفسه لم ينفعه علمه * وقال رحمه الله من أطاع الله تعالى بالعلم نفعه سره * وقال ما من أحد إلا له محب ومبغض فاذا كان كذلك فكن مع أهل طاعة الله عز وجل * وروى أن عبد القاهر بن عبد العزيز كان رجلا صالحا ورعا وكان يسأل الشافعى رضى الله عنه عن مسائل فى الورع والشافعى رحمه الله يقبل عليه لورعه وقال للشافعى يوما أيما أفضل الصبر أو المحنة أو التمكين فقال الشافعى رحمه الله التمكين درجة الأنبياء ولا يكون التمكين إلا بعد المحنة فاذا امتحن صبر واذا صبر مكن ألا ترى أن الله عز وجل امتحن ابراهيم عليه السلام ثم مكنه وامتحن موسى عليه السلام ثم مكنه وامتحن أيوب عليه السلام ثم مكنه وامتحن سليمان عليه السلام ثم مكنه وآتاه الله ملكا والتمكين أفضل الدرجات قال الله عز وجل ـ وكذلك مكنا

متعظ كان حريا أن يتعظ به سامعه وكما أن الله تعالى جعل لعباده الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون رتبة فوق غيرهم كذلك جعل لما يبرز منهم ويؤخذ عنهم بركة زائدة على غيره لأن ألسنتهم كريمة وأنوار قلوبهم عظيمة وهممهم علية واشاراتهم سنية حتى يكون للقرآن أثر عظيم عند سماعه منهم وللأحاديث بهجة وجلالة زائدة اذا أخذت عنهم وللمواعظ منهم تأثير فى القلوب ظاهر ولعلومهم وفقههم أنوار ونفع متظاهر حتى تجد الرجل له العلم القليل وبعد ذلك ينتفع به كثير لحسن نيته ووجود بركته وغيره له أكثر من ذلك العلم ولم ينتفع به مثله لأنه دونه فى منزلته ومن تأمل ذلك وجده أمرا ظاهرا معهودا وشيأ جاريا موجودا فانظر الى نفع الناس بكتاب الخلاف فى مذهب مالك رحمه الله تعالى والتنبيه فى مذهب الشافعى رحمه الله تعالى والجمل فى العربية والارشاد فى علم الكلام وانتشارها مع أن ما حوت من العلم فى فنونها

ليوسف فى الأرض ـ وأيوب عليه السلام بعد المحنة العظيمة مكن قال الله تعالى ـ وآتيناه أهله ومثلهم معهم ـ الآية فهذا الكلام من الشافعى رحمه الله يدل على تبحره فى أسرار القرآن واطلاعه على مقامات السائرين الى الله تعالى من الأنبياء والأولياء وكل ذلك من علوم الآخرة * وقيل للشافعى رحمه الله متى يكون الرجل عالما قال إذا تحقق فى علم فعلمه وتعرض لسائر العلوم فنظر فيما فاته فعند ذلك يكون عالما فانه قيل لجالينوس انك تأمر للداء الواحد بالأدوية الكثيرة المجمعة فقال إنما المقصود منها واحد وانما يجعل معه غيره لتسكن حدته لأن الافراد قاتل فهذا وأمثاله مما لا يحصى يدل على علو رتبته فى معرفة الله تعالى وعلوم الآخرة * وأما ارادته بالفقه والمناظرة فيه وجه الله تعالى فيدل عليه ما روى عنه أنه قال وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم وما نسب الى شىء منه فانظر كيف اطلع على آفة العلم وطلب الاسم له وكيف كان منزه القلب عن الالتفات اليه مجرد النية فيه لوجه الله تعالى * وقال الشافعى رضى الله عنه ما ناظرت أحدا قط فأحببت أن يخطئ * وقال ما كلمت أحدا قط الا أحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالى وحفظ وما كلمت أحدا قط وأنا أبالى أن يبين الله الحق على لسانى أو على لسانه * وقال ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها منى إلا هبته واعتقدت محبته ولا كابرنى أحد على الحق ودافع الحجة إلا سقط من عينى ورفضته فهذه العلامات هى التى تدل على ارادة الله تعالى بالفقه والمناظرة فانظر كيف تابعه الناس من جملة هذه الخصال الخمس على خصلة واحدة فقط ثم كيف خالفوه فيها أيضا ولهذا قال أبو ثور رحمه الله ما رأيت ولا رأى الراؤن مثل الشافعى رحمه الله تعالى * وقال أحمد بن حنبل رضى الله عنه ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو للشافعى رحمه الله تعالى فانظر الى انصاف الداعى والى درجة المدعو له وقس به الأقران والأمثال من العلماء فى هذه الأعصار وما بينهم من المشاحنة والبغضاء لتعلم تقصيرهم فى دعوى الاقتداء بهؤلاء ولكثرة دعائه له قال له ابنه أى رجل كان الشافعى حتى تدعو له كل هذا الدعاء فقال أحمد يا بنى كان الشافعى رحمه الله تعالى كالشمس للدنيا وكالعافية للناس فانظر هل لهذين من خلف وكان أحمد رحمه الله يقول ما مس أحد بيده محبرة إلا وللشافعى رحمه الله فى عنقه منة وقال يحيى بن سعيد القطان ما صليت صلاة منذ أربعين سنة إلا وأنا أدعو فيها للشافعى لما فتح الله عز وجل عليه من العلم ووفقه للسداد فيه ولنقتصر على هذه النبذة من أحواله فان ذلك خارج عن الحصر وأكثر هذه المناقب نقلناه من الكتاب الذى صنفه الشيخ نصر بن ابراهيم المقدسى رحمه الله تعالى فى مناقب الشافعى رضى الله عنه وعن جميع المسلمين * وأما الامام مالك رضى الله عنه فانه كان أيضا متحليا بهذه الخصال الخمس فانه قيل له ما تقول يا مالك فى طلب العلم فقال حسن جميل ولكن انظر الى الذى يلزمك من حين تصبح الى حين تمسى فالزمه وكان رحمه الله تعالى فى تعظيم علم الدين مبالغا حتى كان اذا أراد أن يحدث توضأ وجلس على صدر فراشه وسرح لحيته واستعمل الطيب وتمكن من الجلوس على وقار وهيبة ثم حدث فقيل له فى ذلك فقال أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ * وقال مالك العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية وهذا الاحترام والتوقير يدل على قوة معرفته بجلال الله تعالى * وأما إرادته وجه الله تعالى بالعلم فيدل عليه قوله ﴿الجدال فى الدين ليس بشىء﴾ ويدل عليه قول الشافعى رحمه الله إنى شهدت مالكا وقد سئل عن ثمان وأربعين مسئلة فقال فى اثنتين وثلاثين منها لا أدرى ومن يرد غير وجه الله تعالى بعلمه فلا تسمح نفسه بأن يقر على نفسه بأنه لا يدرى ولذلك قال الشافعى رضى الله عنه اذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب وما أحد أمن على من مالك * وروى أن أبا جعفر المنصور منعه من رواية الحديث فى طلاق المكره ثم دس عليه من يسأله فروى على ملأ من الناس ليس على مستكره طلاق فضربه بالسياط ولم يترك رواية الحديث * وقال مالك رحمه الله ما كان رجل صادقا فى حديثه ولا يكذب إلا متع بعقله ولم يصبه مع الهرم آفة ولا خرف * وأما زهده فى الدنيا فيدل عليه ما روى أن المهدى أمير المؤمنين سأله فقال له هل لك من دار فقال لا ولكن أحدثك سمعت ربيعة بن أبى عبد الرحمن يقول نسب المرء داره وسأله الرشيد هل لك دار فقال لا فأعطاه ثلاثة آلاف دينار وقال اشتر بها دارا فأخذها ولم ينفقها فلما أراد الرشيد الشخوص قال لمالك رحمه الله ينبغى أن تخرج معنا فانى عزمت على أن أحمل الناس

قليل وقد جمع غيرهؤلاء فى هذه الفنون فى مثل اجرام هذه الكتب أضعاف ما فيها مع تحقيق تحرير العبارة وتشقيق المعانى وتلخيص الحدود وبعد هذا فالنفع بهذه أكثر وهى أظهر وأشهر لأن العلم بمزيد التقوى وقوة سر الايمان لا بكثرة الذكاء وفصاحة اللسان كما بين ذلك مالك رحمه الله تعالى بقوله ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم نور يضعه الله فى القلب قلت ومما أنشده الشيخ على بن أبى بكر رضى الله عنه لنفسه فيه قوله

أخى انتبه والزم سلوك الطرائق * وسارع الى المولى بجد وسابق
أيا طالبا شرح الكتاب وسنة * وقانون قلب القلب بحر الرقائق
وإيضاح منهج للحقيقة مشرق * وشرب حميا صفو راح الحقائق
واجلاء أذكار المعانى ضواحكا * بباهج حسن جاذب للخلائق
عليك باحياء العلوم ولبها * وأسرارها كم قد حوى من دقائق

على

على الموطأ كما حمل عثمان رضى الله عنه الناس على القرآن فقال له أما حمل الناس على الموطأ فليس اليه سبيل لأن أصحاب رسول الله ﷺ افترقوا بعده فى الأمصار فحدثوا فعند كل أهل مصر علم وقد قال ﷺ (١) اختلاف أمتى رحمة وأما الخروج معك فلا سبيل اليه قال رسول الله ﷺ (٢) المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال عليه الصلاة والسلام (٣) المدينة تنفى خبثها كما ينفى الكير خبث الحديد وهذه دنانيركم كما هى ان شئتم فخذوها وإن شئتم فدعوها يعنى إنك إنما تكلفنى مفارقة المدينة لما اصطنعته إلى فلا أوثر الدنيا على مدينة رسول الله ﷺ فهكذا كان زهد مالك فى الدنيا ولما حملت اليه الأموال الكثيرة من أطراف الدنيا لانتشار علمه وأصحابه كان يفرقها فى وجوه الخير ودل سخاؤه على زهده وقلة حبه للدنيا وليس الزهد فقد المال وإنما الزهد فراغ القلب عنه ولقد كان سليمان عليه السلام فى ملكه من الزهاد ويدل على احتقاره للدنيا ما روى عن الشافعى رحمه الله أنه قال رأيت على باب مالك كراعا من أفراس خراسان وبغال مصر ما رأيت أحسن منه فقلت لمالك رحمه الله ما أحسنه فقال هو هدية منى اليك يا أبا عبد الله فقلت دع لنفسك منها دابة تركبها فقال انى أستحى من الله تعالى أن أطأ تربة فيها نبى الله ﷺ بحافر دابة فانظر الى سخائه إذ وهب جميع ذلك دفعة واحدة والى توقيره لتربة المدينة ويدل على إرادته بالعلم وجه الله تعالى واستحقاره للدنيا ما روى عنه أنه قال دخلت على هرون الرشيد فقال لى يا أبا عبد الله ينبغى أن تختلف الينا حتى يسمع صبياننا منك الموطأ قال فقلت أعز الله مولانا الأمير إن هذا العلم منكم خرج فان أنتم أعززتموه عز وإن أنتم أذللتموه ذل والعلم يؤتى ولا يأتى فقال صدقت اخرجوا الى المسجد حتى تسمعوا مع الناس * وأما أبو حنيفة رحمه الله تعالى فلقد كان أيضا عابدا زاهدا عارفا بالله تعالى خائفا منه مريدا وجه الله تعالى بعلمه فأما كونه عابدا فيعرف بما روى عن ابن المبارك أنه قال كان أبو حنيفة رحمه الله له مروءة وكثرة صلاة * وروى حماد بن أبى سليمان أنه كان يحيى الليل كله * وروى أنه كان يحيى نصف الليل فمر يوما فى طريق فأشار اليه إنسان وهو يمشى فقال لآخر هذا هو الذى يحيى الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيى الليل كله وقال أنا أستحى من الله سبحانه أن أوصف بما ليس فى من عبادته * وأما زهده فقد روى عن الربيع بن عاصم قال أرسلنى يزيد بن عمر بن هبيرة فقدمت بأبى حنيفة عليه فأراده أن يكون حاكما على بيت المال فأبى فضربه عشرين سوطا فانظر كيف هرب من الولاية واحتمل العذاب * قال الحكم بن هشام الثقفى حدثت بالشام حديثا فى أبى حنيفة أنه كان من أعظم الناس أمانة وأراده السلطان على أن يتولى مفاتيح خزائنه أو يضرب ظهره فاختار عذابهم له على عذاب الله تعالى * وروى أنه ذكر أبو حنيفة عند ابن المبارك فقال أتذكرون رجلا عرضت عليه الدنيا بحذافيرها ففر منها * وروى عن محمد بن شجاع عن بعض أصحابه أنه قيل لأبى حنيفة قد أمر لك أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور بعشرة آلاف درهم قال فما رضى أبو حنيفة قال فلما كان اليوم الذى توقع أن يؤتى بالمال فيه صلى الصبح ثم تغشى بثوبه فلم يتكلم فجاء رسول الحسن بن قحطبة بالمال فدخل عليه فلم يكلمه فقال بعض من حضر ما يكلمنا إلا بالكلمة بعد الكلمة أى هذه عادته فقال ضعوا المال فى هذا الجراب فى زاوية البيت ثم أوصى أبو حنيفة بعد ذلك بمتاع بيته وقال لابنه اذا مت ودفنتمونى فخذ هذه البدرة واذهب بها الى الحسن بن قحطبة فقل له خذ وديعتك التى أودعتها أبا حنيفة قال ابنه ففعلت ذلك فقال الحسن رحمة الله على أبيك فلقد كان شحيحا على دينه * وروى أنه دعى إلى ولاية القضاء فقال أنا لا أصلح لهذا فقيل له لم فقال ان كنت صادقا فما أصلح لها وان كنت كاذبا فالكاذب لا يصلح للقضاء * وأما علمه بطريق الآخرة وطريق أمور الدين ومعرفته بالله عز وجل فيدل عليه شدة خوفه من الله تعالى وزهده فى الدنيا وقد قال ابن جريج قد بلغنى عن كوفيكم هذا النعمان بن ثابت أنه شديد الخوف لله تعالى * وقال شريك النخعى

---

(١) حديث اختلاف أمتى رحمة ذكره البيهقى فى رسالته الأشعرية تعليقا وأسنده فى المدخل من حديث ابن عباس بلفظ اختلاف أصحابى لكم رحمة واسناده ضعيف (٢) حديث المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون متفق عليه من حديث سفيان بن أبى زهير (٣) حديث المدينة تنفى خبثها الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة

فكم من بديع اللفظ يجلى عرائسا
وكم من شموس فى حماه شوارق
معانيه أضحت كالبدور وسواطعا *
على در لفظ للمعانى مطابق
وكم من عزيزات زهت فى قبابها *
محجبة عن غير كفؤ مسابق
وكم من لطيف مع بديع وتحفة *
حلاوتها كالشهد تحلو لذائق
بساتين عرفان وروض لطائف *
وجنة أنواع العلوم الفوائق
رعى الله صبارا تعالى جنانها *
يروح ويغدو بين تلك الحقائق
ويقطف من ذاك جناها فواكها *
بساحل بحر بالجواهر دافق
خضم طمى حتى علا فوق من علا *
بشامخ مجد مشرق بالحقائق
فان لم بهذا القول تؤمن فخبرنى *
وأقبل على تلك المعانى وطابق

وارجع طرفا فى بديع جمالها ٧ * وطف فى حماها منشدا كل سابق

رى فى بدور الحى أقمار قد بدت * بمالى جمال مدهش لب عاشق فكم أهلت صبا وكم قشعت عمى *

كان أبو حنيفة طويل الصمت دائم الفكرة قليل المحادثة للناس فهذا من أوضح الأمارات على العلم الباطني والاشتغال بمهمات الدين فمن أوتى الصمت والزهد فقد أوتى العلم كله فهذه نبذة من أحوال الأئمة الثلاثة * وأما الامام أحمد بن حنبل وسفيان الثورى رحمهما الله تعالى فأتباعهما أقل من أتباع هؤلاء وسفيان أقل أتباعا من أحمد ولكن اشتهارهما بالورع والزهد أظهر وجميع هذا الكتاب مشحون بحكايات أفعالهما وأقوالهما فلا حاجة إلى التفصيل الآن فانظر الآن فى سير هؤلاء الأئمة الثلاثة وتأمل أن هذه الأحوال والأقوال والأفعال فى الاعراض عن الدنيا والتجرد لله عز وجل هل يثمرها مجرد العلم بفروع الفقه من معرفة السلم والاجارة والظهار والايلاء واللعان أو يثمرها علم آخر أعلى وأشرف منه وانظر الى الذين ادعوا الاقتداء بهؤلاء أصدقوا فى دعواهم أم لا

﴿الباب الثالث﴾ فيما يعده العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيه بيان الوجه الذى قد يكون به بعض العلوم مذموما وبيان تبديل أسامى العلوم وهو الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة وبيان القدر المحمود من العلوم الشرعية والقدر المذموم منها ﴿بيان علة ذم العلم المذموم﴾ لعلك تقول العلم هو معرفة الشىء على ما هو به وهو من صفات الله تعالى فكيف يكون الشىء علما ويكون مع كونه علما مذموما فاعلم أن العلم لا يذم لعينه وانما يذم فى حق العباد لأحد أسباب ثلاثة ﴿الأول﴾ أن يكون مؤديا إلى ضرر ما إما لصاحبه أو لغيره كما يذم علم السحر والطلسمات وهو حق إذ شهد القرآن له وانه سبب يتوصل به الى التفرقة بين الزوجين (١) وقد سحر رسول الله ﷺ ومرض بسببه حتى أخبره جبريل عليه السلام بذلك وأخرج السحر من تحت حجر فى قعر بئر وهو نوع يستفاد من العلم بخواص الجواهر وبأمور حسابية فى مطالع النجوم فيتخذ من تلك الجواهر هيكل على صورة الشخص المسحور ويرصد به وقت مخصوص من المطالع وتقرن به كلمات يتلفظ بها من الكفر والفحش المخالف للشرع ويتوصل بسببها الى الاستعانة بالشياطين ويحصل من مجموع ذلك بحكم اجراء الله تعالى العادة أحوال غريبة فى الشخص المسحور ومعرفة هذه الأسباب من حيث انها معرفة ليست بمذمومة ولكنها ليست تصلح إلا للاضرار بالخلق والوسيلة الى الشر شر فكان ذلك هو السبب فى كونه علما مذموما بل من اتبع وليا من أولياء الله ليقتله وقد اختفى منه فى موضع حرز اذا سأل الظالم عن محله لم يجز تنبيهه عليه بل وجب الكذب فيه وذكر موضعه ارشاد وافادة علم بالشىء على ما هو عليه ولكنه مذموم لأدائه الى الضرر ﴿الثانى﴾ أن يكون مضرا بصاحبه فى غالب الأمر كعلم النجوم فانه فى نفسه غير مذموم لذاته إذ هو ﴿قسمان﴾ قسم حسابى وقد نطق القرآن بأن مسير الشمس والقمر محسوب اذ قال عز وجل الشمس والقمر بحسبان وقال عز وجل والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم * والثانى الأحكام وحاصله يرجع الى الاستدلال على الحوادث بالأسباب وهو يضاهى استدلال الطبيب بالنبض على ما سيحدث من المرض وهو معرفة لمجارى سنة الله تعالى وعادته فى خلقه ولكن قد ذمه الشرع * قال ﷺ (٢) اذا ذكر القدر فأمسكوا واذا ذكرت النجوم فأمسكوا واذا ذكر أصحابى فأمسكوا * وقال ﷺ (٣) أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الائمة والايمان بالنجوم والتكذيب بالقدر * وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا من النجوم ما تهتدون به فى البر والبحر ثم امسكوا وانما زجر عنه ﴿من ثلاثة أوجه * أحدها﴾ أنه مضر بأكثر الخلق فانه اذا ألقى اليهم أن هذه الآثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع فى نفوسهم أن الكواكب هى المؤثرة وأنها الآلهة المدبرة لأنها جواهر شريفة سماوية ويعظم وقعها فى القلوب فيبقى القلب ملتفتا اليها ويرى الخير والشر محذورا أو مرجوا من جهتها وينمحى ذكر الله سبحانه عن القلب فان الضعيف يقصر نظره على الوسائط والعالم الراسخ هو

﴿الباب الثالث﴾

(١) حديث سحر رسول الله ﷺ متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث اذا ذكر القدر فأمسكوا الحديث رواه الطبرانى من حديث ابن مسعود باسناد حسن (٣) حديث أخاف على أمتى بعدى ثلاثا حيف الأئمة الحديث ابن عبد البر من حديث أبى محجن باسناد ضعيف

وكم قد سعت فى عربها والمشارق يصحى براح الحب سكران مغرما * أصم عن العذال غير موافق ويمسى يناديها طربا بيابها * منعم عيش فى الربوع الغوادق صلاة على سر الوجود شفيعنا * محمد المختار خير الخلائق وأصحابه أهل المكارم والعلا * وعترته وراث علم الحقائق

﴿فصل﴾ وأما ما أنكر عليه فيه من مواضع مشكلة الظاهر وفى التحقيق لا اشكال أو أخبار وآثار تكلم فى سندها فأما من جهة تلك المواضع فمن أجاب عنها المصنف نفسه فى كتابه المسمى (بالأجوبة) وأسوق لك نبذة من ذلك هنا قال رحمه الله سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الأولياء تحل معاليها عن بعض ما وقع فى

الذي يطلع على أن الشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره سبحانه وتعالى ومثال نظر الضعيف الى حصول ضوء الشمس عقيب طلوع الشمس مثال النملة لو خلق لها عقل وكانت على سطح قرطاس وهي تنظر الى سواد الخط يتجدد فتعتقد أنه فعل القلم ولا تترقى في نظرها الى مشاهدة الاصابع ثم منها الى اليد ثم منها الى الارادة المحركة لليد ثم منها الى الكاتب القادر المريد ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور على الاسباب القريبة السافلة مقطوع من الترقي الى مسبب الأسباب فهذا أحد أسباب النهي عن النجوم * وثانيها أن أحكام النجوم تخمين محض ليس يدرك في حق آحاد الاشخاص لا يقينا ولا ظنا فالحكم به حكم بجهل فيكون ذمه على هذا من حيث أنه جهل لا من حيث أنه علم فلقد كان ذلك معجزة لادريس عليه السلام فيما يحكى وقد اندرس وانمحى ذلك العلم وانمحق وما يتفق من اصابة المنجم على ندور فهو اتفاق لانه قد يطلع على بعض الاسباب ولا يحصل المسبب عقيبها الا بعد شروط كثيرة ليس في قدرة البشر الاطلاع على حقائقها فان اتفق أن قدر الله تعالى بقية الأسباب وقعت الاصابة وان لم يقدر أخطأ ويكون ذلك كتخمين الانسان في أن السماء تمطر اليوم مهما رأى الغيم يجتمع وينبعث من الجبال فيتحرك ظنه بذلك وربما يحمى النهار بالشمس ويذهب الغيم وربما يكون بخلافه ومجرد الغيم ليس كافيا في مجيء المطر وبقية الأسباب لا تدرى وكذلك تخمين الملاح أن السفينة تسلم اعتمادا على ما ألفه من العادة في الرياح ولتلك الرياح أسباب خفية هو لا يطلع عليها فتارة يصيب في تخمينه وتارة يخطئ ولهذه العلة يمنع القوي عن النجوم أيضا * وثالثها انه لا فائدة فيه فأقل أحواله انه خوض في فضول لا يغني وتضييع العمر الذي هو أنفس بضاعة الانسان في غير فائدة وذلك غاية الخسران (١) فقد مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون عليه فقال ماهذا فقالوا رجل علامة فقال بماذا قالوا بالشعر وأنساب العرب فقال علم لا ينفع وجهل لا يضر (٢) وقال ﷺ انما العلم آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة فاذا الخوض في النجوم وما يشبهه اقتحام خطر وخوض في جهالة من غير فائدة فان ما قدر كائن والاحتراز منه غير ممكن بخلاف الطب فان الحاجة ماسة اليه وأكثر أدلته مما يطلع عليه وبخلاف التعبير وان كان تخمينا لانه جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة ولا خطر فيه (السبب الثالث) الخوض في علم لا يستفيد الخائض فيه فائدة علم فهو مذموم في حقه كتعلم دقيق العلوم قبل جليلها وخفيها قبل جليها وكالبحث عن الأسرار الالهية اذ تطلع الفلاسفة والمتكلمون عليها ولم يستقلوا بها ولم يستقل بها وبالوقوف على طرق بعضها الا الأنبياء والأولياء فيجب كف الناس عن البحث عنها وردهم الى ما نطق به الشرع ففي ذلك مقنع للموفق فكم من شخص خاض في العلوم واستضر بها ولو لم يخض فيها لكان حاله أحسن في الدين مما صار اليه ولا ينكر كون العلم ضاراً لبعض الناس كما يضر لحم الطير وأنواع الحلوى اللطيفة بالصبي الرضيع بل رب شخص ينفعه الجهل ببعض الأمور فلقد حكي أن بعض الناس شكا الى طبيب عقم امرأته وأنها لا تلد فجس الطبيب نبضها وقال لا حاجة لك الى دواء الولادة فانك ستموتين الى أربعين يوما وقد دل النبض عليه فاستشعرت المرأة الخوف العظيم وتنغص عليها عيشها وأخرجت أموالها وفرقتها وأوصت وبقيت لا تأكل ولا تشرب حتى انقضت المدة فلم تمت فجاء زوجها الى الطبيب وقال له لم تمت فقال الطبيب قد علمت ذلك فجامعها الآن فانها تلد فقال كيف ذاك قال رأيتها سمينة وقد انعقد الشحم على فم رحمها فعلمت أنها لا تهزل الا بخوف الموت فخوفتها بذلك حتى هزلت وزال المانع من الولادة فهذا ينبهك على استشعار خطر بعض العلوم ويفهمك معنى قوله ﷺ (٣) نعوذ بالله من علم لا ينفع فاعتبر بهذه الحكاية ولا تكن بحاثا عن علوم ذمها الشرع وزجر عنها ولازم

(١) حديث مر رسول الله ﷺ برجل والناس مجتمعون فقال ماهذا فقالوا رجل علامة الحديث ابن عبد البر من حديث أبي هريرة وضعفه وفي آخر الحديث – إنما العلم آية محكمة – إلى آخره وهذه القطعة عند أبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث نعوذ بالله من علم لا ينفع ابن عبد البر من حديث جابر بسند حسن وهو عند ابن ماجه بلفظ تعوذوا وقد تقدم

وأظهرت التحزن لما شاهدته من شركاء الطغام وأمثال الانعام واتباع العوام وسفهاء الاحلام وعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بالهوى مجرداً على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا مُمليه الى ضلال واضلال ورموا قراءه ومنتحليه بزيغ عن الشريعة واختلال إلى ان قال ستكتب شهادتهم ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ثم ذكر آيات أخرى في المعنى ثم وصف الدهر وأهله وذهاب العلم وفضله ثم ذكر عذر المعترضين بما يرجع حاصلها الى الحسد والى الجهل وقلة الدين بل أفصح بذلك في الآخر حيث قال حجبوا عن الحقيقة بأربعة الجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى ثم بين ما ورثوه عن الأربعة المذكورة قال فالجهل أورثهم السخف الى آخر

الاقتداء بالصحابة رضي الله عنهم واقتصر على اتباع السنة فالسلامة في الاتباع والخطر في البحث عن الأشياء والاستقلال ولا تكثر اللجج برأيك ومعقولك ودليلك وبرهانك وزعمك إني أبحث عن الأشياء لأعرفها على ماهي عليه فأي ضرر في التفكر في العلم فان ما يعود عليك من ضرره أكثر وكم من شيء تطلع عليه فيضرك اطلاعك عليه ضررا يكاد يهلكك في الآخرة ان لم يتداركك الله برحمته * واعلم انه كما يطلع الطبيب الحاذق على أسرار في المعالجات يستبعدها من لا يعرفها فكذلك الانبياء أطباء القلوب والعلماء بأسباب الحياة الأخروية فلا تتحكم على سننهم بمعقولك فتهلك فكم من شخص يصيبه عارض في أصبعه فيقتضي عقله أن يطليه حتى ينبهه الطبيب الحاذق أن علاجه أن يطلي الكف من الجانب الآخر من البدن فيستبعد ذلك غاية الاستبعاد من حيث لا يعلم كيفية انشعاب الأعصاب ومنابتها ووجه التفافها على البدن فهكذا الأمر في طريق الآخرة وفي دقائق سنن الشرع وآدابه وفي عقائده التي تعبد الناس بها أسرار ولطائف ليست في سعة العقل وقوته الاحاطة بها كما ان في خواص الاحجار أمور اعجائب غاب عن أهل الصنعة علمها حتى لم يقدر أحد على أن يعرف السبب الذي به يجذب المغناطيس الحديد فالعجائب والغرائب في العقائد والأعمال وافادتها لصفاء القلوب ونقائها وطهارتها وتزكيتها واصلاحها للترقي إلى جوار الله تعالى وتعرضها لنفحات فضله أكثر وأعظم مما في الأدوية والعقاقير وكما ان العقول تقصر عن إدراك منافع الأدوية مع أن التجربة سبيل اليها فالعقول تقصر عن إدراك ما ينفع في حياة الآخرة مع أن التجربة غير متطرقة اليها وإنما كانت التجربة تتطرق اليها لو رجع الينا بعض الاموات فأخبرنا عن الأعمال المقبولة النافعة المقربة إلى الله تعالى زلفى وعن الأعمال المبعدة عنه وكذا عن العقائد وذلك مما لا يطمع فيه فيكفيك من منفعة العقل أن يهديك إلى صدق النبي ﷺ ويفهمك موارد إشاراته فاعزل العقل بعد ذلك عن التصرف ولازم الاتباع فلا تسلم إلا به والسلام ولذلك قال ﷺ [1] ان من العلم جهلا وان من القول عيا ومعلوم أن العلم لا يكون جهلا ولكنه يؤثر تأثير الجهل في الاضرار وقال ﷺ [2] قليل من التوفيق خير من كثير من العلم وقال عيسى عليه السلام ما أكثر الشجر وليس كلها بمثمر وما أكثر الثمر وليس كلها بطيب وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع

﴿ بيان ما بدل من ألفاظ العلوم ﴾

اعلم أن منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف الأسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالأغراض الفاسدة إلى معان غير ما أراده السلف الصالح والقرن الأول وهي خمسة ألفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة فهذه أسام محمودة والمتصفون بها أرباب المناصب في الدين ولكنها نقلت الآن إلى معان مذمومة فصارت القلوب تنفر عن مذمة من يتصف بمعانيها لشيوع إطلاق هذه الأسامي عليهم (اللفظ الأول الفقه) فقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل إذ خصصوه بمعرفة الفروع الغريبة في الفتاوى والوقوف على دقائق عللها واستكثار الكلام فيها وحفظ المقالات المتعلقة بها فمن كان أشد تعمقا فيها وأكثر اشتغالا بها يقال هو الافقه ولقد كان اسم الفقه في العصر الاول مطلقا على علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الاحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلى نعيم الآخرة واستيلاء الخوف على القلب ويدلك عليه قوله عز وجل ـ ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم ـ وما يحصل به الانذار والتخويف هو هذا الفقه دون تفريعات الطلاق والعتاق واللعان والسلم والاجارة فذلك لا يحصل به إنذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي القلب وينزع الخشية منه كما نشاهد الآن من المتجردين له وقال تعالى ـ لهم قلوب لا يفقهون بها ـ وأراد به معاني الايمان دون الفتاوى ولعمري ان الفقه والفهم في اللغة اسمان بمعنى واحد وانما يتكلم في عادة الاستعمال به قديما وحديثا قال تعالى ـ لأنتم أشد رهبة في صدورهم من الله الآية فأحال قلة خوفهم من الله واستعظامهم

(١) حديث إن من العلم جهلا الحديث أبو داود من حديث بريدة وفي اسناده من يجهل (٢) حديث قليل من التوفيق خير من كثير من العلم لم أجد له أصلا وقد ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي الدرداء وقال العقل

ماذكره وأما ما اعترض به من تضمينه أخبارا وآثارا موضوعة أو ضعيفة وإكثاره من الأخبار والآثار والإكثار يتحاشى منه المتورع لئلا يقع في الموضوع وحاصل ما أجيب به عن الغزالي ومن المجيبين الحافظ العراقي ان أكثر ما ذكره الغزالي ليس بموضوع كما برهن عليه في التخريج وغير الأكثر وهو في غاية القلة رواه عن غيره أو تبع فيه غيره متبرئا منه بنحو صيغة روي وأما الاعتراض عليه أن فيما ذكره الضعيف بكثرة فهو اعتراض ساقط لما تقرر أنه يعمل به في الفضائل وكتابه في الرقائق فهو من قبيلها ولأن له أسوة بأئمة الأئمة الحفاظ في اشتمال كتبهم على الضعيف بكثرة المنبه على ضعفه تارة والمسكوت عنه أخرى وهذه كتب الفقه للمتقدمين وهي كتب الأحكام لا الفضائل يوردون فيها الأحاديث الضعيفة ساكتين عليها حتى جاء النووي رحمه الله في المتأخرين

سطوة الخلق على قلة الفقه فانظر ان كان ذلك نتيجة عدم الحفظ لتفريعات الفتاوى أو هو نتيجة عدم ما ذكرناه من العلوم وقال ﷺ (١) علماء حكماء فقهاء للذين وفدوا عليه وسئل سعد بن ابراهيم الزهري رحمه الله أي أهل المدينة أفقه فقال أتقاهم لله تعالى فكأنه أشار إلى ثمرة الفقه والتقوى ثمرة العلم الباطني دون الفتاوى والأقضية وقال ﷺ (٢) ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه قالوا بلى قال من لم يقنط الناس من رحمة الله ولم يؤمنهم من مكر الله ولم يؤيسهم من روح الله ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه ولما روى أنس بن مالك قوله ﷺ (٣) لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة الى طلوع الشمس أحب إلي من أن أعتق أربع رقاب قال فالتفت الى زيد الرقاشي و زياد النميري وقال لم تكن مجالس الذكر مثل مجالسكم هذه يقص أحدكم وعظه على أصحابه ويسرد الحديث سردا انما كنا نقعد فنذكر الايمان ونتدبر القرآن ونتفقه في الدين ونعد نعم الله علينا تفقها فسمى تدبر القرآن وعد النعم تفقها قال ﷺ (٤) لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله وحتى يرى للقرآن وجوها كثيرة وروي أيضا موقوفا على أبي الدرداء رضي الله عنه مع قوله ثم يقبل على نفسه فيكون لها أشد مقتا وقد سأل فرقد السبخي الحسن عن شيء فأجابه فقال إن الفقهاء يخالفونك فقال الحسن رحمه الله ثكلتك أمك فريقد وهل رأيت فقيها بعينك إنما الفقيه الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بدينه المداوم على عبادة ربه الورع الكاف نفسه عن اعراض المسلمين العفيف عن أموالهم الناصح لجماعتهم ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوى ولست أقول ان اسم الفقه لم يكن متناولا للفتاوى في الأحكام الظاهرة ولكن كان بطريق العموم والشمول أو بطريق الاستتباع فكان اطلاقهم له على علم الآخرة أكثر فبان من هذا التخصيص تلبيس بعث الناس على التجرد له والاعراض عن علم الآخرة وأحكام القلوب ووجدوا على ذلك معينا من الطبع فان علم الباطن غامض والعمل به عسير والتوصل به الى طلب الولاية والقضاء والجاه والمال متعذر فوجد الشيطان مجالا لتحسين ذلك في القلوب بواسطة تخصيص اسم الفقه الذي هو اسم محمود في الشرع (اللفظ الثاني العلم) وقد كان يطلق ذلك على العلم بالله تعالى وبآياته وبأفعاله في عباده وخلقه حتى انه لما مات عمر رضي الله عنه قال ابن مسعود رحمه الله لقد مات تسعة أعشار العلم فعرفه بالالف واللام ثم فسره بالعلم بالله سبحانه وقد تصرفوا فيه أيضا بالتخصيص حتى شهروه في الأكثر بمن يشتغل بالمناظرة مع الخصوم في المسائل الفقهية وغيرها فيقال هو العالم على الحقيقة وهو الفحل في العلم ومن لا يمارس ذلك ولا يشتغل به يعد من جملة الضعفاء ولا يعدونه في زمرة أهل العلم وهذا أيضا تصرف بالتخصيص ولكن ما ورد من فضائل العلم والعلماء أكثره في العلماء بالله تعالى وبأحكامه وبأفعاله وصفاته وقد صار الآن مطلقا على من لا يحيط من علوم الشرع بشيء سوى رسوم جدلية في مسائل خلافية فيعد بذلك من فحول العلماء مع جهله بالتفسير والاخبار وعلم المذهب وغيره وصار ذلك سببا مهلكا لخلق كثير من أهل الطلب للعلم (اللفظ الثالث التوحيد) وقد جعل الآن عبارة عن صناعة الكلام ومعرفة طريق المجادلة والاحاطة بطرق مناقضات الخصوم والقدرة على التشدق فيها بتكثير الأسئلة واثارة الشبهات وتأليف الالزامات حتى لقب طوائف منهم أنفسهم باهل العدل والتوحيد وسمي المتكلمون العلماء بالتوحيد مع أن جميع ما هو خاصة هذه الصناعة لم يكن يعرف منها شيء في العصر الاول بل كان يشتد منهم النكير على من كان يفتح بابا من الجدل والمماراة فأما ما يشتمل عليه القرآن من الأدلة الظاهرة التي تسبق الأذهان الى قبولها في أول السماع فلقد كان ذلك معلوما للكل

---

(١) حديث علماء حكماء فقهاء أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الزهد والخطيب في التاريخ من حديث سويد بن الحرث باسناد ضعيف (٢) حديث ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه الحديث أبو بكر بن لال في مكارم الاخلاق وأبو بكر بن السني وابن عبد البر من حديث علي وقال ابن عبد البر أكثرهم يوقفونه عن علي (٣) حديث أنس لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من غدوة إلى طلوع الشمس الحديث أبو داود باسناد حسن (٤) حديث لا يفقه العبد كل الفقه حتى يمقت الناس في ذات الله الحديث ابن عبد البر من حديث شداد بن العلم ولم يخرجه ولده في مسنده

و نبه على ضعف الحديث وخلافه كما أشار الى ذلك كله العراقي قال عبد الغافر الفارسي سبط القشيري ظهرت تصانيف الغزالي وفشت ولم يبد في أيامه مناقضة لما كان فيه ولا لما آثره الى آخر ما ذكره ومما يدلك على جلالة كتب الغزالي ما نقل ابن السمعاني من رؤيا بعضهم فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها مع تعبير ثقات المعبرين بدعة تحدث فحدثت في جميع المغرب بدعة الأمر باحراق كتبه ومن أنه لما دخلت مصنفاته الى المغرب أمر سلطانه علي بن يوسف باحراقها لتوهمه اشتمالها على الفلسفة وتوعد بالقتل من وجدت عنده بعد ذلك فظهر بسبب أمره في مملكته مناكير ووثب عليه الجند ولم يزل من وقت الأمر والتوعد في عكس ونكد بعد أن كان عادلا ﴿ خاتمة في الاشارة الى ترجمة المصنف رضي الله عنه وعنا به ونفعنا بعلومه وأسراره وسبب رجوعه الى طريقة الصوفية رضي الله عنهم﴾ أما ترجمته رضي الله

وكان العلم بالقرآن هو العلم كله وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين وان فهموه لم يتصفوا به وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله فهذا مقام شريف احدى ثمراته التوكل كما سيأتي بيانه في كتاب التوكل ومن ثمراته أيضا ترك شكاية الخلق وترك الغضب عليهم والرضا والتسليم لحكم الله تعالى وكانت إحدى ثمراته قول أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيبا فقال الطبيب أمرضني وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك فقال قال لي اني فعال لما أريد وسيأتي في كتاب التوكل وكتاب التوحيد شواهد ذلك والتوحيد جوهر نفيس وله قشران أحدهما أبعد عن اللب من الآخر فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول هو أن تقول بلسانك لا إله الا الله وهذا يسمى توحيدا مناقضا للتثليث الذي صرح به النصارى ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره والقشر الثاني أن لا يكون في القلب مخالفة وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة * والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده قال الله تعالى ــ أفرأيت من اتخذ إلهه هواه ــ * وقال ﷺ (١) أبغض اله عبد في الأرض عند الله تعالى هو الهوى وعلى التحقيق من تأمل عرف أن عابد الصنم ليس يعبد الصنم وانما يعبد هواه إذ نفسه مائلة الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل وميل النفس الى المألوفات احد المعاني التي يعبر عنها بالهوى ويخرج من هذا التوحيد التسخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله عز وجل كيف يتسخط على غيره فلقد كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو مقام الصديقين فانظر الى ماذا حول وبأي قشر قنع منه وكيف اتخذوا هذا معتصما في التمدح والتفاخر بما اسمه محمود مع الافلاس عن المعنى الذي يستحق الحمد الحقيقي وذلك كافلاس من يصبح بكرة ويتوجه إلى القبلة ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وهو أول كذب يفاتح الله به كل يوم إن لم يكن وجه قلبه متوجها إلى الله تعالى على الخصوص فانه ان أراد بالوجه وجه الظاهر فما وجه إلا إلى الكعبة وما صرفه إلا عن سائر الجهات والكعبة ليست جهة للذي فطر السموات والأرض حتى يكون المتوجه اليها متوجها اليه تعالى عن ان تحده الجهات والاقطار وان أراد به وجه القلب وهو المطلوب المتعبد به فكيف يصدق في قوله وقلبه متردد في أوطاره وحاجاته الدنيوية ومتصرف في طلب الحيل في جمع الأموال والجاه واستكثار الاسباب ومتوجه بالكلية اليها فمتى وجه وجهه للذي فطر السموات والأرض وهذه الكلمة خبر عن حقيقة التوحيد فالموحد هو الذي لا يرى الا الواحد ولا يوجه وجهه إلا اليه وهو امتثال قوله تعالى ــ قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ــ وليس المراد به القول باللسان فانما اللسان ترجمان يصدق مرة ويكذب أخرى وانما موقع نظر الله تعالى المترجم عنه هو القلب وهو معدن التوحيد ومنبعه (اللفظ الرابع الذكر والتذكير) فقد قال الله تعالى ــ وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين ــ وقد ورد في الثناء على مجالس الذكر أخبار كثيرة كقوله ﷺ (٢) إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قيل وما رياض الجنة قال مجالس الذكر * وفي الحديث (٣) ان لله تعالى ملائكة سياحين في الدنيا سوى ملائكة الخلق اذا رأوا مجالس الذكر ينادي بعضهم بعضا ألا هلموا الى بغيتكم فيأتونهم ويحفون بهم ويستمعون ألا فاذكروا

---

(١) حديث أبغض اله عبد عند الله في الأرض هو الهوى الطبراني من حديث أبي أمامة باسناد ضعيف (٢) حديث إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا الحديث الترمذي من حديث أنس وحسنه (٣) حديث ان لله ملائكة سياحين في الهواء سوى ملائكة الخلق الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة دون قوله في الهواء وللترمذي سياحين في الأرض وقال مسلم سيارة أوس وقال لا يصح مرفوعا

عنه فهو الامام زين الدين حجة الاسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الفقيه الصوفي الشافعي الأشعري الذي انتشر فضله في الآفاق وفاق ورزق الحظ الاوفر في حسن التصانيف وجودتها والنصيب الأكبر في جزالة العبارة وسهولتها وحسن الاشارة وكشف المعضلات والتبحر في أصناف العلوم فروعها وأصولها ورسوخ القدم في منقولها ومعقولها والتحكم والاستيلاء على اجمالها وتفصيلها مع ماخصه الله به من الكرامة وحسن السيرة والاستقامة والزهد والعزوف عن زهرة الدنيا والاعراض عن الجهات الفانية واطراح الحشمة والتكلف قال الحافظ العلامة ابن عساكر والشيخ عفيف الدين عبد الله بن أسعد اليافعي والفقيه جمال الدين عبد الرحيم الأسنوي رحمهم الله تعالى ولد الامام الغزالي بطوس سنة خمسين واربعمائة وابتدأ بها في صباه بطرف

الله

الله وذكروا أنفسكم فنقل ذلك الى ما ترى أكثر الوعاظ في هذا الزمان يواظبون عليه وهو القصص والأشعار والشطح والطامات أما القصص فهي بدعة وقد ورد نهي السلف عن الجلوس الى القصاص (١) وقالوا لم يكن ذلك في زمن رسول الله ﷺ ولا في زمن أبي بكر ولا عمر رضي الله عنهما حتى ظهرت الفتنة وظهر القصاص * وروي أن ابن عمر رضي الله عنهما خرج من المسجد فقال ما أخرجني الا القاص ولولاه لما خرجت وقال ضمرة قلت لسفيان الثوري نستقبل القاص بوجوهنا فقال ولوا البدع ظهوركم وقال ابن عون دخلت على ابن سيرين فقال ما كان اليوم من خبر فقلت نهى الأمير القصاص أن يقصوا فقال وفق للصواب ودخل الأعمش جامع البصرة فرأى قاصا يقص ويقول حدثنا الأعمش فتوسط الحلقة وجعل ينتف شعر ابطه فقال القاص ياشيخ ألا تستحي فقال لم أنا في سنة وأنت في كذب أنا الأعمش وما حدثتك وقال أحمد أكذب الناس القصاص والسؤال وأخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد جامع البصرة فلما سمع كلام الحسن البصري لم يخرجه اذ كان يتكلم في علم الآخرة والتفكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان ووجه الحذر منها ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره ويعرف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها ونكث عهدها وخطر الآخرة وأهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي روي الحث عليه في حديث أبي ذر رضي الله عنه حيث قال (٢) حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وحضور مجلس علم أفضل من عيادة ألف مريض وحضور مجلس علم أفضل من شهود ألف جنازة فقيل يارسول الله ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن الا بالعلم وقال عطاء رحمه الله مجلس ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فقد اتخذ المزخرفون هذه الأحاديث حجة على تزكية أنفسهم ونقلوا اسم التذكير الى خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا بالقصص التي تتطرق اليها الاختلافات والزيادة والنقص وتخرج عن القصص الواردة في القرآن وتزيد عليها فان من القصص ما ينفع سماعه ومنها ما يضر وان كان صدقا ومن فتح ذلك الباب على نفسه اختلط عليه الصدق بالكذب والنافع بالضار فمن هذا نهي عنه ولذلك قال أحمد بن حنبل رحمه الله ما أحوج الناس الى قاص صادق فان كانت القصة من قصص الأنبياء عليهم السلام فيما يتعلق بأمور دينهم وكان القاص صادقا صحيح الرواية فلست أرى به بأسا فليحذر الكذب وحكايات أحوال تومئ الى هفوات أو مساهلات يقصر فهم العوام عن درك معانيها أو عن كونها هفوة نادرة مردفة بتكفيرات متداركة بحسنات تغطي عليها فان العامي يعتصم بذلك في مساهلاته وهفواته ويمهد لنفسه عذرا فيه ويحتج بأنه حكي كيت وكيت عن بعض المشايخ وبعض الأكابر فكلنا بصدد المعاصي فلا غرو إن عصيت الله تعالى فقد عصاه من هو أكبر مني ويفيده ذلك جراءة على الله تعالى من حيث لا يدري فبعد الاحتراز عن هذين المحذورين فلا بأس به وعند ذلك يرجع الى القصص المحمودة والى ما يشتمل عليه القرآن ويصح في الكتب الصحيحة من الأخبار ومن الناس من يستجيز وضع الحكايات المرغبة في الطاعات ويزعم أن قصده فيها دعوة الخلق الى الحق فهذه من نزغات الشيطان فان في الصدق مندوحة عن الكذب وفيما ذكر الله تعالى ورسوله ﷺ غنية عن الاختراع في الوعظ كيف وقد كره تكلف السجع وعد ذلك من التصنع * قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لابنه عمر وقد سمعه يسجع هذا الذي يبغضك الي لا قضيت حاجتك أبدا حتى تتوب وقد كان جاءه في حاجة وقد قال ﷺ لعبد الله بن رواحة في سجع من ثلاث كلمات (٣) اياك والسجع يا ابن رواحة فكان السجع المحذور المتكلف ما زاد على كلمتين ولذلك لما قال الرجل في دية الجنين كيف ندي من

---

(١) حديث لم تكن القصص في زمن رسول الله ﷺ ابن ماجه من حديث عمر باسناد حسن (٢) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في الباب الأول (٣) حديث اياك والسجع يا ابن رواحة لم أجده هكذا ولأحمد وأبي يعلى وابن السني وأبي نعيم في كتاب الرياضة من حديث عائشة باسناد صحيح أنها قالت للسائب اياك والسجع فان النبي ﷺ وأصحابه كانوا لا يسجعون ولابن حبان واجتنب السجع وفي

من الفقه ثم قدم نيسابور ولازم دروس امام الحرمين وجد واجتهد حتى تخرج في مدة قريبة وصار أنظر أهل زمانه وأوحد أقرانه وجلس للاقراء وارشاد الطلبة في أيام امامه وصنف وكان الامام يتبجح به ويعتد بمكانه منه ثم خرج من نيسابور وحضر مجلس الوزير نظام الملك فأقبل عليه وحل منه محلا عظيما لعلو درجته وحسن مناظرته وكانت حضرة نظام الملك محط رحال العلماء ومقصد الأئمة والفضلاء ووقع للامام الغزالي فيها اتفاقات حسنة من مناظرة الفحول فظهر اسمه وطار صيته فرسم عليه نظام الملك بالمسير الى بغداد للقيام بتدريس المدرسة النظامية فسار اليها وأعجب الكل تدريسه ومناظرته فصار امام العراق بعد ان حاز إمامة خراسان وارتفعت درجته في بغداد على الأمراء والوزراء والأكابر وأهل دار الخلافة ثم انقلب الامر من جهة أخرى فترك بغداد وخرج عما كان فيه من الجاه والحشمة

لا شرب ولا أكل ولا صاح ولا استهل ومثل ذلك بطل فقال النبي ﷺ (١) أسجع كسجع الأعراب * وأما الأشعار فتكثيرها في المواعظ مذموم قال الله تعالى ـ والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ـ وقال تعالى ـ وما علمناه الشعر وما ينبغي له ـ وأكثر ما اعتاده الوعاظ من الأشعار ما يتعلق بالتواصف في العشق وجمال المعشوق وروح الوصال وألم الفراق والمجلس لا يحوي إلا أجلاف العوام وبواطنهم مشحونة بالشهوات وقلوبهم غير منفكة عن الالتفات الى الصور المليحة فلا تحرك الأشعار من قلوبهم إلا ما هو مستكن فيها فتشتعل فيها نيران الشهوات فيزعقون ويتواجدون وأكثر ذلك أو كله يرجع الى نوع فساد. فلا ينبغي أن يستعمل من الشعر الا ما فيه موعظة أو حكمة على سبيل استشهاد واستئناس * وقد قال ﷺ (٢) إن من الشعر لحكمة ولو حوى المجلس الخواص الذين وقع الاطلاع على استغراق قلوبهم بحب الله تعالى ولم يكن معهم غيرهم فإن أولئك لا يضر معهم الشعر الذي يشير ظاهره الى الخلق فإن المستمع ينزل كل ما يسمعه على ما يستولي على قلبه كما سيأتي في تحقيق ذلك في كتاب السماع ولذلك كان الجنيد رحمه الله يتكلم على بضعة عشر رجلا فإن كثروا لم يتكلم وما تم أهل مجلسه قط عشرين وحضر جماعة باب دار ابن سالم فقيل له تكلم فقد حضر أصحابك فقال لا ما هؤلاء أصحابي انما هم أصحاب المجلس ان أصحابي هم الخواص * وأما الشطح فنعني به صنفين من الكلام أحدثه بعض الصوفية (أحدهما) الدعاوى الطويلة العريضة في العشق مع الله تعالى والوصال المغني عن الأعمال الظاهرة حتى ينتهي قوم إلى دعوى الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالرؤية والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وقلنا كذا ويتشبهون فيه بالحسين بن منصور الحلاج الذي صلب لأجل إطلاقه كلمات من هذا الجنس ويستشهدون بقوله أنا الحق * وبما حكي عن أبي يزيد البسطامي أنه قال سبحاني سبحاني وهذا فن من الكلام عظيم ضرره في العوام حتى ترك جماعة من أهل الفلاحة فلاحتهم وأظهروا مثل هذه الدعاوى فإن هذا الكلام يستلذه الطبع اذ فيه البطالة من الأعمال مع تزكية النفس بدرك المقامات والأحوال فلا تعجز الأغبياء عن دعوى ذلك لأنفسهم ولا عن تلقف كلمات مخبطة مزخرفة ومهما أنكر عليهم ذلك لم يعجزوا عن أن يقولوا هذا انكار مصدره العلم والجدل والعلم حجاب والجدل عمل النفس وهذا الحديث لا يلوح الا من الباطن بمكاشفة نور الحق فهذا ومثله مما قد استطار في البلاد شرره وعظم في العوام ضرره حتى من نطق بشيء منه فقتله أفضل في دين الله من احياء عشرة وأما أبو يزيد البسطامي رحمه الله فلا يصح عنه ما يحكى وان سمع ذلك منه فلعله كان يحكيه عن الله عز وجل في كلام يردده في نفسه كما لو سمع وهو يقول انني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني فانه ما كان ينبغي أن يفهم منه ذلك إلا على سبيل الحكاية (الصنف الثاني) من الشطح كلمات غير مفهومة لها ظواهر رائقة وفيها عبارات هائلة وليس وراءها طائل وذلك اما أن تكون غير مفهومة عند قائلها بل يصدرها عن خبط في عقله وتشويش في خياله لقلة احاطته بمعنى كلام قرع سمعه وهذا هو الأكثر واما أن تكون مفهومة له ولكنه لا يقدر على تفهيمها وإيرادها بعبارة تدل على ضميره لقلة ممارسته للعلم وعدم تعلمه طريق التعبير عن المعاني بالألفاظ الرشيقة ولا فائدة لهذا الجنس من الكلام الا أنه يشوش القلوب ويدهش العقول ويحير الأذهان أو يحمل على ان يفهم منها معاني ما أريدت بها ويكون فهم كل واحد على مقتضى هواه وطبعه * وقد قال ﷺ (٣) ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه الا كان فتنة عليهم * وقد قال ﷺ (٤) كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون

البخاري نحوه من قول ابن عباس (١) حديث أسجع كسجع الاعراب مسلم من حديث المغيرة (٢) حديث إن من الشعر لحكمة البخاري من حديث أبي بن كعب (٣) حديث ما حدث أحدكم قوما بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم العقيلي في الضعفاء وابن السني وأبو نعيم في الرياء من حديث ابن عباس باسناد ضعيف ولمسلم في مقدمة صحيحه موقوفا على ابن مسعود (٤) حديث كلموا الناس بما يعرفون ودعوا ما ينكرون الحديث

عرف محل مصنفها من العلم قيل ان تصانيفه وزعت على أيام عمره فأصاب كل يوم كراس ثم سار الى القدس مقبلا على مجاهدة النفس وتبديل الاخلاق وتحسين الشمائل حتى مرن على ذلك ثم عاد الى وطنه طوس لازما بيته مقبلا على العبادة ونصح العباد وإرشادهم ودعائهم الى الله تعالى والاستعداد للدار الآخرة مرشد الضالين ومفيد الطالبين دون أن يرجع الى ما انخلع عنه من الجاه والمباهاة وكان معظم تدريسه في التفسير والحديث والتصوف حتى انتقل الى رحمة الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الأولى سنة خمس وخمسمائة خصه الله تعالى بأنواع الكرامة في اخراه كما خصه بها في دنياه قيل وكانت مدة القطبية للغزالي ثلاثة

أثر يدون أن يكذب الله ورسوله وهذا فيما يفهمه صاحبه ولا يبلغه عقل المستمع فكيف فيما لا يفهمه قائله فإن كان يفهمه القائل دون المستمع فلا يحل ذكره وقال عيسى عليه السلام لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء وفى لفظ آخر من وضع الحكمة فى غير أهلها فقد جهل ومن منعها أهلها فقد ظلم إن للحكمة حقا وإن لها أهلا فأعط كل ذى حق حقه * وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه فى الشطح وأمر آخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الأفهام فائدة كدأب الباطنية فى التأويلات فهذا أيضا حرام وضرره عظيم فإن الألفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعو إليه من دليل العقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالألفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ فإن ما يسبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط له بل تتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله على وجوه شتى وهذا أيضا من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الإغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة له وبهذا الطريق توصل الباطنية إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم كما حكيناه من مذاهبهم فى كتاب المستظهرى المصنف فى الرد على الباطنية ومثال تأويل أهل الطامات قول بعضهم فى تأويل قوله تعالى - إذهب إلى فرعون إنه طغى - إنه إشارة إلى قلبه وقال هو المراد بفرعون وهو الطاغى على كل إنسان وفى قوله تعالى - وأن ألق عصاك - أى كل ما يتوكأ عليه ويعتمده مما سوى الله عز وجل فينبغى أن يلقيه وفى قوله ﷺ (١) تسحروا فإن فى السحور بركة أراد به الاستغفار فى الأسحار وأمثال ذلك حتى يحرفون القرآن من أوله إلى آخره عن ظاهره وعن تفسيره المنقول عن ابن عباس وسائر العلماء وبعض هذه التأويلات يعلم بطلانها قطعا كتنزيل فرعون على القلب فإن فرعون شخص محسوس تواتر إلينا النقل بوجوده ودعوة موسى له وكأبى جهل وأبى لهب وغيرهما من الكفار وليس من جنس الشياطين والملائكة مما لم يدرك بالحس حتى يتطرق التأويل إلى ألفاظه وكذلك حمل السحور على الاستغفار فإنه كان ﷺ (٢) يتناول الطعام ويقول تسحروا (٣) وهلموا إلى الغداء المبارك فهذه أمور يدرك بالتواتر والحس بطلانها نقلا وبعضها يعلم بغالب الظن وذلك فى أمور لا يتعلق بها الإحساس فكل ذلك حرام وضلالة وإفساد للدين على الخلق ولم ينقل شىء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصرى مع إكبابه على دعوة الخلق ووعظهم فلا يظهر لقوله ﷺ (٤) من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار معنى إلا هذا النمط وهو أن يكون غرضه ورأيه تقرير أمر وتحقيقه فيستجر شهادة القرآن إليه ويحمله عليه عن غير أن يشهد لتنزيله عليه دلالة لفظية لغوية أو نقلية ولا ينبغى أن يفهم منه أنه يجب أن لا يفسر القرآن بالاستنباط والفكر فإن من الآيات ما نقل فيها عن الصحابة والمفسرين خمسة معان وستة وسبعة ويعلم أن جميعها غير مسموع من النبي ﷺ فإنها قد تكون متنافية لا تقبل الجمع فيكون ذلك مستنبطا بحسن الفهم وطول الفكر ولهذا قال ﷺ لابن عباس رضى الله عنه (٥) اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل ومن يستجيز من أهل الطامات

البخارى موقوفا على على ورفعه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق أبى نعيم (١) حديث تسحروا فإن فى السحور بركة متفق عليه من حديث أنس (٢) حديث تناول الطعام فى السحور البخارى من حديث أنس أن النبي ﷺ وزيد بن ثابت تسحرا (٣) حديث هلموا إلى الغداء المبارك أبو داود والنسائى وابن حبان من حديث العرباض بن سارية وضعفه ابن القطان (٤) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار الترمذى من حديث ابن عباس وحسنه وهو عند أبى داود من رواية ابن العبد وعند النسائى فى الكبرى (٥) حديث اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل قاله لابن عباس البخارى من حديث ابن عباس دون قوله وعلمه التأويل وهو بهذه الزيادة عند أحمد وابن حبان والحاكم وقال صحيح الإسناد

أيام على ما حكى فى كرامات الشيخ سيد العمودى نفع الله به وذكر الشيخ عفيف الدين عبدالله بن أسعد اليافعى رحمه الله تعالى بإسناده الثابت إلى الشيخ الكبير القطب الربانى شهاب الدين أحمد الصياد اليمنى الزبيدى وكان معاصرا للغزالى نفع الله بهما قال بينا أنا ذات يوم قاعد إذ نظرت إلى أبواب السماء مفتحة وإذا عصبة من الملائكة الكرام قد نزلوا ومعهم خلع خضر ومركوب نفيس فوقفوا على قبر من القبور وأخرجوا صاحبه وألبسوه الخلع وأركبوه وصعدوا به من سماء إلى سماء إلى أن جاوز السموات السبع وخرق بعدها ستين حجابا ولا أعلم أين بلغ انتهاؤه فسألت عنه فقيل لى هذا الإمام الغزالى وكان ذلك عقيب موته رحمه الله تعالى ورأى فى النوم السيد الجليل أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه النبي ﷺ وقد

مثل هذه التأويلات مع علمه بأنها غير مرادة بالالفاظ ويزعم أنه يقصد بها دعوة الخلق الى الخالق فيضاهي من يستجيز الاختراع والوضع على رسول الله ﷺ لما هو في نفسه حق ولكن لم ينطق به الشرع كمن يضع في كل مسئلة يراها حقا حديثا عن النبي ﷺ فذلك ظلم وضلال ودخول في الوعيد المفهوم من قوله ﷺ (١) من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار بل الشر في تأويل هذه الالفاظ أطم وأعظم لأنها مبطلة للثقة بالالفاظ وقاطعة طريق الاستفادة والفهم من القرآن بالكلية فقد عرفت كيف صرف الشيطان دواعي الخلق عن العلوم المحمودة الى المذمومة فكل ذلك من تلبيس علماء السوء بتبديل الأسامي فان اتبعت هؤلاء اعتمادا على الاسم المشهور من غير التفات الى ما عرف في العصر الأول كنت كمن طلب الشرف بالحكمة باتباع من يسمى حكيما فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم في هذا العصر وذلك بالغفلة عن تبديل الألفاظ (اللفظ الخامس) وهو الحكمة فان اسم الحكيم صار يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم حتى على الذي يدحرج القرعة على أكف السوادية في شوارع الطرق والحكمة هي التي أثنى الله عزوجل عليها فقال تعالى ـ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ـ وقال ﷺ (٢) كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ماذا نقل وقس به بقية الألفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان شرهم على الدين أعظم من شر الشياطين إذ الشيطان بواسطتهم يتدرج الى انتزاع الدين من قلوب الخلق ولهذا (٣) لما سئل رسول الله ﷺ عن شر الخلق أبى وقال اللهم اغفر حتى كرروا عليه فقال هم علماء السوء فقد عرفت العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في أن تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف أو تتدلى بحبل الغرور وتتشبه بالخلف فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما أكب الناس عليه فأكثره مبتدع ومحدث وقد صح قول رسول الله ﷺ (٤) بدأ الاسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء فقيل ومن الغرباء قال الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي وفي خبر آخر (٥) هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم وفي حديث آخر (٦) الغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير من يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم غريبة بحيث يمقت ذاكرها ولذلك قال الثوري رحمه الله اذا رأيت العالم كثير الاصدقاء فاعلم إنه مخلط لأنه إن نطق بالحق أبغضوه

﴿ بيان القدر المحمود من العلوم المحمودة ﴾

اعلم أن العلم بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام قسم هو مذموم قليله وكثيره وقسم هو محمود قليله وكثيره وكلما كان أكثر كان أحسن وأفضل وقسم يحمد منه مقدار الكفاية ولا يحمد الفاضل عليه والاستقصاء فيه وهو مثل أحوال البدن فان منها ما يحمد قليله وكثيره كالصحة والجمال ومنها ما يذم قليله وكثيره كالقبح وسوء الخلق ومنها ما يحمد الاقتصاد فيه كبذل المال فان التبذير لا يحمد فيه وهو بذل وكالشجاعة فان التهور لا يحمد فيها وان كان من جنس الشجاعة فكذلك العلم * فالقسم المذموم منه قليله وكثيره هو ما لا فائدة فيه في دين ولا دنيا اذ فيه ضرر يغلب نفعه كعلم السحر والطلسمات والنجوم فبعضه لا فائدة فيه أصلا وصرف العمر الذي هو أنفس ما يملكه

(١) حديث من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار متفق عليه من حديث أبي هريرة وعلي وأنس (٢) حديث كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا تقدم بنحوه (٣) حديث لما سئل عن شر الخلق أبى وقال اللهم اغفر الحديث الدارمي بنحوه من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا وهو ضعيف ورواه البزار في مسنده من حديث معاذ بسند ضعيف (٤) حديث بدأ الاسلام غريبا الحديث مسلم من حديث أبي هريرة مختصرا وهو بتمامه عند الترمذي من حديث عمرو بن عوف وحسنه (٥) حديث هم المتمسكون بما أنتم عليه اليوم يقوله في وصف الغرباء لم أر له أصلا (٦) حديث الغرباء ناس قليلون صالحون أحمد من حديث عبد الله ابن عمرو

ناهى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالامام الغزالي وقال أفي أمتكما حبر كهذا قالا لا وكان الشيخ أبو الحسن رضي الله عنه يقول لأصحابه من كانت له منكم الى الله حاجة فليتوسل بالغزالي وقال جماعة من العلماء رضي الله عنهم منهم الشيخ الامام الحافظ ابن عساكر في الحديث الوارد عن النبي ﷺ في أن الله تعالى يحدث لهذه الأمة من يجدد لها دينها على رأس كل مائة سنة أنه كان على رأس المائة الأولى عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه وعلى رأس المائة الثانية الامام الشافعي رضي الله عنه وعلى رأس المائة الثالثة الامام أبو الحسن الأشعري رضي الله عنه وعلى رأس المائة الرابعة أبو بكر الباقلاني رضي الله عنه وعلى رأس المائة الخامسة أبو حامد الغزالي رضي الله عنه روى ذلك عن الامام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في الامامين الاول والثاني عمر بن عبد العزيز

الانسان اليه اضاعة واضاعة النفس مذموم ومنه ما فيه ضرر زيد على ما يظن أنه يحصل به من قضاء وطر في الدنيا فان ذلك لا يعتد به بالاضافة الى الضرر الحاصل عنه * وأما القسم المحمود الى أقصى غايات الاستقصاء فهو العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله وسنته في خلقه وحكمته في ترتيب الآخرة على الدنيا فان هذا علم مطلوب لذاته وللتوصل به الى سعادة الآخرة وبذل المقدور فيه الى أقصى الجهد قصور عن حد الواجب فانه البحر الذي لا يدرك غوره وانما يحوم الحائمون على سواحله وأطرافه بقدر ما يسر لهم وما خاض أطرافه الا الأنبياء والأولياء والراسخون في العلم على اختلاف درجاتهم بحسب اختلاف قوتهم وتفاوت تقدير الله تعالى في حقهم وهذا هو العلم المكنون الذي لا يسطر في الكتب ويعين على التنبه له التعلم ومشاهدة أحوال علماء الآخرة كما سيأتي علامتهم هذا في أول الأمر ويعين عليه في الآخرة المجاهدة والرياضة وتصفية القلب وتفريغه عن علائق الدنيا والتشبه فيها بالأنبياء والأولياء ليتضح منه لكل ساع الى طلبه بقدر الرزق لا بقدر الجهد ولكن لا غنى فيه عن الاجتهاد فالمجاهدة مفتاح الهداية لا مفتاح لها سواها *وأما العلوم التي لا يحمد منها إلا مقدار مخصوص فهي العلوم التي أوردناها في فروض الكفايات فان في كل علم منها اقتصاراً وهو الأقل واقتصاداً وهو الوسط واستقصاء وراء ذلك الاقتصاد لا مرد له الى آخر العمر فكن أحد رجلين اما مشغولا بنفسك واما متفرغا لغيرك بعد الفراغ من نفسك واياك أن تشتغل بما يصلح غيرك قبل اصلاح نفسك فان كنت المشغول بنفسك فلا تشتغل الا بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك وما يتعلق منه بالاعمال الظاهرة من تعلم الصلاة والطهارة والصوم وانما الأهم الذي أهمله الكل علم صفات القلب وما يحمد منها وما يذم اذ لا ينفك بشر عن الصفات المذمومة مثل الحرص والحسد والرياء والكبر والعجب وأخواتها وجميع ذلك مهلكات واهمالها من الواجبات مع أن الاشتغال بالأعمال الظاهرة يضاهي الاشتغال بطلاء ظاهر البدن عند التأذي بالجرب والدماميل والتهاون باخراج المادة بالفصد والاسهال وحشوية العلماء يشيرون بالأعمال الظاهرة كما يشير الطرقية من الأطباء بطلاء ظاهر البدن وعلماء الآخرة لا يشيرون الا بتطهير الباطن وقطع مواد الشر بافساد منابتها وقلع مغارسها من القلب وانما فزع الأكثرون الى الأعمال الظاهرة عن تطهير القلوب لسهولة أعمال الجوارح واستصعاب أعمال القلوب كما يفزع الى طلاء الظاهر من يستصعب شرب الأدوية المرة فلا يزال يتعب في الطلاء ويزيد في المواد وتتضاعف به الامراض فان كنت مريداً للآخرة وطالباً للنجاة وهارباً من الهلاك الأبدي فاشتغل بعلم العلل الباطنة وعلاجها على ما فصلناه في ربع المهلكات ثم ينجر بك ذلك الى المقامات المحمودة المذكورة في ربع المنجيات لا محالة فان القلب اذا فرغ من المذموم امتلأ بالمحمود والأرض اذا نقيت من الحشيش نبت فيها أصناف الزرع والرياحين وان لم تفرغ من ذلك لم تنبت ذاك فلا تشتغل بفروض الكفاية لاسيما وفي زمرة الخلق من قد قام بها فان مهلك نفسه فيما به صلاح غيره سفيه فما أشد حماقة من دخلت الافاعي والعقارب تحت ثيابه وهمت بقتله وهو يطلب مذبة يدفع بها الذباب عن غيره ممن لا يغنيه ولا ينجيه مما يلاقيه من تلك الحيات والعقارب اذا همت به وان تفرغت من نفسك وتطهيرها وقدرت على ترك ظاهر الاثم وباطنه وصار ذلك ديدنا لك وعادة متيسرة فيك وما أبعد ذلك منك فاشتغل بفروض الكفايات وراع التدريج فيها فابتدئ بكتاب الله تعالى ثم بسنة رسوله ﷺ ثم بعلم التفسير وسائر علوم القرآن من علم الناسخ والمنسوخ والمفصول والموصول والمحكم والمتشابه وكذلك في السنة ثم اشتغل بالفروع وهو علم المذهب من علم الفقه دون الخلاف ثم بأصول الفقه وهكذا الى بقية العلوم على ما يتسع له العمر ويساعد فيه الوقت ولا تستغرق عمرك في فن واحد منها طلبا للاستقصاء فان العلم كثير والعمر قصير وهذه العلوم آلات ومقدمات وليست مطلوبة لعينها بل لغيرها وكل ما يطلب لغيره فلا ينبغي أن ينسى فيه المطلوب ويستكثر منه فاقتصر من شائع علم اللغة على ما تفهم منه كلام العرب وتنطق به ومن غريبه على غريب القرآن وغريب الحديث ودع التعمق فيه واقتصر من النحو على ما يتعلق بالكتاب والسنة فما من علم إلا وله

والشافعي ومناقبه رضي الله عنه أكثر من أن تحصر وفيما أوردناه مقنع وبلاغ * ومن مشهورات مصنفاته البسيط والوسيط والوجيز والخلاصة في الفقه وإحياء علوم الدين وهو من أنفس الكتب وأجلها وله في أصول الفقه المستصفى والمنخول والمنتحل في علم الجدل وتهافت الفلاسفة ومحك النظر ومعيار العلم والمقاصد والمضنون به على غير أهله ومشكاة الأنوار والمنقذ من الضلال وحقيقة القولين وكتاب ياقوت التأويل في تفسير التنزيل أربعين مجلدا وكتاب أسرار علم الدين وكتاب منهاج العابدين والدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة وكتاب الأنيس في الوحدة وكتاب القربة الى الله عز وجل وكتاب أخلاق الأبرار والنجاة من الاشرار وكتاب بداية الهداية وكتاب جواهر القرآن والاربعين في أصول الدين وكتاب المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وكتاب ميزان العمل

اقتصار واقتصاد واستقصاء ونحن نشير اليها فى الحديث والتفسير والفقه والكلام لتقيس بها غيرها فالاقتصار فى التفسير ما يبلغ ضعف القرآن فى المقدار كما صنفه على الواحدى النيسابورى وهو الوجيز والاقتصاد ما يبلغ ثلاثة أضعاف القرآن كما صنفه من الوسيط فيه وما وراء ذلك استقصاء مستغنى عنه فلا مرد له إلى انتهاء العمر وأما الحديث فالاقتصار فيه تحصيل ما فى الصحيحين بتصحيح نسخة على رجل خبير بعلم متن الحديث وأما حفظ أسامى الرجال فقد كفيت فيه بما تحمله عنك من قبلك ولك أن تعول على كتبهم وليس يلزمك حفظ متون الصحيحين ولكن تحصله تحصيلا تقدر منه على طلب ما تحتاج اليه عند الحاجة وأما الاقتصاد فيه فأن تضيف اليهما ما خرج عنهما مما ورد فى المسندات الصحيحة وأما الاستقصاء فما وراء ذلك الى استيعاب كل ما نقل من الضعيف والقوى والصحيح والسقيم مع معرفة الطرق الكثيرة فى النقل ومعرفة أحوال الرجال وأسمائهم وأوصافهم. وأما الفقه فالاقتصار فيه على ما يحويه مختصر المزنى رحمه الله وهو الذى رتبناه فى خلاصة المختصر والاقتصاد فيه ما يبلغ ثلاثة أمثاله وهو القدر الذى أوردناه فى الوسيط من المذهب والاستقصاء ما أوردناه فى البسيط الى ما وراء ذلك من المطولات وأما الكلام فمقصوده حماية المعتقدات التى نقلها أهل السنة من السلف الصالح لا غير وما وراء ذلك طلب لكشف حقائق الأمور من غير طريقها ومقصوده حفظ السنة تحصيل رتبة الاقتصار منه بمعتقد مختصر وهو القدر الذى أوردناه فى كتاب قواعد العقائد من جملة هذا الكتاب والاقتصاد فيه ما يبلغ قدر مائة ورقة وهو الذى أوردناه فى كتاب الاقتصاد فى الاعتقاد ويحتاج اليه لمناظرة مبتدع ومعارضة بدعته بما يفسدها وينزعها عن قلب العامى وذلك لا ينفع إلا مع العوام قبل اشتداد تعصبهم وأما المبتدع بعد أن يعلم من الجدل ولو شيأ يسيرا فقلما ينفع معه الكلام فانك إن أفحمته لم يترك مذهبه وأحال بالقصور على نفسه وقدر أن عند غيره جوابا ما وهو عاجز عنه وانما أنت ملبس عليه بقوة المجادلة وأما العامى اذا صرف عن الحق بنوع جدل يمكن أن يرد اليه بمثله قبل أن يشتد التعصب للاهواء فاذا اشتد تعصبهم وقع اليأس منهم اذ التعصب سبب يرسخ العقائد فى النفوس وهو من آفات العلماء السوء فانهم يبالغون فى التعصب للحق وينظرون الى المخالفين بعين الازدراء والاستحقار فتنبعث منهم الدعوى بالمكافأة والمقابلة والمعاملة وتتوفر بواعثهم على طلب نصرة الباطل ويقوى غرضهم فى التمسك بما نسبوا اليه ولو جاؤا من جانب اللطف والرحمة والنصح فى الخلوة لا فى معرض التعصب والتحقير لانجحوا فيه ولكن لما كان الجاه لا يقوم الا بالاستتباع ولا يستميل الاتباع مثل التعصب واللعن والشتم للخصوم اتخذوا التعصب عادتهم وآلتهم وسموه ذبا عن الدين ونضالا عن المسلمين وفيه على التحقيق هلاك الخلق ورسوخ البدعة فى النفوس وأما الخلافيات التى أحدثت فى هذه الاعصار المتأخرة وأبدع فيها من التحريرات والتصنيفات والمجادلات ما لم يعهد مثلها فى السلف فاياك وأن تحوم حولها واجتنبها اجتناب السم القاتل فانها الداء العضال وهو الذى رد الفقهاء كلهم الى طلب المنافسة والمباهاة على ما سيأتيك تفصيل غوائلها وآفاتها وهذا الكلام ربما يسمع من قائله فيقال الناس أعداء ما جهلوا فلا تستن ذلك فعلى الخبير سقطت فاقبل هذه النصيحة ممن ضيع العمر فيه زمانا وزاد فيه على الأولين تصنيفا وتحقيقا وجدلا وبيانا ثم ألهمه الله رشده وأطلعه على عيبه فهجره واشتغل بنفسه فلا يغرنك قول من يقول الفتوى عماد الشرع ولا يعرف علله الا بعلم الخلاف فان علل المذهب مذكورة فى المذهب والزيادة عليها مجادلات لم يعرفها الأولون ولا الصحابة وكانوا أعلم بعلل الفتاوى من غيرهم بل هى مع أنها غير مفيدة فى علم المذهب ضارة مفسدة لذوق الفقه فان الذى يشهد له حدث المفتى اذا صح ذوقه فى الفقه لا يمكن تمشيته على شروط الجدل فى أكثر الأمر فمن ألف طبعه رسوم الجدل أذعن ذهنه لمقتضيات الجدل وجبن عن الاذعان لذوق الفقه وانما يشتغل به من يشتغل لطلب الصيت والجاه ويتعلل بأنه يطلب علل المذهب وقد ينقضى عليه العمر ولا تنصرف همته الى علم المذهب فكن من شياطين الجن فى أمان واحترز من شياطين الانس فانهم أراحوا

المبادى والغايات وكتاب كيمياء السعادة وكتاب تلبيس ابليس وكتاب نصيحة الملوك وكتاب الاقتصاد فى الاعتقاد وكتاب شفاء العليل فى القياس والتعليل وكتاب المقاصد وكتاب إلجام العوام عن علم الكلام وكتاب الانتصار وكتاب الرسالة اللدنية وكتاب الرسالة القدسية وكتاب اثبات النظر وكتاب المأخذ وكتاب القول الجميل فى الرد على من غير الانجيل وكتاب المستظهرى وكتاب الأمالى وكتاب فى علم أعداد الوفق وحدوده وكتاب مقصد الخلاف وجزء فى الرد على المنكرين فى بعض ألفاظ إحياء علوم الدين وكتبه كثيرة وكلها نافعة * وقال يمدحه تلميذه الشيخ الامام أبو العباس الاقليشى المحدث الصوفى صاحب كتاب النجم والكواكب

شياطين الجن من التعب في الاغواء والاضلال وبالجملة فالمرضي عند العقلاء أن تقدر نفسك في العالم وحدك مع الله وبين يديك الموت والعرض والحساب والجنة والنار وتأمل فيما يعنيك مما بين يديك ودع عنك ما سواه والسلام وقد رأى بعض الشيوخ بعض العلماء في المنام فقال له ما خبر تلك العلوم التي كنت تجادل فيها وتناظر عليها فبسط يده ونفخ فيها وقال طاحت كلها هباء منثورا وما انتفعت إلا بركعتين خلصتا لي في جوف الليل (١) وفي الحديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل ثم قرأ ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون وفي الحديث في معنى قوله تعالى ـ فأما الذين في قلوبهم زيغ ـ الآية (٢) هم أهل الجدل الذين عناهم الله بقوله تعالى فاحذرهم وقال بعض السلف يكون في آخر الزمان قوم يغلق عليهم باب العمل ويفتح لهم باب الجدل وفي بعض الأخبار (٣) إنكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل وفي الخبر المشهور (٤) أبغض الخلق الى الله تعالى الألد الخصم وفي الخبر (٥) ما أوتي قوم المنطق الا منعوا العمل والله أعلم

(الباب الرابع في سبب اقبال الخلق على علم الخلاف وتفصيل آفات المناظرة والجدل وشروط إباحتها)

اعلم أن الخلافة بعد رسول الله ﷺ تولاها الخلفاء الراشدون المهديون وكانوا أئمة علماء بالله تعالى فقهاء في أحكامه وكانوا مستقلين بالفتاوى في الأقضية فكانوا لا يستعينون بالفقهاء الا نادرا في وقائع لا يستغنى فيها عن المشاورة فتفرغ العلماء لعلم الآخرة وتجردوا لها وكانوا يتدافعون الفتاوى وما يتعلق بأحكام الخلق من الدنيا وأقبلوا على الله تعالى بكنه اجتهادهم كما نقل من سيرهم فلما أفضت الخلافة بعدهم إلى أقوام تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام اضطروا الى الاستعانة بالفقهاء والى استصحابهم في جميع أحوالهم لاستفتائهم في مجاري أحكامهم وكان قد بقي من العلماء التابعين من هو مستمر على الطراز الأول وملازم صفو الدين ومواظب على سمت علماء السلف فكانوا اذا طلبوا هربوا وأعرضوا فاضطر الخلفاء الى الالحاح في طلبهم لتولية القضاء والحكومات فرأى أهل تلك الأعصار عز العلماء واقبال الائمة والولاة عليهم مع اعراضهم عنهم فاشرأبوا لطلب العلم توصلا الى نيل العز ودرك الجاه من قبل الولاة فأكبوا على علم الفتاوى وعرضوا أنفسهم على الولاة وتعرفوا اليهم وطلبوا الولايات والصلات منهم فمنهم من حرم ومنهم من أنجح والمنجح لم يخل من ذل الطلب ومهانة الابتذال فأصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا أعزة بالاعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم إلا من وفقه الله تعالى في كل عصر من علماء دين الله وقد كان أكثر الاقبال في تلك الأعصار على علم الفتاوى والأقضية لشدة الحاجة اليها في الولايات والحكومات ثم ظهر بعدهم من الصدور والامراء من يسمع مقالات الناس في قواعد العقائد ومالت نفسه الى سماع الحجج فيها فعلمت رغبته الى المناظرة والمجادلة في الكلام فأكب الناس على علم الكلام وأكثروا فيه التصانيف ورتبوا فيه طرق المجادلات واستخرجوا فنون المناقضات في المقالات وزعموا أن غرضهم الذب عن دين الله والنضال عن السنة وقمع المبتدعة كما زعم من قبلهم أن غرضهم بالاشتغال بالفتاوى الدين وتقلد أحكام المسلمين اشفاقا على خلق الله ونصيحة لهم ثم ظهر بعد ذلك من الصدور من لم يستصوب الخوض في الكلام وفتح باب المناظرة فيه لما كان قد تولد من فتح بابه من التعصبات الفاحشة والخصومات الفاشية المفضية الى اهراق الدماء وتخريب البلاد ومالت نفسه الى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من مذهب الشافعي وأبي حنيفة رضي الله عنهما على الخصوص فترك الناس الكلام وفنون العلم وانثالوا على المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة على الخصوص وتساهلوا في الخلاف مع مالك وسفيان وأحمد رحمهم الله تعالى

(١) حديث ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدل الترمذي وابن ماجه من حديث أبي أمامة قال الترمذي حسن صحيح (٢) حديث هم أهل الجدل الذين عنى الله بقوله فاحذرهم متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث انكم في زمان ألهمتم فيه العمل وسيأتي قوم يلهمون الجدل لم أجده (٤) حديث أبغض الخلق الى الله الألد الخصم متفق عليه من حديث عائشة (٥) حديث ما أوتي قوم المنطق الا منعوا العمل لم أجد له أصلا

أنا حامد أنت المخصص بالحمد * وأنت الذي علمتنا سنن الرشد وضعت لنا الاحياء تحيي نفوسنا * وتنقذنا من طاعة النازغ المردي فربع عبادات وعاداته التي * يعاقبها كالدر نظم في العقد وثالثها في المهلكات وانه * لينجي من الهلك المبرح والبعد ورابعها في المنجيات وانه * ليسرح بالارواح في جنة الخلد ومنها ابتهاج للجوارح ظاهر * ومنها صلاح للقلوب من الحقد وأما سبب رجوعه الى هذه الطريقة واستحسانه لها فذكر رحمه الله في كتابه المنقذ من الضلال ما صورته أما بعد فقد سألتني أيها الأخ في الدين ان أبث لك غاية العلوم وأسرارها وغاية المذاهب وأغوارها وأحكي لك ما قاسيته في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق مع تباين المسالك والطرق وما استجرأت عليه من الارتفاع من حضيض التقليد الى يفاع الاستبصار وما استفدته أولا من علم الكلام وما احتويته من طرق أهل

وغيرهم وزعموا أن غرضهم استنباط دقائق الشرع وتقرير علل المذهب وتمهيد أصول الفتاوى وأكثروا فيها التصانيف والاستنباطات ورتبوا فيها أنواع المجادلات والتصنيفات وهم مستمرون عليه الى الآن وليس ندرى ما الذى يحدث الله فيما بعدنا من الأعصار فهذا هو الباعث على الاكباب على الخلافيات والمناظرات لاغير ولو مالت نفوس أرباب الدنيا الى الخلاف مع امام آخر من الائمة أو الى علم آخر من العلوم لمالوا أيضاً معهم ولم يسكتوا عن التعلل بأن ما اشتغلوا به هو علم الدين وأن لا مطلب لهم سوى التقرب الى رب العالمين

﴿ بيان التلبيس فى تشبيه هذه المناظرات بمشاورات الصحابة ومفاوضات السلف ﴾

اعلم أن هؤلاء قد يستدرجون الناس الى ذلك بأن غرضنا من المناظرات المباحثة عن الحق ليتضح فان الحق مطلوب والتعاون على النظر فى العلم وتوارد الخواطر مفيد ومؤثر هكذا كان عادة الصحابة رضى الله عنهم فى مشاوراتهم كتشاورهم فى مسئلة الجد والاخوة وحد شرب الخمر ووجوب الغرم على الامام اذا أخطأ كما نقل من اجهاض المرأة جنينها خوفا من عمر رضى الله عنه وكما نقل من مسائل الفرائض وغيرها وما نقل عن الشافعى وأحمد ومحمد بن الحسن ومالك وأبى يوسف وغيرهم من العلماء رحمهم الله تعالى ويطلعك على هذا التلبيس ما أذكره وهو أن التعاون على طلب الحق من الدين ولكن له شروط وعلامات ثمان * الأول أن لا يشتغل به وهو من فروض الكفايات من لم يتفرغ من فروض الأعيان ومن عليه فرض عين فاشتغل بفرض كفاية وزعم أن مقصده الحق فهو كذاب ومثاله من يترك الصلاة فى نفسه ويتجرد فى تحصيل الثياب ونسجها ويقول غرضى أستر عورة من يصلى عريانا ولا يجد ثوبا فان ذلك ربما يتفق ووقوعه ممكن كما يزعم الفقيه ان وقوع النوادر التى عنها البحث فى الخلاف ممكن والمشتغلون بالمناظرة مهملون لامور هى فرض عين بالاتفاق ومن توجه عليه رد وديعة فى الحال فقام وأحرم بالصلاة التى هى أقرب القربات الى الله تعالى عصى به فلا يكفى فى كون الشخص مطيعا كون فعله من جنس الطاعات ما لم يراع فيه الوقت والشرط والترتيب * الثانى أن لا يرى فرض كفاية أهم من المناظرة فان رأى ما هو أهم وفعل غيره عصى بفعله وكان مثاله مثال من يرى جماعة من العطاش أشرفوا على الهلاك وقد أهملهم الناس وهو قادر على إحيائهم بأن يسقيهم الماء فاشتغل بتعلم الحجامة وزعم أنه من فروض الكفايات ولو خلا البلد عنها لهلك الناس واذا قيل له فى البلد جماعة من الحجامين وفيهم غنية فيقول هذا لا يخرج هذا الفعل عن كونه فرض كفاية فحال من يفعل هذا ويهمل الاشتغال بالواقعة الملمة بجماعة العطاش من المسلمين كحال المشتغل بالمناظرة وفى البلد فروض كفايات مهملة لا قائم بها فأما الفتوى فقد قام بها جماعة ولا يخلو بلد من جملة الفروض المهملة ولا يلتفت الفقهاء اليها وأقربها الطب إذ لا يوجد فى أكثر البلاد طبيب مسلم يجوز اعتماد شهادته فيما يعول فيه على قول الطبيب شرعا ولا يرغب أحد من الفقهاء فى الاشتغال به وكذا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فهو من فروض الكفايات وربما يكون المناظر فى مجلس مناظرته مشاهدا للحرير ملبوسا ومفروشا وهو ساكت ويناظر فى مسئلة لا يتفق وقوعها قط وان وقعت قام بها جماعة من الفقهاء ثم يزعم أنه يريد أن يتقرب الى الله تعالى بفروض الكفايات وقد روى أنس رضى الله عنه أنه قيل يا رسول الله (١) متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقال عليه السلام اذا ظهرت المداهنة فى خياركم والفاحشة فى شراركم وتحول الملك فى صغاركم والفقه فى أراذلكم * الثالث أن يكون المناظر مجتهدا يفتى برأيه لا بمذهب الشافعى وأبى حنيفة وغيرهما حتى اذا ظهر له الحق من مذهب أبى حنيفة ترك ما يوافق رأى الشافعى وأفتى بما ظهر له كما كان يفعله الصحابة رضى الله عنهم والائمة فأما من ليس له رتبة الاجتهاد وهو حكم كل أهل العصر وانما يفتى فيما يسئل عنه ناقلا عن مذهب صاحبه فلو ظهر له ضعف مذهبه لم يجز له أن يتركه فأى فائدة له فى المناظرة ومذهبه معلوم وليس له الفتوى بغيره وما يشكل عليه يلزمه أن

(١) حديث أنس قيل يا رسول الله متى يترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الحديث ابن ماجه باسناد حسن

التعليم القاصر بن لدرك الحق على تعليم الامام وما ازدريته ثالثا من طرق أهل التفلسف وما ارتضيته آخرا من طرق أهل التصوف وما تنحل لى فى تضاعيف تفتيشى عن أقاويل أهل الحق وما صرفنى عن نشر العلم ببغداد مع كثرة الطلبة وما دعانى الى معاودته بنيسابور بعد طول المدة فابتدرت لاجابتك إلى طلبتك بعد الوقوف على صدق رغبتك فقلت مستعينا بالله تعالى ومتوكلا عليه ومستوفقا منه وملتجئا اليه اعلموا أحسن الله ارشادكم وألان الى قبول الحق انقيادكم أن اختلاف الخلق فى الاديان والملل ثم اختلاف الأئمة فى المذاهب على كثرة الفرق وتباين الطرق بحر عميق غرق فيه الاكثرون وما نجا منه إلا الاقلون وكل فريق يزعم أنه الناجى كل حزب بما لديهم فرحون ولم أزل فى عنفوان شبابى مذ راهقت البلوغ قبل بلوغ العشرين الى أن أناف السن على

يقول لعل عند صاحب مذهبي جوابا عن هذا فاني لست مستقلا بالاجتهاد في أصل الشرع ولو كانت مباحثته عن المسائل التي فيها وجهان أو قولان لصاحبه لكان أشبه به فانه ربما يفتي باحدهما فيستفيد من البحث ميلا الى أحد الجانبين ولا يرى المناظرات جارية فيها قط بل ربما ترك المسئلة التي فيها وجهان أو قولان وطلب مسئلة يكون الخلاف فيها مبتوتا * الرابع أن لا يناظر الا في مسئلة واقعة أو قريبة الوقوع غالبا فان الصحابة رضي الله عنهم ما تشاوروا الا فيما تجدد من الوقائع أو ما يغلب وقوعه كالفرائض ولا ترى المناظرين يهتمون بانتقاد المسائل التي تعم البلوى بالفتوى فيها بل يطلبون الطبوليات التي تسمع فيتسع مجال الجدل فيها كيفما كان الأمر وربما يتركون ما يكثر وقوعه ويقولون هذه مسئلة خبرية أوهي من الزوايا وليست من الطبوليات فمن العجائب أن يكون المطلب هو الحق ثم يتركون المسئلة لأنها خبرية ومدرك الحق فيها هو الأخبار أو لأنها ليست من الطبول فلا نطول فيها الكلام * والمقصود في الحق أن يقصر الكلام ويبلغ الغاية على القرب لا أن يطول * الخامس أن تكون المناظرة في الخلوة أحب اليه وأهم من المحافل وبين أظهر الأكابر والسلاطين فان الخلوة أجمع للفهم وأحرى بصفاء الذهن والفكر ودرك الحق وفي حضور الجمع ما يحرك دواعي الرياء ويوجب الحرص على نصرة كل واحد نفسه محقا كان أو مبطلا وأنت تعلم أن حرصهم على المحافل والمجامع ليس لله وان الواحد منهم يخلو بصاحبه مدة طويلة فلا يكلمه وربما يقترح عليه فلا يجيب واذا ظهر مقدم أو انتظم مجمع لم يغادر في قوس الاحتيال منزعا حتى يكون هو المتخصص بالكلام * السادس أن يكون في طلب الحق كناشد ضالة لا يفرق بين أن تظهر الضالة على يده أو على يد من يعاونه ويرى رفيقه معينا لا خصما ويشكره اذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق كما لو أخذ طريقا في طلب ضالته فنبهه صاحبه على ضالته في طريق آخر فانه كان يشكره ولا يذمه ويكرمه ويفرح به فهكذا كانت مشاورات الصحابة رضي الله عنهم حتى ان امرأة ردت على عمر رضي الله عنه ونبهته على الحق وهو في خطبته على ملأ من الناس فقال أصابت امرأة وأخطأ رجل وسأل رجل عليا رضي الله عنه فأجابه فقال ليس كذلك يا أمير المؤمنين ولكن كذا وكذا فقال أصبت وأخطأت وفوق كل ذي علم عليم * واستدرك ابن مسعود على أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما فقال أبو موسى لا تسألوني عن شيء وهذا الحبر بين أظهركم وذلك لما سئل أبو موسى عن رجل قاتل في سبيل الله فقتل فقال هو في الجنة وكان أمير الكوفة فقام ابن مسعود فقال أعده على الأمير فلعله لم يفهم فاعادوا عليه فاعاد الجواب فقال ابن مسعود وأنا أقول ان قتل فاصاب الحق فهو في الجنة فقال أبو موسى الحق ما قال وهكذا يكون انصاف طالب الحق ولو ذكر مثل هذا الآن لأقل فقيه لأنكره واستبعده وقال لا يحتاج الى أن يقال أصاب الحق فان ذلك معلوم لكل أحد فانظر إلى مناظري زمانك اليوم كيف يسود وجه أحدهم إذا اتضح الحق على لسان خصمه وكيف يخجل به وكيف يجتهد في مجاحدته بأقصى قدرته وكيف يذم من أفحمه طول عمره ثم لا يستحيي من تشبيه نفسه بالصحابة رضي الله عنهم في تعاونهم على النظر في الحق * السابع أن لا يمنع معينه في النظر من الانتقال من دليل الى دليل ومن أشكال إلى أشكال فهكذا كانت مناظرات السلف ويخرج من كلامه جميع دقائق الجدل المبتدعة فيما له وعليه كقوله هذا لا يلزمني ذكره وهذا يناقض كلامك الأول فلا يقبل منك فان الرجوع الى الحق مناقض للباطل ويجب قبوله وأنت ترى أن جميع المجالس تنقضي في المدافعات والمجادلات حتى يقيس المستدل على أصل بعلة يظنها فيقال له ما الدليل على أن الحكم في الأصل معلل بهذه العلة فيقول هذا ما ظهر لي فان ظهر لك ما هو أوضح منه وأولى فاذكره حتى أنظر فيه فيصر المعترض ويقول فيه معان سوى ما ذكرته وقد عرفتها ولا أذكرها اذ لا يلزمني ذكرها ويقول المستدل عليك ابراز ما تدعيه وراء هذا ويصر المعترض على أنه لا يلزمه ويتوخى مجالس المناظرة بهذا الجنس من السؤال وأمثاله ولا يعرف هذا المسكين أن قوله اني أعرفه ولا أذكره اذ لا يلزمني كذب على الشرع فانه ان كان لا يعرف معناه وانما يدعيه ليعجز خصمه فهو فاسق كذاب عصى الله تعالى وتعرض لسخطه بدعواه معرفة هو خال عنها

الخمسين اقتحم لجة البحر العميق وأخوض غمرته خوض الجسور لا خوض الجبان الحذور وأتوغل في كل مظلمة وأهجم على كل مشكلة وأتقحم كل ورطة وأتفحص عن عقيدة كل فرقة وأتكشف أسرار مذاهب كل طائفة لأميز بين كل محق ومبطل ومستن ومبتدع لا أغادر باطنيا إلا وأحب أن أطلع على باطنيته ولا ظاهريا إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته ولا فلسفيا إلا وأقصد الوقوف على فلسفته ولا متكلما إلا وأجتهد في الاطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفيا إلا وأحرص على العثور على سر صوفيته ولا متعبدا إلا وأترصد ما يرجع إليه حاصل عبادته ولا زنديقا معطلا إلا وأتجسس وراءه للتنبه لأسباب جراءته في تعطيله وزندقته وقد كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديدني من أول أمري وريعان عمري غريزة من الله وفطرة وضعها الله في جبلتي لا باختياري وحيلتي حتى

وان كان صادقا فقد فسق باخفائه ما عرفه من أمر الشرع وقد سأله أخوه المسلم ليفهمه وينظر فيه فان كان قويا رجع اليه وان كان ضعيفا أظهر له ضعفه وأخرجه عن ظلمة الجهل الى نور العلم ولا خلاف أن إظهار ما علم من علوم الدين بعد السؤال عنه واجب لازم فمعنى قوله لا يلزمني أى فى شرع الجدل الذى أبدعناه بحكم التشهي والرغبة فى طريق الاحتيال والمصارعة بالكلام لا يلزمني و إلا فهو لازم بالشرع فانه بامتناعه عن الذكر إما كاذب واما فاسق فتفحص عن مشاورات الصحابة ومفاوضات السلف رضى الله عنهم هل سمعت فيها ما يضاهي هذا الجنس وهل منع أحد من الانتقال من دليل الى دليل ومن قياس الى أثر ومن خبر الى آية بل جميع مناظراتهم من هذا الجنس اذ كانوا يذكرون كل ما يخطر لهم كما يخطر وكانوا ينظرون فيه * الثامن أن يناظر من يتوقع الاستفادة منه ممن هو مشتغل بالعلم والغالب أنهم يحترزون من مناظرة الفحول والأكابر خوفا من ظهور الحق على ألسنتهم فيرغبون فيمن دونهم طمعا فى ترويج الباطل عليهم ووراء هذه شروط دقيقة كثيرة ولكن فى هذه الشروط الثمانية ما يهديك الى من يناظر لله ومن يناظر لعلة واعلم بالجملة أن من لا يناظر الشيطان وهو مستول على قلبه وهو أعدى عدوله ولا يزال يدعوه الى هلاكه ثم يشتغل بمناظرة غيره فى المسائل التى المجتهد فيها مصيب أو مساهم للمصيب فى الأجر فهو ضحكة للشيطان وعبرة للمخلصين ولذلك شمت الشيطان به لما غمسه فيه من ظلمات الآفات التى نعددها ونذكر تفاصيلها فنسأل الله حسن العون والتوفيق

(بيان آفات المناظرة وما يتولد منها من مهلكات الأخلاق)

اعلم وتحقق أن المناظرة الموضوعة لقصد الغلبة والافحام واظهار الفضل والشرف والتشدق عند الناس وقصد المباهاة والمماراة واستمالة وجوه الناس هى منبع جميع الأخلاق المذمومة عند الله المحمودة عند عدو الله ابليس ونسبتها الى الفواحش الباطنة من الكبر والعجب والحسد والمنافسة وتزكية النفس وحب الجاه وغيرها كنسبة شرب الخمر الى الفواحش الظاهرة من الزنا والقذف والقتل والسرقة وكما أن الذى خير بين الشرب وسائر الفواحش استصغر الشرب فأقدم عليه فدعاه ذلك الى ارتكاب بقية الفواحش فى سكره فكذلك من غلب عليه حب الافحام والغلبة فى المناظرة وطلب الجاه والمباهاة دعاه ذلك الى اضمار الخبائث كلها فى النفس وهيج فيه جميع الأخلاق المذمومة وهذه الأخلاق ستأتى أدلة مذمتها من الأخبار والآيات فى ربع المهلكات ولكنا نشير الآن الى مجامع ما تهيجه المناظرة فمنها الحسد * وقد قال رسول الله ﷺ (١) الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ولا ينفك المناظر عن الحسد فانه تارة يغلب وتارة يغلب وتارة يحمد كلامه وأخرى يحمد كلام غيره فما دام يبقى فى الدنيا واحد يذكر بقوة العلم والنظر أو يظن أنه أحسن منه كلاما وأقوى نظرا فلا بد أن يحسده ويحب زوال النعم عنه وانصراف القلوب والوجوه عنه اليه والحسد نار محرقة فمن بلى به فهو فى العذاب فى الدنيا ولعذاب الآخرة أشد وأعظم ولذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما خذوا العلم حيث وجدتموه ولا تقبلوا قول الفقهاء بعضهم على بعض فانهم يتغايرون كما تتغاير التيوس فى الزريبة ومنها التكبر والترفع على الناس فقد قال ﷺ (٢) من تكبر وضعه الله ومن تواضع رفعه الله * وقال ﷺ حكاية عن الله تعالى (٣) العظمة إزارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فيهما قصمته ولا ينفك المناظر عن التكبر على الأقران والأمثال والترفع إلى فوق قدره حتى انهم ليتقاتلون على مجلس من المجالس يتنافسون فيه فى الارتفاع والانخفاض والقرب من

(١) حديث الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب أبو داود من حديث أبى هريرة وقال البخارى لا يصح وهو عند ابن ماجه من حديث أنس باسناد ضعيف وفى تاريخ بغداد باسناد حسن (٢) حديث من تكبر وضعه الله الحديث الخطيب من حديث عمر باسناد صحيح وقال غريب من حديث الثورى ولابن ماجه نحوه من حديث أبى سعيد بسند حسن (٣) حديث الكبرياء ردائى والعظمة إزارى الحديث أبو داود وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة وهو عند مسلم بلفظ الكبرياء رداؤه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد

انحلت عني رابطة التقليد وانكسرت عني العقائد الموروثة على قرب عهد مني بالصبا اذ رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشء إلا على التنصر وصبيان اليهود لا يكون لهم نشء إلا على التهود وصبيان الاسلام لا يكون لهم نشء إلا على الاسلام وسمعت الحديث المروى عن النبي ﷺ كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فتحرك باطني إلى طلب الفطرة الأصلية وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والاستاذين والتمييز بين هذه التقليدات وأوائلها تلقينات وفى تمييز الحق منها من الباطل اختلافات فقلت فى نفسى أولا انما مطلوبى العلم بحقائق الأمور ولا بد من طلب حقيقة العلم ما هى فظهر لى أن العلم اليقيني هو الذى ينكشف فيه المعلوم انكشافا لا يبقى معه ريب ولا يقارنه امكان الغلط كالوهم ولا يتسع

وسادة الصدر والبعد منها والتقدم في الدخول عند مضايق الطرق وربما يتعلل الغبي والمكار الخداع منهم بأنه ينبغي صيانة عز العلم (١) وان المؤمن منهي عن الاذلال لنفسه فيعبر عن التواضع الذي أثنى الله عليه وسائر أنبيائه بالذل وعن التكبر الممقوت عند الله بعز الدين تحريفا للاسم واضلالا للخلق به كما فعل في اسم الحكمة والعلم وغيرهما ومنها الحقد فلا يكاد المناظر يخلو عنه * وقد قال ﷺ (٢) المؤمن ليس بحقود وورد في ذم الحقد ما لا يخفى ولا ترى مناظرا يقدر على أن لا يضمر حقدا على من يحرك رأسه من كلام خصمه ويتوقف في كلامه فلا يقابله بحسن الاصغاء بل يضطر اذا شاهد ذلك الى اضمار الحقد وتربيته في نفسه وغاية تماسكه الاخفاء بالنفاق ويترشح منه الى الظاهر لا محالة في غالب الأمر وكيف ينفك عن هذا ولا يتصور اتفاق جميع المستمعين على ترجيح كلامه واستحسان جميع أحواله في ايراده واصداره بل لو صدر من خصمه أدنى سبب فيه قلة مبالاة بكلامه انغرس في صدره حقد لا يقلعه مدى الدهر الى آخر العمر ومنها الغيبة وقد شبهها الله بأكل الميتة ولا يزال المناظر مثابرا على أكل الميتة فانه لا ينفك عن حكاية كلام خصمه ومذمته * وغاية تحفظه أن يصدق فيما يحكيه عليه ولا يكذب في الحكاية عنه فيحكي عنه لا محالة ما يدل على قصور كلامه وعجزه ونقصان فضله وهو الغيبة فأما الكذب فبهتان وكذلك لا يقدر على أن يحفظ لسانه عن التعرض لعرض من يعرض عن كلامه ويصغي الى خصمه ويقبل عليه حتى ينسبه الى الجهل والحماقة وقلة الفهم والبلادة ومنها تزكية النفس * قال الله تعالى ـ فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى ـ وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه ولا يخلو المناظر من الثناء على نفسه بالقوة والغلبة والتقدم بالفضل على الاقران ولا ينفك في أثناء المناظرة عن قوله لست ممن يخفى عليه أمثال هذه الامور وأنا المتفنن في العلوم والمستقل بالاصول وحفظ الاحاديث وغير ذلك مما يتمدح به تارة على سبيل الصلف وتارة للحاجة الى ترويج كلامه ومعلوم أن الصلف والتمدح مذمومان شرعا وعقلا ومنها التجسس وتتبع عورات الناس وقد قال تعالى ـ ولا تجسسوا ـ والمناظر لا ينفك عن طلب عثرات أقرانه وتتبع عورات خصومه حتى انه ليخبر بورود مناظر الى بلده فيطلب من يخبر بواطن أحواله ويستخرج بالسؤال مقابحه حتى يعدها ذخيرة لنفسه في افضاحه وتخجيله اذا مست اليه حاجة حتى أنه ليستكشف عن أحوال صباه وعن عيوب بدنه فعساه يعثر على هفوة أو على عيب به من قرع أو غيره ثم اذا أحس بأدنى غلبة من جهته عرض به ان كان متماسكا ويستحسن ذلك منه ويعد من لطائف التسبب ولا يمتنع عن الافصاح به أن كان متبجحا بالسفاهة والاستهزاء كما حكي عن قوم من أكابر المناظرين المعدودين من فحولهم ومنها الفرح لمساءة الناس والغم لمسارهم ومن لا يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه فهو بعيد من أخلاق المؤمنين فكل من طلب المباهاة باظهار الفضل يسره لا محالة ما يسوء أقرانه وأشكاله الذين يسامونه في الفضل ويكون التباغض بينهم كما بين الضرائر فكما أن احدى الضرائر اذا رأت صاحبتها من بعيد ارتعدت فرائصها واصفر لونها فهكذا ترى المناظر اذا رأى مناظرا تغير لونه واضطرب عليه فكره فكأنه يشاهد شيطانا ماردا أو سبعا ضاريا فأين الاستئناس والاسترواح الذي كان يجري بين علماء الدين عند اللقاء وما نقل عنهم من المؤاخاة والتناصر والتساهم في السراء والضراء حتى قال الشافعي رضي الله عنه العلم بين أهل الفضل والعقل رحم متصل فلا أدري كيف يدعي الاقتداء بمذهبه جماعة صار العلم بينهم عداوة قاطعة فهل يتصور أن ينسب الانس بينهم مع طلب الغلبة والمباهاة هيهات هيهات وناهيك بالشر شرا أن يلزمك أخلاق المنافقين ويبرئك عن أخلاق المؤمنين والمتقين ومنها النفاق فلا يحتاج الى ذكر الشواهد في ذمه وهم مضطرون اليه فانهم يلقون الخصوم ومحبيهم وأشياعهم ولا يجدون بدا من التودد اليهم باللسان واظهار الشوق والاعتداد بمكانهم وأحوالهم ويعلم ذلك

(١) حديث نهي المؤمن عن اذلال نفسه الترمذي وصححه وابن ماجه من حديث حذيفة لا ينبغي للمؤمن أن يذل نفسه (٢) حديث المؤمن ليس بحقود لم أقف له على أصل

العقل لتقدير ذلك بل الامان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنا لليقين مقارنة لو تحدى باظهار بطلانه مثلا من يقلب الحجر ذهبا والعصا ثعبانا لم يورث ذلك شكا وامكانا فاني اذا علمت أن العشرة أكثر من الواحد لو قال لي قائل الواحد أكثر من العشرة بدليل أني أقلب هذه العصا ثعبانا وقلبها وشاهدت ذلك منه لم أشك في معرفتي لكذبه ولم يحصل معي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه وأما الشك فيما علمته فلا ثم علمت أن كل ما لا أعلمه على هذا الوجه ولا أتيقنه من هذا النوع من اليقين فهو علم لا ثقة به وكل علم لا أمان معه ليس بعلم يقيني ثم فتشت عن علومي فوجدت نفسي عاطلا عن علم موصوف بهذه الصفة الا في الحسيات والضروريات فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات الا من الجليات وهي الحسيات والضروريات

المخاطب والمخاطب وكل من يسمع منهم إن ذلك كذب وزور ونفاق وفجور فانهم متوددون بالالسنة متباغضون بالقلوب نعوذ بالله العظيم منه * فقد قال ﷺ (١) اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالالسن وتباغضوا بالقلوب وتقاطعوا في الارحام لعنهم الله عند ذلك فأصمهم وأعمى أبصارهم * رواه الحسن وقد صح ذلك بمشاهدة هذه الحالة ومنها الاستكبار عن الحق وكراهته والحرص على المماراة فيه حتى ان أبغض شئ الى المناظر أن يظهر على لسان خصمه الحق ومهما ظهر تشمر لجحده وانكاره بأقصى جهده وبذل غاية امكانه في المخادعة والمكر والحيلة لدفعه حتى تصير المماراة فيه عادة طبيعية فلا يسمع كلاما الا وينبعث من طبعه داعية الاعتراض عليه حتى يغلب ذلك على قلبه في أدلة القرآن وألفاظ الشرع فيضرب البعض منها بالبعض والمراء في مقابلة الباطل محذور اذ ندب رسول الله ﷺ الى ترك المراء بالحق على الباطل * قال ﷺ (٢) من ترك المراء وهو مبطل بنى الله له بيتا في ربض الجنة ومن ترك المراء وهو محق بنى الله له بيتا في أعلى الجنة وقد سوى الله تعالى بين من افترى على الله كذبا وبين من كذب بالحق * فقال الله تعالى ـ ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه ـ وقال تعالى ـ فمن أظلم ممن كذب على الله وكذب بالصدق اذ جاءه ـ ومنها الرياء وملاحظة الخلق والجهد في استمالة قلوبهم وصرف وجوههم والرياء هو الداء العضال الذي يدعو الى أكبر الكبائر كما سيأتي في كتاب الرياء والمناظر لا يقصد الا الظهور عند الخلق وانطلاق ألسنتهم بالثناء عليه فهذه عشر خصال من أمهات الفواحش الباطنة سوى ما يتفق لغير المتماسكين منهم من الخصام المؤدي الى الضرب واللكم واللطم وتمزيق الثياب والأخذ باللحى وسب الوالدين وشتم الاستاذين والقذف الصريح فان أولئك ليسوا معدودين في زمرة الناس المعتبرين وانما الأكابر والعقلاء منهم هم الذين لا ينفكون عن هذه الخصال العشر نعم قد يسلم بعضهم من بعضها مع من هو ظاهر الانحطاط عنه أو ظاهر الارتفاع عليه أو هو بعيد عن بلده وأسباب معيشته ولا ينفك أحد منهم عنه مع أشكاله المقارنين له في الدرجة ثم يتشعب من كل واحدة من هذه الخصال العشر عشر أخرى من الرذائل لم نطول بذكرها وتفصيل آحادها مثل الانفة والغضب والبغضاء والطمع وحب طلب المال والجاه للتمكن من الغلبة والمباهاة والأشر والبطر وتعظيم الأغنياء والسلاطين والتردد اليهم والأخذ من حرامهم والتجمل بالخيول والمراكب والثياب المحظورة والاستحقار للناس بالفخر والخيلاء والخوض فيما لا يعني وكثرة الكلام وخروج الخشية والخوف والرحمة من القلب واستيلاء الغفلة عليه حتى لا يدري المصلي منهم في صلاته ماصلى وما الذي يقرأ ومن الذي يناجيه ولا يحس بالخشوع من قلبه مع استغراق العمر في العلوم التي تعين في المناظرة مع أنها لا تنفع في الآخرة من تحسين العبارة وتسجيع اللفظ وحفظ النوادر الى غير ذلك من أمور لا تحصى والمناظرون يتفاوتون فيها على حسب درجاتهم ولهم درجات شتى ولا ينفك أعظمهم دينا وأكثرهم عقلا عن جمل من موادهذه الاخلاق وانما غايته اخفاؤها ومجاهدة النفس بها واعلم أن هذه الرذائل لازمة للمشتغل بالتذكير والوعظ أيضا اذا كان قصده طلب القبول واقامة الجاه ونيل الثروة والعزة وهي لازمة أيضا للمشتغل بعلم المذهب والفتاوى اذا كان قصده طلب القضاء وولاية الاوقاف والتقدم على الاقران وبالجملة هي لازمة لكل من يطلب بالعلم غير ثواب الله تعالى في الآخرة فالعلم لا يهمل العالم بل يهلكه هلاك الابد أو يحييه حياة الابد ولذلك قال ﷺ أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لا ينفعه الله بعلمه فلقد ضره مع أنه لم ينفعه وليته نجا منه رأسا برأس وهيهات هيهات فخطر العلم عظيم وطالبه طالب الملك المؤبد والنعيم السرمد فلا ينفك عن الملك أو الهلاك وهو كطالب الملك في الدنيا فان لم يتفق له الاصابة في الأموال لم يطمع في السلامة من

(١) حديث اذا تعلم الناس العلم وتركوا العمل وتحابوا بالألسن وتباغضوا بالقلوب الحديث الطبراني من حديث سلمان باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك المراء وهو مبطل الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أنس مع اختلاف فيه قال الترمذي حسن

من قبل في التقليدات أو من جنس أمان أكثر الخلق في النظريات وهو أمان محقق لا تجوز فيه ولا غائلة له فأقبلت بجد بليغ أتأمل في المحسوسات والضروريات أنظر هل يمكنني أشكك نفسي فيها فانتهى بي طول التشكك الى انه لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات وأخذ يتسع الشك فيها ثم اني ابتدأت بعلم الكلام فحصلته وعقلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت ما أردت أن أصنفه فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي ولم أزل أتفكر فيه مدة وأنا بعد على مقام الاختيار أصمم عزمي على الخروج عن بغداد ومفارقة تلك الأحوال يوما وأحل العزم يوما وأقدم فيه رجلا وأؤخر فيه أخرى ولا تصدق لي

الاذلال بل لا بد من لزوم أفصح الاحوال فان قلت فى الرخصة فى المناظرة فائدة وهى ترغيب الناس فى طلب العلم اذ لولا حب الرياسة لاندرست العلوم فقد صدقت فيما ذكرته من وجه ولكنه غير مفيد اذ لولا الوعد بالكرة والصولجان واللعب بالعصافير ما رغب الصبيان فى المكتب وذلك لا يدل على أن الرغبة فيه محمودة ولولا حب الرياسة لاندرس العلم ولا يدل ذلك على أن طالب الرياسة ناج بل هو من الذين قال ﷺ فيهم (١) ان الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم * وقال ﷺ (٢) ان الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر فطالب الرياسة فى نفسه هالك وقد يصلح بسببه غيره ان كان يدعو الى ترك الدنيا وذلك فيمن كان ظاهر حاله فى ظاهر الامر ظاهر حال علماء السلف ولكنه يضمر قصد الجاه فمثاله مثال الشمع الذى يحترق فى نفسه ويستضىء به غيره فصلاح غيره فى هلاكه فاما اذا كان يدعو الى طلب الدنيا فمثاله مثال النار المحرقة التى تأكل نفسها وغيرها فالعلماء ثلاثة اما مهلك نفسه وغيره وهم المصرحون بطلب الدنيا والمقبلون عليها واما مسعد نفسه وغيره وهم الداعون الخلق الى الله سبحانه ظاهرا وباطنا واما مهلك نفسه مسعد غيره وهو الذى يدعو الى الآخرة وقد رفض الدنيا فى ظاهره وقصده فى الباطن قبول الخلق واقامة الجاه فانظر من أى الاقسام أنت ومن الذى اشتغلت بالاعتداد له فلا تظنن ان الله تعالى يقبل غير الخالص لوجهه تعالى من العلم والعمل وسيأتيك فى كتاب الرياء بل فى جميع ربع المهلكات ماينفى عنك الريبة فيه ان شاء الله تعالى

﴿ الباب الخامس فى آداب المتعلم والمعلم ﴾

﴿ أما المتعلم فآدابه ووظائفه الظاهرة كثيرة ولكن تنظم تفاريقها عشر جمل ﴾

(الوظيفة الاولى) تقديم طهارة النفس عن رذائل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى وكما لا تصح الصلاة التى هى وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب بالعلم الا بعد طهارته عن خبائث الاخلاق وأنجاس الاوصاف قال ﷺ (٣) بنى الدين على النظافة وهو كذلك باطنا وظاهرا قال الله تعالى انما المشركون نجس تنبيها للعقول على أن الطهارة والنجاسة غير مقصورة على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن ولكنه نجس الجوهر أى باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة عما يجتنب ويطلب البعد منه وخبائث صفات الباطن أهم بالاجتناب فانها مع خبثها فى الحال مهلكات فى المآل ولذلك قال ﷺ (٤) لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب والقلب بيت هو منزل الملائكة ومهبط أثرهم ومحل استقرارهم والصفات الرديئة مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب وأخواتها كلاب نابحة فانى تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب ونور العلم لا يقذفه الله تعالى فى القلب الا بواسطة الملائكة وما كان لبشر أن يكلمه الله الا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء وهكذا ما يرسل من رحمة العلوم الى القلوب انما تتولاها الملائكة الموكلون بها وهم المقدسون المطهرون المبرؤن عن الصفات المذمومات فلا يلاحظون الا طيبا ولا يعمرون بما عندهم من خزائن رحمة الله الا طيبا طاهرا ولست أقول المراد بلفظ البيت هو القلب وبالكلب هو الغضب والصفات المذمومة ولكنى أقول هو تنبيه عليه وفرق بين تعبير الظواهر الى البواطن وبين التنبيه للبواطن من ذكر الظواهر مع تقرير الظواهر ففارق الباطنية بهذه الدقيقة فان هذه طريق

---

(١) حديث ان الله يؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم النسائى من حديث أنس باسناد صحيح (٢) حديث ان الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر متفق عليه من حديث أبى هريرة ﴿ الباب الخامس ﴾
(٣) حديث بنى الدين على النظافة لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف وللطبرانى فى الأوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو الى الايمان (٤) حديث لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب متفق عليه من حديث أبى طلحة الانصارى

رغبة فى طلب الآخرة الا حمل عليها جند الشهوة حملة فيفترها عشية فصارت شهوات الدنيا تجاذبنى بسبب ميلها الى المقام ومنادى الايمان ينادى الرحيل الرحيل فلم يبق من العمر إلا القليل وبين يديك السفر الطويل وجميع ما أنت فيه من العمل رياء وتخييل وان لم تستعد الآن للآخرة فمتى تستعد وان لم تقطع الآن هذه العلائق فمتى تقطعها فعند ذلك تنبعث الرغبة وينجزم الأمر على الهرب والفرار ثم يعود الشيطان ويقول هذه حالة عارضة اياك ان تطاوعها فانها سريعة الزوال وان أذعنت لها وتركت هذا الجاه الطويل العريض والشأن العظيم الخالى عن التكدير والتنغيص والأمر السالم الخالى عن منازعة الخصوم ربما التفتت اليه نفسك ولا تتيسر لك المعاودة فلم أزل أتردد بين التجاذب بين شهوات الدنيا والدواعى قريبا من ستة أشهر أولها رجب من سنة ست وثمانين وأربعمائة وفى هذا

الاعتبار وهو مسلك العلماء والابرار إذ معني الاعتبار أن يعبر ماذكر الى غيره فلا يقتصر عليه كما يرى العاقل مصيبة لغيره فيكون فيها له عبرة بأن يعبر منها الى التنبه لكونه أيضا عرضة للمصائب وكون الدنيا بصدد الانقلاب فعبوره من غيره الى نفسه ومن نفسه الى أصل الدنيا عبرة محمودة فاعبر أنت أيضا من البيت الذى هو بناء الخلق الى القلب الذى هو بيت من بناء الله تعالى ومن الكلب الذى ذم لصفته لا لصورته وهو ما فيه من سبعية ونجاسة الى الروح الكلبية وهي السبعية واعلم أن القلب المشحون بالغضب والشره الى الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب فى المعني وقلب فى الصورة فنور البصيرة يلاحظ المعانى لا الصور والصور فى هذا العالم غالبة على المعانى والمعانى باطنة فيها وفى الآخرة تتبع الصور المعانى وتغلب المعانى فلذلك يحشر كل شخص على صورته المعنوية[1] فيحشر الممزق لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره الى أموالهم ذئبا عاديا والمتكبر عليهم فى صورة نمر وطالب الرياسة فى صورة أسد وقد وردت بذلك الاخبار وشهد به الاعتبار عند ذوى البصائر والابصار (فان قلت) كم من طالب ردىء الاخلاق حصل العلوم فهيهات ما أبعده عن العلم الحقيقى النافع فى الآخرة الجالب للسعادة فان من أوائل ذلك العلم أن يظهر له ان المعاصى سموم قاتلة مهلكة وهل رأيت من يتناول سما مع علمه بكونه سما قاتلا انما الذي تسمعه من المترسمين حديث يلفقونه بالسنتهم مرة ويرددونه بقلوبهم أخرى وليس ذلك من العلم فى شيء قال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم نور يقذف فى القلب * وقال بعضهم انما العلم الخشية لقوله تعالى ـ انما يخشى الله من عباده العلماء ـ وكأنه أشار الى أخص ثمرات العلم ولذلك قال بعض المحققين معني قولهم تعلمنا العلم لغير الله فابى العلم أن يكون الالله أن العلم أبى وامتنع علينا فلم تنكشف لنا حقيقته وانما حصل لنا حديثه وألفاظه (فان قلت) انى أرى جماعة من العلماء الفقهاء المحققين برزوا فى الفروع والأصول وعدوا من جملة الفحول وأخلاقهم ذميمة لم يتطهروا منها فيقال اذا عرفت مراتب العلوم وعرفت علم الآخرة استبان لك أن ما اشتغلوا به قليل الغناء من حيث كونه علما وانما غناؤه من حيث كونه عملا لله تعالى إذا قصد به التقرب الى الله تعالى وقد سبقت الى هذا اشارة وسيأتيك فيه مزيد بيان وايضاح ان شاء الله تعالى (الوظيفة الثانية) أن يقلل علائقه من الاشتغال بالدنيا ويبعد عن الأهل والوطن فان العلائق شاغلة وصارفة وماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ومهما توزعت الفكرة قصرت عن درك الحقائق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتي تعطيه كلك فاذا أعطيته كلك فانت من عطائه اياك بعضه على خطر والفكرة المتوزعة على أمور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت الأرض بعضه واختطف الهواء بعضه فلا يبقى منه ما يجتمع ويبلغ المزدرع (الوظيفة الثالثة) أن لا يتكبر على العلم ولا يتأمر على المعلم بل يلقى اليه زمام امره بالكلية فى كل تفصيل ويذعن لنصيحته اذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق وينبغي أن يتواضع لمعلمه ويطلب الثواب والشرف بخدمته قال الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة فقربت اليه بغلته ليركبها فجاء ابن عباس[2] فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال ابن عباس هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء والكبراء فقبل زيد بن ثابت يده وقال هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت نبينا ﷺ وقال ﷺ[3] ليس من أخلاق المؤمن التملق إلا فى طلب العلم فلا ينبغي لطالب العلم أن يتكبر على المعلم ومن تكبره على المعلم أن يستنكف عن الاستفادة إلا من المرموقين المشهورين وهو عين الحماقة فان العلم سبب النجاة والسعادة ومن يطلب مهربا من سبع ضار يفترسه لم يفرق بين أن يرشده إلى الهرب مشهور أو خامل وضراوة سباع النار

(١) حديث حشر الممزق لاعراض الناس فى صورة كلب ضار الحديث الثعلبي فى التفسير من حديث البراء بسند ضعيف (٢) حديث أخذ ابن عباس بركاب زيد بن ثابت وقوله هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل إلا أنهم قالوا هكذا نفعل قال الحاكم صحيح الأسناد على شرط مسلم (٣) حديث ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم ابن عدى من حديث معاذ وأبى امامة باسنادين ضعيفين

أن أدرس يوما واحدا تطييبا لقلوب المختلفة الى فكان لا ينطق لسانى بكلمة ولا أستطيعها البتة حتي أورثت هذه العقلة فى اللسان حزنا فى القلب بطلت معه قوة الهضم ومرى الطعام والشراب وكان لا تنساغ لى شربة ولا تنهضم لى لقمة وتعدى ذلك إلى ضعف القوى حتي قطع الاطباء طمعهم فى العلاج وقالوا هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى الى المزاج فلا سبيل اليه بالعلاج إلا بان يتروح السرعن الهم المهم ثم لما أحسست بعجزى وسقط بالكلية اختيارى التجأت إلى الله التجاء المضطر الذى لا حيلة له فأجابنى الذى يجيب المضطر إذا دعاه وسهل على قلبي الاعراض عن المال والجاه والأهل والأولاد وأظهرت عزم الخروج الى مكة

وأنا أدبر في نفسي سفر الشام حذرا من أن يطلع الخليفة وجملة الأصحاب على غرضي في المقام بالشام فتلطفت بلطائف الحيل في الخروج من بغداد على عزم أن لا أعاودها أبدا واستهزأ بي أئمة العراق كافة إذ لم يكن فيه من يجوز أن يكون الاعراض عما كنت فيه سببا دينيا إذ ظنوا أن ذلك هو المنصب الأعلى في الدين فكان ذلك هو مبلغهم من العلم ثم ارتبك الناس في الاستنباطات فظن من بعد عن العراق أن ذلك كان الاستشعار من جهة الولاة وأما من قرب منهم فكان يشاهد لجاجهم في التعلق بي والانكار علي واعراضي عنهم وعن الالتفات الى قولهم فيقولون هذا أمر سماوي ليس له سبب الا عين أصابت أهل الاسلام وزمرة العلم ففارقت بغداد وفارقت ما كان معي من مالي ولم ادخر من ذلك الا قدر الكفاف وقوت الأطفال ترخصا بأن مال العراق مرصد للمصالح لكونه وقفا على المسلمين

بالجهال بالله تعالى أشد من ضرارة كل سبع فالحكمة ضالة المؤمن يغتنمها حيث يظفر بها و يتقلد المنة لمن ساقها اليه كائنا من كان فلذلك قيل

العلم حرب للفتى المتعالي * كالسيل حرب للمكان العالي

فلا ينال العلم إلا بالتواضع و إلقاء السمع * قال الله تعالى – إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد – ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ثم لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقي السمع وهو شهيد حاضر القلب ليستقبل كل ما ألقي اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول المنة فليكن المتعلم لمعلمه كأرض دمثة نالت مطرا غزيرا فتشربت بجميع أجزائها وأذعنت بالكلية لقبوله ومهما أشار عليه المعلم بطريق في التعلم فليقلده وليدع رأيه فان خطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه إذ التجربة تطلع على دقائق يستغرب سماعها مع أنه يعظم نفعها فكم من مريض محرور يعالجه الطبيب في بعض أوقاته بالحرارة ليزيد في قوته الى حد يحتمل صدمة العلاج فيعجب منه من لا خبرة له به وقد نبه الله تعالى بقصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث قال الخضر إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا ثم لم يصبر ولم يزل في مراددته الى ان كان ذلك سبب الفراق بينهما و بالجملة كل متعلم استبقى لنفسه رأيا واختيارا دون اختيار المعلم فاحكم عليه بالاخفاق والخسران * فان قلت فقد قال الله تعالى – فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون – فالسؤال مأمور به فاعلم أنه كذلك ولكن فيما يأذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم تبلغ مرتبتك الى فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسى عليه السلام من السؤال أي دع السؤال قبل أوانه فالمعلم أعلم بما أنت أهل له وبأوان الكشف وما لم يدخل أوان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل أوان السؤال عنه * وقد قال علي رضي الله عنه ان من حق العالم أن لا تكثر عليه بالسؤال ولا تعنته في الجواب ولا تلح عليه إذا كسل ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ولا تفش له سرا ولا تغتابن أحدا عنده ولا تطلبن عثرته وان زل قبلت معذرته وعليك أن توقره وتعظمه لله تعالى ما دام يحفظ أمر الله تعالى ولا تجلس أمامه وان كانت له حاجة سبقت القوم الى خدمته ﴿ الوظيفة الرابعة ﴾ أن يحترز الخائض في العلم في مبدأ الأمر عن الاصغاء الى اختلاف الناس سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا أو من علوم الآخرة فان ذلك يدهش عقله و يحير ذهنه و يفتر رأيه و يؤيسه عن الادراك والاطلاع بل ينبغي أن يتقن أولا الطريق الحميدة الواحدة المرضية عند أستاذه ثم بعد ذلك يصغي الى المذاهب والشبه وان لم يكن أستاذه مستقلا باختيار رأي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحذر منه فان اضلاله أكثر من ارشاده فلا يصلح الأعمى لقود العميان وارشادهم ومن هذا حاله يعد في عمى الحيرة وتيه الجهل ومنع المبتدي عن الشبه يضاهي منع الحديث العهد بالاسلام عن مخالطة الكفار وندب القوي إلى النظر في الاختلافات يضاهي حث القوي على مخالطة الكفار ولهذا يمنع الجبان عن التهجم على صف الكفار و يندب الشجاع له ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء أن الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جائز ولم يدر أن وظائف الاقوياء تخالف وظائف الضعفاء وفي ذلك قال بعضهم من رآني في البداية صار صديقا ومن رآني في النهاية صار زنديقا إذ النهاية ترد الأعمال إلى الباطن وتسكن الجوارح إلا عن رواتب الفرائض فيتراءى للناظرين أنها بطالة وكسل واهمال وهيهات فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر الذي هو أفضل الأعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي فيما يرى من ظاهره أنه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة يسيرة في كوز ماء و يتعلل بأن أضعاف هذه النجاسة قد ألقي في البحر والبحر أعظم من الكوز فما جاز للبحر فهو للكوز أجوز ولا يدري المسكين أن البحر بقوته يحيل النجاسة ماء فتنقلب عين النجاسة باستيلائه إلى صفته والقليل من النجاسة يغلب على الكوز و يحيله إلى صفته ولمثل هذا جوز للنبي صلى الله عليه وسلم ما لم يجوز لغيره (١) حتى أبيح له تسع نسوة إذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل

(١) حديث أبيح له صلى الله عليه وسلم تسع نسوة وهو معروف وفي الصحيحين من حديث ابن عباس كان عند النبي صلى الله عليه وسلم

إلى نسائه وان كثرن وأما غيره فلا يقدر على بعض العدل بل يتعدى ما بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله تعالى فى طلبه رضاهن فما أفلح من قاس الملائكة بالحدادين ﴿الوظيفة الخامسة﴾ أن لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ولا نوعا من أنواعه إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه وإلا اشتغل بالاهم منه واستوفاه وتطرف من البقية فان العلوم متعاونة وبعضها مرتبط ببعض ويستفيد منه فى الحال الانفكاك عن عداوة ذلك العلم بسبب جهله فان الناس أعداء ما جهلوا قال تعالى وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم قال الشاعر ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا فالعلوم على درجاتها أما سالكة بالعبد الى الله تعالى أو معينة على السلوك نوعا من الاعانة ولها منازل مرتبة فى القرب والبعد من المقصود والقوام بها حفظة كحفاظ الرباطات والثغور ولكل واحد رتبة وله بحسب درجته أجر فى الآخرة إذا قصد به وجه الله تعالى ﴿الوظيفة السادسة﴾ أن لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة بل يراعي الترتيب ويبتدئ بالأهم فان العمر إذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم أن يأخذ من كل شيء أحسنه ويكتفي منه بشمه ويصرف جمام قوته فى الميسور من علمه الى استكمال العلم الذى هو أشرف العلوم وهو علم الآخرة أعنى قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست أعنى به الاعتقاد الذى يتلقفه العامى وراثة أو تلقفا ولا طريق تحرير الكلام والمجادلة فى تحصين الكلام عن مراوغات الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه الله تعالى فى قلب عبد طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث حتى ينتهى الى رتبة[(١)] ايمان أبى بكر رضى الله عنه الذى لو وزن بايمان العالمين لرجح كما شهد له به سيد البشر ﷺ فما عندى أن ما يعتقده العامى ويرتبه المتكلم الذى لا يزيد على العامى إلا فى صنعة الكلام ولأجله سميت صناعته كلاما وكان يعجز عنه عمر وعثمان وعلى وسائر الصحابة رضى الله عنهم حتى كان يفضلهم أبو بكر بالسر الذى وقر فى صدره والعجب ممن يسمع مثل هذه الأقوال من صاحب الشرع صلوات الله وسلامه عليه ثم يزدرى ما يسمعه على وفقه ويزعم أنه من ترهات الصوفية وان ذلك غير معقول فينبغي أن تتئد فى هذا فعنده ضيعت رأس المال فكن حريصا على معرفة ذلك السر الخارج عن بضاعة الفقهاء والمتكلمين ولا يرشدك اليه إلا حرصك فى الطلب وعلى الجملة فأشرف العلوم وغايتها معرفة الله عز وجل وهو بحر لا يدرك منتهى غوره وأقصى درجات البشر فيه رتبة الانبياء ثم الاولياء ثم الذين يلونهم وقد روى أنه رؤى صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين فى مسجد وفى يد أحدهما رقعة فيها أن أحسنت كل شيء فلا تظنن انك أحسنت شيأ حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء وفى يد الآخر كنت قبل أن أعرف الله تعالى أشرب وأظمأ حتى إذا عرفته رويت بلا شرب ﴿الوظيفة السابعة﴾ أن لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق الى بعض والموفق من راعي ذلك الترتيب والتدريج * قال الله تعالى ـ الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته ـ أى لا يجاوزون فنا حتى يحكموه علما وعملا وليكن قصده فى كل علم يتحراه الترقى الى ما هو فوقه فينبغي أن لا يحكم على علم بالفساد لوقوع الخلف بين أصحابه فيه ولا بخطأ واحد أو آحاد فيه ولا بمخالفتهم موجب علمهم بالعمل فترى جماعة تركوا النظر فى العقليات والفقهيات متعللين فيها بأنها لو كان لها أصل لأدركه أربابها وقد مضى كشف هذه الشبه فى كتاب معيار العلم وترى طائفة يعتقدون بطلان الطب لخطأ شاهدوه من طبيب وطائفة اعتقدوا صحة النجوم لصواب اتفق لواحد وطائفة اعتقدوا بطلانه لخطأ اتفق لآخر والكل خطأ بل ينبغي أن يعرف الشيء فى نفسه فلا

تسع الحديث (١) حديث لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين لرجح ابن عدى من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه البيهقي فى الشعب موقوفا على عمر باسناد صحيح

ولم أر فى العالم ما يأخذ العالم لعياله أصلح منه ثم دخلت الشام وأقمت فيه قريبا من سنتين لا شغل لى إلا العزلة والخلوة والرياضة والمجاهدة اشتغالا بتزكية النفس وتهذيب الأخلاق وتصفية القلب لذكر الله تعالى كما كنت حصلته من علم الصوفية وكنت أعتكف مدة بمسجد دمشق أصعد منارة المسجد طول النهار وأغلق بابها على نفسي ثم تحركت لى داعية فريضة الحج والاستمداد من بركات مكة والمدينة وزيارة النبي ﷺ بعد الفراغ من زيارة الخليل صلوات الله عليه وسلامه ثم سرت إلى الحجاز ثم جذبتنى الهمم ودعوات الأطفال إلى الوطن وعاودته بعد أن كنت أبعد الخلق عن أن أرجع اليه وآثرت العزلة حرصا على الخلوة وتصفية القلب للذكر وكانت حوادث الزمان ومهمات العيال وضرورات المعيشة تغير فى وجه المراد وتشوش صفوة الخلوة وكان

كل

كل علم يستقل بالاحاطة به كل شخص ولذلك قال علي رضي الله عنه لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله ﴿الوظيفة الثامنة﴾ أن يعرف السبب الذي به يدرك أشرف العلوم وان ذلك يراد به شيآن أحدهما شرف الثمرة والثاني وثاقة الدليل وقوته وذلك كعلم الدين وعلم الطب فان ثمرة أحدهما الحياة الأبدية وثمرة الآخر الحياة الفانية فيكون علم الدين أشرف ومثل علم الحساب وعلم النجوم فان علم الحساب أشرف لوثاقة أدلته وقوتها وان نسب الحساب الى الطب كان الطب أشرف باعتبار ثمرته والحساب أشرف باعتبار أدلته وملاحظة الثمرة أولى ولذلك كان الطب أشرف وان كان أكثره بالتخمين وبهذا تبين ان أشرف العلوم العلم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله والعلم بالطريق الموصل الى هذه العلوم فاياك وأن ترغب الا فيه وأن تحرص الا عليه ﴿الوظيفة التاسعة﴾ أن يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله بالفضيلة وفي المآل القرب من الله سبحانه والترقي الى جوار الملا الأعلى من الملائكة والمقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والجاه ومماراة السفهاء ومباهاة الأقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الى مقصوده وهو علم الآخرة ومع هذا فلا ينبغي له أن ينظر بعين الحقارة الى سائر العلوم أعني علم الفتاوي وعلم النحو واللغة المتعلقين بالكتاب والسنة وغير ذلك مما أوردناه في المقدمات والمتممات من ضروب العلوم التي هي فرض كفاية ولا تفهمن من غلونا في الثناء على علم الآخرة تهجين هذه العلوم فالمتكفلون بالعلوم كالمتكفلين بالثغور والمرابطين بها والغزاة المجاهدين في سبيل الله فمنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم الذي يسقيهم الماء ومنهم الذي يحفظ دوابهم ويتعهدهم ولا ينفك أحد منهم عن أجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالى دون حيازة الغنائم فكذلك العلماء قال الله تعالى ـ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ـ وقال تعالى ـ هم درجات عند الله ـ والفضيلة نسبية واستحقارنا للصيارفة عند قياسهم بالملوك لا يدل على حقارتهم اذا قيسوا بالكناسين فلا تظنن أن ما نزل عن الرتبة القصوى ساقط القدر بل الرتبة العليا للانبياء ثم الاولياء ثم العلماء الراسخين في العلم ثم للصالحين على تفاوت درجاتهم وبالجملة من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ومن قصد الله تعالى بالعلم أي علم كان نفعه ورفعه لا محالة ﴿الوظيفة العاشرة﴾ أن يعلم نسبة العلوم الى المقصد كما يؤثر الرفيع القريب على البعيد والمهم على غيره ومعنى المهم ما يهمك ولا يهمك الا شأنك في الدنيا والآخرة واذا لم يمكنك الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الآخرة كما نطق به القرآن وشهد له من نور البصائر ما يجري مجرى العيان فالأهم ما يبقى أبد الآباد وعند ذلك تصير الدنيا منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الى المقصد ولا مقصد الا لقاء الله تعالى ففيه النعيم كله وان كان لا يعرف في هذا العالم قدره الا الاقلون والعلوم بالاضافة الى سعادة لقاء الله سبحانه والنظر الى وجهه الكريم أعني النظر الذي طلبه الانبياء وفهموه دون ما يسبق الى فهم العوام والمتكلمين على ثلاث مراتب تفهمها بالموازنة بمثال وهو أن العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان حججت وأتممت وصلت الى العتق والملك جميعا وان ابتدأت بطريق الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلاثة أصناف من الشغل * الأول تهيئة الأسباب بشراء الناقة وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة * والثاني السلوك ومفارقة الوطن بالتوجه الى الكعبة منزلا بعد منزل * والثالث الاشتغال بأعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد الفراغ والنزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من أول اعداد الاسباب الى آخره ومن أول سلوك البوادي الى آخره ومن أول أركان الحج الى آخره وليس قرب من ابتدأ بأركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتدأ بالسلوك بل هو أقرب منه فالعلوم أيضا ثلاثة أقسام قسم يجري مجرى اعداد الزاد والراحلة وشراء الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البوادي وقطع العقبات وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات وطلوع تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الأولون والآخرون الا الموفقين فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل

لا يصفو لي الحال إلا في أوقات متفرقة لكني مع ذلك لا اقطع طمعي عنها فيدفعني عنها العوائق وأعود اليها ودمت على ذلك مقدار عشر سنين وانكشف لي في أثناء هذه الخلوات أمور لا يمكن إحصاؤها واستقصاؤها والقدر الذي ينبغي أن نذكره لينتفع به أني علمت يقينا أن الصوفية هم السالكون لطريق الله خاصة وإن سيرتهم أحسن السير وطريقتهم أصوب الطرق وأخلاقهم أزكى الأخلاق بل لو جمع عقل العقلاء وحكمة الحكماء وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء ليغيروا شيأ من سيرتهم وأخلاقهم ويبدلوه بما هو خير منه لم يجدوا اليه سبيلا فان جميع حركاتهم وسكناتهم في ظاهرهم وباطنهم مقتبسة من نور مشكاة النبوة وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به وبالجملة ماذا يقول القائل في طريقة أول شروطها تطهير القلب بالكلية عما سوى الله تعالى ومفتاحها الجاري منها مجرى

التحرم فى الصلاة استغراق القلب بذكر الله وآخرها الفناء بالكلية فى الله تعالى وهو أقواها بالاضافة الى ماتحت الاختيار انتهى قال العراقي فلما نفذت كلمته وبعد صيته وعلت منزلته وشدت اليه الرحال وأذعنت له الرجال شرفت نفسه عن الدنيا واشتاقت إلى الآخرة فاطرحها وسعي فى طلب الباقية وكذلك النفوس الزكية كما قال عمر ابن عبد العزيز إن لى نفسا تواقة لما نالت الدنيا تاقت إلى الآخرة قال بعض العلماء رأيت الغزالي رضي الله عنه فى البرية وعليه مرقعة وبيده عكاز وركوة فقلت له يا إمام أليس التدريس ببغداد أفضل من هذا فنظر إلى شذرا وقال لما بزغ بدر السعادة فى فلك الارادة وظهرت شموس الوصل

تركت هوى ليلى وسعدى بمنزل * وعدت إلى مصحوب أول منزل
وناد تني الأشواق مهلا فهذه * منازل من تهوى رويدك فانزل

وطرق البوادى دون سلوكها كذلك لا يغنى علم تهذيب الأخلاق دون مباشرة التهذيب ولكن المباشرة دون العلم غير ممكن وقسم ثالث يجرى مجرى نفس الحج وأركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وأفعاله وجميع ماذكرناه فى تراجم علم المكاشفة وههنا نجاة وفوز بالسعادة والنجاة حاصلة لكل سالك للطريق اذا كان غرضه المقصد الحق وهو السلامة وأما الفوز بالسعادة فلا يناله الا العارفون بالله تعالى وهم المقربون المنعمون فى جوار الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم وأما الممنوعون دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال الله عز وجل ـ فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين ـ وكل من لم يتوجه الى المقصد ولم ينتهض له أو انتهض الى جهته لا على قصد الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من أصحاب الشمال ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم * واعلم إن هذا هو حق اليقين عند العلماء الراسخين أعني أنهم أدركوه بمشاهدة من الباطن هى أقوى وأجلى من مشاهدة الأبصار وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من أخبر فصدق ثم شاهد فحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان فالسعادة وراء علم المكاشفة وعلم المكاشفة وراء علم المعاملة التي هى سلوك طريق الآخرة وقطع عقبات الصفات وسلوك طريق محو الصفات المذمومة وراء علم الصفات وعلم طريق المعالجة وكيفية السلوك فى ذلك وراء علم سلامة البدن ومساعدة أسباب الصحة وسلامة البدن بالاجتماع والتظاهر والتعاون الذى يتوصل به الى الملبس والمطعم والمسكن وهو منوط بالسلطان وقانونه فى ضبط الناس على منهج العدل والسياسة فى ناصية الفقيه * وأما أسباب الصحة ففى ناصية الطبيب ومن قال العلم علمان علم الأبدان وعلم الأديان وأشار به الى الفقه أراد به العلوم الظاهرة الشائعة لا العلوم العزيزة الباطنة (فان قلت) لم شبهت علم الطب والفقه باعداد الزاد والراحلة فاعلم أن الساعي الى الله تعالى لينال قربه هو القلب دون البدن ولست أعني بالقلب اللحم المحسوس بل هو سر من أسرار الله عز وجل لا يدركه الحس ولطيفة من لطائفه تارة يعبر عنه بالروح وتارة بالنفس المطمئنة والشرع يعبر عنه بالقلب لأنه المطية الاولى لذلك السر وبواسطته صار جميع البدن مطية وآلة لتلك اللطيفة وكشف الغطاء عن ذلك السر من علم المكاشفة وهو مضنون به بل لا رخصة فى ذكره وغاية المأذون فيه أن يقال هو جوهر نفيس ودر عزيز أشرف من هذه الأجرام المرئية وانما هو أمر الهى كما قال تعالى ـ ويسئلونك عن الروح قل الروح من أمر ربى ـ وكل المخلوقات منسوبة الى الله تعالى ولكن نسبته أشرف من نسبة سائر أعضاء البدن فلله الخلق والأمر جميعا والأمر أعلى من الخلق وهذه الجوهرة النفيسة الحاملة لأمانة الله تعالى المتقدمة بهذه الرتبة على السموات والأرضين والجبال إذ أبين أن يحملنها وأشفقن منها من عالم الأمر ولا يفهم من هذا أنه تعريض بقدمها فان القائل بقدم الأرواح مغرور جاهل لا يدرى ما يقول فلنقبض عنان البيان عن هذا الفن فهو وراء مانحن بصدده والمقصود أن هذه اللطيفة هى الساعية الى قرب الرب لأنها من أمر الرب فمنه مصدرها واليه مرجعها وأما البدن فمطيتها التي تركبها وتسعى بواسطتها فالبدن لها فى طريق الله تعالى كالناقة للبدن فى طريق الحج وكالراوية الخازنة للماء الذى يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو من جملة مصالح المطية ولا يخفى أن الطب كذلك فانه قد يحتاج اليه فى حفظ الصحة على البدن ولو كان الانسان وحده لاحتاج اليه والفقه يفارقه فى انه لو كان الانسان وحده ربما كان يستغني عنه ولكنه خلق على وجه لا يمكنه أن يعيش وحده إذ لا يستقل بالسعي وحده فى تحصيل طعامه بالحراثة والزرع والخبز والطبخ وفى تحصيل الملبس والمسكن وفى اعداد آلات ذلك كله فاضطر الى المخالطة والاستعانة ومهما اختلط الناس وثارت شهواتهم تجاذبوا أسباب الشهوات وتنازعوا وتقاتلوا وحصل من قتالهم هلاكهم بسبب التنافس من خارج كما يحصل هلاكهم بسبب تضاد الأخلاط من داخل وبالطب يحفظ الاعتدال فى الأخلاط المتنازعة من داخل وبالسياسة والعدل يحفظ الاعتدال فى التنافس من خارج وعلم طريق اعتدال الأخلاط طب

وعلم

وعلم طريق اعتدال أحوال الناس فى المعاملات والأفعال فقه وكل ذلك لحفظ البدن الذى هو مطية فالمتجرد لعلم الفقه أو الطب اذا لم يجاهد نفسه ولا يصلح قلبه كالمتجرد لشراء الناقة وعلفها وشراء الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج والمستغرق عمره فى دقائق الكلمات التى تجرى فى مجادلات الفقه كالمستغرق عمره فى دقائق الأسباب التي بها تستحكم الخيوط التى تخرز بها الراوية للحج ونسبة هؤلاء من السالكين لطريق اصلاح القلب الموصل إلى علم المكاشفة كنسبة أولئك إلى سالكي طريق الحج أو ملابسي أركانه فتأمل هذا أولا واقبل النصيحة مجانا ممن قام عليه ذلك غاليا ولم يصل اليه الا بعد جهد جهيد وجراءة تامة على مباينة الخلق العامة والخاصة فى النزوع من تقليدهم بمجرد الشهوة فهذا القدر كاف فى وظائف المتعلم

﴿ بيان وظائف المرشد المعلم ﴾

اعلم أن للانسان في علمه أربعة أحوال كحاله فى اقتناء الأموال اذ لصاحب المال حال استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون منتفعا وحال بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو أشرف أحواله فكذلك العلم يقتنى كما يقتنى المال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر فى المحصل والتمتع به وحال تبصير وهو أشرف الاحوال فمن علم وعمل وعلم فهو الذي يدعي عظيما في ملكوت السموات فانه كالشمس تضيء لغيرها وهى مضيئة فى نفسها وكالمسك الذى يطيب غيره وهو طيب والذى يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذى يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع والأبرة التي تكسو غيرها وهى عارية وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهى تحترق كما قيل

ماهو الاذبالة وقدت ❊ تضيء للناس وهى تحترق

ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد أمرا عظيما وخطرا جسيما فليحفظ آدابه ووظائفه ﴿الوظيفة الاولى﴾ الشفقة على المتعلمين وأن يجريهم مجرى بنيه قال رسول الله ﷺ (١) انما أنا لكم مثل الوالد لولده بان يقصد انقاذهم من نار الآخرة وهو أهم من انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم أعظم من حق الوالدين فان الوالد سبب الوجود الحاضر والحياة الفانية والمعلم سبب الحياة الباقية ولولا المعلم لانساق ماحصل من جهة الأب الى الهلاك الدائم وانما المعلم هو المفيد للحياة الاخروية الدائمة أعني معلم علوم الآخرة أو علوم الدنيا على قصد الآخرة لا على قصد الدنيا فأما التعليم على قصد الدنيا فهو هلاك واهلاك نعوذ بالله منه وكما ان حق أبناء الرجل الواحد أن يتحابوا ويتعاونوا على المقاصد كلها فكذلك حق تلامذة الرجل الواحد التحاب والتوادد ولا يكون الا كذلك ان كان مقصدهم الآخرة ولا يكون الا التحاسد والتباغض ان كان مقصدهم الدنيا فان العلماء وأبناء الآخرة مسافرون الى الله تعالى وسالكون اليه الطريق من الدنيا وسنوها وشهورها منازل الطريق والترافق فى الطريق بين المسافرين الى الامصار سبب التوادد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الا على والترافق فى طريقه ولا ضيق فى سعادة الآخرة فلذلك لا يكون بين أبناء الآخرة تنازع ولا سعة فى سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم والعادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله تعالى ﴿انما المؤمنون اخوة﴾ وداخلون فى مقتضى قوله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين ﴿الوظيفة الثانية﴾ أن يقتدى بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على افادة العلم أجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله تعالى بزراعة العلوم فيها كالذى يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك زراعة فمنفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده منة وثوابك فى التعليم أكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى كما قال عز وجل ﴿ويا قوم لا أسئلكم

(١) حديث انما أنا لكم مثل الوالد لولده أبو داود والنسائى وابن ماجه وابن حبان من حديث أبى هريرة

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله على ماخصص وعمم وصلى الله على سيد جميع الانبياء المبعوث الى العرب والعجم وعلى آله وعترته وسلم كثيرا وكرم سألت يسرك الله لمراتب العلم تصعد مراقيها وقرب لك مقامات الولاية تحل معاليها عن بعض ماوقع فى الاملاء الملقب بالاحياء مما أشكل على من حجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشيء من الحظوظ الملكية قدحه وسهمه وأظهرت التحزن لما شاش به شركاء الطغام وأمثال الانعام واجماع العوام ❊ وسفهاء الاحلام وذعار أهل الاسلام حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة باطراحه ومنابذته ونسبوا ممليه الى ضلال واضلال ونبذوا قراءه ومنتحليه

عليه مالا ان أجري الا على الله فان المال وما في الدنيا خادم البدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم هو العلم اذ به شرف النفس فمن طلب بالعلم المال كان كمن مسح أسفل مداسه بوجهه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم مخدوما وذلك هو الانتكاس على أم الرأس ومثله هو الذي يقوم في العرض الأكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم وعلى الجملة فالفضل والمنة للمعلم فانظر كيف انتهى أمر الدين الى قوم يزعمون أن مقصودهم التقرب الى الله تعالى بما هم فيه من علم الفقه والكلام والتدريس فيهما وفي غيرهما فانهم يبذلون المال والجاه ويتحملون أصناف الذل في خدمة السلاطين لاستطلاق الجرايات ولو تركوا ذلك لتركوا ولم يختلف اليهم ثم يتوقع المعلم من المتعلم أن يقوم له في كل نائبة وينصر وليه ويعادي عدوه وينتهض جمارا له في حاجاته ومسخرا بين يديه في أوطاره فان قصر في حقه ثار عليه وصار من أعدى أعدائه فأخسس بعالم يرضى لنفسه بهذه المنزلة ثم يفرح بها ثم لا يستحيي من أن يقول غرضي من التدريس نشر العلم تقربا الى الله تعالى ونصرة لدينه فانظر الى الامارات حتى ترى ضروب الاغترارات ﴿الوظيفة الثالثة﴾ أن لا يدع من نصح المتعلم شيأ وذلك بأن يمنعه من التصدي لرتبة قبل استحقاقها والتشاغل بعلم خفي قبل الفراغ من الجلي ثم ينبهه على أن الغرض بطلب العلوم القرب الى الله تعالى دون الرياسة والمباهاة والمنافسة ويقدم تقبيح ذلك في نفسه بأقصى ما يمكن فليس ما يصلحه العالم الفاجر بأكثر مما يفسده فان علم من باطنه أنه لا يطلب العلم الا للدنيا نظر الى العلم الذي يطلبه فان كان هو علم الخلاف في الفقه والجدل في الكلام والفتاوى في الخصومات والاحكام فيمنعه من ذلك فان هذه العلوم ليست من علوم الآخرة ولا من العلوم التي قيل فيها تعلمنا العلم لغير الله فأبى العلم أن يكون الا لله وانما ذلك علم التفسير وعلم الحديث وما كان الاولون يشتغلون به من علم الآخرة ومعرفة أخلاق النفس وكيفية تهذيبها فاذا تعلمه الطالب وقصد به الدنيا فلا بأس أن يتركه فانه يثمر له طمعا في الوعظ والاستتباع ولكن قد يتنبه في أثناء الامر أو آخره اذ فيه العلوم المخوفة من الله تعالى المحقرة للدنيا المعظمة للآخرة وذلك يوشك أن يؤدي الى الصواب في الآخرة حتى يتعظ بما يعظ به غيره ويجري حب القبول والجاه مجرى الحب الذي ينثر حوالي الفخ ليقتنص به الطير وقد فعل الله ذلك بعباده اذ جعل الشهوة ليصل الخلق بها الى بقاء النسل وخلق أيضا حب الجاه ليكون سببا لاحياء العلوم وهذا متوقع في هذه العلوم فأما الخلافيات المحضة ومجادلات الكلام ومعرفة التفاريع الغريبة فلا يزيد التجرد لها مع الاعراض عن غيرها الا قسوة في القلب وغفلة عن الله تعالى وتماديا في الضلال وطلبا للجاه الا من تداركه الله تعالى برحمته أو مزج به غيره من العلوم الدينية ولا برهان على هذا كالتجربة والمشاهدة فانظر واعتبر واستبصر لتشاهد تحقيق ذلك في العباد والبلاد والله المستعان وقد رؤي سفيان الثوري رحمه الله حزينا فقيل له ما لك فقال صرنا متجرا لابناء الدنيا يلزمنا أحدهم حتى اذا تعلم جعل قاضيا أو عاملا أو قهرمانا ﴿الوظيفة الرابعة﴾ وهي من دقائق صناعة التعليم أن يزجر المتعلم عن سوء الاخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار اذ قال ﷺ وهو مرشد كل معلم (١) لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا ما نهينا عنه الا وفيه شيء وينبهك على هذا قصة آدم وحواء عليهما السلام وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل لتتنبه بها على سبيل العبرة ولأن التعريض أيضا يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته ﴿الوظيفة الخامسة﴾ أن المتكفل ببعض العلوم ينبغي أن لا يقبح في نفس المتعلم العلوم التي وراءه كمعلم اللغة اذ عادته تقبيح علم الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث والتفسير وأن ذلك نقل محض وسماع وهو شأن العجائز ولا نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع وهو كلام في حيض النسوان فأين ذلك من الكلام في صفة الرحمن فهذه أخلاق مذمومة

(١) حديث لو منع الناس عن فت البعر لفتوه الحديث لم أجده

بزيغ في الشريعة واختلال فالى الله انصرافهم ومآبهم وعليه في العرض الأكبر ايقافهم وحسابهم فستكتب شهادتهم ويسألون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ولو ردوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولكن الظالمون في شقاق بعيد ولا عجب فقد توى أدلاء الطريق وذهب أرباب التحقيق ولم يبق في الغالب الا أهل الزور والفسوق متشبثين بدعاوى كاذبة متصفين بحكايات موضوعة متزينين بصفات منمقة متظاهرين بظواهر من العلم فاسدة متعاطين لحجج غير صادقة كل ذلك لطلب الدنيا أو محبة ثناء أو مغالبة نظراء قد ذهبت المواصلة بينهم بالمروءة تألفوا جميعا على المنكر وعدمت النصائح بينهم في الامر وتصافوا بأسرهم على المداهنة والمنكر ان نصحتهم العلماء أغروا بهم وان

للمعلمين ينبغي أن يجتنب بل المتكفل بعلم واحد ينبغي أن يوسع على المتعلم طريق التعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم فينبغي أن يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة إلى رتبة ﴿الوظيفة السادسة﴾ أن يقتصر بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقي اليه مالا يبلغه عقله فينفره أو يخبط عليه عقله اقتداء في ذلك بسيد البشر ﷺ (١) حيث قال نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم فليبث اليه الحقيقة إذا علم أنه يستقل بفهمها وقال ﷺ ما أحد يحدث قوما بحديث لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة على بعضهم وقال علي رضي الله عنه وأشار الى صدره أن ههنا لعلوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق رضي الله عنه فقلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي أن يفشي العالم كل ما يعلم إلى كل أحد هذا إذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن أهلا للانتفاع به فكيف فيما لا يفهمه وقال عيسى عليه السلام لا تعلقوا الجواهر في أعناق الخنازير فان الحكمة خير من الجوهر ومن كرهها فهو شر من الخنازير ولذلك قيل كل لكل عبد بمعيار عقله وزن له بميزان فهمه حتى تسلم منه وينتفع بك وإلا وقع الانكار لتفاوت المعيار وسئل بعض العلماء عن شيء فلم يجب فقال السائل أما سمعت رسول الله ﷺ (٢) قال من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار فقال اترك اللجام واذهب فان جاء من يفقه وكتمته فليلجمني فقد قال الله تعالى ﴿ولا تؤتوا السفهاء أموالكم﴾ تنبيها على أن حفظ العلم ممن يفسده ويضره أولى وليس الظلم في اعطاء غير المستحق بأقل من الظلم في منع المستحق (شعر)

أأنثر درا بين سارحة النعم * فأصبح مخزونا براعية الغنم
لانهم أمسوا بجهل لقدره * فلا أنا أضحى أن أطوقه البهم
فان لطف الله اللطيف بلطفه * وصادفت أهلا للعلوم وللحكم
نشرت مفيدا واستفدت مودة * والا فمخزون لدي ومكتتم
فمن منح الجهال علما أضاعه * ومن منع المستوجبين فقد ظلم

﴿الوظيفة السابعة﴾ ان المتعلم القاصر ينبغي أن يلقى اليه الجلي اللائق به ولا يذكر له أن وراء هذا تدقيقا وهو يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش عليه قلبه ويوهم اليه البخل به عنه إذ يظن كل أحد أنه أهل لكل علم دقيق فما من أحد إلا وهو راض عن الله سبحانه في كمال عقله وأشدهم حماقة وأضعفهم عقلا هو أفرحهم بكمال عقله وبهذا يعلم أن من تقيد من العوام بقيد الشرع ورسخ في نفسه العقائد المأثورة عن السلف من غير تشبيه ومن غير تأويل وحسن مع ذلك سريرته ولم يحتمل عقله أكثر من ذلك فلا ينبغي أن يشوش عليه اعتقاده بل ينبغي أن يخلى وحرفته فانه لو ذكر له تأويلات الظاهر انحل عنه قيد العوام ولم يتيسر قيده بقيد الخواص فيرتفع عنه السد الذي بينه وبين المعاصي وينقلب شيطانا مريدا يهلك نفسه وغيره بل لا ينبغي أن يخاض مع العوام في حقائق العلوم الدقيقة بل يقتصر معهم على تعليم العبادات وتعليم الأمانة في الصناعات التي هم بصددها ويملأ قلوبهم من الرغبة والرهبة في الجنة والنار كما نطق به القرآن ولا يحرك عليهم شبهة فانه ربما تعلقت الشبهة بقلبه ويعسر عليه حلها فيشقى ويهلك وبالجملة لا ينبغي أن يفتح للعوام باب البحث فانه يعطل عليهم صناعاتهم التي بها قوام الخلق ودوام عيش الخواص ﴿الوظيفة الثامنة﴾ أن يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب قوله فعله لأن العلم يدرك بالبصائر والعمل يدرك بالابصار وأرباب الابصار أكثر فاذا خالف العمل العلم منع الرشد وكل من تناول شيأ وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك سخر الناس به واتهموه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه فيقولون

(١) حديث نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم الحديث رويناه في جزء من حديث أبي بكر بن الشخير من حديث عمر مختصرا منه وعند أبي داود من حديث عائشة أنزلوا الناس منازلهم

(٢) حديث من كتم علما نافعا جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار ابن ماجه من حديث أبي سعيد باسناد ضعيف وتقدم حديث أبي هريرة بنحوه

صمت عنهم العقلاء ازروا عليهم اولئك الجهال في علمهم الفقراء في طولهم البخلاء عن الله عزوجل بأنفسهم لا يفلحون ولا ينجح تابعهم ولذلك لا تظهر عليهم مواريث الصدق ولا تسطع حولهم أنوار الولاية ولا تحقق لديهم أعلام المعرفة ولا يستر عوراتهم لباس الخشية لأنهم لم ينالوا أحوال النقباء ومراتب النجباء وخصوصية البدلاء وكرامة الأوتاد وفوائد الاقطاب وفي هذه أسباب السعادة وتتمة الطهارة لو عرفوا انفسهم لظهر لهم الحق وعلموا علة أهل الباطل وداء اهل الضعف ودواء اهل القوة ولكن ليس هذا من بضائعهم حجبوا عن الحقيقة بأربع بالجهل والاصرار ومحبة الدنيا واظهار الدعوى فالجهل اورثهم السخف والاصرار اورثهم التهاون ومحبة الدنيا اورثتهم طول الغفلة واظهار الدعوى اورثهم الكبر والاعجاب والرياء والله من ورائهم محيط وهو على كل شيء شهيد فلا يغرنك أعاذنا الله

لولا أنه اطيب الاشياء وألذها لما كان يستأثر به ومثل المعلم المرشد من المسترشدين مثل النقش من الطين والظل من العود فكيف ينتقش الطين بما لا نقش فيه ومتى استوى الظل والعود أعوج ولذلك قيل فى المعنى

لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال الله تعالى ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم﴾ ولذلك كان وزر العالم فى معاصيه أكبر من وزر الجاهل إذ يزل بزلته عالم كثير ويقتدون به ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها ولذلك قال على رضى الله عنه قصم ظهرى رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس بتنسكه والعالم يغرهم بتهتكه والله أعلم

﴿الباب السادس فى آفات العلم وبيان علامات علماء الآخرة والعلماء السوء﴾

قد ذكرنا ماورد من فضائل العلم والعلماء وقد ورد فى العلماء السوء تشديدات عظيمة دلت على أنهم أشد الخلق عذابا يوم القيامة فمن المهمات العظيمة معرفة العلامات الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعنى بعلماء الدنيا علماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا والتوصل الى الجاه والمنزلة عند أهلها قال ﷺ ان أشد الناس عذابا يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه وعنه ﷺ (١) انه قال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا وقال ﷺ (٢) العلم علمان علم على اللسان فذلك حجة الله تعالى على خلقه وعلم فى القلب فذلك العلم النافع وقال ﷺ (٣) يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال ﷺ (٤) لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا به وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو فى النار وقال ﷺ من كتم علما عنده ألجمه الله بلجام من نار وقال ﷺ (٥) لأنا من غير الدجال أخوف عليكم من الدجال فقيل وماذلك فقال من الأئمة المضلين وقال ﷺ (٦) من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا وقال عيسى عليه السلام إلى متى تصفون الطريق للمدلجين وأنتم مقيمون مع المتحيرين فهذا وغيره من الأخبار يدل على عظيم خطر العلم فان العالم اما متعرض لهلاك الأبد أو لسعادة الأبد وانه بالخوض فى العلم قد حرم السلامة ان لم يدرك السعادة * وأما الآثار فقد قال عمر رضى الله عنه ان أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم قالوا وكيف يكون منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال الحسن رحمه الله لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجرى فى العمل مجرى السفهاء وقال رجل لأبى هريرة رضى الله عنه أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه فقال كفى بترك العلم إضاعة له وقيل لابراهيم بن عيينة أى الناس أطول ندما قال أما فى عاجل الدنيا فصانع المعروف إلى من لا يشكره وأما عند الموت فعالم مفرط وقال الخليل بن أحمد الرجال أربعة رجل يدرى ويدرى أنه يدرى فذلك عالم فاتبعوه ورجل يدرى ولا يدرى أنه يدرى فذلك نائم فأيقظوه ورجل لا يدرى ويدرى أنه لا يدرى فذلك مسترشد فأرشدوه ورجل لا يدرى ولا يدرى أنه لا يدرى فذلك جاهل

﴿الباب السادس﴾

(١) حديث لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا ابن حبان فى كتاب روضة العقلاء والبيهقى فى المدخل موقوفا على أبى الدرداء ولم أجده مرفوعا (٢) حديث العلم علمان علم على اللسان الحديث الترمذى الحكيم فى النوادر وابن عبد البر من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب فى التاريخ من رواية الحسن عن جابر باسناد جيد وأعله ابن الجوزى (٣) حديث يكون فى آخر الزمان عباد جهال وعلماء فسقة الحاكم من حديث أنس وهو ضعيف (٤) حديث لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء الحديث ابن ماجه من حديث جابر باسناد صحيح (٥) حديث غير الدجال أخوف عليكم من الدجال الحديث أحمد من حديث أبى ذر باسناد جيد (٦) حديث من ازداد علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله إلا بعدا أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس وحديث على باسناد ضعيف إلا انه قال زهدا وروى ابن حبان فى روضة العقلاء موقوفا على الحسن من ازداد علما ثم ازداد على الدنيا حرصا لم يزدد من الله إلا بعدا وروى أبو الفتح الازدى فى الضعفاء من حديث على من ازداد بالله علما

من سوء أعمالهم شيطانهم فكأن قد جمع الخلائق فى صعيد وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وتلى لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد فياله من موقف قد أذهل ذوى العقول عن القال والقيل ومتابعة الاباطيل فأعرض عن الجاهلين ولا تطع كل أفاك أثيم وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت أن تبتغى نفقا فى الأرض اوسلما فى السماء فتأتيهم بآية ولوشاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين ولوشاء ربك لجعل الناس امة واحدة فاصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين كل شىء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون ولقد جئناك بحول الله وقوته وبعد استخارته عما سألت عنه وخاصة

فارفضوه وقال سفيان الثوري رحمه الله يهتف العلم بالعمل فان أجابه وإلا ارتحل وقال ابن المبارك لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن أنه قد علم فقد جهل وقال الفضيل بن عياض رحمه الله إني لأرحم ثلاثة عزيز قوم ذل وغني قوم افتقر وعالما تلعب به الدنيا وقال الحسن عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة وأنشدوا

عجبت لمبتاع الضلالة بالهدى * ومن يشتري دنياه بالدين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه * بدنيا سواه فهو من ذين أعجب

وقال صلى الله عليه وسلم (١) ان العالم ليعذب عذابا يطيف به أهل النار استعظاما لشدة عذابه أراد به العالم الفاجر وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) يقول يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى فيطيف به أهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه وأنهى عن الشر وآتيه وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصى عن علم ولذلك قال الله عز وجل ـ ان المنافقين في الدرك الأسفل من النار ـ لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شرا من النصارى مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه ولدا ولا قالوا انه ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله ـ يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴿وقال تعالى ـ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين﴾ وقال تعالى في قصة بلعام بن باعوراء ﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين﴾ حتى قال ﴿فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث﴾ فكذلك العالم الفاجر فان بلعام أوتي كتاب الله تعالى فأخلد الى الشهوات فشبه بالكلب أي سواء أوتي الحكمة أو لم يؤت فهو يلهث الى الشهوات وقال عيسى عليه السلام مثل علماء السوء كمثل صخرة وقعت على فم النهر لا هي تشرب الماء ولا هي تترك الماء يخلص الى الزرع ومثل علماء السوء مثل قناة الحش ظاهرها جص وباطنها نتن ومثل القبور ظاهرها عامر وباطنها عظام الموتى فهذه الاخبار والآثار تبين أن العالم الذي هو من أبناء الدنيا أخس حالا وأشد عذابا من الجاهل وأن الفائزين المقربين هم علماء الآخرة ولهم علامات * فمنها أن لا يطلب الدنيا بعلمه فان أقل درجات العالم أن يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها وانصرامها وعظم الآخرة ودوامها وصفاء نعيمها وجلالة ملكها ويعلم أنهما متضادتان وأنهما كالضرتين مهما أرضيت إحداهما أسخطت الأخرى وانهما ككفتي الميزان مهما رجحت إحداهما خفت الأخرى وأنهما كالمشرق والمغرب مهما قربت من أحدهما بعدت عن الآخر وأنهما كقدحين أحدهما مملوء والآخر فارغ فبقدر ما تصب منه في الآخر حتى يمتلئ يفرغ الآخر فان من لا يعرف حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها بالمها ثم انصرام ما يصفو منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة والتجربة ترشد الى ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن لا يعلم عظم أمر الآخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون من العلماء من لا إيمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للآخرة وان الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشرائع الانبياء كلهم بل هو كافر بالقرآن كله من أوله الى آخره فكيف يعد من زمرة العلماء ومن علم هذا كله ثم لم يؤثر الآخرة على الدنيا فهو أسير الشيطان قد أهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من حزب العلماء من هذه درجته وفي أخبار داود عليه السلام حكاية عن الله تعالى ان أدنى ما أصنع بالعالم اذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي يا داود لا تسأل عني عالما قد أسكرته الدنيا فيصدك عن طريق محبتي أولئك قطاع الطريق على عبادي يا داود اذا رأيت لي طالبا فكن له خادما يا داود من رد إلي هاربا كتبته جهبذا ومن كتبته جهبذا لم أعذبه أبدا ولذلك قال الحسن رحمه الله عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة ولذلك قال يحيى بن معاذ انما يذهب بهاء العلم والحكمة

ثم ازداد للدنيا حبا ازداد الله عليه غضبا (١) حديث ان العالم يعذب عذابا يطيف به أهل النار الحديث لم أجده بهذا اللفظ وهو معنى حديث أسامة المذكور بعده (٢) حديث أسامة بن زيد يؤتى بالعالم يوم القيامة ويلقى في النار فتندلق أقتابه الحديث متفق عليه بلفظ الرجل بدل العالم

ما زعمت فيه من تخصيص الكلام بالمثل الذي ذكر فيه الاقلام إذ قد اتفق أن يكون أشهر ما في الكتاب وأكثر تسيرا على ألسنة الصادر والوارد والاصحاب حتى لقد صار المثل المذكور في المجالس تحية الداخل وحديث الجالس فساعدتنا أمنيتك ولولا العجلة والاشتغال لأضفنا الى املائنا هذا بيانا لغيره مما عدوه مشكلا وصار لعقولهم الضعيفة مخبلا ومضللا ونحن نستعيذ بالله من الشيطان ونستعصم به من جراءة فقهاء الزمان ونتضرع اليه في المزيد من الاحسان انه الجواد المنان ﴿ ذكر مراسم الاسئلة في المثل ﴾ ذكرت رزقك الله ذكره وجعلك تعقل نهيه وأمره كيف جاز انقسام التوحيد على أربعة مراتب ولفظة التوحيد تنافي التقسيم في المشهود كما ينافي التكرير التعديد وان صح انقسامه على وجه لا يندفع فهل تصح تلك القسمة فيما يوجد أو فيما يقدر ورغبت مزيد البيان في تحقيق كل مرتبة وانقسام طبقات أهلها فيها ان

اذا طلب بهما الدنيا وقال سعيد بن المسيب رحمه الله اذا رأيتم العالم يغشى الأمراء فهو لص وقال عمر رضي الله عنه اذا رأيتم العالم محبا للدنيا فاتهموه على دينكم فان كل محب يخوض فيما أحب وقال مالك بن دينار رحمه الله قرأت فى بعض الكتب السالفة ان الله تعالى يقول ان أهون ما أصنع بالعالم اذا أحب الدنيا أن أخرج حلاوة مناجاتى من قلبه وكتب رجل الى أخ له إنك قد أوتيت علما فلا تطفئن نور علمك بظلمة الذنوب فتبقى فى الظلمة يوم يسعى أهل العلم فى نور علمهم وكان يحيي بن معاذ الرازى رحمه الله يقول لعلماء الدنيا يا أصحاب العلم قصوركم قيصرية وبيوتكم كسروية وأثوابكم ظاهرية وأخفافكم جالوتية ومراكبكم قارونية وأوانيكم فرعونية ومآثمكم جاهلية ومذاهبكم شيطانية فأين الشريعة المحمدية قال الشاعر

وراعي الشاة يحمي الذئب عنها * فكيف اذا الرعاة لها ذئاب

وقال آخر يامعشر القراء ياملح البلد * ما يصلح الملح اذا الملح فسد

وقيل لبعض العارفين أترى أن من تكون المعاصى قرة عينه لا يعرف الله فقال لا أشك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى وهذا دون ذلك بكثير ولا تظنن أن ترك المال يكفى فى اللحوق بعلماء الآخرة فان الجاه أضر من المال ولذلك قال بشر حدثنا باب من أبواب الدنيا فاذا سمعت الرجل يقول حدثنا فانما يقول أوسعوا لى ودفن بشر بن الحرث بضعة عشر ما بين قمطرة وقوصرة من الكتب وكان يقول أنا أشتهى أن أحدث ولو ذهبت عنى شهوة الحديث لحدثت وقال هو وغيره اذا اشتهيت أن تحدث فاسكت فاذا لم تشته فحدث وهذا لان التلذذ بجاه الافادة ومنصب الارشاد أعظم لذة من كل تنعم فى الدنيا فمن أجاب شهوته فيه فهو من أبناء الدنيا ولذلك قال الثورى فتنة الحديث أشد من فتنة الأهل والمال والولد وكيف لا تخاف فتنته وقد قيل لسيد المرسلين ﷺ ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيأ قليلا﴾ وقال سهل رحمه الله العلم كله دنيا والآخرة منه العمل به والعمل كله هباء إلا الاخلاص وقال الناس كلهم موتى إلا العلماء والعلماء سكارى إلا العاملين والعاملون كلهم مغرورون إلا المخلصين والمخلص على وجل حتى يدرى ماذا يختم له به وقال أبو سليمان الدارانى رحمه الله اذا طلب الرجل الحديث أو تزوج أو سافر فى طلب المعاش فقد ركن الى الدنيا وانما أراد به طلب الأسانيد العالية أو طلب الحديث الذى لا يحتاج اليه فى طلب الآخرة وقال عيسى عليه السلام كيف يكون من أهل العلم من مسيره الى آخرته وهو مقبل على طريق دنياه وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به وقال صالح بن كيسان البصرى أدركت الشيوخ وهم يتعوذون بالله من الفاجر العالم بالسنة وروى أبو هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) من طلب علما مما يبتغي به وجه الله تعالى ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد فقال عز وجل فى علماء الدنيا ﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا﴾ وقال تعالى فى علماء الآخرة ﴿وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم﴾ وقال بعض السلف العلماء يحشرون فى زمرة الأنبياء والقضاة يحشرون فى زمرة السلاطين وفى معنى القضاة كل فقيه قصده طلب الدنيا بعلمه وروى أبو الدرداء رضى الله عنه عن النبي ﷺ (٢) أنه قال أوحى الله عز وجل الى بعض الانبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين و يتعلمون لغير العمل و يطلبون الدنيا بعمل الآخرة يلبسون للناس مسوك الكباش وقلوبهم كقلوب الذئاب ألسنتهم أحلى من العسل وقلوبهم أمر من الصبر إياى يخادعون وبى يستهزئون لأفتحن لهم فتنة تذر الحليم

(١) حديث أبى هريرة من طلب علما مما يبتغي به وجه الله ليصيب به عرضا الحديث أبى داود وابن ماجه باسناد جيد. (٢) حديث أبى الدرداء أوحى الله الى بعض الأنبياء قل للذين يتفقهون لغير الدين الحديث ابن عبد البر

حيرانا

إفشاؤه وما معنى قول أهل هذا الشأن إفشاء سر الربوبية كفر أين أصل ماقالوه فى الشرع إذ الايمان والكفر والهداية والضلال والتقريب والتبعيد والصديقية وسائر مقامات الولاية ودركات المخالفة إنما هى مآخذ شرعية وأحكام نبوية وكيف يتصور مخاطبة العقلاء الجمادات ومخاطبة الجمادات للعقلاء وبماذا تسمع تلك المخاطبة أبحاسة الآذان أم بسمع القلب وماالفرق بين القلم المحسوس والقلم الالهى وماحد عالم الملك وعالم الجبروت وحد عالم الملكوت ومامعنى أن الله تعالى خلق آدم على صورته وما الفرق بين الصورة الظاهرة التى يكون معتقدها منزها مجللا وما معنى الطريق فى فانك بالوادى المقدس طوى ولعله بغداد أو أصبهان أو نيسابور أو طبرستان فى غير الوادى

حيرا ناوروى الضحاك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ علماء (١) هذه الامة رجلان رجل آتاه الله علما فبذله للناس ولم يأخذ عليه طمعا ولم يشتر به ثمنا فذلك يصلى عليه طير السماء وحيتان الماء ودواب الارض والكرام الكاتبون يقدم على الله عز وجل يوم القيامة سيدا شريفا حتى يرافق المرسلين ورجل آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباد الله وأخذ عليه طمعا واشترى به ثمنا فذلك يأتى يوم القيامة ملجما بلجام من نار ينادى مناد على رؤس الخلائق هذا فلان بن فلان آتاه الله علما فى الدنيا فضن به على عباده وأخذ به طمعا واشترى به ثمنا فيعذب حتى يفرغ من حساب الناس وأشد من هذا ماروى أن رجلا كان يخدم موسى عليه السلام فجعل يقول حدثنى موسى صفى الله حدثنى موسى نجى الله حدثنى موسى كليم الله حتى أثرى وكثر ماله ففقده موسى عليه السلام فجعل يسأل عنه ولا يحس له خبرا حتى جاءه رجل ذات يوم وفى يده خنزير وفى عنقه حبل أسود فقال له موسى عليه السلام أتعرف فلانا قال نعم هو هذا الخنزير فقال موسى يارب أسألك أن ترده إلى حاله حتى أسأله بم أصابه هذا فأوحى الله عز وجل اليه لودعوتنى بالذى دعانى به آدم فمن دونه ماأجبتك فيه ولكن أخبرك لم صنعت هذا به لأنه كان يطلب الدنيا بالدين * وأغلظ من هذا ماروى معاذ بن جبل رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا فى رواية عن النبى ﷺ (٢) قال من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع وفى الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ وفى الصمت سلامة وعلم ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك فى الدرك الاول من النار ومن العلماء من يكون فى علمه بمنزلة السلطان ان رد عليه شىء من علمه أو تهاون بشىء من حقه غضب فذلك فى الدرك الثانى من النار ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لاهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلا فذلك فى الدرك الثالث من النار ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلفين فذلك فى الدرك الرابع من النار ومن العلماء من يتكلم بكلام اليهود والنصارى ليغزر به علمه فذلك فى الدرك الخامس من النار ومن العلماء من يتخذ علمه مروءة ونبلا وذكرا فى الناس فذلك فى الدرك السادس من النار ومن العلماء من يستفزه الزهو والعجب فان وعظ عنف وان وعظ أنف فذلك فى الدرك السابع من النار فعليك يا أخى بالصمت فيه تغلب الشيطان وإياك أن تضحك من غير عجب أو تمشى فى غير أرب وفى خبر آخر (٣) إن العبد لينشر له من الثناء ما يملأ ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة وروى أن الحسن حمل اليه رجل من خراسان كيسا بعد انصرافه من مجلسه فيه خمسة آلاف درهم وعشرة أثواب من رقيق البز وقال يا أباسعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن عافاك الله تعالى ضم اليك نفقتك وكسوتك فلا حاجة لنا بذلك انه من جلس مثل مجلسى هذا وقبل من الناس مثل هذا لقى الله تعالى يوم القيامة ولا خلاق له وعن جابر رضى الله عنه موقوفا ومرفوعا قال قال رسول الله ﷺ (٤) لا تجلسوا عند كل عالم الا إلى عالم يدعوكم من خمس الى خمس من الشك الى اليقين ومن الرياء الى الاخلاص ومن الرغبة الى الزهد ومن الكبر الى التواضع ومن العداوة الى النصيحة قال تعالى ﴿فخرج على قومه فى زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا ياليت لنا مثل ماأوتى قارون انه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن﴾ الآية فعرف أهل العلم بايثار الآخرة على الدنيا * ومنها أن لا يخالف فعله قوله بل لا يأمر بالشىء ما لم يكن هو أول عامل به

---

(١) حديث ابن عباس علماء هذه الأمة رجلان الحديث الطبرانى فى الأوسط باسناد ضعيف (٢) حديث معاذ من فتنة العالم أن يكون الكلام أحب اليه من الاستماع الحديث أبو نعيم وابن الجوزى فى الموضوعات باسناد صحيح

(٣) حديث ان العبد لينشر له من الثناء ما بين المشرق والمغرب وما يزن عند الله جناح بعوضة لم أجده هكذا وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة انه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة (٤) حديث جابر لا تجلسوا عند كل عالم الحديث أبو نعيم فى الحلية وابن الجوزى فى الموضوعات

الذى سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى ومامعنى فاستمع بسر قليل لما يوحى وهل يكون سماع القلب بغير سره وكيف يسمع لما يوحى ممن ليس بنبي أذلك على طريق التعميم أم على سبيل التخصيص ومن له بالتسلق الى مثل ذلك المقام حتى يسمع أسرار الاله وان كان على سبيل التخصيص والنبوة ليست محجورة على أحد الاعلى من قصر عن سلوك تلك الطريق وما يسمع فى النداء اذا سمع هل أسمع موسى أو أسمع نفسه وما معنى الامر للسالك بالرجوع من عالم القدرة ونهيه عن ان يتخطى رقاب الصديقين وما الذى أوصله الى مقامهم وهو فى المرتبة الثالثة وهى توحيد المقربين وما معنى انصراف السالك بعد وصوله الى ذلك الرفيق والى أين وجهته فى الانصراف وكيف صفة انصرافه وما الذى يمنعه من البقاء فى الموضع الذى وصل اليه وهو أرفع من الذى خلفه وأين هذا من قول أبى سليمان الدارانى المذكور

قال الله تعالى ﴿ أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ﴾ وقال تعالى ﴿ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون ﴾ وقال تعالى فى قصة شعيب ﴿ وما أريد أن أخالفكم الى ما أنهاكم عنه ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله ﴾ وقال تعالى ﴿ واتقوا الله واعلموا ﴾ ﴿ واتقوا الله واسمعوا ﴾ وقال تعالى لعيسى عليه السلام ﴿ يا ابن مريم عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا فاستحى منى ﴾ (١) وقال رسول الله ﷺ مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت من أنتم فقالوا كنا نأمر بالخير ولا نأتيه وننهى عن الشر ونأتيه وقال ﷺ (٢) هلاك أمتى عالم فاجر وعابد جاهل وشر الشرار شرار العلماء وخير الخيار خيار العلماء وقال الاوزاعى رحمه الله شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فأوحى الله اليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال الفضيل بن عياض رحمه الله بلغنى أن الفسقة من العلماء أن يبدأ بهم يوم القيامة قبل عبدة الاوثان وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وقال الشعبى يطلع يوم القيامة قوم من أهل الجنة على قوم من أهل النار فيقولون لهم ما أدخلكم النار وانما أدخلنا الله الجنة بفضل تأديبكم وتعليمكم فيقولون انا كنا نأمر بالخير ولا نفعله وننهى عن الشر ونفعله وقال حاتم الأصم رحمه الله ليس فى القيامة أشد حسرة من رجل علم الناس علما فعملوا به ولم يعمل هو به ففازوا بسببه وهلك هو وقال مالك بن دينار ان العالم اذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا وأنشدوا

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما * اذ عبت منهم أمورا أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهدا * فالموبقات لعمرى أنت جانيها
تعيب دنيا وناسا راغبين لها * وأنت أكثر منهم رغبة فيها

(وقال آخر)
لا تنه عن خلق وتأتى مثله * عار عليك اذا فعلت عظيم

وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله مررت بحجر بمكة مكتوب عليه اقلبنى تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب علم ما لم تعلم وقال ابن السماك رحمه الله كم من مذكر بالله ناس لله وكم من مخوف بالله جرىء على الله وكم من مقرب الى الله بعيد من الله وكم من داع الى الله فار من الله وكم من تال كتاب الله منسلخ عن آيات الله وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله لقد أعربنا فى كلامنا فلم نلحن ولحنا فى أعمالنا فلم نعرب وقال الاوزاعى اذا جاء الاعراب ذهب الخشوع وروى مكحول عن عبد الرحمن بن غنم أنه قال حدثنى عشرة من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا كنا ندرس العلم فى مسجد قباء اذ خرج علينا رسول الله ﷺ (٣) فقال تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا وقال عيسى عليه السلام مثل الذى يتعلم العلم ولا يعمل به كمثل امرأة زنت فى السر فحملت فظهر حملها فافتضحت فكذلك من لا يعمل بعلمه يفضحه الله تعالى يوم القيامة على رؤس الاشهاد وقال معاذ رحمه الله أحذروا زلة العالم لان قدره عند الخلق عظيم فيتبعونه على زلته وقال عمر رضى الله عنه اذا زل العالم زل بزلته عالم من الخلق وقال عمر رضى الله عنه ثلاث بهن ينهدم الزمان احداهن زلة العالم وقال ابن مسعود سيأتى على الناس زمان تملح فيه عذوبة القلوب فلا ينتفع بالعلم يومئذ عالمه ولا متعلمه فتكون قلوب علمائهم مثل السباخ من ذوات الملح ينزل عليها قطر السماء فلا يوجد لها عذوبة وذلك اذا مالت قلوب العلماء الى حب الدنيا وايثارها على الآخرة فعند ذلك يسلبها الله تعالى ينابيع الحكمة ويطفىء مصابيح الهدى من قلوبهم فيخبرك عالمهم

(١) حديث مررت ليلة أسرى بى بأقوام تقرض شفاههم بمقاريض من نار الحديث ابن حبان من حديث أنس (٢) حديث هلاك أمتى عالم فاجر وشر الشرار شرار العلماء الحديث الدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن أبيه مرسلا بآخر الحديث نحوه وقد تقدم ولم أجد صدر الحديث (٣) حديث عبد الرحمن بن غنم عن عشرة من الصحابة تعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله حتى تعملوا علقه ابن عبد البر وأسنده ابن عدى وأبو نعيم والخطيب فى كتاب اقتضاء العلم للعمل من حديث معاذ فقط بسند ضعيف ورواه الدارمى موقوفا على معاذ بسند صحيح

العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة عليه كان ذلك بخلا يناقض الجود وعجزا يناقض القدرة الالهية وما حكم هذه العلوم المكنونة هل طلبها فرض ومندوب اليه أو غير ذلك ولم كتبت المشكل من الألفاظ واللغز من العبارات وان جاز ذلك للشارع فماله أن يختبر به ويمتحن فما بال من ليس شارعا انتهى جملة مراسم الاسئلة فى المشكل فاسأل الله تعالى أن يملى علينا ما هو الحق عنده فى ذلك وان يجرى على السنتنا ما يستضاء به فى ظلمات المسالك وان يعم بنفعه أهل المبادى والمدارك ثم لا بد أن أمهد مقدمة وأؤكد قاعدة وأؤكد وصية * أما المقدمة فالغرض بها تبيين عبارات انفرد بها أرباب

حين تلقاه أنه يخشى الله بلسانه والفجور ظاهر في عمله فما أخصب الألسن يومئذ وما أجدب القلوب فوالله الذي لا إله إلا هو ما ذلك إلا لأن المعلمين علموا لغير الله تعالى والمتعلمين تعلموا لغير الله تعالى وفي التوراة والإنجيل مكتوب لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما علمتم وقال حذيفة رضي الله عنه إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا وذلك لكثرة البطالين * واعلم أن مثل العالم مثل القاضي وقد قال ﷺ (١) القضاة ثلاثة قاض قضى بالحق وهو يعلم فذلك في الجنة وقاض قضى بالجور وهو يعلم أو لا يعلم فهو في النار وقاض قضى بغير ما أمر الله به فهو في النار وقال كعب رحمه الله يكون في آخر الزمان علماء يزهدون الناس في الدنيا ولا يزهدون ويخوفون الناس ولا يخافون وينهون عن غشيان الولاة ويأتونهم ويؤثرون الدنيا على الآخرة يأكلون بألسنتهم يقربون الأغنياء دون الفقراء يتغايرون على العلم كما تتغاير النساء على الرجال يغضب أحدهم على جليسه إذا جالس غيره أولئك الجبارون أعداء الرحمن وقال ﷺ (٢) إن الشيطان ربما يسوفكم بالعلم فقيل يا رسول الله وكيف ذلك قال ﷺ يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال للعلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل وقال سري السقطي اعتزل رجل للتعبد كان حريصا على طلب علم الظاهر فسألته فقال رأيت في النوم قائلا يقول لي إلى كم تضيع العلم ضيعك الله فقلت إني لأحفظه فقال حفظ العلم العمل به فتركت الطلب وأقبلت على العمل وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية إنما العلم الخشية وقال الحسن تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتى تعملوا فإن السفهاء همتهم الرواية والعلماء همتهم الرعاية وقال مالك رحمه الله إن طلب العلم لحسن وإن نشره لحسن إذا صحت فيه النية ولكن انظر ما يلزمك من حين تصبح إلى حين تمسي فلا تؤثرن عليه شيئا وقال ابن مسعود رضي الله عنه أنزل القرآن ليعمل به فاتخذتم دراسته عملا وسيأتي قوم يثقفونه مثل القناة ليسوا بخياركم والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذائذ الأطعمة ولا يجدها وفي مثله قوله تعالى {ولكم الويل مما تصفون} وفي الخبر (٣) إنما أخاف على أمتي زلة عالم وجدال منافق في القرآن * ومنها أن تكون عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعات مجتنبا للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال من يعرض عن علم الأعمال ويشتغل بالجدال مثل رجل مريض به علل كثيرة وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشى فواته فاشتغل بالسؤال عن خاصية العقاقير والأدوية وغرائب الطب وترك مهمه الذي هو مؤاخذ به وذلك محض السفه وقد روي (٤) أن رجلا جاء رسول الله ﷺ فقال علمني من غرائب العلم فقال له ما صنعت في رأس العلم فقال وما رأس العلم قال ﷺ هل عرفت الرب تعالى قال نعم قال فما صنعت في حقه قال ما شاء الله فقال ﷺ هل عرفت الموت قال نعم قال فما أعددت له قال ما شاء الله قال ﷺ اذهب فاحكم ما هناك ثم تعال نعلمك من غرائب العلم * بل ينبغي أن يكون المتعلم من جنس ما روي عن حاتم الأصم تلميذ شقيق البلخي رضي الله عنهما أنه قال له شقيق منذ كم صحبتني قال حاتم منذ ثلاث وثلاثين سنة قال فما تعلمت مني في هذه المدة قال ثماني مسائل قال شقيق له إنا لله وإنا إليه راجعون ذهب عمري معك ولم تتعلم إلا ثماني مسائل قال يا أستاذ لم أتعلم غيرها وإني لا أحب أن أكذب فقال هات هذه الثماني مسائل حتى أسمعها قال حاتم نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه إلى القبر فإذا وصل إلى القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فإذا دخلت

(١) حديث القضاة ثلاثة الحديث أصحاب السنن من حديث بريدة وهو صحيح (٢) حديث إن الشيطان ربما سبقكم بالعلم الحديث في الجامع من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث إنما أخاف على أمتي زلة عالم الحديث الطبراني من حديث أبي الدرداء ولابن حبان نحوه من حديث عمران بن حصين (٤) حديث إن رجلا جاء إلى رسول الله ﷺ فقال علمني من غرائب العلم الحديث ابن السني وأبو نعيم في كتاب الرياضة لهما وابن عبد البر من حديث عبد الله بن المسور مرسلا وهو ضعيف جدا

الطريق تغمض معانيها على أهل القصور فنذكر ما يغمض منها ونذكر المقصد بها عندهم فرب واقف على ما يكون من كلامنا مختصا بهذا الفن في هذا وغيره فيتوقف عليه فهم معناه من جهة اللفظ وأما القاعدة فنذكر فيها الاسم الذي يكون سلوكنا في هذه العلوم عليه والسمت الذي ننوي بمقصدنا إليه ليكون ذلك أقرب على المتأمل وأسهل على الناظر المتفهم وأما الوصية فنقصد فيها تعريف ما على من نظر في كلام الناس وأخذ نفسه بالاطلاع على أغراضهم فيما ألفوه من تصانيفهم وكيف يكون نظره فيها واطلاعه عليها واقتباسه منها فذلك أوكد عليه أن يتعلمه من ظهورها فشردوا عنها وغلقت في وجوههم الأبواب وأسدل دونهم الحجاب ولو أتوها من أبوابها بالترحيب وولجوا على الرضا بالحبيب لكشف لهم كثيرا من حجب الغيوب والله يهدي من يشاء إلى صراط.

القبر دخل محبوبي معي فقال أحسنت يا حاتم فما الثانية فقال نظرت في قول الله عز وجل ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ فعلمت أن قوله سبحانه وتعالى هو الحق فأجهدت نفسي في دفع الهوى حتى استقرت على طاعة الله تعالى الثالثة أني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل من معه شيء له قيمة ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت الى قول الله عز وجل ﴿ما عندكم ينفد وما عند الله باق﴾ فكلما وقع معي شيء له قيمة ومقدار وجهته الى الله ليبقى عنده محفوظا * الرابعة أني نظرت الى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يرجع الى المال والى الحسب والشرف والنسب فنظرت فيها فاذا هي لا شيء ثم نظرت الى قول الله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ فعملت في التقوى حتى أكون عند الله كريما * الخامسة أني نظرت الى هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن بعضهم بعضا وأصل هذا كله الحسد ثم نظرت الى قول الله عز وجل ﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا﴾ فتركت الحسد واجتنبت الخلق وعلمت أن القسمة من عند الله سبحانه وتعالى فتركت عداوة الخلق عني السادسة نظرت الى هذا الخلق يبغي بعضهم على بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الى قول الله عز وجل ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ فعاديته وحده واجتهدت في أخذ حذري منه لان الله تعالى شهد عليه أنه عدو لي فتركت عداوة الخلق غيره * السابعة نظرت إلى هذا الخلق فرأيت كل واحد منهم يطلب هذه الكسرة فيذل فيها نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت إلى قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها فعلمت أني واحد من هذه الدواب التي على الله رزقها فاشتغلت بما لله تعالى علي وتركت مالي عنده * الثامنة نظرت إلى هذا الخلق فرأيتهم كلهم متوكلين على مخلوق هذا على ضيعته وهذا على تجارته وهذا على صناعته وهذا على صحة بدنه وكل مخلوق متوكل على مخلوق مثله فرجعت إلى قوله تعالى ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾ فتوكلت على الله عز وجل فهو حسبي قال شقيق يا حاتم وفقك الله تعالى فاني نظرت في علوم التوراة والانجيل والزبور والفرقان العظيم فوجدت جميع أنواع الخير والديانة وهي تدور على هذه الثمان مسائل فمن استعملها فقد استعمل الكتب الاربعة فهذا الفن من العلم لا يهتم بادراكه والتفطن له الا علماء الآخرة فأما علماء الدنيا فيشتغلون بما يتيسر به اكتساب المال والجاه ويهملون أمثال هذه العلوم التي بعث الله بها الأنبياء كلهم عليهم السلام وقال الضحاك بن مزاحم أدركتهم وما يتعلم بعضهم من بعض إلا الورع وهم اليوم ما يتعلمون إلا الكلام * ومنها أن يكون غير مائل إلى الترفه في المطعم والمشرب والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث والمسكن بل يؤثر الاقتصاد في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف رحمهم الله تعالى ويميل إلى الاكتفاء بالأقل في جميع ذلك وكلما ازداد إلى طرف القلة ميله ازداد من الله قربه وارتفع في علماء الآخرة حزبه * ويشهد لذلك ما حكي عن أبي عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم الاصم قال دخلت مع حاتم إلى الري ومعنا ثلثمائة وعشرون رجلا نريد الحج وعليهم الزرمانقات وليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا على رجل من التجار متقشف يحب المساكين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم ألك حاجة فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل قال حاتم عيادة المريض فيها فضل والنظر إلى الفقيه عبادة وأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فلما جئنا إلى الباب فاذا قصر مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذه الحالة ثم أذن لهم فدخلوا فاذا دار حسناء قوراء واسعة نزهة واذا بزة وستور فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا إلى المجلس الذي هو فيه وإذا بفرش وطيئة وهو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الزائر عند رأسه وسأل عن حاله وحاتم قائم فأومأ اليه ابن مقاتل أن اجلس فقال لا أجلس فقال لعل لك حاجة فقال نعم قال وما هي قال مسألة أسألك عنها قال سل قال قم فاستو جالسا حتى أسألك فاستوى جالسا قال حاتم علمك هذا من أين أخذته فقال من الثقات حدثوني به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله ﷺ قال وأصحاب رسول الله ﷺ عمن قال عن رسول الله ﷺ قال ورسول الله ﷺ عمن قال عن جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل قال حاتم ففيما أداه جبرائيل عليه السلام عن الله عز وجل إلى رسول الله ﷺ وأداه رسول الله ﷺ

مستقيم (المقدمة) اعلم ان الألفاظ المستعملة منها ما يستعمله الجماهير والعموم ومنها ما يستعمله أرباب الصنائع والصنائع على ضربين علمية وعملية فالعملية كالمهن والحرف ولأهل كل صناعة منهم ألفاظ يتفاهمون بها آلاتهم ويتعاطون أصول صناعتهم والعلمية هي العلوم المحفوظة بالقوانين المعدلة بما تحرر من الموازين ولأهل كل علم أيضا ألفاظ اختصوا بها لا يشاركهم فيها غيرهم إلا أن يكون ذلك بالاتفاق من غير قصد وتكون المشاركة إذا اتفقت إما في صورة اللفظ دون المعنى أو في المعنى وصورة اللفظ جميعا وهذا يعرفه من بحث عن مجاري الألفاظ عند الجمهور وأرباب الصنائع وإنما سمينا من العلوم صنائع ما قصد فيها التصنع بالترتيب في التقسيم واختيار لفظ دون غيره وحده بطرفين مبدأ وغاية ومالم يكن كذلك فلا نسميه صناعة كعلوم الأنبياء صلوات الله عليهم

الى

الى أصحابه وأصحابه الى الثقات وأداه الثقات اليك هل سمعت فيه من كان فى داره إشراف وكانت سعتها أكثر كان له عند الله عز وجل المنزلة أكبر قال لا قال فكيف سمعت قال سمعت أنه من زهد فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كانت له عند الله المنزلة قال له حاتم فأنت بمن اقتديت أبالنبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والصالحين رحمهم الله أم بفرعون ونمروذ أول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل المتكالب على الدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة أفلا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا وبلغ أهل الرى ما جرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له ان الطنافسى بقزوين أكثر توسعا منه فسار حاتم متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمى أحب أن تعلمني مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة يا غلام هات إناء فيه ماء فاتى به فقعد الطنافسى فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقال حاتم مكانك حتى أتوضأ بين يديك فيكون أوكد لما أريد فقام الطنافسى وقعد حاتم فتوضأ ثم غسل ذراعيه أربعا أربعا فقال الطنافسى يا هذا أسرفت قال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعا فقال حاتم يا سبحان الله العظيم أنا فى كف من ماء أسرفت وأنت فى جميع هذا كله لم تسرف فعلم الطنافسى أنه قصد ذلك دون التعلم فدخل منزله فلم يخرج الى الناس أربعين يوما فلما دخل حاتم بغداد اجتمع اليه أهل بغداد فقالوا يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمى وليس يكلمك أحد إلا قطعته قال معي ثلاث خصال أظهر بهن على خصمي أفرح اذا أصاب خصمي وأحزن اذا أخطأ وأحفظ نفسي أن لا أجهل عليه فبلغ ذلك الامام أحمد بن حنبل فقال سبحان الله ما أعقله قوموا بنا اليه فلما دخلوا عليه قال له يا أبا عبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال يا أبا عبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك أربع خصال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك منهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كنت هكذا اسلمت ثم سار إلى المدينة فاستقبله أهل المدينة فقال يا قوم أية مدينة هذه قالوا مدينة رسول الله ﷺ قال فأين قصر رسول الله ﷺ حتى أصلى فيه قالوا ما كان له قصر إنما كان له بيت لاطئ بالارض قال فأين قصور أصحابه رضي الله عنهم قالوا ما كان لهم قصور إنما كان لهم بيوت لاطئة بالأرض قال حاتم يا قوم فهذه مدينة فرعون فأخذوه وذهبوا به الى السلطان وقالوا هذا العجمى يقول هذه مدينة فرعون قال الوالى ولم ذلك قال حاتم لا تعجل على أنا رجل أعجمى غريب دخلت البلد فقلت مدينة من هذه فقالوا مدينة رسول الله ﷺ فقلت فأين قصره وقص القصة * ثم قال وقد قال الله تعالى ﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾ فأنتم بمن تأسيتم أبرسول الله ﷺ أم بفرعون أول من بنى بالجص والآجر فخلوا عنه وتركوه * فهذه حكاية حاتم الأصم رحمه الله تعالى وسيأتى من سيرة السلف فى البذاذة وترك التجمل ما يشهد لذلك فى مواضعه * والتحقيق فيه ان التزين بالمباح ليس بحرام ولكن الخوض فيه يوجب الانس به حتى يشق تركه واستدامة الزينة لا تمكن الا بمباشرة أسباب فى الغالب يلزم من مراعاتها ارتكاب المعاصى من المداهنة ومراعاة الخلق ومراآتهم وأمور أخر هى محظورة والحزم اجتناب ذلك لان من خاض فى الدنيا لا يسلم منها البتة ولو كانت السلامة مبذولة مع الخوض فيها لكان ﷺ لا يبالغ فى ترك الدنيا حتى (١) نزع القميص المطرز بالعلم (٢) ونزع خاتم الذهب فى أثناء الخطبة الى غير ذلك مما سيأتى بيانه * وقد حكى أن يحيى بن يزيد النوفلي كتب الى مالك بن أنس رضي الله عنهما بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على رسوله محمد فى الأولين والآخرين من يحيى بن يزيد بن عبد الملك الى مالك بن أنس أما بعد فقد بلغني أنك تلبس الدقاق وتأكل الرقاق وتجلس على الوطىء وتجعل على بابك حاجبا وقد جلست مجلس العلم وقد ضربت اليك المطى وارتحل اليك الناس واتخذوك إماما ورضوا بقولك فاتق الله تعالى يا مالك وعليك بالتواضع كتبت اليك بالنصيحة منى كتابا ما اطلع عليه غير الله سبحانه وتعالى والسلام فكتب اليه مالك بسم الله الرحمن الرحيم

(١) حديث نزع القميص المعلم متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث نزع الخاتم الذهب فى أثناء الخطبة متفق عليه من حديث ابن عمر

الذى هو عند من خلفهم ومثل ذلك علوم العرب ولسانها لا نسميها عندهم صناعة ونسميها بذلك عند ضبطها بما اشتهر من القوانين وتقرر من الحصر والترتيب ولارباب العلوم الروحانية وأهل الاشارات الى الحقائق والمسمين بالسادة والملقبين بالصوفية والمتشبهين بالفقراء والمعروفين بالرقة والمعزى اليهم العلم والعمل ألفاظ جرى رسمهم بالتخاطب بها فيما يتذاكرون أو يذكرونه ونحن ان شاء الله نذكر ما يغمض منها اذ قد يقع منا عند ما نذكر شيأ من علومهم ونشير الى غرض من اغراضهم فلم نر أن يكون ذلك بغير ما عرف من ألفاظهم وعباراتهم ولا حرج فى ذلك عقلا وشرعا ونحن بحكم مصرف التقدير وهو على كل شيء قدير * فمن ذلك السفر والسالك والمسافر والحال والمقام والمكان والشطح والطوالع والذهاب

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم من مالك بن أنس الى يحيي بن يزيد سلام الله عليك أما بعد فقد وصل إلىّ كتابك فوقع مني موقع النصيحة والشفقة والأدب أمتعك الله بالتقوى وجزاك بالنصيحة خيرا وأسأل الله تعالى التوفيق ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم فأما ماذكرت لى انى آكل الرقاق وألبس الدقاق وأحتجب وأجلس على الوطىء فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى * فقد قال الله تعالى ﴿قل من حرّم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾ وإنى لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه ولا تدعنا من كتابك فلسنا ندعك من كتابنا والسلام فانظر إلى إنصاف مالك اذ اعترف أن ترك ذلك خير من الدخول فيه وأفتي بانه مباح وقد صدق فيهما جميعا ومثل مالك فى منصبه اذا سمحت نفسه بالانصاف والاعتراف فى مثل هذه النصيحة فتقوى أيضا نفسه على الوقوف على حدود المباح حتي لا يحمله ذلك على المراآة والمداهنة والتجاوز إلي المكروهات وأما غيره فلا يقدر عليه فالتعريج على التنعم بالمباح خطر عظيم وهو بعيد من الخوف والخشية وخاصية علماء الله تعالى الخشية وخاصية الخشية التباعد من مظان الخطر * ومنها أن يكون مستقصيا عن السلاطين فلا يدخل عليهم ألبتة مادام يجد إلى الفرار عنهم سبيلا بل ينبغي أن يحترز عن مخالطتهم وان جاؤا اليه فان الدنيا خضرة وزمامها بأيدى السلاطين والمخالط لهم لا يخلو عن تكلف فى طلب مرضاتهم واستمالة قلوبهم مع أنهم ظلمة ويجب على كل متدين الانكار عليهم وتضييق صدورهم باظهار ظلمهم وتقبيح فعلهم فالداخل عليهم إما أن يلتفت إلى تجملهم فيزدرى نعمة الله عليه أو يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا لهم أو يتكلف فى كلامه كلاما لمرضاتهم وتحسين حالهم وذلك هو البهت الصريح أو أن يطمع فى أن ينال من دنياهم وذلك هو السحت وسيأتى فى كتاب الحلال والحرام مايجوز أن يؤخذ من أموال السلاطين ومالا يجوز من الادرار والجوائز وغيرها وعلى الجملة فمخالطتهم مفتاح للشرور وعلماء الآخرة طريقهم الاحتياط * وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) من بدا جفا يعني من سكن البادية جفا ومن اتبع الصيد غفل ومن أتى السلطان افتتن وقال صلى الله عليه وسلم (٢) سيكون عليكم أمراء تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برىء ومن كره فقد سلم ولكن من رضى وتابع أبعده الله تعالى قيل أفلا نقاتلهم قال صلى الله عليه وسلم لا ماصلوا وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه إلا القراء الزائرون الملوك وقال حذيفة إياكم ومواقف الفتن قيل وماهى قال أبواب الأمراء يدخل أحدكم على الأمير فيصدقه بالكذب ويقول فيه ماليس فيه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) العلماء أمناء الرسل على عباد الله تعالى مالم يخالطوا السلاطين فاذا فعلوا ذلك فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم رواه أنس وقيل للاعمش لقد أحييت العلم لكثرة من يأخذه عنك فقال لا تعجلوا ثلث يموتون قبل الادراك وثلث يلزمون أبواب السلاطين فهم شر الخلق والثلث الباقى لا يفلح منه الا القليل ولذلك قال سعيد ابن المسيب رحمه الله اذا رأيتم العالم يغشى الامراء فاحترزوا منه فانه لص وقال الأوزاعي مامن شىء أبغض الى الله تعالى من عالم يزور عاملا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء وقال مكحول الدمشقى رحمه الله من تعلم القرآن وتفقه فى الدين ثم صحب السلطان تملقا اليه وطمعا فيما لديه خاض فى بحر من نار جهنم بعدد خطاه وقال سمنون ما أسمج بالعالم أن يؤتى الى مجلسه فلا يوجد فيسئل عنه فيقال هو عند الأمير قال وكنت أسمع أنه يقال اذا رأيتم العالم يحب الدنيا فاتهموه على دينكم حتى جربت ذلك اذ مادخلت قط على هذا السلطان إلا وحاسبت نفسى بعد الخروج فارى عليها الدرك وأنتم ترون ما ألقاه به من الغلظة والفظاظة وكثرة المخالفة لهواه ولوددت أن أنجو من الدخول عليه كفافا مع أنى لا آخذ

---

(١) حديث من بدا جفا الحديث أبو داود والترمذى وحسنه والنسائى من حديث ابن عباس (٢) حديث سيكون عليكم أمراء تعرفون وتنكرون الحديث مسلم من حديث أم سلمة (٣) حديث أنس العلماء أمناء الرسل على عباد الله الحديث العقيلى فى الضعفاء وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات (٤) حديث شرار العلماء الذين يأتون الأمراء وخيار الأمراء الذين يأتون العلماء ابن ماجه بالشطر الأول نحوه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

والنفس والسر والوصل والفصل والأدب والرياضة والتحلى والتخلى والتجلى والعلة والانزعاج والمشاهدة والمكاشفة واللوائح والتلوين والغيرة والحرية واللطيفة والفتوح والوسم والرسم والبسط والقبض والفناء والبقاء والجمع والتفرقة وعين التحلم والزوائد والارادة والمريد والمراد والهمة والغربة والمكر والاصطلام والرغبة والرهبة والوجد والوجود والتواجد فنذكر شرح هذه على أوجز ما يمكن بمشيئة الله تعالى وان كانت ألفاظهم المصرفة بينهم فى علومهم أكثر مما ذكرنا فانما قصدنا أن نريك منها أنموذجا ودستورا تعلم به اذا طرأ عليك مالم نذكره لك ههنا اذ لها مبحث واليها سبيل فتطلبه بعد ذلك على وجهه (فأما السفر والطريق) فالمراد بهما سفر القلب بآلة الفكر فى طريق المعقولات وعلى ذلك ابتني لفظ السالك والمسافر فى لغتهم ولم يرد بذلك سلوك الاقدام التي بها يقطع مسافات

منه

منه شيئاً ولا أشرب له شربة ماء ثم قال وعلماء زماننا شر من علماء بني اسرائيل يخبرون السلطان بالرخص وبما يوافق هواه ولو أخبروه بالذي عليه وفيه نجاته لاستثقلهم وكره دخولهم عليه وكان ذلك نجاة لهم عند ربهم وقال الحسن كان فيمن كان قبلكم رجل له قدم في الاسلام وصحبة لرسول الله ﷺ قال عبد الله بن المبارك عنى به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال وكان لا يغشى السلاطين وينفر عنهم فقال له بنوه يأتي هؤلاء من ليس هو مثلك في الصحبة والقدم في الاسلام فلو أتيتهم فقال يا بني آتي جيفة قد أحاط بها قوم والله لئن استطعت لا أشاركهم فيها قالوا يا أبانا اذن نهلك هزالا قال يا بني لأن أموت مؤمنا مهزولا أحب الي من أن أموت منافقا سمينا قال الحسن خصمهم والله إذ علم أن التراب يأكل اللحم والسمن دون الايمان وفي هذا إشارة إلى أن الداخل على السلطان لا يسلم من النفاق البتة وهو مضاد للايمان وقال أبو ذر لسلمة يا سلمة لا تغش أبواب السلاطين فانك لا تصيب شيئاً من دنياهم إلا أصابوا من دينك أفضل منه وهذه فتنة عظيمة للعلماء وذريعة صعبة للشيطان عليهم لا سيما من له لهجة مقبولة وكلام حلو إذ لا يزال الشيطان يلقى اليه أن في وعظك لهم ودخولك عليهم ما يزجرهم عن الظلم ويقيم شعائر الشرع الى أن يخيل اليه أن الدخول عليهم من الدين ثم إذا دخل لم يلبث أن يتلطف في الكلام ويداهن ويخوض في الثناء والاطراء وفيه هلاك الدين وكان يقال العلماء إذا علموا عملوا فاذا عملوا شغلوا فاذا شغلوا فقدوا فاذا فقدوا طلبوا فاذا طلبوا هربوا وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الحسن أما بعد فأشر على بأقوام أستعين بهم على أمر الله تعالى فكتب اليه أما أهل الدين فلا يريدونك وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف فانهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة هذا في عمر بن عبد العزيز رحمه الله وكان أزهد أهل زمانه فاذا كان شرط أهل الدين الهرب منه فكيف يستتب طلب غيره ومخالطته ولم يزل السلف العلماء مثل الحسن والثوري وابن المبارك والفضيل وابراهيم بن أدهم ويوسف بن أسباط يتكلمون في علماء الدنيا من أهل مكة والشام وغيرهم إما لميلهم إلى الدنيا وإما لمخالطتهم السلاطين *

ومنها أن لا يكون مسارعا إلى الفتيا بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد إلى الخلاص سبيلا فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص كتاب الله أو بنص حديث أو اجماع أو قياس جلي أفتى وإن سئل عما يشك فيه قال لا أدري وان سئل عما يظنه باجتهاد وتخمين احتاط ودفع عن نفسه وأحال على غيره إن كان في غيره غنية هذا هو الحزم لأن تقلد خطر الاجتهاد عظيم وفي الخبر [1] العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري قال الشعبي لا أدري نصف العلم ومن سكت حيث لا يدري لله تعالى فليس بأقل أجرا ممن نطق لأن الاعتراف بالجهل أشد على النفس فهكذا كانت عادة الصحابة والسلف رضي الله عنهم كان ابن عمر إذا سئل عن الفتيا قال اذهب إلى هذا الأمير الذي تقلد أمور الناس فضعها في عنقه وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن الذي يفتي الناس في كل ما يستفتونه لمجنون وقال جنة العالم لا أدري فان أخطأها فقد أصيبت مقاتله وقال ابراهيم بن أدهم رحمه الله ليس شيء أشد على الشيطان من عالم يتكلم بعلم ويسكت بعلم يقول انظروا إلى هذا سكوته أشد علي من كلامه ووصف بعضهم الأبدال فقال أكلهم فاقة ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة أي لا يتكلمون حتى يسئلوا واذا سئلوا ووجدوا من يكفيهم سكتوا فان اضطروا أجابوا وكانوا يعدون الابتداء قبل السؤال من الشهوة الخفية للكلام ومر علي وعبد الله رضي الله عنهما برجل يتكلم على الناس فقال هذا يقول اعرفوني وقال بعضهم انما العالم الذي إذا سئل عن المسئلة فكأنما يقلع ضرسه وكان ابن عمر يقول تريدون أن تجعلونا جسرا تعبرون علينا الى جهنم وقال أبو حفص النيسابوري العالم هو الذي يخاف عند السؤال أن يقال له يوم القيامة من أين أجبت وكان ابراهيم التيمي إذا سئل عن مسئلة يبكي ويقول لم تجدوا غيري حتى احتجتم الى وكان أبو العالية الرياحي

(١) حديث العلم ثلاثة كتاب ناطق وسنة قائمة ولا أدري الخطيب في أسماء من روى عن مالك موقوفا على ابن عمر ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعا نحوه مع اختلاف وقد تقدم

الاجسام فان ذلك مما شارك فيه البهائم والأنعام وأول مسالك السفر إلى الله تعالى عز وجل معرفة قواعد الشرع وخرق حجب الأمر والنهي وتعلق الفرض فيها والمراد بها ومنها فاذا خلفوا نواحيها وقطعوا معاطنها أشرفوا على مفاوز أوسع وبرزت لهم مهامه أعرض وأطول من ذلك معرفة أركان المعارف النبوية النفس والعدو والدنيا فاذا تخلصوا من أوعارها أشرفوا على غيرها أعظم منها في الانتساب وأعرض بغير حساب من ذلك سر القدر وكيف خفي بحكم في الخلائق وقادهم بلطف في عنف وشدة في لين وبقوة في ضعف وباختيار في جبر الى ما هو في مجاريه لا يخرج المخلوقون عنه طرفة عين ولا يتقدمون ولا يتأخرون عنه والاشراف على الملكوت الأعظم ورؤية عجائب ومشاهدة غرائب مثل العلم الالهي واللوح المحفوظ واليمين الكاتبة وملائكة الله يطوفون حول العرش وبالبيت المعمور وهم يسبحونه

وابراهيم بن أدهم والثوري يتكلمون على الاثنين والثلاثة والنفر اليسير فاذا كثروا انصرفوا وقال ﷺ (١) ما أدري أعزير نبي أم لا وما أدري أتبع ملعون أم لا وما أدري ذو القرنين نبي أم لا(٢) ولما سئل رسول الله ﷺ عن خير البقاع في الأرض وشرها قال لا أدري حتى نزل جبريل عليه السلام فسأله فقال لا أدري الى أن أعلمه الله عز وجل أن خير البقاع المساجد وشرها الاسواق وكان ابن عمر رضي الله عنهما يسئل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسع وكان ابن عباس رضي الله عنهما يجيب عن تسع ويسكت عن واحدة وكان في الفقهاء من يقول لا أدري أكثر ممن يقول أدري منهم سفيان الثوري ومالك بن أنس وأحمد ابن حنبل والفضيل بن عياض وبشر بن الحرث وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى أدركت في هذا المسجد مائة وعشرين من من أصحاب رسول الله ﷺ ما منهم أحد يسئل عن حديث أو فتيا الا ود أن أخاه كفاه ذلك وفي لفظ آخر كانت المسئلة تعرض على أحدهم فيردها الى الآخر ويردها الآخر إلى الآخر حتى تعود إلى الأول وروى أن أصحاب الصفة اهدى إلى واحد منهم رأس مشوي وهو في غاية الضر فأهداه إلى الآخر وأهداه الآخر إلى الآخر هكذا دار بينهم حتى رجع إلى الأول فانظر الآن كيف انعكس أمر العلماء فصار المهروب منه مطلوبا والمطلوب مهروبا منه ويشهد لحسن الاحتراز من تقلد الفتاوى ماروي مسندا عن بعضهم انه قال لا يفتي الناس إلا ثلاثة أمير أو مأمور أو متكلف وقال بعضهم كان الصحابة يتدافعون أربعة أشياء الامامة والوصية والوديعة والفتيا وقال بعضهم كان أسرعهم إلى الفتيا أقلهم علما وأشدهم دفعا لها أورعهم وكان شغل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم في خمسة أشياء قراءة القرآن وعمارة المساجد وذكر الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لما سمعوه من قوله ﷺ (٣) كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر الله تعالى وقال تعالى ﴿لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس﴾ الآية ورأى بعض العلماء بعض أصحاب الرأي من أهل الكوفة في المنام فقال ما رأيت فيما كنت عليه من الفتيا والرأي فكره وجهه وأعرض عنه وقال ما وجدناه شيأ وما حمدنا عاقبته وقال ابن حصين أن أحدهم ليفتي في مسئلة لو وردت على عمر بن الخطاب رضي الله عنه لجمع لها أهل بدر فلم يزل السكوت دأب أهل العلم إلا عند الضرورة(٤) وفي الحديث إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا فاقتربوا منه فانه يلقن الحكمة وقيل العالم إما عالم عامة وهو المفتي وهم أصحاب السلاطين أو عالم خاصة وهو العالم بالتوحيد وأعمال القلوب وهم أصحاب الزوايا المتفرقون المنفردون وكان يقال مثل أحمد بن حنبل مثل دجلة كل أحد يغترف منها ومثل بشر بن الحرث مثل بئر عذبة مغطاة لا يقصدها إلا واحد بعد واحد وكانوا يقولون فلان عالم وفلان متكلم وفلان أكثر كلاما وفلان أكثر عملا وقال أبو سليمان المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل إذا كثر العلم قل الكلام واذا كثر الكلام قل العلم وكتب سلمان إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما(٥) وكان قد آخى بينهما رسول الله ﷺ يا أخي بلغني إنك قعدت طبيبا تداوي المرضى فانظر إن كنت طبيبا فتكلم فان كلامك شفاء وإن كنت متطببا فالله الله لا تقتل مسلما فكان أبو الدرداء يتوقف بعد ذلك إذا سئل وكان أنس رضي الله عنه إذا سئل يقول سلوا مولانا الحسن وكان ابن عباس رضي الله عنهما إذا سئل يقول سلوا حارثة بن زيد وكان ابن عمر رضي الله

(١) حديث ما أدري أعزير نبي أم لا الحديث أبو داود والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة (٢) حديث لما سئل عن خير البقاع وشرها قال لا أدري حتى نزل جبريل الحديث أحمد وأبو يعلى والبزار والحاكم وصححه ونحوه من حديث ابن عمر (٣) حديث كل كلام ابن آدم عليه لا له إلا ثلاثة الحديث الترمذي وابن ماجه من حديث أم حبيبة قال الترمذي حديث غريب (٤) حديث إذا رأيتم الرجل قد أوتي صمتا وزهدا الحديث ابن ماجه من حديث ابن خلاد باسناد ضعيف (٥) حديث مؤاخاته ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء البخاري من حديث أبي جحيفة

والقادر على كل شيء فتغشاهم الأنوار المحرقة ويتجلى لمرآة قلوبهم الحقائق المحتجبة فيعلمون الصفات ويشاهدون الموصوف ويحجبون حيث غاب أهل الدعوى ويبصرون ما عمي عنه أولو الابصار الضعيفة بحجب الهوى (والحال) منزلة العبد في الحين فيصفو له في الوقت حاله ووقته وقيل هو ما يتحول فيه العبد ويتغير مما يرد على قلبه فاذا صفا تارة وتغير أخرى قيل له حال وقال بعضهم الحال لا يزول فاذا زال لم يكن حالا (والمقام) هو الذي يقوم به العبد في الاوقات من أنواع المعاملات وصنوف المجاهدات فمتى أقيم العبد بشيء منها على التمام والكمال فهو مقامه حتى ينتقل منه إلى غيره (والمكان) هو لأهل الكمال والتمكين والنهاية فاذا كمل العبد في

عنهما يقول سلوا سعيد بن المسيب وحكى أنه روى صحابى فى حضرة الحسن عشرين حديثا فسئل عن تفسيرها فقال ماعندى الا مارويت فأخذ الحسن فى تفسيرها حديثا حديثا فتعجبوا من حسن تفسيره وحفظه فأخذ الصحابى كفا من حصى ورماهم به وقال تسألونى عن العلم وهذا الحبر بين أظهركم * ومنها أن يكون أكثر اهتمامه بعلم الباطن ومراقبة القلب ومعرفة طريق الآخرة وسلوكه وصدق الرجاء فى انكشاف ذلك من المجاهدة والمراقبة فان المجاهدة تفضى الى المشاهدة ودقائق علوم القلب تنفجر بها ينابيع الحكمة من القلب وأما الكتب والتعليم فلاتفى بذلك بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد انما تنفتح بالمجاهدة والمراقبة ومباشرة الاعمال الظاهرة والباطنة والجلوس مع الله عز وجل فى الخلوة مع حضور القلب بصافى الفكرة والانقطاع الى الله تعالى عما سواه فذلك مفتاح الالهام ومنبع الكشف فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة وكم من مقتصر على المهم فى التعلم ومتوفر على العمل ومراقبة القلب فتح الله له من لطائف الحكمة ماتحار فيه عقول ذوى الألباب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم (١) من عمل بما علم أورثه الله علم مالم يعلم وفى بعض الكتب السالفة يا بنى اسرائيل لا تقولوا العلم فى السماء من ينزل به إلى الارض ولا فى تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر يأتى به العلم مجعول فى قلوبكم تأدبوا بين يدى بآداب الروحانيين وتخلقوا الى بأخلاق الصديقين أظهر العلم فى قلوبكم حتى يغطيكم ويغمركم وقال سهل بن عبد الله التسترى رحمه الله خرج العلماء والعباد والزهاد من الدنيا وقلوبهم مقفلة ولم تفتح الاقلوب الصديقين والشهداء ثم تلا قوله تعالى ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو﴾ الآية ولولا أن ادراك قلب من له قلب بالنور الباطن حاكم على علم الظاهر لما قال صلى الله عليه وسلم استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك وأفتوك وقال صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربه تعالى (٢) لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به الحديث فكم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجردين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين واذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة اليه وكذلك فى علوم المكاشفة وأسرار علوم المعاملة ودقائق خواطر القلوب فان كل علم من هذه العلوم بحر لا يدرك عمقه وانما يخوضه كل طالب بقدر مارزق منه وبحسب ماوفق له من حسن العمل وفى وصف هؤلاء العلماء قال على رضى الله عنه فى حديث طويل القلوب أوعية وخيرها أوعاها للخير والناس ثلاثة عالم ربانى ومتعلم على سبيل النجاة وهمج رعاع أتباع لكل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيؤا بنور العلم ولم يلجؤا الى ركن وثيق العلم خير من المال العلم يحرسك وأنت تحرس المال والعلم يزكو على الانفاق والمال ينقصه الانفاق والعلم دين يدان به تكتسب به الطاعة فى حياته وجميل الاحدوثة بعد وفاته العلم حاكم والمال محكوم عليه ومنفعة المال تزول بزواله مات خزان الاموال وهم أحياء والعلماء أحياء باقون مابقى الدهر ثم تنفس الصعداء وقال هاه ان ههنا علما جما لو وجدت له حملة بل أجد طالبا غير مأمون يستعمل آلة الدين فى طلب الدنيا ويستطيل بنعم الله على أوليائه ويستظهر بحجته على خلقه أو منقادا لاهل الحق لكن ينزرع الشك فى طلبه بأول عارض من شبهة لا بصيرة له لاذا ولاذاك أو منهوما باللذات سلس القياد فى طلب الشهوات أو مغرى بجمع الاموال والادخار منقاد الهواه أقرب شبها بهم الانعام السائمة اللهم هكذا يموت العلم اذا مات حاملوه ثم لا تخلو الارض من قائم لله بحجة اما ظاهر مكشوف وأما خائف مقهور لكيلا تبطل حجج الله تعالى وبيناته وكم وأين أولئك هم الاقلون عددا الاعظمون قدرا أعيانهم مفقودة وأمثالهم فى القلوب موجودة يحفظ الله تعالى

(١) حديث من عمل بما علم ورثه الله علم مالم يعلم أبو نعيم فى الحلية من حديث أنس وضعفه

(٢) حديث لا يزال العبد يتقرب الى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعا وبصرا متفق عليه من حديث أبى هريرة بلفظ كنت سمعه وبصره وهو فى الحلية كما ذكره المؤلف من حديث أنس بسند ضعيف

معانيه فقد تمكن من المكان وغير المقامات والأحوال فيكون صاحب مكان كما قال بعضهم مكانك من قلبي هو القلب كله فليس لشىء فيه غيرك موضع (والشطح) كلام يترجم به اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرون بالدعوى الا أن يكون صاحبه محفوظا (والطوالع) أنوار التوحيد يطلع على قلوب أهل المعرفة شعاعها فيطمس سلطان نورها الالوان كما أن نور الشمس يمحو أنوار الكواكب (والذهاب) هو أن يغيب القلب عن حس كل محسوس بمشاهدة محبوبها (والنفس) روح سلطه الله على نار مقلب ليطفئ شرها (والسر) ماخفى عن الخلق فلا يعلم به الا الحق وسر السر مالا يحس به السر والسر ثلاثة سر العلم وسر الحال وسر الحقيقة فسر العلم حقيقة العالمين بالله عز وجل وسر الحال معرفة مراد الله فى الحال من الله وسر الحقيقة ماوقعت به الاشارة (والوصل) ادراك الفائت (والفصل) فوت ماترجوه من

بهم ﴿ تحجبه حتى يودعوها من وراءهم و يزرعوها فى قلوب أشباههم هجم بهم العلم على حقيقة الأمر فباشروا روح اليقين فاستلانوا ما استوعر منه المترفون وأنسوا بما استوحش منه الغافلون صحبوا الدنيا بأبدان أرواحها معلقة بالمحل الأعلى أولئك أولياء الله عز وجل من خلقه وأمناؤه وعماله فى أرضه والدعاة الى دينه ثم بكى وقال واشوقاه الى رؤيتهم فهذا الذى ذكره أخيرا هو وصف علماء الآخرة وهو العلم الذى يستفاد أكثره من العمل والمواظبة على المجاهدة ﴿ ومنها أن يكون شديد العناية بتقوية اليقين فان اليقين هو رأس مال الدين قال رسول الله ﷺ (١) اليقين الايمان كله فلابد من تعلم علم اليقين أعني أوائله ثم ينفتح للقلب طريقه ولذلك قال ﷺ (٢) تعلموا اليقين ومعناه جالسوا الموقنين واستمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم ليقوى يقينكم كما قوى يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير من العمل وقال ﷺ (٣) لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب ورجل مجتهد فى العبادة قليل اليقين فقال ﷺ مامن آدمى إلا وله ذنوب ولكن من كان غريزته العقل وسجيته اليقين لم تضره الذنوب لانه كلما أذنب تاب واستغفر وندم فتكفر ذنوبه و يبقى له فضل يدخل به الجنة ولذلك قال ﷺ (٤) ان من أقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن أعطى حظه منهما لم يبال مافاته من قيام الليل وصيام النهار وفى وصية لقمان لابنه يابني لا يستطاع العمل إلا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه وقال يحيى بن معاذ ان للتوحيد نورا وللشرك نارا وإن نور التوحيد أحرق لسيآت الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين وأراد به اليقين وقد أشار الله تعالى فى القرآن الى ذكر الموقنين فى مواضع دل بها على أن اليقين هو الرابطة للخيرات والسعادات (فان قلت) فما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه فلا بد من فهمه أولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان مالا تفهم صورته لا يمكن طلبه فاعلم أن اليقين لفظ مشترك يطلقه فريقان لمعنيين مختلفين أما النظار والمتكلمون فيعبرون به عن عدم الشك إذ ميل النفس الى التصديق بالشىء له أربع مقامات الاول أن يعتدل التصديق والتكذيب ويعبر عنه بالشك كما اذا سئلت عن شخص معين ان الله تعالى يعاقبه أم لا وهو مجهول الحال عندك فان نفسك لا تميل الى الحكم فيه باثبات ولا نفى بل يستوى عندك إمكان الامرين فيسمى هذا شكا الثانى أن تميل نفسك الى أحد الأمرين مع الشعور بامكان نقيضه ولكنه إمكان لا يمنع ترجيح الاول كما اذا سئلت عن رجل تعرفه بالصلاح والتقوى أنه بعينه لو مات على هذه الحالة هل يعاقب فان نفسك تميل الى أنه لا يعاقب أكثر من ميلها الى العقاب وذلك لظهور علامات الصلاح ومع هذا فأنت تجوز اختفاء أمر موجب للعقاب فى باطنه وسريرته فهذا التجويز مساو لذلك الميل ولكنه غير دافع رجحانه فهذه الحالة تسمى ظنا الثالث أن تميل النفس الى التصديق بشىء بحيث يغلب عليها ولا يخطر بالبال غيره ولو خطر بالبال تأبى النفس عن قبوله ولكن ليس ذلك مع معرفة محققة إذ لو أحسن صاحب هذا المقام التأمل والاصغاء الى التشكيك والتجويز اتسعت نفسه للتجويز وهذا يسمى اعتقادا مقاربا لليقين وهو اعتقاد العوام فى الشرعيات كلها اذ رسخ فى نفوسهم بمجرد السماع حتى ان كل فرقة تثق بصحة مذهبها وإصابة إمامها ومتبوعها ولو ذكر لأحدهم إمكان خطأ إمامه نفر عن قبوله الرابع المعرفة الحقيقية الحاصلة بطريق البرهان الذى لا يشك فيه ولا يتصور الشك فيه فاذا امتنع وجود الشك وإمكانه يسمى يقينا عند هؤلاء ومثاله أنه اذا قيل للعاقل هل فى الوجود شىء هو قديم فلا يمكنه التصديق به بالبديهة لان القديم غير محسوس لا كالشمس والقمر فانه يصدق بوجودهما بالحس

(١) حديث اليقين الايمان كله البيهقى فى الزهد والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود باسناد حسن (٢) حديث تعلموا اليقين أبو نعيم من رواية ثور بن يزيد مرسلا وهو معضل ورواه ابن أبى الدنيا فى اليقين من قول خالد بن معدان (٣) حديث قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث أنس باسناد مظلم (٤) حديث من أولى ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر الحديث لم أقف له على أصل و روى ابن عبد البر من حديث معاذ ما أنزل الله شيأ أقل من اليقين ولا قسم شيأ بين الناس أقل من الحلم الحديث

محبوبك (والأدب) ثلاثة أدب الشريعة وهو التعلق بأحكام العلم بصحة عزم الخدمة والثانى أدب الخدمة وهو التشمر عن العلامات والتجرد عن الملاحظات والثالث أدب الحق وهو موافقة الحق بالمعرفة (والرياضة) اثنان رياضة الأدب وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب وهو صحة المراد (والتحلى) التشبه بأحوال الصادقين بالاحوال وإظهار الاعمال (والتخلى) اختيار الخلوة والاعراض عن كل ما يشغل عن الحق (والتجلى) هو ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب (والعلة) تنبه عن الحق (والانزعاج) انتباه القلب من سنة الغفلة والتحرك للانس والوحدة (والمشاهدة) ثلاثة مشاهدة بالحق وهى رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ومشاهدة للحق وهى رؤية الحق فى الأشياء ومشاهدة الحق وهى حقيقة اليقين بلا ارتياب (والمكاشفة) أتم من المشاهدة وهى ثلاثة

وليس

و ليس العلم بوجود شيء قديم أزلي ضروريا مثل العلم بان الاثنين أكثر من الواحد بل مثل العلم بان حدوث حادث بلا سبب محال فان هذا أيضا ضرورى فى حق غريزة العقل أن تتوقف عن التصديق بوجود القديم على طريق الارتجال والبديهة ثم من الناس من يسمع ذلك و يصدق بالسماع تصديقا جزما و يستمر عليه وذلك هو الاعتقاد وهو حال جميع العوام ومن الناس من يصدق به بالبرهان وهو أن يقال له ان لم يكن فى الوجود قديم فالموجودات كلها حادثة فان كانت كلها حادثة فهى حادثة بلا سبب أو فيها حادث بلا سبب وذلك محال فالمؤدى الى المحال محال فيلزم فى العقل التصديق بوجود شيء قديم بالضرورة لان الأقسام ثلاثة وهى أن تكون الموجودات كلها قديمة أو كلها حادثة أو بعضها قديمة و بعضها حادثة فان كانت كلها قديمة فقد حصل المطلوب إذ ثبت على الجملة قديم وان كان الكل حادثا فهو محال إذ يؤدى الى حدوث بغير سبب فيثبت القسم الثالث أو الأول وكل علم حصل على هذا الوجه يسمى يقينا عند هؤلاء سواء حصل بنظر مثل ماذكرناه أو حصل بحس أو بغريزة العقل كالعلم باستحالة حادث بلا سبب أو بتواتر كالعلم بوجود مكة أو بتجربة كالعلم بان السقمونيا المطبوخ مسهل أو بدليل كما ذكرناه فشرط إطلاق هذا الاسم عندهم عدم الشك فكل علم لا شك فيه يسمى يقينا عند هؤلاء وعلى هذا لا يوصف اليقين بالضعف إذ لا تفاوت فى نفى الشك * الاصطلاح الثانى اصطلاح الفقهاء والمتصوفة وأكثر العلماء وهو أن لا يلتفت فيه الى اعتبار التجويز والشك بل الى استيلائه وغلبته على العقل حتى يقال فلان ضعيف اليقين بالموت مع أنه لا شك فيه و يقال فلان قوى اليقين فى إتيان الرزق مع أنه قد يجوز أنه لا يأتيه فمهما مالت النفس الى التصديق بشيء وغلب ذلك على القلب واستولى حتى صار هو المتحكم والمتصرف فى النفس بالتجويز والمنع سمى ذلك يقينا ولا شك فى أن الناس مشتركون فى القطع بالموت والانفكاك عن الشك فيه ولكن فيهم من لا يلتفت اليه ولا الى الاستعداد له وكأنه غير موقن به ومنهم من استولى ذلك على قلبه حتى استغرق جميع همه بالاستعداد له ولم يغادر فيه متسعاً لغيره فيعبر عن مثل هذه الحالة بقوة اليقين ولذلك قال بعضهم ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من الموت وعلى هذا الاصطلاح يوصف اليقين بالضعف والقوة ونحن إنما أردنا بقولنا ان من شأن علماء الآخرة صرف العناية الى تقوية اليقين بالمعنيين جميعا وهو نفى الشك ثم تسليط اليقين على النفس حتى يكون هو الغالب المتحكم عليها المتصرف فيها فاذا فهمت هذا علمت أن المراد من قولنا إن اليقين ينقسم ثلاثة أقسام بالقوة والضعف والكثرة والقلة والخفاء والجلاء فاما بالقوة والضعف فعلى الاصطلاح الثانى وذلك فى الغلبة والاستيلاء على القلب ودرجات معانى اليقين فى القوة والضعف لا تتناهى وتفاوت الخلق فى الاستعداد للموت بحسب تفاوت اليقين بهذه المعانى وأما التفاوت بالخفاء والجلاء فى الاصطلاح الأول فلا ينكر أيضا أما فيما يتطرق اليه التجويز فلا ينكر أعنى الاصطلاح الثانى وفيما انتفى الشك أيضا عنه لا سبيل إلى إنكاره فانك تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة ووجود فدك مثلا و بين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما السلام مع أنك لا تشك فى الأمرين جميعا فمستندهما جميعا التواتر ولكن ترى أحدهما أجلى وأوضح فى قلبك من الثانى لان السبب فى أحدهما أقوى وهو كثرة المخبرين وكذلك يدرك الناظر هذا فى النظريات المعروفة بالأدلة فانه ليس وضوح ما لاح له بدليل واحد كوضوح ما لاح له بالأدلة الكثيرة مع تساويهما فى نفى الشك وهذا قد ينكره المتكلم الذى يأخذ العلم من الكتب والسماع ولا يراجع نفسه فيما يدركه من تفاوت الأحوال وأما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات اليقين كما يقال فلان أكثر علما من فلان أى معلوماته أكثر ولذلك قد يكون العالم قوى اليقين فى جميع ما ورد الشرع به وقد يكون قوى اليقين فى بعضه *

فان قلت قد فهمت اليقين وقوته وضعفه وكثرته وقلته وجلاءه وخفاءه بمعنى نفى الشك أو بمعنى الاستيلاء على القلب فما معنى متعلقات اليقين ومجاريه وفيماذا يطلب اليقين فانى مالم أعرف ما يطلب فيه اليقين لم أقدر على طلبه *

فاعلم أن جميع ما ورد به الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من أوله الى آخره هو من مجارى اليقين فان اليقين

مكاشفة بالعلم وهى تحقيق الاصابة بالفهم ومكاشفة بالحال وهى تحقيق رؤية زيادة الحال ومكاشفة بالتوحيد وهى تحقيق صحة الاشارة (واللوائح) ما يلوح من الاسرار الظاهرة الصافية من السمو من حالة الى حالة أتم منها والارتقاء من درجة الى ما هو أعلى منها (والتلوين) تلوين العبد فى أحواله وقالت طائفة علامة الحقيقة رفع التلوين بظهور الاستقامة وقال آخرون علامة الحقيقة التلوين لانه يظهر فيه قدرة القادر فيكسب منه العبد الغيرة (والغيرة) غيرة فى الحق وغيرة على الحق وغيرة من الحق فالغيرة فى الحق برؤية الفواحش والمناهى وغيرة على الحق هى كتمان السرائر والغيرة من الحق ضنه على أوليائه (والحرية) إقامة حقوق العبودية فتكون لله عبدا وعند غيره حرا (واللطيفة) إشارة دقيقة المعنى تلوح

عبارة عن معرفة مخصوصة ومتعلقه المعلومات التي وردت بها الشرائع فلا مطمع في إحصائها ولكني أشير الى بعضها وهي أمهاتها فمن ذلك التوحيد وهو أن يرى الأشياء كلها من مسبب الأسباب ولا يلتفت الى الوسائط بل يرى الوسائط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا موقن فان انتفى عن قلبه مع الايمان إمكان الشك فهو موقن بأحد المعنيين فان غلب على قلبه مع الايمان غلبة أزالت عنه الغضب على الوسائط والرضا عنهم والشكر لهم ونزل الوسائط في قلبه منزلة القلم واليد في حق المنعم بالتوقيع فانه لا يشكر القلم ولا اليد ولا يغضب عليهما بل يراهما آلتين مسخرتين وواسطتين فقد صار موقنا بالمعنى الثاني وهو الأشرف وهو ثمرة اليقين الأول وروحه وفائدته ومهما تحقق أن الشمس والقمر والنجوم والجماد والنبات والحيوان وكل مخلوق فهي مسخرات بأمره حسب تسخير القلم في يد الكاتب وان القدرة الأزلية هي المصدر للكل استولى على قلبه غلبة التوكل والرضا والتسليم وصار موقنا بريئا من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا أحد أبواب اليقين ومن ذلك الثقة بضمان الله سبحانه بالرزق في قوله تعالى ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ﴾ واليقين بان ذلك يأتيه وان ما قدر له سيساق اليه ومهما غلب ذلك على قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد حرصه وشرهه وتأسفه على ما فاته وأثمر هذا اليقين أيضا جملة من الطاعات والأخلاق الحميدة * ومن ذلك أن يغلب على قلبه ان ﴿ من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ وهو اليقين بالثواب والعقاب حتى يرى نسبة الطاعات الى الثواب كنسبة الخبز الى الشبع ونسبة المعاصي الى العقاب كنسبة السموم والأفاعي الى الهلاك فكما يحرص على التحصيل للخبز طلبا للشبع فيحفظ قليله وكثيره فكذلك يحرص على الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل السموم وكثيرها فكذلك يجتنب المعاصي قليلها وكثيرها وصغيرها وكبيرها فاليقين بالمعنى الأول قد يوجد لعموم المؤمنين أما بالمعنى الثاني فيختص به المقربون وثمرة هذا اليقين صدق المراقبة في الحركات والسكنات والخطرات والمبالغة في التقوى والتحرز عن كل السيآت وكلما كان اليقين أغلب كان الاحتراز أشد والتشمير أبلغ * ومن ذلك اليقين بان الله تعالى مطلع عليك في كل حال ومشاهد هواجس ضميرك وخفايا خواطرك وفكرك فهذا متيقن عند كل مؤمن بالمعنى الاول وهو عدم الشك واما بالمعنى الثاني وهو المقصود فهو عزيز يختص به الصديقون وثمرته أن يكون الانسان في خلوته متأدبا في جميع أحواله كالجالس بمشهد ملك معظم ينظر اليه فانه لا يزال مطرقا متأدبا في جميع أعماله متماسكا محترزا عن كل حركة تخالف هيئة الأدب ويكون في فكرته الباطنة كهو في أعماله الظاهرة إذ يتحقق أن الله تعالى مطلع على سريرته كما يطلع الخلق على ظاهره فتكون مبالغته في عمارة باطنه وتطهيره وتزيينه بعين الله تعالى الكالئة أشد من مبالغته في تزيين ظاهره لسائر الناس وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والذل والاستكانة والخضوع وجملة من الأخلاق المحمودة وهذه الأخلاق تورث أنواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب من هذه الأبواب مثل الشجرة وهذه الأخلاق في القلب مثل الأغصان المتفرعة منها وهذه الأعمال والطاعات الصادرة من الأخلاق كالثمار وكالانوار المتفرعة من الأغصان فاليقين هو الأصل والأساس وله مجار وأبواب أكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربع المنجيات ان شاء الله تعالى وهذا القدر كاف في معنى اللفظ الآن * ومنها أن يكون حزينا منكسرا مطرقا صامتا يظهر أثر الخشية على هيئته وكسوته وسيرته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته لا ينظر اليه ناظر إلا وكان نظره مذكرا لله تعالى وكانت صورته دليلا على عمله فالجواد عينه مرآته وعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة والتواضع * وقد قيل ما ألبس الله عبدا لبسة أحسن من خشوع في سكينة فهي لبسة الأنبياء وسيما الصالحين والصديقين والعلماء وأما التهافت في الكلام والتشدق والاستغراق في الضحك والحدة في الحركة والنطق فكل ذلك من آثار البطر والأمن والغفلة عن عظيم عقاب الله تعالى وشديد سخطه وهو دأب أبناء الدنيا الغافلين عن الله دون العلماء به وهذا لان العلماء ثلاثة كما قال سهل التستري رحمه الله عالم بأمر الله تعالى لا بأيام الله وهم

في الفهم ولا يسعها العبارة (والفتوح) ثلاثة فتوح العبادة في الظاهر وذلك سبب إخلاص القصد وفتوح الحلاوة في الباطن وهو سبب جذب الحق بأعطافه وفتوح المكاشفة وهو سبب المعرفة بالحق (والوسم والرسم) معنيان يجريان في الأبد بما جريا في الازل (والبسط) عبارة عن حال الرجاء (والقبض) عبارة عن حال الخوف (والفناء) فناء المعاصي ويكون فناء رؤية العبد لفعله بقيام الله تعالى على ذلك (والبقاء) بقاء الطاعات ويكون بقاء رؤية العبد قيام الله سبحانه على كل شيء (والجمع) التسوية في أصل الخلق وعن آخرين معناه إشارة من أشار الى الحق بلا خلق (والتفرقة) إشارة الى اللون والخلق فمن أشار إلى تفرقة بلا جمع فقد جحد البارى سبحانه ومن أشار الى جمع بلا تفرقة فقد أنكر قدرة القادر واذا جمع بينهما فقد وحد (عين التحلم)

اظهار غاية الخصوصية بلسان الانبساط فى الدعاء (والزوائد) زيادات الايمان بالغيب واليقين (والارادات) ثلاثة ارادة الطالب من الله سبحانه وتعالى وذلك موضع التمنى وارادة الحظ منه وذلك موضع الطمع وارادة الله سبحانه وذلك موضع الاخلاص (والمريد) هو الذى صح له الابتلاء ودخل فى جملة المنقطعين الى الله عزوجل بالاسم (والمراد) هو العارف الذى لم يبق له ارادة وقد وصل الى النهاية وغير الأحوال والمقامات (والهمة) ثلاثة همة منية وهى تحرك القلب للمنى وهمة ارادة وهى أول صدق المريد وهمة حقيقة القصور عن ملاحظة ذروة هذا الامر والجهل فان الامر إد الخطب جد والآخرة مقبلة والدنيا مدبرة والاجل قريب والسفر بعيد والزاد طفيف والخطر عظيم والطريق سد وماسوى الخالص لوجه الله من العلم والعمل عند الناقد البصير رد وسلوك طريق

المفتون فى الحلال والحرام وهذا العلم لا يورث الخشية وعالم بالله تعالى لا بامر الله ولا بايام الله وهم عموم المؤمنين وعالم بالله تعالى و بامر الله تعالى و بايام الله تعالى وهم الصديقون والخشية والخشوع انما تغلب عليهم وأراد بايام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه وقال عمر رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم ويقال ما آتى الله عبدا علما الا آتاه معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع وفى الأثر من آتاه الله علما وزهدا وتواضعا وحسن خلق فهو إمام المتقين وفى الخبر [1] ان من خيار أمتي قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله و يبكون سرا من خوف عذابه أبدانهم فى الأرض وقلوبهم فى السماء أرواحهم فى الدنيا وعقولهم فى الآخرة يتمشون بالسكينة ويتقربون بالوسيلة وقال الحسن الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله وقال بشر بن الحرث من طلب الرياسة بالعلم فتقرب الى الله تعالى ببغضه فانه ممقوت فى السماء والأرض ويروى فى الاسرائيليات أن حكيما صنف ثلثمائة وستين مصنفا فى الحكمة حتي وصف بالحكيم فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل لفلان قد ملأت الأرض نفاقا ولم تردنى من ذلك بشىء وانى لا أقبل من نفاقك شيأ فندم الرجل وترك ذلك وخالط العامة ومشى فى الأسواق وواكل بني اسرائيل وتواضع فى نفسه فاوحى الله تعالى الى نبيهم قل له الآن وفقت لرضاى * وحكي الأوزاعي رحمه الله عن بلال بن سعد أنه كان يقول ينظر أحدكم الي الشرطى فيستعيذ بالله منه و ينظر الى علماء الدنيا المتصنعين للخلق المتشوقين الى الرياسة فلا يمقتهم وهم أحق بالمقت من ذلك الشرطى [2] وروى انه قيل يارسول الله أى الأعمال أفضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله تعالى قيل فأى الأصحاب خير قال صلى الله عليه وسلم صاحب ان ذكرت الله أعانك وان نسيته ذكرك قيل فأى الأصحاب شر قال صلى الله عليه وسلم صاحب ان نسيت لم يذكرك وان ذكرت لم يعنك قيل فأى الناس أعلم قال أشدهم لله خشية قيل فاخبرنا بخيارنا نجالسهم قال صلى الله عليه وسلم الذين اذا رؤا ذكر الله قيل فأى الناس شر قال اللهم غفرا قالوا أخبرنا يارسول الله قال العلماء اذا فسدوا وقال صلى الله عليه وسلم [3] ان أكثر الناس أمانا يوم القيامة أكثرهم فكرا فى الدنيا وأكثر الناس ضحكا فى الآخرة أكثرهم بكاء فى الدنيا وأشد الناس فرحا فى الآخرة أطولهم حزنا فى الدنيا وقال على رضى الله عنه فى خطبة له ذمتي رهينة وأنا به زعيم انه لا يهيج على التقوى زرع قوم ولا يظمأ على الهدى سنخ أصل وان أجهل الناس من لا يعرف قدره وان أبغض الخلق الى الله تعالى رجل قمش علما أغار به فى أغباش الفتنة سماه أشباه له من الناس وأراذلهم عالما ولم يعش فى العلم يوما سالما تكثر واستكثر لما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى حتي اذا ارتوى من ماء آجن وأكثر من غير طائل جلس للناس معلما لتخليص ما التبس على غيره فان نزلت به احدى المهمات هيأ لها من رأيه حشو الرأى فهو من قطع الشبهات فى مثل نسج العنكبوت لا يدرى أخطأ أم أصاب ركاب جهالات خباط عشوات لا يعتذر مما لا يعلم فيسلم ولا يعض على العلم بضرس قاطع فيغنم تبكى منه الدماء وتستحل بقضائه الفروج الحرام لا ملىء والله باصدار ماورد عليه ولا هو أهل لما فوض اليه أولئك الذين حلت عليهم

---

(١) حديث ان من خيار أمتى قوما يضحكون جهرا من سعة رحمة الله و يبكون سرا من خوف عذابه الحديث الحاكم والبيهقى فى شعب الايمان وضعفه من حديث عياض بن سليمان (٢) حديث قيل يارسول الله أى الأعمال افضل قال اجتناب المحارم ولا يزال فوك رطبا من ذكر الله الحديث لم اجده هكذا بطوله وفى زيادات الزهد لابن المبارك من حديث الحسن مرسلا سئل النبي صلى الله عليه وسلم اى الأعمال افضل قال ان تموت يوم تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى وللدارمى من رواية الأحوص بن حكيم عن ابيه مرسلا الا ان شر الشر شرار العلماء وان خير الخير خيار العلماء وقد تقدم (٣) حديث ان اكثر الناس امنا يوم القيامة اكثرهم خوفا فى الدنيا الحديث لم اجد له اصلا

المثلات وحقت عليهم النياحة والبكاء أيام حياة الدنيا وقال على رضى الله عنه اذا سمعتم العلم فاكظموا عليه ولا تخلطوه بهزل فتمجه القلوب وقال بعض السلف العالم اذا ضحك ضحكة مج من العلم مجة وقيل اذا جمع المعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المتعلم الصبر والتواضع وحسن الخلق واذا جمع المتعلم ثلاثا تمت النعمة بها على المعلم العقل والأدب وحسن الفهم وعلى الجملة فالأخلاق التى ورد بها القرآن لا ينفك عنها علماء الآخرة لأنهم يتعلمون القرآن للعمل لا للرياسة وقال ابن عمر رضى الله عنهما (١) لقد عشنا برهة من الدهر وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغى أن يقف عنده منها ولقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدرى ما آمره وما زاجره وما ينبغى أن يقف عنده ينثره نثر الدقل وفى خبر آخر بمثل معناه (٢) كنا أصحاب رسول الله ﷺ أوتينا الايمان قبل القرآن وسيأتى بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون حدوده وحقوقه يقولون قرأنا فمن أقرأ منا وعلمنا فمن أعلم منا فذلك حظهم وفى لفظ آخر أولئك شرار هذه الامة وقيل خمس من الاخلاق هى من علامات علماء الآخرة مفهومة من خمس آيات من كتاب الله عزوجل الخشية والخشوع والتواضع وحسن الخلق وايثار الآخرة على الدنيا وهو الزهد فاما الخشية فمن قوله تعالى ﴿انما يخشى الله من عباده العلماء﴾ وأما الخشوع فمن قوله تعالى ﴿خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا﴾ وأما التواضع فمن قوله تعالى ﴿واخفض جناحك للمؤمنين﴾ وأما حسن الخلق فمن قوله تعالى ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم﴾ وأما الزهد فمن قوله تعالى ﴿وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا﴾ (٣) ولما تلا رسول الله ﷺ قوله تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام﴾ فقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور اذا قذف فى القلب انشرح له الصدر وانفسح قيل فهل لذلك من علامة قال ﷺ نعم التجافى عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله * ومنها أن يكون أكثر بحثه عن علم الاعمال وعما يفسدها ويشوش القلوب ويهيج الوسواس ويثير الشر فان أصل الدين التوقى من الشر ولذلك قيل

عرفت الشر لا * للشر لكن لتوقيه
ومن لا يعرف الشر * من الناس يقع فيه

ولان الاعمال الفعلية قريبة وأقصاها بل أعلاها المواظبة على ذكر الله تعالى بالقلب واللسان وانما الشأن فى معرفة ما يفسدها ويشوشها وهذا مما تكثر شعبه ويطول تفريعه وكل ذلك مما يغلب مسيس الحاجة اليه وتعم به البلوى فى سلوك طريق الآخرة وأما علماء الدنيا فانهم يتبعون غرائب التفريعات فى الحكومات والأقضية ويتعبون فى وضع صور تنقضى الدهور ولا تقع أبدا وان وقعت فانما تقع لغيرهم لا لهم واذا وقعت كان فى القائمين بها كثرة ويتركون ما يلازمهم ويتكرر عليهم آناء الليل وأطراف النهار فى خواطرهم ووساوسهم وأعمالهم وما أبعد عن السعادة من باع مهم نفسه اللازم بمهم غيره النادر ايثارا للتقرب والقبول من الخلق على التقرب من الله سبحانه وشرها فى أن يسميه البطالون من أبناء الدنيا فاضلا محققا عالما بالدقائق وجزاؤه من الله أن لا ينتفع فى الدنيا بقبول الخلق بل يتكدر عليه صفوه بنوائب الزمان ثم يرد القيامة مفلسا متحسرا على ما يشاهده من ربح العاملين وفوز المقربين وذلك هو الخسران المبين ولقد كان الحسن البصرى رحمه الله أشبه الناس كلاما بكلام الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأقربهم هديا من الصحابة رضى الله عنهم اتفقت الكلمة فى حقه على ذلك وكان أكثر كلامه فى خواطر القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية الغامضة من شهوات

(١) حديث ابن عمر لقد عشنا برهة من الدهر وان أحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن الحديث الحاكم وصححه على شرط الشيخين والبيهقى (٢) حديث كنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أوتينا الايمان قبل القرآن الحديث ابن ماجه من حديث جندب مختصرا مع اختلاف (٣) حديث لما تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام الحديث الحاكم والبيهقى فى الزهد من حديث ابن مسعود

الآخرة مع كثرة الغوائل من غير دليل ولا رفيق متعب ومكد فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الانبياء وقد شغر منهم الزمان ولم يبق الا المترسمون وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفا فصار يرى المعروف منكرا والمنكر معروفا حتى ظل علم الدين مندرسا ومنار الهدى فى أقطار الارض منطمسا ولقد خيلوا الى الخلق أن لاعلم الا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام عند تهاوش الطغام أو جدل يتدرع به طالب المباهاة الى الغلبة والافحام أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ الى استدراج العوام اذلم يروا ما سوى هذه الثلاثة مصيدة للحرام وشبكة للحطام فأما علم طريق الآخرة وما درج عليه السلف الصالح ومما جمع الهم بصفاء الايام (والغربة) ثلاثة غربة عن الاوطان من أجل

النفس

النفس وقد قيل له يا أبا سعيد إنك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك فمن أين أخذته قال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن أين أخذته قال خصني به رسول الله ﷺ (١) كان الناس يسألونه عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه وعلمت أن الخير لا يسبقني علمه وقال مرة فعلمت أن من لا يعرف الشر لا يعرف الخير وفي لفظ آخر كانوا يقولون يا رسول الله ما لمن عمل كذا وكذا يسألونه عن فضائل الأعمال وكنت أقول يا رسول الله ما يفسد كذا وكذا فلما رآني أسأله عن آفات الأعمال خصني بهذا العلم وكان حذيفة رضي الله عنه أيضا قد خص بعلم المنافقين وأفرد بمعرفة علم النفاق وأسبابه ودقائق الفتن فكان عمر وعثمان وأكابر الصحابة رضي الله عنهم يسألونه عن الفتن العامة والخاصة وكان يسئل عن المنافقين فيخبر بعدد من بقي منهم ولا يخبر بأسمائهم وكان عمر رضي الله عنه يسأله عن نفسه هل يعلم فيه شيأ من النفاق فبرأه من ذلك وكان عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة ليصلي عليها نظر فان حضر حذيفة صلى عليها وإلا تركه وكان يسمى صاحب السر فالعناية بمقامات القلب وأحواله دأب علماء الآخرة لان القلب هو الساعي الى قرب الله تعالى وقد صار هذا الفن غريبا مندرسا واذا تعرض العالم لشيء منه استغرب واستبعد وقيل هذا تزويق المذكرين فأين التحقيق ويرون أن التحقيق في دقائق المجادلات ولقد صدق من قال

الطرق شتى وطرق الحق مفردة * والسالكون طريق الحق أفراد
لا يعرفون ولا تدرى مقاصدهم * فهم على مهل يمشون قصاد
والناس في غفلة عما يراد بهم * فجلهم عن سبيل الحق رقاد

وعلى الجملة فلا يميل أكثر الخلق إلا الى الأسهل والأوفق لطباعهم فان الحق مر والوقوف عليه صعب وإدراكه شديد وطريقه مستوعر ولا سيما معرفة صفات القلب وتطهيره عن الأخلاق المذمومة فان ذلك نزع للروح على الدوام وصاحبه ينزل منزلة الشارب للدواء يصبر على مرارته رجاء الشفاء وينزل منزلة من جعل مدة العمر صومه فهو يقاسي الشدائد ليكون فطره عند الموت ومتى تكثر الرغبة في هذا الطريق ولذلك قيل انه كان في البصرة مائة وعشرون متكلما في الوعظ والتذكير ولم يكن من يتكلم في علم اليقين وأحوال القلوب وصفات الباطن إلا ثلاثة منهم سهل التستري والصبيحي وعبد الرحيم وكان يجلس الى أولئك الخلق الكثير الذي لا يحصى والى هؤلاء عدد يسير قلما يجاوز العشرة لان النفيس العزيز لا يصلح إلا لأهل الخصوص وما يبذل للعموم فأمره قريب* ومنها أن يكون اعتماده في علومه على بصيرته وإدراكه بصفاء قلبه لا على الصحف والكتب ولا على تقليد ما يسمعه من غيره وانما المقلد صاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه فيما أمر به وقاله وانما يقلد الصحابة رضي الله عنهم من حيث أن فعلهم يدل على سماعهم من رسول الله ﷺ ثم اذا قلد صاحب الشرع ﷺ في تلقي أقواله وأفعاله بالقبول فينبغي أن يكون حريصا على فهم أسراره فان المقلد إنما يفعل الفعل لان صاحب الشرع ﷺ فعله وفعله لا بد وأن يكون لسر فيه فينبغي أن يكون شديد البحث عن أسرار الأعمال والأقوال فانه ان اكتفى بحفظ ما يقال كان وعاء للعلم ولا يكون عالما ولذلك كان يقال فلان من أوعية العلم فلا يسمى عالما اذا كان شأنه الحفظ من غير اطلاع على الحكم والأسرار ومن كشف عن قلبه الغطاء واستنار بنور الهداية صار في نفسه متبوعا مقلدا فلا ينبغي أن يقلد غيره ولذلك (٢) قال ابن عباس رضي الله عنهما ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ وقد كان تعلم من زيد بن ثابت الفقه وقرأ على أبي بن كعب ثم خالفهما في الفقه والقراءة جميعا وقال بعض السلف ما جاءنا عن رسول الله ﷺ قبلناه على الرأس والعين وما جاءنا عن الصحابة رضي الله

(١) حديث حذيفة كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكنت أسأله عن الشر الحديث أخرجاه مختصرا (٢) حديث ابن عباس ما من أحد إلا يؤخذ من علمه ويترك إلا رسول الله ﷺ الطبراني من حديثه برفعه بلفظه من قوله ويدع

(والاصطلام) نعت وله يرد على القلوب بقوة سلطان فيستكنها (والمكر) ثلاثة مكر عموم وهو الظاهر في بعض الأحوال ومكر خصوص وهو في سائر الأحوال ومكر خفي في إظهار الآيات والكرامات (والرغبة) ثلاثة رغبة النفس في الثواب ورغبة القلب في الحقيقة ورغبة السر في الحق (والرهبة) رهبة الغيب لتحقيق أمر السبق (والوجد) مصادفة القلب بصفاء ذكر كان فقده (والوجود) تمام وجد الواجدين وهو أتم الوجد عندهم * وسئل بعضهم عن الوجد والوجود فقال الوجد ما تطلبه فتجده بكسبك واجتهادك والوجود ما تجده من الله الكريم والوجد عن غير تمكين والوجود مع التمكين (والتواجد) استدعاء الوجد والتشبه في تكلفه بالصادقين من أهل الوجد (القاعدة) وأما القاعدة

عنهم فنأخذ منه و نترك وماجاء نا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال وإنما فضل الصحابة لمشاهدتهم قرائن أحوال رسول الله ﷺ واعتلاق قلوبهم أمورا أدركت بالقرائن فسددهم ذلك إلى الصواب من حيث لا يدخل فى الرواية والعبارة إذ فاض عليهم من نور النبوة ما يحرسهم فى الأكثر عن الخطأ واذا كان الاعتماد على المسموع من الغير تقليدا غير مرضى فالاعتماد على الكتب والتصانيف أبعد بل الكتب والتصانيف محدثة لم يكن شىء منها فى زمن الصحابة وصدر التابعين وإنما حدثت بعد سنة مائة وعشرين من الهجرة وبعد وفاة جميع الصحابة وجلة التابعين رضى الله عنهم و بعد وفاة سعيد بن المسيب والحسن وخيار التابعين بل كان الأولون يكرهون كتب الأحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر والتذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضى الله عنهم تصحيف القرآن فى مصحف وقالوا كيف نفعل شيأ مافعله رسول الله ﷺ وخافوا اتكال الناس على المصاحف وقالوا نترك القرآن يتلقاه بعضهم من بعض بالتلقين والاقراء ليكون هذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر رضى الله عنه و بقية الصحابة بكتب القرآن خوفا من تخاذل الناس و تكاسلهم وحذرا من أن يقع نزاع فلا يوجد أصل يرجع اليه فى كلمة أو قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبى بكر رضى الله عنه لذلك فجمع القرآن فى مصحف واحد وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك فى تصنيفه الموطأ و يقول ابتدع مالم تفعله الصحابة رضى الله عنهم * وقيل أول كتاب صنف فى الاسلام كتاب ابن جريج فى الآثار وحروف التفاسير عن مجاهد وعطاء وأصحاب ابن عباس رضى الله عنهم بمكة ثم كتاب معمر بن راشد الصنعانى باليمن جمع فيه سننا مأثورة نبوية * ثم كتاب الموطأ بالمدينة لمالك بن أنس ثم جامع سفيان الثورى * ثم فى القرن الرابع حدثت مصنفات الكلام وكثر الخوض فى الجدال والغوص فى إبطال المقالات ثم مال الناس اليه و إلى القصص والوعظ بها فأخذ علم اليقين فى الاندراس من ذلك الزمان فصار بعد ذلك يستغرب علم القلوب والتفتيش عن صفات النفس ومكايد الشيطان وأعرض عن ذلك إلا الأقلون فصار يسمى المجادل المتكلم عالما والقاص المزخرف كلامه بالعبارات المسجعة عالما وهذا لان العوام هم المستمعون اليهم فكان لا يتميز لهم حقيقة العلم من غيره ولم تكن سيرة الصحابة رضى الله عنهم وعلومهم ظاهرة عندهم حتى كانوا يعرفون بها مباينة هؤلاء لهم فاستمر عليهم اسم العلماء وتوارث اللقب خلف عن سلف وأصبح علم الآخرة مطويا وغاب عنهم الفرق بين العلم والكلام إلا عن الخواص منهم كانوا اذا قيل لهم فلان أعلم أم فلان يقولون فلان أكثر علما وفلان أكثر كلاما فكان الخواص يدركون الفرق بين العلم و بين القدرة على الكلام هكذا ضعف الدين فى قرون سالفة فكيف الظن بزمانك هذا وقد انتهى الأمر الى أن مظهر الانكار يستهدف لنسبته الى الجنون فالأولى أن يشتغل الانسان بنفسه و يسكت * ومنها أن يكون شديد التوقى من محدثات الأمور وإن اتفق عليها الجمهور فلا يغرنه إطباق الخلق على ماأحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم وليكن حريصا على التفتيش عن أحوال الصحابة وسيرتهم وأعمالهم وما كان فيه أكثرهم أكان فى التدريس والتصنيف والمناظرة والقضاء والولاية وتولى الأوقاف والوصايا وأكل مال الأيتام ومخالطة السلاطين ومجاملتهم فى العشرة أم كان فى الخوف والحزن والتفكر والمجاهدة ومراقبة الظاهر والباطن واجتناب دقيق الاثم وجليله والحرص على إدراك خفايا شهوات النفوس ومكايد الشيطان إلى غير ذلك من علوم الباطن * واعلم تحقيقا أن أعلم أهل الزمان وأقربهم الى الحق أشبههم بالصحابة وأعرفهم بطريق السلف فمنهم أخذ الدين ولذلك قال على رضى الله عنه خيرنا أتبعنا لهذا الدين لما قيل له خالفت فلانا فلا ينبغي أن يكترث بمخالفة أهل العصر فى موافقة أهل عصر رسول الله ﷺ فان الناس رأوا رأيا فيما هم فيه لميل طباعهم اليه ولم تسمح نفوسهم بالاعتراف بان ذلك سبب الحرمان من الجنة فادعوا أنه لا سبيل الى الجنة سواه ولذلك قال الحسن محدثان أحدثا فى الاسلام رجل ذو رأى سىء زعم أن الجنة لمن رأى مثل رأيه ومترف يعبد الدنيا لها

التى ينبغى عليها هذا الفن باسره فذلك اجتذاب أرواح المعانى والاشارة إلى البعد فى القرب قصد الاستدلال بالأقوال والأعمال والأحوال على الله تعالى قصدا ذاتيا لا على ما سلكه أرباب علوم الظاهر ثم التصديق بالقوة والنظر إلى الملكوت من كوة ومعرفة العلوم فى الانصراف ومصاحبة القدر بالمساعدة وبالمعروف ومعاطاة الوجودات الحس الذاتى والحسى والخيالى والعقلى والشبهى حسبما فهم من الشرع وثبت معناه فى المحفوظ من الوحى وقلما أدرك شىء من العجز والعلم لا ينال براحة الجسم ومن يتق الله يجعل له من أمره يسرا ذلك أمر الله أنزله اليكم ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا (والوصية) أيها الطالب للعلوم والناظر فى التصانيف والمستشرف على كلام الناس وكتب

الحكمة ليكن نظرك فيما تنظر فيه بالله ولله وفي الله لانه ان لم يكن نظرك به وكلك الى نفسك اوالى من جعلت نظرك به أيا كان غيره من فهم أو علم أوحفظ أو امام متبع أوصحة مبز أوماشا كل ذلك وكذلك ان لم يكن نظرك له فقد صار علمك لغيره ونكصت على عقبيك وخسرت في الدارين صفقتك وعاد كل هول عليك لمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وكذلك ان لم يكن نظرك فيه فقد أثبت معه غيره ولاحظت بالحقيقة سواه ورؤية غيره دونه تعمي القلب وتهتك الستر وتحجب اللب واذا نظرت في كلام أحد من الناس ممن قد شهر بعلم فلا تنظره بازدراء لكن يستغنى عنه في الظاهر وله اليه كثير حاجة في الباطن ولا تقف به حيث وقف به كلامه فالمعاني اوسع من العبارات والصدور افسح من الكتب المؤلفات وكثير علم مما لم يعبر عنه واطمح بنظر قلبك في

لها يغضب ولها يرضى واياها يطلب فارفضوهما الى النار وان رجلا أصبح في هذه الدنيا بين مترف يدعوه الى دنياه وصاحب هوى يدعوه الى هواه وقد عصمه الله تعالى منهما يحن الى السلف الصالح يسأل عن أفعالهم و يقتفي آثارهم متعرض لاجر عظيم فكذلك كونوا(١) وقد روى عن ابن مسعود موقوفا ومسندا أنه قال انما هما اثنتان الكلام والهدى فأحسن الكلام كلام الله تعالى وأحسن الهدى هدى رسول الله ﷺ ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثاتها وان كل محدثة بدعة وان كل بدعة ضلالة ألالا يطولن عليكم الامد فتقسو قلوبكم ألا كل ماهو آت قريب ألا ان البعيد ماليس بآت وفي خطبة رسول الله ﷺ (٢) طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه من غير معصية وخالط أهل الفقه والحكم وجانب أهل الزلل والمعصية طوبى لمن ذل في نفسه وحسنت خليقته وصلحت سريرته وعزل عن الناس شره طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله ووسعته السنة ولم يعدها بدعة وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول حسن الهدى في آخر الزمان خير من كثير من العمل وقال أنتم في زمان خيركم فيه المسارع في الامور وسيأتي بعدكم زمان يكون خيرهم فيه المتثبت المتوقف لكثرة الشبهات وقد صدق فمن لم يتوقف في هذا الزمان ووافق الجماهير فيما هم عليه وخاض فيما خاضوا فيه هلك كما هلكوا وقال حذيفة رضي الله عنه أعجب من هذا أن معروفكم اليوم منكر زمان قد مضى وان منكركم اليوم معروف زمان قد أتى وانكم لاتزالون بخير ماعرفتم الحق وكان العالم فيكم غير مستخف به ولقد صدق فان أكثر معروفات هذه الاعصار منكرات في عصر الصحابة رضي الله عنهم اذ من غرر المعروفات في زماننا تزيين المساجد وتنجيدها وانفاق الاموال العظيمة في دقائق عماراتها وفرش البسط الرفيعة فيها ولقد كان يعد فرش البواري في المسجد بدعة وقيل انه من محدثات الحجاج فقد كان الاولون قلما يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا وكذلك الاشتغال بدقائق الجدل والمناظرة من أجل علوم أهل الزمان ويزعمون أنه من أعظم القربات وقد كان من المنكرات ومن ذلك التلحين في القرآن والأذان ومن ذلك التعسف في النظافة والوسوسة في الطهارة وتقدير الأسباب البعيدة في نجاسة الثياب مع التساهل في حل الاطعمة وتحريمها الى نظائر ذلك ولقد صدق ابن مسعود رضي الله عنه حيث قال أنتم اليوم في زمان الهوى فيه تابع للعلم وسيأتي عليكم زمان يكون العلم فيه تابعا للهوى وقد كان أحمد بن حنبل يقول تركوا العلم وأقبلوا على الغرائب ماأقل العلم فيهم والله المستعان وقال مالك بن أنس رحمه الله لم تكن الناس فيما مضى يسألون عن هذه الامور كما يسأل الناس اليوم ولم يكن العلماء يقولون حرام ولا حلال ولكن أدركتهم يقولون مستحب ومكروه ومعناه أنهم كانوا ينظرون في دقائق الكراهة والاستحباب فاما الحرام فكان فحشه ظاهرا وكان هشام بن عروة يقول لا تسألوهم اليوم عما أحدثوه بأنفسهم فانهم قد أعدوا له جوابا ولكن سلوهم عن السنة فانهم لا يعرفونها وكان أبو سليمان الداراني رحمه الله يقول لا ينبغي لمن ألهم شيأ من الخير أن يعمل به حتى يسمع به في الاثر فيحمد الله تعالى اذ وافق ما في نفسه وانما قال هذا لان ماقد أبدع من الآراء قد قرع الاسماع وعلق بالقلوب وربما يشوش صفاء القلب فيتخيل بسببه الباطل حقا فيحتاط فيه بالاستظهار بشهادة الآثار ولهذا لما أحدث مروان المنبر في صلاة العيد عند المصلى قام اليه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه فقال يامروان ماهذه البدعة فقال انها ليست ببدعة انها خير مما تعلم أن الناس قد كثروا فاردت أن يبلغهم الصوت فقال أبو سعيد والله لا تأتون بخير مما أعلم أبدا والله لاصليت وراءك اليوم وانما أنكر ذلك عليه لان رسول الله ﷺ (٣) كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء

(١) حديث ابن مسعود انما هما اثنتان الكلام والهدى الحديث ابن ماجه (٢) حديث طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس وأنفق مالا اكتسبه الحديث أبو نعيم من حديث الحسين بن علي بسند ضعيف والبزار من حديث أنس أول الحديث وآخره والطبراني والبيهقي من حديث ركب المصري ووسط الحديث وكلها ضعيفة (٣) حديث كان يتوكأ في خطبة العيد والاستسقاء على قوس أو عصا الطبراني من حديث البراء ونحوه في يوم الأضحى

على قوس أو عصا لا على المنبر وفى الحديث المشهور(١) من أحدث فى ديننا ما ليس منه فهو رد(٢) وفى خبر آخر من غش أمتى فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين قيل يارسول الله وما غش أمتك قال أن يبتدع بدعة يحمل الناس عليها وقال رسول الله ﷺ(٣) ان الله عزوجل ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته * ومثال الجانى على الدين بابداع ما يخالف السنة بالنسبة الى من يذنب ذنبا مثال من عصى الملك فى قلب دولته بالنسبة الى من خالف أمره فى خدمة معينة وذلك قد يغفر له فاما قلب الدولة فلا * وقال بعض العلماء ما تكلم فيه السلف فالسكوت عنه جفاء وما سكت عنه السلف فالكلام فيه تكلف * وقال غيره الحق ثقيل من جاوزه ظلم ومن قصر عنه عجز ومن وقف معه اكتفى * وقال ﷺ(٤) عليكم بالنمط الاوسط الذى يرجع اليه العالى ويرتفع اليه التالى * وقال ابن عباس رضى الله عنهما الضلالة لها حلاوة فى قلوب أهلها قال الله تعالى ﴿ وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا ﴾ وقال تعالى ﴿ أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا ﴾ فكل ما أحدث بعد الصحابة رضى الله عنهم مما جاوز قدر الضرورة والحاجة فهو من اللعب واللهو وحكى عن ابليس لعنه الله أنه بث جنوده فى وقت الصحابة رضى الله عنهم فرجعوا اليه محسورين فقال ماشأنكم قالوا ما رأينا مثل هؤلاء ما نصيب منهم شيأ وقد أتعبونا فقال انكم لا تقدرون عليهم قد صحبوا نبيهم وشهدوا تنزيل ربهم ولكن سيأتى بعدهم قوم تنالون منهم حاجتكم فلما جاء التابعون بث جنوده فرجعوا اليه منكسين فقالوا ما رأينا أعجب من هؤلاء نصيب منهم الشىء بعد الشىء من الذنوب فاذا كان آخر النهار أخذوا فى الاستغفار فيبدل الله سيئاتهم حسنات فقال انكم لن تنالوا من هؤلاء شيأ لصحة توحيدهم واتباعهم لسنة نبيهم ولكن سيأتى بعد هؤلاء قوم تقر أعينكم بهم تلعبون بهم لعبا وتقودونهم بأزمة أهوائهم كيف شئتم ان استغفروا لم يغفر لهم ولا يتوبون فيبدل الله سيئاتهم حسنات قال فجاء قوم بعد القرن الاول فبث فيهم الاهواء وزين لهم البدع فاستحلوها واتخذوها دينا لا يستغفرون الله منها ولا يتوبون عنها فسلط عليهم الاعداء وقادوهم أين شاؤا فان قلت من أين عرف قائل هذا ما قاله ابليس ولم يشاهد ابليس ولا حدثه بذلك فاعلم أن أرباب القلوب يكاشفون باسرار الملكوت تارة على سبيل الالهام بان يخطر لهم على سبيل الورود عليهم من حيث لا يعلمون وتارة على سبيل الرؤيا الصادقة وتارة فى اليقظة على سبيل كشف المعانى بمشاهدة الامثلة كما يكون فى المنام وهذا أعلى الدرجات وهى من درجات النبوة العالية كما أن الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة فاياك أن يكون حظك من هذا العلم انكار ما جاوز حد قصورك ففيه هلك المتحذلقون من العلماء الزاعمون انهم أحاطوا بعلوم العقول فالجهل خير من عقل يدعو الى انكار مثل هذه الامور لأولياء الله تعالى ومن أنكر ذلك للاولياء لزمه انكار الانبياء وكان خارجا عن الدين بالكلية قال بعض العارفين انما انقطع الابدال فى أطراف الارض واستتروا عن أعين الجمهور لانهم لا يطيقون النظر الى علماء الوقت لانهم عندهم جهال بالله تعالى وهم عند أنفسهم وعند الجاهلين علماء قال سهل التسترى رضى الله عنه ان من أعظم المعاصى الجهل بالجهل والنظر الى العامة واستماع كلام أهل الغفلة وكل عالم خاض فى الدنيا فلا ينبغى أن يصغى الى قوله بل ينبغى أن يتهم فى كل ما يقول لان كل انسان يخوض فيما أحب ويدفع ما لا يوافق محبوبه ولذلك قال الله

ليس فيه الاستسقاء وهو ضعيف ورواه فى الصغير من حديث سعد القرظ كان اذا خطب فى العيدين خطب على قوس واذا خطب فى الجمعة خطب على عصا وهو عند ابن ماجه بلفظ كان اذا خطب فى الحرب خطب على قوس الحديث: (١) حديث من أحدث فى ديننا ما ليس فيه فهو رد متفق عليه من حديث عائشة بلفظ فى أمرنا ما ليس منه وعند ابى داود فيه (٢) حديث من غش امتى فعليه لعنة الله الحديث الدارقطنى فى الافراد من حديث أنس بسند ضعيف جدا (٣) حديث ان الله ملكا ينادى كل يوم من خالف سنة رسول الله ﷺ لم تنله شفاعته لم أجد له أصلا (٤) حديث عليكم بالنمط الأوسط الحديث أبو عبيد فى غريب الحديث موقوفا على على بن أبى طالب ولم أجده مرفوعا

كلامه الى غاية ما يحتمل فذلك يعرفك قدره ويفتح باب قصده ولا تقطع له بصحة ولا تحكم عليه بفساد ولكن تحسين النظر أغلب عليك فيه حتى يزول الاشكال عنك بما تتيقن من معانيه واذا رأيت له حسنة وسيئة فانشر الحسنة واطلب المعاذير للسيئة ولا تكن كالذبابة تنزل على اقذر ما تجده ولا تعجل على أحد بالتخطئة ولا تبادر بالتجهيل فربما عاد عليك ذلك وانت لا تشعر فلكل عالم عورة وله فى بعض ما يأتى به احتجاج وناهيك ما جرى بين ولى الله تعالى الخضر وكليمه موسى على نبينا وعليهما السلام واذا عرض لك من كلام عالم اشكال يؤذن فى الظاهر بمحال او اختلاج نفذ ما ظهر لك عاسه ودع ما اعتاص عليك فهمه وكل العلم فيه الى الله عزوجل فهذه وصيتى لك فاحفظها وتذكيرى اياك فلا تذهل عنه اسمع وصيتى ان تحفظ حفظتها * وان تخالف فقد يزدى بين الالف

عز وجل ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا والعوام العصاة أسعد حالا من الجهال بطريق الدين المعتقدين انهم من العلماء لان العامى العاصى معترف بتقصيره فيستغفر ويتوب وهذا الجاهل الظان أنه عالم فان ماهو مشتغل به من العلوم التي هي وسائله الى الدنيا عن سلوك طريق الدين فلا يتوب ولا يستغفر بل لا يزال مستمرا عليه الى الموت واذا غلب هذا على أكثر الناس الا من عصمه الله تعالى وانقطع الطمع من اصلاحهم فالاسلم لذى الدين المحتاط العزلة والانفراد عنهم كما سيأتي فى كتاب العزلة بيانه ان شاء الله تعالى ولذلك كتب يوسف بن أسباط الى حذيفة المرعشى ماظنك بمن بقى لا يجد أحدا يذكر الله تعالى معه الا كان آثما أو كانت مذاكرته معصية وذلك أنه لا يجد أهله ولقد صدق فان مخالطة الناس لا تنفك عن غيبة أو سماع غيبة أو سكوت على منكر وان أحسن أحواله أن يفيد علما أو يستفيده ولو تأمل هذا المسكين وعلم أن افادته لا تخلوا عن شوائب الرياء وطلب الجمع والرياسة علم أن المستفيد انما يريد أن يجعل ذلك آلة الى طلب الدنيا ووسيلة الى الشر فيكون هو معينا له على ذلك وردأ وظهيرا ومهيئا لأسبابه كالذى يبيع السيف من قطاع الطريق فالعلم كالسيف وصلاحه للخير كصلاح السيف للغزو ولذلك لا يرخص له فى البيع ممن يعلم بقرائن أحواله أنه يريد به الاستعانة على قطع الطريق فهذه اثنتا عشرة علامة من علامات علماء الآخرة تجمع كل واحدة منها جملة من أخلاق علماء السلف فكن أحد رجلين إما متصفا بهذه الصفات أو معترفا بالتقصير مع الاقرار به وإياك أن تكون الثالث فتلبس على نفسك بان بدلت آلة الدنيا بالدين وتشبه سيرة البطالين بسيرة العلماء الراسخين وتلتحق بجهلك وانكارك بزمرة الهالكين الآيسين نعوذ بالله من خدع الشيطان فبها هلك الجمهور فنسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن لا تغره الحياة الدنيا ولا يغره بالله الغرور

{ الباب السابع فى العقل وشرفه وحقيقته وأقسامه }

{ بيان شرف العقل }

اعلم أن هذا مما لا يحتاج الى تكلف فى اظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل العقل والعقل منبع العلم ومطلعه وأساسه والعلم يجرى منه مجرى الثمرة من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين فكيف لا يشرف ماهو وسيلة السعادة فى الدنيا والآخرة أو كيف يستراب فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتى ان أعظم البهائم بدنا وأشدها ضراوة وأقواها سطوة اذا رأى صورة الانسان احتشمه وهابه لشعوره باستيلائه عليه لما خص به من ادراك الحيل * ولذلك قال ﷺ (١) الشيخ فى قومه كالنبي فى امته وليس ذلك لكثرة ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التى هى ثمرة عقله ولذلك ترى الاتراك والأكراد واجلاف العرب وسائر الخلائق مع قرب منزلتهم من رتبة البهائم يوقرون المشايخ بالطبع ولذلك حين قصد كثير من المعاندين قتل رسول الله ﷺ فلما وقعت اعينهم عليه واكتحلوا بغرته الكريمة هابوه وتراءى لهم ما كان يتلألأ على ديباجة وجهه من نور النبوة وان كان باطنا فى نفسه بطون العقل فشرف العقل مدرك بالضرورة وانما القصد ان نورد ماوردت به الاخبار والآيات فى ذكر شرفه وقد سماه الله نورا فى قوله تعالى الله نور السموات والارض مثل نوره كمشكاة وسمى العلم المستفاد منه روحا ووحيا وحياة فقال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا وقال سبحانه اومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشى به فى الناس وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل كقوله يخرجهم من الظلمات الى النور * وقال ﷺ (٢) يا أيها الناس أعقلوا عن ربكم وتواصوا

{ الباب السابع فى العقل }

(١) حديث الشيخ فى قومه كالنبي فى أمته ابن حبان فى الضعفاء من حديث ابن عمر وأبو منصور الديلمى من حديث ابى رافع بسند ضعيف (٢) حديث يا أيها الناس اعقلوا عن ربكم وتواصوا بالعقل الحديث داود بن المحبر احد الضعفاء فى كتاب العقل من حديث ابى هريرة وهو فى مسند الحرث بن ابى اسامة عن داود

وأزيدك زيادة تقتضى التعريف بأصناف العلماء لكي يعرف أهل الحقيقة من غيرهم فلك فى ذلك أكبر منفعة ولى فى وصفهم أبلغ غرض قال علماؤنا العلماء ثلاثة حجة وحجاج ومحجوج فالحجة عالم بالله وبأمره وبآياته مهتما بالخشية لله سبحانه والورع فى الدين والزهد فى الدنيا والايثار لله عزوجل المستقيم والحجاج مدفوع إلى إقامة الحجة واطفاء نار البدعة قد اخرس المتكلمين والخم المتخرصين برهانه ساطع وبيانه قاطع وحفظه ماينازع شواهده بينة ونجومه نيرة قد حمى صراط الله المستقيم والمحجوج عالم بالله وبأمره وبآياته ولكنه فقد الخشية لله برؤيته لنفسه وبحجبه عن الورع والزهد فى الدنيا والرغبة والحرص وبعده من بركات علمه محبة العلو والشرف وخوف السقوط والفقر فهو عبد لعبيد الدنيا خادم لخدمها مفتون بعد علمه

بالعقل تعرفوا ما أمرتم به وما نهيتم عنه واعلموا أنه ينجد كم عند ربكم واعلموا أن العاقل من أطاع الله وان كان دميم المنظر حقير الخطر دنىء المنزلة رث الهيئة وان الجاهل من عصى الله تعالى وان كان جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصيحا نطوقا فالقردة والخنازير أعقل عند الله تعالى ممن عصاه ولا تغتر بتعظيم أهل الدنيا اياكم فانهم من الخاسرين * وقال ﷺ (١) أول ما خلق الله العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له أدبر فأدبر ثم قال الله عز وجل وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا أكرم عليّ منك بك آخذ وبك أعطي وبك أثيب وبك أعاقب فان قلت فهذا العقل ان كان عرضا فكيف خلق قبل الأجسام وان كان جوهرا فكيف يكون جوهر قائم بنفسه ولا يتحيز فاعلم ان هذا من علم المكاشفة فلا يليق ذكره بعلم المعاملة وغرضنا الآن ذكر علوم المعاملة وعن أنس رضي الله عنه (٢) قال أثنى قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالغوا فقال ﷺ كيف عقل الرجل فقالوا نخبرك عن اجتهاده في العبادة وأصناف الخير وتسألنا عن عقله فقال ﷺ ان الأحمق يصيب بجهله أكثر من فجور الفاجر وانما يرتفع العباد غدا في الدرجات الزلفى من ربهم على قدر عقولهم * وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٣) ما اكتسب رجل مثل فضل عقل يهدي صاحبه الى هدى ويرده عن ردى وما تم ايمان عبد ولا استقام دينه حتى يكمل عقله * وقال ﷺ (٤) ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله فعند ذلك تم ايمانه وأطاع ربه وعصى عدوه ابليس * وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٥) لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله فبقدر عقله تكون عبادته أما سمعتم قول الفجار في النار لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * وعن عمر رضي الله عنه أنه قال (٦) لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله ﷺ كما سألتك فقال كما قلت ثم قال سألت جبريل عليه السلام ما السودد فقال العقل * وعن البراء بن عازب رضي الله عنه (٧) قال كثرت المسائل يوما على رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس ان لكل شيء مطية ومطية المرء العقل وأحسنكم دلالة ومعرفة بالحجة أفضلكم عقلا * وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال (٨) لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد سمع الناس يقولون فلان أشجع من فلان وفلان أبلى ما لم يبل فلان ونحو هذا فقال رسول الله ﷺ أما هذا فلا علم لكم به قالوا وكيف ذلك يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم انهم قاتلوا على قدر ما قسم الله لهم من العقل وكانت نصرتهم ونيتهم على قدر عقولهم فأصيب منهم من أصيب على منازل شتى فاذا كان يوم القيامة اقتسموا المنازل على قدر نياتهم وقدر عقولهم * وعن البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم (٩) قال جد الملائكة واجتهدوا في طاعة الله سبحانه وتعالى بالعقل وجد المؤمنون من بني آدم على قدر

---

(١) حديث أول ما خلق الله العقل قال له أقبل الحديث الطبراني في الأوسط من حديث أبي أمامة وأبو نعيم من حديث عائشة باسنادين ضعيفين (٢) حديث أنس أثنى قوم على رجل عند النبي ﷺ حتى بالغوا في الثناء فقال كيف عقل الرجل الحديث ابن المحبر في العقل بتمامه والترمذي الحكيم في النوادر مختصرا (٣) حديث عمر ما اكتسب رجل مثل فضل عقل الحديث ابن المحبر في العقل وعنه الحرث ابن أبي أسامة (٤) حديث ان الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم ولا يتم لرجل حسن خلقه حتى يتم عقله الحديث المحبر من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده به والحديث عند الترمذي مختصر دون قوله ولا يتم من حديث عائشة وصححه (٥) حديث أبي سعيد لكل شيء دعامة ودعامة المؤمن عقله الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٦) حديث عمر أنه قال لتميم الداري ما السودد فيكم قال العقل قال صدقت سألت رسول الله ﷺ الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٧) حديث البراء كثرت المسائل على رسول الله ﷺ فقال يا أيها الناس ان لكل شيء مطية الحديث ابن المحبر وعنه الحرث (٨) حديث أبي هريرة لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة أحد سمع الناس يقولون كان فلان أشجع من فلان الحديث ابن المحبر (٩) حديث البراء بن عازب جد الملائكة واجتهدوا

مغتر بعد معرفته مخذول بعد نصرته شأنه الاحتقار لنعم الله والازدراء لاوليائه والاستحلاف بالجهال من عباده ونخره بلقاء أميره وصلة سلطانه وطاعة القاضي والوزير والحاجب له قد أهلك نفسه حين لم ينتفع بعلمه والاتباع له ومن يكون بعده قدوة به ومراده من الدنيا مثله في مثل هذا ضرب الله المثل حين قال واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث فويل لمن صحب مثل هذا في دنياه وويل لمن تبعه في دينه وهذا هو الذي أكل بدينه غير منصف لله سبحانه في نفسه ولا ناصح له في عباده تراه ان أعطى من الدنيا رضي بالمدحة لمن اعطاه وان منع رشى بالدم لمن منعه وقد نسي من قسم الارزاق وقدر الاقدار وأجرى الاسباب وفرغ من الخلق كلهم

عقولهم

فنعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدى وانما زدنك هذه الزيادة وان ظهر (٧٥) لكثير أنها ليست من الغرض

عقولهم فاعملهم بطاعة الله عز وجل أوفرهم عقلا وعن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يارسول الله (١) بم يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل قلت وفى الآخرة قال بالعقل قلت أليس انما يجزون بأعمالهم فقال ﷺ ياعائشة وهل عملوا إلا بقدر ما أعطاهم عز وجل من العقل فبقدر ما أعطوا من العقل كانت أعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ (٢) لكل شىء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل ولكل شىء مطية ومطية المرء العقل ولكل شىء دعامة ودعامة الدين العقل ولكل قوم غاية وغاية العباد العقل ولكل قوم داع وداعى العابدين العقل ولكل تاجر بضاعة وبضاعة المجتهدين العقل ولكل أهل بيت قيم وقيم بيوت الصديقين العقل ولكل خراب عمارة وعمارة الآخرة العقل ولكل امرىء عقب ينسب اليه ويذكر به وعقب الصديقين الذى ينسبون اليه ويذكرون به العقل ولكل سفر فسطاط وفسطاط المؤمنين العقل وقال ﷺ (٣) ان أحب المؤمنين إلى الله عز وجل من نصب فى طاعة الله عز وجل ونصح لعباده وكمل عقله ونصح نفسه فأبصر وعمل به أيام حياته فافلح وأنجح وقال ﷺ (٤) أتمكم عقلا أشدكم لله تعالى خوفا وأحسنكم فيما أمركم به ونهى عنه نظرا وان كان أقلكم تطوعا

{ بيان حقيقة العقل وأقسامه }

اعلم ان الناس اختلفوا فى حد العقل وحقيقته وذهل الأكثرون عن كون هذا الاسم مطلقا على معان مختلفة فصار ذلك سبب اختلافهم والحق الكاشف للغطاء فيه أن العقل اسم يطلق بالاشتراك على أربعة معان كما يطلق اسم العين مثلا على معان عدة وما يجرى هذا المجرى فلا ينبغي ان يطلب لجميع أقسامه حد واحد بل يفرد كل قسم بالكشف عنه (فالأول) الوصف الذي يفارق الانسان به سائر البهائم وهو الذى استعد به لقبول العلوم النظرية وتدبير الصناعات الخفية الفكرية وهو الذى أراده الحرث بن أسد المحاسبي حيث قال فى حد العقل انه غريزة يتهيأ بها ادراك العلوم النظرية وكأنه نور يقذف فى القلب به يستعد لادراك الأشياء ولم ينصف من أنكر هذا ورد العقل إلى مجرد العلوم الضرورية فان الغافل عن العلوم والنائم يسميان عاقلين باعتبار وجود هذه الغريزة فيهما مع فقد العلوم وكما أن الحياة غريزة بها يتهيأ الجسم للحركات الاختيارية والادراكات الحسية فكذلك العقل غريزة بها تتهيأ بعض الحيوانات للعلوم النظرية ولو جاز أن يسوى بين الانسان والحمار فى الغريزة والادراكات الحسية فيقال لا فرق بينهما إلا أن الله تعالى بحكم اجراء العادة يخلق فى الانسان علوما وليس يخلقها فى الحمار والبهائم لجاز أن يسوى بين الحمار والجماد فى الحياة ويقال لا فرق إلا أن الله عز وجل يخلق فى الحمار حركات مخصوصة بحكم اجراء العادة فانه لو قدر الحمار جمادا ميتا لوجب القول بان كل حركة تشاهد منه فالله سبحانه وتعالى قادر على خلقها فيه على الترتيب المشاهد وكما وجب أن يقال لم يكن مفارقته للجماد فى الحركات إلا بغريزة اختصت به عبر عنها بالحياة فكذا مفارقة الانسان البهيمة فى ادراك العلوم النظرية بغريزة يعبر عنها بالعقل وهو كالمرآة التى تفارق غيرها من الاجسام فى حكاية الصور والالوان بصفة اختصت بها وهي الصقالة وكذلك العين تفارق الجبهة فى صفات وهيآت بها استعدت للرؤية فنسبة هذه الغريزة إلى العلوم كنسبة العين إلى الرؤية ونسبة القرآن والشرع الى هذه الغريزة فى سياقها الى انكشاف العلوم لها كنسبة نور الشمس الى البصر فهكذا

فى طاعة الله بالعقل الحديث ابن المحبر كذلك وعنه الحارث فى مسنده ورواه البغوى فى معجم الصحابة من حديث ابن عازب رجل من الصحابة غير البراء وهو بالسند الذى رواه ابن المحبر (١) حديث عائشة قلت يارسول الله بأى شىء يتفاضل الناس فى الدنيا قال بالعقل الحديث ابن المحبر والترمذى الحكيم فى النوادر نحوه (٢) حديث ابن عباس لكل شىء آلة وعدة وان آلة المؤمن العقل الحديث ابن المحبر وعنه الحارث (٣) حديث أن أحب المؤمنين الى الله من نصب فى طاعة الله الحديث ابن المحبر من حديث ابن عمر ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس باسناد آخر ضعيف (٤) حديث أتمكم عقلا أشدكم لله خوفا الحديث ابن المحبر من حديث أبى قتادة

الذى نحن فيه فقصدى أن يعلم من ذهب من الناس ومن بقى ومن أبصر الحقائق ومن عمى ومن اهتدى على الصراط المستقيم ومن غوى فليعلم أن الصنفين الاولين من العلماء قد ذهبوا وان كان بقى منهم أحد فهو غير محسوس للناس ولا مدرك بالملاحظة

غاب الذين إذا ما حدثوا صدقوا * وظنهم كيقين انهم حند سوا

وذلك لما سبق فى القضاء من ظهور الفساد وعدم أهل الصلاح والرشاد نعم وعدم الصنف الثالث على غرابته وأعز شىء على وجه الأرض وفى الغالب ما يقع عليه فى الحقيقة اسم علم عند شخص مشهور به وانما الموجود اليوم أهل سخافة ودعوى وحماقة واجتراء وعجب بغير فضيلة ورياء يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا وهم أكثر من عمر الأرض وصيروا أنفسهم أوتاد

ينبغي أن تفهم هذه الغريزة (الثاني) هي العلوم التي تخرج إلى الوجود في ذات الطفل المميز بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات كالعلم بأن الاثنين أكثر من الواحد وان الشخص الواحد لا يكون في مكانين في وقت واحد وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم الضرورية كالعلم بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات وهو أيضا صحيح في نفسه لان هذه العلوم موجودة وتسميتها عقلا ظاهر وانما الفاسد ان تنكر تلك الغريزة ويقال لا موجود الا هذه العلوم (الثالث) علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب وهذبته المذاهب يقال انه عاقل في العادة ومن لا يتصف بهذه الصفة فيقال انه غبي غمر جاهل فهذا نوع آخر من العلوم يسمى عقلا (الرابع) أن تنتهي قوة تلك الغريزة الى أن يعرف عواقب الأمور ويقمع الشهوة الداعية إلى اللذة العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة سمي صاحبها عاقلا من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب لا بحكم الشهوة العاجلة وهذا أيضا من خواص الانسان التي بها يتميز عن سائر الحيوان فالأول هو الأس والسنخ والمنبع والثاني هو الفرع الاقرب اليه والثالث فرع الأول والثاني إذ بقوة الغريزة والعلوم الضرورية تستفاد علوم التجارب والرابع هو الثمرة الاخيرة وهي الغاية القصوى فالأولان بالطبع والاخيران بالاكتساب ولذلك قال علي كرم الله وجهه

رأيت العقل عقلين * فمطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع
اذا لم يك مطبوع * كما لا تنفع الشمس * وضوء العين ممنوع

والاول هو المراد بقوله ﷺ (١) ما خلق الله عز وجل خلقا أكرم عليه من العقل والاخير هو المراد بقوله ﷺ (٢) اذا تقرب الناس بأبواب البر والأعمال الصالحة فتقرب أنت بعقلك وهو المراد بقول رسول الله ﷺ لأبي الدرداء رضي الله عنه (٣) ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بأبي أنت وأمي وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله تعالى وأد فرائض الله سبحانه تكن عاقلا واعمل بالصالحات من الأعمال تزدد في عاجل الدنيا رفعة وكرامة وتنل في آجل العقبي بهما من ربك عز وجل القرب والعز وعن سعيد بن المسيب (٤) أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة رضي الله عنهم دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال ﷺ العاقل قالوا فمن أعبد الناس قال العاقل قالوا فمن أفضل الناس قال العاقل قالوا أليس العاقل من تمت مروءته وظهرت فصاحته وجادت كفه وعظمت منزلته فقال ﷺ وان كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للمتقين ان العاقل هو المتقي وان كان في الدنيا خسيسا ذليلا قال ﷺ في حديث آخر (٥) انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ويشبه أن يكون أصل الاسم في أصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما أطلق على العلوم من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية والعالم من يخشى الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فتكون كالمجاز لغير تلك الغريزة ولكن ليس الغرض البحث عن اللغة والمقصود ان هذه الأقسام الأربعة موجودة والاسم يطلق على جميعها ولا خلاف في وجود جميعها إلا في القسم الأول والصحيح وجودها بل هي الأصل وهذه العلوم كأنها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة

(١) حديث ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل الترمذي الحكيم في النوادر بسند ضعيف من رواية الحسن عن عدة من الصحابة (٢) حديث اذا تقرب الناس بأنواع البر فتقرب أنت بعقلك أبو نعيم في الحلية من حديث علي إذا اكتسب الناس من أنواع البر ليتقربوا بها إلى ربنا عز وجل فاكتسب أنت من أنواع العقل تسبقهم بالزلفة والقرب واسناده ضعيف (٣) حديث ازدد عقلا تزدد من ربك قربا الحديث قاله لأبي الدرداء ابن المحبر ومن طريقه الحارث بن أبي أسامة والترمذي الحكيم في النوادر (٤) حديث ابن المسيب أن عمر وأبي بن كعب وأبا هريرة دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله من أعلم الناس فقال العاقل الحديث ابن المحبر (٥) انما العاقل من آمن بالله وصدق رسله وعمل بطاعته ابن المحبر من حديث سعيد بن المسيب مرسلا وفيه قصة

وانتقاض أهل الارادة والدين مثل البهائم جهال بخالقهم لهم نصاب ولم يعرف لمن سجا كل يروم على مقدار حيلته * زوائر الأسد والنباحنة اللها فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون اتخذوا أيمانهم جنة فصدوا عن سبيل الله انهم ساء ما كانوا يعملون أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون

أولو النفاق فان قلت أصدقوا كذبوا من السفهاء وان قلت اكذبوا صدقوا (ولنأخذ) في جواب ما سألت عنه على نحو مارغبت فيه واستوهب الله نفوذ البصيرة وحسن السريرة وغفران الجريرة وهو ربي ورب كل شيء واليه المصير (ابتداء الأجوبة عن مراسم الأسئلة) جرى الرسم في الاحياء بتقسيم التوحيد

ولكن تظهر فى الوجود اذا جرى سبب يخرجها إلى الوجود حتى كأن هذه العلوم ليست بشيء وارد عليها من خارج وكأنها كانت مستكنة فيها فظهرت ومثاله الماء فى الأرض فانه يظهر بحفر البئر ويجتمع ويتميز بالحس لا بان يساق اليها شيء جديد وكذلك الدهن فى اللوز وماء الورد فى الورد ولذلك قال تعالى ﴿واذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ فالمراد به اقرار نفوسهم لا إقرار الألسنة فانهم انقسموا فى إقرار الالسنة حيث وجدت الالسنة والأشخاص إلى مقر وإلى جاحد ولذلك قال تعالى ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ معناه ان اعتبرت أحوالهم شهدت بذلك نفوسهم وبواطنهم ﴿فطرة الله التى فطر الناس عليها﴾ أى كل آدمى فطر على الايمان بالله عز وجل بل على معرفة الأشياء على ماهى عليه أعني أنها كالمضمنة فيها لقرب استعدادها للادراك ثم لما كان الايمان مركوزا فى النفوس بالفطرة انقسم الناس إلى قسمين إلى من أعرض فنسى وهم الكفار وإلى من أجال خاطره فتذكر فكان كمن حمل شهادة فنسيها بغفلة ثم تذكرها ولذلك قال عز وجل ﴿لعلهم يتذكرون﴾ وليتذكر أولوا الألباب ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذى واثقكم به﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر وتسمية هذا النمط تذكرا ليس ببعيد فكأن التذكر ضربان أحدهما أن يذكر صورة كانت حاضرة الوجود فى قلبه لكن غابت بعد الوجود والآخر أن يذكر صورة كانت مضمنة فيه بالفطرة وهذه حقائق ظاهرة للناظر بنور البصيرة ثقيلة على من يستروح ٧ السماع والتقليد دون الكشف والعيان ولذلك تراه يتخبط فى مثل هذه الآيات ويتعسف فى تأويل التذكر وإقرار النفوس أنواعا من التعسفات ويتخايل إليه فى الاخبار والآيات ضروب من المناقضات وربما يغلب ذلك عليه حتى ينظر اليها بعين الاستحقار ويعتقد فيها التهافت ومثاله مثال الأعمى الذى يدخل دارا فيعثر فيها بالأوانى المصفوفة فى الدار فيقول ما لهذه الأوانى لا ترفع من الطريق وترد إلى مواضعها فيقال له انها فى مواضعها وإنما الخلل فى بصرك فكذلك خلل البصيرة يجرى مجراه وأطم منه وأعظم اذ النفس كالفارس والبدن كالفرس وعمى الفارس أضر من عمى الفرس ولمشابهة بصيرة الباطن لبصيرة الظاهر قال الله تعالى ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ وقال تعالى ﴿وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض﴾ الآية وسمى ضده عمى فقال تعالى ﴿فانها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور﴾ وقال تعالى ﴿ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا﴾ وهذه الأمور التى كشفت للانبياء بعضها كان بالبصر وبعضها كان بالبصيرة وسمى الكل رؤية وبالجملة من لم تكن بصيرته الباطنة ثاقبة لم يعلق به من الدين إلا قشوره وأمثلته دون لبابه وحقائقه فهذه أقسام ما ينطلق اسم العقل عليها

﴿ بيان تفاوت النفوس فى العقل ﴾

قد اختلف الناس فى تفاوت العقل ولا معنى للاشتغال بنقل كلام من قل تحصيله بل الاولى والاهم المبادرة إلى التصريح بالحق والحق الصريح فيه أن يقال ان التفاوت يتطرق إلى الاقسام الاربعة سوى القسم الثانى وهو العلم الضرورى بجواز الجائزات واستحالة المستحيلات فان من عرف أن الاثنين أكثر من الواحد عرف أيضا استحالة كون الجسم فى مكانين وكون الشيء الواحد قديما حادثا وكذا سائر النظائر وكل ما يدركه ادراكا محققا من غير شك وأما الاقسام الثلاثة فالتفاوت يتطرق اليها أما القسم الرابع وهو استيلاء القوة على قمع الشهوات فلا يخفى تفاوت الناس فيه بل لا يخفى تفاوت أحوال الشخص الواحد فيه وهذا التفاوت يكون تارة لتفاوت الشهوة اذ قد يقدر العاقل على ترك بعض الشهوات دون بعض ولكن غير مقصور عليه فان الشاب قد يعجز عن ترك الزنا واذا كبر وتم عقله قدر عليه وشهوة الرياء والرياسة تزداد قوة بالكبر لا ضعفا وقد يكون سببه التفاوت فى العلم المعرف لغائلة تلك الشهوة ولهذا يقدر الطبيب على الاحتماء عن بعض الاطعمة المضرة وقد لا يقدر من يساويه فى العقل على ذلك اذا لم يكن طبيبا وان كان يعتقد على الجملة فيه مضرة ولكن اذا كان علم الطبيب أتم كان خوفه أشد فيكون الخوف جندا للعقل وعدة له فى قمع الشهوات وكسرها وكذلك يكون العالم أقدر على ترك المعاصى من

---

٧ (قوله يستروح) من الرواج أى يكون السماع والتقليد رائجا عنده فتأمل اهـ مصححه

على أربع مراتب تشبيها لموافقة الغرض فى التمثيل به وذكرت أن المعترض وسوس أو بالخواطر هجس بأن لفظ التوحيد ينافى التقسيم اذ لا يخلو بأن يتعلق بوصف الواحد الذى ليس بزائد عليه فذلك لا ينقسم لا بالجنس ولا بالفصل ولا بغير ذلك واما أن يتعلق بوصف المكلفين الذين توجب لهم حكمه اذا وجد فيهم فذلك أيضا لا ينقسم من حيث انتسابهم اليه بالعقل وذلك لضيق المجال فيه ولهذا لا يتصور فيه مذاهب وانما التوحيد مسلك حق بين مسلكين باطلين أحدهما الشرك والثانى الالباس وكلا الطرفين كفر والوسط ايمان محض وهو أحد من السيف وأضيق من خط الظل ولهذا قال أكثر المتكلمين بتماثل ايمان جميع المؤمنين والملائكة والنبيين والمرسلين وسائر عموم المرسلين وانما تختلف طرق ايمانهم التى هى علومهم ومذهبهم فى ذلك معروف ونحن لا نلم فى هذه الاجابة كلها بشيء

من انحاء الجدال ومقابلة الاقوال بالاقوال بل يقصد ازالة غير الاشكال ورد ما طعن به أهل الضلال والاضلال

الجاهل لقوة علمه بضرر المعاصي وأعني به العالم الحقيقي دون أرباب الطيالسة وأصحاب الهذيان فان كان التفاوت من جهة الشهوة لم يرجع الى تفاوت العقل وان كان من جهة العلم فقد سمينا هذا الضرب من العلم عقلا أيضا فانه يقوي غريزة العقل فيكون التفاوت فيما رجعت التسمية إليه وقد يكون بمجرد التفاوت في غريزة العقل فانها اذا قويت كان قمعها للشهوة لا محالة أشد وأما القسم الثالث وهو علوم التجارب فتفاوت الناس فيها لا ينكر فانهم يتفاوتون بكثرة الاصابة وسرعة الادراك ويكون سببه إما تفاوتا في الغريزة وإما تفاوتا في الممارسة فاما الأول وهو الأصل أعني الغريزة فالتفاوت فيه لا سبيل إلى جحده فانه مثل نور يشرق على النفس ويطلع صبحه ومبادي إشراقه عند سن التمييز ثم لا يزال ينمو ويزداد نموا خفي التدريج إلى أن يتكامل بقرب الأربعين سنة ومثاله نور الصبح فان أوائله يخفى خفاء يشق ادراكه ثم يتدرج إلى الزيادة إلى أن يكمل بطلوع قرص الشمس وتفاوت نور البصيرة كتفاوت نور البصر والفرق مدرك بين الأعمش وبين حاد البصر بل سنة الله عز وجل جارية في جميع خلقه بالتدريج في الايجاد حتى ان غريزة الشهوة لا تظهر في الصبي عند البلوغ دفعة وبغتة بل تظهر شيأ فشيأ على التدريج وكذلك جميع القوى والصفات ومن أنكر تفاوت الناس في هذه الغريزة فكأنه منخلع عن ربقة العقل ومن ظن أن عقل النبي ﷺ مثل عقل آحاد السوادية وأجلاف البوادي فهو أخس في نفسه من آحاد السوادية وكيف ينكر تفاوت الغريزة ولولاه لما اختلفت الناس في فهم العلوم ولما انقسموا إلى بليد لا يفهم بالتفهيم إلا بعد تعب طويل من المعلم وإلى ذكي يفهم بأدنى رمز وإشارة وإلى كامل تنبعث من نفسه حقائق الأمور بدون التعليم كما قال تعالى ﴿يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور﴾ وذلك مثل الأنبياء عليهم السلام اذ يتضح لهم في بواطنهم أمور غامضة من غير تعلم وسماع ويعبر عن ذلك بالالهام وعن مثله عبر النبي ﷺ حيث قال[1] ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه وعش ما شئت فانك ميت واعمل ما شئت فانك مجزي به وهذا النمط من تعريف الملائكة للانبياء يخالف الوحي الصريح الذي هو سماع الصوت بحاسة الأذن ومشاهدة الملك بحاسة البصر ولذلك أخبر عن هذا بالنفث في الروع ودرجات الوحي كثيرة والخوض فيها لا يليق بعلم المعاملة بل هو من علم المكاشفة ولا تظنن أن معرفة درجات الوحي تستدعي منصب الوحي اذ لا يبعد أن يعرف الطبيب المريض درجات الصحة ويعلم العالم الفاسق درجات العدالة وان كان خاليا عنها فالعلم شيء ووجود المعلوم شيء آخر فلا كل من عرف النبوة والولاية كان نبيا ولا وليا ولا كل من عرف التقوى والورع ودقائقه كان تقيا وانقسام الناس إلى من يتنبه من نفسه ويفهم وإلى من لا يفهم إلا بتنبيه وتعليم وإلى من لا ينفعه التعليم أيضا ولا التنبيه كانقسام الارض إلى ما يجتمع فيه الماء فيقوى فيتفجر بنفسه عيونا وإلى ما يحتاج إلى الحفر ليخرج إلى القنوات وإلى ما لا ينفع فيه الحفر وهو اليابس وذلك لاختلاف جواهر الارض في صفاتها فكذلك اختلاف النفوس في غريزة العقل ويدل على تفاوت العقل من جهة النقل ما روي أن عبد الله بن سلام رضي الله عنه سأل النبي ﷺ في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وان الملائكة قالت[2] يا ربنا هل خلقت شيأ أعظم من العرش قال نعم العقل قالوا وما بلغ من قدره قال هيهات لا يحاط بعلمه هل لكم علم بعدد الرمل قالوا لا قال الله عز وجل فاني خلقت العقل أصنافا شتى كعدد الرمل فمن الناس من أعطي حبة ومنهم من أعطي حبتين ومنهم من أعطي الثلاث والاربع ومنهم من أعطي فرقا ومنهم من أعطي وسقا ومنهم من أعطي أكثر من ذلك

* فان قلت فما بال أقوام من المتصوفة يذمون العقل والمعقول * فاعلم أن السبب فيه أن الناس نقلوا اسم العقل والمعقول إلى المجادلة والمناظرة بالمناقضات والالزامات وهو صنعة الكلام فلم يقدروا على أن يقرروا عندهم

---

(١) ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه الحديث الشيرازي في الألقاب من حديث سهل بن سعد نحوه والطبراني في الأصغر والأوسط من حديث علي وكلاهما ضعيف

(٢) حديث ابن سلام سئل النبي ﷺ في حديث طويل في آخره وصف عظم العرش وأن الملائكة قالت يارب

(واعلم) أن التقسيم على الاطلاق يستعمل على انحاء يتوجه ههنا بشيء قدح به المعترض أو هجس به الخاطر وانما المستعمل ههنا من انحائه ما تتميز به بعض الاشخاص بما اختصت به من الاحوال وكل حالة منها تسمى توحيدا على جهة تنفرد بها لا يشاركها فيها غيرها فمن وجد التوحيد بلسانه يسمى لأجله موحدا مادام يظن أن قلبه موافق للسانه وان علم منه خلاف ذلك سلب عنه الاسم وأقيم عليه ما شرع في الحكم ومن وجد بقلبه على طريق الركون إليه والميل إلى اعتقاده والسكون نحوه بلا علم يصحبه فيه ولا برهان يربط به يسمى أيضا موحدا على معنى انه يعتقد التوحيد كما يسمى من يعتقد مذهب الشافعي شافعيا والحنبلي حنبليا

انكم أخطأتم فى التسمية إذ كان ذلك لا ينمحى عن قلوبهم بعد تداول الألسنة به ورسوخه فى القلوب فذموا العقل والمعقول وهو المسمى به عندهم فأما نور البصيرة الباطنة التى بها يعرف الله تعالى ويعرف صدق رسله فكيف يتصور ذمه وقد أثنى الله تعالى عليه وان ذم فما الذى بعده يحمد فان كان المحمود هو الشرع فبم علم صحة الشرع فان علم بالعقل المذموم الذى لا يوثق به فيكون الشرع أيضا مذموما ولا يلتفت الى من يقول إنه يدرك بعين اليقين ونور الايمان لا بالعقل فانا نريد بالعقل ما يريده بعين اليقين ونور الايمان وهى الصفة الباطنة التى يتميز بها الآدمى عن البهائم حتى أدرك بها حقائق الأمور وأكثر هذه التخبيطات انما ثارت من جهل أقوام طلبوا الحقائق من الألفاظ فتخبطوا فيها لتخبط اصطلاحات الناس فى الألفاظ فهذا القدر كاف فى بيان العقل والله أعلم

تم كتاب العلم بحمد الله تعالى ومنه * وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب قواعد العقائد والحمد لله وحده أولا وآخرا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ كتاب قواعد العقائد وفيه أربعة فصول ﴾

﴿ الفصل الأول ﴾ فى ترجمة عقيدة أهل السنة فى كلمتى الشهادة التى هى أحد مبانى الاسلام فنقول وبالله التوفيق الحمد لله المبدىء المعيد الفعال لما يريد ذى العرش المجيد والبطش الشديد الهادى صفوة العبيد الى المنهج الرشيد والمسلك السديد المنعم عليهم بعد شهادة التوحيد بحراسة عقائدهم عن ظلمات التشكيك والترديد السالك بهم الى اتباع رسوله المصطفى واقتفاء آثار صحبه الاكرمين المكرمين بالتأييد والتسديد المتجلى لهم فى ذاته وأفعاله بمحاسن أوصافه التى لا يدركها الا من ألقى السمع وهو شهيد المعرف اياهم أنه فى ذاته واحد لا شريك له فرد لا مثيل له صمد لا ضد له منفرد لا ند له وأنه واحد قديم لا أول له أزلى لا بداية له مستمر الوجود لا آخر له أبدى لا نهاية له قيوم لا انقطاع له دائم لا انصرام له لم يزل ولا يزال موصوفا بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء والانفصال بتصرم الآباد وانقراض الآجال بل هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم (التنزيه) وأنه ليس بجسم مصور ولا جوهر محدود مقدر وأنه لا يماثل الأجسام لا فى التقدير ولا فى قبول الانقسام وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجودا ولا يماثله موجود ليس كمثله شئ ولا هو مثل شئ وأنه لا يحده المقدار ولا تحويه الأقطار ولا تحيط به الجهات ولا تكتنفه الأرضون ولا السموات وأنه مستو على العرش على الوجه الذى قاله وبالمعنى الذى أراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن والحلول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون فى قبضته وهو فوق العرش والسماء وفوق كل شىء إلى تخوم الثرى فوقية لا تزيده قربا إلى العرش والسماء كما لا تزيده بعدا عن الأرض والثرى بل هو رفيع الدرجات عن العرش والسماء كما أنه رفيع الدرجات عن الأرض والثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب إلى العبد من حبل الوريد وهو على كل شئ شهيد اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا تماثل ذاته ذات الأجسام وأنه لا يحل فى شىء ولا يحل فيه شىء تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان وهو الآن على ما عليه كان وأنه بائن عن خلقه بصفاته ليس فى ذاته سواه ولا فى سواه ذاته وأنه مقدس عن التغير والانتقال لا تحله الحوادث ولا تعتريه العوارض بل لا يزال فى نعوت جلاله منزها عن الزوال وفى صفات كماله مستغنيا عن زيادة الاستكمال وأنه فى ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئى الذات بالأبصار نعمة منه ولطفا بالأبرار فى دار القرار وإتماما منه للنعيم بالنظر الى وجهه الكريم (الحياة والقدرة) وأنه تعالى حى قادر جبار قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت وأنه ذو الملك والملكوت

هل خلقت شيأ أعظم من العرش الحديث ابن المحبر من حديث أنس بتمامه والترمذى الحكيم فى النوادر مختصرا

ومن رزق علم التوحيد وما يتحقق به عنده وسمى من أجله بشكوكه العارضة له فيسمى موحد الا انه عارف به يقال يجادل ونحوى وفقيه ومعناه يعرف الجدل والفقه والنحو (وأما) من استغرق علم التوحيد قلبه واستولى على جملته حتى لا يجد فيه فضلا لغيره الا على طريق التبعية له ويكون شهود التوحيد لكل ماعداه سابقا له مع الذكر والفكر مصاحبا من غير أن يعتريه ذهول ولا نسيان له لاجل اشتغاله بغيره كالعادة فى سائر العلوم فهذا يسمى موحدا ويكون القصد بالمسمى من ذلك المبالغة فيه (فأما) الصنف الاول وهم أرباب النطق المفرد فلا يضربون فى التوحيد بسهم ولا يفوزون منه بنصيب ولا يكون لهم شئ من أحكام أهله فى الحياة الا مادام الظن بهم ان قلب أحدهم موافق للسانه كما يفرد القول عليه بعد هذا ان شاء الله عز وجل (وأما) الصنف الثانى وهم أرباب الاعتقاد الذين سمعوا النبى ﷺ

والعزة والجبروت له السلطان والقهر والخلق والأمر والسموات مطويات بيمينه والخلائق مقهورون في قبضته وأنه المنفرد بالخلق والاختراع المتوحد بالايجاد والابداع خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته مقدور ولا يعزب عن قدرته تصاريف الامور لا تحصى مقدوراته ولا تتناهى معلوماته (العلم) وأنه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري من تخوم الأرضين إلى أعلى السموات وأنه عالم لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء و يدرك حركة الذر في جو الهواء و يعلم السر وأخفى و يطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات السرائر بعلم قديم أزلي لم يزل موصوفا به في أزل الآزال لا بعلم متجدد حاصل في ذاته بالحلول والانتقال (الارادة) وأنه تعالى مريد للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل أو كثير صغير أو كبير خير أو شر نفع أو ضر إيمان أو كفر عرفان أو نكر فوز أو خسران زيادة أو نقصان طاعة أو عصيان الا بقضائه وقدره وحكمته ومشيئته فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن لا يخرج عن مشيئته لفتة ناظر ولا فلتة خاطر بل هو المبدئ المعيد الفعال لما يريد لا راد لأمره ولا معقب لقضائه ولا مهرب لعبد عن معصيته الا بتوفيقه ورحمته ولا قوة له على طاعته الا بمشيئته وارادته فلو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على أن يحركوا في العالم ذرة أو يسكنوها دون إرادته ومشيئته لعجزوا عن ذلك وان إرادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك موصوفا بها مريدا في أزله لوجود الأشياء في أوقاتها التي قدرها فوجدت في أوقاتها كما أراده في أزله من غير تقدم ولا تأخر بل وقعت على وفق علمه وارادته من غير تبدل ولا تغير دبر الأمور لا بترتيب أفكار ولا تربص زمان فلذلك لم يشغله شأن عن شأن (السمع والبصر) وأنه تعالى سميع بصير يسمع و يرى لا يعزب عن سمعه مسموع وان خفي ولا يغيب عن رؤيته مرئي وان دق ولا يحجب سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام يرى من غير حدقة وأجفان و يسمع من غير أصمخة وآذان كما يعلم بغير قلب ويبطش بغير جارحة و يخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق (الكلام) وأنه تعالى متكلم آمر ناه واعد متوعد بكلام أزلي قديم قائم بذاته لا يشبه كلام الخلق فليس بصوت يحدث من انسلال هواء أو اصطكاك أجرام ولا بحرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان وأن القرآن والتوراة والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رسله عليهم السلام وأن القرآن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق بالانتقال إلى القلوب والأوراق وان موسى صلى الله عليه وسلم سمع كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله تعالى في الآخرة من غير جوهر ولا عرض واذا كانت له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما بالحياة والقدرة والعلم والارادة والسمع والبصر والكلام لا بمجرد الذات (الافعال) وأنه سبحانه وتعالى لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض من عدله على أحسن الوجوه وأكملها وأتمها وأعدلها وأنه حكيم في أفعاله عادل في أقضيته لا يقاس عدله بعدل العباد اذ العبد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما فكل ماسواه من انس وجن وملك وشيطان وسماء وأرض وحيوان ونبات وجماد وجوهر وعرض ومدرك ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وأنشأه انشاء بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن معه غيره فأحدث الخلق بعد ذلك اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من ارادته ولما حق في الازل من كلمته لا لافتقاره اليه وحاجته وأنه متفضل بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام والاصلاح لا عن لزوم فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان اذ كان قادرا على أن يصب على عباده أنواع العذاب و يبتليهم بضروب الآلام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن منه قبيحا ولا ظلما وأنه عز وجل يثيب عباده المؤمنين على الطاعات بحكم الكرم والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم له اذ لا يجب عليه لأحد فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وان حقه في الطاعات وجب على الخلق

أو الوارث أو المبلغ يخبر عن توحيد الله عزوجل أو يأمر به و يلزم البشر قول لا إله إلا الله المنبيء عنه فقبلوا ذلك واعتقدوه على الجملة من غير تفصيل ولا دليل فنسبوا الى التوحيد وكانوا من أهله بمنزلة مولى القوم الذي هو منهم و بمنزلة من كثر سواد قوم فهو منهم (وأما الصنف الثالث والرابع) فهم أرباب البصائر السليمة الذين نظروا بها الى أنفسهم ثم الى سائر أنواع المخلوقات فتأملوها ورأوا على كل منها خطا منطبعا فيها ليس بعربي ولا سرياني ولا عبراني ولا غير ذلك من أجناس الخطوط فبادر الى قراءة من لم يستعجم عليه وتعلمه منهم من استعجم عليه فاذا هو الخط الالهي المكتوب على صفحة كل مخلوق المنطبع فيه من مركب ومفرد وصفة وموصوف وحي وجماد وناطق وصامت ومتحرك وساكن ومظلم ونير وهو الذي يسمى تارة بعلامة وتارة بسمة

بأنجابه على ألسنة أنبيائه عليهم السلام لا بمجرد العقل ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة فبلغوا أمره ونهيه ووعده ووعيده فوجب على الخلق تصديقهم فيما جاؤا به (معنى الكلمة الثانية) وهي الشهادة للرسل بالرسالة وأنه بعث النبي الأمي القرشي محمدا ﷺ برسالته إلى كافة العرب والعجم والجن والإنس فنسخ بشريعته الشرائع إلا ما قرره منها وفضله على سائر الأنبياء وجعله سيد البشر ومنع كمال الإيمان بشهادة التوحيد وهو قول لا إله إلا الله ما لم تقترن بها شهادة الرسول وهو قولك محمد رسول الله وألزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر عنه من أمور الدنيا والآخرة وإنه لا يتقبل إيمان عبد حتى يؤمن بما أخبر به بعد الموت وأوله سؤال [1] منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هائلان يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسألانه عن التوحيد والرسالة ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك وهما [2] فتانا القبر [3] وسؤالهما أول فتنة بعد الموت وأن يؤمن [4] بعذاب القبر وأنه حق وحكمه عدل على الجسم والروح على ما يشاء [5] وأن يؤمن بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم أنه مثل طبقات السموات والارض توزن فيه الاعمال بقدرة الله تعالى والصنج يومئذ مثاقيل الذر والخردل تحقيقا لتمام العدل وتوضع صحائف الحسنات في صورة حسنة في كفة النور فيثقل بها الميزان على قدر درجاتها عند الله بفضل الله وتطرح صحائف السيآت في صورة قبيحة في كفة الظلمة فيخف بها الميزان بعدل الله [6] وأن يؤمن بأن الصراط حق وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعرة تزل عليه أقدام الكافرين بحكم الله سبحانه فتهوي بهم إلى النار وتثبت عليه أقدام المؤمنين بفضل الله فيساقون إلى دار القرار [7] وأن يؤمن بالحوض المورود حوض محمد ﷺ يشرب منه المؤمنون قبل دخول الجنة وبعد

(١) حديث سؤال منكر ونكير الترمذي وصححه وابن حبان من حديث أبي هريرة إذا قبر الميت أو قال أحدكم أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر النكير وفي الصحيحين من حديث أنس أن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه الحديث (٢) حديث إنهما فتانا القبر أحمد وابن حبان من حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ ذكر فتاني القبر فقال عمر أترد علينا عقولنا الحديث (٣) حديث إن سؤالهما أول فتنة بعد الموت لم أجده (٤) حديث عذاب القبر أخرجاه من حديث عائشة إنكم تفتنون أو تعذبون في قبوركم الحديث ولهما من حديث أبي هريرة وعائشة استعاذته ﷺ من عذاب القبر (٥) حديث الإيمان بالميزان ذي الكفتين واللسان وصفته في العظم إنه مثل طباق السموات والارض البيهقي في البعث من حديث عمر قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان الحديث وأصله عند مسلم ليس فيه ذكر الميزان ولأبي داود من حديث عائشة أما في ثلاثة مواطن لا يذكر أحد أحدا عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أم يثقل زاد ابن مردويه في تفسيره قالت عائشة أي حبي قد علمنا الموازين هي الكفتان فيوضع في هذه الشيء ويوضع في هذه الشيء فيرجح إحداهما وتخف الأخرى والترمذي وحسنه من حديث أنس واطلبني عند الميزان ومن حديث عبد الله بن عمرو في حديث البطاقة فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة الحديث وروى ابن شاهين في كتاب السنة عن ابن عباس كفة الميزان كأطباق الدنيا كلها (٦) حديث الإيمان بالصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أحد من السيف وأدق من الشعر الشيخان من حديث أبي هريرة ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم ولهما من حديث أبي سعيد ثم يضرب الجسر على جهنم زاد مسلم قال أبو سعيد إن الجسر أدق من الشعر وأحد من السيف ورفعه أحمد من حديث عائشة والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضعفه وفي البعث من رواية عبيد بن عمير مرسلا ومن قول ابن مسعود الصراط كحد السيف وفي آخر الحديث ما يدل على أنه مرفوع (٧) حديث الإيمان بالحوض وأنه يشرب منه المؤمنون مسلم من حديث أنس في نزول إنا أعطيناك الكوثر هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة آنيته عدد النجوم ولهما من حديث ابن مسعود وعقبة بن عامر وجندب وسهل بن سعد أنا فرطكم على الحوض ومن حديث

فلو قرئ ذلك الخط وتعلم تفسير ذلك المكتوب عليه وشرحه أبدية مالكه والتصريف له بالقدرة على حكم الإرادة بما سبق في ثابت العلم من غير مزيد ولا تقصير فتركوا الكتابة والمكتوب وترقوا إلى معرفة الكاتب الذي أحدث الأشياء وكونها ولا يخرج عن ملكه شيء منها ولا استغنت بأنفسها عن حوله وقوته ولا انتقلت إلى الحرية عن رق استعباده فوجدوه كما وصف نفسه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير فخلصت لهم التفرقة والجمع وعقلت نفس كل واحد منهم توحيد خالقها بإذنه وانجاده عن غيره وعقلت أنها علقت توحيده فسبحان من بصرها لذلك وفتح عليها بما ليس في وسعها أن تدرك إلا به وهو اللطيف الخبير

جواز الصراط (١) من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدا عرضه مسيرة شهر ماؤه أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عددها بعدد نجوم السماء (٢) فيه ميزابان يصبان فيه من الكوثر (٣) وأن يؤمن بالحساب وتفاوت الناس فيه إلى مناقش في الحساب وإلى مسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب وهم المقربون فيسأل الله تعالى (٤) من شاء من الانبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين (٥) ويسأل المبتدعة عن السنة (٦) ويسأل المسلمين عن الاعمال وأن يؤمن (٧) باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في جهنم موحد بفضل الله تعالى فلا يخلد في النار موحد وأن يؤمن (٨) بشفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين كل على حسب جاهه ومنزلته عند الله تعالى ومن بقي من المؤمنين ولم يكن له شفيع أخرج بفضل الله عز وجل فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وأن يعتقد فضل الصحابة

ابن عمر أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح (٧) وقال الطبراني كما بينكم وبين جرباء وأذرح وهو الصواب وذكر الحوض في الصحيح من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وعبد الله بن عمرو وحذيفة وأبي ذر وجابر بن سمرة وحارثة بن وهب وثوبان وعائشة وأم سلمة وأسماء (١) حديث من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً عرضه مسيرة شهر أشد بياضا من اللبن وأحلى من العسل حوله أباريق عدد نجوم السماء من حديث عبد الله بن عمرو ولهما من حديث أنس فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء وفي رواية لمسلم أكثر من عدد نجوم السماء (٢) حديث فيه ميزابان يصبان من الكوثر مسلم من حديث ثوبان يغت فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق (٣) حديث الايمان بالحساب وتفاوت الخلق فيه إلى مناقش في الحساب ومسامح فيه وإلى من يدخل الجنة بغير حساب البيهقي في البعث من حديث عمر فقال يا رسول الله ما الايمان قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالموت وبالبعث من بعد الموت والحساب والجنة والنار والقدر كله الحديث وهو عند مسلم دون ذكر الحساب وللشيخين من حديث عائشة من نوقش الحساب عذب قالت قلت أليس يقول الله تعالى ﴿فسوف يحاسب حسابا يسيرا﴾ قال ذلك العرض ولهما من حديث ابن عباس عرضت علي الأمم فقيل هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب * ولمسلم من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفا بغير حساب زاد البيهقي في البعث من حديث عمرو بن حزم وأعطاني مع كل واحد من السبعين ألفا سبعين ألفا زاد أحمد من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر بعده هذه الزيادة فقال فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني مع كل رجل سبعين ألفا قال عمر فهلا استزدته قال قد استزدته فأعطاني هكذا وفرج عبد الرحمن بن أبي بكر بين يديه الحديث (٤) حديث سؤال من شاء من الأنبياء عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين * البخاري من حديث أبي سعيد يدعى نوح يوم القيامة فيقول لبيك وسعديك يارب فيقول هل بلغت فيقول نعم فيقال لأمته فيقولون ما أتانا من نذير فيقول من يشهد لك فيقول محمد وأمته الحديث * ولابن ماجه يجيء النبي يوم القيامة الحديث وفيه فيقال هل بلغت قومك الحديث (٥) حديث سؤال المبتدعة عن السنة ابن ماجه من حديث عائشة من تكلم بشيء من القدر سئل عنه يوم القيامة * ومن حديث أبي هريرة ما من داع يدعو إلى شيء إلا وقف يوم القيامة لازما لدعوته ما دعا اليه وإن دعا رجل رجلا وإسنادهما ضعيف (٦) حديث سؤال المسلمين عن الأعمال أصحاب السنن من حديث أبي هريرة إن أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته الحديث وسيأتي في الصلاة (٧) حديث إخراج الموحدين من النار حتى لا يبقى فيها موحد بفضل الله سبحانه الشيخان من حديث أبي هريرة في حديث طويل حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئا ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله الحديث (٨) حديث شفاعة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء ثم سائر المؤمنين ومن بقي من المؤمنين ولم يكن لهم شفيع أخرج بفضل الله فلا يخلد في النار مؤمن بل يخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان ابن ماجه

رضى

لكن الصنف الثالث لم يقصر كل منهم أن يعرف نفسه موجدا لديه فيما لا يزال وهم المقربون والصنف الرابع لم يقصر كل واحد منهم ان عرف ربه موجدا لنفسه فيما لم يزل وهم الصدّيقون وبينهما تفاوت كثير (وأما طريق) معرفة صحة هذا التقسيم فلان العقلاء بأسرهم لا يخلو كل واحد منهم أن يوجد أثر التوحيد بأحد الانحاء المذكورة عنده فأما من عدمت عنده فهو كافر ان كان في زمن الدعوة أو على قرب يمكن وصول علمها اليه أو في فترة يتوجه عليه فيها التكليف وهذا صنف مبعد عن مقام هذا الكلام وأما من يوجد عنده فلا يخلو أن يكون مقلدا في عقده أو عالما به والمقلدون هم العوام وهم أهل المرتبة الثانية في الكتاب فأما العلماء بحقيقة عقدهم فلا يخلو كل واحد أن يكون بلغ الغاية التي أعدت لصنفه دون النبوّة أو لم يبلغ ولكنه قريب

رضي الله عنهم وترتيبهم وأن (١) أفضل الناس بعد النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم (٢) وأن يحسن الظن بجميع الصحابة ويثني عليهم كما أثنى الله عز وجل ورسوله ﷺ وعليهم أجمعين فكل ذلك مما وردت به الأخبار وشهدت به الآثار فمن اعتقد جميع ذلك موقنا به كان من أهل الحق وعصابة السنة وفارق رهط الضلال وحزب البدعة فنسأل الله كمال اليقين وحسن الثبات في الدين لنا ولكافة المسلمين برحمته إنه أرحم الراحمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

(الفصل الثاني) في وجه التدريج إلى الإرشاد وترتيب درجات الاعتقاد * اعلم أن ما ذكرناه في ترجمة العقيدة ينبغي أن يقدم إلى الصبي في أول نشوه ليحفظه حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيئا فشيئا فابتداؤه الحفظ ثم الفهم ثم الاعتقاد والإيقان والتصديق به وذلك مما يحصل في الصبي بغير برهان فمن فضل الله سبحانه على قلب الإنسان أن شرحه في أول نشوه للإيمان من غير حاجة إلى حجة وبرهان وكيف ينكر ذلك وجميع عقائد العوام مبادئها التلقين المجرد والتقليد المحض نعم يكون الاعتقاد الحاصل بمجرد التقليد غير خال عن نوع من الضعف في الابتداء على معنى أنه يقبل الإزالة بنقيضه لو ألقي إليه فلا بد من تقويته وإثباته في نفس الصبي والعامي حتى يترسخ ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته وإثباته أن يعلم صنعة الجدل والكلام بل يشتغل بتلاوة القرآن وتفسيره وقراءة الحديث ومعانيه ويشتغل بوظائف العبادات فلا يزال اعتقاده يزداد رسوخا بما يقرع سمعه من أدلة القرآن وحججه وبما يرد عليه من شواهد الأحاديث وفوائدها وبما يسطع عليه من أنوار العبادات ووظائفها وبما يسري إليه من مشاهدة الصالحين ومجالستهم وسيماهم وسماعهم وهيآتهم في الخضوع لله عز وجل والخوف منه والاستكانة له فيكون أول التلقين كإلقاء بذر في الصدر وتكون هذه الأسباب كالسقي والتربية له حتى ينمو ذلك البذر ويقوى ويرتفع شجرة طيبة راسخة أصلها ثابت وفرعها في السماء وينبغي أن يحرس سمعه من الجدل والكلام غاية الحراسة فإن ما يشوشه الجدل أكثر مما يمهده وما يفسده أكثر مما يصلحه بل تقويته بالجدل تضاهي ضرب الشجرة بالمدقة من الحديد رجاء تقويتها بأن تكثر أجزاؤها وربما يفتتها ذلك ويفسدها وهو الأغلب والمشاهدة تكفيك في هذا بيانا فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة أهل الصلاح والتقى من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي والصواعق وعقيدة المتكلم الحارس اعتقاده بتقسيمات الجدل كخيط مرسل في الهواء تفيئه الرياح مرة هكذا ومرة هكذا إلا من سمع منهم دليل الاعتقاد فتلقفه تقليدا كما تلقف نفس الاعتقاد تقليدا إذ لا فرق في التقليد بين تعلم الدليل أو تعلم المدلول فتلقين الدليل شيء والاستدلال بالنظر شيء آخر بعيد عنه ثم الصبي إذا وقع نشوه على هذه العقيدة إن اشتغل بكسب الدنيا لم ينفتح له غيرها ولكنه يسلم في الآخرة باعتقاد أهل الحق إذ لم يكلف الشرع أجلاف العرب أكثر من التصديق الجازم بظاهر هذه العقائد فأما البحث والتفتيش وتكلف نظم الأدلة فلم يكلفوه أصلا

من حديث عثمان بن عفان يشفع يوم القيامة ثلاثة الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء وقد تقدم في العلم * وللشيخين من حديث أبي سعيد الخدري من وجدتم في قلبه مثقال حبة من خردل من الإيمان فأخرجوه وفي رواية من خير وفيه فيقول الله تعالى شفعت الملائكة وشفعت النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط الحديث (١) حديث أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي البخاري من حديث ابن عمر قال كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ولأبي داود كنا نقول ورسول الله ﷺ حي أفضل أمة النبي ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم زاد الطبراني ويسمع ذلك النبي ﷺ ولا ينكره (٢) حديث إحسان الظن بجميع الصحابة والثناء عليهم الترمذي من حديث عبد الله بن مغفل الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي وللشيخين

من البلوغ فالذي لم يبلغ وكان على قرب هم المقربون وهم أهل المرتبة الثالثة والذين بلغوا الغاية التي أعدت لهم وهم الصمد يقولون وهم أهل المرتبة الرابعة وهذا التقسيم ظاهر الصحة إذ هو دائر بين النفي والإثبات ومحصور بين المبادي والغايات ولم يدخل أهل المرتبة الأولى في شيء من تصحيح هذا التقسيم إذ ليس هم من أهله إلا بانتساب كاذب ودعوى غير صافية ثم لا بد من الوفاء بما وعدناك به من إبداء بحث ومزيد شرح وبسط بيان تعرفه منه بإذن الله حقيقة كل مرتبة ومقام وانقسام أهله فيه بحسب الطاقة والإمكان بما يجريه الواحد الحق على القلب واللسان (بيان مقام أهل النطق المجرد (وتمييز فرقهم) فأقول أرباب النطق المجرد أربعة أصناف أحدهم نطقوا بكلمة التوحيد مع شهادة الرسول ﷺ ثم لم يعتقدوا معنى ما نطقوا به لما لم يعلموه لا يتصوّرون صحته ولا فساده ولا صدقه ولا كذبه

وان أراد أن يكون من سالكى طريق الآخرة وساعده التوفيق حتى اشتغل بالعمل ولازم التقوى ونهى النفس عن الهوى واشتغل بالرياضة والمجاهدة انفتحت له أبواب من الهداية تكشف عن حقائق هذه العقيدة بنور إلهى يقذف فى قلبه بسبب المجاهدة تحقيقا لوعده عز وجل إذ قال ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين ﴾ وهو الجوهر النفيس الذى هو غاية إيمان الصديقين والمقربين واليه الاشارة بالسر الذى وقر فى صدر أبى بكر الصديق رضى الله عنه حيث فضل به الخلق وانكشاف ذلك السر بل تلك الأسرار له درجات بحسب درجات المجاهدة ودرجات الباطن فى النظافة والطهارة عما سوى الله تعالى وفى الاستضاءة بنور اليقين وذلك كتفاوت الخلق فى أسرار الطب والفقه وسائر العلوم إذ يختلف ذلك باختلاف الاجتهاد وباختلاف الفطرة فى الذكاء والفطنة وكما لا تنحصر تلك الدرجات فكذلك هذه ﴿ مسئلة ﴾ فان قلت تعلم الجدل والكلام مذموم كتعلم النجوم أو هو مباح أو مندوب اليه فاعلم أن للناس فى هذا غلوا وإسرافا فى أطراف فمن قائل انه بدعة وحرام وان العبد إن لقى الله عز وجل بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام ومن قائل إنه واجب وفرض إما على الكفاية أو على الأعيان وانه أفضل الأعمال وأعلى القربات فانه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله تعالى وإلى التحريم ذهب الشافعى ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أهل الحديث من السلف قال ابن عبد الأعلى رحمه الله سمعت الشافعى رضى الله عنه يوم ناظر حفصا الفرد وكان من متكلمى المعتزلة يقول لأن يلقى الله عز وجل العبد بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشىء من علم الكلام ولقد سمعت من حفص كلاما لا أقدر أن أحكيه وقال أيضا قد اطلعت من أهل الكلام على شىء ما ظننته قط ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ما عدا الشرك خير له من أن ينظر فى الكلام * وحكى الكرابيسى أن الشافعى رضى الله عنه سئل عن شىء من الكلام فغضب وقال سل عن هذا حفصا الفرد وأصحابه أخزاهم الله ولما مرض الشافعى رضى الله عنه دخل عليه حفص الفرد فقال له من أنا فقال حفص الفرد لا حفظك الله ولا رعاك حتى تتوب مما أنت فيه وقال أيضا لو علم الناس ما فى الكلام من الأهواء لفروا منه فرارهم من الأسد وقال أيضا إذا سمعت الرجل يقول الاسم هو المسمى أو غير المسمى فاشهد بأنه من أهل الكلام ولا دين له قال الزعفرانى قال الشافعى حكمى فى أصحاب الكلام أن يضربوا بالجريد ويطاف بهم فى القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأخذ فى الكلام وقال أحمد ابن حنبل لا يفلح صاحب الكلام أبدا ولا تكاد ترى أحدا نظر فى الكلام إلا وفى قلبه دغل وبالغ فى ذمه حتى هجر الحرث المحاسبى مع زهده وورعه بسبب تصنيفه كتابا فى الرد على المبتدعة وقال له ويحك ألست تحكى بدعتهم أولا ثم ترد عليهم ألست تحمل الناس بتصنيفك على مطالعة البدعة والتفكر فى تلك الشبهات فيدعوهم ذلك إلى الرأى والبحث وقال أحمد رحمه الله علماء الكلام زنادقة وقال مالك رحمه الله أرأيت إن جاءه من هو أجدل منه أيدع دينه كل يوم لدين جديد يعنى أن أقوال المتجادلين تتفاوت وقال مالك رحمه الله أيضا لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء فقال بعض أصحابه فى تأويله انه أراد بأهل الأهواء أهل الكلام على أى مذهب كانوا وقال أبو يوسف من طلب العلم بالكلام تزندق وقال الحسن لا تجادلوا أهل الأهواء ولا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من التشديدات فيه وقالوا ما سكت عنه الصحابة مع أنهم أعرف بالحقائق وأفصح بترتيب الألفاظ من غيرهم إلا لعلمهم بما يتولد منه من الشر ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم (١) هلك المتنطعون هلك المتنطعون هلك المتنطعون أى المتعمقون فى البحث والاستقصاء واحتجوا أيضا بأن ذلك لو كان من الدين لكان ذلك أهم ما يأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعلم طريقه ويثنى عليه وعلى أربابه

من حديث أبى سعيد لا تسبوا أصحابى * وللطبرانى من حديث ابن مسعود إذا ذكر أصحابى فأمسكوا

(١) حديث هلك المتنطعون مسلم من حديث ابن مسعود

ولا خطأه ولا صوابه إذ لم يبحثوا عليه ولا أرادوا فهمه إما لبعد همتهم وقلة اكتراثهم وأما لنفورهم من التعب وخوفهم أن يكلفوا البحث عما نطقوا به أو يبدو لهم ما يلزمهم من الاعتقاد والعمل وما بعد ذلك فان التزموها فارقوا راحات أبدانهم العاجلة وفراغ أنفسهم وإن لم يلتزموا شيأ من ذلك وقد حصل لهم العلم فتكون عيشتهم منغصة وملاذهم مكدرة من خوف عقاب ترك ما علموا لزومه ومثل هؤلاء مثل من يريد قراءة الطب أو يعرض عليه ولكنه يمنعه عنه مخافة أن يتطلع منه على ما يغير عنه بعض ملاذه من الأطعمة والأشربة والأنكحة أو كثير منها فيحتاج الى أن يتركها أو يرتكبها على رقيبه وخوف أن يصيبه صورة ما يعلم ضرورة منها فيدع قراءة الطب رأسا سئل هذا الصنف عن معنى ما نطقوا به وهل اعتقدوه فيقولون لا نعلم فيه ما يعتقد وما دعانا

فقد

(١) فقد علمهم الاستنجاء (٢) وندبهم الى علم الفرائض وأثني عليهم (٣) ونهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا عن القدر وعلى هذا استمر الصحابة رضي الله عنهم فالزيادة على الاستاذ طغيان وظلم وهم الاستاذون والقدوة ونحن الاتباع والتلامذة وأما الفرقة الاخرى فاحتجوا بان قالوا إن المحذور من الكلام إن كان هو لفظ الجوهر والعرض وهذه الاصطلاحات الغريبة التي لم تعهدها الصحابة رضي الله عنهم فالأمر فيه قريب اذما من علم إلا وقد أحدث فيه اصطلاحات لأجل التفهيم كالحديث والتفسير والفقه ولو عرض عليهم عبارة النقض والكسر والتركيب والتعدية وفساد الوضع إلى جميع الاسئلة التي تورد على القياس لما كانوا يفقهونه فاحداث عبارة للدلالة بها على مقصود صحيح كاحداث آنية على هيئة جديدة لاستعمالها في مباح وان كان المحذور هو المعنى فنحن لا نعني به إلا معرفة الدليل على حدوث العالم ووحدانية الخالق وصفاته كما جاء في الشرع فمن أين تحرم معرفة الله تعالى بالدليل وان كان المحذور هو التشعب والتعصب والعداوة والبغضاء وما يفضي اليه الكلام فذلك محرم ويجب الاحتراز عنه كما أن الكبر والعجب والرياء وطلب الرياسة مما يفضي اليه علم الحديث والتفسير والفقه وهو محرم يجب الاحتراز عنه ولكن لا يمنع من العلم لأجل أدائه اليه وكيف يكون ذكر الحجة والمطالبة بها والبحث عنها محظورا وقد قال الله تعالى ﴿قل هاتوا برهانكم﴾ وقال عز وجل ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة﴾ وقال تعالى ﴿قل هل عندكم من سلطان بهذا﴾ اي حجة وبرهان وقال تعالى ﴿قل فلله الحجة البالغة﴾ وقال تعالى ﴿ألم تر إلى الذي حاج ابراهيم في ربه الى قوله فبهت الذي كفر﴾ إذ ذكر سبحانه احتجاج ابراهيم ومجادلته وافحامه خصمه في معرض الثناء عليه وقال عز وجل ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه﴾ وقال تعالى ﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا﴾ وقال تعالى في قصة فرعون ﴿وما رب العالمين﴾ إلى قوله ﴿أولو جئتك بشيء مبين﴾ وعلى الجملة فالقرآن من أوله إلى آخره محاجة مع الكفار فعمدة أدلة المتكلمين في التوحيد قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وفي النبوة ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله﴾ وفي البعث ﴿قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ إلى غير ذلك من الآيات والأدلة ولم تزل الرسل صلوات الله عليهم يحاجون المنكرين ويجادلونهم قال تعالى ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾ فالصحابة رضي الله عنهم أيضا كانوا يحاجون المنكرين ويجادلون ولكن عند الحاجة وكانت الحاجة اليه قليلة في زمانهم وأول من سن دعوة المبتدعة بالمجادلة إلى الحق علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذ بعث ابن عباس رضي الله عنهما إلى الخوارج فكلمهم فقال ما تنقمون على امامكم قالوا قاتل ولم يسب ولم يغنم فقال ذلك في قتال الكفار أرأيتم لو سبيت عائشة رضي الله عنها في يوم الجمل فوقعت عائشة رضي الله عنها في سهم أحدكم أكنتم تستحلون منها ما تستحلون من ملككم وهي أمكم في نص الكتاب فقالوا لا فرجع منهم إلى الطاعة بمجادلته ألفان وروى أن الحسن ناظر قدريا فرجع عن القدر وناظر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه رجلا من القدرية وناظر عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يزيد بن عميرة في الايمان قال عبد الله لو قلت اني مؤمن لقلت اني في الجنة فقال له يزيد بن عميرة يا صاحب رسول الله هذه زلة منك وهل الايمان الا ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث والميزان وتقيم الصلاة والصوم والزكاة ولنا ذنوب لو نعلم انها تغفر لنا لعلمنا أننا من أهل الجنة فمن أجل ذلك نقول انا مؤمنون ولا نقول أنا من أهل الجنة فقال ابن مسعود صدقت والله انها مني زلة فينبغي أن يقال كان خوضهم فيه قليلا لا كثيرا وقصيرا لا طويلا وعند الحاجة لا بطريق التصنيف والتدريس واتخاذه صناعة فيقال أما قلة خوضهم فيه فانه كان لقلة الحاجة اذ لم تكن البدعة تظهر في ذلك الزمان وأما القصر فقد كان الغاية افحام الخصم واعترافه وانكشاف الحق وازالة الشبهة فلو طال اشكال الخصم أو لجاجه لطال لا محالة الزامهم وما كانوا يقدرون قدر الحاجة بميزان ولا

---

(١) حديث ان النبي ﷺ علمهم الاستنجاء مسلم من حديث سلمان الفارسي (٢) حديث ندبهم الى علم الفرائض وأثني عليهم ابن ماجه من حديث أبي هريرة تعلموا الفرائض وعلموها الناس الحديث وللترمذي من حديث أنس وأفرضهم زيد بن ثابت (٣) حديث نهاهم عن الكلام في القدر وقال امسكوا تقدم في العلم

النطق إلا مساعدة الجماهير وانحراطا باظهار القول في الجم الغفير ولا تعرف هل ما قلناه بالحقيقة من قبل العرف والتنكير ولا شك أن هذا الصنف الذي أخبر ﷺ عن حاله بمسألة الملكين أصحابهم في القبر يقولان من ربك ومن نبيك وما دينك فيقول لا أدري سمعت الناس يقولون قولا فقلته فيقولان له لا دريت ولا تليت وسماه النبي ﷺ الشاك والمرتاب والصنف الثاني نطق كما نطق الذين من قبلهم ولكنهم أضافوا إلى قولهم ما لا يحصل معه الايمان ولا ينتظم به معنى التوحيد وذلك مثل ما قالت السبائية طائفة من الشيعة القدماء أن عليا هو الاله وبلغ أمرهم عليا رضي الله عنه وكانوا في زمنه فحرق منهم جماعة وأمثال من نطق بالشهادتين كثير ثم أصحاب نطقه مثل هذا التنكير ويسمون الزنادقة وقد رأينا حديثا عنه ﷺ في ذلك ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا

مكيال بعد الشروع فيها أو ماعدم تصديهم للتدريس والتصنيف فيه فهكذا كان دأبهم في الفقه والتفسير والحديث أيضا فان جاز تصنيف الفقه ووضع الصور النادرة التي لا تتفق إلا على الندور إما ادخاراً ليوم وقوعها وان كان نادراً أو لتشحيذ الخواطر فنحن أيضا نرتب طرق المجادلة لتوقع وقوع الحاجة بثوران شبهة أو هيجان مبتدع أو لتشحيذ الخاطر أو لادخار الحجة حتى لا يعجز عنها عند الحاجة على البديهة والارتجال كمن يعد السلاح قبل القتال ليوم القتال فهذا ما يمكن أن يذكر للفريقين * فان قلت فما المختار عندك فيه فاعلم ان الحق فيه أن اطلاق القول بذمه في كل حال أو بحمده في كل حال خطأ بل لا بد فيه من تفصيل فاعلم أولا أن الشيء قد يحرم لذاته كالخمر والميتة وأعني بقولي لذاته أن علة تحريمه وصف في ذاته وهو الاسكار والموت وهذا إذا سئلنا عنه اطلقنا القول بأنه حرام ولا يلتفت الى اباحة الميتة عند الاضطرار واباحة تجرع الخمر اذا غص الانسان بلقمة ولم يجد ما يسيغها سوى الخمر والى ما يحرم لغيره كالبيع على بيع أخيك المسلم في وقت الخيار والبيع وقت النداء وكأكل الطين فانه يحرم لما فيه من الاضرار وهذا ينقسم الى ما يضر قليله وكثيره فيطلق القول عليه بأنه حرام كالسم الذي يقتل قليله وكثيره والى ما يضر عند الكثرة فيطلق القول عليه بالاباحة كالعسل فان كثيره يضر بالمحرور وكأكل الطين وكان اطلاق التحريم على الطين والخمر والتحليل على العسل التفاتاً الى أغلب الاحوال فان تصدى شيء تقابلت فيه الاحوال فالأولى والابعد عن الالتباس ان يفصل فنعود الى علم الكلام ونقول ان فيه منفعة وفيه مضرة فهو باعتبار منفعته في وقت الانتفاع حلال أو مندوب اليه أو واجب كما يقتضيه الحال وهو باعتبار مضرته في وقت الاستضرار ومحله حرام أما مضرته فاثارة الشبهات وتحريك العقائد وازالتها عن الجزم والتصميم فذلك مما يحصل في الابتداء ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص فهذا ضرره في الاعتقاد الحق وله ضرر آخر في تأكيد اعتقاد المبتدعة للبدعة وتثبيته في صدورهم بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الاصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور من الجدل ولذلك ترى المبتدع العامي يمكن أن يزول اعتقاده باللطف في أسرع زمان الا إذا كان نشؤه في بلد يظهر فيها الجدل والتعصب فانه لو اجتمع عليه الأولون والآخرون لم يقدروا على نزع البدعة من صدره بل الهوى والتعصب وبغض خصوم المجادلين وفرقة المخالفين يستولي على قلبه ويمنعه من ادراك الحق حتى لو قيل له هل تريد أن يكشف الله تعالى لك الغطاء ويعرفك بالعيان أن الحق مع خصمك لكره ذلك خيفة من أن يفرح به خصمه وهذا هو الداء العضال الذي استطار في البلاد والعباد وهو نوع فساد أثاره المجادلون بالتعصب فهذا ضرره وأما منفعته فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيهات فليس في الكلام وفاء بهذا المطلب الشريف ولعل التخبيط والتضليل فيه أكثر من الكشف والتعريف وهذا إذا سمعته من محدث أو حشوي ربما خطر ببالك أن الناس أعداء ما جهلوا فاسمع هذا ممن خبر الكلام ثم قلاه بعد حقيقة الخبرة وبعد التغلغل فيه الى منتهى درجة المتكلمين وجاوز ذلك الى التعمق في علوم أخر تناسب نوع الكلام وتحقق أن الطريق الى حقائق المعرفة من هذا الوجه مسدود ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وايضاح لبعض الامور ولكن على الندور في امور جلية تكاد تفهم قبل التعمق في صنعة الكلام بل منفعته شيء واحد وهو حراسة العقيدة التي ترجمناها على العوام وحفظها عن تشويشات المبتدعة بأنواع الجدل فان العامي ضعيف يستفزه جدل المبتدع وان كان فاسدا ومعارضة الفاسد بالفاسد تدفعه والناس متعبدون بهذه العقيدة التي قدمناها اذ ورد الشرع بها لما فيها من صلاح دينهم ودنياهم وأجمع السلف الصالح عليها والعلماء يتعبدون بحفظها على العوام من تلبيسات المبتدعة كما تعبد السلاطين بحفظ أموالهم عن تهجمات الظلمة والغصاب واذا وقعت الاحاطة بضرره ومنفعته فينبغي أن يكون كالطبيب الحاذق في استعمال الدواء الخطر اذ لا يضعه الا في موضعه وذلك في وقت الحاجة وعلى قدر الحاجة * وتفصيله ان العوام المشتغلين بالحرف والصناعات يجب ان يتركوا على سلامة عقائدهم التي

اعتقدوها

الزنادقة * والصنف الثالث نطقوا كما نطق الصنفان المذكوران قبلهم ولكنهم آثروا التكذيب واعتقدوا الرد واستنبطوا خلاف ما ظهر منهم من الاقرار واذا رجعوا إلى أهل الالحاد أعلنوا عندهم بكلمة الكفر فهؤلاء المنافقون الذين ذكرهم الله في كتابه بقوله واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم انما نحن مستهزؤن الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون * الصنف الرابع قوم لم يعرفوا التوحيد وما نشؤا عليه ولا عرفوا أهله ولا سكنوا بين أظهرهم ولكنهم حين وصلوا الينا أو وصل اليهم أحد منا خوطبوا بالأمر المقتضى للنطق بالشهادتين والاقرار بهما فقالوا لا نسلم مقتضى هذا اللفظ ولا نستقل معنى المأمور به من النطق فأمروا أن يظهروا الرضا ويفهموا بلا مهلة فسكنوا إلى

اعتقدوها مهما تلقنوا الاعتقاد الحق الذي ذكرناه فان تعليمهم الكلام ضرر محض في حقهم إذ ربما يثير لهم شكا ويزلزل عليهم الاعتقاد ولا يمكن القيام بعد ذلك بالاصلاح وأما العامي المعتقد للبدعة فينبغي أن يدعى إلى الحق بالتلطف لا بالتعصب وبالكلام اللطيف المقنع للنفس المؤثر في القلب القريب من سياق أدلة القرآن والحديث الممزوج بفن من الوعظ والتحذير فان ذلك أنفع من الجدل الموضوع على شرط المتكلمين إذ العامي إذا سمع ذلك اعتقد أنه نوع صنعة من الجدل تعلمها المتكلم ليستدرج الناس الى اعتقاده فان عجز عن الجواب قدر أن المجادلين من أهل مذهبه أيضا يقدرون على دفعه فالجدل مع هذا ومع الأول حرام وكذا مع من وقع في شك إذ يجب إزالته باللطف والوعظ والأدلة القريبة المقبولة البعيدة عن تعمق الكلام واستقصاء الجدل إنما ينفع في موضع واحد وهو أن يفرض عامي اعتقد البدعة بنوع جدل سمعه فيقابل ذلك الجدل بمثله فيعود إلى اعتقاد الحق وذلك فيمن ظهر له من الانس بالمجادلة ما يمنعه عن القناعة بالمواعظ والتحذيرات العامية فقد انتهى هذا إلى حالة لا يشفيه منها إلا الدواء الجدل فجاز أن يلقى اليه وأما في بلاد تقل فيها البدعة ولا تختلف فيها المذاهب فيقتصر فيها على ترجمة الاعتقاد الذي ذكرناه ولا يتعرض للأدلة ويتربص وقوع شبهة فان وقعت ذكر بقدر الحاجة فان كانت البدعة شائعة وكان يخاف على الصبيان أن يخدعوا فلا بأس أن يعلموا القدر الذي أودعناه كتاب الرسالة القدسية ليكون ذلك سببا لدفع تأثير مجادلات المبتدعة إن وقعت اليهم وهذا مقدار مختصر وقد أودعناه هذا الكتاب لاختصاره فان كان فيه ذكاء وتنبه بذكائه لموضع سؤال أو ثارت في نفسه شبهة فقد بدت العلة المحذورة وظهر الداء فلا بأس أن يرقى منه إلى القدر الذي ذكرناه في كتاب الاقتصاد في الاعتقاد وهو قدر خمسين ورقة وليس فيه خروج عن النظر في قواعد العقائد إلى غير ذلك من مباحث المتكلمين فان أقنعه ذلك كف عنه وإن لم يقنعه ذلك فقد صارت العلة مزمنة والداء غالبا والمرض ساريا فليتلطف به الطبيب بقدر إمكانه وينتظر قضاء الله تعالى فيه الى أن ينكشف له الحق بتنبيه من الله سبحانه أو يستمر على الشك والشبهة إلى ما قدر له فالقدر الذي يحويه ذلك الكتاب وجنسه من المصنفات هو الذي يرجى نفعه فأما الخارج منه فقسمان أحدهما بحث عن غير قواعد العقائد كالبحث عن الاعتمادات وعن الأكوان وعن الادراكات وعن الخوض في الرؤية هل لها ضد يسمى المنع أو العمى وإن كان فذلك واحد هو منع عن جميع ما لا يرى أو ثبت لكل مرئي يمكن رؤيته منع بحسب عدده الى غير ذلك من الترهات المضلات والقسم الثاني زيادة تقرير لتلك الأدلة في غير تلك القواعد وزيادة أسئلة وأجوبة وذلك أيضا استقصاء لا يزيد إلا ضلالا وجهلا في حق من لم يقنعه ذلك القدر فرب كلام يزيده الاطناب والتقرير غموضا ولو قال قائل البحث عن حكم الادراكات والاعتمادات فيه فائدة تشحيذ الخواطر والخاطر آلة الدين كالسيف آلة الجهاد فلا بأس بتشحيذه كان كقوله لعب الشطرنج يشحذ الخاطر فهو من الدين أيضا وذلك هوس فان الخاطر يتشحذ بسائر علوم الشرع ولا يخاف فيها مضرة فقد عرفت بهذا القدر المذموم والقدر المحمود من الكلام والحال التي يذم فيها والحال التي يحمد فيها والشخص الذي ينتفع به والشخص الذي لا ينتفع به فان قلت مهما اعترفت بالحاجة اليه في دفع المبتدعة والآن قد ثارت البدع وعمت البلوى وأرهقت الحاجة فلا بد أن يصير القيام بهذا العلم من فروض الكفايات كالقيام بحراسة الأموال وسائر الحقوق كالقضاء والولاية وغيرها ومالم يشتغل العلماء بنشر ذلك والتدريس فيه والبحث عنه لا يدوم ولو ترك بالكلية لاندرس وليس في مجرد الطباع كفاية لحل شبه المبتدعة ما لم يتعلم فينبغي أن يكون التدريس فيه والبحث عنه أيضا من فروض الكفايات بخلاف زمن الصحابة رضي الله عنهم فان الحاجة ما كانت ماسة اليه فاعلم أن الحق أنه لا بد في كل بلد من قائم بهذا العلم مستقل بدفع شبه المبتدعة التي ثارت في تلك البلدة وذلك يدوم بالتعليم ولكن ليس من الصواب تدريسه على العموم كتدريس الفقه والتفسير فان هذا مثل الدواء والفقه مثل الغذاء وضرر الغذاء لا يحذر وضرر الدواء محذور لما ذكرنا فيه من أنواع الضرر فالعالم به ينبغي أن يخصص بتعليم هذا العلم من فيه ثلاث خصال إحداها التجرد للعلم والحرص عليه فان المحترف يمنعه الشغل عن الاستتمام وإزالة الشكوك إذا عرضت

استفهام أو تصور يمكن أن يكون له منه معتقد فيرجى أن لا تضيق عنه سعة رحمة الله عز وجل والحكم عليه بالنار والخلود فيها مع الكفار تحكم على غيب الله سبحانه وربما كان من هذا الصنف في الحكم عند الله عز وجل قوم رزقوا بعد الفهم وغيب الذهن وفرط البلادة أن يدعوا الى النطق فيجيبوا مساعدة ومحاذاة ثم يدعوا الى تفهم المعنى بكل وجه فلا يتأتى منهم قبول لما يعرض عليهم تفهمه كأنما تخاطب بهيمة ومثل هذا أيضا في الوجود كثير ولا أحكم على أحد منه بخلود في النار ولا بعد أن هذا الصنف بأسره أعني المخترم قبل تحصيله العقد مع هذا البليد

البعيد بعض ما ذكره النبي ﷺ في حديث الشفاعة الذين أخرجهم الله عز وجل من النار بشفاعته حين يقول تعالى فرغت

* والثانية الذكاء والفطنة والفصاحة فان البليد لا ينتفع بفهمه والفدم لا ينتفع بحجاجه فيخاف عليه من ضرر الكلام ولا يرجى فيه نفعه * والثالثة أن يكون فى طبعه الصلاح والديانة والتقوى ولا تكون الشهوات غالبة عليه فان الفاسق بأدنى شبهة ينخلع عن الدين فان ذلك يحل عنه الحجر و يرفع السد الذى بينه و بين الملاذ فلا يحرص على إزالة الشبهة بل يغتنمها ليتخلص من أعباء التكليف فيكون ما يفسده مثل هذا المتعلم أكثر مما يصلحه وإذا عرفت هذه الانقسامات اتضح لك أن هذه الحجة المحمودة فى الكلام إنما هى من جنس حجج القرآن من الكلمات اللطيفة المؤثرة فى القلوب المقنعة للنفوس دون التغلغل فى التقسيمات والتدقيقات التي لا يفهمها أكثر الناس وإذا فهموها اعتقدوا أنها شعوذة وصناعة تعلمها صاحبها للتلبيس فاذا قابله مثله فى الصنعة قاومه وعرفت أن الشافعى وكافة السلف إنما منعوا عن الخوض فيه والتجرد له لما فيه من الضرر الذى نبهنا عليه وإن ما نقل عن ابن عباس رضى الله عنهما من مناظرة الخوارج وما نقل عن على رضى الله عنه من المناظرة فى القدر وغيره كان من الكلام الجلى الظاهر وفى محل الحاجة وذلك محمود فى كل حال نعم قد تختلف الأعصار فى كثرة الحاجة وقلتها فلا يبعد أن يختلف الحكم لذلك فهذا حكم العقيدة التي تعبد الخلق بها وحكم طريق النضال عنها وحفظها فأما إزالة الشبهة وكشف الحقائق ومعرفة الأشياء على ما هي عليه و إدراك الأسرار التي يترجمها ظاهر ألفاظ هذه العقيدة فلا مفتاح له إلا المجاهدة وقمع الشهوات والاقبال بالكلية على الله تعالى وملازمة الفكر الصافى عن شوائب المجادلات وهى رحمة من الله عز وجل تفيض على من يتعرض لنفحاتها بقدر الرزق و بحسب التعرض و بحسب قبول المحل وطهارة القلب وذلك البحر الذى لا يدرك غوره ولا يبلغ ساحله ﴿ مسئلة ﴾ فان قلت هذا الكلام يشير إلى أن هذه العلوم لها ظواهر وأسرار و بعضها جلى يبدو أولا و بعضها خفى يتضح بالمجاهدة والرياضة والطلب الحثيث والفكر الصافى والسر الخالى عن كل شىء من أشغال الدنيا سوى المطلوب وهذا يكاد يكون مخالفا للشرع إذ ليس للشرع ظاهر و باطن وسر وعلن بل الظاهر والباطن والسر والعلن واحد فيه فاعلم أن انقسام هذه العلوم إلى خفية وجلية لا ينكرها ذو بصيرة و إنما ينكرها القاصرون الذين تلقفوا فى أوائل الصبا شيأ وجمدوا عليه فلم يكن لهم ترق إلى شأو العلاء ومقامات العلماء والأولياء وذلك ظاهر من أدلة الشرع قال ﷺ (١) ان للقرآن ظاهرا و باطنا وحدا ومطلعا وقال على رضى الله عنه وأشار إلى صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وقال ﷺ (٢) نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم وقال ﷺ (٣) ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم إلا كان فتنة عليهم وقال الله تعالى ﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ وقال ﷺ (٤) ان من العلم كهيئة المكنون لا يعلمه إلا العالمون بالله تعالى الحديث إلى آخره كما أوردناه فى كتاب العلم وقال ﷺ (٥) لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا فليت شعرى إن لم يكن ذلك سرا منع من إفشائه لقصور الأفهام عن إدراكه أو لمعنى آخر فلم لم يذكره لهم ولا شك أنهم كانوا يصدقونه لو ذكره لهم وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله عز وجل ﴿ الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ﴾ لو ذكرت تفسيره لرجمتمونى وفى لفظ آخر لقلتم انه كافر وقال أبو هريرة رضى الله عنه حفظت من رسول الله ﷺ وعاءين أما أحدهما فبثثته وأما الآخر لو بثثته لقطع هذا الحلقوم وقال ﷺ (٦) ما فضلكم أبو بكر بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بسر وقر فى صدره رضى

(١) حديث ان للقرآن ظاهرا وباطنا الحديث ابن حبان فى صحيحه من حديث ابن مسعود بنحوه (٢) حديث نحن معاشر الأنبياء أمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم الحديث تقدم فى العلم (٣) حديث ما حدث أحد قوما بحديث لم تبلغه عقولهم الحديث تقدم فى العلم (٤) حديث ان من العلم كهيئة المكنون الحديث تقدم فى العلم (٥) حديث لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا أخرجاه من حديث عائشة وأنس (٦) حديث ما فضلكم

ولا

شفاعة الملائكة والنبيين و بقيت شفاعتى وهو أرحم الراحمين فيخرج من النار أقواما لم يعملوا حسنة قط و يدخلون الجنة ويكون فى أعناقهم سمات و يسمون عتقاء الله عز وجل والحديث يطول وهو صحيح وإنما اختصرت منه قدر الحاجة على المعنى * وحكم الصنف الأول والثانى والثالث أجمعين أن لا يجب لهم حرمة ولا يكون لهم عصمة ولا ينسبون إلى إيمان ولا إسلام بل هم أجمعون من زمرة الكافرين وجملة الهالكين فان عثر عليهم فى الدنيا قتلوا فيها بسيوف الموحدين وان لم يعثر عليهم فهم صائرون الى جهنم خالدون تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ﴿ فصل ﴾ ولما كان اللفظ المنبئ عن التوحيد اذا انفرد عن العقد وتجرد عنه لم يقع به فى حكم الشرع منفعة ولا لصاحبه بسببه نجاة إلا مدة حياته عن السيف أن يراق دمه واليدان تسلط على ماله

الله عنه ولا شك في أن ذلك السر كان متعلقا بقواعد الدين غير خارج منها وما كان من قواعد الدين لم يكن خافيا بظواهره على غيره وقال سهل التستري رضي الله عنه للعالم ثلاثة علوم علم ظاهر يبذله لأهل الظاهر وعلم باطن لا يسعه اظهاره الا لأهله وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لأحد وقال بعض العارفين إفشاء سر الربوبية كفر وقال بعضهم للربوبية سر لو أظهر لبطلت النبوة وللنبوة سر لو كشف لبطل العلم وللعلماء بالله سر لو أظهروه لبطلت الأحكام وهذا القائل ان لم يرد بذلك بطلان النبوة في حق الضعفاء لقصور فهمهم فما ذكره ليس بحق بل الصحيح انه لا تناقض فيه وأن الكامل من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه وملاك الورع النبوة ﴿مسألة﴾ فان قلت هذه الآيات والاخبار يتطرق اليها تأويلات فبين لنا كيفية اختلاف الظاهر والباطن فان الباطن ان كان مناقضا للظاهر ففيه ابطال الشرع وهو قول من قال ان الحقيقة خلاف الشريعة وهو كفر لأن الشريعة عبارة عن الظاهر والحقيقة عبارة عن الباطن وان كان لا يناقضه ولا يخالفه فهو هو فيزول به الانقسام ولا يكون للشرع سر لا يفشى بل يكون الخفي والجلي واحدا فاعلم ان هذا السؤال يحرك خطبا عظيما وينجر الى علوم المكاشفة ويخرج عن مقصود علم المعاملة وهو غرض هذه الكتب فان العقائد التي ذكرناها من أعمال القلوب وقد تعبدنا بتلقيها بالقبول والتصديق بعقد القلب عليها لا بأن يتوصل الى أن ينكشف لنا حقائقها فان ذلك لم يكلف به كافة الخلق ولولا أنه من الأعمال لما أوردناه في هذا الكتاب ولولا أنه عمل ظاهر القلب لا عمل باطنه لما أوردناه في الشطر الأول من الكتاب وانما الكشف الحقيقي هو صفة سر القلب وباطنه ولكن اذا انجر الكلام الى تحريك خيال في مناقضة الظاهر للباطن فلا بد من كلام وجيز في حله فمن قال ان الحقيقة تخالف الشريعة أو الباطن يناقض الظاهر فهو الى الكفر أقرب منه الى الايمان بل الأسرار التي يختص بها المقربون بدركها ولا يشاركهم الأكثرون في علمها ويمتنعون عن إفشائها اليهم ترجع إلى خمسة أقسام ﴿القسم الأول﴾ أن يكون الشيء في نفسه دقيقا تكل أكثر الأفهام عن دركه فيختص بدركه الخواص وعليهم أن لا يفشوه الى غير أهله فيصير ذلك فتنة عليهم حيث تقصر أفهامهم عن الدرك واخفاء سر الروح (١) وكف رسول الله ﷺ عن بيانه من هذا القسم فان حقيقته مما تكل الأفهام عن دركه وتقصر الأوهام عن تصور كنهه ولا تظنن أن ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله ﷺ فان من لم يعرف الروح فكأنه لم يعرف نفسه ومن لم يعرف نفسه فكيف يعرف ربه سبحانه ولا يبعد أن يكون ذلك مكشوفا لبعض الأولياء والعلماء وان لم يكونوا أنبياء ولكنهم يتأدبون بآداب الشرع فيسكتون عما سكت عنه بل في صفات الله عز وجل من الخفايا ما تقصر أفهام الجماهير عن دركه ولم يذكر رسول الله ﷺ منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم إذ كان لهم من الأوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة ولو ذكر من صفاته ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة شيء لم يفهموه بل لذة الجماع إذا ذكرت للصبي أو العنين لم يفهمها إلا بمناسبة إلى لذة المطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فهما على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق وقدرتهم أكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل * وبالجملة فلا يدرك الانسان إلا نفسه وصفات نفسه مما هي حاضرة له في الحال أو مما كانت له من قبل ثم بالمقايسة اليه يفهم ذلك لغيره ثم قد يصدق بأن بينهما تفاوتا في الشرف والكمال فليس في قوة البشر إلا أن يثبت لله تعالى ما هو ثابت لنفسه من الفعل والعلم والقدرة وغيرها من الصفات مع التصديق بأن ذلك أكمل وأشرف فيكون معظم تحويمه

أبو بكر بكثرة صيام الحديث تقدم في العلم

(١) حديث كف رسول الله ﷺ عن بيان الروح الشيخان من حديث ابن مسعود حين سأله اليهود عن الروح قال فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليهم شيأ الحديث

اذا لم يعلم خفي حاله حسن فيه أن يشبه بقشر الجوز الأعلى فهو لا يحتمل ولا يرفع في البيوت ولا يحضر في المجالس أي مجالس العلماء ولا تشتهيه النفوس إلا مادام منطويا على مطعمه صونا على لبه فاذا أزيل عنه بكسر أو علم منه أنه منطو على فراغ أو سوس أو طعمه فاسد لم يصلح لشيء ولم يبق فيه غرض لأحد وهذا الإخفاء في صحته والغرض بالتمثيل تقريب ما غمض الى نفس الطالب وتسهيل ما اعتاص على المتعلم والسامع فهمه وليس من شرط المثال أن يطابق الممثل به من كل وجه فكان يكون هو ولكن من شرطه أن يكون مطابقا للواحد المراد منه ﴿فصل﴾ فان قلت فما الذي صد هؤلاء الأصناف الثلاثة من أهل النطق عن النظر والبحث حتى تعلموا أو عن الاعتقاد حتى تخلصوا من عذاب الله وهم في الظاهر قادرون على ذلك وما المانع الخفي الذي منعهم

على صفات نفسه لا على ما اختص الرب تعالى به من الجلال ولذلك قال ﷺ (١) لا أحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك وليس المعنى انى أعجز عن التعبير عما أدركته بل هو اعتراف بالقصور عن ادراك كنه جلاله ولذلك قال بعضهم ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عزوجل وقال الصديق رضى الله عنه الحمد لله الذى لم يجعل للخلق سبيلا الى معرفته إلا بالعجز عن معرفته * ولنقبض عنان الكلام عن هذا النمط ولنرجع الى الغرض وهو ان احد الاقسام ما تكل الافهام عن ادراكه ومن جملته الروح ومن جملته بعض صفات الله تعالى ولعل الاشارة الى مثله فى قوله ﷺ (٢) إن لله سبحانه سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره * القسم الثانى من الخفيات التى تمتنع الانبياء والصديقون عن ذكرها ما هو مفهوم فى نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره يضر بأكثر المستمعين ولا يضر بالأنبياء والصديقين وسر القدر الذى منع أهل العلم من افشائه من هذا القسم فلا يبعد أن يكون ذكر بعض الحقائق مضرا ببعض الخلق كما يضر نور الشمس بأبصار الخفافيش وكما تضر رياح الورد بالجعل وكيف يبعد هذا وقولنا ان الكفر والزنا والمعاصى والشرور كله بقضاء الله تعالى وارادته ومشيئته حق فى نفسه وقد أضر سماعه بقوم اذ أوهم ذلك عندهم انه دلالة على السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح والظلم وقد ألحد ابن الراوندى وطائفة من المخذولين بمثل ذلك وكذلك سر القدر ولو أفشى لاوهم عند أكثر الخلق عجزا إذ تقصر أفهامهم عن ادراك ما يزيل ذلك الوهم عنهم ولو قال قائل ان القيامة لو ذكر ميقاتها وأنها بعد ألف سنة أو أكثر أو أقل لكان مفهوما ولكن لم يذكر لمصلحة العباد وخوفا من الضرر فلعل المدة اليها بعيدة فيطول الأمد واذا استبطأت النفوس وقت العقاب قل اكتراثها ولعلها كانت قريبة فى علم الله سبحانه ولو ذكرت لعظم الخوف وأعرض الناس عن الاعمال وخربت الدنيا فهذا المعنى لو اتجه وصح فيكون مثالا لهذا القسم ﴿القسم الثالث﴾ أن يكون الشىء بحيث لو ذكر صريحا لفهم ولم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه على سبيل الاستعارة والرمز ليكون وقعه فى قلب المستمع أغلب وله مصلحة فى ان يعظم وقع ذلك الامر فى قلبه كما لو قال قائل رأيت فلانا يقلد الدر فى اعناق الخنازير فكنى به عن افشاء العلم وبث الحكمة الى غير أهلها فالمستمع قد يسبق الى فهمه ظاهر اللفظ والمحقق إذا نظر وعلم أن ذلك الانسان لم يكن معه در ولا كان فى موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن فيتفاوت الناس فى ذلك ومن هذا قال الشاعر

رجلان خياط وآخر حائك * متقابلان على السماك الاعزل
لا زال ينسج ذاك خرقة مدبر * ويخيط صاحبه ثياب المقبل

فانه عبر عن سبب سماوى فى الاقبال والادبار برجلين صانعين وهذا النوع يرجع الى التعبير عن المعنى بالصورة التى تتضمن عين المعنى أو مثله ومنه قوله ﷺ (٣) ان المسجد لينزوى من النخامة كما تنزوى الجلدة على النار وأنت ترى أن ساحة المسجد لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد كونه معظما ورمى النخامة فيه تحقير

(١) حديث لا احصى ثناء عليك انت كما أثنيت على نفسك مسلم من حديث عائشة انها سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك فى سجوده (٢) حديث إن لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما أدركه بصره أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب العظمة من حديث ابى هريرة بين الله وبين الملائكة الذين حول العرش سبعون حجابا من نور [illegible] ضعيف * وفيه أيضا من حديث انس قال قال رسول الله ﷺ لجبريل هل ترى ربك قال ان بينى وبينه سبعين حجابا من نور وفى الأكبر للطبرانى من حديث سهل بن سعد دون الله تعالى ألف حجاب من نور وظلمة ولمسلم من حديث ابى موسى حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه ولابن ماجه شىء أدركه بصره (٣) حديث ان المسجد لينزوى من النخامة الحديث لم اجد له أصلا

وابعدهم عنه وهم يعلمون ان ما عليهم كبير مؤنة ولا عظيم نفقة فاعلم ان هذا السؤال يفتح بابا عظيما ويهز قاعدة كبيرة يخاف من التوغل فيها ان يخرج من المقصد ولكن لا بد إذا وقع فى الاسماع ورغبت قلوب الطالبين واشتاقت الى سماع الجواب عنه ان نورد فى ذلك قدر ما يقع به الكفاية وتقنع به النفوس بحول الله وقوته نسلم ماسبق فى العلم القديم لا تجرى بخلافه المقادير فهم من ذلك بارادة الله عزوجل جاء اختصاص قلوبهم بالأخلاق الكلابية والشيم الذئابية والطباع السبعية وغلبتها عليهم والملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب كذلك قال عليه السلام والقلوب بيوت تولى الله بناءها بيده وأعدها لأن تكون خزائن علمه ومشارق مكنوناته ومهابط ملائكته ومناجى انواره ومهاب نفحاته ومجال مكاشفاته ومجارى رحمته وهيأها لتحصيل المعرفة به فمتى كان فيها شىء من

له فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال أجزاء الجلدة وكذلك قوله ﷺ (١) أما يخشى الذى يرفع رأسه قبل الامام أن يحول الله رأسه رأس حمار وذلك من حيث الصورة لم يكن قط ولا يكون ولكن من حيث المعنى هو كائن اذ رأس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل بخاصيته وهى البلادة والحمق ومن رفع رأسه قبل الامام فقد صار رأسه رأس حمار فى معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذى هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق أن يجمع بين الاقتداء وبين التقدم فانهما متناقضان وانما يعرف أن هذا السر على خلاف الظاهر اما بدليل عقلى أو شرعى أما العقلى فان يكون حمله على الظاهر غير ممكن كقوله ﷺ (٢) قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن اذ لو فتشنا عن قلوب المؤمنين فلم نجد فيها أصابع فعلم أنها كناية عن القدرة التى هى سر الأصابع وروحها الخفى وكنى بالأصابع عن القدرة لان ذلك أعظم وقعا فى تفهيم تمام الاقتدار ومن هذا القبيل فى كنايته عن الاقتدار قوله تعالى ﴿انما قولنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ فان ظاهره ممتنع اذ قوله كن ان كان خطابا للشىء قبل وجوده فهو محال اذ المعدوم لا يفهم الخطاب حتى يمتثل وان كان بعد الوجود فهو مستغن عن التكوين ولكن لما كانت هذه الكناية أوقع فى النفوس فى تفهيم غاية الاقتدار عدل اليها وأما المدرك بالشرع فهو أن يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكنه يروى أنه أريد به غير الظاهر كما ورد فى تفسير قوله تعالى ﴿أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها﴾ الآية وان معنى الماء ههنا هو القرآن ومعنى الاودية هى القلوب وان بعضها احتملت شيأ كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم يحتمل والزبد مثل الكفر والنفاق فانه وان ظهر وطفا على رأس الماء فانه لا يثبت والهداية التى تنفع الناس تمكث وفى هذا القسم تعمق جماعة فأولوا ما ورد فى الآخرة من الميزان والصراط وغيرهما وهو بدعة اذ لم ينقل ذلك بطريق الرواية واجراؤه على الظاهر غير محال فيجب اجراؤه على الظاهر ﴿القسم الرابع﴾ أن يدرك الانسان الشىء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بأن يصير حالا ملابسا له فيتفاوت العلمان ويكون الأول كالقشر والثانى كاللباب والأول كالظاهر والثانى كالباطن وذلك كما يتمثل للانسان فى عينه شخص فى الظلمة أو على البعد فيحصل له نوع علم فاذا رآه بالقرب أو بعد زوال الظلام أدرك تفرقة بينهما ولا يكون الأخير ضد الأول بل هو استكمال له فكذلك العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع أكمل من تحققه قبل الوقوع بل للانسان فى الشهوة والعشق وسائر الأحوال ثلاثة أحوال متفاوتة وادراكات متباينة الأول تصديقه بوجوده قبل وقوعه والثانى عند وقوعه والثالث بعد تصرمه فان تحققك بالجوع بعد زواله يخالف التحقق به قبل الزوال وكذلك من علوم الدين ما يصير ذوقا فيكمل فيكون ذلك كالباطن بالاضافة الى ما قبل ذلك ففرق بين علم المريض بالصحة وبين علم الصحيح بها ففى هذه الأقسام الأربعة تتفاوت الخلق وليس فى شىء منها باطن يناقض الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر والسلام ﴿القسم الخامس﴾ أن يعبر بلسان المقال عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير بالحقائق يدرك السر فيه وهذا كقول القائل قال الجدار للوتد لم تشقنى قال سل من يدقنى فلم يتركنى ورائى الحجر الذى ورائى فهذا تعبير عن لسان الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى ﴿ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين﴾ فالبليد يفتقر فى فهمه الى ان يقدر لهما حياة وعقلا وفهما للخطاب وخطابا هو صوت وحرف تسمعه السماء والارض فتجيبان بحرف وصوت وتقولان أتينا طائعين والبصير يعلم ان ذلك لسان الحال وانه انباء عن كونهما مسخرتين بالضرورة ومضطرتين الى التسخير ومن هذا قوله تعالى ﴿وان من شىء الا يسبح بحمده﴾ فالبليد يفتقر فيه الى ان يقدر للجمادات حياة وعقلا ونطقا بصوت وحرف حتى يقول سبحان الله ليتحقق

(١) حديث اما يخشى الذى يرفع راسه قبل الامام الحديث اخرجاه من حديث ابى هريرة

(٢) حديث قلب العبد بين اصبعين من اصابع الرحمن مسلم من حديث عبدالله بن عمرو

تلك الأخلاق المذمومة لم يدخلها الملائكة ولم ينزل عليها شىء من الخير من قبله اذ هى الوسائط بين الله تعالى وبين خلقه وهم الزائرة مشيئته بالأمورات بالمرء سائرون اليه وعظمه بالباقيات الصالحات ولولا تلك الأخلاق المذمومة التى حلت فيهم وهى التى ذم الكلب لاجلها لما احترمت الملائكة باذن الله عن حلولها فيها وهى لا تخلو عن خير تنزل به ويكون مهابطها حلت محل الخير فى ذلك القلب بحلولها وانما هى لها طيبا وجدت قلبا خاليا ولو سبقنا من الدهر وزمنا نزلت عليه ودخلته وثبتت ما عندها من الخير عنده فان لم يظهر على الملائكة ما أزعجها عنه من تلك الأخلاق المذمومة بواسطة الشياطين الذين هم فى مقابلة الملائكة ثبتت عنده وسكنت فيه ولم تبرح عنه وعمرته بقدر سعة البيت وانشراحه من الخير فان كان البيت كثير الاتساع أكثرت فيه من متاعها واستعانت بغيرها حتى يمتلئ البيت من متاعها وجهازها وهو الايمان بالله

تسبيحه والبصير يعلم أنه ما أريد به نطق اللسان بل كونه مسبحا بوجوده ومقدسا بذاته وشاهدا بوحدانية الله سبحانه كما يقال * وفى كل شىء له آية * تدل على أنه الواحد * وكما يقال هذه الصنعة المحكمة تشهد لصانعها بحسن التدبير وكمال العلم لا بمعنى أنها تقول أشهد بالقول ولكن بالذات والحال وكذلك مامن شىء الا وهو محتاج فى نفسه الى موجد يوجده ويبقيه ويديم أوصافه ويردده فى أطواره فهو بحاجته يشهد لخالقه بالتقديس يدرك شهادته ذوو البصائر دون الجامدين على الظواهر ولذلك قال تعالى ﴿ولكن لا تفقهون تسبيحهم﴾ وأما القاصرون فلا يفقهون أصلا وأما المقربون والعلماء الراسخون فلا يفقهون كنهه وكماله اذ لكل شىء شهادات شتى على تقديس الله سبحانه وتسبيحه ويدرك كل واحد بقدر عقله وبصيرته وتعداد تلك الشهادات لا يليق بعلم المعاملة فهذا الفن أيضا مما يتفاوت أرباب الظواهر وأرباب البصائر فى علمه وتظهر به مفارقة الباطن للظاهر وفى هذا المقام لأرباب المقامات اسراف واقتصاد فمن مسرف فى رفع الظواهر انتهى الى تغيير جميع الظواهر والبراهين أو أكثرها حتى حملوا قوله تعالى ﴿وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم﴾ وقوله تعالى ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء﴾ وكذلك المخاطبات التى تجرى من منكر ونكير وفى الميزان والصراط والحساب ومناظرات أهل النار وأهل الجنة فى قولهم ﴿أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله﴾ زعموا أن ذلك كله بلسان الحال وغلا آخرون فى حسم الباب منهم أحمد بن حنبل رضى الله عنه حتى منع تأويل قوله ﴿كن فيكون﴾ وزعموا أن ذلك خطاب بحرف وصوت يوجد من الله تعالى فى كل لحظة بعدد كون كل مكوّن حتى سمعت بعض أصحابه يقول انه حسم باب التأويل الا لثلاثة ألفاظ قوله ﷺ [1] الحجر الاسود يمين الله فى أرضه وقوله ﷺ قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن وقوله ﷺ [2] انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن ومال الى حسم الباب أرباب الظواهر والظن بأحمد بن حنبل رضى الله عنه أنه علم أن الاستواء ليس هو الاستقرار والنزول ليس هو الانتقال ولكنه منع من التأويل حسما للباب ورعاية لصلاح الخلق فانه اذا فتح الباب اتسع الخرق وخرج الأمر عن الضبط وجاوز حد الاقتصاد اذ حد ما جاوز الاقتصاد لا ينضبط فلا بأس بهذا الزجر ويشهد له سيرة السلف فانهم كانوا يقولون أمروها كما جاءت حتى قال مالك رحمه الله لما سئل عن الاستواء الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والايمان به واجب والسؤال عنه بدعة وذهبت طائفة الى الاقتصاد وفتحوا باب التأويل فى كل ما يتعلق بصفات الله سبحانه وتركوا ما يتعلق بالآخرة على ظواهرها ومنعوا التأويل فيه وهم الأشعرية وزاد المعتزلة عليهم حتى أوّلوا من صفاته تعالى الرؤية وأوّلوا كونه سميعا بصيرا وأوّلوا المعراج وزعموا أنه لم يكن بالجسد وأوّلوا عذاب القبر والميزان والصراط وجملة من أحكام الآخرة ولكن أقروا بحشر الأجساد وبالجنة واشتمالها على المأكولات والمشمومات والمنكوحات والملاذ المحسوسة وبالنار واشتمالها على جسم محسوس محرق يحرق الجلود ويذيب الشحوم ومن ترقيهم الى هذا الحد زاد الفلاسفة فأوّلوا كل ما ورد فى الآخرة وردوه الى آلام عقلية وروحانية ولذات عقلية وأنكروا حشر الأجساد وقالوا ببقاء النفوس وأنها تكون اما معذبة واما منعمة بعذاب ونعيم لا يدرك بالحس وهؤلاء هم المسرفون وحد الاقتصاد بين هذا الانحلال كله وبين جمود الحنابلة دقيق غامض لا يطلع عليه الا الموفقون الذين يدركون الأمور بنور إلهى لا بالسماع ثم اذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هى عليه نظروا الى السمع والألفاظ الواردة فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه وما خالف أولوه فأما من يأخذ معرفة هذه الأمور من السمع المجرد فلا يستقر له فيها قدم ولا يتعين له موقف والأليق بالمقتصر على السمع المجرد مقام أحمد بن حنبل رحمه الله والآن فكشف الغطاء عن حد الاقتصاد فى هذه الأمور داخل فى علم المكاشفة والقول فيه يطول فلا نخوض فيه والغرض

---

(١) حديث الحجر يمين الله فى الارض الحاكم وصححه من حديث عبد الله بن عمرو (٢) حديث انى لأجد نفس الرحمن من جانب اليمن أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه وأجد نفس ربكم من قبل اليمن ورجاله ثقات

والصلاح وضروب المعارف النافعة عند الله عز وجل فاذا طرق ذلك البيت طارق شيطان ليسرق من ذلك الخير الذى هو متاع الملك ويثبت فيه خلقا مذموما لا يوجد الا فى الكلب وهو متاع الشيطان قاتله الله وطرده عن ذلك المحل فان جاء للشيطان مدد من الهوى من قبل النفس ولم يجد الملك نصره وهو عزم اليقين من قبل الروح انهزم الملك وأخلى البيت ونهب المتاع وخرب البيت بعد عمارته وأظلم بعد نوره وضاق بعد انشراحه وهكذا حال من آمن وكفر وأطاع وعصى وضل واهتدى (فان قلت) فميز لى أصنافه هذه الأخلاق المذمومة التى صدت هؤلاء الأصناف المذكورين عن اعتقاد الايمان ونفرت الملائكة عن المنزل [illegible] [illegible] [illegible] بما حقق لنا لو اشيأ من الخيرات الكائن معها فاعلم أن الأخلاق التى

بيان موافقة الباطن الظاهر وانه غير مخالف له فقد انكشف بهذه الأقسام الخمسة أمور كثيرة
وإذا رأينا أن نقتصر بكافة العوام على ترجمة العقيدة التي حررناها وأنهم لا يكلفون غير ذلك في الدرجة الاولى الا اذا كان خوف تشويش لشيوع البدعة فيرقى في الدرجة الثانية الى عقيدة فيها لوامع من الادلة مختصرة من غير تعمق فلنورد في هذا الكتاب تلك اللوامع ولنقتصر فيها على ما حررناه لأهل القدس وسميناه الرسالة القدسية في قواعد العقائد وهي مودعة في هذا الفصل الثالث من هذا الكتاب (الفصل الثالث)

من كتاب قواعد العقائد في لوامع الادلة للعقيدة التي ترجمناها بالقدس فنقول بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي ميز عصابة السنة بأنوار اليقين وآثر رهط الحق بالهداية الى دعائم الدين وجنبهم زيغ الزائغين وضلال الملحدين ووفقهم للاقتداء بسيد المرسلين وسددهم للتأسي بصحبه الاكرمين ويسر لهم اقتفاء آثار السلف الصالحين حتى اعتصموا من مقتضيات العقول بالحبل المتين ومن سير الاولين وعقائدهم بالمنهج المبين فجمعوا بالقبول بين نتائج العقول وقضايا الشرع المنقول وتحققوا أن النطق بما تعبدوا به من قول لا إله الا الله محمد رسول الله ليس له طائل ولا محصول ان لم تتحقق الاحاطة بما تدور عليه هذه الشهادة من الاقطاب والاصول وعرفوا أن كلمتي الشهادة على ايجازها تتضمن اثبات ذات الاله واثبات صفاته واثبات أفعاله واثبات صدق الرسول وعلموا أن بناء الايمان على هذه الاركان وهي أربعة ويدور كل ركن منها على عشرة أصول * الركن الاول في معرفة ذات الله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي العلم بوجود الله تعالى وقدمه وبقائه وأنه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وأنه سبحانه ليس مختصا بجهة ولا مستقرا على مكان وأنه يرى وأنه واحد * الركن الثاني في صفاته ويشتمل على عشرة أصول وهو العلم بكونه حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما منزها عن حلول الحوادث وأنه قديم الكلام والعلم والارادة * الركن الثالث في أفعاله تعالى ومداره على عشرة أصول وهي أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأنها مكتسبة للعباد وأنها مرادة لله تعالى وأنه متفضل بالخلق والاختراع وأن له تعالى تكليف ما لا يطاق وأن له ايلام البريء ولا يجب عليه رعاية الاصلح وأنه لا واجب الا بالشرع وان بعثة الأنبياء جائزة وان نبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ثابتة مؤيدة بالمعجزات * الركن الرابع في السمعيات ومداره على عشرة أصول وهي اثبات الحشر والنشر وسؤال منكر ونكير وعذاب القبر والميزان والصراط وخلق الجنة والنار وأحكام الامامة وان فضل الصحابة على حسب ترتيبهم وشروط الامامة

(فاما الركن الأول من أركان الايمان في معرفة ذات الله سبحانه وتعالى وأن الله تعالى واحد ومداره على عشرة أصول)

﴿الاصل الأول﴾ معرفة وجوده تعالى وأول ما يستضاء به من الانوار ويسلك من طريق الاعتبار ما أرشد اليه القرآن فليس بعد بيان الله سبحانه بيان وقد قال تعالى ﴿ألم نجعل الارض مهادا والجبال أوتادا وخلقناكم أزواجا وجعلنا نومكم سباتا وجعلنا الليل لباسا وجعلنا النهار معاشا وبنينا فوقكم سبعا شدادا وجعلنا سراجا وهاجا وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا لنخرج به حبا ونباتا وجنات ألفافا﴾ وقال تعالى ﴿ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس * وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون﴾ وقال تعالى ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا وجعل القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا والله أنبتكم من الارض نباتا ثم يعيدكم فيها ويخرجكم اخراجا﴾ وقال تعالى ﴿أفرأيتم ما تمنون أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون الى قوله للمقوين﴾ فليس يخفى على من معه أدنى مسكة من عقل اذا تأمل بأدنى فكرة مضمون هذه الآيات وأدار نظره على عجائب خلق الله في الارض والسموات وبدائع فطرة الحيوان والنبات ان هذا الامر العجيب والترتيب المحكم لا يستغني عن صانع يدبره وفاعل يحكمه ويقدره بل تكاد فطرة النفوس تشهد بكونها مقهورة تحت تسخيره ومصرفة بمقتضى تدبيره ولذلك قال الله تعالى ﴿أفي الله شك فاطر السموات والارض﴾

لا يجتمع معها الملائكة في قلب واحد كثيرة والتي في قلوب هؤلاء منها معظمها وهي الطمع في غير خطير والحرص على فاني حقير (أما) الصنف الاول فانهم رجعوا ورأوا أن تبدو لهم حقيقة ما يشغلهم عن لذاتهم وينغص عليهم ما رغبوا فيه من راحاتهم وتكدر لديهم منال شهواتهم فأبقوا امرهم على ما هم عليه * واما الصنف الثاني والثالث فصدهم ايضا خوف وجزع وحرص على ما ألفوه من تبجيل احدهم ان يزول ومؤانسة اشياعهم ان تتغير وتذهب ومواساة ايلافهم ان تنقطع واستثقالا لما يشاهدونه من اهل الايمان ان يلزموه وفرارا من شرائطه وما يصحبه من الاعمال والوظائف اذ يمتثلوه والكلب ماذم لصورته وانما ذم بهذه الاخلاق التي هي الطمع في الخسائس والجزع من الصبر على ما بعده من الفضائل حتى احترمت الملائكة أن تدخل بيتا فيه كلب فان قلت فكيف آمن من كفر وأطاع من عصى واهتدى من ضل اذا كانت

ولهذا بعث الانبياء صلوات الله عليهم لدعوة الخلق الى التوحيد ليقولوا لا إله إلا الله وما أمروا أن يقولوا لنا إله وللعالم إله فان ذلك كان مجبولا فى فطرة عقولهم من مبدأ نشوهم وفى عنفوان شبابهم ولذا قال لك عزوجل ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله﴾ وقال تعالي ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم﴾ فاذا فى فطرة الانسان وشواهد القرآن ما يغني عن إقامة البرهان ولكنا على سبيل الاستظهار والاقتداء بالعلماء النظار نقول من بدائه العقول ان الحادث لا يستغني فى حدوثه عن سبب يحدثه والعالم حادث فاذا لا يستغني فى حدوثه عن سبب أما قولنا ان الحادث لا يستغني فى حدوثه عن سبب فجلي فان كل حادث مختص بوقت يجوز فى العقل تقديره وتأخيره فاختصاصه بوقته دون ما قبله وما بعده يفتقر بالضرورة الى المخصص وأما قولنا العالم حادث فبرهانه أن أجسام العالم لا تخلو عن الحركة والسكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ففي هذا البرهان ثلاث دعاوى * الأولى قولنا ان الأجسام لا تخلو عن الحركة والسكون وهذه مدركة بالبديهة والاضطرار فلا يحتاج فيها الى تأمل وافتكار فان من عقل جسما لا ساكنا ولا متحركا كان لمتن الجهل راكبا وعن نهج العقل ناكبا * الثانية قولنا انهما حادثان ويدل على ذلك تعاقبهما ووجود البعض منها بعد البعض وذلك مشاهد فى جميع الأجسام ما شوهد منها وما لم يشاهد فما من ساكن الا والعقل قاض بجواز حركته وما من متحرك الا والعقل قاض بجواز سكونه فالطارىء منها حادث لطريانه والسابق حادث لعدمه لانه لو ثبت قدمه لاستحال عدمه على ما سيأتى بيانه وبرهانه فى اثبات بقاء الصانع تعالى وتقدس * الثالثة قولنا ما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وبرهانه انه لو لم يكن كذلك لكان قبل كل حادث حوادث لا أول لها ولو لم تنقض تلك الحوادث بجملتها لا تنتهي النوبة الى وجود الحادث الحاضر فى الحال وانقضاء ما لا نهاية له محال ولانه لو كان للفلك دورات لا نهاية لها لكان لا يخلو عددها عن أن تكون شفعا أو وترا أو شفعا ووترا جميعا أو لا شفعا ولا وترا ومحال أن تكون شفعا ووترا جميعا أو لا شفعا ولا وترا فان ذلك جمع بين النفي والاثبات اذ فى اثبات أحدهما نفي الآخر وفى نفي أحدهما اثبات الآخر ومحال أن يكون شفعا لان الشفع يصير وترا بزيادة واحد وكيف يعوز ما لا نهاية له واحد ومحال أن يكون وترا اذ الوتر يصير شفعا بواحد فكيف يعوزها واحد مع انه لا نهاية لاعدادها ومحال أن يكون لا شفعا ولا وترا اذ له نهاية فتحصل من هذا أن العالم لا يخلو عن الحوادث وما لا يخلو عن الحوادث فهو اذا حادث واذا ثبت حدوثه كان افتقاره الى المحدث من المدركات بالضرورة ﴿الأصل الثاني﴾ العلم بأن الله تعالى قديم لم يزل أزلى ليس لوجوده أول بل هو أول كل شيء وقبل كل ميت وحي * وبرهانه أنه لو كان حادثا ولم يكن قديما لافتقر هو أيضا الى محدث وافتقر محدثه الى محدث وتسلسل ذلك الى ما لا نهاية وما تسلسل لم يتحصل أو ينتهي الى محدث قديم هو الأول وذلك هو المطلوب الذى سميناه صانع العالم ومبدئه وبارئه ومحدثه ومبدعه ﴿الأصل الثالث﴾ العلم بانه تعالى مع كونه أزليا أبديا ليس لوجوده آخر فهو الأول والآخر والظاهر والباطن لان ما ثبت قدمه استحال عدمه * وبرهانه أنه لو انعدم لكان لا يخلو اما أن ينعدم بنفسه أو بمعدم يضاده ولو جاز أن ينعدم شيء يتصور دوامه بنفسه لجاز أن يوجد شيء يتصور عدمه بنفسه فكما يحتاج طريان الوجود الى سبب فكذلك يحتاج طريان العدم الى سبب وباطل أن ينعدم بمعدم يضاده لان ذلك المعدم لو كان قديما لما تصور الوجود معه وقد ظهر بالأصلين السابقين وجوده وقدمه فكيف كان وجوده فى القدم ومعه ضده فان كان الضد المعدم حادثا كان محالا اذ ليس الحادث فى مضادته للقديم حتى يقطع وجوده بأولى من القديم فى مضادته للحادث حتى يدفع وجوده بل الدفع أهون من القطع والقديم أقوى وأولى من الحادث ﴿الأصل الرابع﴾ العلم بأنه تعالى ليس بجوهر يتحيز بل يتعالى ويتقدس عن مناسبة الحيز وبرهانه أن كل جوهر متحيز فهو مختص بحيزه ولا يخلو من أن يكون ساكنا فيه أو متحركا عنه فلا يخلو عن الحركة أو السكون وهما حادثان وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث ولو تصور جوهر متحيز قديم لكان يعقل قدم جواهر العالم فان سماه مسم جوهرا ولم يرد به المتحيز كان مخطئا

نابحة وذئاب عادية وسباع ضارية وأصناف الخير انما ترد من الله عز وجل بواسطة الملائكة وهي لا تدخل موضعا يحل فيه شيء مما ذكرنا واذا لم تدخل لم يصل الى الخير الذي يكون معها ولم تصل اليه فعلى هذا يجب أن يبقى كل كافر على حاله ومن لم يخلق مؤمنا معصوما فلا سبيل له الى الايمان على هذا المفهوم فاعلم ان هذا يستدعي أصنافا من علم القلوب ولا سبيل الى ذلك في مثل هذا المقام المعلوم والقول والمعنى في جواب ما سألت عنه ان للشيطان غفلات وللاخلاق المذمومة علامات كما أن الملائكة لها عن القلوب غيبات ولتواتر الخير عليها فترات فاذا وجد الملك كما أعلمتك قلبا خاليا ولوزنا مافو ودخل فيه وأراه ما عنده من الخير فان صادف منه قبولا

من

ولما عرض عليه من الخير تشوقا ونزوعا أورد عليه ما يملا و يستغرق لبه وان صادف منه صحوا وسمع منه بجنود الشياطين الاستغاثة بالأخلاق الإلهية استعانة رجاء نجدته وتركه وبعده فيصل ما خلا لبعض لمة ملك أو نزغة شيطان (فان قلت) فأي بيت فهم عن النبي ﷺ في الخطاب وأي كلب أذهل بيت القلب كلب الخلق أو بيت اللبن وكلب الحيوان فاعلم أن الحديث خارج على سبب ومعناه وجملته ان المقصود بالأخبار هو بيت اللبن وكلب الحيوان معلوم ولا يتك في ذلك ولكن يستقرأ منه ما قلناه ويستنبط من من مفهومه ما نبهناك عليه ويتخطى منه الى ما أشرنا لك نحوه ولا نكر في ذلك اذا دل عليه العلم وجملة الاستنباط ولم تمجه القلوب المستضاءة ولم تصادم به شيأ من أركان الشريعة فلا تكن جاحدا ولا تجزع من تشنيع جاهل ولا من نفور مقلد فكثيرا ما ورد شرع مقرون بسبب

من حيث اللفظ لا من حيث المعنى ﴿الأصل الخامس﴾ العلم بأنه تعالى ليس بجسم مؤلف من جواهر إذ الجسم عبارة عن المؤلف من الجواهر وإذا بطل كونه جوهرا مخصوصا بحيز بطل كونه جسما لأن كل جسم مختص بحيز ومركب من جوهر فالجوهر يستحيل خلوه عن الافتراق والاجتماع والحركة والسكون والهيئة والمقدار وهذه سمات الحدوث ولو جاز أن يعتقد أن صانع العالم جسم لجاز أن يعتقد الالهية للشمس والقمر أو لشيء آخر من أقسام الأجسام فإن تجاسر متجاسر على تسميته تعالى جسما من غير إرادة التأليف من الجواهر كان ذلك غلطا في الاسم مع الاصابة في نفي معنى الجسم ﴿الأصل السادس﴾ العلم بأنه تعالى ليس بعرض قائم بجسم أو حال في محل لان العرض ما يحل في الجسم فكل جسم فهو حادث لا محالة ويكون محدثه موجودا قبله فكيف يكون حالا في الجسم وقد كان موجودا في الأزل وحده وما معه غيره ثم أحدث الأجسام والاعراض بعده ولأنه عالم قادر مريد خالق كما سيأتي بيانه وهذه الأوصاف تستحيل على الأعراض بل لا تعقل إلا لموجود قائم بنفسه مستقل بذاته وقد تحصل من هذه الأصول أنه موجود قائم بنفسه ليس بجوهر ولا جسم ولا عرض وان العالم كله جواهر وأعراض وأجسام فإذا لا يشبه شيأ ولا يشبهه شيء بل هو الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء وأنى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدره والمصور مصوره والأجسام والأعراض كلها من خلقه وصنعه فاستحال القضاء عليها بمماثلته ومشابهته ﴿الأصل السابع﴾ العلم بأن الله تعالى منزه الذات عن الاختصاص بالجهات فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال أو قدام أو خلف وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الانسان إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلا والآخر يقابله ويسمى رأسا فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس واسم السفل لما يلي جهة الرجل حتى ان النملة التي تدب منكسة تحت السقف تنقلب جهة الفوق في حقها تحتا وان كان في حقنا فوقا وخلق للانسان اليدين وإحداهما أقوى من الأخرى في الغالب فحدث اسم اليمين للأقوى واسم الشمال لما يقابله وتسمى الجهة التي تلي اليمين يمينا والأخرى شمالا وخلق له جانبين يبصر من أحدهما ويتحرك اليه فحدث اسم القدام للجهة التي يتقدم اليها بالحركة واسم الخلف لما يقابلها فالجهات حادثة بحدوث الانسان ولو لم يخلق الانسان بهذه الخلقة بل خلق مستديرا كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود ألبتة فكيف كان في الأزل مختصا بجهة والجهة حادثة أو كيف صار مختصا بجهة بعد أن لم يكن له أبان خلق العالم فوقه ويتعالى عن أن يكون له فوق إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس أو خلق العالم تحته فتعالى عن أن يكون له تحت إذ تعالى عن أن يكون له رجل والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل وكل ذلك مما يستحيل في العقل ولأن المعقول من كونه مختصا بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض وقد ظهر استحالة كونه جوهرا أو عرضا فاستحال كونه مختصا بالجهة وان أريد بالجهة غير هذين المعنيين كان غلطا في الاسم مع المساعدة على المعنى ولأنه لو كان فوق العالم لكان محاذيا له وكل محاذ لجسم فاما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج بالضرورة الى مقدر ويتعالى عنه الخالق الواحد المدبر فأما رفع الأيدي عند السؤال الى جهة السماء فهو لأنها قبلة الدعاء وفيه أيضا إشارة الى ما هو وصف للمدعو من الجلال والكبرياء تنبيها بقصد جهة العلو على صفة المجد والعلاء فانه تعالى فوق كل موجود بالقهر والاستيلاء ﴿الأصل الثامن﴾ العلم بأنه تعالى مستو على عرشه بالمعنى الذي أراد الله تعالى بالاستواء وهو الذي لا ينافي وصف الكبرياء ولا يتطرق اليه سمات الحدوث والفناء وهو الذي أريد بالاستواء الى السماء حيث قال في القرآن ﴿ثم استوى الى السماء وهي دخان﴾ وليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مهراق

واضطر أهل الحق الى هذا التأويل كما اضطر أهل الباطن الى تأويل قوله تعالى ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ إذ حمل

ذلك بالاتفاق على الاحاطة والعلم وحمل قوله ﷺ قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن على القدرة والقهر وحمل قوله ﷺ الحجر الأسود يمين الله فى أرضه على التشريف والاكرام لانه لو ترك على ظاهره للزم منه المحال فكذا الاستواء لو ترك على الاستقرار والتمكن لزم منه كون المتمكن جسما مماسا للعرش إما مثله أو أكبر منه أو أصغر وذلك محال وما يؤدى الى المحال فهو محال ﴿الأصل التاسع﴾ العلم بأنه تعالى مع كونه منزها عن الصورة والمقدار مقدسا عن الجهات والأقطار مرئى بالأعين والأبصار فى الدار الآخرة دار القرار لقوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ولا يرى فى الدنيا تصديقا لقوله عز وجل ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ ولقوله تعالى فى خطاب موسى عليه السلام ﴿لن ترانى﴾ وليت شعرى كيف عرف المعتزلى من صفات رب الأرباب ما جهله موسى عليه السلام وكيف سأل موسى عليه السلام الرؤية مع كونها محالا ولعل الجهل بذوى البدع والأهواء من الجهلة الأغبياء أولى من الجهل بالأنبياء صلوات الله عليهم وأما وجه إجراء آية الرؤية على الظاهر فهو أنه غير مؤد الى المحال فان الرؤية نوع كشف وعلم إلا أنه أتم وأوضح من العلم فاذا جاز تعلق العلم به وليس فى جهة جاز تعلق الرؤية به وليس بجهة وكما يجوز أن يرى الله تعالى الخلق وليس فى مقابلتهم جاز أن يراه الخلق من غير مقابلة وكما جاز أن يعلم من غير كيفية وصورة جاز أن يرى كذلك ﴿الأصل العاشر﴾ العلم بان الله عز وجل واحد لا شريك له فرد لا ند له انفرد بالخلق والابداع واستبد بالايجاد والاختراع لا مثل له يساهمه ويساويه ولا ضد له فينازعه ويناويه وبرهانه قوله تعالى ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾ وبيانه أنه لو كانا اثنين وأراد أحدهما أمرا فالثانى ان كان مضطرا الى مساعدته كان هذا الثانى مقهورا عاجزا ولم يكن إلها قادرا وان كان قادرا على مخالفته ومدافعته كان الثانى قويا قاهرا والأول ضعيفا قاصرا ولم يكن إلها قادرا

﴿الركن الثانى العلم بصفات الله تعالى ومداره على عشرة أصول﴾

﴿الأصل الأول﴾ العلم بان صانع العالم قادر وأنه تعالى فى قوله ﴿وهو على كل شىء قدير﴾ صادق لان العالم محكم فى صنعته مرتب فى خلقته ومن رأى ثوبا من ديباج حسن النسج والتأليف متناسب التطريز والتطريف ثم توهم صدور نسجه عن ميت لا استطاعة له أو عن إنسان لا قدرة له كان منخلعا عن غريزة العقل ومنخرطا فى سلك أهل الغباوة والجهل ﴿الأصل الثانى﴾ العلم بأنه تعالى عالم بجميع الموجودات ومحيط بكل المخلوقات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء صادق فى قوله ﴿وهو بكل شىء عليم﴾ ومرشد الى صدقه بقوله تعالى ﴿ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ أرشدك الى الاستدلال بالخلق على العلم بأنك لا تستريب فى دلالة الخلق اللطيف والصنع المزين بالترتيب ولو فى الشىء الحقير الضعيف على علم الصانع بكيفية الترتيب والترصيف فما ذكره الله سبحانه هو المنتهى فى الهداية والتعريف ﴿الأصل الثالث﴾ العلم بكونه عز وجل حيا فان من ثبت علمه وقدرته ثبت بالضرورة حياته ولو تصور قادر وعالم فاعل مدبر دون أن يكون حيا لجاز أن يشك فى حياة الحيوانات عند ترددها فى الحركات والسكنات بل فى حياة أرباب الحرف والصناعات وذلك انغماس فى غمرة الجهالات والضلالات ﴿الأصل الرابع﴾ العلم بكونه تعالى مريدا لأفعاله فلا موجود إلا وهو مستند الى مشيئته وصادر عن إرادته فهو المبدئ المعيد والفعال لما يريد وكيف لا يكون مريدا وكل فعل صدر منه أمكن أن يصدر منه ضده وما لا ضد له أمكن أن يصدر منه ذلك بعينه قبله أو بعده والقدرة تناسب الضدين والوقتين مناسبة واحدة فلا بد من إرادة صارفة للقدرة الى أحد المقدورين ولو أغنى العلم عن الارادة فى تخصيص المعلوم حتى يقال انما وجد فى الوقت الذى سبق العلم بوجوده لجاز أن يغنى عن القدرة حتى يقال وجد بغير قدرة لانه سبق العلم بوجوده فيه ﴿الأصل الخامس﴾ العلم بانه تعالى سميع بصير لا يعزب عن رؤيته هواجس الضمير وخفايا الوهم والتفكير ولا يشذ عن سمعه صوت دبيب النملة السوداء فى الليلة الظلماء على الصخرة الصماء وكيف لا يكون سميعا بصيرا والسمع والبصر كمال لا محالة وليس بنقص فكيف يكون المخلوق أكمل من الخالق والمصنوع أسنى وأتم من الصانع

النبى ﷺ رب مبلغ أوعى من سامع وحامل فقه الى من هو أفقه منه (سؤال) فان قلت فقد قال النبى ﷺ لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة وعلم السبب الذى جاء هذا الحديث عليه وفيه فهل يعدى عن سببه ويترقى منه الى مثل ما ترقى من الحديث الآخر فهذا كما قيل الحديث شجون وأتبعنا هذا الباب ما يقرب منه ويبعد علينا التخلص عنه ثم يترقى منه الى قريب من ذلك وشبهه ويكون هذا الحديث منبها عليه وهو ان الصورة المنحوتة قد اتخذت آلهة وعبدت من دون الله عز وجل وقد نبه الله عز وجل قلوب المؤمنين على عيب فعل من رضى بذلك ونقص إدراك من دان به حين قال مخبرا

وكيف

و كيف تعتدل القسمة مهما وقع النقص في جهته والكمال في خلقه وصنعته أو كيف تستقيم حجة ابراهيم عليه السلام على أبيه اذ كان يعبد الاصنام جهلا وغيا فقال ﴿لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغني عنك شيأ﴾ ولو انقلب ذلك عليه في معبوده لأضحت حجته داحضة ودلالته ساقطة ولم يصدق قوله تعالى ﴿وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه﴾ وكما عقل كونه فاعلا بلا جارحة وعالما بلا قلب ودماغ فليعقل كونه بصيرا بلا حدقة وسميعا بلا أذن اذ لا فرق بينهما ﴿الاصل السادس﴾ أنه سبحانه وتعالى متكلم بكلام وهو وصف قائم بذاته ليس بصوت ولا حرف بل لا يشبه كلامه كلام غيره كما لا يشبه وجوده وجود غيره والكلام بالحقيقة كلام النفس وانما الاصوات قطعت حروفا للدلالات كما يدل عليها تارة بالحركات والاشارات وكيف التبس هذا على طائفة من الأغبياء ولم يلتبس على جهلة الشعراء حيث قال قائلهم

ان الكلام لفي الفؤاد وانما * جعل اللسان على الفؤاد دليلا

ومن لم يعقله عقله ولا نهاه نهاه عن أن يقول لساني حادث ولكن ما يحدث فيه بقدرتي الحادثة قديم فاقطع عن عقله طمعك وكف عن خطابه لسانك ومن لم يفهم أن القديم عبارة عما ليس قبله شيء وان الباء قبل السين في قولك بسم الله فلا يكون السين المتأخر عن الباء قديما فنزه عن الالتفات اليه قلبك فلله سبحانه سر في ابعاد بعض العباد ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ ومن استبعد أن يسمع موسى عليه السلام في الدنيا كلاما ليس بصوت ولا حرف فليستنكر أن يرى في الآخرة موجودا ليس بجسم ولا لون وان عقل أن يرى ما ليس بلون ولا جسم ولا قدر ولا كمية وهو الى الآن لم ير غيره فليعقل في حاسة السمع ما عقله في حاسة البصر وان عقل أن يكون له علم واحد هو علم بجميع الموجودات فليعقل صفة واحدة للذات هو كلام بجميع ما دل عليه بالعبارات وان عقل كون السموات السبع وكون الجنة والنار مكتوبة في ورقة صغيرة ومحفوظة في مقدار ذرة من القلب وان كل ذلك مرئي في مقدار عدسة من الحدقة من غير أن تحل ذات السموات والارض والجنة والنار في الحدقة والقلب والورقة فليعقل كون الكلام مقروءا بالألسنة محفوظا في القلوب مكتوبا في المصاحف من غير حلول ذات الكلام فيها اذ لو حلت بكتاب الله ذات الكلام في الورق لحل ذات الله تعالى بكتابة اسمه في الورق وحلت ذات النار بكتابة اسمها في الورق ولاحترق ﴿الأصل السابع﴾ أن الكلام القائم بنفسه قديم وكذا جميع صفاته اذ يستحيل أن يكون محلا للحوادث داخلا تحت التغير بل يجب للصفات من نعوت القدم ما يجب للذات فلا تعتريه التغيرات ولا تحله الحادثات بل لم يزل في قدمه موصوفا بمحامد الصفات ولا يزال في أبده كذلك منزها عن تغير الحالات لان ما كان محل الحوادث لا يخلو عنها وما لا يخلو عن الحوادث فهو حادث وانما ثبت نعت الحدوث للاجسام من حيث تعرضها للتغير وتقلب الأوصاف فكيف يكون خالقها مشاركا لها في قبول التغير وينبني على هذا أن كلامه قديم قائم بذاته وانما الحادث هي الأصوات الدالة عليه وكما عقل قيام طلب التعلم وارادته بذات الوالد للولد قبل أن يخلق ولده حتى اذا خلق ولده وعقل وخلق الله له علما متعلقا بما في قلب أبيه من الطلب صار مأمورا بذلك الطلب الذي قام بذات أبيه ودام وجوده الى وقت معرفة ولده له فليعقل قيام الطلب الذي دل عليه قوله عز وجل ﴿اخلع نعليك﴾ بذات الله ومصير موسى عليه السلام مخاطبا به بعد وجوده اذ خلقت له معرفة بذلك الطلب وسمع لذلك الكلام القديم ﴿الأصل الثامن﴾ ان علمه قديم فلم يزل عالما بذاته وصفاته وما يحدثه من مخلوقاته ومهما حدثت المخلوقات لم يحدث له علم بها بل حصلت مكشوفة له بالعلم الأزلي اذ لو خلق لنا علم بقدوم زيد عند طلوع الشمس ودام ذلك العلم تقديرا حتى طلعت الشمس لكان قدوم زيد عند طلوع الشمس معلوما لنا بذلك العلم من غير تجدد علم آخر فهكذا ينبغي أن يفهم قدم علم الله تعالى ﴿الأصل التاسع﴾ ان ارادته قديمة وهي في القدم تعلقت باحداث الحوادث في أوقاتها اللائقة بها على وفق سبق العلم الأزلي اذ لو كانت حادثة لصار محل الحوادث ولو حدثت في غير ذاته لم يكن هو مريدا لها كما لا تكون أنت متحركا بحركة ليست في ذاتك وكيفما قدرت فيفتقر حدوثها الى ارادة أخرى وكذلك

عن ابراهيم عليه السلام حيث قال أتعبدون ما تنحتون والله خلقكم وما تعملون فكان امتناع الملائكة من دخول بيت فيه صورة لاجل أن فيه ما عبد من دون الله سبحانه أو ما حكي به ما هو على مثاله ويترقى من ذلك المعنى الى ان القلب الذي هو بيت بناه الله ليكون مهبطا للملائكة ومحلا لذكر ومعرفة عبادته وحده دون غيره فاذا حل فيه معبود غير الله سبحانه وهو الهوى لم تقر به الملائكة أيضا (فان قيل) فظاهر الحديث يقتضي منافرة الملائكة لكل صورة عموما وما ذكرته تعليلا ينبغي أن لا يقتضي الا منافرة ما عبد أو ما نحت على مثاله (قلنا) تشابهت الصور المنحوتة كلها في المعنى الذي قصد بها التصوير لاجله وهو مضارعة ذي الأرواح وما نحت للعبادة انما قصد به تشبيه ذي روح فلما كان هذا المعنى الجامع لها وجب تحريم كل صورة

الارادة الأخرى تفتقر الى أخرى و يتسلسل الأمر الى غير نهاية ولو جاز أن يحدث ارادة بغير ارادة لجاز أن يحدث العالم بغير ارادة ﴿الأصل العاشر﴾ ان الله تعالى عالم بعلم حى بحياة قادر بقدرة ومريد بارادة ومتكلم بكلام وسميع بسمع و بصير ببصر وله هذه الأوصاف من هذه الصفات القديمة وقول القائل عالم بلا علم كقوله غني بلا مال وعلم بلا عالم وعالم بلا معلوم فان العلم والمعلوم والعالم متلازمة كالقتل والمقتول والقاتل وكما لا يتصور قاتل بلا قتل ولا قتيل ولا يتصور قتيل بلا قاتل ولا قتل كذلك لا يتصور عالم بلا علم ولا علم بلا معلوم ولا معلوم بلا عالم بل هذه الثلاثة متلازمة فى العقل لا ينفك بعض منها عن البعض فمن جوز انفكاك العالم عن العلم فليجوز انفكاكه عن المعلوم وانفكاك العلم عن العالم اذ لا فرق بين هذه الأوصاف

﴿الركن الثالث العلم بأفعال الله تعالى ومداره على عشرة أصول﴾

﴿الاصل الأول﴾ العلم بان كل حادث فى العالم فهو فعله وخلقه واختراعه لا خالق له سواه ولا محدث له الا اياه خلق الخلق وصنعهم وأوجد قدرتهم وحركتهم فجميع أفعال عباده مخلوقة له ومتعلقة بقدرته تصديقا له فى قوله تعالى ﴿الله خالق كل شىء﴾ وفى قوله تعالى ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ وفى قوله تعالى ﴿واسروا قولكم أو اجهروا به أنه عليم بذات الصدور ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾ أمر العباد بالتحرز فى أقوالهم وأفعالهم وأسرارهم واضمارهم لعلمه بموارد أفعالهم واستدل على العلم بالخلق وكيف لا يكون خالقا لفعل العبد وقدرته تامة لا قصور فيها وهي متعلقة بحركة أبدان العباد والحركات متماثلة وتعلق القدرة بها لذاتها فما الذى يقصر تعلقها عن بعض الحركات دون البعض مع تماثلها أو كيف يكون الحيوان مستبدا بالاختراع ويصدر من العنكبوت والنحل وسائر الحيوانات من لطائف الصناعات ما يتحير فيه عقول ذوى الألباب فكيف انفردت هى باختراعها دون رب الأرباب وهي غير عالمة بتفصيل ما يصدر منها من الاكتساب هيهات هيهات ذلت المخلوقات وتفرد بالملك والملكوت جبار الأرض والسموات ﴿الأصل الثانى﴾ أن انفراد الله سبحانه باختراع حركات العباد لا يخرجها عن كونها مقدورة للعباد على سبيل الاكتساب بل الله تعالى خلق القدرة والمقدور جميعا وخلق الاختيار والمختار جميعا فاما القدرة فوصف للعبد وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له وأما الحركة فخلق للرب تعالى ووصف للعبد وكسب له فانها خلقت مقدورة بقدرة هى وصفه وكانت للحركة نسبة الى صفة أخرى تسمى قدرة فتسمى باعتبار تلك النسبة كسبا وكيف تكون جبرا محضا وهو بالضرورة يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية أو كيف يكون خلقا للعبد وهو لا يحيط علما بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها واذا بطل الطرفان لم يبق الا الاقتصاد فى الاعتقاد وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعا وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب وليس من ضرورة تعلق القدرة بالمقدور أن يكون بالاختراع فقط اذ قدرة الله تعالى فى الازل قد كانت متعلقة بالعالم ولم يكن الاختراع حاصلا بها وهى عند الاختراع متعلقة به نوعا آخر من التعلق فبه يظهر أن تعلق القدرة ليس مخصوصا بحصول المقدور بها ﴿الأصل الثالث﴾ ان فعل العبد وان كان كسبا للعبد فلا يخرج عن كونه مرادا لله سبحانه فلا يجرى فى الملك والملكوت طرفة عين ولا لفتة خاطر ولا فلتة ناظر الا بقضاء الله وقدرته وبارادته ومشيئته ومنه الشر والخير والنفع والضر والاسلام والكفر والعرفان والنكر والفوز والخسران والغواية والرشد والطاعة والعصيان والشرك والايمان لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه يضل من يشاء ويهدى من يشاء لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون ويدل عليه من النقل قول الامة قاطبة ماشاء كان ومالم يشأ لم يكن وقول الله عز وجل أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ويدل عليه من جهة العقل أن المعاصى والجرائم ان كان الله يكرهها ولا يريدها وانما هى جارية على وفق ارادة العدو ابليس لعنه الله مع أنه عدو لله سبحانه والجارى على وفق ارادة العدو أكثر من الجارى على وفق ارادته تعالى فليت شعرى كيف يستجيز المسلم أن يرد ملك الجبار ذى الجلال والاكرام الى رتبة لوردت اليها رياسة زعيم ضيعة لاستنكف منها اذ لو كان ما يستمر لعدو الزعيم

منافرة للملائكة (فان قيل) فما وجه الترخيص فيما رقم فى ثوب فذلك لانها ليست مقصودة فى نفسها وانما المقصود الثوب الذى رقمت فيه (فان قيل) فما بال الثياب رخص فى محاكاتها بالتصوير وذات أنواط فى العرب مشهورة معلومة * فاعلم ان ذات أنواط انما كانت سجرة فى أيام العرب الجاهلية تعلق عليها يوما فى السنة فاخر ثيابها وحلى نسائها لاجل اجتماعها عندها وراحتها فى ذلك اليوم ولم يكونوا يقصدونها بالعبادة لما كانت بغير صفة التماثيل المنحوتة والأصنام ولو كان ذلك ماسأل أصحاب رسول الله ﷺ أن يجعل لهم ذات أنواط حتى أنكر النبي ﷺ ذلك عليهم ولو عبدت فقد عبد كثير من خلق الله تعالى كالملائكة والشمس والقمر وبعض النجوم والمسيح عليه السلام وعلى رضى الله عنه ولم يعبدوا ما نحت على شكل النبات

فى

فلم تعبد من هذه إلا ذات روح حرمه الله تعالى إياها فله الحمد وهو أهله

في القرية أكثر مما يستقيم له لاستنكف من زعامته وتبرأ عن ولايته والمعصية هي الغالبة على الخلق وكل ذلك جار عند المبتدعة على خلاف إرادة الحق تعالى وهذا غاية الضعف والعجز تعالى رب الأرباب عن قول الظالمين علوا كبيرا ثم مهما ظهر أن أفعال العباد مخلوقة لله صح أنها مرادة له فإن قيل فكيف ينهى عما يريد ويأمر بما لا يريد قلنا الأمر غير الإرادة ولذلك إذا ضرب السيد عبده فعاتبه السلطان عليه فاعتذر بتمرد عبده عليه فكذبه السلطان فأراد إظهار حجته بأن يأمر العبد بفعل ويخالفه بين يديه فقال له أسرج هذه الدابة بمشهد من السلطان فهو يأمره بما لا يريد امتثاله ولو لم يكن آمرا لما كان عذره عند السلطان ممهدا ولو كان مريدا لامتثاله لكان مريدا لهلاك نفسه وهو محال ﴿الأصل الرابع﴾ أن الله تعالى متفضل بالخلق والاختراع ومتطول بتكليف العباد ولم يكن الخلق والتكليف واجبا عليه وقالت المعتزلة وجب عليه ذلك لما فيه من مصلحة العباد وهو محال إذ هو الموجب والآمر والناهي وكيف يتهدف لايجاب أو يتعرض للزوم وخطاب والمراد بالواجب أحد أمرين إما الفعل الذي في تركه ضرر إما آجل كما يقال يجب على العبد أن يطيع الله حتى لا يعذبه في الآخرة بالنار أو ضرر عاجل كما يقال يجب على العطشان أن يشرب حتى لا يموت وإما أن يراد به الذي يؤدي عدمه إلى محال كما يقال وجود المعلوم واجب إذ عدمه يؤدي إلى محال وهو أن يصير العلم جهلا فإن أراد الخصم بأن الخلق واجب على الله بالمعنى الأول فقد عرضه للضرر وإن أراد به المعنى الثاني فهو مسلم إذ بعد سبق العلم لا بد من وجود المعلوم وإن أراد به معنى ثالثا فهو غير مفهوم وقوله يجب لمصلحة عباده كلام فاسد فإنه إذا لم يتضرر بترك مصلحة العباد لم يكن للوجوب في حقه معنى ثم إن مصلحة العباد في أن يخلقهم في الجنة فأما أن يخلقهم في دار البلايا ويعرضهم للخطايا ثم يهدفهم لخطر العقاب وهول العرض والحساب فما في ذلك غبطة عند ذوي الألباب ﴿الأصل الخامس﴾ أنه يجوز على الله سبحانه أن يكلف الخلق ما لا يطيقونه خلافا للمعتزلة ولو لم يجز ذلك لاستحال سؤال دفعه وقد سألوا ذلك فقالوا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ولأن الله تعالى أخبر نبيه ﷺ بأن أبا جهل لا يصدقه ثم أمره بأن يأمره بأن يصدقه في جميع أقواله وكان من جملة أقواله أنه لا يصدقه فكيف يصدقه في أنه لا يصدقه وهل هذا إلا محال وجوده ﴿الأصل السادس﴾ أن الله عز وجل إيلام الخلق وتعذيبهم من غير جرم سابق ومن غير ثواب لاحق خلافا للمعتزلة لأنه متصرف في ملكه ولا يتصور أن يعدو تصرفه ملكه والظلم هو عبارة عن التصرف في ملك الغير بغير إذنه وهو محال على الله تعالى فإنه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه فيه ظلما ويدل على جواز ذلك وجوده فإن ذبح البهائم إيلام لها وما صب عليها من أنواع العذاب من جهة الآدميين لم يتقدمها جريمة * فإن قيل إن الله تعالى يحشرها ويجازيها على قدر ما قاسته من الآلام ويجب ذلك على الله سبحانه * فنقول من زعم أنه يجب على الله إحياء كل نملة وطئت وكل بقة عركت حتى يثيبها على آلامها فقد خرج عن الشرع والعقل إذ يقال وصف الثواب والحشر بكونه واجبا عليه إن كان المراد به أنه يتضرر بتركه فهو محال وإن أريد به غيره فقد سبق أنه غير مفهوم إذا خرج عن المعاني المذكورة للواجب ﴿الأصل السابع﴾ أنه تعالى يفعل بعباده ما يشاء فلا يجب عليه رعاية الأصلح لعباده لما ذكرناه من أنه لا يجب عليه سبحانه شيء بل لا يعقل في حقه الوجوب فإنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون وليت شعري بما يجيب المعتزلي في قوله إن الأصلح واجب عليه في مسألة نعرضها عليه وهو أن يفرض مناظرة في الآخرة بين صبي وبالغ ماتا مسلمين فإن الله سبحانه يزيد في درجات البالغ ويفضله على الصبي لأنه تعب بالإيمان والطاعات بعد البلوغ ويجب عليه ذلك عند المعتزلي فلو قال الصبي يا رب لم رفعت منزلته علي فيقول لأنه بلغ واجتهد في الطاعات ويقول الصبي أنت أمتني في الصبا فكان يجب عليك أن تديم حياتي حتى أبلغ فأجتهد فقد عدلت عن العدل في التفضل عليه بطول العمر له دوني فلم فضلته فيقول الله تعالى لأني علمت أنك لو بلغت لأشركت أو عصيت فكان الأصلح لك الموت في الصبا هذا عذر المعتزلي عن الله عز وجل وعند هذا ينادي الكفار من دركات لظى ويقولون يا رب أما علمت أننا إذا بلغنا أشركنا فهلا أمتنا في الصبا فإنا رضينا بما دون منزلة الصبي

(بيان أصناف أهل الاعتقاد المجرد)

وأما أهل الاعتقاد المجرد عن تصفيته بالعلم وتوثيقه بالأدلة وتسديده بالبراهين فقد انقسموا في الوجود إلى ثلاثة أصناف أحدهم صنف اعتقدوا مضمون ما أقروا به وحشوا به قلوبهم من غير تردد ولا تكذيب أسروه في أنفسهم ولكنهم غير عارفين بالاستدلال على ما اعتقدوا وذلك لفرط بعدهم وغلظ طباعهم واعتياص طرق ذلك عليهم ويقع عليهم اسم الموحدين وتحققنا وجود أمثالهم كثيرا على عهد سيد المرسلين ﷺ والسلف الصالحين رضي الله عنهم ثم لم يبلغنا أنه اعترض أحد إسلامهم ولا أوجب عليهم الخروج منه والمعروف عنه ولا كلفوا مع قصور فهمهم وبعدهم عن فهم ذلك بعلم الدلالة وقراءة ترك البراهين وترتيب الحجاج بل تركوا على ما هم عليه وهؤلاء

المسلم فماذا يجاب عن ذلك وهل يجب عند هذا الا القطع بأن الأمور الالهية تتعالى بحكم الجلال عن أن توزن بميزان أهل الاعتزال * فان قيل مهما قدر على رعاية الأصلح للعباد ثم سلط عليهم أسباب العذاب كان ذلك قبيحا لا يليق بالحكمة * قلنا القبيح مالا يوافق الغرض حتى أنه قد يكون الشيء قبيحا عند شخص حسنا عند غيره اذا وافق غرض أحدهما دون الآخر حتى يستقبح قتل الشخص أولياؤه ويستحسنه أعداؤه فان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض البارى سبحانه فهو محال إذ لا غرض له فلا يتصور منه قبيح كما لا يتصور منه ظلم إذ لا يتصور منه التصرف فى ملك الغير وان أريد بالقبيح مالا يوافق غرض الغير فلم قلتم ان ذلك عليه محال وهل هذا إلا مجرد تشبه يشهد بخلافه ماقد فرضناه من مخاصمة أهل النار ثم الحكيم معناه العالم بحقائق الأشياء القادر على إحكام فعلها على وفق إرادته وهذا من أين يوجب رعاية الأصلح وانما الحكيم منا يراعي الأصلح نظرا لنفسه ليستفيد به فى الدنيا ثناء وفى الآخرة ثوابا أو يدفع به عن نفسه آفة وكل ذلك محال على الله سبحانه وتعالى ﴿الأصل الثامن﴾ أن معرفة الله سبحانه وطاعته واجبة بايجاب الله تعالى وشرعه لا بالعقل خلافا للمعتزلة لان العقل وان أوجب الطاعة فلا يخلو إما أن يوجبها لغير فائدة وهو محال فان العقل لا يوجب العبث وإما أن يوجبها لفائدة وغرض وذلك لا يخلو إما أن يرجع الى المعبود وذلك محال فى حقه تعالى فانه يتقدس عن الأغراض والفوائد بل الكفر والايمان والطاعة والعصيان فى حقه تعالى سيان وإما أن يرجع ذلك الى غرض العبد وهو أيضا محال لانه لا غرض له فى الحال بل يتعب به وينصرف عن الشهوات بسببه وليس فى المآل إلا الثواب والعقاب ومن أين يعلم أن الله تعالى يثيب على المعصية والطاعة ولا يعاقب عليهما مع أن الطاعة والمعصية فى حقه يتساويان إذ ليس له الى أحدهما ميل ولا به لأحدهما اختصاص وانما عرف تمييز ذلك بالشرع ولقد زل من أخذ هذا من المقايسة بين الخالق والمخلوق حيث يفرق بين الشكر والكفران لماله من الارتياح والاهتزاز والتلذذ بأحدهما دون الآخر * فان قيل فاذا لم يجب النظر والمعرفة إلا بالشرع والشرع لا يستقر مالم ينظر المكلف فيه فاذا قال المكلف للنبي ان العقل ليس يوجب على النظر والشرع لا يثبت عندى إلا بالنظر ولست أقدم على النظر أدى ذلك الى افحام الرسول ﷺ قلنا هذا يضاهى قول القائل للواقف فى موضع من المواضع ان وراءك سبعا ضاريا فان لم تبرح عن المكان قتلك وان التفت وراءك ونظرت عرفت صدقى فيقول الواقف لا يثبت صدقك مالم ألتفت ورائى ولا ألتفت ورائى ولا أنظر مالم يثبت صدقك فيدل هذا على حماقة هذا القائل وتهدفه للهلاك ولا ضرر فيه على الهادى المرشد فكذلك النبي ﷺ يقول ان وراءكم الموت ودونه السباع الضارية والنيران المحرقة ان لم تأخذوا منها حذركم وتعرفوا الى صدقى بالالتفات الى معجزتى والا هلكتم فمن التفت عرف واحترز ونجا ومن لم يلتفت وأصر هلك وتردى ولا ضرر على ان هلك الناس كلهم أجمعون وانما على البلاغ المبين فالشرع يعرف وجود السباع الضارية بعد الموت والعقل يفيد فهم كلامه والاحاطة بامكان ما يقوله فى المستقبل والطبع يستحث على الحذر من الضرر ومعنى كون الشيء واجبا أن فى تركه ضررا ومعنى كون الشرع موجبا أنه معرف للضرر المتوقع فان العقل لا يهدى الى التهدف للضرر بعد الموت عند اتباع الشهوات فهذا معنى الشرع والعقل وتأثيرهما فى تقدير الواجب ولولا خوف العقاب على ترك ما أمر به لم يكن الوجوب ثابتا إذ لا معنى للواجب إلا ما يرتبط بتركه ضرر فى الآخرة ﴿الأصل التاسع﴾ أنه ليس يستحيل بعثة الأنبياء عليهم السلام خلافا للبراهمة حيث قالوا لا فائدة فى بعثتهم إذ فى العقل مندوحة عنهم لان العقل لا يهدى الى الأفعال المنجية فى الآخرة كما لا يهدى الى الأدوية المفيدة للصحة فحاجة الخلق الى الأنبياء كحاجتهم الى الأطباء ولكن يعرف صدق الطبيب بالتجربة ويعرف صدق النبي بالمعجزة ﴿الأصل العاشر﴾ ان الله سبحانه قد أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين وناسخا لما قبله من شرائع اليهود والنصارى والصابئين وأيده بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة(١) كانشقاق القمر(٢) وتسبيح الحصى

وانطاق

عندى معذورون بعدهم ومقبولون بما توافوا عليه من إقرارهم وعقدهم والله سبحانه قد عذرهم مع غيرهم بقوله سبحانه لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ولا يخرجون عن مقتضى هذه الآيات بحال وسنبدى لك طريقا من الاعتبار تعرف به صحة اسلامهم وسلامة توحيدهم ان شاء الله عز وجل * والصنف الثانى اعتقدوا الحق مع ما ظهر منهم من النطق واعتقدت مع ذلك أنواعا من المخاييل قام فى مخيلتها أنها أدلة وظنتها براهين وليست كذلك وقد وقع فى هذا كثير ممن يشار اليه فضلا عمن دونهم فان وقع الى هذا الصنف من يزعزع عليهم تلك المخاييل بالقدح ويبطلها عليهم بالمعارضة أو الاعتراض لم يلتفتوا اليه ولا أصغوا لما يأتى به ويترنصوا الى أن يجاوبوه لما يحملهم عليه من سوء الفهم أو رداءة الاعتقاد وعندهم ان جميع تلك المخاييل .

(٣) وانطاق العجماء، وما تفجر من بين أصابعه من الماء ومن آياته الظاهرة التي تحدّى بها مع كافة العرب القرآن العظيم فانهم مع تميزهم بالفصاحة والبلاغة تهدّفوا لسبيه ونهبه وقتله واخراجه كما أخبر الله عز وجل عنهم ولم يقدروا على معارضته بمثل القرآن اذ لم يكن في قدرة البشر الجمع بين جزالة القرآن ونظمه هذا مع ما فيه من أخبار الاولين مع كونه أميا غير ممارس للكتب والانباء عن الغيب في أمور تحقق صدقه فيها في الاستقبال كقوله تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين﴾ وكقوله تعالى ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾ ووجه دلالة المعجزة على صدق الرسل أن كل ما عجز عنه البشر لم يكن الا فعلا لله تعالى فمهما كان مقرونا بتحدي النبي ﷺ ينزل منزلة قوله صدقت وذلك مثل القائم بين يدي الملك المدعي على رعيته أنه رسول الملك اليهم فانه مهما قال للملك ان كنت صادقا فقم على سريرك ثلاثا واقعد على خلاف عادتك ففعل الملك ذلك حصل للحاضرين علم ضروري بأن ذلك نازل منزلة قوله صدقت

﴿الركن الرابع في السمعيات وتصديقه ﷺ فيما أخبر عنه ومداره على عشرة أصول﴾

﴿الأصل الاول﴾ (٤) الحشر والنشر وقد ورد بهما الشرع وهو حق والتصديق بهما واجب لأنه في العقل ممكن ومعناه الاعادة بعد الافناء وذلك مقدور لله تعالى كابتداء الانشاء قال الله تعالى ﴿قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة﴾ فاستدل بالابتداء على الاعادة وقال عز وجل ﴿ما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة﴾ والاعادة ابتداء ثان فهو ممكن كالابتداء الاول ﴿الأصل الثاني﴾ (٥) سؤال منكر ونكير وقد وردت به الأخبار فيجب التصديق به لأنه ممكن اذ ليس يستدعي الا اعادة الحياة الى جزء من الأجزاء الذي به فهم الخطاب وذلك ممكن في نفسه ولا يدفع ذلك ما يشاهد من سكون أجزاء الميت وعدم سماعنا للسؤال له فان النائم ساكن بظاهره ويدرك بباطنه من الآلام واللذات ما يحس بتأثيره عند التنبه وقد كان رسول الله ﷺ (٦) يسمع كلام جبريل عليه السلام ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء فاذا لم يخلق لهم السمع والرؤية لم يدركوه ﴿الأصل الثالث﴾ (٧) عذاب القبر وقد ورد الشرع به قال الله تعالى ﴿النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ واشتهر عن رسول الله ﷺ والسلف الصالح الاستعاذة من عذاب القبر وهو ممكن فيجب التصديق به ولا يمنع من التصديق به تفرق أجزاء الميت في بطون السباع وحواصل الطيور فان المدرك لألم العذاب من الحيوان أجزاء مخصوصة يقدر الله تعالى

(١) حديث انشقاق القمر متفق عليه من حديث أنس وابن مسعود وابن عباس (٢) حديث تسبيح الحصا البيهقي في دلائل النبوة من حديث أبي ذر وقال صالح بن أبي الأخضر ليس بالحافظ والمحفوظ رواية رجل من بني سليم لم يسم عن أبي ذر (٣) حديث انطاق العجماء أحمد والبيهقي باسناد صحيح من حديث يعلى بن مرة في البعير الذي شكا الى النبي ﷺ أهله وقد ورد في كلام الضب والذئب والحمرة أحاديث رواها البيهقي في الدلائل (٤) حديث الحشر والنشر الشيخان من حديث ابن عباس انكم لمحشورون الى الله الحديث ومن حديث سهل يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء الحديث ومن حديث عائشة يحشرون يوم القيامة حفاة ومن حديث أبي هريرة يحشر الناس على ثلاث طرائق الحديث ولابن ماجه من حديث ميمونة مولاة النبي ﷺ أفتنا في بيت المقدس وأرض المحشر والمنشر الحديث واسناده جيد (٥) حديث سؤال منكر ونكير تقدم (٦) حديث كان يسمع كلام جبريل ويشاهده ومن حوله لا يسمعونه ولا يرونه البخاري ومسلم من حديث عائشة قالت قال رسول الله ﷺ يوما يا عائشة هذا جبريل يقرئك السلام فقلت وعليه السلام ورحمة الله وبركاته ترى ما لا أرى قلت وهذا هو الاغلب والا فقد رأى جبريل جماعة من الصحابة منهم عمر وابنه عبد الله وكعب بن مالك وغيرهم (٧) حديث استعاذ من عذاب القبر أخرجاه من حديث أبي هريرة وعائشة وقد تقدم

في باب الاستدلال أرسخ من شوامخ الجبال فمنهم من يعتقد دليله مذهب شيخه الرفيع القدر المطلع على العلوم ومنهم من يكون دليله خبر آله ومنهم من يكون دليله بعض محتملات آية أو حديث صحيح ولعمري انهم ينبغي اذا صادفوا السنة باعتقادهم ولم يقعوا في شيء من الضلال أن يتركوا على ما هم عليه ولا يحركوا بأمر آخر بل يصدقوا بذلك ويسلم لهم لئلا يكون اذا تتبع الحال معهم بما لقنوا شبهة أو ترسخ في نفوسهم بدعة يعسر انحلالها أو يقعوا في تكفير مسلم وتضليله بل هناك أسباب كثيرة واعلم أن اعتقاد الخلائق وعلمها من أغذية النفوس فمن رغب في أكلتها لم يقنع بدونها واذا حصل له ذلك قوي به ومن قنع بيسرها ولم تطمح همته الى ما هو أعلى من ذلك ضعف ولكنه يعيش عيش الطفيف وانما يهلك من لا بلغة له ولا يجدها أو يجدها ولكنها تكون مشابهة ممن جاء بمضرة بدعة وسموم كفر فلا تذهل عما

على اعادة الادراك اليها ﴿الأصل الرابع﴾ الميزان وهو حق قال الله تعالى ﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة﴾ وقال تعالى ﴿فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون * ومن خفت موازينه﴾ الآية ووجهه ان الله تعالى يحدث في صحائف الأعمال وزنا بحسب درجات الأعمال عند الله تعالى فتصير مقادير أعمال العباد معلومة للعباد حتى يظهر لهم العدل في العقاب أو الفضل في العفو وتضعيف الثواب ﴿الأصل الخامس﴾ الصراط وهو جسر ممدود على متن جهنم أرق من الشعرة وأحد من السيف قال الله تعالى ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم وقفوهم انهم مسؤلون﴾ وهذا ممكن فيجب التصديق به فان القادر على أن يطير الطير في الهواء قادر على أن يسير الانسان على الصراط ﴿الأصل السادس﴾ أن الجنة والنار مخلوقتان قال الله تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾ فقوله تعالى أعدت دليل على أنها مخلوقة فيجب اجراؤه على الظاهر اذ لا استحالة فيه ولا يقال لا فائدة في خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الله تعالى ﴿لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون﴾ ﴿الأصل السابع﴾ أن الامام الحق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم ولم يكن نص رسول الله ﷺ على إمام أصلا اذ لو كان لكان أولى بالظهور من نصبه آحاد الولاة والأمراء على الجنود في البلاد ولم يخف ذلك فكيف خفي هذا وان ظهر فكيف اندرس حتى لم ينقل الينا فلم يكن أبو بكر اماما الا بالاختيار والبيعة وأما تقدير النص على غيره فهو نسبة للصحابة كلهم إلى مخالفة رسول الله ﷺ وخرق الاجماع وذلك مما لا يستجرئ على اختراعه الا الروافض واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة والثناء عليهم كما أثنى الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيا على الاجتهاد لا منازعة من معاوية في الامامة اذ ظن علي رضي الله عنه ان تسليم قتلة عثمان مع كثرة عشائرهم واختلاطهم بالعسكر يؤدي إلى اضطراب أمر الامامة في بدايتها فرأى التأخير أصوب وظن معاوية أن تأخير أمرهم مع عظم جنايتهم يوجب الاغراء بالأئمة ويعرض الدماء للسفك وقد قال أفاضل العلماء كل مجتهد مصيب وقال قائلون المصيب واحد ولم يذهب إلى تخطئة علي ذو تحصيل أصلا ﴿الأصل الثامن﴾ ان فضل الصحابة رضي الله عنهم على حسب ترتيبهم في الخلافة اذ حقيقة الفضل ما هو فضل عند الله عز وجل وذلك لا يطلع عليه الا رسول الله ﷺ(١) وقد ورد في الثناء على جميعهم آيات وأخبار كثيرة وانما يدرك دقائق الفضل والترتيب فيه المشاهدون للوحي والتنزيل بقرائن الأحوال ودقائق التفصيل فلولا فهمهم ذلك لما رتبوا الأمر كذلك اذ كانوا لا تأخذهم في الله لومة لائم ولا يصرفهم عن الحق صارف ﴿الأصل التاسع﴾ أن شرائط الامامة بعد الاسلام والتكليف خمسة الذكورة والورع والعلم والكفاية ونسبة قريش لقوله ﷺ(٢) الأئمة من قريش واذا اجتمع عدد من الموصوفين بهذه الصفات فالامام من انعقدت له البيعة من أكثر الخلق والمخالف للاكثر باغ يجب رده إلى الانقياد إلى الحق ﴿الاصل العاشر﴾ أنه لو تعذر وجود الورع والعلم فيمن يتصدى للامامة وكان في صرفه اثارة فتنة لا تطاق حكمنا بانعقاد إمامته لأنا بين أن نحرك فتنة بالاستبدال فما يلقى المسلمون فيه من الضرر يزيد على ما يفوتهم من نقصان هذه الشروط التي أثبتت لمزية المصلحة فلا يهدم أصل المصلحة شغفا بمزاياها كالذي يبني قصرا ويهدم مصرا وبين أن نحكم بخلو البلاد عن الامام وبفساد الاقضية وذلك محال ونحن نقضي بنفوذ قضاء أهل البغي في بلادهم لمسيس حاجتهم فكيف لا نقضي بصحة الامامة عند الحاجة والضرورة فهذه الأركان الاربعة الحاوية للاصول الأربعين هي قواعد العقائد فمن اعتقدها كان موافقا لأهل السنة ومباينا لرهط البدعة فالله تعالى يسددنا بتوفيقه ويهدينا إلى الحق وتحقيقه بمنه وسعة جوده وفضله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وكل عبد مصطفى

(١) حديث الثناء على الصحابة تقدم
(٢) حديث الائمة من قريش النسائي من حديث أنس والحاكم من حديث ابن عمر

يشاركه اليه وانما المرغوب تنبيهك والله المستعان وقلما بين الصنف الثاني والاول من التفاوت من حيث ان أولئك مقلدون فيما يعتقدونه دليلا غير انهم أوثق رباطا من الاولين لان أولئك ان وقع اليهم من شككهم ربما شكوا وانحل رباط عقدهم وهؤلاء في الاغلب لا سبيل الى انحلال عقودهم اذ لا يرون أنفسهم انهم مقلدون وانما يظنون انهم مستدلون عارفون فلهذا كانوا أحسن حالا * والصنف الثالث أقروا واعتقدوا كما فعل الذين من قبلهم وقدموا النظر أيضا ولكنهم لعدم سلوكهم سبيله مع القدرة عليه ومعهم من الذكاء والفطنة والتيقظ مالو نظروا لعلموا ولو استدلوا لتحققوا ولو طلبوا لادركوا سبيل المعارف ووصلوا ولكنهم آثروا الراحة ومالوا إلى الدعة واستبعدوا طريق العلم واستثقلوا الاعمال الموصلة اليه وقنعوا بالقعود في

(الفصل

﴿الفصل الرابع من قواعد العقائد﴾ في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال وما يتطرق اليه من الزيادة والنقصان ووجه استثناء السلف فيه وفيه ثلاث مسائل ﴿مسئلة﴾ اختلفوا في أن الاسلام هو الايمان أوغيره وان كان غيره فهل هو منفصل عنه يوجد دونه أو مرتبط به يلازمه فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما شيآن لا يتواصلان وقيل انهما شيآن ولكن يرتبط أحدهما بالآخر وقد أورد أبو طالب المكي في هذا كلاما شديد الاضطراب كثير التطويل فلنهجم الآن على التصريح بالحق من غير تعريج على نقل ما لا تحصيل له فنقول في هذا ثلاثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة و بحث عن المراد بهما في اطلاق الشرع و بحث عن حكمهما في الدنيا والآخرة والبحث الاول لغوي والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي ﴿البحث الأول﴾ في موجب اللغة والحق فيه أن الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالى ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ أي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو القلب واللسان ترجمانه وأما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح فان كل تصديق بالقلب فهو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة أن الاسلام أعم والايمان أخص فكان الايمان عبارة عن أشرف أجزاء الاسلام فاذن كل تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديقا ﴿البحث الثاني﴾ عن اطلاق الشرع والحق فيه أن الشرع قد ورد باستعمالهما على سبيل الترادف والتوارد وورد على سبيل الاختلاف وورد على سبيل التداخل أما الترادف ففي قوله تعالى ﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد وقال تعالى ﴿ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين﴾ وقال ﷺ (١) بني الاسلام على خمس (٢) وسئل رسول الله ﷺ مرة عن الايمان فأجاب بهذه الخمس وأما الاختلاف فقوله تعالى ﴿قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ ومعناه استسلمنا في الظاهر فأراد بالايمان ههنا التصديق بالقلب فقط و بالاسلام الاستسلام ظاهرا باللسان والجوارح وفي حديث جبرائيل عليه السلام (٣) لما سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و بالبعث بعد الموت و بالحساب و بالقدر خيره وشره فقال فما الاسلام فأجاب بذكر الخصال الخمس فعبر بالاسلام عن تسليم الظاهر بالقول والعمل وفي الحديث عن سعد انه ﷺ (٤) أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال ﷺ أو مسلم فأعاد عليه فأعاد رسول الله ﷺ وأما التداخل فما روي أيضا انه سئل (٥) فقيل أي الأعمال أفضل فقال ﷺ الاسلام فقال أي الاسلام أفضل فقال ﷺ الايمان وهذا دليل على الاختلاف وعلى التداخل وهو أوفق الاستعمالات في اللغة لان الايمان عمل من الأعمال وهو أفضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب وأما باللسان وأما بالجوارح وأفضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمى ايمانا والاستعمال لهما على سبيل الاختلاف وعلى

(١) حديث بني الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر (٢) حديث سئل عن الايمان فأجاب بهذه الخمس البيهقي في الاعتقاد من حديث ابن عباس في قصة وفد عبد القيس تدرون ما الايمان شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة وتصوموا رمضان وتحجوا البيت الحرام والحديث في الصحيحين لكن ليس فيه ذكر الحج وزاد وأن تؤتوا خمسا من المغنم (٣) حديث جبريل لما سأله عن الايمان فقال أن تؤمن بالله وملائكته الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة ومسلم من حديث عمر دون ذكر الحساب فرواه البيهقي في البعث وقد تقدم (٤) حديث سعد أعطى رجلا عطاء ولم يعط الآخر فقال له سعد يارسول الله تركت فلانا لم تعطه وهو مؤمن فقال أو مسلم الحديث أخرجاه بنحوه (٥) حديث سئل أي الأعمال أفضل فقال الاسلام فقال أي الاسلام أفضل فقال الايمان أحمد والطبراني من حديث عمرو بن عبسة بالشطر الاخير قال رجل يارسول الله أي الاسلام أفضل قال الايمان واسناده صحيح

حضيض الجهل فهؤلاء فيهم اشكال عند كثير من الناس في البديهة و يتردد في حالهم النظر وهل يسمون عصاة أو غير ذلك يحتاج الى تمهيد آخر ليس هذا مقامه والالتفات الى هذا الصنف أوجب خلاف المتكلمين في العوام على الاطلاق من غير تفريق بين بليد ومتيقظ وفطن فمنهم من لم ير أنهم مؤمنون ولكن لم يحفظ عنهم انهم اطلقوا اسم الكفر عليهم ولعلك تقول أن مذهبهم المشهور ان المحل لا يخلو عن الصفات إلا الى ضدها فمن لم يحكم له بالايمان حكم عليه بالكفر كما أن من لم يحكم له بالحركة حكم عليه بالسكون وكذلك الحياة والموت والعلم والجهل وسائر ماله من الصفات قلنا فلئن صح ذلك في الصفات التي هي اعراض فقد لا يصح في الاوصاف التي هي أحكام الايمان والكفر والهداية والضلال والبدعة والسنة ربما كانت ليست من قبيل الاعراض وانما ذكرت لك هذا في معرض الشك في شعوب

سبيل التداخل وعلى سبيل الترادف كله غير خارج عن طريق التجوز في اللغة أما الاختلاف فهو أن يجعل الايمان عبارة عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق للغة والاسلام عبارة عن التسليم ظاهرا وهو أيضا موافق للغة فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعنى لكل محل يمكن أن يوجد المعنى فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه يسمى لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه فاطلاق اسم الاسلام على التسليم الظاهر عند عدم تسليم الباطن مطابق للسان وعلى هذا الوجه جرى قوله تعالى ﴿قالت الاعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾ وقوله ﷺ في حديث سعد أو مسلم لأنه فضل أحدهما على الآخر ويريد بالاختلاف تفاضل المسمين وأما التداخل فموافق أيضا للغة في خصوص الايمان وهو أن يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة عن بعض ما دخل في الاسلام وهو التصديق بالقلب وهو الذي عنيناه بالتداخل وهو موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلى هذا خرج قوله الايمان في جواب قول السائل أي الاسلام أفضل لأنه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه وأما استعماله فيه على سبيل الترادف بان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان على الخصوص تعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جائز لأن تسليم الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر ويراد به الشجر مع ثمره على سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم مرادفا لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين ﴿البحث الثالث﴾ عن الحكم الشرعي وللاسلام والايمان حكمان أخروي ودنيوي * أما الأخروي فهو الاخراج من النار ومنع التخليد إذ قال رسول الله ﷺ (١) يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان وقد اختلفوا في أن هذا الحكم على ماذا يترتب وعبروا عنه بان الايمان ماذا هو فمن قائل إنه مجرد العقد ومن قائل يقول إنه عقد بالقلب وشهادة باللسان ومن قائل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن نكشف الغطاء عنه ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في أن مستقره الجنة وهذه درجة * والدرجة الثانية أن يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول والعقد وبعض الأعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة أو بعض الكبائر فعند هذا قالت المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه فاسق وهو على منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهذا باطل كما سنذكره * الدرجة الثالثة أن يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان دون الأعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه فقال أبو طالب المكي العمل بالجوارح من الايمان ولا يتم دونه وادعى الاجماع فيه واستدل بأدلة تشعر بنقيض غرضه كقوله تعالى ﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ إذ هذا يدل على ان العمل وراء الايمان لا من نفس الايمان والا فيكون العمل في حكم المعاد والعجب أنه ادعى الاجماع في هذا وهو مع ذلك ينقل قوله ﷺ (٢) لا يكفر أحد الا بعد جحوده لما أقر به وينكر على المعتزلة قولهم بالتخليد في النار بسبب الكبائر والقائل بهذا قائل بنفس مذهب المعتزلة اذ يقال له من صدق بقلبه وشهد بلسانه ومات في الحال فهل هو في الجنة فلا بد أن يقول نعم وفيه حكم بوجود الايمان دون العمل فنزيد ونقول لو بقي حيا حتى دخل عليه وقت صلاة واحدة فتركها ثم مات أو زنى ثم مات فهل يخلد في النار فان قال نعم فهو مراد المعتزلة وان قال لا فهو تصريح بأن العمل ليس ركنا من نفس الايمان ولا شرطا في وجوده ولا في

(١) حديث يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان أخرجاه من حديث أبي سعيد الخدري في الشفاعة وفيه اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من ايمان فأخرجوه الحديث ولهما من حديث أنس فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان لفظ البخاري منهما وله تعليقا من حديث أنس يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من ايمان وهو عندهما متصل بلفظ خير مكان ايمان

(٢) حديث لا تكفروا أحدا الا بجحوده بما أقر به الطبراني في الأوسط من حديث أبي سعيد لن يخرج أحد من الايمان الا بجحود ما دخل فيه واسناده ضعيف

ما نورد على ذلك ومنهم من أوجب لهم الايمان ولكن أوجب لهم المعرفة وقدرها لهم وعجزهم عن العبادة ووجوب العبادة في الشرع جار على هذا النحو وهؤلاء لم يخالفوا المذكورين قبلهم لأن أولئك سلبوا الايمان عمن لم يصدر اعتقاده عن دليل وهؤلاء أوجبوا الايمان لمن أضافوا اليه المعرفة المشروطة في صحة الايمان وانما فروا عن الشناعة الظاهرة فشذوا عن الجمهور بهذا الاحتمال وزادوا على أنفسهم أنهم ألموا بقول من جعل المعارف كلها ضرورية ولم يشعروا بذلك حين قالوا إنما عجزت العامة عن سرد الدليل وتعظم العبارة عنه وأنه لا تجب عليهم لأنهم اذا نبهوا وعرض عليهم ما قرب من الالفاظ واعتادوا من المخاطبات دلائل الحدوث ووجوه الافتقار الى المحدث بعد لاعتقدوا وعددوا من هذه المعارف كثيرا ووجدوا أنفسهم عارفين بذلك * واعلم

استحقاق الجنة به وان قال أردت به أن يعيش مدة طويلة ولا يصلي ولا يقدم على الشيء من الأعمال الشرعية فنقول فما ضبط تلك المدة وما عدد تلك الطاعات التي بتركها يبطل الايمان وما عدد الكبائر التي بارتكابها يبطل الايمان وهذا لا يمكن التحكم بتقديره ولم يصر اليه صائر أصلا * الدرجة الرابعة أن يوجد التصديق بالقلب قبل أن ينطق باللسان أو يشتغل بالأعمال ومات فهل يقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى وهذا مما اختلف فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد اذ قال ﷺ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد في النار ولم يشترط في حديث جبريل عليه السلام للايمان الا التصديق بالله تعالى وملائكته وكتبه واليوم الآخر كما سبق * الدرجة الخامسة أن يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل أن يجعل امتناعه عن النطق كامتناعه عن الصلاة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار والايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان فلا بد أن يكون الايمان موجودا بتمامه قبل اللسان حتى يترجمه اللسان وهذا هو الأظهر اذ لا مستند إلا اتباع موجب الألفاظ ووضع اللسان أن الايمان عبارة عن التصديق بالقلب * وقد قال ﷺ يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم بالسكوت عن الفعل الواجب وقال قائلون القول ركن إذ ليس كلمتا الشهادة اخبارا عن القلب بل هو انشاء عقد آخر وابتداء شهادة والتزام والأول أظهر وقد غلا في هذا طائفة المرجئة فقالوا هذا لا يدخل النار أصلا وقالوا إن المؤمن وان عصى فلا يدخل النار وسنبطل ذلك عليهم * الدرجة السادسة أن يقول بلسانه لا إله إلا الله محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في أن هذا في حكم الآخرة من الكفار وانه مخلد في النار ولا نشك في أنه في حكم الدنيا الذي يتعلق بالأئمة والولاة من المسلمين لأن قلبه لا يطلع عليه وعلينا أن نظن به أنه ما قاله بلسانه إلا وهو منطو عليه في قلبه وانما نشك في أمر ثالث وهو الحكم الدنيوي فيما بينه وبين الله تعالى وذلك بان يموت له في الحال قريب مسلم ثم يصدق بعد ذلك بقلبه ثم يستفتي ويقول كنت غير مصدق بالقلب حالة الموت والميراث الآن في يدي فهل يحل لي بيني وبين الله تعالى أو نكح مسلمة ثم صدق بقلبه هل تلزمه اعادة النكاح هذا محل نظر فيحتمل أن يقال أحكام الدنيا منوطة بالقول الظاهر ظاهرا وباطنا ويحتمل أن يقال تناط بالظاهر في حق غيره لأن باطنه غير ظاهر لغيره وباطنه ظاهر له في نفسه بينه وبين الله تعالى والأظهر والعلم عند الله تعالى انه لا يحل له ذلك الميراث ويلزمه اعادة النكاح ولذلك كان حذيفة رضي الله عنه لا يحضر جنازة من يموت من المنافقين وعمر رضي الله عنه كان يراعي ذلك منه فلا يحضر اذا لم يحضر حذيفة رضي الله عنه والصلاة فعل ظاهر في الدنيا وان كان من العبادات والتوقي عن الحرام أيضا من جملة ما يجب لله كالصلاة لقوله ﷺ طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وليس هذا مناقضا لقولنا ان الارث حكم الاسلام وهو الاستسلام بل الاستسلام التام هو ما يشمل الظاهر والباطن وهذه مباحث فقهية ظنية تبنى على ظواهر الألفاظ والعمومات والأقيسة فلا ينبغي أن يظن القاصر في العلوم أن المطلوب فيه القطع من حيث جرت العادة بايراده في فن الكلام الذي يطلب فيه القطع فما أفلح من نظر الى العادات والمراسم في العلوم * فان قلت فما شبهة المعتزلة والمرجئة وما حجة بطلان قولهم * فاقول شبهتهم عمومات القرآن أما المرجئة فقالوا لا يدخل المؤمن النار وان أتى بكل المعاصي لقوله عز وجل ﴿فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾ ولقوله عز وجل ﴿والذين آمنوا بالله ورسله أولئك هم الصديقون﴾ الآية ولقوله تعالى ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها﴾ الى قوله ﴿فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء﴾ فقوله كلما ألقي فيها فوج عام فينبغي أن يكون كل من ألقي في النار مكذبا ولقوله تعالى ﴿لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾ وهذا حصر واثبات ونفي ولقوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها وهم من فزع يومئذ آمنون﴾ فالايمان رأس الحسنات ولقوله تعالى ﴿والله يحب المحسنين﴾ وقال تعالى ﴿إنا لا نضيع أجر من أحسن عملا﴾

أن من يقول ان المعارف كلها ضرورية هكذا يقول انما افتقر الناس الى النسبية ولم يتمرنوا على العبارة على مواضع العلوم والأفهام اذا نبهوا عليها وتلطف بهم في تفهيمها بالزوال إلى ما ألفوه من العبارات وجدوا أنفسهم غير منكرة لما نبهوا عليه وسارعوا إلى الفيئة ومثال هذا كمن نسي شيئا كان معه أو انسانا نصحه أو رآه فنسيه وغفل عنه لأجل غيبته ثم رآه بعد ذلك فذكر فانه يقال بدا لأنه كان عارفا بما غاب عنه لكنه ناس له أوغافل عنه ولولا عرفانه به ما وجد عدم الانكار وسرعة الألفة عنه وطائفة من المتكلمين أيضا أوجب لهم الايمان مع عدم المعرفة المشروطة عند أولئك وأي الآراء أحق بالحق وأولى بالصواب ليس من غرضنا في هذا الموضع وانما غرضنا تبعيد ما اشاعه في الاحياء أهل الغلول والأغلال فلا يفتح مثل هذا الباب وقد

ولا حجة لهم فى ذلك فانه حيث ذكر الايمان فى هذه الآيات أريد به الايمان مع العمل اذ بينا أن الايمان قد يطلق ويراد به الاسلام وهو الموافقة بالقلب والقول والعمل ودليل هذا التأويل أخبار كثيرة فى معاقبة العاصين ومقادير العقاب وقوله ﷺ يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من الايمان فكيف يخرج اذا لم يدخل ومن القرآن قوله تعالى ﴿ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء﴾ والاستثناء بالمشيئة يدل على الانقسام وقوله تعالى ﴿ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها﴾ وتخصيصه بالكفر تحكم وقوله تعالى ـ ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم ـ وقال تعالى ـ ومن جاء بالسيئة فكبت وجوههم فى النار ـ فهذه العمومات فى معارضة عموماتهم ولا بد من تسليط التخصيص والتأويل على الجانبين لأن الأخبار مصرحة(١) بأن العصاة يعذبون بل قوله تعالى ـ وان منكم إلا واردها ـ كالصريح فى أن ذلك لا بد منه للكل اذ لا يخلو مؤمن عن ذنب يرتكبه وقوله تعالى ـ لا يصلاها إلا الأشقى الذى كذب وتولى ـ أراد به من جماعة مخصوصين أو أراد بالأشقى شخصا معينا أيضا وقوله تعالى ـ كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ـ أى فوج من الكفار وتخصيص العمومات قريب ومن هذه الآية وقع للأشعرى وطائفة من المتكلمين انكار صيغ العموم وان هذه الألفاظ يتوقف فيها الى ظهور قرينة تدل على معناها * وأما المعتزلة فشبهتهم قوله تعالى ـ وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ـ وقوله تعالى ـ والعصر ان الانسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ـ وقوله تعالى ـ وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا ـ ثم قال ـ ثم ننجى الذين اتقوا ـ وقوله تعالى ـ ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم ـ وكل آية ذكر الله عز وجل العمل الصالح فيها مقرونا بالايمان وقوله تعالى ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها ـ وهذه العمومات أيضا مخصوصة بدليل قوله تعالى ـ ويغفر مادون ذلك لمن يشاء ـ فينبغى أن تبقى له مشيئة فى مغفرة ماسوى الشرك وكذلك قوله عليه السلام يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وقوله تعالى ـ انا لا نضيع أجر من أحسن عملا ـ وقوله تعالى ـ ان الله لا يضيع أجر المحسنين ـ فكيف يضيع أجر أصل الايمان وجميع الطاعات بمعصية واحدة وقوله تعالى ـ ومن يقتل مؤمنا متعمدا ـ أى لايمانه وقد ورد على مثل هذا السبب * فان قلت فقد مال الاختيار الى أن الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف قولهم الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد أن يعد العمل من الايمان لأنه مكمل له ومتمم كما يقال الرأس واليدان من الانسان ومعلوم أنه يخرج عن كونه انسانا بعدم الرأس ولا يخرج عنه بكونه مقطوع اليد وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات من الصلاة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان كالرأس من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالأطراف بعضها أعلى من بعض وقد قال ﷺ (٢) لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن والصحابة رضى الله عنهم ما اعتقدوا مذهب المعتزلة فى الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان أى ليس له الكمال الذى هو وراء حقيقة الانسانية ﴿مسئلة﴾ فان قلت فقد اتفق السلف على أن الايمان يزيد وينقص يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية فاذا كان التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان * فأقول السلف هم الشهود العدول وما لأحد عن قولهم عدول فما ذكروه حق وانما الشأن فى فهمه وفيه دليل على أن العمل ليس من أجزاء الايمان وأركان وجوده بل هو مزيد عليه يزيد به والزائد موجود والناقص موجود والشىء لا يزيد بذاته فلا يجوز أن يقال الانسان يزيد برأسه بل يقال يزيد بلحيته وسمنه ولا يجوز أن يقال الصلاة تزيد بالركوع والسجود بل تزيد بالآداب والسنن فهذا تصريح بان الايمان له وجود ثم بعد الوجود يختلف حاله بالزيادة والنقصان * فان قلت فالاشكال قائم فى أن التصديق كيف يزيد وينقص وهو خصلة واحدة * فأقول اذا تركنا المداهنة ولم نكترث بتشغيب من تشغب وكشفنا الغطاء ارتفع الاشكال فنقول الايمان اسم مشترك يطلق من

(١) حديث تعذيب العصاة البخارى من حديث أنس ليصيبن أقواما سفع من النار بذنوب أصابوها الحديث ويأتى فى ذكر الموت عدة أحاديث (٢) حديث لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن متفق عليه من حديث أبى

أبدين من وجه ذلك فى مراقى الزلف مايغني فيها باذن الله عز وجل ﴿فصل﴾ فى بيان أصناف أهل الاعتقاد تفصيل آخر من جهة أخرى هو من تتمة ماجرى فلتعلم أن ما منهم صنف الأولة على التقريب ثلاثة أحوال لا يستبد أحدهم من أحدها بحكم الاعتقاد الضرورى فاصوفى الحالات لهم أن يعتقد أحدهم جميع أركان الايمان على مايكمل عليه فى الغالب لكنه على طريق التفاوت كما سبق * الحالة الثانية أن لا يعتقدوا إلا بعض الأركان مما فيه خلاف اذا نفر ولم ننصف اليه فى اعتقاده سواء هل يكون مؤمنا أو مسلما أن يعتقد وجود الواحد فقد أو يعتقد أنه موجود حى لا غير وأمثال هذه التقديرات ويخلو عن اعتقاد باقى الصفات خلوا كاملا لا يخطر بباله ولا ينعقد فيها حقا ولا باطلا ولا صوابا ولا خطأ ولكن التقدير الذى يعتقده من الأركان الثلاثة

ثلاثة أوجه * الاول أنه يطلق للتصديق بالقلب على سبيل الاعتقاد والتقليد من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بل ايمان الخلق كلهم الا الخواص وهذا الاعتقاد عقدة على القلب تارة تشتد وتقوى تارة تضعف وتسترخي كالعقدة على الخيط مثلا ولا تستبعد هذا واعتبره باليهودي وصلابته في عقيدته التي لا يمكن نزوعه عنها بتخويف وتحذير ولا بتخييل ووعظ ولا تحقيق وبرهان وكذلك النصراني والمبتدعة وفيهم من يمكن تشكيكه بأدنى كلام و يمكن استنزاله عن اعتقاده بأدنى استمالة أو تخويف مع أنه غير شاك في عقده كالاول ولكنهما متفاوتان في شدة التصميم وهذا موجود في الاعتقاد الحق أيضا والعمل يؤثر في نماء هذا التصميم وزيادته كما يؤثر سقي الماء في نماء الأشجار ولذلك قال تعالى ﴿فزادتهم ايمانا﴾ وقال تعالى ﴿ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم﴾ وقال ﷺ فيما يروى في بعض الأخبار(١) الايمان يزيد وينقص وذلك بتأثير الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب أحوال نفسه في أوقات المواظبة على العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع أوقات الفتور وادراك التفاوت في السكون الى عقائد الايمان في هذه الأحوال حتى يزيد عقده استعصاء على من يريد حله بالتشكيك بل من يعتقد في اليتيم معنى الرحمة اذا عمل بموجب اعتقاده فمسح رأسه وتلطف به أدرك من باطنه تأكيد الرحمة وتضاعفها بسبب العمل وكذلك معتقد التواضع اذا عمل بموجبه عملا مقبلا أو ساجدا لغيره أحس من قلبه بالتواضع عند اقدامه على الخدمة وهكذا جميع صفات القلب تصدر منها أعمال الجوارح ثم يعود أثر الاعمال عليها فيؤكدها ويزيدها وسيأتي في هذا في ربع المنجيات والمهلكات عند بيان وجه تعلق الباطن بالظاهر والأعمال بالعقائد والقلوب فان ذلك من جنس تعلق الملك بالملكوت وأعني بالملك عالم الشهادة المدرك بالحواس وبالملكوت عالم الغيب المدرك بنور البصيرة والقلب من عالم الملكوت والاعضاء وأعمالها من عالم الملك ولطف الارتباط ودقته بين العالمين انتهى الى حد ظن بعض الناس اتحاد أحدهما بالآخر وظن آخرون أنه لا عالم الا عالم الشهادة وهو هذه الاجسام المحسوسة ومن أدرك الامرين وأدرك تعددهما ثم ارتباطهما عبر عنه فقال

رق الزجاج ورقت الخمر * وتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولا قدح * وكأنما قدح ولا خمر

ولنرجع الى المقصود فان هذا العالم خارج عن علم المعاملة ولكن بين العالمين أيضا اتصال وارتباط فلذلك ترى علوم المكاشفة تتسلق كل ساعة على علوم المعاملة الى أن تنكشف عنها بالتكليف فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا الاطلاق ولهذا قال علي كرم الله وجهه ان الايمان ليبدو لمعة بيضاء فاذا عمل العبد الصالحات نمت فزادت حتى يبيض القلب كله وان النفاق ليبدو نكتة سوداء فاذا انتهك الحرمات نمت وزادت حتى يسود القلب كله فيطبع عليه فذلك هو الختم وتلا قوله تعالى ﴿كلا بل ران على قلوبهم﴾ الآية ﴿الاطلاق الثاني﴾ أن يراد به التصديق والعمل جميعا كما قال ﷺ(٢) الايمان بضع وسبعون بابا وكما قال ﷺ لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن واذا دخل العمل في مقتضى لفظ الايمان لم تخف زيادته ونقصانه وهل يؤثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد التصديق هذا فيه نظر وقد أشرنا الى أنه يؤثر فيه ﴿الاطلاق الثالث﴾ أن يراد به التصديق اليقيني على سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور البصيرة وهذا أبعد الاقسام عن قبول الزيادة ولكني أقول الامر اليقيني الذي لا شك فيه تختلف طمأنينة النفس اليه فليس طمأنينة النفس الى أن الاثنين أكثر من الواحد

(١) حديث الايمان يزيد وينقص ابن عدي في الكامل وأبو الشيخ في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة وقال ابن عدي باطل فيه محمد بن أحمد بن حرب الملحي يتعمد الكذب وهو عند ابن ماجه موقوف على أبي هريرة وابن عباس وأبي الدرداء (٢) حديث الايمان بضع وسبعون بابا وذكر بعد هذا فزاد فيه أدناها اماطة الأذى عن الطريق البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة الايمان بضع وسبعون زاد مسلم في رواية وأفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها فذكره ورواه بلفظ المصنف الترمذي وصححه

يعتقد في باقي الصفات على ما لا يوافق الحق بل هو عليه مما هو بدعة وضلالة وليس بكفر صريح فالذي يدل عليه العلم و يستنبط من ظواهر الشرع أن أرباب الحالة الاولى والله أعلم على سبيل نجاة ومسلك خلاص ووصف ايمان أو اسلام وسواء في ذلك الصنف الأول والثاني من أهل الاعتقاد و يبقى الصنف الثالث على محتملات النظر كما نبهناك عليه * وأما أهل الحالة الثانية وهي الاقتصار على الوجود المفرد أو الوجود ووصف آخر معه مع الخلو عن اعتقاد سائر الصفات التي للكمال والجلال وأركانها فالمتقدمون من السلف لم تشتهر عنهم في صورة المسئلة ما يخرج صاحب هذا العقد عن حكم الايمان والاسلام والمتأخرون مختلفون فكثير خاف أن يخرج من اعتقد وجود

كظماً نبهتها الى أن العالم مصنوع حادث وان كان لا شك فى واحد منها فان اليقينيات تختلف فى درجات الايضاح ودرجات طمأنينة النفس اليها وقد تعرضنا لهذا فى فصل اليقين من كتاب العلم فى باب علامات علماء الآخرة فلا حاجة إلى الاعادة وقد ظهر فى جميع الاطلاقات أن ماقالوه من زيادة الايمان و نقصانه حق وكيف لا وفى الاخبار أنه يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من ايمان وفى بعض المواضع فى خبر آخر[1] مثقال دينار فاى معنى لاختلاف مقاديره ان كان مافى القلب لا يتفاوت ﴿مسئلة﴾ فان قلت ماوجه قول السلف أنا مؤمن ان شاء الله والاستثناء شك والشك فى الايمان كفر وقد كانوا كلهم يمتنعون عن جزم الجواب بالايمان و يحترزون عنه فقال سفيان الثورى رحمه الله من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين ومن قال أنا مؤمن حقا فهو بدعة فكيف يكون كاذبا وهو يعلم أنه مؤمن فى نفسه ومن كان مؤمنا فى نفسه كان مؤمنا عند الله كما أن من كان طويلا وسخيا فى نفسه وعلم ذلك كان كذلك عند الله وكذا من كان مسرورا أو حزينا أو سميعا أو بصيرا ولو قيل للانسان هل أنت حيوان لم يحسن أن يقول أنا حيوان ان شاء الله ولما قال سفيان ذلك قيل له فماذا نقول قال قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وأى فرق بين أن يقول آمنا بالله وما أنزل الينا و بين أن يقول أنا مؤمن وقيل للحسن أمؤمن أنت فقال ان شاء الله فقيل له لم تستثني يا أباسعيد فى الايمان فقال أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت ياحسن فتحق على الكلمة وكان يقول مايؤمنني أن يكون الله سبحانه قد اطلع علىّ فى بعض مايكره فمقتني وقال اذهب لاقبلت لك عملا فأنا أعمل فى غير معمل وقال ابراهيم بن أدهم اذا قيل لك أمؤمن أنت فقل لا إله إلا الله وقال مرة قل أنا لا أشك فى الايمان وسؤالك اياى بدعة وقيل لعلقمة أمؤمن أنت قال أرجو ان شاء الله وقال الثورى نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وماندرى مانحن عند الله تعالى فما معنى هذه الاستثناءات فالجواب أن هذا الاستثناء صحيح وله أربعة أوجه وجهان مستندان الى الشك لا فى أصل الايمان ولكن فى خاتمته أو كماله ووجهان لا يستندان الى الشك * الوجه الاول الذى لا يستند الى معارضة الشك الاحتراز من الجزم خيفة مافيه من تزكية النفس قال الله تعالى ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ وقال ﴿ألم تر الى الذين يزكون أنفسهم﴾ وقال تعالى ﴿انظر كيف يفترون على الله الكذب﴾ وقيل لحكيم ما الصدق القبيح فقال ثناء المرء على نفسه والايمان من أعلى صفات المجد والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء كأنها نقل من عرف التزكية كما يقال للانسان أنت طبيب أو فقيه أو مفسر فيقول نعم ان شاء الله لا فى معرض التشكيك ولكن لاخراج نفسه عن تزكية نفسه فالصيغة صيغة الترديد والتضعيف لنفس الخبر ومعناه التضعيف للازم من لوازم الخبر وهو التزكية و بهذا التأويل لو سئل عن وصف ذم لم يحسن الاستثناء * الوجه الثانى التأدب بذكر الله تعالى فى كل حال واحالة الامور كلها إلى مشيئة الله سبحانه فقد أدب الله سبحانه نبيه ﷺ فقال تعالى ﴿ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا الا أن يشاء الله﴾ ثم لم يقتصر على ذلك فيما لا يشك فيه بل قال تعالى ﴿لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين محلقين رؤسكم ومقصرين﴾ وكان الله سبحانه عالما بأنهم يدخلون لامحالة وأنه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتأدب رسول الله ﷺ فى كل ما كان يخبر عنه معلوما كان أو مشكوكا حتى قال ﷺ [2] لما دخل المقابر السلام عليكم دار قوم مؤمنين وانا ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم غير مشكوك فيه ولكن مقتضى الأدب ذكر الله تعالى وربط الامور به وهذه الصيغة دالة عليه حتى صار بعرف الاستعمال عبارة عن اظهار الرغبة والتمني فاذا قيل لك ان فلانا يموت سريعا فتقول ان شاء الله فيفهم منه رغبتك لا تشككك واذا قيل لك فلان سيزول مرضه و يصح فتقول ان شاء الله بمعنى الرغبة فقد صارت الكلمة معدولة عن معنى التشكيك إلى معنى الرغبة وكذلك العدول إلى معنى التأدب لذكر الله تعالى كيف كان الامر * الوجه الثالث مستنده الشك

(١) حديث يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال دينار متفق عليه من حديث أبى سعيد وسيأتى فى ذكر الموت وما بعده (٢) حديث لما دخل المقابر قال السلام عليكم دار قوم مؤمنين الحديث مسلم من حديث أبى هريرة

والرعيان وضعفاء النساء والاتباع على هذا بلا مزيد عليه لو سئلوا واستكشفوا عن الله عزوجل هل له إرادة أو بقاء أو كلام أو ماشاكل ذلك وهل له صفات معنوية ليست هى هو ولا هى غيره ربما وجدوا يجهلون هذا ولا يعقلون وجه مايخاطبون به وكيف يخرج من اعتقد وجود الله ووحدانيته مع الأقرار بالنبوة من حكم الاسلام والنبي ﷺ قد رفع القتال والقتل وأوجب حكم الأيمان أو الاسلام لمن قال لا إله إلا الله واعتقد عليها وهذه الكلمات لا تقتضى أكثر من اعتقاد الوجود مع الوحدة فى الظاهر وعلى البديهة من غير نظر ثم سمعنا عمن قالها فى صدر الاسلام أنه لم يعلم بعدها الا فرائض

ومعناه أنا مؤمن حقا ان شاء الله إذ قال الله تعالى لقوم مخصوصين بأعيانهم أولئك هم المؤمنون حقا فانقسموا الى قسمين ويرجع هذا الى الشك فى كمال الايمان لا فى أصله وكل انسان شاك فى كمال إيمانه وذلك ليس بكفر والشك فى كمال الايمان حق من وجهين * أحدهما من حيث أن النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفى لا تتحقق البراءة منه * والثانى أنه يكمل بأعمال الطاعات ولا يدرى وجودها على الكمال أما العمل فقد قال الله تعالى ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ فيكون الشك فى هذا الصدق وكذلك قال الله تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين ﴾ فشرط عشرين وصفا كالوفاء بالعهد والصبر على الشدائد ثم قال تعالى ﴿ أولئك الذين صدقوا ﴾ وقد قال تعالى ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾ وقال تعالى لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ﴾ الآية وقد قال تعالى ﴿ هم درجات عند الله ﴾ وقال ﷺ (١) الايمان عريان ولباسه التقوى الحديث وقال ﷺ الايمان بضع وسبعون بابا أدناها إماطة الأذى عن الطريق فهذا ما يدل على ارتباط كمال الايمان بالأعمال وأما ارتباطه بالبراءة عن النفاق والشرك الخفى فقوله ﷺ (٢) أربع من كن فيه فهو منافق خالص وان صام وصلى وزعم أنه مؤمن من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان واذا خاصم فجر وفى بعض الروايات واذا عاهد غدر وفى حديث أبى سعيد الخدرى (٣) القلوب أربعة قلب أجرد وفيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب مصفح فيه إيمان ونفاق فمثل الايمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء العذب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فأى المادتين غلب عليه حكم له بها وفى لفظ آخر غلبت عليه ذهبت به وقال عليه السلام (٤) أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها وفى حديث (٥) الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النمل على الصفا وقال حذيفة رضى الله عنه (٦) كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقا الى أن يموت وإنى لأسمعها من أحدكم فى اليوم عشر مرات وقال بعض العلماء أقرب الناس من النفاق من يرى أنه برىء من النفاق وقال حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد النبى ﷺ فكانوا إذ ذاك يخفونه وهم اليوم يظهرونه وهذا النفاق يضاد صدق الايمان وكماله وهو خفى وأبعد الناس منه من يتخوفه وأقربهم منه من يرى أنه برىء منه فقد قيل للحسن البصرى يقولون أن لا نفاق اليوم فقال يا أخى لو هلك المنافقون لاستوحشتم فى الطريق وقال هو أو غيره لو نبتت للمنافقين أذناب ما قدرنا أن نطأ على الأرض بأقدامنا (٧) وسمع ابن عمر رضى الله عنه رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا يسمع أكنت تتكلم فيه فقال لا فقال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ﷺ من كان ذا لسانين فى الدنيا جعله الله ذا لسانين فى الآخرة وقال أيضا صلى الله عليه وسلم شر الناس ذو الوجهين الذى يأتى هؤلاء بوجه ويأتى هؤلاء بوجه وقيل للحسن ان قوما يقولون إنا لا نخاف النفاق فقال والله لأن أكون أعلم إنى برىء من النفاق أحب إلى من تلاع الأرض

(١) حديث الايمان عريان تقدم فى العلم (٢) حديث أربع من كن فيه فهو منافق الحديث متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث القلوب أربعة قلب أجرد الحديث أحمد من حديث أبى سعيد وفيه ليث ابن أبى سليم مختلف فيه (٤) حديث أكثر منافقى هذه الأمة قراؤها أحمد والطبرانى من حديث عقبة بن عامر (٥) حديث الشرك أخفى فى أمتى من دبيب النملة على الصفا أبو يعلى وابن عدى وابن حبان فى الضعفاء من حديث أبى بكر ولأحمد والطبرانى نحوه من حديث أبى موسى وسيأتى فى ذم الجاه والرياء (٦) حديث حذيفة كان الرجل يتكلم بالكلمة على عهد رسول الله ﷺ يصير بها منافقا الحديث أحمد باسناد فيه جهالة وحديث حذيفة المنافقون اليوم أكثر منهم على عهد رسول الله ﷺ الحديث البخارى إلا أنه قال شر بدل أكثر (٧) حديث سمع ابن عمر رجلا يتعرض للحجاج فقال أرأيت لو كان حاضرا أكنت تتكلم فيه قال لا قال كنا نعد هذا نفاقا على عهد رسول الله ﷺ أحمد والطبرانى بنحوه وليس فيه ذكر الحجاج

الوضوء والصلاة وهيآت الأعمال البدنية والكف عن أذى المسلم ولم يبلغنا أنهم درسوا علم الصفات وأحوالها ولأهل الله تعالى عالم بعلم أو عالم بنفسه وهو باق ببقاء أو باق بنفسه وأشباه هذه المعارف ولا يدفع ظهور هذا إلا معاند أو جاهل سيرة السلف وما جرى بينهم ويدل على قوة هذا الجانب فى الشرع أن من استكشف منه على هذه الحالة وتحققت منه وأبى أن يذعن لتعلم ما زاد على ما عنده لم يفت أحد بقتله ولا استرقاقه والحكم عليه بالخلود فى النار عسر جدا أو خطر عظيم مع ثبوت الشرع بان من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وأملك تقول قد قال فى مواطن أخرى إلا بحقها ثم تقول اعتقاد باقى الصفات التى بها يكون اعتقاد جلال الله جل وعز وكماله من حقها نعم هى من حقها عند من بلغه أمرها وسمع بها أن يعتقدها وأما من خلا من اعتقادها ولم يقوله أن يلقاها ولم يسمع بها ففيه مرمى هذا

ذهبا وقال الحسن ان من النفاق اختلاف اللسان والقلب والسر والعلانية والمدخل والمخرج وقال رجل لحذيفة رضى الله عنه إنى أخاف أن أكون منافقا فقال لو كنت منافقا ماخفت النفاق ان المنافق قد أمن من النفاق وقال ابن أبى مليكة أدركت ثلاثين ومائة وفى رواية خمسين ومائة من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق وروى أن رسول الله ﷺ [١] كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا وأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك إذ طلع عليهم الرجل ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء وقد علق نعله بيده وبين عينيه أثر السجود فقالوا يارسول الله هو هذا الرجل الذى وصفناه فقال ﷺ أرى على وجهه سفعة من الشيطان فجاء الرجل حتى سلم وجلس مع القوم فقال النبي ﷺ نشدتك الله هل حدثت نفسك حين أشرفت على القوم أنه ليس فيهم خير منك فقال اللهم نعم وقال ﷺ فى دعائه [٢] اللهم إنى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم فقيل له أتخاف يارسول الله فقال ومايؤمننى والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء وقد قال سبحانه ﴿ وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون ﴾ قيل فى التفسير عملوا أعمالا ظنوا أنها حسنات فكانت فى كفة السيئات وقال سرى السقطي لوأن إنسانا دخل بستانا فيه من جميع الأشجار عليها من جميع الطيور فخاطبه كل طير منها بلغة فقال السلام عليك ياولى الله فسكنت نفسه الى ذلك كان أسيرا فى يديها فهذه الأخبار والآثار تعرفك خطر الأمر بسبب دقائق النفاق والشرك الخفى وانه لايؤمن منه حتى كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يسأل حذيفة عن نفسه وأنه هل ذكر فى المنافقين وقال أبو سليمان الداراني سمعت من بعض الأمراء شيأ فأردت أن أنكره فخفت أن يأمر بقتلى ولم أخف من الموت ولكن خشيت أن يعرض لقلبي التزين للخلق عند خروج روحى فكففت وهذا من النفاق الذى يضاد حقيقة الايمان وصدقه وكماله وصفاءه لا أصله فالنفاق نفاقان أحدهما يخرج من الدين ويلحق بالكافرين ويسلك فى زمرة المخلدين فى النار والثانى يفضى بصاحبه الى النار مدة أو ينقص من درجات عليين ويحط من رتبة الصديقين وذلك مشكوك فيه ولذلك حسن الاستثناء فيه وأصل هذا النفاق تفاوت بين السر والعلانية والأمن من مكر الله والعجب وأمور أخر لايخلو عنها إلا الصديقون ﴿ الوجه الرابع ﴾ وهو أيضا مستند الى الشك وذلك من خوف الخاتمة فانه لايدرى أيسلم له الايمان عند الموت أم لا فان ختم له بالكفر حبط عمله السابق لانه موقوف على سلامة الآخر ولوسئل الصائم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال أنا صائم قطعا فلو أفطر فى أثناء نهاره بعد ذلك لتبين كذبه إذ كانت الصحة موقوفة على التمام الى غروب الشمس من آخر النهار وكما أن النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام صحة الايمان ووصفه بالصحة قبل آخره بناء على الاستصحاب وهو مشكوك فيه والعاقبة مخوفة ولأجلها كان بكاء أكثر الخائفين لاجل أنها ثمرة القضية السابقة والمشيئة الأزلية التي لاتظهر إلا بظهور المقضى به ولامطلع عليه لاحد من البشر فخوف الخاتمة كخوف السابقة وربما يظهر فى الحال ماسبقت الكلمة بنقيضه فمن الذى يدرى أنه من الذين سبقت لهم من الله الحسنى وقيل في معنى قوله تعالى ﴿ وجاءت سكرة الموت بالحق ﴾ أى بالسابقة يعني أظهرتها وقال بعض السلف انما يوزن من الأعمال خواتيمها وكان أبو الدرداء رضى الله عنه يحلف بالله مامن أحد يأمن أن يسلب إيمانه إلا سلبه وقيل من الذنوب ذنوب عقوبتها سوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك وقيل هى عقوبات دعوى الولاية والكرامة بالافتراء وقال بعض العارفين لو عرضت على الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لانى لا أدرى مايعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد الى باب

(١) حديث كان جالسا فى جماعة من أصحابه فذكروا رجلا فأكثروا الثناء عليه فبيناهم كذلك إذ طلع رجل عليهم ووجهه يقطر ماء من أثر الوضوء الحديث أحمد والبزار والدارقطني من حديث أنس (٢) حديث اللهم إنى أستغفرك لما علمت ولما لم أعلم الحديث مسلم من حديث عائشة اللهم إنى أعوذ بك من شر ماعملت ومن شر مالم أعمل ولابى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل وشر ما أعلم وشر مالا أعلم

النظر وعليه يقع مثل هذا الاحتفاظ وفى مثله يخاف أن يطلق عليه اسم الكفر هذا وأنت تسمع عن الله عز وجل يقول فى الآخرة أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان وذكر من المثقال الى الذرة والخردلة من الايمان الى أن أخرج منها من لم يعمل حسنة قط فما يدر بك أن يكونوا هؤلاء وأمثالهم المرادين لان التقدير وقع فى الايمان لافى الأعمال فان قلت فان من الناس وأئمة العلماء من لم يوجب الايمان لمن اعتقد جميع الأركان اذا لم يصحبها معرفة ولم يقصدها دليل فكيف بمن فاته اعتقاد بعضها أو كلها قلنا قد أريناك وجه الاعتراض على هذا المذهب ونبهناك على بعد أهله عن وجه الحق فيه وانهم أرباب تعسف ولو استقصى مع كثير منهم القول فى ذلك لبداله أنه تسبب الى مايظهر له من تصوره عن معرفة شرطها

الدار وقال بعضهم لوعرفت واحدا بالتوحيد خمسين سنة ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد وفى الحديث (١) من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل وقيل فى قوله تعالى ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا﴾ صدقا لمن مات على الايمان وعدلا لمن مات على الشرك وقد قال تعالى ﴿ولله عاقبة الأمور﴾ فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء واجبا لان الايمان عبارة عما يفيد الجنة كما أن الصوم عبارة عما يبرئ الذمة وما فسد قبل الغروب لا يبرئ الذمة فيخرج عن كونه صوما فكذلك الايمان بل لا يبعد أن يسئل عن الصوم الماضى الذى لا يشك فيه بعد الفراغ منه فيقال أصمت بالأمس فيقول نعم ان شاء الله تعالى اذ الصوم الحقيقي هو المقبول والمقبول غائب عنه لا يطلع عليه الا الله تعالى فمن هذا حسن الاستثناء فى جميع أعمال البر ويكون ذلك شكا فى القبول اذ يمنع من القبول بعد جريان ظاهر شروط الصحة أسباب خفية لا يطلع عليها الا رب الارباب جل جلاله فيحسن الشك فيه فهذه وجوه حسن الاستثناء فى الجواب عن الايمان وهى آخر ما نختم به كتاب قواعد العقائد تم الكتاب بحمد الله تعالى وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

كتاب أسرار الطهارة وهو الكتاب الثالث من ربع العبادات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذى تلطف بعباده فتعبدهم بالنظافة وأفاض على قلوبهم تزكية لسرائرهم أنواره وألطافه وأعد لظواهرهم تطهيرا الماء المخصوص بالرقة واللطافة وصلى الله على النبي محمد المستغرق بنور الهدى أطراف العالم وأكنافه وعلى آله الطيبين الطاهرين صلاة تنجينا بركاتها يوم المخافة وتنتصب جنة بيننا وبين كل آفة (أما بعد) فقد قال النبي ﷺ (٢) بني الدين على النظافة وقال ﷺ (٣) مفتاح الصلاة الطهور وقال الله تعالى ﴿فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين﴾ وقال النبي ﷺ (٤) الطهور نصف الايمان قال الله تعالى ﴿ما يريد الله ليجعل عليكم فى الدين من حرج ولكن يريد ليطهركم﴾ ففطن ذوو البصائر بهذه الظواهر ان أهم الامور تطهير السرائر اذ يبعد أن يكون المراد بقوله ﷺ الطهور نصف الايمان عمارة الظاهر بالتنظيف بافاضة الماء وإلقائه وتخريب الباطن وإبقائه مشحونا بالاخباث والاقذار هيهات هيهات والطهارة لها أربع مراتب (المرتبة الاولى) تطهير الظاهر عن الاحداث وعن الاخباث والفضلات (المرتبة الثانية) تطهير الجوارح عن الجرائم والآثام (المرتبة الثالثة) تطهير القلب عن الأخلاق المذمومة والرذائل الممقوتة (المرتبة الرابعة) تطهير السر عما سوى الله تعالى وهى طهارة الانبياء صلوات الله عليهم والصديقين والطهارة فى كل رتبة نصف العمل الذى فيها فان الغاية القصوى فى عمل السر أن ينكشف له جلال الله تعالى وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالى بالحقيقة فى السر ما لم يرتحل ما سوى الله تعالى عنه ولذلك قال الله عز وجل ﴿قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون﴾ لانهما لا يجتمعان فى قلب وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه وأما عمل القلب فالغاية القصوى عمارته

(١) حديث من قال أنا مؤمن فهو كافر ومن قال أنا عالم فهو جاهل الطبرانى فى الاوسط بالشطر الاخير منه من حديث ابن عمر وفيه ليث بن أبى سليم تقدم والشطر الاول روى من قول يحيى بن أبى كثير رواه الطبرانى فى الاصغر بلفظ من قال أنا فى الجنة فهو فى النار وسنده ضعيف

﴿كتاب الطهارة﴾

(٢) حديث بني الدين على النظافة لم أجده هكذا وفى الضعفاء لابن حبان من حديث عائشة تنظفوا فان الاسلام نظيف والطبرانى فى الاوسط بسند ضعيف جدا من حديث ابن مسعود النظافة تدعو الى الايمان (٣) حديث مفتاح الصلاة الطهور د ت ه من حديث علي قال الترمذى هذا أصح شئ فى هذا الباب وأحسن (٤) حديث الطهور نصف الايمان ت من حديث رجل من بني سليم وقال حسن ورواه مسلم من حديث أبى مالك الاشعرى بلفظ شطر كما فى الاحياء

حين أخبروا عن سلب الايمان عنهم لم يبقوا اسم الكفر عليهم ثم يعرضوا على الاستتابة ان كانت من مذهبه ثم يحكم فيه بالقتل والاسترقاق فاذا تأملت هذا لم يخف عليك عيب ما قالوه ونقص ما قالوا اليه فلنرجع إلى ما نحن بسبيله ونستعين بالله عز وجل وأما أرباب الحالة الثالثة وهى اعتقاد البدعة فى الصفات أو بعضها فان حكمنا بصحة ايمان أهل الحالة المذكورة قبل هذا واسلامهم حققنا أمر هؤلاء فيما اعتقدوه اذ لم يقعوا فيه بوجه قصد يقطعهم عن ايصال العذر لان هؤلاء قد حصل لهم فى العقد ما هو شرط الخلاص والنجاة من الهلاك الدايم وأصيبوا فيما وراء ذلك فان أمكن ردهم فى الدنيا وزجرهم عنه ان أظهروا المنع عن الاقلاع والرجوع بالعقوبة المؤلمة دون قتل كان

والهالك من خلقه والمطيع والعاصي من عباده فهكذا ينبغي أن يكون مذهب من نظر في خلق الله تعالى بعين الرأفة والرحمة ولم يدخل بين الله عز وجل و بين عباده فيما غاب عنه علمه وعدم فيه سبيل اليقين وفهم معني قوله عز وجل ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا فان قلت وأين أنت من تكفير كثير من الناس لجميع أهل البدع عامة وخاصة وقول النبي ﷺ في القدرية انهم مجوس هذه الامة وقوله ﷺ ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة وقال عن قوم يخرجون على حين فرقة من الناس يقولون بقول خير البرية أو من قول

بالأخلاق المحمودة والعقائد المشروعة ولن يتصف بها مالم ينظف عن نقائضها من العقائد الفاسدة والرذائل الممقوتة فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فكان الطهور شطر الايمان بهذا المعني وكذلك تطهير الجوارح عن المناهى أحد الشطرين وهو الشطر الاول الذى هو شرط فى الثانى فتطهيره أحد الشطرين وهو الشطر الاول وعمارتها بالطاعات الشطر الثانى فهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال العبد الطبقة العالية الا أن يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل إلى طهارة السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة مالم يفرغ من طهارة القلب عن الخلق المذمومة وعمارته بالخلق المحمودة ولن يصل إلى ذلك من لم يفرغ عن طهارة الجوارح عن المناهى وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلوب وشرف صعب مسلكه وطال طريقه وكثرت عقباته فلا تظن أن هذا الأمر يدرك بالمني و ينال بالهوينى نعم من عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب الطهارة الا الدرجة الأخيرة التي هى كالقشرة الاخيرة الظاهرة بالاضافة إلى اللب المطلوب فصار يمعن فيها و يستقصى فى مجاريها و يستوعب جميع أوقاته فى الاستنجاء وغسل الثياب وتنظيف الظاهر وطلب المياه الجارية الكثيرة ظنا منه بحكم الوسوسة وتخيل العقل أن الطهارة المطلوبة الشريفة هى هذه فقط وجهالة بسيرة الأولين واستغراقهم جميع الهم والفكر فى تطهير القلب وتساهلهم فى أمر الظاهر حتى ان عمر رضى الله عنه مع علوّ منصبه توضأ من ماء فى جرة نصرانية وحتي انهم ما كانوا يغسلون اليد من الدسومات والاطعمة بل كانوا يمسحون أصابعهم باخمص أقدامهم وعدوا الاشنان من البدع المحدثة ولقد كانوا يصلون على الارض فى المساجد و يمشون حفاة فى الطرقات ومن كان لا يجعل بينه و بين الارض حاجزا فى مضجعه كان من أكابرهم وكانوا يقتصرون على الحجارة فى الاستنجاء وقال أبو هريرة وغيره من أهل الصفة (١) كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصى ثم نفركها بالتراب و نكبر وقال عمر رضى الله عنه (٢) ما كنا نعرف الاشنان فى عصر رسول الله ﷺ وانما كانت مناديلنا بطون أرجلنا كنا إذا أكلنا الغمر مسحنا بها و يقال أول ماظهر من البدع بعد رسول الله ﷺ أربع المناخل والاشنان والموائد والشبع فكانت عنايتهم كلها بنظافة الباطن حتى قال بعضهم الصلاة فى النعلين أفضل لان رسول الله ﷺ (٣) لما نزع نعليه فى صلاته باخبار جبرائيل عليه السلام له ان بهما نجاسة وخلع الناس نعالهم قال ﷺ لم خلعتم نعالكم وقال النخعى فى الذين يخلعون نعالهم وددت لو أن محتاجا جاء اليها فاخذها منكرا لخلع النعال فهكذا كان تساهلهم فى هذه الامور بل كانوا يمشون فى طين الشوارع حفاة و يجلسون عليها و يصلون فى المساجد على الارض و يأكلون من دقيق البر والشعير وهو يداس بالدواب و تبول عليه ولا يحترزون من عرق الابل والخيل مع كثرة تمرغها فى النجاسات ولم ينقل قط عن أحد منهم سؤال فى دقائق النجاسات فهكذا كان تساهلهم فيها وقد انتهت النوبة الآن إلى طائفة يسمون الرعونة نظافة فيقولون هى مبنى الدين فأكثر أوقاتهم فى تزيينهم الظواهر كفعل الماشطة بعروسها والباطن خراب مشحون بخبائث الكبر والعجب والجهل والرياء والنفاق ولا يستنكرون ذلك ولا يتعجبون منه ولو اقتصر مقتصر على الاستنجاء بالحجر أو مشى على الارض حافيا أو صلى على الأرض أو على بوارى المسجد من غير سجادة مفروشة أو مشى على الفرش من غير غلاف للقدم من أدم أو توضأ من آنية عجوز أو رجل غير متقشف أقاموا عليه القيامة وشدوا عليه النكير ولقبوه بالقذر وأخرجوه من زمرتهم واستنكفوا عن مؤاكلته ومخالطته فسموا البذاذة التي هى من الايمان قذارة

(١) حديث كنا نأكل الشواء فتقام الصلاة فندخل أصابعنا فى الحصباء الحديث ه من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء ولم أره من حديث أبى هريرة (٢) حديث عمر ما كنا نعرف الاشنان على عهد رسول الله ﷺ وانما كانت مناديلنا باطن أرجلنا الحديث لم أجده من حديث عمر ولابن ماجه نحوه مختصرا من حديث جابر (٣) حديث خلع نعليه فى الصلاة إذ أخبره جبريل عليه الصلاة والسلام أن عليه نجاسة د ك وصححه من حديث أبى سعيد الخدرى

والرعونة نظافة فانظر كيف صار المنكر معروفا والمعروف منكرا وكيف اندرس من الدين رسمه كما اندرس حقيقته وعلمه * فان قلت أفتقول ان هذه العادات التي أحدثها الصوفية في هيآتهم ونظافتهم من المحظورات أو المنكرات * فأقول حاش لله أن أطلق القول فيه من غير تفصيل ولكني أقول ان هذا التنظيف والتكلف وإعداد الأواني والآلات واستعمال غلاف القدم والازار المقنع به لدفع الغبار وغير ذلك من هذه الأسباب ان وقع النظر الى ذاتها على سبيل التجرد فهي من المباحات وقد يقترن بها أحوال ونيات تلحقها تارة بالمعروفات وتارة بالمنكرات فاما كونها مباحة في نفسها فلا يخفى أن صاحبها متصرف بها في ماله وبدنه وثيابه فيفعل بها ما يريد اذا لم يكن فيه إضاعة وإسراف وأما مصيرها منكرا فبأن يجعل ذلك أصل الدين ويفسر به قوله ﷺ بني الدين على النظافة حتى ينكر به على من يتساهل فيه تساهل الأولين أو يكون القصد به تزيين الظاهر للخلق وتحسين موقع نظرهم فان ذلك هو الرياء المحظور فيصير منكرا بهذين الاعتبارين وأما كونه معروفا فبأن يكون القصد منه الخير دون التزين وأن لا ينكر على من ترك ذلك ولا يؤخر بسببه الصلاة عن أوائل الأوقات ولا يشتغل به عن عمل هو أفضل منه أو عن علم أو غيره فاذا لم يقترن به شيء من ذلك فهو مباح يمكن أن يجعل قربة بالنية ولكن لا يتيسر ذلك إلا للبطالين الذين لو لم يشتغلوا بصرف الأوقات فيه لاشتغلوا بنوم أو حديث فيما لا يعني فيصير شغلهم به أولى لان الاشتغال بالطهارات يجدد ذكر الله تعالى وذكر العبادات فلا بأس به إذا لم يخرج الى منكر أو إسراف * وأما أهل العلم والعمل فلا ينبغي أن يصرفوا من أوقاتهم اليه إلا قدر الحاجة فالزيادة عليه منكر في حقهم وتضييع العمر الذي هو أنفس الجواهر وأعزها في حق من قدر على الانتفاع به ولا يتعجب من ذلك فان حسنات الأبرار سيآت المقربين ولا ينبغي للبطال أن يترك النظافة وينكر على المتصوفة ويزعم أنه يتشبه بالصحابة إذ التشبه بهم في أن لا يتفرغ إلا لما هو أهم منه كما قيل لداود الطائي لم لا تسرح لحيتك قال إني إذاً لفارغ فلهذا لا أرى للعالم ولا للمتعلم ولا للعامل أن يضيع وقته في غسل الثياب احترازا من أن يلبس الثياب المقصورة وتوهما بالقصار تقصيرا في الغسل فقد كانوا في العصر الأول يصلون في الفراء المدبوغة ولم يعلم منهم من فرق بين المقصورة والمدبوغة في الطهارة والنجاسة بل كانوا يجتنبون النجاسة اذا شاهدوها ولا يدققون نظرهم في استنباط الاحتمالات الدقيقة بل كانوا يتأملون في دقائق الرياء والظلم حتى قال سفيان الثوري لرفيق له كان يمشي معه فنظر إلى باب دار مرفوع معمور لا تفعل ذلك فان الناس لو لم ينظروا اليه لكان صاحبه لا يتعاطى هذا الاسراف فالناظر اليه معين له على الاسراف فكانوا يعدون جمام الذهن لاستنباط مثل هذه الدقائق لا في احتمالات النجاسة فلو وجد العالم عاميا يتعاطى له غسل الثياب محتاطا فهو أفضل فانه بالاضافة إلى التساهل خير وذلك العامي ينتفع بتعاطيه إذ يشغل نفسه الأمارة بالسوء بعمل المباح في نفسه فيمتنع عليه المعاصي في تلك الحال والنفس إن لم تشغل بشيء شغلت صاحبها واذا قصد به التقرب الى العالم صار ذلك عنده من أفضل القربات فوقت العالم أشرف من أن يصرفه الى مثله فيبقى محفوظا عليه وأشرف وقت العامي أن يشتغل بمثله فيتوفر الخير عليه من الجوانب كلها وليتفطن بهذا المثل لنظائره من الأعمال وترتيب فضائلها ووجه تقديم البعض منها على البعض فتدقيق الحساب في حفظ لحظات العمر بصرفها الى الأفضل أهم من التدقيق في أمور الدنيا بحذافيرها واذا عرفت هذه المقدمة واستبنت أن الطهارة لها أربع مراتب * فاعلم أنا في هذا الكتاب لسنا نتكلم إلا في المرتبة الرابعة وهي نظافة الظاهر لأنا في الشطر الأول من الكتاب لا نتعرض قصدا إلا للظواهر فنقول طهارة الظاهر ثلاثة أقسام طهارة عن الخبث وطهارة عن الحدث وطهارة عن فضلات البدن وهي التي تحصل بالقلم والاستحداد واستعمال النورة والختان وغيره

﴿القسم الأول في طهارة الخبث والنظر فيه يتعلق بالمزال والمزال به والازالة﴾

﴿الطرف الأول في المزال﴾

كثيرة غير هذه مما توجب في الظاهر تكفيرهم بالاطلاق فاعلم أنه وإن كان كفرهم كثير من العلماء فقد أبقى عليهم دينهم وتردد فيهم كثير أو أكثر منهم وكل فريق منهم في مقابلة من خالفه فليقع التحاكم عند العالم الأكبر المؤيد بالعصمة سيد البشر إمام المتقين ﷺ فهو عليه الصلاة والسلام حين قال مجوس هذه الأمة أضافهم إلى الأمة وما حكم بان لم يقل مجوس على الاطلاق وحين أخبر عن الفرق أنهم في النار فما أخبر انهم خالدون فيها وحين قال يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية فقد قال متصلا بهذا القول وتمارى في الفرق وما موضع هذا التماري من المثل الذي ضرب به فيهم رسول الله

وهى النجاسة والأعيان ثلاثة جمادات وحيوانات وأجزاء حيوانات أما الجمادات فطاهرة كلها إلا الخمر وكل منتبذ مسكر والحيوانات طاهرة كلها إلا الكلب والخنزير وما تولد منهما أو من أحدهما فاذا ماتت فكلها نجسة إلا خمسة الآدمى والسمك والجراد ودود التفاح وفى معناه كل ما يستحيل من الأطعمة وكل ما ليس له نفس سائلة كالذباب والخنفساء وغيرهما فلا ينجس الماء بوقوع شىء منها فيه وأما أجزاء الحيوانات فقسمان * أحدهما ما يقطع منه وحكمه حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس * الثانى الرطوبات الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق واللعاب والمخاط وماله مستقر وهو مستحيل فنجس إلا ما هو مادة الحيوان كالمنى والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات كلها ولا يعفى عن شىء من هذه النجاسات قليلها وكثيرها إلا عن خمسة * الأول أثر النجو بعد الاستجمار بالأحجار يعفى عنه ما لم يعد المخرج * والثانى طين الشوارع وغبار الروث فى الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو الذى لا ينسب المتلطخ به الى تفريط أو سقطة * الثالث ما على أسفل الخف من نجاسة لا يخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة * الرابع دم البراغيث ما قل منه أو كثر إلا اذا جاوز حد العادة سواء كان فى ثوبك أو فى ثوب غيرك فلبسته * الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد ودلك ابن عمر رضى الله عنه بثرة على وجهه فخرج منها الدم وصلى ولم يغسل وفى معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التى تدوم غالبا وكذلك أثر الفصد إلا ما يقع نادرا من خراج أو غيره فيلحق بدم الاستحاضة ولا يكون فى معنى البثرات التى لا يخلو الانسان عنها فى أحواله ومسامحة الشرع فى هذه النجاسات الخمس تعرفك أن أمر الطهارة على التساهل وما ابتدع فيها وسوسة لا أصل لها

﴿ الطرف الثانى فى المزال به ﴾

وهو إما جامد وإما مائع أما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهير تجفيف بشرط أن يكون صلبا طاهرا منشفا غير محترم وأما المائعات فلا تزال النجاسات بشىء منها إلا الماء ولا كل ماء بل الطاهر الذى لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى عنه ويخرج الماء عن الطهارة بأن يتغير بملاقاة النجاسة طعمه أو لونه أو ريحه فان لم يتغير وكان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمسمائة رطل برطل العراق لم ينجس لقوله ﷺ (١) اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا وان كان دونه صار نجسا عند الشافعى رضى الله عنه هذا فى الماء الراكد وأما الماء الجارى اذا تغير بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها لان جريات الماء متفاصلات وكذا النجاسة الجارية اذا جرت بمجرى الماء فالنجس موقعها من الماء وما عن يمينها وشمالها اذا تقاصر عن قلتين وان كان جرى الماء أقوى من جرى النجاسة فما فوق النجاسة طاهر وما سفل عنها فنجس وان تباعد وكثر إلا اذا اجتمع فى حوض قدر قلتين واذا اجتمع قلتان من ماء نجس طهر ولا يعود نجسا بالتفريق هذا هو مذهب الشافعى رضى الله عنه وكنت أود أن يكون مذهبه كمذهب مالك رضى الله عنه فى أن الماء وان قل لا ينجس إلا بالتغير إذ الحاجة ماسة اليه ومثار الوسواس اشتراط القلتين ولأجله شق على الناس ذلك وهو لعمرى سبب المشقة ويعرفه من يجربه ويتأمله ومما لا أشك فيه أن ذلك لو كان مشروطا لكان أولى المواضع بتعسر الطهارة مكة والمدينة إذ لا يكثر فيهما المياه الجارية ولا الراكدة الكثيرة ومن أول عصر رسول الله ﷺ الى آخر عصر أصحابه لم تنقل واقعة فى الطهارة ولا سؤال عن كيفية حفظ الماء عن النجاسات وكانت أوانى مياههم يتعاطاها الصبيان والاماء الذين لا يحترزون عن النجاسات وقد توضأ عمر رضى الله عنه بماء فى جرة نصرانية وهذا كالصريح فى أنه لم يعول إلا على عدم تغير الماء وإلا فنجاسة النصرانية وإنائها غالبة تعلم بظن قريب فاذا عسر القيام بهذا المذهب وعدم وقوع السؤال فى تلك الأعصار دليل أول وفعل عمر رضى الله عنه دليل ثان والدليل الثالث (٢) إصغاء رسول الله ﷺ

(١) حديث اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا أصحاب السنن وابن حبان والحاكم وصححه من حديث ابن عمر
(٢) حديث إصغاء الاناء للهرة الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى من حديث عائشة وروى أصحاب السنن ذلك

صلى الله عليه وسلم فما لى اراك تلاحظ جهة وتترك اخرى وتذكر شيأ وتذهل عن غيره عليك بالعدل تكن من أهله واستعمل التفطن تشاهد العجائب المعجبة وتفهم قول الله وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴿ فصل ﴾ ولما كان الاعتقاد المجرد عن العلم بصحته ضعيفا وتفرده عن المعرفة قريبا ممن رآه ألقى عليه شبه القشر الثانى من الجوز لان ذلك القشر يؤكل مع ما هو عليه صونا واذا انفرد امكن ان يكون طعاما للمحتاج وبلاغا للجائع وبالجملة فهو لمن لا شىء معه خير من فقده وكذلك اعتقاد التوحيد وان كان مجردا عن سبيل المعرفة وغير منوط بشىء من الأدلة ضعيفا فهو فى الدنيا والآخرة وعند لقاء الله عز وجل خير من التعطيل والكفر ومن ركب احد هذا فقد وقع فى اعظم الحرج

الاناء

الاناء للهرة وعدم تغطية الأواني منها بعد أن يرى أنها تأكل الفأرة ولم يكن في بلادهم حياض تلغ السنانير فيها وكانت لا تنزل الآبار والرابع أن الشافعي رضي الله عنه نص على أن غسالة النجاسة طاهرة إذا لم تتغير ونجسة ان تغيرت وأي فرق بين أن يلاقي الماء النجاسة بالورود عليها أو بورودها عليه وأي معنى لقول القائل ان قوة الورود تدفع النجاسة مع أن الورود لم يمنع مخالطة النجاسة وان أحيل ذلك على الحاجة فالحاجة أيضا ماسة الى هذا فلا فرق بين طرح الماء في اجانة فيها ثوب نجس أو طرح الثوب النجس في الاجانة وفيها ماء وكل ذلك معتاد في غسل الثياب والاواني * والخامس أنهم كانوا يستنجون على أطراف المياه الجارية القليلة ولا خلاف في مذهب الشافعي رضي الله عنه أنه اذا وقع بول في ماء جار ولم يتغير أنه يجوز التوضؤ به وان كان قليلا وأي فرق بين الجاري والراكد وليت شعري هل الحوالة على عدم التغير أولى أو على قوة الماء بسبب الجريان ثم ما حد تلك القوة أتجري في المياه الجارية في أنابيب الحمامات أم لا فان لم تجر فما الفرق وان جرت فما الفرق بين ما يقع فيها وبين ما يقع في مجرى الماء من الأواني على الأبدان وهي أيضا جارية ثم البول أشد اختلاطا بالماء الجاري من نجاسة جامدة ثابتة اذا قضى بان ما يجري عليها وان لم يتغير نجس الى أن يجتمع في مستنقع قلتان فأي فرق بين الجامد والمائع والماء واحد والاختلاط أشد من المجاورة * والسادس أنه اذا وقع رطل من البول في قلتين ثم فرقتا فكل كوز يغترف منه طاهر ومعلوم أن البول منتشر فيه وهو قليل وليت شعري هل تعليل طهارته بعدم التغير أولى أو بقوة كثرة الماء بعد انقطاع الكثرة وزوالها مع تحقق بقاء أجزاء النجاسة فيها * والسابع أن الحمامات لم تزل في الاعصار الخالية يتوضأ فيها المتقشفون ويغمسون الأيدي والاواني في تلك الحياض مع قلة الماء ومع العلم بان الأيدي النجسة والطاهرة كانت تتوارد عليها فهذه الأمور مع الحاجة الشديدة تقوي في النفس أنهم كانوا ينظرون الى عدم التغير معولين على قوله ﷺ (١) خلق الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا فيه تحقيق وهو أن طبع كل مائع أن يقلب الى صفة نفسه كل ما يقع فيه وكان مغلوبا من جهته فكما ترى الكلب يقع في المملحة فيستحيل ملحا ويحكم بطهارته بصيرورته ملحا وزوال صفة الكلبية عنه فكذلك الخل يقع في الماء وكذا اللبن يقع فيه وهو قليل فتبطل صفته ويتصور بصفة الماء ويتطبع بطبعه الا اذا كثر وغلب وتعرف غلبته بغلبة طعمه أو لونه أو ريحه فهذا المعيار وقد أشار الشرع اليه في الماء القوي على ازالة النجاسة وهو جدير بان يعول عليه فيندفع به الحرج ويظهر به معنى كونه طهورا اذ يغلب عليه فيطهره كما صار كذلك فيما بعد القلتين وفي الغسالة وفي الماء الجاري وفي اصغاء الاناء للهرة ولا تظن ذلك عفوا اذ لو كان كذلك لكان كأثر الاستنجاء ودم البراغيث حتى يصير الماء الملاقي له نجسا ولا ينجس بالغسالة ولا بولوغ السنور في الماء القليل وأما قوله ﷺ لا يحمل خبثا فهو في نفسه مبهم فانه يحمل اذا تغير فان قيل أراد به اذا لم يتغير فيمكن أن يقال انه أراد به أنه في الغالب لا يتغير بالنجاسات المعتادة ثم هو تمسك بالمفهوم فيما اذا لم يبلغ قلتين وترك المفهوم بأقل من الأدلة التي ذكرناها ممكن وقوله لا يحمل خبثا ظاهره نفي الحمل أي يقلبه الى صفة نفسه كما يقال للمملحة لا تحمل كلبا ولا غيره أي ينقلب وذلك لان الناس قد يستنجون في المياه القليلة وفي الغدران ويغمسون الأواني النجسة فيها ثم يترددون في أنها تغيرت تغيرا مؤثرا أم لا فتبين انه اذا كان قلتين لا يتغير بهذه النجاسات المعتادة (فان قلت) فقد قال النبي ﷺ لا يحمل خبثا ومهما كثرت حملها فهذا ينقلب عليك فانها مهما كثرت حملها حكما كما حملها حسا فلابد من التخصيص بالنجاسات المعتادة على المذهبين جميعا وعلى الجملة فميلي في أمور النجاسات المعتادة الى التساهل فهما من سيرة الأولين وحسما لمادة الوسواس وبذلك أفتيت بالطهارة فيما وقع الخلاف فيه في مثل هذه المسائل

من فعل أبي قتادة (١) حديث خلق الله الماء طهورا لا ينجسه شيء الا ما غير لونه أو طعمه أو ريحه ه من حديث أبي امامة باسناد ضعيف وقد رواه بدون الاستثناء د ن ت من حديث أبي سعيد وصححه د وغيره

والمنكر ﴿بيان أن باب المرتبة الثالثة وهو توحيد المقربين﴾ والكلام في هذا النوع من التوحيد له ثلاثة حدود أحدها أن يتكلم في الاسباب التي توصل اليه والمسالك التي يعبر عليها نحوه والأحوال التي يتخذها بحصوله كما قدره العزيز العليمي واختار ذلك ورضاه وسماه الصراط المستقيم والحد الثاني أن يكون الكلام في عين ذلك التوحيد ونفسه وحقيقته وكيف يتصور للسالك اليه والطالب له قبل وصوله اليه وانكشافه له بالمشاهدة والحد الثالث في ثمرات ذلك التوحيد وما يلقى أهله به ويطلعون عليه بسببه ويكرمون به من أجله ويتحققون من فوائد المزيد من جهته أما الحد الاول فالكلام عليه والبيان له والكشف لدقائقه وتذلله للصغير والكبير مأمور به مشدد في أمره متوعد بالنار على كتمه فيه بعث الانبياء ومن أجله أرسل الرسل وبيانه للناس كافة نزلت من عند الله

﴿ الطرف الثالث فى كيفية الازالة ﴾

والنجاسة ان كانت حكمية وهى التى ليس لهـا جرم محسوس فيكفى اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين و بقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون الا فيما يلتصق به فهو معفو عنه بعد الحت والقرض وأما الرائحة فبقاؤها يدل على بقاء العين ولا يعفى عنها الا اذا كان الشىء له رائحة فائحة يعسر ازالتها فالدلك والعصر مرات متواليات يقوم مقام الحت والقرض فى اللون والمزيل للوسواس أن يعلم أن الأشياء خلقت طاهرة بيقين فما لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلى معه ولا ينبغى أن يتوصل بالاستنباط الى تقدير النجاسات ﴿ القسم الثانى طهارة الاحداث ﴾ ومنها الوضوء والغسل والتيمم و يتقدمها الاستنجاء فلنورد كيفيتها على الترتيب مع آدابها وسننها مبتدئين بسبب الوضوء وآداب قضاء الحاجة ان شاء الله تعالى

﴿ باب آداب قضاء الحاجة ﴾

ينبغى أن يبعد عن أعين الناظرين فى الصحراء وان يستتر بشىء ان وجده وأن لا يكشف عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس وان لا يستقبل الشمس والقمر وأن لا يستقبل القبلة ولا يستدبرها الا اذا كان فى بناء والعدول أيضا عنها فى البناء أحب وان استتر فى الصحراء براحلته جاز وكذلك بذيله وأن يتقى الجلوس فى متحدث الناس وأن لا يبول فى الماء الراكد ولا تحت الشجرة المثمرة ولا فى الجحر وأن يتقى الموضع الصلب ومهاب الرياح فى البول استنزاها من رشاشه وأن يتكىء فى جلوسه على الرجل اليسرى وان كان فى بنيان يقدم الرجل اليسرى فى الدخول واليمنى فى الخروج ولا يبول قائما (١) قالت عائشة رضى الله عنها من حدثكم أن النبى ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه وقال عمر رضى الله عنه (٢) رآنى رسول الله ﷺ وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما قال عمر فما بلت قائما بعد وفيه رخصة اذ روى حذيفة رضى الله عنه أنه عليه السلام (٣) بال قائما فأتيته بوضوء فتوضأ ومسح على خفيه (٤) ولا يبول فى المغتسل قال ﷺ عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك قد وسع فى البول فى المغتسل اذا جرى الماء عليه ذكره الترمذى وقال عليه السلام لا يبولن أحدكم فى مستحمه ثم يتوضأ فيه فان عامة الوسواس منه وقال ابن المبارك ان كان الماء جاريا فلا بأس به ولا يستصحب شيأ عليه اسم الله تعالى أو رسوله ﷺ ولا يدخل بيت الماء حاسر الرأس وأن يقول عند الدخول بسم الله أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذى أذهب عنى ما يؤذينى وأبقى على ما ينفعنى ويكون ذلك خارجا عن بيت الماء وان يعد النبل قبل الجلوس وأن لا يستنجى بالماء فى موضع الحاجة وأن يستبرىء من البول بالتنحنح والنتر ثلاثا وامرار اليد على أسفل القضيب ولا يكثر التفكر فى الاستبراء فيتوسوس و يشق عليه الامر وما يحس به من بلل فليقدر أنه بقية الماء فان كان يؤذيه ذلك فليرش عليه الماء حتى يقوى فى نفسه ذلك ولا يتسلط عليه الشيطان بالوسواس وفى الخبر (٥) أنه ﷺ فعله أعنى رش الماء وقد كان أخفهم استبراء أفقههم فتدل الوسوسة فيه على قلة الفقه وفى حديث سلمان رضى الله عنه (٦) علمنا رسول

(١) حديث عائشة من حدثكم أن النبى ﷺ كان يبول قائما فلا تصدقوه ت ن ه قال ت هو أحسن شىء فى هذا الباب وأصح (٢) حديث عمر رآنى النبى ﷺ وأنا أبول قائما فقال يا عمر لا تبل قائما ابن ماجه باسناد ضعيف ورواه ابن حبان من حديث ابن عمر ليس فيه ذكر لعمر (٣) حديث انه عليه الصلاة والسلام بال قائما الحديث متفق عليه (٤) حديث قال فى البول فى المغتسل عامة الوسواس منه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن مغفل قال الترمذى غريب قلت واسناده صحيح (٥) حديث رش الماء بعد الوضوء وهو الانتضاح د ن ه من حديث سفيان بن الحكم الثقفى أو الحكم بن سفيان وهو مضطرب كما قال ت وابن عبد البر (٦) حديث سلمان علمنا رسول الله ﷺ كل شىء حتى الخراءة الحديث م وقد تقدم فى قواعد العقائد

والأولياء والأنبياء بالكرامات لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وعليه أخذ الله الميثاق على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه وفيه أنزل الله يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته واياه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار وجميع ذلك محصور فى اثنين العلم بالعبرة والعمل بالسنة وهما مبنيان على آيتين الحرص الشديد والنية الخالصة والسر فى تحصيلها اثنان نظافة الباطن وسلامة الجوارح و يسمى جميع ذلك بعلم المعاملة وأما الحد الثانى فالكلام فيه أكثر ما يكون على طريقة ضرب الأمثال تشبيها بالرمز تارة و بالتصريح

الله ﷺ كل شيء حتى الخراءة فأمرنا أن لا نستنجي بعظم ولا روث ونهانا أن نستقبل القبلة بغائط أو بول وقال رجل لبعض الصحابة من الاعراب وقد خاصمه لا أحسبك تحسن الخراءة قال بلى وأبيك اني لأحسنها واني بها لحاذق أبعد الأثر وأعد المدر واستقبل الشيح واستدبر الريح وأقعي اقعاء الظبي وأجفل اجفال النعام الشيح نبت طيب الرائحة بالبادية والاقعاء ههنا أن يستوفز على صدور قدميه والاجفال أن يرفع عجزه ومن الرخصة أن يبول الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه[1] فعل ذلك رسول الله ﷺ مع شدة حيائه ليبين للناس ذلك

﴿ كيفية الاستنجاء ﴾

ثم يستنجي لمقعدته بثلاثة أحجار فان أنقى بها كفى وإلا استعمل رابعا فان أنقى استعمل خامسا لأن الانقاء واجب والايتار مستحب قال عليه السلام[2] من استجمر فليوتر ويأخذ الحجر بيساره ويضعه على مقدم المقعدة قبل موضع النجاسة ويمره بالمسح والادارة إلى المؤخر ويأخذ الثاني ويضعه على المؤخر كذلك ويمره الى المقدمة ويأخذ الثالث فيديره حول المسربة ادارة فان عسرت الادارة ومسح من المقدمة الى المؤخر أجزأه ثم يأخذ حجرا كبيرا بيمينه والقضيب بيساره ويمسح الحجر بقضيبه ويحرك اليسار فيمسح ثلاثا في ثلاثة مواضع أو في ثلاثة أحجار أو في ثلاثة مواضع من جدار إلى أن لا يرى الرطوبة في محل المسح فان حصل ذلك بمرتين أتى بالثالثة ووجب ذلك أن أراد الاقتصار على الحجر وان حصل بالرابعة استحب الخامسة للايتار ثم ينتقل من ذلك الموضع إلى موضع آخر ويستنجي بالماء بأن يفيضه باليمنى على محل النجو ويدلك باليسرى حتى لا يبقى أثر يدركه الكف بحس اللمس ويترك الاستقصاء فيه بالتعرض للباطن فان ذلك منبع الوسواس وليعلم أن كل ما لا يصل اليه الماء فهو باطن ولا يثبت حكم النجاسة للفضلات الباطنة ما لم تظهر وكل ما هو ظاهر وثبت له حكم النجاسة فحد طهوره أن يصل الماء اليه فيزيله ولا معنى للوسواس ويقول عند الفراغ من الاستنجاء اللهم طهر قلبي من النفاق وحصن فرجي من الفواحش ويدلك يده بحائط او بالارض ازالة للرائحة ان بقيت والجمع بين الماء والحجر مستحب فقد روي أنه لما نزل قوله تعالى[3] فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ـ قال رسول الله ﷺ لأهل قباء ما هذه الطهارة التي أثنى الله بها عليكم قالوا كنا نجمع بين الماء والحجر

﴿ كيفية الوضوء ﴾

إذا فرغ من الاستنجاء اشتغل بالوضوء فلم ير رسول الله ﷺ قط خارجا من الغائط الا توضأ ويبتدئ بالسواك فقد قال رسول الله ﷺ[4] ان أفواهكم طرق القرآن فطيبوها بالسواك فينبغي أن ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة القرآن وذكر الله تعالى في الصلاة وقال ﷺ[5] صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك وقال ﷺ[6] لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة وقال

(١) حديث البول قريبا من صاحبه متفق عليه من حديث حذيفة (٢) حديث من استجمر فليوتر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث لما نزل قوله تعالى فيه رجال يحبون أن يتطهروا الحديث في أهل قباء وجمعهم بين الحجر والماء البزار من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ه ك وصححه من حديث أبي أيوب وجابر وأنس في الاستنجاء بالماء ليس فيه ذكر الحجر وقول النووي تبعا لابن الصلاح ان الجمع بين الماء والحجر في أهل قباء لا يعرف مردود بما تقدم (٤) حديث ان أفواهكم طرق القرآن أبو نعيم في الحلية من حديث علي ورواه ه موقوفا على علي وكلاهما ضعيف (٥) حديث صلاة على أثر سواك أفضل من خمس وسبعين صلاة بغير سواك أبو نعيم في كتاب السواك من حديث ابن عمر باسناد ضعيف ورواه د ك وصححه والبيهقي وضعفه من حديث عائشة وضعفه بلفظ من سبعين صلاة (٦) حديث لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة متفق عليه من حديث أبي هريرة

أخرى ولكن على الجملة بما يناسب علوم الظواهر ولكن يشرف بذلك اللبيب الحاذق على بعض المراد ويفهم منه كثيرا من المقصود وينكشف له بجمل ما يشار اليه إذا كان سالما من شرك التعصب بعيدا من هوة الهوى نظيفا من دنس التقليد وأما الحد الثالث فلا سبيل إلى ذكر شيء منه إلا مع أهله بعد علمهم به على سبيل التذكار لا على التعليم انما كانت أحكام هذه الحدود الثلاثة على ما وصفناه لأن الحد الأول فيه محض النصح للخلق واستنقاذهم من غمرة الجهل والتنكيب بهم من مهاوي العطب وقودهم إلى معرفة هذا المقام وما وراءه مما هو أعلى منه مما لهم فيه الملك الاكبر وفوز الابد وقد بين لهم غاية البيان وأقيم عليه واضح البرهان وهو يومئذ الطريق وأول سبيل السعادة فمن عجز عن ذلك كان عن غيره أعجز ومن سلكه على استقامة فالغالب عليه الوصول ان الله لا يضيع اجر

ﷺ (١) مالي أراكم تدخلون علي قلحا استاكوا أي صفر الاسنان (٢) وكان عليه السلام يستاك في الليلة مرارا وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال (٣) لم يزل ﷺ يأمرنا بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء وقال عليه السلام (٤) عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم ومرضاة للرب وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه السواك يزيد في الحفظ ويذهب البلغم (٥) وكان أصحاب النبي ﷺ يروحون والسواك على آذانهم وكيفيته أن يستاك بخشب الاراك أو غيره من قضبان الاشجار مما يخشن ويزيل القلح ويستاك عرضا وطولا وان اقتصر فعرضا ويستحب السواك عند كل صلاة وعند كل وضوء وان لم يصل عقيبه وعند تغير النكهة بالنوم أو طول الازم أو أكل ما تكره رائحته ثم عند الفراغ من السواك يجلس للوضوء مستقبل القبلة ويقول بسم الله الرحمن الرحيم قال ﷺ (٦) لا وضوء لمن لم يسم الله تعالى أي لا وضوء كامل ويقول عند ذلك أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ثم يغسل يديه ثلاثا قبل أن يدخلهما الاناء ويقول اللهم اني أسألك اليمن والبركة وأعوذ بك من الشؤم والهلكة ثم ينوي رفع الحدث أو استباحة الصلاة ويستديم النية إلى غسل الوجه فان نسيها عند الوجه لم يجزه ثم يأخذ غرفة لفيه بيمينه فيتمضمض بها ثلاثا ويغرغر بأن يرد الماء إلى الغلصمة الا أن يكون صائما فيرفق ويقول اللهم أعني على تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك ثم يأخذ غرفة لأنفه ويستنشق ثلاثا ويصعد الماء بالنفس الى خياشيمه ويستنثر ما فيها ويقول في الاستنشاق اللهم أوجد لي رائحة الجنة وأنت عني راض وفي الاستنثار اللهم اني أعوذ بك من روائح النار ومن سوء الدار لأن الاستنشاق ايصال والاستنثار إزالة ثم يغرف غرفة لوجهه فيغسله من مبتدأ أسطح الجبهة الى منتهى ما يقبل من الذقن في الطول ومن الاذن الى الاذن في العرض ولا يدخل في حد الوجه النزعتان اللتان على طرفي الجبينين فهما من الرأس ويوصل الماء الى موضع التحذيف وهو ما يعتاد النساء تنحية الشعر عنه وهو القدر الذي يقع في جانب الوجه مهما وضع طرف الخيط على رأس الأذن والطرف الثاني على زاوية الجبين ويوصل الماء الى منابت الشعور الأربعة الحاجبان والشاربان والعذاران والأهداب لانها خفيفة في الغالب والعذاران هما ما يوازيان الأذنين من مبتدأ اللحية ويجب ايصال الماء الى منابت اللحية الخفيفة أعني ما يقبل من الوجه وأما الكثيفة فلا وحكم العنفقة حكم اللحية في الكثافة والخفة ثم يفعل ذلك ثلاثا أو يفيض الماء على ظاهر ما استرسل من اللحية ويدخل الأصابع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل وينقيهما (٧) فقد روى أنه عليه السلام فعل ذلك ويأمل عند ذلك خروج الخطايا من عينيه وكذلك عند كل عضو ويقول عنده اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه أوليائك ولا

(١) حديث مالي أراكم تدخلون علي قلحا استاكوا البزار والبيهقي من حديث العباس بن عبد المطلب ورواه البغوي من حديث تمام بن العباس والبيهقي من حديث عبد الله بن عباس وهو مضطرب (٢) حديث كان يستاك من الليل مرارا م من حديث ابن عباس (٣) حديث ابن عباس لم يزل يأمرنا رسول الله ﷺ بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء رواه أحمد (٤) حديث عليكم بالسواك فانه مطهرة للفم مرضاة للرب البخاري تعليقا مجزوما من حديث عائشة والنسائي وابن خزيمة موصولا قلت وصل المصنف هذا الحديث بحديث ابن عباس الذي قبله وقد رواه من حديث ابن عباس الطبراني في الأوسط والبيهقي في شعب الايمان (٥) حديث كان أصحاب رسول الله ﷺ يروحون والسواك على آذانهم الخطيب في كتاب أسماء من روى عن مالك وعند د ت وصححه ان زيد بن خالد كان يشهد الصلوات وسواكه على أذنه موضع القلم من أذن الكاتب (٦) حديث لا وضوء لمن لم يسم الله ت ه من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة ونقل ت عن البخاري أنه أحسن شيء في هذا الباب (٧) حديث ادخاله الأصبع في محاجر العينين وموضع الرمص ومجتمع الكحل أحمد من حديث أبي أمامة كان يتعاهد المأقين ورواه الدارقطني من حديث أبي هريرة باسناد ضعيف اشربوا الماء أعينكم

فضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما ومن غاب لم تنفعه الاخبار ولم يفده كثير من الأحاديث وأيضا فان الأخبار بما وراء الحد الأول والثاني على وجهه لو كشف للخلق كافة وأمكن بما أعد من الكلام وجرى بين الناس من عرف التخاطب كان فيه زيادة محنة وسبب فيه اهلاك أكثرهم ممن ليس من أهل ذلك المقام وذلك لغرابة العلم وكثرة غموضه ودقة معناه وعلوه في منازل الرافعة وبعده بالجملة والتفصيل من جميع ما عهد في عالم الملك والشهادة وخروجه عن تلك الحدود المألوفة ومباينته لكل ما نشؤا عنه ولم يشاهدوا غيره من محسوسات ومعقولات وضروريات ونظريات فلما كان لا ندرك شيء من ذلك بقياس ولا يتصور بواسطة لفظ ولا يحمل عليه مثل كما قال

تسود وجهي بظلماتك يوم تسود وجوه أعدائك ويخلل اللحية الكثيفة عند غسل الوجه فانه مستحب ثم يغسل يديه إلى مرفقيه ثلاثا ويحرك الخاتم ويطيل الغرة ويرفع الماء إلى أعلى العضد فانهم يحشرون يوم القيامة غرا محجلين من آثار الوضوء كذلك ورد الخبر قال عليه السلام (١) من استطاع أن يطيل غرته فليفعل وروى أن (٢) الحلية تبلغ مواضع الوضوء ويبدأ باليمنى ويقول اللهم أعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا ويقول عند غسل الشمال اللهم إني أعوذ بك أن تعطيني كتابي بشمالي أو من وراء ظهري ثم يستوعب رأسه بالمسح بأن يبل يديه ويلصق رؤس أصابع يديه اليمنى باليسرى ويضعهما على مقدمة الرأس ويمدهما إلى القفا ثم يردهما إلى المقدمة وهذه مسحة واحدة يفعل ذلك ثلاثا ويقول اللهم غشني برحمتك وأنزل علي من بركاتك وأظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل إلا ظلك ثم يمسح أذنيه ظاهرهما وباطنهما بماء جديد بأن يدخل مسبحتيه في صماخي أذنيه ويدير إبهاميه على ظاهر أذنيه ثم يضع الكف على الاذنين استظهارا ويكرره ثلاثا ويقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اللهم أسمعني منادي الجنة مع الابرار ثم يمسح رقبته بماء جديد لقوله ﷺ (٣) مسح الرقبة أمان من الغل يوم القيامة ويقول اللهم فك رقبتي من النار وأعوذ بك من السلاسل والاغلال ثم يغسل رجله اليمنى ثلاثا ويخلل باليد اليسرى من أسفل أصابع الرجل اليمنى ويبدأ بالخنصر من الرجل اليمنى ويختم بالخنصر من الرجل اليسرى ويقول اللهم ثبت قدمي على الصراط المستقيم يوم تزل الاقدام في النار ويقول عند غسل اليسرى أعوذ بك أن تزل قدمي عن الصراط يوم تزل فيه أقدام المنافقين ويرفع الماء إلى أنصاف الساقين فاذا فرغ رفع رأسه إلى السماء وقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي أستغفرك اللهم وأتوب إليك فاغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين واجعلني عبدا صبورا شكورا واجعلني أذكرك كثيرا وأسبحك بكرة وأصيلا يقال إن من قال هذا بعد الوضوء ختم على وضوئه بخاتم ورفع له تحت العرش فلم يزل يسبح الله تعالى ويقدسه ويكتب له ثواب ذلك إلى يوم القيامة * ويكره في الوضوء أمور منها أن يزيد على الثلاث فمن زاد فقد ظلم وإن يسرف في الماء (٤) توضأ عليه السلام ثلاثا وقال من زاد فقد ظلم وأساء وقال (٥) سيكون قوم من هذه الامة يعتدون في الدعاء والطهور ويقال (٦) من وهن علم الرجل ولوعه بالماء في الطهور وقال ابراهيم بن أدهم يقال إن أول ما يبتدئ الوسواس من قبل الطهور وقال الحسن إن شيطانا يضحك بالناس في الوضوء يقال له الولهان ويكره أن ينفض اليد فيرش الماء وأن يتكلم في أثناء الوضوء وأن يلطم وجهه بالماء لطما وكره قوم التنشيف وقالوا الوضوء يوزن قاله سعيد بن المسيب والزهري لكن روى معاذ رضي الله عنه أنه عليه السلام مسح وجهه (٧) بطرف ثوبه وروت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ (٨) كانت له منشفة ولكن طعن في هذه الرواية عن عائشة ويكره أن يتوضأ من إناء صفر وان يتوضأ بالماء المشمس وذلك من جهة الطب وقد روي عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما

(١) حديث من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل خرجاه من حديث أبي هريرة (٢) حديث تبلغ الحلية من المؤمن ما يبلغ ماء الوضوء أخرجاه من حديثه (٣) حديث مسح الرقبة أمان من الغسل أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث عمر وهو ضعيف (٤) حديث توضأ ثلاثا ثلاثا وقال من زاد فقد اساء وظلم د ن واللفظ له و ه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٥) حديث سيكون قوم من هذه الأمة يعتدون في الدعاء والطهور د ه وابن حبان و ك من حديث عبد الله بن مغفل (٦) حديث من وهن علم الرجل ولوعه في الماء في التطهير لم أجد له اصلا (٧) حديث معاذ ان النبي ﷺ مسح وجهه بطرف ثوبه ت وقال غريب واسناده ضعيف (٨) حديث عائشة ان النبي ﷺ كان له منشفة ت وقال ليس بالقائم قال ولا يصح عن النبي ﷺ في هذا الباب شيء

عز وجل فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين ويحكى عن ابن عباس رحمه الله انه قال ليس عند الناس من علم الآخرة الا الاسماء وأراد من لم ينكشف له شيء من علمها وحقائقها في الدنيا وأيضا فلو جاز الاخبار بها لغير أهلها لم يكن لهم سبيل إلى تصورها الا على خلاف ما هي عليه بمجرد تقليد ويتطرق اليه من أهل الغفلة وذوي القصور جحود وتبعيد فلهذا أمروا بالكتم اشفاقا على من حجب من العلم ولهذا قال سيد البشر ﷺ لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله وقال ﷺ ما حدث أحدكم قوما بحديث لم تصله عقولهم إلا كان عليهم فتنة وعلى هذا يخرج قول المشايخ افشاء سر الربوبية كفر رزقنا الله وإياكم قلوبا واعية الخير انه ولي كل صالح
وإذا علمت ان الحد الاول قد تقرر علمه في كتب الرواية والدراية وملئت منه الطروس وكثرت به في المحافل الدروس وهو غير محجوب

كراهية اناء الصفر وقال بعضهم أخرجت لشعبة ماء في اناء صفر فأبى أن يتوضأ منه ونقل كراهية ذلك عن ابن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما ومهما فرغ من وضوئه وأقبل على الصلاة فينبغي أن يخطر بباله أنه طهر ظاهره وهو موضع نظر الخلق فينبغي أن يستحي من مناجاة الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو موضع نظر الرب سبحانه وليتحقق أن طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الأخلاق المذمومة والتخلق بالأخلاق الحميدة أولى وأن من يقتصر على طهارة الظاهر كمن أراد أن يدعو ملكا إلى بيته فتركه مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما أجدر مثل هذا الرجل بالتعرض للمقت والبوار والله سبحانه أعلم

﴿ فضيلة الوضوء ﴾

قال رسول الله ﷺ (١) من توضأ فأحسن الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وفي لفظ آخر ولم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه وقال ﷺ أيضا (٢) ألا أنبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات اسباغ الوضوء على المكاره ونقل الاقدام إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط ثلاث مرات وتوضأ ﷺ (٣) مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة إلا به وتوضأ مرتين مرتين وقال من توضأ مرتين مرتين آتاه الله أجره مرتين وتوضأ ثلاثا ثلاثا وقال هذا وضوئي ووضوء الانبياء من قبلي ووضوء خليل الرحمن ابراهيم عليه السلام وقال ﷺ (٤) من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله ومن لم يذكر الله لم يطهر منه الا ما أصاب الماء وقال ﷺ (٥) من توضأ على طهر كتب الله له به عشر حسنات وقال ﷺ (٦) الوضوء على الوضوء نور على نور وهذا كله حث على تجديد الوضوء وقال عليه السلام اذا توضأ (٧) العبد المسلم فتمضمض خرجت الخطايا من فيه فاذا استنثر خرجت الخطايا من أنفه فاذا غسل وجهه خرجت الخطايا من وجهه حتى تخرج من تحت أشفار عينيه فاذا غسل يديه خرجت الخطايا من يديه حتى تخرج من تحت أظفاره فاذا مسح برأسه خرجت الخطايا من رأسه حتى تخرج من تحت أذنيه واذا غسل رجليه خرجت الخطايا من رجليه حتى تخرج من تحت أظفار رجليه ثم كان مشيه إلى المسجد وصلاته نافلة له ويروى (٨) ان الطاهر كالصائم قال عليه الصلاة والسلام (٩) من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال اشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فتحت له ابواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء

---

(١) حديث من توضأ واسبغ الوضوء وصلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر لم يسه فيهما غفر له ما تقدم من ذنبه ابن المبارك في كتاب الزهد والرقائق باللفظين معا وهو متفق عليه من حديث عثمان بن عفان دون قوله بشيء من الدنيا ودون قوله لم يسه فيهما د من حديث زيد بن خالد ثم صلى ركعتين لا سهو فيهما الحديث (٢) حديث الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع به الدرجات الحديث م عن ابي هريرة (٣) حديث توضأ مرة مرة وقال هذا وضوء لا يقبل الله الصلاة الا به الحديث ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٤) حديث من ذكر الله عند وضوئه طهر الله جسده كله الحديث الدارقطني من حديث ابي هريرة باسناد ضعيف (٥) حديث من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات د ت ه من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٦) حديث الوضوء على الوضوء نور على نور لم اجد له اصلا (٧) حديث اذا توضأ العبد المسلم او المؤمن فتمضمض خرجت الخطايا من فيه الحديث د ه من حديث الصنابحي واسناده صحيح ولكن اختلف في صحبته وعند م من حديث ابي هريرة وعمرو بن عنبسة نحوه مختصرا (٨) حديث الطاهر النائم كالصائم ابو منصور الديلمي من حديث عمرو بن حريث الطاهر النائم كالصائم القائم وسنده ضعيف (٩) حديث من توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه إلى السماء فقال اشهد ان لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وهو عند م دون قوله ثم رفع هكذا اعزاه المزي في الاطراف وقد رواه ن في اليوم والليلة من رواية عقبة بن عامر وكذا رواه الدارمي في مسنده

عن طالب ولا ممنوع عن راغب قد امر الجهال به ان يتعلموه والعلماء ان يبذلوه ويعلموه فلا بعيد فيه ههنا قولا ولما كان حكم الحد الثالث الكتم تارة وتسكيت الكلام عنه مع غير اهله على كل حال لم يكن لنا سبيل إلى تعدي الى محدودات الشرع فلنثن العنان الى الكلام بالذي يليق بهذا الحال والمقام فنقول ارباب المقام الثالث في التوحيد وهم المقربون على ثلاثة اصناف وعلى الجملة فكلهم نظروا إلى المخلوقات فرأوا علامات الحدوث فيها لائحة وعاينوا حالات الافتقار إلى الله تعالى عليهم واضحة وسمعوا جميعها تدل على توحيده وتفريده راشدة ناصحة ثم رأوا الله تعالى بايمان قلوبهم وشاهدوه بغيب ارواحهم ولاحظوا جلاله وجماله بخفي اسرارهم وهم مع ذلك في درجات القرب على قدر حظ كل واحد منهم في اليقين وصفاء القلب وهؤلاء الاصناف الثلاثة انما

وقال

وقال عمر رضي الله عنه ان الوضوء الصالح يطرد عنك الشيطان وقال مجاهد من استطاع أن لا يبيت الا طاهرا ذاكرا مستغفرا فليفعل فان الأرواح تبعث على ما قبضت عليه

{ كيفية الغسل }

وهو أن يضع الاناء عن يمينه ثم يسمي الله تعالى ويغسل يديه ثلاثا ثم يستنجي كما وصفت لك ويزيل ما على بدنه من نجاسة ان كانت ثم يتوضأ وضوءه للصلاة كما وصفنا الا غسل القدمين فانه يؤخرهما فان غسلهما ثم وضعهما على الارض كان اضاعة للماء ثم يصب الماء على رأسه ثلاثا ثم على شقه الايمن ثلاثا ثم على شقه الايسر ثلاثا ثم يدلك ما أقبل من بدنه وما أدبر ويخلل شعر الرأس واللحية ويوصل الماء إلى منابت ما كثف منه أو خف وليس على المرأة نقض الضفائر الا اذا علمت أن الماء لا يصل إلى خلال الشعر ويتعهد معاطف البدن وليتق أن يمس ذكره في أثناء ذلك فان فعل ذلك فليعد الوضوء وان توضأ قبل الغسل فلا يعيده بعد الغسل فهذه سنن الوضوء والغسل ذكرنا منها ما لا بد لسالك طريق الآخرة من علمه وعمله وما عداه من المسائل التي يحتاج اليها في عوارض الأحوال فليرجع فيها إلى كتب الفقه والواجب من جملة ما ذكرناه في الغسل أمران النية واستيعاب البدن بالغسل *وفرض الوضوء النية وغسل الوجه وغسل اليدين إلى المرفقين ومسح ما ينطلق عليه الاسم من الرأس وغسل الرجلين إلى الكعبين والترتيب وأما الموالاة فليست بواجبة والغسل الواجب بأربعة بخروج المني والتقاء الختانين والحيض والنفاس وما عداه من الاغسال سنة كغسل العيدين والجمعة والاعياد والاحرام والوقوف بعرفة ومزدلفة ولدخول مكة وثلاثة أغسال أيام التشريق ولطواف الوداع على قول والكافر اذا أسلم غير جنب والمجنون اذا أفاق ولمن غسل ميتا فكل ذلك مستحب

{ كيفية التيمم }

من تعذر عليه استعمال الماء لفقده بعد الطلب أو بمانع له عن الوصول اليه من سبع أو حابس أو كان الماء الحاضر يحتاج اليه لعطشه أو لعطش رفيقه أو كان ملكا لغيره ولم يبعه الا بأكثر من ثمن المثل أو كان به جراحة أو مرض وخاف من استعماله فساد العضو أو شدة الضنا فينبغي أن يصبر حتى يدخل عليه وقت الفريضة ثم يقصد صعيدا طيبا عليه تراب طاهر خالص لين بحيث يثور منه غبار ويضرب عليه كفيه ضاما بين أصابعه ويمسح بهما جميع وجهه مرة واحدة وينوي عند ذلك استباحة الصلاة ولا يكلف ايصال الغبار إلى ما تحت الشعور خفت أو كثفت ويجتهد أن يستوعب بشرة وجهه بالغبار ويحصل ذلك بالضربة الواحدة فان عرض الوجه لا يزيد على عرض الكفين ويكتفي في الاستيعاب بغالب الظن ثم ينزع خاتمه ويضرب ضربة ثانية يفرج بين أصابعه ثم يلصق ظهور أصابع يده اليمنى ببطون أصابع يده اليسرى بحيث لا يجاوز أطراف الأنامل من احدى الجهتين عرض المسبحة من الاخرى ثم يمر يده اليسرى من حيث وضعها على ظاهر ساعده الايمن إلى المرفق ثم يقلب بطن كفه اليسرى على باطن ساعده الايمن ويمرها إلى الكوع ويمر بطن ابهامه اليسرى على ظاهر ابهامه اليمنى ثم يفعل باليسرى كذلك ثم يمسح كفيه ويخلل بين أصابعه وغرض هذا التكليف تحصيل الاستيعاب إلى المرفقين بضربة واحدة فان عسر عليه ذلك فلا بأس بأن يستوعب بضربتين وزيادة واذا صلى به الفرض فله أن يتنفل كيف شاء فان جمع بين فريضتين فينبغي أن يعيد التيمم للثانية وهكذا يفرد كل فريضة بتيمم والله أعلم

{ القسم الثالث في النظافة والتنظيف عن الفضلات الظاهرة وهي نوعان أوساخ وأجزاء }

{ النوع الاول الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية }

الاول ما يجتمع في شعر الرأس من الدرن والقمل فالتنظيف عنه مستحب بالغسل والترجيل والتدهين ازالة للشعث عنه وكان ﷺ (١) يدهن الشعر ويرجله غبا ويأمر به ويقول عليه السلام (٢) ادهنوا غبا وقال عليه

(١) حديث كان يدهن الشعر ويرجله غبا ت في الشمائل باسناد ضعيف من حديث أنس كان يكثر دهن رأسه وتسريح لحيته وفي الشمائل أيضا باسناد حسن من حديث صحابي لم يسم أنه عليه الصلاة والسلام كان يترجل غبا

(٢) حديث ادهنوا غبا قال ابن الصلاح لم أجد له أصلا وقال النووي غير معروف وعند د ت ن من حديث عبد

عرفوا الله سبحانه بمخلوقاته وانقسامهم في تلك المعرفة كانقسام حفاظ تلاوة القرآن مثلا فمن حافظ لبعضه ويكون ذلك البعض أكثر أو كثيرا منه دون كله ومن حافظ لجميعه لكنه متلعثم فيه متوقف على الانهيار في قراءته ومن حافظ في تلاوته غير متوقف في شيء منه وكلهم ينسب اليه ويعد في المشهد والمغيب من أهله وكذلك أهل هذه المرتبة أيضا منهم متوصل إلى المعرفة من قراءة صفحات أكثر المخلوقات أو كثير منها وربما كان فيما يقرأ من الصفحات ما يغم عليه ومن قارئ لجميعها متفهم لها لكن بنوع تعب ولزوم فكرة ومداومة عبرة ومن ماهر في قراءتها مستخرج لرموزها ناقد البصيرة في رؤية حقيقتها مفتوح السمع تناطقه الاشياء في فراغه وشغله وبحسب ذلك اختلفت أحوالهم في الخوف والرجاء والقبض والبسط والفناء والبقاء ولا مزيد

الصلاة والسلام (١) من كان له شعرة فليكرمها أى ليصنها عن الاوساخ ودخل عليه رجل (٢) ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره ثم قال يدخل أحدكم كأنه شيطان * الثانى مايجتمع من الوسخ فى معاطف الاذن والمسح يزيل مايظهر منه ومايجتمع فى قعر الصماخ فينبغي أن ينظف برفق عند الخروج من الحمام فان كثرة ذلك ربما تضر بالسمع * الثالث مايجتمع فى داخل الأنف من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبه ويزيلها بالاستنشاق والاستنثار * الرابع مايجتمع على الاسنان وطرف اللسان من القلح فيزيله السواك والمضمضة وقد ذكرناهما * الخامس مايجتمع فى اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد ويستحب إزالة ذلك بالغسل والتسريح بالمشط وفى الخبر المشهور أنه ﷺ (٣) كان لا يفارقه المشط والمدرى والمرآة فى سفر ولا حضر وهى سنة العرب وفى خبر غريب أنه ﷺ (٤) كان يسرح لحيته فى اليوم مرتين وكان ﷺ (٥) كث اللحية وكذلك كان أبو بكر وكان عثمان طويل اللحية رقيقها وكان على عريض اللحية قد ملأت ما بين منكبيه وفى حديث أغرب منه قالت عائشة رضى الله عنها (٦) اجتمع قوم بباب رسول الله ﷺ فخرج اليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته فقلت أو تفعل ذلك يارسول الله فقال نعم ان الله يحب من عبده أن يتجمل لاخوانه اذا خرج اليهم والجاهل ربما يظن أن ذلك من حب التزين للناس قياسا على أخلاق غيره وتشبيها للملائكة بالحدادين وهيهات فقد كان ﷺ مأمورا بالدعوة وكان من وظائفه أن يسعى فى تعظيم أمر نفسه فى قلوبهم كيلا تزدريه نفوسهم ويحسن صورته فى أعينهم كيلا تستصغره أعينهم فينفرهم ذلك ويتعلق المنافقون بذلك فى تنفيرهم وهذا القصد واجب على كل عالم تصدى لدعوة الخلق إلى الله عز وجل وهو أن يراعي من ظاهره مالا يوجب نفرة الناس عنه والاعتماد فى مثل هذه الأمور على النية فانها أعمال فى أنفسها تكتسب الأوصاف من المقصود فالتزين على هذا القصد محبوب وترك الشعث فى اللحية اظهارا للزهد وقلة المبالاة بالنفس محذور وتركه شغلا بما هو أهم منه محبوب وهذه أحوال باطنة بين العبد وبين الله عز وجل والناقد بصير والتلبيس غير رائج عليه بحال وكم من جاهل يتعاطى هذه الأمور التفاتا إلى الخلق وهو يلبس على نفسه وعلى غيره ويزعم ان قصده الخير فترى جماعة من العلماء يلبسون الثياب الفاخرة ويزعمون أن قصدهم ارغام المبتدعة والمجادلين والتقرب إلى الله تعالى به وهذا أمر ينكشف يوم تبلى السرائر ويوم يبعثر مافى القبور ويحصل مافى الصدور فعند ذلك تتميز السبيكة الخالصة من التبهرجة فنعوذ بالله من الخزى يوم العرض الاكبر * السادس وسخ البراجم وهى معاطف ظهور الانامل كانت العرب لا تكثر غسل ذلك لتركها غسل اليد عقيب الطعام فيجتمع

الله بن مغفل النهى عن الترجل الا غبا باسناد صحيح (١) حديث من كانت له شعرة فليكرمها من حديث أبى هريرة وقال به شعر فليكرمه وليس اسناده بالقوى (٢) حديث دخل عليه رجل ثائر الرأس أشعث اللحية فقال أما كان لهذا دهن يسكن به شعره الحديث د ت وابن حبان من حديث جابر باسناد جيد (٣) حديث كان لا يفارقه المشط والمدرى فى سفر ولا حضر ابن طاهر فى كتاب صفة التصوف من حديث أبى سعيد كان لا يفارق مصلاه سواكه ومشطه ورواه الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة واسنادهما ضعيف وسيأتى فى آداب السفر مطولا (٤) حديث كان يسرح لحيته كل يوم مرتين تقدم حديث أنس كان يكثر تسريح لحيته وللخطيب فى الجامع من حديث الحكم مرسلا كان يسرح لحيته بالمشط (٥) حديث كان كث اللحية ت فى الشمائل من حديث هند بن أبى هالة وأبو نعيم فى دلائل النبوة من حديث على وأصله عند ت (٦) حديث عائشة اجتمع قوم بباب رسول الله ﷺ فخرج اليهم فرأيته يطلع فى الحب يسوى من رأسه ولحيته ابن عدى وقال حديث منكر

فذلك لبعدهم عن ظلمات الجهل وقربهم من أنوار المعرفة والعلم ولا أبعد من الجاهل ولا أقرب من العارف العالم والقرب والبعد ههنا عبارتان عن حالتين على سبيل التجوز فى لسان الجمهور وعلى الحقيقة عند المستعملين لها فى هذا الفن أحد الحالتين عماء البصيرة وانطماس القلب والخلو عن معرفة الرب سبحانه وتعالى ويسمى هذا بعدا مأخوذ من البعد عن محل الراحة والمنزل الواجب وموضع العمارة والانس والانقطاع فى مهامه القفر وأمكنة الخوف ومظان الانفراد والوحشة والحالة الثانية عبارة عن اتقاد الباطن واشتعال القلب وانفساح الصدر بنور اليقين والمعرفة والعقل وعمارة البيت بمشاهدة ماغاب عنه أهل الغفلة واللهو ولكنه يدل على انه لم يصل

فى تلك الغضون وسخ فأمرهم رسول الله ﷺ (١) بغسل البراجم * السابع تنظيف الرواجب أمر (٢) رسول الله ﷺ العرب بتنظيفها وهى رؤس الأنامل وما تحت الأظفار من الوسخ لأنها كانت لا يحضرها المقراض فى كل وقت فتجتمع فيها أوساخ (٣) فوقت لهم رسول الله ﷺ قلم الأظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما لكنه أمر رسول الله ﷺ (٤) بتنظيف ما تحت الأظفار وجاء فى الأثر أن النبي ﷺ (٥) استبطأ الوحى فلما هبط عليه جبريل عليه السلام قال له كيف نزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم وقلحا لا تستاكون مر أمتك بذلك والأف وسخ الظفر والتف وسخ الأذن وقوله عز وجل ﴿ فلا تقل لهما أف ﴾ تعيهما أى بما تحت الظفر من الوسخ وقيل لا تتأذ بهما كما تتأذى بما تحت الظفر * الثامن الدرن الذى يجتمع على جميع البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك يزيله الحمام ولا بأس بدخول الحمام دخل أصحاب رسول الله ﷺ حمامات الشام وقال بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر النار روى ذلك عن أبى الدرداء وأبى أيوب الأنصارى رضى الله عنهما وقال بعضهم بئس البيت بيت الحمام يبدى العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لآفته وذاك تعرض لفائدته ولا بأس بطلب فائدته عند الاحتراز من آفته ولكن على داخل الحمام وظائف من السنن والواجبات * فعليه واجبان فى عورته وواجبان فى عورة غيره أما الواجبان فى عورته فهو أن يصونها عن نظر الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطى أمرها وإزالة وسخها إلا بيده ويمنع الدلاك من مس الفخذ وما بين السرة الى العانة وفى إباحة مس ما ليس بسوأة لازالة الوسخ احتمال ولكن الأقيس التحريم إذ الحق مس السوأتين فى التحريم بالنظر فكذلك ينبغى أن تكون بقية العورة أعنى الفخذين * والواجبان فى عورة الغير أن يغض بصر نفسه عنها وأن ينهى عن كشفها لان النهى عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك وليس عليه القبول ولا يسقط عنه وجوب الذكر إلا لخوف ضرب أو شتم أو ما يجرى عليه مما هو حرام فى نفسه فليس عليه أن ينكر حراما يرهق المنكر عليه الى مباشرة حرام آخر فاما قوله أعلم ان ذلك لا يفيد ولا يعمل به فهذا لا يكون عذرا بل لا بد من الذكر فلا يخلو قلب عن التأثر من سماع الانكار واستشعار الاحتراز عند التعيير بالمعاصى وذلك يؤثر فى تقبيح الأمر فى عينه وتنفير نفسه عنه فلا يجوز تركه ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول الحمام فى هذه الأوقات إذ لا تخلو عن عورات مكشوفة لا سيما ما تحت السرة الى ما فوق العانة إذ الناس لا يعدونها عورة وقد ألحقها الشرع بالعورة وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام وقال بشر بن الحرث ما أعنف رجلا لا يملك إلا درهما دفعه ليخلى له الحمام ورؤى ابن عمر رضى الله عنهما فى الحمام ووجهه الى الحائط وقد عصب عينيه بعصابة وقال بعضهم لا بأس بدخول الحمام ولكن بازارين إزار للعورة وإزار للرأس يتقنع به ويحفظ عينيه * وأما السنن فعشرة * فالأول النية وهو أن لا يدخل لعاجل دنيا ولا عابثا لأجل هوى بل يقصد به التنظف المحبوب تزينا للصلاة ثم يعطى الحمامى الأجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول وكذا ما ينتظره الحمامى فتسليم الأجرة قبل الدخول دفع

(١) حديث الأمر بغسل البراجم الترمذى الحكيم فى النوادر من حديث عبد الله بن بسر نقوا براجمكم ولابن عدى فى حديث لأنس وأن يتعاهد البراجم اذا توضأ ولمسلم من حديث عائشة عشر من الفطرة وفيه وغسل البراجم (٢) حديث الأمر بتنظيف الرواجب أحمد من حديث ابن عباس أنه قيل له يا رسول الله لقد أبطأ عنك جبريل فقيل ولم لا يبطئ وأنتم لا تستنون ولا تقلمون أظفاركم ولا تقصون شواربكم ولا تنقون رواجبكم وفيه اسمعيل بن عياش (٣) حديث التوقيت فى قلم الأظفار ونتف الابط وحلق العانة أربعين يوما م من حديث أنس (٤) حديث الأمر بتنظيف ما تحت الأظفار الطبرانى من حديث وابصة بن معبد سألت النبي ﷺ عن كل شىء حتى سألته عن الوسخ الذى يكون فى الأظفار فقال دع ما يريبك الى ما لا يريبك (٥) حديث استبطاء الوحى فلما هبط عليه جبريل قال له كيف نزل عليكم وأنتم لا تغسلون براجمكم ولا تنظفون رواجبكم تقدم قبل هذا بحديثين

لعلك تقول أرى بعض أئمة الكلام عن لحوق هذا المقام كأن لم يضر بوا فيه بسهم ولم يفز قدحهم منه بحظ ولا سهم وأراهم عند الجمهور فى الظاهر وعند أنفسهم أنهم أهل الدلالة على الله تعالى وقادة الخلق الى مراشدهم ومجاهدون أرباب النحل المردية والملل الضالة المهلكة وقد سبق فى الاحياء أنهم مع العوام فى الاعتقاد سواء وإنما فارقوهم باحسانهم حراسة عقودهم * فاعلم ان ما رأيت فى الاحياء صحيح ولكن بقى فى كشفه أمر لا يخفى على المستبصرين ولا يغيب عن الشاذين اذا كانوا منصفين وهو أن المتكلمين من حيث صناعة الكلام فقط لم يفارقوا عقود العوام وإنما فارقوهم بالجدل عن الانخرام والجدل علم لفظي وأكثره احتيال وهمى وهو عمل النفس وتخليق الفهم وليس بثمرة المشاهدة والكشف ولأجل هذا كان فيه السمين والغث وشاع فى حال النضال إيراد القطعى وما هو حكمه من غلبة

للجهالة من أحد العوضين وتطييب لنفسه ثم يقدم رجله اليسرى عند الدخول ويقول بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم ثم يدخل الخلوة أو يتكلف تخلية الحمام فانه لم يكن في الحمام إلا أهل الدين والمحتاطين للعورات فالنظر الى الأبدان مكشوفة فيه شائبة من قلة الحياء وهو مذكر للنظر في العورات ثم لا يخلو الانسان في الحركات عن انكشاف العورات بانعطاف في أطراف الازار فيقع البصر على العورة من حيث لا يدري ولاجله عصب ابن عمر رضي الله عنهما عينيه ويغسل الجناحين عند الدخول ولا يعجل بدخول البيت الحار حتى يعرق في الأول وأن لا يكثر صب الماء بل يقتصر على قدر الحاجة فانه المأذون فيه بقرينة الحال والزيادة عليه لو علمه الحمامي لكرهه لاسيما الماء الحار فله مؤنة وفيه تعب وان يتذكر حر النار بحرارة الحمام ويقدر نفسه محبوسا في البيت الحار ساعة ويقيسه الى جهنم فانه أشبه بيت بجهنم النار من تحت والظلام من فوق نعوذ بالله من ذلك بل العاقل لا يغفل عن ذكر الآخرة في لحظة فانها مصيره ومستقره فيكون له في كل ما يراه من ماء أو نار أو غيرهما عبرة وموعظة فان المرء ينظر بحسب همته فاذا دخل بزاز ونجار وبناء وحائك دارا معمورة مفروشة فاذا تفقدتهم رأيت البزاز ينظر الى الفرش يتأمل قيمتها والحائك ينظر الى الثياب يتأمل نسجها والنجار ينظر الى السقف يتأمل كيفية تركيبها والبناء ينظر الى الحيطان يتأمل كيفية إحكامها واستقامتها فكذلك سالك طريق الآخرة لا يرى من الأشياء شيأ إلا ويكون له موعظة وذكرى للآخرة بل لا ينظر الى شيء إلا ويفتح الله عز وجل له طريق عبرة فان نظر الى سواد تذكر ظلمة اللحد وان نظر الى حية تذكر أفاعي جهنم وان نظر الى صورة قبيحة شنيعة تذكر منكرا ونكيرا والزبانية وان سمع صوتا هائلا تذكر نفخة الصور وان رأى شيأ حسنا تذكر نعيم الجنة وان سمع كلمة رد أو قبول في سوق أو دار تذكر ما ينكشف من آخر أمره بعد الحساب من الرد والقبول وما أجدر أن يكون هذا هو الغالب على قلب العاقل إذ لا يصرفه عنه إلا مهمات الدنيا فاذا نسب مدة المقام في الدنيا الى مدة المقام في الآخرة استحقرها إن لم يكن ممن أغفل قلبه وأعميت بصيرته * ومن السنن أن لا يسلم عند الدخول وان سلم عليه لم يجب بلفظ السلام بل يسكت إن أجاب غيره وإن أحب قال عافاك الله ولا بأس بأن يصافح الداخل ويقول عافاك الله لابتداء الكلام ثم لا يكثر الكلام في الحمام ولا يقرأ القرآن إلا سرا ولا بأس باظهار الاستعاذة من الشيطان ويكره دخول الحمام بين العشاءين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين ولا بأس بأن يدلكه غيره فقد نقل ذلك عن يوسف بن أسباط أوصى بأن يغسله إنسان لم يكن من أصحابه وقال انه دلكني في الحمام مرة فأردت أن أكافئه بما يفرح به وانه ليفرح بذلك ويدل على جوازه ماروى بعض الصحابة أن رسول الله ﷺ (١) نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره فقلت ماهذا يارسول الله، فقال ان الناقة تقحمت بي ثم مهما فرغ من الحمام شكر الله عز وجل على هذه النعمة فقد قيل الماء الحار في الشتاء من النعيم الذي يسئل عنه وقال ابن عمر رضي الله عنهما الحمام من النعيم الذي أحدثوه هذا من جهة الشرع أما من جهة الطب فقد قيل الحمام بعد النورة أمان من الجذام وقيل النورة في كل شهر مرة تطفئ المرة الصفراء وتنقي اللون وتزيد في الجماع وقيل بوله في الحمام قائما في الشتاء أنفع من شربة دواء وقيل نومة في الصيف بعد الحمام تعدل شربة دواء وغسل القدمين بماء بارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس ويكره صب الماء البارد على الرأس عند الخروج وكذا شربه هذا حكم الرجال * وأما النساء فقد قال صلى الله عليه وسلم (٢) لا يحل للرجل أن يدخل حليلته الحمام وفي البيت المستحم والمشهور (٣) انه حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر وحرام على المرأة دخول

---

(١) حديث نزل منزلا في بعض أسفاره فنام على بطنه وعبد أسود يغمز ظهره الحديث الطبراني في الأوسط من حديث عمر بسند ضعيف (٢) حديث لا يحل لرجل أن يدخل حليلته الحمام الحديث يأتي في الذي يليه مع اختلاف (٣) حديث حرام على الرجال دخول الحمام إلا بمئزر الحديث النسائي والحاكم وصححه من حديث جابر من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل الحمام إلا بمئزر ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدخل حليلته الحمام

الظن وإبداء الصحيح وإلزام مذهب الخصم والمقام المشار اليه بالذكر وشبهه انما هو علم التوحيد وفهم الأحوال ومعرفته باليقين التام والعلم المضارع للضروري بأن لا إله إلا الله إذ لا فاعل غيره ولا حاكم في الدارين سواه ومشاهدة القلوب لما حجب من الغيوب ومن أين للنازل طي المنازل وما لعلم الكلام مثل هذا المقام بل هو من خدام الشرع وحراس متبعيه من أهل الاختلاس والقطع وله مقام على قدره ويقطع به ولكن ليس عن مطالع الأنوار ومدارك الاستبصار والمدار في أوقات الضرورات والاختيار وبين ما يراد لوقت حاجته ان دعت وخصام صاحب بدعة ومناضلة ذي ضلالة بما ينغص على ذوي اليقين العيش ويشغل الذهن ويكدر النفس وما أهله الذين حفظ عنهم ووقع علمه فيما مضى من الزمان اليهم لا تقول

الحمام

الحمام الا نفساء أو مريضة ودخلت عائشة رضي الله عنها حماما من سقم بها فان دخلت لضرورة فلا تدخل الا بمئزر سابغ ويكره للرجل أن يعطيها أجرة الحمام فيكون معينا لها على المكروه

﴿ النوع الثاني فيما يحدث في البدن من الاجزاء وهي ثمانية ﴾

* الأول شعر الرأس ولا بأس بحلقه لمن أراد التنظيف ولا بأس بتركه لمن يدهنه ويرجله الا اذا تركه قزعا أي قطعا وهو دأب أهل الشطارة أو أرسل الذوائب على هيئة أهل الشرف حيث صار ذلك شعارا لهم فانه اذا لم يكن شريفا كان ذلك تلبيسا * الثاني شعر الشارب وقد قال ﷺ (١) قصوا الشارب وفي لفظ آخر جزوا الشوارب وفي لفظ آخر حفوا الشوارب واعفوا اللحى أي اجعلوها حفاف الشفة أي حولها وحفاف الشيء حوله ومنه ﴿ وترى الملائكة حافين من حول العرش ﴾ وفي لفظ آخر احفوا وهذا يشعر بالاستئصال وقوله حفوا يدل على مادون ذلك قال الله عز وجل ﴿ إن يسئلكموها فيحفكم تبخلوا ﴾ أي يستقصى عليكم وأما الحلق فلم يرد والاحفاء القريب من الحلق نقل عن الصحابة نظر بعض التابعين الى رجل أحفى شاربه فقال ذكرتني أصحاب رسول الله ﷺ وقال المغيرة ابن شعبة نظر الى رسول الله ﷺ (٢) وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك ولا بأس بترك سباليه وهما طرفا الشارب فعل ذلك عمر وغيره لان ذلك لا يستر الفم ولا يبقى فيه غمر الطعام اذ لا يصل اليه وقوله ﷺ اعفوا اللحى أي كثروها وفي الخبر ان اليهود (٣) يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم وكره بعض العلماء الحلق ورآه بدعة * الثالث شعر الابط ويستحب نتفه في كل أربعين يوما مرة وذلك سهل على من تعود نتفه في الابتداء فأما من تعود الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان لا يجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك بالحلق * الرابع شعر العانة ويستحب ازالة ذلك اما بالحلق أو بالنورة ولا ينبغي ان تتأخر عن أربعين يوما * الخامس الاظفار وتقليمها مستحب لشناعة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ قال رسول الله ﷺ (٤) يا أبا هريرة قلم أظفارك فان الشيطان يقعد على ماطال منها ولو كان تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء لانه لا يمنع وصول الماء ولانه يتساهل فيه للحاجة لاسيما في أظفار الرجل وفي الاوساخ التي تجتمع على البراجم وظهور الارجل والايدي من العرب وأهل السواد وكان رسول الله ﷺ يأمرهم بالقلم وينكر عليهم مايرى تحت أظفارهم من الأوساخ ولم يأمرهم باعادة الصلاة ولو أمر به لكان فيه فائدة أخرى وهو التغليظ والزجر عن ذلك ولم أر في الكتب خبرا مرويا في ترتيب قلم الاظفار ولكن سمعت أنه ﷺ (٥) بدأ بمسبحته اليمنى وختم بابهامه اليمنى وابتدأ في اليسرى بالخنصر الى الابهام ولما تأملت في هذا خطر لي من المعنى مايدل على أن الرواية فيه صحيحة اذ مثل هذا المعنى لا ينكشف ابتداء الا بنور النبوة وأما العالم ذو البصيرة

وللحاكم من حديث عائشة الحمام حرام على نساء أمتي قال صحيح الاسناد ولأبي داود وابن ماجه من حديث عبدالله بن عمر فلا يدخلها الرجال بالازار وامنعوها النساء الا من مريضة أو نفساء (١) حديث قصوا وفي لفظ جزوا وفي لفظ احفوا الشوارب واعفوا اللحى متفق عليه من حديث ابن عمر بلفظ احفوا ولمسلم من حديث أبي هريرة جزوا ولأحمد من حديثه قصوا (٢) حديث المغيرة بن شعبة نظر الى رسول الله ﷺ وقد طال شاربي فقال تعال فقصه لي على سواك د ت في الشمائل (٣) حديث ان اليهود يعفون شواربهم ويقصون لحاهم فخالفوهم أحمد من حديث أبي أمامة قلنا يارسول الله ان أهل الكتاب يقصون عثانينهم ويوفرون سبالهم فقال قصوا سبالكم ووفروا عثانينكم وخالفوا أهل الكتاب قلت والمشهور ان هذا فعل المجوس ففي صحيح ابن حبان من حديث ابن عمر في المجوس انهم يوفرون سبالهم ويحلقون لحاهم فخالفوهم (٤) حديث يا أبا هريرة قلم ظفرك فان الشيطان يقعد على ماطال منها الخطيب في الجامع باسناد ضعيف من حديث جابر قصوا أظافيركم فان الشيطان يجري مابين اللحم والظفر (٥) حديث البداءة في قلم الاظفار بمسبحة اليمنى والختم بابهامها وفي اليسرى بالخنصر الى الابهام لم أجد له أصلا وقد أنكره أبو عبدالله المازري في الرد على الغزالي وشنع عليه به

في أكثرهم انهم لايحسنون غيره ولا يختصون بالتوحيد بمقام سواه بما هو أعلى منه بل الظن بهم انهم علماء مثل ماذكرنا فهم نصراء لكنهم لم يبدوا من العلم في الظاهر الا ما كانت الحاجة اليه أمس والمصلحة به لتوجه الضرورة أعم وأوكد ولما كان نجم في وقتهم من البدع وظهر من الاهواء وشاع من تشتيت كلمة أهل الحق وتجرأ العوام مع كل ناعق فرأوا الرد عليهم والمنازعة لهم والسعي في اجماع الكلمة على السنة بعد افتراقها واهلاك ذوي الكيد في احتيالهم واخماد نارهم الذين هم أهل الاهواء والفتن وأولى بهم من الكلام بعلوم الاشارات وكشف أحوال أرباب المقامات ووصف فقه الارواح والنفوس وتفهم كل ناطق وجامد فان هذه كلها وان كانت أسنى وأعلى فان ذلك من علم الخواص وهم مكتفيون المؤنة والعامة أحق بالحفظ وعقائدهم أولى بالحراسة واستنقاذ من يخاف عليه الهلاك

فغايته أن يستنبطه من العقل بعد نقل الفعل اليه فالذي لاح لي فيه والعلم عند الله سبحانه أنه لا بد من قلم أظفار اليد والرجل واليد أشرف من الرجل فيبدأ بها ثم اليمنى أشرف من اليسرى فيبدأ بها ثم على اليمنى خمسة أصابع والمسبحة أشرفها اذ هي المشيرة في كلمتي الشهادة من جملة الاصابع ثم بعدها ينبغي أي يبتدىء بما على يمينها اذ الشرع يستحب ادارة الطهور وغيره على اليمنى وان وضعت ظهر الكف على الارض فالابهام هو اليمين وان وضعت بطن الكف فالوسطى هي اليمنى واليد اذا تركت بطبعها كان الكف مائلا الى جهة الأرض اذ جهة حركة اليمين الى اليسار واستتمام الحركة إلى اليسار يجعل ظهر الكف عاليا فما يقتضيه الطبع أولى ثم اذا وضعت الكف على الكف صارت الأصابع في حكم حلقة دائرة فيقتضي ترتيب الدور الذهاب عن يمين المسبحة إلى أن يعود إلى المسبحة فتقع البداءة بخنصر اليسرى والختم بابهامها ويبقى ابهام اليمنى فيختم به التقليم وانما قدرت الكف موضوعة على الكف حتى تصير الأصابع كأشخاص في حلقة ليظهر ترتيبها وتقدير ذلك أولى من تقدير وضع الكف على ظهر الكف أو وضع ظهر الكف على ظهر الكف فان ذلك لا يقتضيه الطبع وأما أصابع الرجل فالأولى عندي ان لم يثبت فيها نقل أن يبدأ بخنصر اليمنى ويختم بخنصر اليسرى كما في التخليل فان المعاني التي ذكرناها في اليد لا تتجه ههنا اذ لا مسبحة في الرجل وهذه الأصابع في حكم صف واحد ثابت على الأرض فيبدأ من جانب اليمين فان تقديرها حلقة بوضع الأخمص على الأخمص يأباه الطبع بخلاف اليدين وهذه الدقائق في الترتيب تنكشف بنور النبوة في لحظة واحدة وانما يطول التعب علينا ثم لو سئلنا ابتداء عن الترتيب في ذلك ربما لم يخطر لنا واذا ذكرنا فعله ﷺ وترتيبه ربما تيسر لنا بما عاينه ﷺ بشهادة الحكم وتنبيهه على المعنى استنباط المعنى ولا تظنن أن أفعاله ﷺ في جميع حركاته كانت خارجة عن وزن وقانون وترتيب بل جميع الأمور الاختيارية التي ذكرناها يتردد فيها الفاعل بين قسمين أو أقسام كان لا يقدم على واحد معين بالاتفاق بل بمعنى يقتضي الاقدام والتقديم فان الاسترسال مهملا كما يتفق سجية البهائم وضبط الحركات بموازين المعاني سجية أولياء الله تعالى وكلما كانت حركات الانسان وخطراته الى الضبط أقرب وعن الاهمال وتركه سدى أبعد كانت مرتبته الى رتبة الأنبياء والأولياء أكثر وكان قربه من الله عز وجل أظهر اذ القريب من النبي ﷺ هو القريب من الله عز وجل والقريب من الله لا بد أن يكون قريبا فالقريب من القريب قريب بالاضافة الى غيره فنعوذ بالله أن يكون زمام حركاتنا وسكناتنا في يد الشيطان بواسطة الهوى واعتبر في ضبط الحركات باكتحاله ﷺ (١) فانه كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين فيبدأ باليمنى لشرفها وتفاوته بين العينين لتكون الجملة وترا فان للوتر فضلا عن الزوج فان الله سبحانه وتر يحب الوتر فلا ينبغي أن يخلو فعل العبد من مناسبة لوصف من أوصاف الله تعالى ولذلك استحب الايتار في الاستجمار وانما لم يقتصر على الثلاث وهو وتر لان اليسرى لا يخصها الا واحدة والغالب أن الواحدة لا تستوعب أصول الأجفان بالكحل وانما خصص اليمين بالثلاث لان التفضيل لا بد منه للايتار واليمين أفضل فهي بالزيادة أحق (فان قلت) فلم اقتصر على اثنين لليسرى وهي زوج فالجواب أن ذلك ضرورة اذ لو جعل لكل واحدة وترا كان المجموع زوجا اذ الوتر مع الوتر زوج ورعاية الايتار في مجموع الفعل وهو في حكم الخصلة الواحدة أحب من رعايته في الآحاد ولذلك أيضا وجه وهو أن يكتحل في كل واحدة ثلاثا على قياس الوضوء وقد نقل ذلك في الصحيح (٢) وهو الأولى ولو ذهبت أستقصي دقائق ما راعاه ﷺ في حركاته لطال الامر فقس بما سمعته ما لم تسمعه واعلم ان العالم لا يكون وارثا للنبي ﷺ الا اذا اطلع على جميع معاني الشريعة حتى لا يكون بينه وبين النبي

(١) حديث كان يكتحل في عينه اليمنى ثلاثا وفي اليسرى اثنين الطبراني من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٢) حديث الاكتحال في كل عين ثلاثا قال الغزالي ونقل ذلك في الصحيح قلت هو عند الترمذي وابن ماجه من حديث ابن عباس قال الترمذي حديث حسن

أولى من مؤانسة وحيد والتصدق على ذي بلغة من العيش فكيف ان كان عن غناء وأيضا فان علم الكلام انما يراد كما قلنا للجدال وهو يقع من العلماء العارفين مع أهل الالحاد والزيغ لقصورهم عن ملاحظة الحق موقع السيف للانبياء والمرسلين عليهم السلام بعد التبليغ مع أهل العناد والتمادي على الغي وسبيل الفساد فكما لا يقال السيف أبلغ حجة النبي ﷺ كذلك لا يقال علم الكلام والجدال أبلغ مقام من ظهر منه من العلماء وكما لا يقال في الصدر الاول فقهاء الامصار ومن قبلهم حين لم يحفظ عنهم في الغالب الا علوم أخر كالفقه والحديث والتفسير لان الخلق أحوج إلى علم ما حفظ عنهم وذلك لغلبة الجهل على أكثرهم فلولا ان حفظ الله تعالى تلك

ﷺ إلا درجة واحدة وهي درجة النبوة وهي الدرجة الفارقة بين الوارث والموروث اذ الموروث هو الذي حصل المال له واشتغل بتحصيله واقتدر عليه والوارث هو الذي لم يحصل ولم يقدر عليه ولكن انتقل اليه وتلقاه منه بعد حصوله له فأمثال هذه المعاني مع سهولة أمرها بالاضافة الى الاغوار والاسرار لا يستقل بدركها ابتداء الا الأنبياء ولا يستقل باستنباطها تلقيا بعد تنبيه الأنبياء عليها الا العلماء الذين هم ورثة الانبياء عليهم السلام * السادس والسابع زيادة السرة وقلفة الحشفة أما السرة فتقطع في أول الولادة وأما التطهير بالختان فعادة اليهود في اليوم السابع من الولادة ومخالفتهم بالتأخير الى أن يثغر الولد أحب وأبعد عن الخطر قال ﷺ (١) الختان سنة للرجال ومكرمة للنساء وينبغي أن لا يبالغ في خفض المرأة قال ﷺ لأم عطية وكانت تخفض يا أم عطية (٢) أشمي ولا تنهكي فانه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج أي أكثر لماء الوجه ودمه وأحسن في جماعها فانظر الى جزالة لفظه ﷺ في الكناية والى اشراق نور النبوة من مصالح الآخرة التي هي أهم مقاصد النبوة الى مصالح الدنيا حتى انكشف له وهو أمي من هذا الأمر النازل قدره ما لو وقعت الغفلة عنه خيف ضرره فسبحان من أرسله رحمة للعالمين ليجمع لهم بيمن بعثته مصالح الدنيا والدين ﷺ * الثامنة ما طال من اللحية وانما أخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع إذ هذا أقرب موضع يليق به ذكرها وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته وأخذ ما فضل عن القبضة فلا بأس فقد فعله ابن عمر وجماعة من التابعين واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن وقتادة وقالا تركها عافية أحب لقوله ﷺ اعفوا اللحى والأمر في هذا قريب ان لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه الخلقة ويطلق ألسنة المغتابين بالنبذ اليه فلا بأس بالاحتراز عنه على هذه النية وقال النخعي عجبت لرجل عاقل طويل اللحية كيف لا يأخذ من لحيته ويجعلها بين لحيتين فان التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طالت اللحية تشمر العقل

﴿فصل﴾ وفي اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها أشد كراهة من بعض خضابها بالسواد وتبييضها بالكبريت ونتفها ونتف الشيب منها والنقصان منها والزيادة فيها وتسريحها تصنعا لأجل الرياء وتركها شعثة اظهارا للزهد والنظر الى سوادها عجبا بالشباب والى بياضها تكبرا بعلو السن وخضابها بالحمرة والصفرة من غير نية تشبها بالصالحين * أما الأول وهو الخضاب بالسواد فهو منهي عنه لقوله ﷺ (٣) خير شبابكم من تشبه بشيوخكم وشر شيوخكم من تشبه بشبابكم والمراد بالتشبه بالشيوخ في الوقار لا في تبييض الشعر (٤) ونهى عن الخضاب بالسواد وقال هو خضاب (٥) أهل النار وفي لفظ آخر الخضاب بالسواد خضاب الكفار وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان يخضب بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه أهل المرأة الى عمر رضي الله عنه فرد نكاحه وأوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب ولبست عليهم شيبتك ويقال أول من خضب بالسواد فرعون لعنه الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ (٦) أنه قال يكون في آخر الزمان

(١) حديث الختان سنة الرجال مكرمة النساء أحمد والبيهقي من رواية أبي المليح ابن أسامة عن أبيه باسناد ضعيف (٢) حديث أم عطية أشمي ولا تنهكي الحديث الحاكم والبيهقي من حديث الضحاك بن قيس ولأبي داود نحوه من حديث أم عطية وكلاهما ضعيف (٣) حديث خير شبابكم من تشبه بكهولكم الحديث الطبراني من حديث واثلة باسناد ضعيف (٤) حديث نهى عن الخضاب بالسواد ابن سعد في الطبقات من حديث عمرو بن العاص باسناد منقطع ولمسلم من حديث جابر وغيروا هذا بشيء واجتنبوا السواد قاله حين رأى بياض شعر أبي قحافة (٥) حديث الخضاب بالسواد خضاب أهل النار وفي لفظ خضاب الكفار الطبراني والحاكم من حديث ابن عمر بلفظ الكافر قال ابن أبي حاتم منكر (٦) حديث يكون في آخر الزمان قوم يخضبون بالسواد الحديث أبو داود والنسائي من حديث ابن عباس باسناد جيد

جهة اليقين بغير طريق علم الكلام والجدل يتحلون بالمقامات المذكورة وان لم يشتهر عنهم ذلك اشتهار ما أخذه عنهم الخاص والعام ومثل ذلك حالة الصحابة رضي الله عنهم بعد النبي ﷺ لما خافوا دروس الاسلام وأن يضعف ويقل أهله ويرجع البلاد والعامة الى الكفر كانوا أول مرة فقد مات صاحب المعجزة ﷺ والمبعوث لدعوة الحق عليه السلام رأوا أن الجهاد والرباط في ثغر العدو والغزو في سبيل الله وضرب وجوه الكفر بالسيف وادخال الناس في دين الله أولى بهم من سائر الأعمال وأحق من تدريس العلوم كلها ظاهرا وباطنا وانما كانت تؤخذ عنهم علوم الشرع على الاقل وهم في حال ذلك الشغل والنظر الى حال العموم أوكد من النظر الى الخصوص لأن

قوم يخضبون بالسواد كحواصل الحمام لا يريحون رائحة الجنة * الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جائز تلبيسا للشيب على الكفار في الغزو والجهاد فان لم يكن على هذه النية بل للتشبه بأهل الدين فهو مذموم وقد قال رسول الله ﷺ (١) الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين وكانوا يخضبون بالحناء للحمرة وبالخلوق والكتم للصفرة وخضب بعض العلماء بالسواد لأجل الغزو وذلك لا بأس به اذا صحت النية ولم يكن فيه هوى وشهوة * الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا عن الشباب واظهارا لكثرة العلم ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا وهيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل الا جهلا فالعلم ثمرة العقل وهي غريزة ولا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته الحمق فطول المدة يؤكد حماقته وقد كان الشيوخ يقدمون الشباب بالعلم كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقدم ابن عباس وهو حديث السن على أكابر الصحابة ويسأله دونهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما آتى الله عز وجل عبدا علما الا شابا والخير كله في الشباب ثم تلا قوله عز وجل ﴿ قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم ﴾ وقوله تعالى ﴿ انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ﴾ وقوله تعالى ﴿ وآتيناه الحكم صبيا ﴾ وكان أنس رضي الله عنه يقول (٢) قبض رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة فقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب فقيل أهو شين فقال كلكم يكرهه ويقال (٣) ان يحيى بن أكثم ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد أن يخجله بصغر سنه كم سن القاضي أيده الله فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ إمارة مكة وقضاءها فأفحمه وروي عن مالك رحمه الله أنه قال قرأت في بعض الكتب لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال أبو عمرو بن العلاء اذا رأيت الرجل طويل القامة صغير الهامة عريض اللحية فاقض عليه بالحمق ولو كان أمية بن عبد شمس وقال أيوب السختياني أدركت الشيخ ابن ثمانين سنة يتبع الغلام يتعلم منه وقال علي بن الحسين من سبق اليه العلم قبلك فهو امامك فيه وان كان أصغر سنا منك وقيل لأبي عمرو بن العلاء أيحسن من الشيخ أن يتعلم من الصغير فقال ان كان الجهل يقبح به فالتعلم يحسن به وقال يحيى بن معين لأحمد ابن حنبل وقد رآه يمشي خلف بغلة الشافعي يا أبا عبد الله تركت حديث سفيان بعلوه وتمشي خلف بغلة هذا الفتى وتسمع منه فقال له أحمد لو عرفت لكنت تمشي من الجانب الآخر إن علم سفيان ان فاتني بعلو أدركته بنزول وان عقل هذا الشاب ان فاتني لم أدركه بعلو ولا نزول * الرابع نتف بياضها استنكافا من الشيب وقد نهى عليه السلام (٤) عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة الكراهية ما سبق والشيب نور الله تعالى والرغبة عنه رغبة عن النور * الخامس نتفها أو نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة ونتف الفنيكين بدعة وهما جانبا العنفقة * شهد عند عمر بن عبد العزيز

---

(١) حديث الصفرة خضاب المسلمين والحمرة خضاب المؤمنين الطبراني والحاكم بلفظ الأفراد من حديث ابن عمر قال ابن أبي حاتم منكر (٢) حديث قبض رسول الله ﷺ وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء فقيل له يا أبا حمزة وقد أسن فقال لم يشنه الله بالشيب متفق عليه من حديث أنس دون قوله فقيل الخ ولمسلم من حديثه وسئل عن شيب رسول الله ﷺ قال ما شانه الله ببيضاء (٣) حديث ان يحيى بن أكثم ولي القضاء وهو ابن احدى وعشرين سنة فقيل له كم سن القاضي فقال مثل سن عتاب بن أسيد حين ولاه رسول الله ﷺ إمارة مكة وقضاءها يوم الفتح وأنا أكبر من معاذ بن جبل حين وجه به رسول الله ﷺ قاضيا على أهل اليمن * الخطيب في التاريخ باسناد فيه نظر وما ذكره ابن أكثم صحيح بالنسبة الى عتاب بن أسيد فانه كان حين الولاية ابن عشرين سنة وأما بالنسبة إلى معاذ فانما يتم له ذلك على قول يحيى بن سعيد الانصاري ومالك وابن أبي حاتم انه كان حين مات ابن ثمان وعشرين سنة والمرجح انه مات ابن ثلاثة وثلاثين سنة في الطاعون سنة ثمانية عشر والله أعلم (٤) حديث نهى عن نتف الشيب وقال هو نور المؤمن دت وحسنه ن ه من

الخصوص لهم بأنفسهم عناء ولهم بحالهم قيام والعموم ان لم يكن مشتغلا بهم واذا بدا لهم عن هلكاتهم وساقتها بهم الى مراشدهم وصلاحهم كان الهلاك اليهم أسرع ثم لا يكون من بعد ذلك ان فسد حال العموم للخصوص قدر ولا يظهر لهم نور ولا يقدرون على شيء كامل من البر فلا خاصة الا بعامة ولقد كانت رعاية النبي صلى الله عليه وسلم بحال الجماهير أكثر والخوف عليهم من الزيغ والضلال والهلاك أشد واللطف بهم في تخفيف الوظائف والاخذ بالرفق أبلغ وكان أهل القوة وذوى البصائر في الحقائق يأخذون أنفسهم بالمشقات وكان هو ﷺ يحب أن يعمل بالعمل من الطاعة فيما يمنعه منه أو من المداومة عليه الا خوف أن يفرض على أمته حين علم من أكثرهم الضعف ولم يكره لهم وفيه زيادة الاجر وكثرة الثواب

رجل

رجل كان ينتف فنيكيه فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن أبي ليلى قاضي المدينة شهادة من كان ينتف لحيته وأما نتفها في أول النبات تشبها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة الرجال فان لله سبحانه ملائكة يقسمون والذي زين بني آدم باللحى وهو من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء وقيل في غريب التأويل اللحية هي المراد بقوله تعالى ﴿يزيد في الخلق ما يشاء﴾ قال أصحاب الأحنف بن قيس وددنا أن نشتري للأحنف لحية ولو بعشرين ألفا وقال شريح القاضي وددت أن لي لحية ولو بعشرة آلاف وكيف تكره اللحية وفيها تعظيم الرجل والنظر اليه بعين العلم والوقار والرفع في المجالس واقبال الوجوه اليه والتقديم على الجماعة ووقاية العرض فان من يشتم يعرض باللحية ان كان للمشتوم لحية وقد قيل ان أهل الجنة مرد الا هرون أخا موسى صلى الله عليهما وسلم فان له لحية الى سرته تخصيصا له وتفضيلا * السادس تقصيصها كالتعبية طاقة على طاقة للتزين للنساء والتصنع قال كعب يكون في آخر الزمان أقوام يقصون لحاهم كذنب الحمامة ويعرقبون نعالهم كالمناجل أولئك لا خلاق لهم * السابع الزيادة فيها وهو أن يزيد في شعر العارضين من الصدغين وهو من شعر الرأس حتى يجاوز عظم اللحى وينتهي الى نصف الخد وذلك يباين هيئة أهل الصلاح * الثامن تسريحها لأجل الناس قال بشر في اللحية شركان تسريحها لأجل الناس وتركها متفتلة لاظهار الزهد * التاسع * والعاشر النظر في سوادها وفي بياضها بعين العجب وذلك مذموم في جميع أجزاء البدن بل في جميع الأخلاق والأفعال على ما سيأتي بيانه فهذا ما أردنا أن نذكره من أنواع التزين والنظافة وقد حصل من ثلاثة أحاديث من سنن الجسد اثنتا عشرة خصلة خمس منها في الرأس وهي (١) فرق شعر الرأس والمضمضة والاستنشاق (٢) وقص الشارب والسواك وثلاثة في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجم (٣) وتنظيف الرواجب وأربعة في الجسد وهي نتف الأبط والاستحداد والختان والاستنجاء بالماء فقد وردت الأخبار بمجموع ذلك واذا كان غرض هذا الكتاب التعرض للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر على هذا وليتحقق أن فضلات الباطن وأوساخه التي يجب التنظيف منها أكثر من أن تحصى وسيأتي تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطرق في ازالتها وتطهير القلب منها ان شاء الله عز وجل * تم كتاب أسرار الطهارة بحمد الله تعالى وعونه * ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الصلاة والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى كل عبد مصطفى

كتاب أسرار الصلاة ومهماتها

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذي غمر العباد بلطائفه وعمر قلوبهم بأنوار الدين ووظائفه الذي تنزل عن عرش الجلال الى السماء الدنيا من درجات الرحمة احدى عواطفه فارق الملوك مع التفرد بالجلال والكبرياء بترغيب الخلق في السؤال والدعاء فقال هل من داع فأستجيب له وهل من مستغفر فأغفر له وباين السلاطين بفتح الباب ورفع الحجاب فرخص للعباد

رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (١) حديث فرق شعر الرأس اخ من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يسدل شعره الى أن قال ثم فرق رسول الله ﷺ رأسه (٢) حديث عشر من الفطرة الحديث مسلم من حديث عائشة ولفظه قص الشارب واعفاء اللحية والسواك واستنشاق الماء وقص الأظفار وغسل البراجم ونتف الابط وحلق العانة وانتقاص الماء قال وكيع يعني الاستنجاء قال مصعب ونسيت العاشرة الا أن تكون المضمضة ضعفه ن ولأبي ده من حديث عمار بن ياسر نحوه فذكر فيه المضمضة والاختتان والانتضاح ولم يذكر اعفاء اللحية وانتقاص الماء قال د روي نحوه عن ابن عباس قال خمس كلها في الرأس وذكر منها الفرق ولم يذكر اعفاء اللحية وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الفطرة خمس الختان الحديث (٣) حديث تنظيف الرواجب تقدم

﴿ باب أسرار الصلاة ﴾

والقرب من الله تعالى ولكن خاف عليهم أن يقعوا في تضييع الفرض فيكون عليهم كفل من الوزر ألا ترى كيف نهى الخلق عن قيام الليل كله وكان عثمان رضي الله عنه يقومه فلم ينهه ومنع السيف من كل من أراد أخذه بما شرط عليه فيه حتى جاء من علم منه القدرة على الوفاء بما شرط عليه فأعطاه اياه وقال لعائشة رضي الله عنها لولا حدثان عهد قومك بالكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم وقال للانصار أما ترون أن يذهب الناس بالشاة والبعير فتذهبون برسول الله صلى الله عليه وسلم الى رحالكم ومع ذلك فالذي حفظ عنه صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة من بعده وفقهاء الامصار وأعيان المتكلمين من الاشارات لتلك العلوم المذكورة كثير لا يحصى وانما القليل من حمله اليوم عنهم وتفقه مثلهم فاقصد تجد وتصد لاقتباس المعارف تعلم

في المناجاة بالصلوات كيفما تقلبت بهم الحالات في الجماعات والخلوات ولم يقتصر على الرخصة بل تلطف بالترغيب والدعوة وغيره من ضعفاء الملوك لا يسمح بالخلوة الا بعد تقديم الهدية والرشوة فسبحانه ما أعظم شأنه وأقوى سلطانه وأتم لطفه وأعم احسانه والصلاة على محمد نبيه المصطفى ووليه المجتبي وعلى آله وأصحابه مفاتيح الهدى ومصابيح الدجى وسلم تسليما {أما بعد} فان الصلاة عماد الدين وعصام اليقين ورأس القربات وغرة الطاعات وقد استقصينا في فن الفقه في بسيط المذهب ووسيطه ووجيزه أصولها وفروعها صارفين جمام العناية الى تفاريعها النادرة ووقائعها الشاذة لتكون خزانة للمفتي منها يستمد ومعولا له اليها يفزع ويرجع ونحن الآن في هذا الكتاب نقتصر على مالا بد للمريد منه من أعمالها الظاهرة وأسرارها الباطنة وكاشفون من دقائق معانيها الخفية في معاني الخشوع والاخلاص والنية مالم تجر العادة بذكره في فن الفقه ومرتبون الكتاب على سبعة أبواب (الباب الأول) في فضائل الصلاة (الباب الثاني) في تفضيل الأعمال الظاهرة من الصلاة (الباب الثالث) في تفضيل الأعمال الباطنة منها (الباب الرابع) في الامامة والقدوة (الباب الخامس) في صلاة الجمعة وآدابها (الباب السادس) في مسائل متفرقة تعم بها البلوى يحتاج المريد الى معرفتها (الباب السابع) في التطوعات وغيرها

{ الباب الأول في فضائل الصلاة والسجود والجماعة والأذان وغيرها }

{ فضيلة الأذان }

قال ﷺ (١) ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم حساب ولا ينالهم فزع حتى يفرغ مما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل وأم بقوم وهم به راضون ورجل أذن في مسجد ودعا الى الله عز وجل ابتغاء وجه الله ورجل ابتلي بالرزق في الدنيا فلم يشغله ذلك عن عمل الآخرة وقال ﷺ (٢) لا يسمع نداء المؤذن جن ولا انس ولا شيء إلا شهد له يوم القيامة وقال ﷺ (٣) يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه وقيل في تفسير قوله عز وجل {ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا} نزلت في المؤذنين وقال ﷺ (٤) اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن وذلك مستحب الا في الحيعلتين فانه يقول فيهما لا حول ولا قوة إلا بالله وفي قوله قد قامت الصلاة أقامها الله وأدامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب صدقت وبررت ونصحت وعند الفراغ يقول اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد وقال سعيد بن المسيب من صلى بأرض فلاة صلى عن يمينه ملك وعن شماله ملك فان أذن وأقام صلى وراءه أمثال الجبال من الملائكة

{ فضيلة المكتوبة }

قال الله تعالى {ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا} وقال ﷺ (٥) خمس صلوات كتبهن الله على العباد فمن جاء بهن ولم يضيع منهن شيأ استخفافا بحقهن كان له عند الله عهد أن يدخله الجنة ومن لم يأت بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء أدخله الجنة وقال ﷺ (٦) مثل الصلوات الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب أحدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون ذلك يبقي من درنه قالوا لا شيء قال ﷺ فان

---

(١) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك الحديث ت وحسنه من حديث ابن عمر مختصرا وهو في الصغير للطبراني بنحو مما ذكره المؤلف (٢) حديث لا يسمع صوت المؤذن جن ولا انس ولا شيء الا شهد له يوم القيامة خ من حديث أبي سعيد (٣) حديث يد الرحمن على رأس المؤذن حتى يفرغ من أذانه الطبراني في الأوسط والحسن بن سعيد في مسنده من حديث أنس باسناد ضعيف (٤) حديث اذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن متفق عليه من حديث أبي سعيد (٥) حديث خمس صلوات كتبهن الله على العباد الحديث د ن ه حب من حديث عبادة بن الصامت وصححه ابن عبد البر (٦) حديث مثل خمس صلوات كمثل نهر الحديث مسلم من حديث جابر ولهما نحوه من حديث أبي هريرة

إلا أولو الألباب) {بيان المرتبة الرابعة} وهو توحيد الصديقين وأما أهل المرتبة الرابعة فهم قوم رأوا الله سبحانه وتعالى وحده ثم رأوا الاشياء بعد ذلك به فلم يروا في الدارين غيره ولا اطلعوا في الوجود على سواه فقد كان بيان اشارات الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فيما خصوا من المعرفة في هجيراهم فكان هجير أبي بكر الصديق رضي الله عنه لا إله إلا الله وكان هجير عمر رضي الله عنه أكبر وكان هجير عثمان رضي الله عنه سبحان الله وكان هجير علي رضي الله عنه الحمد لله فاستقر السابقون من ذلك ان أبا بكر لم يشهد في الدارين غير الله سبحانه وتعالى فلذا كان الصديق وسمي به كما علمت وكان يقول لا إله إلا الله

الصلوات الخمس تذهب الذنوب كما يذهب الماء الدرن وقال ﷺ [١] ان الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر وقال ﷺ [٢] بيننا و بين المنافقين شهود العتمة والصبح لا يستطيعونهما وقال ﷺ [٣] من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته وقال ﷺ [٤] الصلاة عماد الدين فمن تركها فقد هدم الدين [٥] وسئل ﷺ أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها وقال ﷺ [٦] من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً و برهاناً يوم القيامة ومن ضيعها حشر مع فرعون وهامان وقال ﷺ [٧] مفتاح الجنة الصلاة وقال [٨] ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد أحب اليه من الصلاة ولو كان شيء أحب اليه منها لتعبد به ملائكته فمنهم راكع ومنهم ساجد ومنهم قائم وقاعد وقال النبي ﷺ [٩] من ترك صلاة متعمداً فقد كفر أي قارب أن ينخلع عن الايمان بانحلال عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها وقال ﷺ [١٠] من ترك صلاة متعمداً فقد برئ من ذمة محمد عليه السلام وقال أبو هريرة رضي الله عنه من توضأ فأحسن وضوءه ثم خرج عامداً إلى الصلاة فانه في صلاة ما كان يعمد إلى الصلاة وانه يكتب له باحدى خطوتيه حسنة وتمحى عنه بالأخرى سيئة فاذا سمع أحدكم الاقامة فلا ينبغي له أن يتأخر فان أعظمكم أجراً أبعدكم داراً قالوا لم يا أبا هريرة قال من أجل كثرة الخطا و يروى ان [١١] أول ما ينظر فيه من عمل العبد يوم القيامة الصلاة فان وجدت تامة قبلت منه وسائر عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وسائر عمله وقال ﷺ [١٢] يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك الرزق من حيث لا تحتسب وقال بعض العلماء مثل المصلي مثل التاجر الذي لا يحصل له الربح حتى يخلص له رأس المال وكذلك المصلي لا تقبل له نافلة حتى يؤدي الفريضة وكان أبو بكر رضي الله عنه يقول اذا حضرت الصلاة قوموا إلى ناركم التي أوقدتموها فأطفئوها

﴿ فضيلة اتمام الأركان ﴾

(١) حديث الصلوات كفارة لما بينهن ما اجتنبت الكبائر م من حديث أبي هريرة (٢) حديث بيننا و بين المنافقين شهود العتمة والصبح مالك من رواية سعيد بن المسيب مرسلا (٣) حديث من لقي الله مضيعا للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته وفي معناه حديث أول ما يحاسب به العبد الصلاة وفيه فان فسدت فسد سائر عمله رواه طب في الأوسط من حديث أنس (٤) حديث الصلاة عماد الدين البيهقي في الشعب بسند ضعفه من حديث عمر قال ك عكرمة لم يسمع من عمر قال ورواه ابن عمر ولم يقف عليه ابن الصلاح فقال في مشكل الوسيط انه غير معروف (٥) حديث سئل أي الأعمال أفضل فقال الصلاة لمواقيتها متفق عليه من حديث ابن مسعود (٦) حديث من حافظ على الخمس باكمال طهورها ومواقيتها كانت له نوراً و برهاناً الحديث أحمد حب من حديث عبد الله بن عمرو (٧) حديث مفاتيح الجنة الصلاة د الطيالسي من حديث جابر وهو عند الترمذي ولكن ليس داخلا في الرواية (٨) حديث ما افترض الله على خلقه بعد التوحيد شيئاً أحب اليه من الصلاة الحديث لم أجده هكذا وآخر الحديث عند الطبراني من حديث جابر وعند الحاكم من حديث ابن عمر (٩) حديث من ترك صلاة متعمداً فقد كفر البزار من حديث أبي الدرداء باسناد فيه مقال (١٠) حديث من ترك صلاة متعمداً فقد تبرأ من ذمة محمد ﷺ حم هق من حديث أم أيمن بنحوه ورجاله ثقات

(١١) حديث أول ما ينظر الله فيه يوم القيامة من عمل العبد الصلاة الحديث رويناه في الطيوريات من حديث أبي سعيد باسناد ضعيف ولأصحاب السنن ك وصحح اسناده نحوه من حديث أبي هريرة وسيأتي

(١٢) حديث يا أبا هريرة مر أهلك بالصلاة فان الله يأتيك بالرزق من حيث لا تحتسب لم أقف له على أصل

اذ الكل قائم به غير معرى من النقصان والقائم بغيره معلول فكان يقول سبحان الله وعلي لا يرى نعمة في الدفع والرفع والعطاء والمنع في المكروه والمحبوب الامن الله سبحانه فكان يقول الحمد لله وأهل هذه الرتبة على الجملة في حال خصوصهم فيها صنفان مريدون ومرادون فالمريدون في الغالب لا بد لهم من أن يحلوا في المرتبة الثالثة وهي توحيد المقربين ومنها ينتقلون وعليها يعبرون إلى المرتبة الرابعة و يتمكنون فيها ومن أهل هذا المقام يكون القطب والاوتاد والبدلاء ومن أهل المرتبة الثالثة يكون النقباء والنجباء والشهداء والصالحون والله أعلم فان قلت أليس الوجود مشتركا بين الحادث والقديم والمألوه والاله ثم معلوم أن الاله واحد والحوادث

قال ﷺ (١) مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى وقال (٢) يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة وقال ﷺ (٣) ان الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وان ما بين صلاتيهما ما بين السماء والارض وأشار إلى الخشوع وقال ﷺ (٤) لا ينظر الله يوم القيامة إلى العبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده وقال ﷺ (٥) أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار وقال ﷺ (٦) من صلى صلاة لوقتها وأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرجت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني ومن صلى لغير وقتها ولم يسبغ وضوءها ولم يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها عرجت وهي سوداء مظلمة تقول ضيعك الله كما ضيعتني حتى إذا كانت حيث شاء الله لفت كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجهه وقال ﷺ (٧) أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته وقال ابن مسعود رضي الله عنه وسلمان رضي الله عنه الصلاة مكيال فمن أوفى استوفى ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين

﴿ فضيلة الجماعة ﴾

قال ﷺ (٨) صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة وروى أبو هريرة أنه ﷺ فقد ناسا في بعض الصلوات فقال (٩) لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فأحرق بيوتهم وفي رواية أخرى ثم أخالف إلى رجال يتخلفون عنها فآمر بهم فتحرق عليهم بيوتهم بحزم الحطب ولو علم أحدهم أنه يجد عظما سمينا أو مرماتين لشهدها يعني صلاة العشاء وقال عثمان رضي الله عنه مرفوعا (١٠) من شهد العشاء فكأنما قام نصف ليلة ومن شهد الصبح فكأنما قام ليلة وقال ﷺ (١١) من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة وقال سعيد بن المسيب ما أذن مؤذن منذ عشرين سنة إلا وأنا في المسجد وقال محمد

---

(١) حديث مثل الصلاة المكتوبة كمثل الميزان من أوفى استوفى ابن المبارك في الزهد من حديث الحسن مرسلا وأسنده البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس باسناد فيه جهالة (٢) حديث يزيد الرقاشي كانت صلاة رسول الله ﷺ مستوية كأنها موزونة ابن المبارك في الزهد ومن طريقه أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة وهو مرسل ضعيف (٣) حديث ان الرجلين من أمتي ليقومان إلى الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد الحديث ابن المحبر في العقل من حديث أبي أيوب الأنصاري بنحوه وهو موضوع ورواه الحارث بن أبي اسامة في مسنده عن ابن المحبر (٤) حديث لا ينظر الله إلى عبد لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده أحمد من حديث أبي هريرة باسناد صحيح (٥) حديث أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة أن يحول الله وجهه وجه حمار ابن عدي في عوالي مشايخ مصر من حديث جابر بما يؤمنه اذا التفت في صلاته أن يحول الله عز وجل وجهه وجه كلب أو وجه خنزير قال منكر بهذا الاسناد وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الامام أن يجعل الله وجهه وجه حمار (٦) حديث من صلى الصلاة لوقتها فأسبغ وضوءها وأتم ركوعها وسجودها وخشوعها عرضت وهي بيضاء مسفرة تقول حفظك الله كما حفظتني الحديث طب في الأوسط من حديث أنس بسند ضعيف والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (٧) حديث أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي قتادة (٨) حديث صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة متفق عليه من حديث ابن عمر (٩) حديث أبي هريرة لقد هممت أن آمر رجلا يصلي بالناس ثم أخالف إلى رجال يتخلفون الحديث متفق عليه (١٠) حديث عثمان من شهد صلاة العشاء فكأنما قام نصف الليلة الحديث م من حديثه مرفوعا قال الترمذي وروي عن عثمان موقوفا (١١) حديث من صلى صلاة في جماعة فقد ملأ نحره عبادة لم أجده مرفوعا وانما هو من قول سعيد بن المسيب رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة

كثيرة فكيف يرى صاحب هذه المرتبة الاشياء شيأ واحداً ذلك على طريق قلب الاعيان فتعود الحوادث قديمة ثم تتحد بالواحد فترجع هي هو وفي هذا من الاستحالة والمروق عن مصدر العقل ما يغني عن اطالة القول فيه وان كان على طريق التخييل للولي لما لا حقيقة له فكيف يحتج به أو كيف يعد حالا لولي أو فضيلة لبشر (الجواب) عن ذلك ان الحوادث لم تنقلب إلى القدم ولم تتحد بالفاعل ولا اعترى الولي تخييل فتخيل ما لا حقيقة له وانما هو ولي مجتبي وصديق مرتضى خصه الله تعالى بمعرفته على سبيل اليقين والكشف التام وكشف لقلبه مالو رآه ببصره عيانا ما ازداد الا يقينا وان أنكرت أن يكون وهب الله المعرفة به على هذا السبيل أحدا من خلقه فما أعظم مصيبتك وما أعظم العزاء فيك حين فتشت الخلق بمعيارك وكلتهم

ابن

ابن واسع ما أشتهى من الدنيا إلا ثلاثة أخا ان تعوججت قوّمني وقوتا من الرزق عفوا من غير تبعة وصلاة فى جماعة يرفع عنى سهوها ويكتب لى فضلها وروى أن أبا عبيدة بن الجراح أمّ قوما مرة فلما انصرف قال مازال الشيطان بى آنفا حتى أريت أن لى فضلا على غيرى لا أؤم أبدا وقال الحسن لا تصلوا خلف رجل لا يختلف الى العلماء وقال النخعى مثل الذى يؤم الناس بغير علم مثل الذى يكيل الماء فى البحر لا يدرى زيادته من نقصانه وقال حاتم الأصم فاتتني الصلاة فى الجماعة فعزانى أبو إسحق البخارى وحده ولو مات لى ولد لعزانى أكثر من عشرة آلاف لأن مصيبة الدين أهون عند الناس من مصيبة الدنيا وقال ابن عباس رضى الله عنهما من سمع المنادى فلم يجب لم يرد خيرا ولم يرد به خير وقال أبو هريرة رضى الله عنه لأن تملأ أذن ابن آدم رصاصا مذابا خير له من أن يسمع النداء ثم لا يجيب وروى أن ميمون بن مهران أتى المسجد فقيل له ان الناس قد انصرفوا فقال إنا لله وإنا اليه راجعون لفضل هذه الصلاة أحب إلىّ من ولاية العراق وقال ﷺ (١) من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته فيها تكبيرة الاحرام كتب الله له براءتين براءة من النفاق وبراءة من النار ويقال انه اذا كان يوم القيامة يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدرى فتقول لهم الملائكة ما كانت أعمالكم فيقولون كنا اذا سمعنا الأذان قمنا الى الطهارة لا يشغلنا غيرها ثم تحشر طائفة وجوههم كالأقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضأ قبل الوقت ثم تحشر طائفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الأذان فى المسجد وروى أن السلف كانوا يعزون أنفسهم ثلاثة أيام اذا فاتتهم التكبيرة الأولى ويعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة

﴿ فضيلة السجود ﴾

قال رسول الله ﷺ (٢) ما تقرب العبد الى الله بشىء أفضل من سجود خفى وقال رسول الله ﷺ (٣) ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها سيئة وروى (٤) أن رجلا قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك وأن يرزقني مرافقتك فى الجنة فقال ﷺ أعنى بكثرة السجود وقيل (٥) أقرب ما يكون العبد من الله تعالى أن يكون ساجدا وهو معنى قوله عز وجل ﴿واسجد واقترب﴾ وقال عز وجل ﴿سيماهم فى وجوههم من أثر السجود﴾ فقيل هو ما يلتصق بوجوههم من الأرض عند السجود وقيل هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن على الظاهر وهو الأصح وقيل هى الغرر التى تكون فى وجوههم يوم القيامة من أثر الوضوء وقال ﷺ (٦) اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى ويقول ياويلاه أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلى النار ويروى عن على بن عبد الله بن عباس انه كان يسجد فى كل يوم ألف سجدة وكانوا يسمونه السجاد ويروى أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه كان لا يسجد إلا على التراب وكان يوسف بن أسباط يقول يامعشر الشباب بادروا بالصحة قبل المرض فما بقى أحد أحسده إلا رجل يتم ركوعه وسجوده وقد حيل بينى وبين ذلك وقال سعيد بن جبير ما آسى على شىء من الدنيا إلا على السجود وقال عقبة بن مسلم ما من خصلة فى العبد أحب الى الله عز وجل من رجل يحب لقاء الله عز وجل وما من ساعة العبد فيها

---

(١) حديث من صلى أربعين يوما الصلوات فى جماعة لا تفوته تكبيرة الاحرام الحديث ت من حديث أنس باسناد رجاله ثقات (٢) حديث ما تقرب العبد الى الله بشىء أفضل من سجود خفى ابن المبارك فى الزهد من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا (٣) حديث ما من مسلم يسجد لله سجدة إلا رفعه الله بها درجة وحط عنه بها خطيئة ه من حديث عبادة بن الصامت باسناد صحيح ولمسلم نحوه من حديث ثوبان وأبى الدرداء (٤) حديث ان رجلا قال لرسول الله ﷺ ادع الله أن يجعلنى من أهل شفاعتك ويرزقنى مرافقتك فى الجنة الحديث م من حديث ربيعة بن كعب الأسلمى نحوه وهو الذى سأله ذلك (٥) حديث ان أقرب ما يكون العبد الى الله أن يكون ساجدا م من حديث أبى هريرة (٦) حديث اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى الحديث م من حديث أبى هريرة

بمكيالك وفضلت نفسك على الجميع إذ لا سبب لاستئثارك ان صح إلا أنك تخيلت انه لم يرزق أحدا مالم ترزق أو يخص من المعرفة مالم تخص فاذا تقررت هذه القاعدة فصار ما كشف لقلبه لا يخرج منه وما اطلع عليه لا يغيب عنه وما ذكره من ذلك لا ينساه ولا فى حال نومه وشغله وهذا موجود فيمن كثر اهتمامه بشىء وثبت فى قلبه حاله أنه اذا نام أو اشتغل لم يفقده فى شغله ونومه كما لا يفقده فى يقظته وفراغه ولهذا والله أعلم اذا رأى الولى المتمكن فى رتبة الصديقين مخلوقا كان حيا أو جمادا صغيرا أو كبيرا لم يره من حيث هو هو وانما يراه من حيث أوجده الله تعالى بالقدرة وميزه بالارادة على سابق العلم القديم ثم أدام القهر عليه فى الوجود ثم لما كانت الصفات المشهودة آثارها فى المخلوقات ليست لغير الموصوف الذى هو الله عز وجل له ألهت الولى عن غيره وصار لم يرسواه ومعنى ذلك أنه لا يتميز بالذكر فى سر القلب

أقرب الى عز وجل منه حيث يخر ساجدا وقال أبو هريرة رضى الله عنه أقرب ما يكون العبد الى الله عز وجل اذا سجد فأكثروا الدعاء عند ذلك

﴿ فضيلة الخشوع ﴾

قال الله تعالى ﴿وأقم الصلاة لذكري﴾ وقال تعالى ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ وقال عز وجل لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون﴾ قيل سكارى من كثرة الهم وقيل من حب الدنيا وقال وهب المراد به ظاهره ففيه تنبيه على سكر الدنيا إذ بين فيه العلة فقال ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ وكم من مصل لم يشرب خمرا وهو لا يعلم ما يقول في صلاته وقال النبي ﷺ (١) من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه وقال النبي ﷺ (٢) انما الصلاة تمسكن وتواضع وتضرع وتأوه وتنادم وتضع يديك فتقول اللهم اللهم فمن لم يفعل فهي خداج وروى عن الله سبحانه في الكتب السالفة انه قال ليس كل مصل أتقبل صلاته انما أقبل صلاة من تواضع لعظمتي ولم يتكبر على عبادي وأطعم الفقير الجائع لوجهي وقال ﷺ (٣) انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله تعالى فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغي عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك وقال ﷺ للذي أوصاه (٤) واذا صليت فصل صلاة مودع أي مودع لنفسه مودع لهواه مودع لعمره سائر الى مولاه كما قال عز وجل ﴿يا أيها الانسان إنك كادح الى ربك كدحا فملاقيه﴾ وقال تعالى ﴿واتقوا الله ويعلمكم الله﴾ وقال تعالى ﴿واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه﴾ وقال ﷺ (٥) من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا والصلاة مناجاة فكيف تكون مع الغفلة وقال بكر بن عبد الله يا ابن آدم اذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن وتكلمه بلا ترجمان دخلت قيل وكيف ذلك قال تسبغ وضوءك وتدخل محرابك فاذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان وعن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله ﷺ (٦) يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه اشتغالا بعظمة الله عز وجل وقال صلى الله عليه وسلم (٧) لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه وكان ابراهيم الخليل اذا قام الى الصلاة يسمع وجيب قلبه على ميلين وكان سعيد التنوخي اذا صلى لم تنقطع الدموع من خديه

(١) حديث من صلى ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا غفر له ما تقدم من ذنبه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث صلة بن أشيم مرسلا وهو في الصحيحين من حديث عثمان بزيادة في أوله دون قوله بشيء من الدنيا وزاد طس إلا بخير (٢) حديث انما الصلاة تمسكن ودعاء وتضرع الحديث ت ن بنحوه من حديث الفضل بن عباس باسناد مضطرب (٣) حديث انما فرضت الصلاة وأمر بالحج والطواف وأشعرت المناسك لاقامة ذكر الله د ت من حديث عائشة نحوه دون ذكر الصلاة قال ت حسن صحيح (٤) حديث اذا صليت فصل صلاة مودع ابن ماجه من حديث أبي أيوب و ك من حديث سعد بن أبي وقاص وقال صحيح الاسناد والبيهقي في الزهد من حديث ابن عمرو من حديث أنس بنحوه (٥) حديث من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا * على بن معبد في كتاب الطاعة والمعصية من حديث الحسن مرسلا باسناد صحيح ورواه طب وأسنده ابن مردويه في تفسيره من حديث ابن عباس باسناد لين والطبراني من قول ابن مسعود من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر الحديث واسناده صحيح (٦) حديث عائشة كان رسول الله ﷺ يحدثنا ونحدثه فاذا حضرته الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه الأزدي في الضعفاء من حديث سويد بن غفلة مرسلا كان النبي ﷺ اذا سمع الأذان كأنه لا يعرف أحدا من الناس (٧) حديث لا ينظر الله الى صلاة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع بدنه لم أجده بهذا اللفظ وروى محمد بن نصر في كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبي دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي بن كعب واسناده ضعيف

وخير المعرفة ولا بالادراك في ظاهر الحس دون ما كان موجودا به وصار عنه فانيا فبعد هذا على من أصحبه أن لا يحتاج اليها مع هذا الوضوح ولا فهم إلا بالله ولا شرح إلا منه ولا نور إلا من عنده وله الحول والقوة وهو العلي العظيم ﴿ فصل ﴾ وأما معنى إفشاء سر الربوبية كفر فيخرج على وجهين أحدهما أن يكون المراد به كفرا دون كفر ويسمى بذلك تعظيما لما أتى به المفشي وتعظيما لما ارتكبه * ويعترض هذا بأن يقال لا يصح أن يسمى هذا كفرا لانه ضد الكفر إذ الكفر الذي سمى على معناه ساتر وهذا المفشي للسر ناشر وأين النشر والاظهار من التغطية والاعلان من الكتم واندفاع هذا هين بان يقال ليس الكفر الشرعي تابع الاشتقاق وانما هو حكم لمخالفة الأمر وارتكاب النهي فمن رد إحسان محسن او جحد نعمة متفضل فيقال عليه كافر الجهتين

على لحيته ورأى رسول الله ﷺ (١) رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه و يروى أن الحسن نظر الى رجل يعبث بالحصى و يقول اللهم زوجنى الحور العين فقال بئس الخاطب أنت تخطب الحور العين وأنت تعبث بالحصى وقيل لخلف بن أيوب ألا يؤذيك الذباب فى صلاتك فتطردها قال لا أعود نفسى شيأ يفسد على صلاتى قيل له وكيف تصبر على ذلك قال بلغنى أن الفساق يصبرون تحت أسواط السلطان ليقال فلان صبور و يفتخرون بذلك فانا قائم بين يدى ربى أفأتحرك لذبابة و يروى عن مسلم بن يسار أنه كان اذا أراد الصلاة قال لأهله تحدثوا أنتم فانى لست أسمعكم و يروى عنه أنه كان يصلى يوما فى جامع البصرة فسقطت ناحية من المسجد فاجتمع الناس لذلك فلم يشعر به حتى انصرف من الصلاة وكان على بن أبى طالب رضى الله عنه وكرم وجهه اذا حضر وقت الصلاة يتزلزل و يتلون وجهه فقيل له مالك ياأمير المؤمنين فيقول جاء وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها و يروى عن على بن الحسين أنه كان اذا توضأ أصفر لونه فيقول له أهله ماهذا الذى يعتريك عند الوضوء فيقول أتدرون بين يدى من أريد أن أقوم و يروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال قال داود ﷺ فى مناجاته إلهى من يسكن بيتك وممن تتقبل الصلاة فأوحى الله اليه ياداود انما يسكن بيتى وأقبل الصلاة منه من تواضع لعظمتى وقطع نهاره بذكرى وكف نفسه عن الشهوات من أجلى يطعم الجائع و يؤوى الغريب و يرحم المصاب فذلك الذى يضيء نوره فى السموات كالشمس ان دعانى لبيته وان سألنى أعطيته أجعل له فى الجهل حلما وفى الغفلة ذكرا وفى الظلمة نورا وانما مثله فى الناس كالفردوس فى أعلى الجنان لاتيبس أنهارها ولا تتغير ثمارها و يروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته فقال اذا حانت الصلاة أسبغت الوضوء وأتيت الموضع الذى أريد الصلاة فيه فأقعد فيه حتى تجتمع جوارحى ثم أقوم الى صلاتى وأجعل الكعبة بين حاجبى والصراط تحت قدمى والجنة عن يمينى والنار عن شمالى وملك الموت ورائى واظنها آخر صلاتى ثم أقوم بين الرجاء والخوف وأكبر تكبيرا بتحقيق وأقرأ قراءة بترتيل وأركع ركوعا بتواضع وأسجد سجودا بتخشع وأقعد على الورك الأيسر وأفرش ظهر قدمها وأنصب القدم اليمنى على الابهام وأتبعها الاخلاص ثم لاأدرى أقبلت منى أم لا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ركعتان مقتصدتان فى تفكر خير من قيام ليلة والقلب ساه

﴿ فضيلة المسجد وموضع الصلاة ﴾

قال الله عز وجل ﴿ انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر ﴾ وقال ﷺ (٢) من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له قصرا فى الجنة وقال ﷺ (٣) من ألف المسجد ألفه الله تعالى وقال ﷺ (٤) اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس وقال ﷺ (٥) لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد وقال ﷺ (٦) الملائكة تصلى على أحدكم مادام فى مصلاه الذى يصلى فيه تقول اللهم صل عليه اللهم ارحمه اللهم اغفر له مالم يحدث أو يخرج من المسجد وقال ﷺ (٧) يأتى فى آخر الزمان ناس من أمتى يأتون المساجد

(١) حديث رأى رجلا يعبث بلحيته فى الصلاة فقال لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه ت الحكيم فى النوادر من حديث أبى هريرة بسند ضعيف والمعروف أنه من قول سعيد بن المسيب رواه ابن أبى شيبة فى المصنف وفيه رجل لم يسم (٢) حديث من بنى لله مسجدا ولو مثل مفحص قطاة الحديث ه من حديث جابر بسند صحيح وابن حبان من حديث أبى ذر وهو متفق عليه من حديث عثمان دون قوله ولو مثل مفحص القطاة (٣) حديث من ألف المسجد ألفه الله تعالى طب فى الأوسط من حديث أبى سعيد بسند ضعيف (٤) حديث اذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل ان يجلس متفق عليه من حديث ابى قتادة (٥) حديث لا صلاة لجار المسجد الا فى المسجد الدارقطنى من حديث جابر وابى هريرة باسنادين ضعيفين وك من حديث ابى هريرة (٦) حديث الملائكة تصلى على احدكم مادام فى مصلاه الحديث متفق عليه من حديث ابى هريرة (٧) حديث يأتى

يوجب عقوبة والشرع قد ورد بشكر النعم فافهم ولا تذهب مع الألفاظ ولا يغرنك العبارات ولا تحجبك التسميات وتفطن لخداعتها واحترس من استدراجها فاذا من أظهر ما أمر بكتمه كان ككن كتم ما أمر بنشره وفى مخالفة الأمر فيهما حكم واحد على هذا الاعتبار ويدل على ذلك من جهة الشرع قوله صلى الله عليه وسلم لاتحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم وفى ارتكاب النهى عصيان و يسمى فى باب القياس على المذكور كفران البدن وقسمة أخرى وذلك ان العلم ان حلل الى ماعلم من أجزائه بالاستقراء فرأس الانسان تشابه سماء العالم من حيث ان كل ماعلا فهو سماء وحواسه تشابه الكواكب والنجوم من حيث ان الكواكب أجسام مشفة تستمد من نور الشمس فتقضىء بها

فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وقال ﷺ قال الله عز وجل في بعض الكتب (١) ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وقال ﷺ (٢) اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال سعيد بن المسيب من جلس في المسجد فانما يجالس ربه فما حقه أن يقول الاخيرا ويروى في الاثر أو الخبر (٣) الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهائم الحشيش وقال النخعي كانوا يرون أن المشي في الليلة المظلمة الى المسجد موجب للجنة * وقال أنس بن مالك من أسرج في المسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش يستغفرون له ما دام في ذلك المسجد ضوؤه وقال علي كرم الله وجهه اذا مات العبد يبكي عليه مصلاه من الأرض ومصعد عمله من السماء ثم قرأ فما بكت عليهم السماء والارض وما كانوا منظرين وقال ابن عباس تبكي عليه الارض أربعين صباحا وقال عطاء الخرساني ما من عبد يسجد لله سجدة في بقعة من بقاع الارض الا شهدت له يوم القيامة وبكت عليه يوم يموت وقال أنس بن مالك ما من بقعة يذكر الله تعالى عليها بصلاة أو ذكر الا افتخرت على ما حولها من البقاع واستبشرت بذكر الله عز وجل الى منتهاها من سبع أرضين وما من عبد يقوم يصلي الا تزخرفت له الارض ويقال ما من منزل ينزل فيه قوم الا أصبح ذلك المنزل يصلي عليهم أو يلعنهم

﴿ الباب الثاني في كيفية الاعمال الظاهرة من الصلاة والبداءة بالتكبير وما قبله ﴾

ينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء والطهارة من الخبث في البدن والمكان والثياب وستر العورة من السرة الى الركبة أن ينتصب قائما متوجها الى القبلة ويزاوج بين قدميه ولا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به على فقه الرجل وقد نهى ﷺ (٤) عن الصفن والصفد في الصلاة والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى ﴿مقرنين في الاصفاد﴾ والصفن هو رفع احدى الرجلين ومنه قوله عز وجل ﴿الصافنات الجياد﴾ هذا ما يراعيه في رجليه عند القيام ويراعي في ركبتيه ومعقد نطاقه الا نتصاب وأما رأسه ان شاء تركه على استواء القيام وان شاء أطرق والاطراق أقرب للخشوع وأغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي عليه فان لم يكن له مصلى فليقرب من جدار الحائط أو ليخط خطا فان ذلك يقصر مسافة البصر ويمنع تفرق الفكر وليحجر على بصره أن يجاوز أطراف المصلى وحدود الخط وليدم على هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا أدب القيام فاذا استوى قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرأ قل أعوذ برب الناس تحصنا به من الشيطان ثم ليأت بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدى به فليؤذن أولا ثم ليحضر النية وهو أن ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه أؤدي فريضة الظهر لله ليميزها بقوله أؤدي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن العصر وغيره ولتكن معاني هذه الألفاظ حاضرة في قلبه فانه هو النية والالفاظ مذكرات وأسباب لحضورها ويجتهد أن يستديم ذلك

في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا حلقا ذكرهم الدنيا الحديث ابن حبان من حديث ابن مسعود و لك من حديث أنس وقال صحيح الاسناد (١) حديث قال الله تعالى ﴿ان بيوتي في أرضي المساجد﴾ وان زواري فيها عمارها الحديث أبو نعيم من حديث أبي سعيد بسند ضعيف يقول الله عز وجل يوم القيامة أين جيراني فتقول الملائكة من هذا الذي ينبغي له أن يجاورك فيقول أين قراء القرآن وعمار المساجد وهو في الشعب نحوه موقوفا على أصحاب رسول الله ﷺ باسناد صحيح وأسند ابن حبان في الضعفاء آخر الحديث من حديث سلمان وضعفه (٢) حديث اذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالايمان ت وحسنه و ه و لك وصححه من حديث أبي سعيد (٣) حديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش لم أقف له على أصل

﴿ الباب الثاني ﴾

(٤) حديث النهي عن الصفن والصفد في الصلاة عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده ولا عند غيره وانما ذكره

فضياء العالم ونور نباته وحركة ضواربه وحيوانه وحياته فيها تظهر بتلك الشمس وكذلك روح الانسان به حصل في الظاهر نمو أجزاء بدنه ونبات شعره وحلول حياته وجعلت الشمس وسط العالم وهي تطلع بالنهار وتغرب بالليل وجعلت الروح وسط جسم الانسان وهي تغيب بالنوم وتطلع باليقظة ونفس الانسان تشابه القمر من حيث ان القمر يستمد من الشمس ونفسه تستمد من الروح والقمر خالف الشمس والروح خالف النفس والقمر آية ممحوة والنفس مثلها ومحو القمر في آن لا يكون ضياؤه منه ومحو النفس في آن ليس عقلها منها ويعتري الشمس والقمر وسائر الكواكب كسوف وتعتري النفس والروح وسائر الحواس غيب

إلى آخر التكبير حتى لا يعزب فإذا حضر في قلبه ذلك (١) فليرفع يديه إلى حذو منكبيه بعد ارسالهما بحيث يحاذي بكفيه منكبيه وبإبهاميه شحمتي أذنيه وبرؤس أصابعه رؤس أذنيه ليكون جامعا بين الاخبار الواردة فيه ويكون مقبلا بكفيه وإبهاميه الى القبلة ويبسط الأصابع ولا يقبضها ولا يتكلف فيها تفريجا ولا ضما بل يتركها على مقتضى طبعها اذ نقل في الاثر النشر والضم (٢) وهذا بينهما فهو أولى وإذا استقرت اليدان في مقرهما ابتدأ التكبير مع ارسالهما واحضار النية ثم يضع اليدين على ما فوق السرة وتحت الصدر ويضع اليمنى على اليسرى اكراما لليمنى بأن تكون محمولة وينشر المسبحة والوسطى من اليمنى على طول الساعد ويقبض بالابهام والخنصر والبنصر على كوع اليسرى وقد روى (٣) ان التكبير مع رفع اليدين ومع (٤) استقرارهما ومع الارسال (٥) فكل ذلك لا حرج فيه وأراه بالارسال أليق فانه كلمة العقد ووضع احدى اليدين على الاخرى في صورة العقد ومبدؤه الارسال وآخره الوضع ومبدأ التكبير الالف وآخره الراء فيليق مراعاة التطابق بين الفعل والعقد وأما رفع اليد فكالمقدمة لهذه البداية ثم لا ينبغي ان يرفع يديه الى قدام رفعا عند التكبير ولا يردهما الى خلف منكبيه ولا ينفضهما عن يمين وشمال نفضا إذا فرغ من التكبير ويرسلهما ارسالا خفيفا رفيقا ويستأنف وضع اليمين على الشمال بعد الارسال وفي بعض الروايات انه ﷺ (٦) كان اذا كبر أرسل يديه واذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى فان صح هذا فهو أولى مما ذكرناه وأما التكبير فينبغي ان يضم الهاء من قوله الله ضمة خفيفة من غير مبالغة ولا يدخل بين الهاء والالف شبه الواو وذلك ينساق اليه بالمبالغة ولا يدخل بين باء أكبر وراثه ألفا كأنه يقول أكبار ويجزم راء التكبير ولا يضمها فهذه هيئة التكبير وما معه ﴿القراءة﴾ ثم يبتدئ بدعاء الاستفتاح وحسن أن (٧) يقول عقب قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا (٨) وجهت وجهي إلى قوله وأنا من المسلمين ثم يقول (٩) سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وجل ثناؤك ولا إله غيرك ليكون جامعا بين متفرقات ما ورد في الاخبار وان كان خلف الامام اختصر ان لم يكن للامام سكتة طويلة

أصحاب الغريب كابن الأثير في النهاية وروى سعيد بن منصور أن ابن مسعود رأى رجلا صفا أو صافنا قدميه فقال اخطأ هذا السنة (١) حديث رفع اليدين الى حذو المنكبين وورد الى شحمة أذنيه وورد الى رؤس أذنيه متفق عليه من حديث ابن عمر باللفظ الأول ود من حديث وائل بن حجر باسناد ضعيف إلى شحمة أذنيه ولمسلم من حديث مالك بن الحويرث فروع أذنيه (٢) حديث نشر الأصابع عند الافتتاح ونقل ضمها وقال عطاء وابن خزيمة من حديث أبي هريرة والبيهقي لم يفرج بين أصابعه ولم يضمها ولم أجد التصريح بضم الاصابع (٣) حديث التكبير مع رفع اليدين البخاري من حديث ابن عمر كان يرفع يديه حين يكبر ولأبي داود من حديث وائل يرفع يديه مع التكبير (٤) حديث التكبير مع استقرار اليدين أي مرفوعتين مسلم من حديث ابن عمر كان اذا قام الى الصلاة رفع يديه حتى يكونا حذو منكبيه ثم كبر زاد د وهما كذلك (٥) حديث التكبير مع ارسال اليدين د من حديث أبي حميد كان إذا قام الى الصلاة يرفع يديه حتى يحاذي بهما منكبيه ثم كبر حتى يقر كل عظم في موضعه معتدلا قال ابن الصلاح في المشكل فكلمة حتى التي هي للغاية تدل بالمعنى على ما ذكره أي من ابتداء التكبير مع الارسال (٦) حديث كان إذا كبر أرسل يديه فإذا أراد أن يقرأ وضع اليمنى على اليسرى الطبراني من حديث معاذ باسناد ضعيف (٧) حديث انه يقول بعد قوله الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا م من حديث ابن عمر قال بينا نحن نصلي مع رسول الله ﷺ إذ قال رجل من القوم الله أكبر كبيرا الحديث وده من حديث جبير بن مطعم انه رأى رسول الله ﷺ يصلي صلاة قال الله أكبر كبيرا الحديث (٨) حديث دعاء الاستفتاح وجهت وجهي الحديث م من حديث علي (٩) حديث سبحانك اللهم وبحمدك الحديث في الاستفتاح أيضا د ت ك وصححه من حديث عائشة وضعفه ت قط ورواه م موقوفا على عمر وعند هق من حديث جابر الجمع بين وجهت وبين سبحانك اللهم

وذهول وفي العالم نبات ومياه ورياح وجبال وحيوان وفي الانسان نبات وهو الشعر ومياه وهو العروق والدموع والريق والدم وفيه جبال وهي العظام وحيوان وهي هوام الجسم فحصلت المشابهة على كل حال ولما كانت اجزاء العالم كثيرة ومنها ما هي لنا غير معروفة ولا معلومة كان في استقصاء مقابلة جميعها تطويل وفيما ذكرناه ما يحصل به لذوي العقول تشبيه وتمثيل فان قلت أراك فرقت بين النفس والروح وجعلت كل واحد منهما غير الآخر وهذا لما تساعد عليه إذ قد كثر الخلاف في ذلك فاعلم انه انما على الانسان أن يبني كلامه على ما يعلم لا على ما يجهل وأنت لو علمت النفس والروح علمت أنهما اثنان فان قلت فقد سبق في الاحياء أنهما شيء واحد وقلت في هذه الاجابة إن النفس من أسماء الروح فالذي سبق في الاحياء ورأيت في هذه الاجابة وهو

يقرأ فيها ثم يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم يقرأ الفاتحة يبتدي فيها ببسم الله الرحمن الرحيم بتمام تشديداتها وحروفها ويجتهد في الفرق بين الضاد والظاء و يقول آمين في آخر الفاتحة و يمدها مدا ولا يصل آمين بقوله ولا الضالين وصلا ويجهر بالقراءة في الصبح والمغرب والعشاء إلا أن يكون مأموما ويجهر بالتأمين ثم يقرأ السورة أو قدر ثلاث آيات من القرآن فما فوقها ولا يصل الى آخر السورة بتكبير الهوي بان يفصل بينهما بقدر قوله سبحان الله و يقرأ في الصبح من السور الطوال من المفصل وفي المغرب من قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج وما قاربها وفي الصبح في السفر قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكذلك في ركعتي الفجر والطواف والتحية وهو في جميع ذلك مستديم للقيام ووضع اليدين كما وصفنا في أول الصلاة

﴿ الركوع ولواحقه ﴾

ثم يركع ويراعي فيه أمورا وهو أن يكبر للركوع وأن يرفع يديه مع تكبيرة الركوع وأن يمد التكبير مدا إلى الانتهاء الى الركوع وأن يضع راحتيه على ركبتيه في الركوع وأصابعه منشورة موجهة نحو القبلة على طول الساق وان ينصب ركبتيه ولا يثنيهما وأن يمد ظهره مستويا وان يكون عنقه ورأسه مستويين مع ظهره كالصفيحة الواحدة لا يكون رأسه أخفض ولا أرفع وان يجافي مرفقيه عن جنبيه وتضم المرأة مرفقيها الى جنبيها وان يقول سبحان ربي العظيم ثلاثا والزيادة الى السبعة والى العشر حسن ان لم يكن اماما ثم يرتفع من الركوع الى القيام و يرفع يديه و يقول سمع الله لمن حمده و يطمئن في الاعتدال و يقول ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد ولا يطول هذا القيام إلا في صلاة التسبيح والكسوف والصبح (١) ويقنت في الصبح في الركعة الثانية بالكلمات المأثورة قبل السجود

﴿ السجود ﴾

ثم يهوي إلى السجود مكبرا فيضع ركبتيه على الأرض و يضع جبهته وأنفه وكفيه مكشوفة و يكبر عند الهوي ولا يرفع يديه في غير الركوع و ينبغي أن يكون أول ما يقع منه على الأرض ركبتاه وان يضع بعدهما يديه ثم يضع بعدهما وجهه وان يضع جبهته وأنفه على الارض وان يجافي مرفقيه عن جنبيه ولا تفعل المرأة ذلك وان يفرج بين رجليه ولا تفعل المرأة ذلك وأن يكون في سجوده مخويا على الأرض ولا تكون المرأة مخوية والتخوية رفع البطن عن الفخذين والتفريج بين الركبتين وأن يضع يديه على الأرض حذاء منكبيه ولا يفرج بين أصابعهما بل يضمهما و يضم الابهام اليهما وان لم يضم الابهام فلا بأس (٢) ولا يفترش ذراعيه على الارض كما يفترش الكلب فانه منهي عنه وان يقول سبحان ربي الأعلى ثلاثا فان زاد فحسن الا أن يكون اماما ثم يرفع من السجود فيطمئن جالسا معتدلا فيرفع رأسه مكبرا ويجلس على رجله اليسرى وينصب قدمه اليمنى و يضع يديه على فخذيه والاصابع منشورة ولا يتكلف ضمها ولا تفريجها و يقول رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني واجبرني وعافني واعف عني ولا يطول هذه الجلسة الا في سجود التسبيح و يأتي بالسجدة الثانية كذلك و يستوي منها جالسا جلسة خفيفة للاستراحة في كل ركعة لا تشهد عقيبها ثم يقوم فيضع اليد على الارض ولا يقدم احدى رجليه في حال الارتفاع و يمد التكبير حتى يستغرق ما بين وسط ارتفاعه من القعود الى وسط ارتفاعه الى القيام بحيث تكون الهاء من قوله الله عند استوائه جالسا وكاف أكبر عند اعتماده على اليد للقيام وراء أكبر في وسط ارتفاعه الى القيام ويبتدئ في وسط ارتفاعه الى القيام حتى يقع التكبير في وسط انتقاله ولا يخلو عنه الاطرفاه وهو أقرب الى التعميم و يصلي الركعة الثانية كالاولى و يعيد التعوذ كالابتداء

﴿ التشهد ﴾

(١) حديث القنوت في الصبح بالكلمات المأثورة هو من حديث ابن عباس كان النبي ﷺ يقنت صلاة في الصبح وفي وتر الليل بهؤلاء الكلمات اللهم اهدني فيمن هديت الحديث دت وحسنه ون من حديث الحسن أن النبي ﷺ كان يعلمه هؤلاء الكلمات يقولهن في الوتر واسناده صحيح

(٢) حديث النهي عن أن يفرش ذراعيه على الأرض كما يفرش الكلب متفق عليه من حديث أنس

يكون لها معنى آخر ينفرد باسم النفس فقط ولا يسمى بروح ولا غير ذلك فهذا آخر الكلام في أحد وجهي الاضافة التي في ضمير صورته والوجه الآخر وهو أن من حمل إضافة الصورة الى الله تعالى على معنى التخصيص به فذلك لأن الله سبحانه نبأ بانه حي قادر سميع بصير عالم مريد متكلم فاعل وخلق آدم عليه السلام حيا قادرا عالما سميعا بصيرا مريدا متكلما فاعلا وكانت لآدم عليه السلام صورة محسوسة مكنونة مخلوقة مقدرة بالفعل وهي لله تعالى مضافة باللفظ وذلك ان هذه الأسماء لم تجتمع مع صفات آدم الا في الأسماء التي هي عبارة تلفظ فقط ولا يفهم من ذلك نفي الصفات فليس هو مرادنا و إنما مرادنا تباين ما بين

ثم

ثم يتشهد فى الركعة الثانية التشهد الأول ثم يصلي على رسول الله ﷺ وعلى آله و يضع يده اليمني على فخذه اليمني و يقبض أصابعه اليمني إلا المسبحة ولا بأس بارسال الابهام أيضا و يشير بمسبحة يمناه وحدها عند قوله الا الله لا عند قوله لا إله و يجلس فى هذا التشهد على رجله اليسرى كما بين السجدتين وفى التشهد الأخير يستكمل (١) الدعاء المأثور بعد الصلاة على النبي ﷺ وسننه كسنن التشهد الأول لكن يجلس فى الأخير على وركه الأيسر لانه ليس مستوفزا للقيام بل هو مستقر و يضجع رجله اليسرى خارجة من تحته و ينصب اليمني و يضع رأس الابهام الى جهة القبلة ان لم يشق عليه ثم يقول السلام عليكم ورحمة الله و يلتفت يمينا بحيث يرى خده الأيمن من وراءه من الجانب اليمين و يلتفت شمالا كذلك و يسلم تسليمة ثانية و ينوى الخروج من الصلاة بالسلام و ينوى بالسلام من على يمينه من الملائكة و المسلمين فى الاولى و ينوى مثل ذلك فى الثانية (٢) و يجزم التسليم ولا يمده مدا فهو السنة وهذه هيئة صلاة المنفرد و يرفع صوته بالتكبيرات ولا يرفع صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه و ينوى الامام الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل الجماعة و يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد و يجهر بالفاتحة والسورة فى جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب وكذلك المنفرد و يجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية وكذلك المأموم و يقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا و يسكت الامام سكتة عقيب الفاتحة ليثوب اليه نفسه و يقرأ المأموم الفاتحة فى الجهرية فى هذه السكتة ليتمكن من الاستماع عند قراءة الامام ولا يقرأ المأموم السورة فى الجهرية إلا اذا لم يسمع صوت الامام و يقول الامام سمع الله لمن حمده عند رفع رأسه من الركوع وكذا المأموم ولا يزيد الامام على الثلاث فى تسبيحات الركوع والسجود ولا يزيد فى التشهد الأول بعد قوله اللهم صل على محمد وعلى آل محمد و يقتصر فى الركعتين الأخيرتين على الفاتحة ولا يطول على القوم ولا يزيد على دعائه فى التشهد الأخير على قدر التشهد والصلاة على رسول الله ﷺ و ينوى عند السلام السلام على القوم والملائكة و ينوى القوم بتسليمهم جوابه و يثبت الامام ساعة حتى يفرغ الناس من السلام و يقبل على الناس بوجهه والأولى أن يثبت ان كان خلف الرجال نساء لينصرفن قبله ولا يقوم واحد من القوم حتى يقوم و ينصرف الامام حيث يشاء عن يمينه وشماله واليمين أحب إلى ولا يخص الامام نفسه بالدعاء فى قنوت الصبح بل يقول اللهم اهدنا و يجهر به و يؤمن القوم و يرفعون أيديهم حذاء الصدور و يمسح الوجه عند ختم الدعاء لحديث نقل فيه و إلا فالقياس أن لا يرفع اليد كما فى آخر التشهد

﴿ المنهيات ﴾

نهى رسول الله ﷺ عن الصفن فى الصلاة والصفد وقد ذكرناهما وعن الاقعاء (٣) وعن السدل (٤) والكف (٥) وعن الاختصار (٦) وعن الصلب (٧) وعن المواصلة (٨)

---

(١) حديث الدعاء المأثور بعد التشهد م من حديث علي فى دعاء الاستفتاح قال ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد و التسليم اللهم اغفر لى ما قدمت الحديث وفى الصحيحين من حديث عائشة اذا تشهد أحدكم فليستعذ بالله من أربع من عذاب جهنم الحديث وفى الباب غير ذلك جمعها فى الأصل (٢) حديث جزم السلام سنة د ت من حديث أبى هريرة و قال حسن صحيح وضعفه ابن القطان (٣) حديث النهى عن الاقعاء ت ه من حديث علي بسند ضعيف لا تقع بين السجدتين و م من حديث عائشة كان ينهى عن عقبة الشيطان و ك من حديث سمرة وصححه نهى عن الاقعاء (٤) حديث النهى عن السدل فى الصلاة د ت ك وصححه من حديث أبى هريرة (٥) حديث النهى عن الكفت فى الصلاة متفق عليه من حديث ابن عباس أمرنا النبي ﷺ أن نسجد على سبعة أعظم ولا نكفت شعرا ولا ثوبا (٦) حديث النهى عن الاختصار د ك وصححه من حديث أبى هريرة وهو متفق عليه بلفظ نهى أن يصلى الرجل مختصرا (٧) حديث النهى عن الصلب فى الصلاة د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٨) حديث النهى عن المواصلة عزاه رزين الى ت، ولم

الصورتين بأبعد وجوه الامكان حتى لم تجتمع مع صفات الله تعالى إلا فى الأسماء الملفوظ بها الا غير وفرارا أن تثبت صورة لله تعالى و يطلق عليها حالة الوجود فافهم هذا فانه من أدق ما يقرع سمعك و يلج قلبك و يظهر لعقلك ولهذا قيل لك فان كنت تعتقد الصورة الظاهرة ومعناه ان حملت إحدى الصورتين على الأخرى فى الوجود تكن مشبها مطلقا ومعناه تيقن أنك من المشبهين لا من المنزهين على نفسك بالتشبيه معتقدا ولا تنكر كما قيل كن يهوديا صرفا و إلا فلا تلعب بالتوراة أى تتلبس بدينهم وتريد أن لا تنسب اليهم أى تقرأ التوراة ولا تعمل بها وان كنت تعتقد الصورة الباطنة منزها مجللا ومقدسا مخلصا أى ليس تعتقد من الاضافة فى الضمير الى الله تعالى الا الأسماء دون المعانى فتلك المعانى المسماة لا يقع عليها اسم صورة على حال وقد حفظ عن الشبلي رحمة الله عليه فى معني ما ذكرناه من

قلت فكذا قال ابن قتيبة فى كتابه المعروف بناقض الحديث حين قال هو صورة لا كالصور فلم أخذ عليه فى ذلك وأقيمت عليه الشناعة به واطرح قوله ولم يرضه أكثر العلماء وأهل التحقيق فاعلم أن الذى ارتكبه ابن قتيبة عفا الله عنه نحن أشد إعراضا عنه وأبلغ فى الانكار عليه وأبعد الناس عن تسويغ قوله وليس هو الذى ألممنا نحسن به وأفند ناك بحول الله وقوته إياه بل يدل منك أنك لم تفهم غرضنا وذهلت عن تعقل مرادنا ولم تفرق بين قولنا وبين ماقاله ابن قتيبة ألم أخبرك أننا أثبتنا الصورة فى التسميات وهو أثبتها حالة للذات فأين من لب الجوز قشور تفرقع والذى يغلب على الظن فى ابن قتيبة انه لم يقرع سمعه هذه الدقائق التى أشرنا

وعن صلاة الحاقن (١) والحاقب (٢) والحاذق (٣) وعن صلاة الجائع والغضبان والملتثم (٤) وهو ستر الوجه أما الاقعاء فهو عند أهل اللغة أن يجلس على وركيه وينصب ركبتيه ويجعل يديه على الأرض كالكلب وعند أهل الحديث أن يجلس على ساقيه جاثيا وليس على الأرض منه إلا رؤس أصابع الرجلين والركبتين * وأما السدل فمذهب أهل الحديث فيه أن يلتحف بثوبه ويدخل يديه من داخل فيركع ويسجد كذلك وكان هذا فعل اليهود فى صلاتهم فنهوا عن التشبيه بهم والقميص فى معناه فلا ينبغى أن يركع ويسجد ويداه فى بدن القميص وقيل معناه أن يضع وسط الازار على رأسه ويرسل طرفيه عن يمينه وشماله من غير أن يجعلهما على كتفيه والاول أقرب وأما الكف فهو أن يرفع ثيابه من بين يديه أو من خلفه اذا أراد السجود وقد يكون الكف فى شعر الرأس فلا يصلين وهو عاقص شعره والنهى للرجال وفى الحديث (٥) أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكف شعرا ولا ثوبا وكره أحمد بن حنبل رضى الله عنه أن يأتزر فوق القميص فى الصلاة ورآه من الكف * وأما الاختصار فان يضع يديه على خاصرتيه * وأما الصلب فأن يضع يديه على خاصرتيه * فى القيام ويجافى بين عضديه فى القيام * وأما المواصلة فهى خمسة اثنان على الامام أن لا يصل قراءته بتكبيرة الاحرام ولا ركوعه بقراءته واثنان على المأموم أن لا يصل تكبيرة الاحرام بتكبيرة الامام ولا تسليمه بتسليمه وواحدة بينهما أن لا يصل تسليمة الفرض بالتسليمة الثانية وليفصل بينهما * وأما الحاقن فمن البول والحاقب من الغائط والحاذق صاحب الخف الضيق فان كل ذلك يمنع من الخشوع وفى معناه الجائع والمهتم وفهم نهى الجائع من قوله ﷺ (٦) اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء إلا أن يضيق الوقت أو يكون ساكن القلب وفى الخبر (٧) لا يدخلن أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان وقال الحسن كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهى الى العقوبة أسرع وفى الحديث (٨) سبعة أشياء فى الصلاة من الشيطان الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والحكاك والالتفات والعبث بالشىء وزاد بعضهم السهو والشك وقال بعض السلف أربعة فى الصلاة من الجفاء الالتفات ومسح

أجده عنده وقد فسره الغزالى بوصل القراءة بالتكبير ووصل القراءة بالركوع وغير ذلك وقد روى د ت وحسنه وابن ماجه من حديث سمرة سكتتان حفظتهما عن رسول الله ﷺ اذا دخل فى صلاته فاذا فرغ من قراءته واذا فرغ من قراءة القرآن وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة كان يسكت بين التكبير والقراءة اسكاتة الحديث (١) حديث النهى عن صلاة الحاقن ه و قط من حديث أبى أمامة أن رسول الله ﷺ نهى أن يصلى الرجل وهو حاقن و د من حديث أبى هريرة لا يحل لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصلى وهو حاقن وله و ت وحسنه نحوه من حديث ثوبان وم من حديث عائشة لا صلاة بحضرة طعام ولا وهو يدافعه الاخبثان (٢) حديث النهى عن صلاة الحاقب لم أجده بهذا اللفظ وفسره المصنف تبعا للأزهرى بمدافعة الغائط وفيه حديث عائشة الذى قبل هذا (٣) حديث النهى عن صلاة الحاذق عزاه رزين الى ت ولم أجده عنده والذى ذكره أصحاب الغريب حديث لا أرى الحاذق وهو صاحب الخف الضيق (٤) حديث النهى عن التلثم فى الصلاة د ه من حديث أبى هريرة بسند حسن نهى أن يغطى الرجل فاه فى الصلاة ر واه الحاكم وصححه قال الخطابى هو التلثم على الأفواه (٥) حديث أمرت أن أسجد على سبعة أعضاء ولا أكفت شعرا ولا ثوبا متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء متفق عليه من حديث ابن عمر وعائشة (٧) حديث لا يدخل أحدكم الصلاة وهو مقطب ولا يصلين أحدكم وهو غضبان لم أجده (٨) حديث سبعة أشياء من الشيطان فى الصلاة الرعاف والنعاس والوسوسة والتثاؤب والالتفات وزاد بعضهم السهو والشك ت من رواية عدى بن ثابت عن أبيه عن جده فذكر منها الرعاف والنعاس والتثاؤب وزاد ثلاثة أخرى وقال حديث غريب ولمسلم من حديث عثمان بن أبى العاص يارسول الله ان الشيطان قد حال بينى و بين صلاتى الحديث وللبخارى من حديث عائشة فى الالتفات فى الصلاة هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة

الوجه وتسوية الحصى وأن تصلي بطريق من يمر بين يديك ونهى أيضا عن أن يشبك أصابعه (١) أو يفرقع أصابعه (٢) أو يستر وجهه (٣) أو يضع احدى كفيه على الاخرى ويدخلهما بين فخذيه (٤) في الركوع وقال بعض الصحابة رضي الله عنهم كنا نفعل ذلك فنهينا عنه ويكره أيضا أن ينفخ في الارض عند السجود للتنظيف وان يسوي الحصى بيده فانها أفعال مستغنى عنها ولا يرفع احدى قدميه فيضعها على فخذه ولا يستند في قيامه إلى حائط فان استند بحيث لو سل ذلك الحائط لسقط فالاظهر بطلان صلاته والله أعلم

(تمييز الفرائض والسنن)

جملة ما ذكرناه يشتمل على فرائض وسنن وآداب وهيآت مما ينبغي لمريد طريق الآخرة أن يراعي جميعها * فالفرض من جملتها اثنا عشر خصلة النية والتكبير والقيام والفاتحة والانحناء في الركوع الى أن تنال راحتاه ركبتيه مع الطمأنينة والاعتدال عنه قائما والسجود مع الطمأنينة ولا يجب وضع اليدين والاعتدال عنه قاعدا والجلوس للتشهد الاخير والتشهد الاخير والصلاة على النبي ﷺ والسلام الاول فاما نية الخروج فلا تجب وما عدا هذا فليس بواجب بل هي سنن وهيآت فيها وفي الفرائض * أما السنن فمن الافعال أربعة رفع اليدين في تكبيرة الاحرام وعند الهوي الى الركوع وعند الارتفاع الى القيام والجلسة للتشهد الاول فاما ما ذكرناه من كيفية نشر الاصابع وحد رفعها فهي هيآت تابعة لهذه السنة والتورك والافتراش هيآت تابعة للجلسة والاطراق وترك الالتفات هيآت للقيام وتحسين صورته وجلسة الاستراحة لم نعدها من أصول السنة في الافعال لانها كالتحسين لهيئة الارتفاع من السجود الى القيام لانها ليست مقصودة في نفسها ولذلك لم تفرد بذكر * وأما السنن من الاذكار فدعاء الاستفتاح ثم التعوذ ثم قوله آمين فانه سنة مؤكدة ثم قراءة السورة ثم تكبيرات الانتقالات ثم الذكر في الركوع والسجود والاعتدال عنهما ثم التشهد الاول والصلاة فيه على النبي ﷺ ثم الدعاء في آخر التشهد الاخير ثم التسليمة الثانية وهذه وان جمعناها في اسم السنة فلها درجات متفاوتة اذ تجبر أربعة منها بسجود السهو * وأما من الافعال فواحدة وهي الجلسة الاولى للتشهد الاول فانها مؤثرة في ترتيب نظم الصلاة في أعين الناظرين حتى يعرف بها أنها رباعية أم لا بخلاف رفع اليدين فانه لا يؤثر في تغيير النظم فعبر عن ذلك بالبعض وقيل الابعاض تجبر بالسجود وأما الاذكار فكلها لا تقتضي سجود السهو الا ثلاثة القنوت والتشهد الاول والصلاة على النبي ﷺ فيه بخلاف تكبيرات الانتقالات وأذكار الركوع والسجود والاعتدال عنهما لان الركوع والسجود في صورتهما مخالفان للعادة ويحصل بهما معنى العبادة مع السكوت عن الاذكار وعن تكبيرات الانتقالات فعدم تلك الاذكار لا تغير صورة العبادة * وأما الجلسة للتشهد الاول ففعل معتاد وما زيدت الا للتشهد فتركها ظاهر التأثير وأما دعاء الاستفتاح والسورة فتركهما لا يؤثر مع أن القيام صار معمورا بالفاتحة ومميزا عن العادة بها وكذلك الدعاء في التشهد الأخير والقنوت أبعد ما يجبر بالسجود ولكن شرع مد الاعتدال في الصبح لاجله فكان كمد جلسة الاستراحة اذ صارت بالمد مع التشهد جلسة للتشهد الاول فبقي هذا قياما ممدودا معتادا ليس فيه ذكر واجب وفي الممدود احتراز عن غير الصبح وفي خلوه عن ذكر

أحدكم وللشيخين من حديث أبي هريرة التثاؤب من الشيطان ولهما من حديث أبي هريرة ان أحدكم اذا قام يصلي جاء الشيطان فلبس عليه صلاته حتى لا يدري كم صلى (١) حديث النهي عن تشبيك الاصابع أحمد وابن حبان والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ود ت ه حب نحوه من حديث كعب بن عجرة (٢) حديث النهي عن تفقيع الاصابع في الصلاة ه من حديث علي باسناد ضعيف لا تفقع أصابعك في الصلاة (٣) حديث النهي عن ستر الوجه د ه ك وصححه من حديث أبي هريرة حديث نهى أن يغطي الرجل فاه في الصلاة قد تقدم (٤) حديث النهي عن التطبيق في الركوع متفق عليه من حديث سعد بن أبي وقاص قال كنا نفعله فنهينا عنه وأمرنا أن نضع الايدي على الركب

اليها واخرجناها الى حيز الوجود بتأييد الله تعالى بالعبارة عنها وانما ظهر له شيء لم يكن له به (١٤١) إلف وعلاه الدهش نتوقف بين ظاهر الحديث الذي هو موجب عند ذوي القصور تشبيها وبين التأويل الذي ينفيه وأثبت المعنى المرغوب عنه وأراد نفي ما خاف من الوقوع فيه فلم يتأت له اجماع ما رام ولا نظام ما اقترف فيها هو صورة لا كالصورة ولكن ساقطة لاقطة فتبادر الناس الى الاخذ عنه

{فصل} ومعنى قاطع الطريق فانك بالواد المقدس طوى أي دم على ما أنت عليه من البحث والطلب فانك على هداية ورشد والوادي المقدس عبارة عن مقام الكليم موسى عليه السلام مع الله تعالى في الوادي وانما تقدس الوادي بما أنزل فيه من الذكر وسمع كلام الله تعالى وأقيم ذكر الوادي مقام ما حصل فيه فحذف المضاف وأقام المضاف اليه مقامه والا فالمقصود ما حذف لا ما أظهر بالقول اذ المواضع لا تأثير لها وانما هي ظروف

واجب احترازعن أصل القيام في الصلاة ﴿فان قلت﴾ تمييز السنن عن الفرائض معقول اذ تفوت الصحة بفوت الفرض دون السنة ويتوجه العقاب بهدونها فاما تمييز سنة عن سنة والكل مأمور به على سبيل الاستحباب ولا عقاب في ترك الكل والثواب موجود على الكل فما معناه * فاعلم أن اشتراكهما في الثواب والعقاب والاستحباب لا يرفع تفاوتهما ولنكشف ذلك لك بمثال وهو أن الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن وأعضاء ظاهرة فالمعنى الباطن هو الحياة والروح والظاهر أجسام أعضائه ثم بعض تلك الاعضاء ينعدم الانسان بعدمها كالقلب والكبد والدماغ وكل عضو تفوت الحياة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحياة ولكن يفوت بها مقاصد الحياة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا يفوت بها الحياة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون وبعضها لا يفوت بها أصل الجمال ولكن كماله كاستقواس الحاجبين وسواد شعر اللحية والاهداب وتناسب خلقة الاعضاء وامتزاج الحمرة بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك العبادة صورة صورها الشرع وتعبدنا باكتسابها فروحها وحياتها الباطنة الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص كماسيأتي ونحن الآن في أجزائها الظاهرة فالركوع والسجود والقيام وسائر الاركان تجرى منها مجرى القلب والرأس والكبد اذ يفوت وجود الصلاة بفواتها والسنن التي ذكرناها من رفع اليدين ودعاء الاستفتاح والتشهد الاول تجرى منها مجرى اليدين والعينين والرجلين ولا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحياة بفوات هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسبب فواتها مشوه الخلقة مذموما غير مرغوب فيه فكذلك من اقتصر على أقل ما يجزى من الصلاة كان كمن أهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا مقطوع الاطراف * وأما الهيآت وهي ماوراء السنن فتجرى مجرى أسباب الحسن من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون * وأما وظائف الاذكار في تلك السنن فهي مكملات للحسن كاستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلاة عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله عز وجل ثم ترد عليك يوم العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها فان أحسنت فلنفسك وان أسأت فعليها ولا ينبغي أن يكون حظك من ممارسة الفقه أن يتميز لك السنة عن الفرض فلا يعلق بفهمك من أوصاف السنة الا أنه يجوز تركها فتتركها فان ذلك يضاهي قول الطبيب ان فقء العين لا يبطل وجود الانسان ولكن يخرجه عن أن يصدق رجاء المتقرب في قبول السلطان اذا أخرجه في معرض الهدية فهكذا ينبغي أن تفهم مراتب السنن والهيآت والآداب فكل صلاة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني فطالع الاخبار التي أوردناها في كمال أركان الصلاة ليظهر لك وقعها

﴿ الباب الثالث في الشروط الباطنة من أعمال القلب ﴾

ولنذكر في هذا الباب ارتباط الصلاة بالخشوع وحضور القلب ثم لنذكر المعاني الباطنة وحدودها وأسبابها وعلاجها ثم لنذكر تفصيل ما ينبغي أن يحضر في كل ركن من أركان الصلاة لتكون صالحة لزاد الآخرة

﴿ بيان اشتراط الخشوع وحضور القلب ﴾

اعلم ان أدلة ذلك كثيرة فمن ذلك قوله تعالى ﴿أقم الصلاة لذكرى﴾ وظاهر الامر الوجوب والغفلة تضاد الذكر فمن غفل في جميع صلاته كيف يكون مقيما للصلاة لذكره وقوله تعالى ﴿ولا تكن من الغافلين﴾ نهي وظاهره التحريم وقوله عز وجل ﴿حتى تعلموا ما تقولون﴾ تعليل لنهي السكران وهو مطرد في الغافل المستغرق الهم بالوسواس وأفكار الدنيا وقوله ﷺ انما الصلاة تمسكن وتواضع حصر بالالف واللام وكلمة انما للتحقيق والتوكيد وقد فهم الفقهاء من قوله عليه السلام انما الشفعة فيما لم يقسم الحصر والاثبات والنفي وقوله ﷺ من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله الا بعدا وصلاة الغافل لا تمنع من الفحشاء والمنكر وقال ﷺ

نودى به موسى انى أنا ربك أى فرغ قلبك لما يرد عليك من فوائد المزيد وحوادث الصدق وثمار المعارف وارتياح سلوك الطريق واشارات قرب الوصول وسر القلب كما يقول أدن الرأس ووسع الأذان وما يوحى أى ما يرد من الله تعالى بواسطة ملك أو القاء في روع أو مكاشفة تحقيقه أو ضرب مثل مع العلم بتأويله ومعنى لعلك حرف ترويج ومعنى ان لم تدركك آفة تقطعك عن سماع الوحى من الحجاب بحال أو اضافة دعوى الى نفس أو قنوع بما وصلت اليه واستبداد به عن غيره وسرادقات المجد هى حجب الملكوت وما نودى به موسى هو علم التوحيد التى وسعت العبارة اللطيفة عنه بقوله حين قال له ياموسى انى أنا الله لا إله الا أنا والمنادى باسمه

(١) كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب وما أراد به إلا الغافل وقال ﷺ (٢) ليس للعبد من صلاته إلا ماعقل منها والتحقيق فيه أن المصلي (٣) مناج ربه عزوجل كما ورد به الخبر والكلام مع الغفلة ليس بمناجاة البتة وبيانه أن الزكاة إن غفل الانسان عنها مثلا فهى فى نفسها مخالفة للشهوة شديدة على النفس وكذا الصوم قاهر للقوى كاسر لسطوة الهوى الذى هو آلة للشيطان عدو الله فلا يبعد أن يحصل منها مقصود مع الغفلة وكذلك الحج أفعاله شاقة شديدة وفيه من المجاهدة ما يحصل به الايلام كان القلب حاضرا مع أفعاله أو لم يكن أما الصلاة فليس فيها إلا ذكر وقراءة وركوع وسجود وقيام وقعود فأما الذكر فانه محاورة ومناجاة مع الله عزوجل فاما أن يكون المقصود منه كونه خطابا ومحاورة أو المقصود منه الحروف والأصوات امتحانا للسان بالعمل كما تمتحن المعدة والفرج بالامساك فى الصوم وكما يمتحن البدن بمشاق الحج ويمتحن القلب بمشقة اخراج الزكاة واقتطاع المال المعشوق ولا شك أن هذا القسم باطل فان تحريك اللسان بالهذيان ما أخفه على الغافل فليس فيه امتحان من حيث انه عمل بل المقصود الحروف من حيث انه نطق ولا يكون نطقا إلا إذا أعرب عما فى الضمير ولا يكون معربا الا بحضور القلب فأى سؤال فى قوله اهدنا الصراط المستقيم اذا كان القلب غافلا واذا لم يقصد كونه تضرعا ودعاء فأى مشقة فى تحريك اللسان به مع الغفلة لاسيما بعد الاعتياد هذا حكم الاذكار بل أقول لو حلف الانسان وقال لأشكرن فلانا وأثني عليه وأسأله حاجة ثم جرت الألفاظ الدالة على هذه المعانى على لسانه فى النوم لم يبر فى يمينه ولو جرت على لسانه فى ظلمة وذلك الانسان حاضر وهو لا يعرف حضوره ولا يراه لا يصير بارا فى يمينه اذ لا يكون كلامه خطابا ونطقا معه ما لم يكن هو حاضرا فى قلبه فلو كانت تجرى هذه الكلمات على لسانه وهو حاضر إلا أنه فى بياض النهار غافل لكونه مستغرق الهم بفكر من الافكار ولم يكن له قصد توجيه الخطاب اليه عند نطقه لم يصر بارا فى يمينه ولا شك فى أن المقصود من القراءة والاذكار الحمد والثناء والتضرع والدعاء والمخاطب هو الله عزوجل وقلبه بحجاب الغفلة محجوب عنه فلا يراه ولا يشاهده بل هو غافل عن المخاطب ولسانه يتحرك بحكم العادة فما أبعد هذا عن المقصود بالصلاة التى شرعت لتصقيل القلب وتجديد ذكر الله عزوجل ورسوخ عقد الايمان به هذا حكم القراءة والذكر وبالجملة فهذه الخاصية لا سبيل الى انكارها فى النطق وتمييزها عن الفعل وأما الركوع والسجود فالمقصود بهما التعظيم قطعا ولو جاز أن يكون معظما لله عزوجل بفعله وهو غافل عنه لجاز أن يكون معظما لصنم موضوع بين يديه وهو غافل عنه أو يكون معظما للحائط الذى بين يديه وهو غافل عنه واذا خرج عن كونه تعظيما لم يبق الا مجرد حركة الظهر والرأس وليس فيه من المشقة ما يقصد الامتحان به ثم يجعله عماد الدين والفاصل بين الكفر والاسلام ويقدم على الحج وسائر العبادات ويجب القتل بسبب تركه على الخصوص وما أرى أن هذه العظمة كلها للصلاة من حيث أعمالها الظاهرة إلا أن يضاف اليها مقصود المناجاة فان ذلك يتقدم على الصوم والزكاة والحج وغيره بل الضحايا والقرابين التى هى مجاهدة للنفس بتنقيص المال قال الله تعالى ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ أى الصفة التى استولت على القلب حتى حملته على امتثال الأوامر هى المطلوبة فكيف الأمر فى الصلاة ولا أرب فى أفعالها فهذا ما يدل من حيث المعنى على اشتراط حضور القلب * فان قلت ان حكمت ببطلان الصلاة وجعلت حضور القلب شرطا فى صحتها خالفت اجماع الفقهاء فانهم لم يشترطوا إلا حضور القلب عند التكبير فاعلم أنه قد تقدم فى كتاب العلم أن الفقهاء لا يتصرفون فى

(١) حديث كم من قائم حظه من صلاته التعب والنصب ن ه من حديث أبى هريرة رب قائم ليس له من قيامه إلا السهر ولأحمد رب قائم حظه من صلاته السهر واسناده حسن (٢) حديث ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل لم أجده مرفوعا وروى محمد بن نصر المروزى فى كتاب الصلاة من رواية عثمان بن أبى دهرش مرسلا لا يقبل الله من عبد عملا حتى يشهد قلبه مع بدنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى بن كعب ولابن المبارك فى الزهد موقوفا على عمار لا يكتب للرجل من صلاته ما سهى عنه (٣) حديث المصلي يناجى ربه متفق عليه من حديث

أزلا وأبدا هو اسم موسى لما سمى السالك الموجود، كلام الله تعالى فى أزل الآزل قبل أن يخلق موسى لا إلى أول وكلام الله تعالى صفة له لا يتغير كما لا يتغير هو اذ ليست صفاته المعنوية لغيره وهو الذى لا يحول ولا يزول وقد زل قوم عظم اقتراحهم وهو انهم حملوا صدور هذا القول على اعتقاد اكتساب النبوّة وعياذا بالله من أين يحتمل هذا القول ما حملوه من المذهب ألبسوا وهم يعرفون ان كثيرا ممن يكون بحضرة ملك من ملوك الدنيا وهو يخاطب انسانا آخر قلد ولاية كبيرة وفوّض اليه عملا عظيما وحباه حباء خطيرا وهو ينادى باسمه أو يأمره بما يمتثل من أمره ثم ان السامع للملك الحاضر معه غير المولى لم يشارك المولى المخلوع عليه والمفوّض اليه فى شىء مما ولى وأعطى ولم تجب له بسماعه ومشاهدته أكثر من حظوة القربة وشرف الحضور ومنزلة المكاشفة من غير وصول الى درجة المخاطب بالولاية والمفوّض اليه الأمر ولذلك هذا

الباطن ولا يشقون عن القلوب ولا في طريق الآخرة بل يبنون ظاهر أحكام الدين على ظاهر أعمال الجوارح وظاهر الأعمال كاف لسقوط القتل وتعزير السلطان فاما أنه ينفع في الآخرة فليس هذا من حدود الفقه على أنه لا يمكن أن يدعي الاجماع فقد نقل عن بشر بن الحرث فيما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال من لم يخشع فسدت صلاته وروي عن الحسن أنه قال كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي الى العقوبة أسرع وعن معاذ بن جبل من عرف من على يمينه وشماله متعمدا وهو في الصلاة فلا صلاة له وروي أيضا مسندا قال رسول الله ﷺ (١) ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها وانما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها وهذا لو نقل عن غيره لجعل مذهبا فكيف لا يتمسك به وقال عبد الواحد بن زيد أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته الا ما عقل منها فجعله اجماعا وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يحصى والحق الرجوع الى أدلة الشرع والاخبار والآثار ظاهرة في هذا الشرط إلا أن مقام الفتوى في التكليف الظاهر يتقدر بقدر قصور الخلق فلا يمكن أن يشترط على الناس احضار القلب في جميع الصلاة فان ذلك يعجز عنه كل البشر الا الأقلين واذا لم يمكن اشتراط الاستيعاب للضرورة فلا مرد له إلا أن يشترط منه ما ينطلق عليه الاسم ولو في اللحظة الواحدة وأولى اللحظات به لحظة التكبير فاقتصرنا على التكليف بذلك ونحن مع ذلك نرجو أن لا يكون حال الغافل في جميع صلاته مثل حال التارك بالكلية فانه على الجملة أقدم على الفعل ظاهرا وأحضر القلب لحظة وكيف لا والذي صلى مع الحدث ناسيا صلاته باطلة عند الله تعالى ولكن له أجر ما بحسب فعله وعلى قدر قصوره وعذره ومع هذا الرجاء فيخشى أن يكون حاله أشد من حال التارك وكيف لا والذي يحضر الخدمة ويتهاون بالحضرة ويتكلم بكلام الغافل المستحقر أشد حالا من الذي يعرض عن الخدمة واذا تعارض أسباب الخوف والرجاء وصار الامر مخطرا في نفسه فاليك الخيرة بعده في الاحتياط والتساهل ومع هذا فلا مطمع في مخالفة الفقهاء فيما أفتوا به من الصحة مع الغفلة فان ذلك من ضرورة الفتوى كما سبق التنبيه عليه ومن عرف سر الصلاة علم أن الغفلة تضادها ولكن قد ذكرنا في باب الفرق بين العلم الباطن والظاهر في كتاب قواعد العقائد أن قصور الخلق أحد الأسباب المانعة عن التصريح بكل ما ينكشف من أسرار الشرع فلنقتصر على هذا القدر من البحث فان فيه مقنعا للمريد الطالب لطريق الآخرة وأما المجادل المشغب فلسنا نقصد مخاطبته الآن * وحاصل الكلام ان حضور القلب هو روح الصلاة وان أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة وكم من حي لا حراك به قريب من ميت فصلاة الغافل في جميعها الا عند التكبير كمثل حي لا حراك به نسأل الله حسن العون

﴿ بيان المعاني الباطنة التي تتم بها حياة الصلاة ﴾

اعلم أن هذه المعاني تكثر العبارات عنها ولكن يجمعها ست جمل وهي حضور القلب والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فلنذكر تفاصيلها ثم أسبابها ثم العلاج في اكتسابها * أما التفاصيل * فالأول حضور القلب ونعني به أن يفرغ القلب عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا يكون الفكر جائلا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شيء فقد حصل حضور القلب ولكن التفهم لمعنى الكلام أمر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معنى اللفظ فاشتمال القلب على العلم بمعنى اللفظ هو الذي أردناه بالتفهم وهذا مقام يتفاوت الناس فيه اذ ليس يشترك الناس في تفهم المعاني للقرآن والتسبيحات وكم من معان لطيفة يفهمها المصلي في أثناء الصلاة ولم يكن قد خطر بقلبه ذلك قبله ومن هذا الوجه كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر فانها تفهم أمورا تلك الأمور تمنع عن الفحشاء لا محالة * وأما التعظيم فهو أمر وراء حضور القلب

أنس (١) حديث ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها الحديث د ن حب من حديث عمار ابن ياسر بنحوه

السالك المذكور اذا وصل في طريقه ذلك بحيث يصل بالمكاشفة والمشاهدة واليقين التام الذي يوجب المعرفة والعلم بتفاصيل المعلوم فلا يمتنع أن يسمع ما يوحى لغيره من غير أن يقصد هو بذلك اذ هو محل سماع الوحي على الدوام وموضع الملائكة وكفى بها انها الحضرة الربوبية وموسى عليه السلام ما استحق الرسالة والنبوة ولا استوجب التكليم وسماع الوحي مقصودا بذلك بحلوله في هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة فقط بل قد استحق ذلك بفضل الله تعالى حين خصه بمعنى آخر ترقى الى ذلك المقام اضعافا فجاوز المرتبة الرابعة لان آخر مقامات الأولياء أول مقامات. الأنبياء وموسى عليه السلام نبي مرسل فمقامه أعلى بكثير مما نحن آخذون في أطرافه لان هذا المقام الذي هو المرتبة الثالثة ليست من غايات

والفهم

والفهم اذا الرجل يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظماله فالتعظيم زائد عليهما * وأما الهيبة فزائدة على التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشؤه التعظيم لأن من لا يخاف لا يسمى هائبا والمخافة من العقرب وسوء خلق العبد وما يجرى مجراه من الأسباب الخسيسة لا تسمى مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمى مهابة والهيبة خوف مصدرها الاجلال * وأما الرجاء فلا شك أنه زائد فكم من معظم ملكا من الملوك يهابه أو يخاف سطوته ولكن لا يرجو مثوبته والعبد ينبغي أن يكون راجيا بصلاته ثواب الله عز وجل كما أنه خائف بتقصيره عقاب الله عز وجل * وأما الحياء فهو زائد على الجملة لأن مستنده استشعار تقصير وتوهم ذنب ويتصور التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهم تقصير وارتكاب ذنب * وأما أسباب هذه المعاني الستة فاعلم أن حضور القلب سببه الهمة فان قلبك تابع لهمتك فلا يحضر الا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب فيه شاء أم أبى فهو مجبول على ذلك ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطلا بل جائلا فيما الهمة مصروفة اليه من أمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب الا بصرف الهمة الى الصلاة والهمة لا تنصرف اليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بان الآخرة خير وأبقى وان الصلاة وسيلة اليها فاذا أضيف هذا الى حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهماتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلة يحضر قلبك اذا حضرت بين يدى بعض الأكابر ممن لا يقدر على مضرتك ومنفعتك فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذى بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنن أن له سببا سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان وطريقه يستقصى في غير هذا الموضع * وأما التفهم فسببه بعد حضور القلب ادمان الفكر وصرف الذهن الى ادراك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمر لدفع الخواطر وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادها أعني النزوع عن تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن أحب شيأ أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة فلذلك ترى أن من أحب غير الله لا تصفو له صلاة عن الخواطر وأما التعظيم فهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احداهما معرفة جلال الله عز وجل وعظمته وهو من أصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه الثانية معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدا مسخرا مربوبا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن اليه * وأما الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلة المبالاة به وأنه لو أهلك الأولين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجرى على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض وبالجملة كلما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة وسيأتى أسباب ذلك في كتاب الخوف من ربع المنجيات * وأما الرجاء فسببه معرفة لطف الله عز وجل وكرمه وعميم انعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعهما الرجاء لا محالة وأما الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلة اخلاصها وخبث دخلتها وميلها الى الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله عز وجل والعلم بانه مطلع على السر وخطرات القلب وان دقت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة تسمى الحياء فهذه أسباب هذه الصفات وكل ما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي معرفة السبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الأسباب الايمان واليقين أعني به هذه المعارف التى ذكرناها ومعنى كونها يقينا انتفاء

مقام الولاية بل هو الى مباديها أقرب منه الى غايتها فمن لم يفهم درجات المقام وخصائص النبوة وأحوال الولايات كيف يتعرض للكلام فيها والطعن على أهلها هذا لا يصلح الا لمن لا يعرف انه مؤاخذ بكلامه محاسب بلفظه ويقينه مكتوب عليه خطراته محفوظ عليه لحظاته تلتقطها منه يقظاته وغفلاته ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد فان قلت أراك قد أوجبت له نداء الله تعالى ونداء كلامه والله تعالى يقول تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات فقد نبه ان تكليم الله تعالى لمن كلمه من الرسل انما هو على سبيل المبالغة في التفضيل وهذا لا يصلح أن يكون لغيره ممن ليس بنبي ولا رسول واذا بان السبب وقصد بادر الشك العارض في مسالك الحقائق فنقول ليس في الآية ما يرد ما قلنا ولا يكسره لأنا

الشك واستيلاؤها على القلب كما سبق فى بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه وقد روى أن الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام ياموسى اذا ذكرتنى فاذكرنى وأنت تنتفض أعضاؤك وكن عند ذكرى خاشعا مطمئنا واذا ذكرتني فاجعل لسانك من وراء قلبك واذا قمت بين يدىّ فقم قيام العبد الذليل وناجني بقلب وجل ولسان صادق وروى أن الله تعالى أوحى اليه قل لعصاة أمتك لا يذكرونى فانى آليت على نفسي ان من ذكرنى ذكرته فاذا ذكرونى ذكرتهم باللعنة هذا فى عاص غير غافل فى ذكره فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان وباختلاف المعانى التي ذكرناها فى القلوب انقسم الناس الى غافل يتمم صلاته ولم يحضر قلبه فى لحظة منها والى من يتمم ولم يغب قلبه فى لحظة بل ربما كان مستوعب الهم بها بحيث لا يحس بما يجرى بين يديه ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الاسطوانة فى المسجد اجتمع الناس عليها وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط من على يمينه ويساره ووجيب قلب ابراهيم صلوات الله عليه وسلامه كان يسمع على ميلين وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم وكل ذلك غير مستبعد فان أضعافه مشاهد فى همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتي يدخل الواحد على ملك أووزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج ولوسئل عمن حواليه أوعن ثوب الملك لكان لا يقدر على الاخبار عنه لاشتغال همه به عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه ولكل درجات مما عملوا فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه فان موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات ولذلك قال بعض الصحابة رضى الله عنهم يحشر الناس يوم القيامة على مثال هيئتهم فى الصلاة من الطمأنينة والهدوء ومن وجود النعيم بها واللذة ولقد صدق فانه يحشر كل على مامات عليه ويموت على ماعاش عليه ويراعي فى ذلك حال قلبه لا حال شخصه فمن صفات القلوب تصاغ الصور فى الدار الآخرة ولا ينجو الا من أتى الله بقلب سليم نسأل الله حسن التوفيق بلطفه وكرمه

﴿ بيان الدواء النافع فى حضور القلب ﴾

اعلم أن المؤمن لا بد أن يكون معظما لله عزوجل وخائفا منه وراجيا له ومستحييا من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد ايمانه وان كانت قوتها بقدر قوة يقينه فانفكاكه عنها فى الصلاة لا سبب له الا تفرق الفكر وتقسيم الخاطر وغيبة القلب عن المناجاة والغفلة عن الصلاة ولا يلهى عن الصلاة الا الخواطر الواردة الشاغلة فالدواء فى احضار القلب هو دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء الا بدفع سببه فلتعلم سببه وسبب موارد الخواطر اما أن يكون أمرا خارجا أوأمرا فى ذاته باطنا أما الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر فان ذلك قد يختطف الهم حتي يتبعه ويتصرف فيه ثم تنجر منه الفكرة الى غيره ويتسلسل ويكون الابصار سببا للافتكار ثم تصير بعض تلك الافكار سببا للبعض ومن قويت نيته وعلت همته لم يلهه ماجرى على حواسه ولكن الضعيف لا بد وأن يتفرق به فكره وعلاجه قطع هذه الأسباب بان يغض بصره أو يصلى فى بيت مظلم أولا يترك بين يديه مايشغل حسه ويقرب من حائط عند صلاته حتي لا تتسع مسافة بصره ويحترز من الصلاة على الشوارع وفى المواضع المنقوشة المصنوعة وعلى الفرش المصبوغة ولذلك كان المتعبدون يتعبدون فى بيت صغير مظلم سعته قدر السجود ليكون ذلك أجمع للهمم والأقوياء منهم كانوا يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزون به موضع السجود ويرون كمال الصلاة فى أن لا يعرفوا من على يمينهم وشمالهم وكان ابن عمر رضى الله عنهما لا يدع فى موضع الصلاة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا كتابا الا محاه * وأما الأسباب الباطنة فهى أشد فان من تشعبت به الهموم فى أودية الدنيا لا ينحصر فكره فى فن واحد بل لا يزال يطير من جانب الى جانب وغض البصر لا يغنيه فان ماوقع فى القلب من قبل كاف للشغل فهذا طريقه أن يرد النفس قهرا الى فهم ما يقرؤه فى الصلاة ويشغلها به عن غيره ويعينه على ذلك أن يستعد له قبل التحريم بان يجدد على نفسه ذكر الآخرة وموقف المناجاة وخطر

أليس من يسمع كلام انسان مثلا مما يتكلم به غير السامع فيقال فيه انه كلمه وقد حكي ان طائفة من بني اسرائيل سمعوا كلام الله تعالى الذى خاطب به موسى حين كلمه ثم اذا ثبت ذلك لم يجب لهم به درجة موسى عليه السلام ولا المشاركة فى نبوته ورسالته على انا نقول نفس ورود الخطاب الى السامعين من الله تعالى يمكن الاختلاف فيه فيكون النبي المرسل يسمع كلام الله تعالى عزوجل الذاتى القديم بلا حجاب فى السمع ولا واسطة بينه وبين القلب ومن دونه يسمعه على غير تلك الصورة مما يلقى فى روعه ومما ينادى به فى سمعه أوسره واشباه ذلك كما ذكر ان قوم موسى عليه السلام حين سمعوا كلام الله سبحانه مع موسى انهم سمعوا

المقام

المقام بين يدى الله سبحانه وهو المطلع ويفرغ قلبه قبل التحريم بالصلاة عما يهمه فلا يترك لنفسه شغلا يلتفت اليه خاطره قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان بن أبى شيبة (١) انى نسيت أن أقول لك أن تخمر القدر الذى فى البيت فانه لا ينبغي أن يكون فى البيت شىء يشغل الناس عن صلاتهم فهذا طريق تسكين الافكار فان كان لا يسكن هائج أفكاره بهذا الدواء المسكن فلا ينجيه الا المسهل الذى يقمع مادة الداء من اعماق العروق وهو أن ينظر فى الأمور الصارفة الشاغلة عن احضار القلب ولا شك انها تعود الى مهماته وانها صارت مهمات لشهواته فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلائق فكل ما يشغله عن صلاته فهو ضد دينه وجند ابليس عدوه فامساكه أضر عليه من اخراجه فيتخلص منه باخراجه كما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما لبس (٢) الخميصة التي أتاه بها أبو جهم وعليها علم وصلى بها نزعها بعد صلاته وقال صلى الله عليه وسلم اذهبوا بها الى أبى جهم فانها ألهتنى آنفا عن صلاتى وائتونى بانبجانية أبى جهم وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجديد شراك نعله ثم نظر اليه فى صلاته اذ كان جديدا فأمر أن (٣) ينزع منها ويرد الشراك الخلق وكان صلى الله عليه وسلم (٤) قد احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى عز وجل كى لا يمقتنى ثم خرج بها فدفعها الى أول سائل لقيه ثم أمر عليا رضى الله عنه أن يشترى له نعلين سبتيتين جرداوين فلبسهما وكان صلى الله عليه وسلم فى يده خاتم من ذهب قبل التحريم وكان على المنبر فرماه (٥) وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم وروى أن أبا طلحة (٦) صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه دبسى طار فى الشجر يلتمس مخرجا فأتبعه بصره ساعة ثم لم يدر كم صلى فذكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من الفتنة ثم قال يا رسول الله هو صدقة فضعه حيث شئت * وعن رجل آخر أنه صلى فى حائط له والنخل مطوقة بثمرها فنظر اليها فأعجبته ولم يدر كم صلى فذكر ذلك لعثمان رضى الله عنه وقال هو صدقة فاجعله فى سبيل الله عز وجل فباعه عثمان بخمسين ألفا فكانوا يفعلون ذلك قطعا لمادة الفكر وكفارة لما جرى من نقصان الصلاة وهذا هو الدواء القاطع لمادة العلة ولا يغني غيره فاما ماذكرناه من التلطف بالتسكين والرد الى فهم الذكر فذلك ينفع فى الشهوات الضعيفة والهمم التي لا تشغل الا حواشى القلب فاما الشهوة القوية المرهقة فلا ينفع فيها التسكين بل لا تزال تجاذبها وتجاذبك ثم تغلبك وتنقضى جميع صلاتك فى شغل المجاذبة ومثاله رجل تحت شجرة أراد أن يصفو له فكره وكانت أصوات العصافير تشوش عليه فلم يزل يطيرها بخشبة فى يده ويعود الى فكره فتعود العصافير فيعود الى التنفير بالخشبة فقيل له ان هذا سير السوانى ولا ينقطع فان أردت الخلاص فاقطع الشجرة فكذلك شجرة الشهوات اذا تشعبت وتفرعت أغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب الذباب الى الاقذار والشغل يطول فى دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله سمى ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها أصل واحد وهو حب الدنيا وذلك رأس كل خطيئة وأساس كل نقصان ومنبع كل فساد ومن انطوى باطنه على حب الدنيا حتى مال الى شىء منها لا ليتزود منها ولا ليستعين بها على الآخرة فلا يطمعن فى أن تصفو له لذة المناجاة فى

---

(١) حديث انى نسيت أن أقول لك تخمر القرنين اللذين فى البيت الحديث د من حديث عثمان الحجبي وهو عثمان ابن طلحة كما فى مسند أحمد ووقع للمصنف انه قال ذلك لعثمان بن شيبة وهو وهم (٢) حديث نزع الخميصة وقال ائتونى بانبجانية أبى جهم متفق عليه من حديث عائشة وقد تقدم فى العلم (٣) حديث أمره بنزع الشراك الجديد ورد الشراك الخلق اذ نظر اليه فى صلاته ابن المبارك فى الزهد من حديث أبى النضر مرسلا باسناد صحيح (٤) حديث احتذى نعلا فأعجبه حسنها فسجد وقال تواضعت لربى الحديث أبو عبد الله بن حفيف فى شرف الفقراء من حديث عائشة باسناد ضعيف (٥) حديث رميه بالخاتم الذهب من يده وقال شغلنى هذا نظرة اليه ونظرة اليكم ن من حديث ابن عباس باسناد صحيح وليس فيه بيان أن الخاتم كان ذهبا ولا فضة انما هو مطلق (٦) حديث ان أبا طلحة صلى فى حائط له فيه شجر فأعجبه ريش طائر فى الشجر الحديث فى سهوه فى الصلاة وتصدقه بالحائط مالك عن عبد الله بن أبى بكر ان أبا طلحة الأنصارى فذكره بنحوه

صوناً كالشبور ٧ وهو القرآن فاذا صح ذلك فبينا بن المقامات اختلف ورود الخطاب لموسى سمع كلام الله بالحقيقة الذى هو صفة له بلا كيف ولا صورة نظم الحروف ولا أصوات والذين كانوا معه أيضا سمعوا صوتا مخلوقا جعل لهم علامة ودلالة على صحة التكليم وخلق الله سبحانه لهم بذلك العلم الضرورى وسمى ذلك الذى سمعوه كلامه اذ كان دلالة عليه كما تسمى التلاوة وهى الحروف المتلو بها القرآن كلام الله تعالى اذ هى دلالة عليه فان قلت فما يبقى على السامع اذا سمع كلام الله تعالى الذى يستفيد معرفة وحدانيته وفقه أمره ونهيه وفهم مراده وحكمه يلحقه العلم الضرورى فيما أرى بانه الشىء المرسل الا بان يشتغل باصلاح الخلق دونه ولو كان عوضا منه أخرعنه ومقامه مقامه ٧ فاعلم ان الذى أوجب عثورك ودوام زللك واعتراضك على العلوم بالجهل وعلى الحقائق بالخايل انك بعيد عن غور

الصلاة فان من فرح بالدنيا لا يفرح بالله سبحانه و بمناجاته وهمة الرجل مع قرة عينه فان كانت قرة عينه فى الدنيا انصرف لامحالة اليها همه ولكن مع هذا فلا ينبغي ان يترك المجاهدة ورد القلب الى الصلاة وتقليل الأسباب الشاغلة فهذا هو الدواء المر ولمرارته استبشعته الطباع و بقيت العلة مزمنة وصار الداء عضالا حتى ان الأكابر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدثوا أنفسهم فيها بأمور الدنيا فعجزوا عن ذلك فاذا لا مطمع فيه لأمثالنا وليته سلم لنا من الصلاة شطرها أو ثلثها من الوسواس لنكون ممن خلط عملا صالحا وآخر سيئا وعلى الجملة فهمة الدنيا وهمة الآخرة فى القلب مثل الماء الذى يصب فى قدح مملوء بخل فبقدر ما يدخل فيه من الماء يخرج منه من الخل لا محالة ولا يجتمعان

﴿ بيان تفصيل ما ينبغي أن يحضر فى القلب عند كل ركن وشرط من أعمال الصلاة ﴾

فنقول حقك ان كنت من المريدين للآخرة أن لا تغفل أولا عن التنبيهات التى فى شروط الصلاة وأركانها * أما الشروط السوابق فهى الأذان والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة والانتصاب قائما والنية فاذا سمعت نداء المؤذن فأحضر فى قلبك هول النداء يوم القيامة وتشمر بظاهرك و باطنك للاجابة والمسارعة فان المسارعين الى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر فاعرض قلبك على هذا النداء فان وجدته مملوءا بالفرح والاستبشار مشحونا بالرغبة الى الابتدار فاعلم أنه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء ولذلك قال ﷺ (١) أرحنا يا بلال أى أرحنا بها و بالنداء اليها اذ كان قرة عينه فيها ﷺ وأما الطهارة فاذا أتيت بها فى مكانك وهو ظرفك الابعد ثم فى ثيابك وهى غلافك الأقرب ثم فى بشرتك وهو قشرك الأدنى فلا تغفل عن لبك الذى هو ذاتك وهو قلبك فاجتهد له تطهيرا بالتوبة والندم على ما فرطت وتصميم العزم على الترك فى المستقبل فطهر بها باطنك فانه موضع نظر معبودك * وأما ستر العورة فاعلم ان معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع لنظر الخلق فما بالك فى عورات باطنك وفضائح سرائرك التى لا يطلع عليها الا ربك عز وجل فأحضر تلك الفضائح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر عن عين الله سبحانه ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد باحضارها فى قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما فتذل بها نفسك و يستكين تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدى الله عز وجل قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذى ندم فرجع الى مولاه ناكسا رأسه من الحياء والخوف وأما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات الى جهة بيت الله تعالى أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور الى أمر الله عز وجل ليس مطلوبا منك هيهات فلا مطلوب سواه وانما هذه الظواهر تحريكات للبواطن وضبط للجوارح وتسكين لها بالاثبات فى جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب فانها اذا بغت وظلمت فى حركاتها والتفاتها الى جهاتها استتبعت القلب وانقلبت به عن وجه الله عز وجل فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك فاعلم انه كما لا يتوجه الوجه الى جهة البيت الا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب الى الله عز وجل الا بالتفرغ عما سواه وقد قال ﷺ (٢) اذا قام العبد الى صلاته فكان هواه ووجهه وقلبه الى الله عز وجل انصرف كيوم ولدته أمه وأما الاعتدال قائما فانما هو مثول بالشخص والقلب بين يدى الله عز وجل فليكن رأسك الذى هو أرفع أعضائك مطرقا مطأطأ متنكسا وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيها على الزام القلب التواضع والتذلل والتبرى عن الترؤس والتكبر وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدى الله عز وجل فى هول المطلع عند العرض للسؤال واعلم فى الحال انك قائم بين يدى الله عز وجل وهو مطلع عليك فقم بين يديه قيامك بين يدى بعض ملوك الزمان ان كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قدر فى دوام قيامك فى صلاتك انك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل

(١) حديث يا أرحنا يا بلال قط فى العلل من حديث بلال ولأبى داود ونحوه من حديث رجل من الصحابة لم يسم باسناد صحيح (٢) حديث اذا قام العبد الى صلاته وكان وجهه وهواه الى الله انصرف كيوم ولدته أمه لم أجده

الواصل المرتبة الثالثة سماع نداء الله تعالى معنى ومقام وحال وخاصة أعلى من تلك الأولى وأجل وأكبر وبينهما ما بين من استحق المواجهة بالخطاب والقصد به وبين من لا يستحق أكثر من سماعه من يخاطب به غيره فهذا من الاشارة باختلاف ورويم الخطاب اليهما مما يوجب نفورا وتباين ما بينهما فان فهمت الآن والافقد عنى لا ندر بحال
٧ فان قيل ألم يقل الله تعالى (فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول) وسماع كلام الله تعالى بحجاب أو بغير حجاب وعلم ما فى الملكوت ومشاهدة الملائكة وما غاب عن المشاهدة والحس من أجل الغيوب فكيف يطلع عليها من ليس برسول قلنا فى الكلام حذف يدل على صحة تقديره الشرع

صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح فانه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين الى قلة الخشوع واذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها إنك تدعين معرفة الله وحبه أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدا من عباده أو تخشين الناس ولا تخشينه وهو أحق أن يخشى ولذلك لما قال (١) أبو هريرة كيف الحياء من الله فقال ﷺ تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك وروى من أهلك * وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها والكف عن نواقضها ومفسداتها واخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه رجاء لثوابه وخوفا من عقابه وطلبا للقربة منه متقلدا للمنة منه باذنه إياك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك وعظم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي وكيف تناجي وبماذا تناجي وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل وترتعد فرائصك من الهيبة ويصفر وجهك من الخوف * وأما التكبير فاذا نطق به لسانك فينبغي أن لا يكذبه قلبك فان كان في قلبك شيء هو أكبر من الله سبحانه فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا كما شهد على المنافقين في قولهم انه ﷺ رسول الله فان كان هواك أغلب عليك من أمر الله عز وجل فأنت أطوع له منك لله تعالى فقد اتخذته إلهك وكبرته فيوشك أن يكون قولك الله أكبر كلاما باللسان المجرد وقد تخلف القلب عن مساعدته وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة والاستغفار وحسن الظن بكرم الله تعالى وعفوه * وأما دعاء الاستفتاح فأول كلماته قولك وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض وليس المراد بالوجه الوجه الظاهر فانك إنما وجهته الى جهة القبلة والله سبحانه يتقدس عن أن تحده الجهات حتى تقبل بوجه بدنك عليه وانما وجه القلب هو الذي تتوجه به الى فاطر السموات والارض فانظر اليه أمتوجه هو الى أمانيه وهمه في البيت والسوق متبع للشهوات أو مقبل على فاطر السموات وإياك أن تكون أول مفاتحتك للمناجاة بالكذب والاختلاق ولن ينصرف الوجه الى الله تعالى إلا بانصرافه عما سواه فاجتهد في الحال في صرفه اليه وان عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقا واذا قلت حنيفا مسلما فينبغي أن يخطر ببالك أن المسلم هو الذي سلم المسلمون من لسانه ويده فان لم تكن كذلك كنت كاذبا فاجتهد في أن تعزم عليه في الاستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال واذا قلت وما أنا من المشركين فأخطر ببالك الشرك الخفي فان قوله تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾ نزل فيمن يقصد بعبادته وجه الله وحمد الناس وكن حذرا مشفقا من هذا الشرك واستشعر الخجلة في قلبك ان وصفت نفسك بأنك لست من المشركين من غير براءة عن هذا الشرك فان اسم الشرك يقع على القليل والكثير منه واذا قلت محياي ومماتي لله فاعلم أن هذا حال عبد مفقود لنفسه موجود لسيده وانه ان صدر ممن رضاه وغضبه وقيامه وقعوده ورغبته في الحياة ورهبته من الموت لأمور الدنيا لم يكن ملائما للحال واذا قلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل حسدا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفق لها وان استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك فان من قصده سبع او عدو ليفترسه او ليقتله فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه فان ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلا تبديل المكان فكذلك من يتبع الشهوات التي هي محاب الشيطان ومكاره الرحمن فلا يغنيه مجرد القول فليقترن قوله بالعزم على التعوذ بحصن الله عز وجل عن شر الشيطان وحصنه لا إله إلا الله إذ قال عز وجل فيما أخبر عنه نبينا ﷺ (٢) لا إله إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي والمتحصن به من لا معبود

(١) حديث قال أبو هريرة كيف الحياء من الله قال تستحي منه كما تستحي من الرجل الصالح من قومك الخرائطي في مكارم الأخلاق هق في الشعب من حديث سعيد بن يزيد مرسلا بنحوه وأرسله هق بزيادة ابن عمر في السند وفي العلل قط عن ابن عمر له وقال انه أشبه شيء بالصواب لوروده من حديث سعيد بن زيد أحد العشرة (٢)

الصادق والمشاهدة الصورية وهو ان يكون معناه إلا من ارتضى من رسول ومن اتبع الرسول بالاخلاص والاستقامة أو عمل بما جاء به لان النبي ﷺ قال اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله وهل يبقى إلا ما غاب عنه أن ينكشف اليه وقال إن يكن منكم محدثون فعمر أو كما قال المؤمن ينظر بنور الله وفي القرآن العزيز قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فعلم ما غاب عن غيره من إمكان بيان ما وعد به وأراد أنه قدر عليه ولم يكن نبيا ولا رسولا وقد أنبأ الله سبحانه وتعالى عن ذي القرنين من اخباره عن العلوم الغيبية وصدقه فيه حين قال فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وان كان وقع الاختلاف في نبوة ذي القرنين فالاجماع على انه ليس برسول وهو خلاف المسطور في الآية وان رام أحد المدافعة بالاحتيال لما أخبر به

لهسوى الله سبحانه فأمامن اتخذ إلهه هواه فهوفى ميدان الشيطان لافى حصن الله عزوجل واعلم أن مكايده أن يشغلك فى صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات ليمنعك عن فهم ما تقرأ فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معانى قراءتك فهو وسواس فان حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها * فأما القراءة فالناس فيها ثلاثة رجل يتحرك لسانه وقلبه غافل ورجل يتحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيفهم ويسمع منه كأنه يسمعه من غيره وهى درجات أصحاب اليمين ورجل يسبق قلبه الى المعانى أولاثم يخدم اللسان القلب فيترجمه ففرق بين أن يكون اللسان ترجمان القلب أو يكون معلم القلب والمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب * وتفصيل ترجمة المعانى أنك اذا قلت بسم الله الرحمن الرحيم فانو به التبرك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه وافهم أن معناها ان الأمور كلها بالله سبحانه وان المراد بالاسم ههنا هو المسمى واذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان الحمد لله ومعناه ان الشكر لله إذ النعم من الله ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث انه مسخر من الله عزوجل ففى تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته الى غير الله تعالى فاذا قلت الرحمن الرحيم فاحضر فى قلبك جميع أنواع لطفه لتتضح لك رحمته فينبعث بها رجاؤك ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك مالك يوم الدين أما العظمة فلأنه لاملك إلا له وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذى هو مالكه ثم جدد الاخلاص بقولك إياك نعبد وجدد العجز والاحتياج والتبرى من الحول والقوة بقولك وإياك نستعين وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا باعانته وأن له المنة إذ وفقك الله لطاعته واستخدمك لعبادته وجعلك أهلا لمناجاته ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين ثم اذا فرغت من التعوذ ومن قولك بسم الله الرحمن الرحيم ومن التحميد ومن إظهار الحاجة الى الاعانة مطلقا فعين سؤالك ولا تطلب إلا أهم حاجاتك وقل اهدنا الصراط المستقيم الذى يسوقنا الى جوارك ويفضى بنا الى مرضاتك وزده شرحا وتفصيلا وتأكيدا واستشهادا بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين دون الذين غضب عليهم من الكفار والزائغين من اليهود والنصارى والصابئين ثم التمس الاجابة وقل آمين فاذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون من الذين قال الله تعالى فيهم فيما أخبر عنه النبي ﷺ (١) قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين نصفها لى ونصفها لعبدى ولعبدى ما سأل يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله عزوجل حمدنى عبدى وأثنى على وهو معنى قوله سمع الله لمن حمده الحديث الخ فلو لم يكن لك من صلاتك حظ سوى ذكر الله لك فى جلاله وعظمته فناهيك بذلك غنيمة فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرؤه من السور كما سيأتى فى كتاب تلاوة القرآن فلا تغفل عن أمره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منته وإحسانه ولكل واحد حق فالرجاء حق الوعد والخوف حق الوعيد والعزم حق الأمر والنهى والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق أخبار الأنبياء وروى أن زرارة بن أوفى لما انتهى الى قوله تعالى فاذا نقر فى الناقور خر ميتا وكان ابراهيم النخعى اذا سمع قوله تعالى ﴿ اذا السماء انشقت ﴾ اضطرب حتى تضرب أوصاله وقال عبد الله بن واقد رأيت ابن عمر يصلى مغلوبا عليه وحق له أن يحترق فى قلبه بوعد سيده ووعيده فانه عبد مذنب ذليل بين يدى جبار قاهر وتكون هذه المعانى بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب وفور العلم وصفاء القلب ودرجات ذلك لا تنحصر والصلاة مفتاح القلوب فيها تنكشف أسرار الكلمات فهذا حق القراءة وهو حق الأذكار والتسبيحات أيضا ثم يراعى الهيبة فى القراءة فيرتل ولا يسرد فان ذلك أيسر للتأمل ويفرق بين نغماته فى آية الرحمة والعذاب والوعد والوعيد والتحميد

حديث قال الله تعالى لا إله إلا الله حصنى ك فى التاريخ وأبو نعيم فى الحلية من طريق أهل البيت من حديث على باسناد ضعيف جدا وقول أبى منصور الديلمى انه حديث ثابت مردود عليه (١) حديث قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين الحديث م عن أبى هريرة

ذوالقرنين وماظهر على يدى الذى كان عنده علم من الكتاب وأراد أن يجوز على عمر الآشبة بالحقائق فما يصنع فيما جرى للخضر وما أنبأ الله سبحانه وأظهر عليه من العلوم الغيبية وهو بعد أن يكون نبيا فليس برسول على الوفاق من الجميع والله تعالى يقول إلا من ارتضى من رسول فدل على أن فى الآية حذف مضاف معناه ما تقدم وانظر الى ماظهر من كلام سعد رضى الله عنه انه يرى الملائكة وهو غيب الله وأعلم أبو بكر بما فى البطن وهى من غيب الله وشواهد الشرع كثيرة جدا يعجز المتأول ويلهو المعاند هذا والقول بتخصيص العموم أظهر من الجراءة وأشهر مما نقله الكافة ويحتمل أن يكون المراد فى الآية بالرسول المذكور فيها ملك الوحى الذى بواسطته تنجلى العلوم وتنكشف الغيوب فمتى لم يرسل الله ملكا باعلام غيب او يخاطب مشافهة

والتعظيم

والتعظيم والتمجيد كان النخعي اذا مر بمثل قوله عزوجل ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله يخفض صوته كالمستحي عن أن يذكره بكل شيء لا يليق به وروي أنه يقال(١) لقارىء القرآن اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا وأما دوام القيام فانه تنبيه على اقامة القلب مع الله عزوجل على نعت واحد من الحضور قال ﷺ ان الله عزوجل (٢) مقبل على المصلي مالم يلتفت وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات الى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات الى غير الصلاة فاذا التفت الى غيره فذكره باطلاع الله عليه و بقبح التهاون بالمناجي عند غفلة المناجي ليعود اليه والزم الخشوع للقلب فان الخلاص عن الالتفات باطنا وظاهرا ثمرة الخشوع ومهما خشع الباطن خشع الظاهر قال ﷺ وقد رأى رجلا مصليا يعبث بلحيته أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه فان الرعية بحكم الراعي ولهذا ورد في الدعاء(٣) اللهم اصلح الراعي والرعية وهو القلب والجوارح وكان الصديق رضي الله عنه في صلاته كأنه وتد وابن الزبير رضي الله عنه كأنه عود وبعضهم كان يسكن في ركوعه بحيث تقع العصافير عليه كأنه جماد وكل ذلك يقتضيه الطبع بين يدي من يعظم من أبناء الدنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك عند من يعرف ملك الملوك وكل من يطمئن بين يدي غير الله عزوجل خاشعا وتضطرب أطرافه بين يدي الله عابثا فذلك لقصور معرفته عن جلال الله عزوجل وعن اطلاعه على سره وضميره وقال عكرمة في قوله عزوجل ﴿الذي يراك حين تقوم وتقلبك في الساجدين﴾ قال قيامه وركوعه وسجوده وجلوسه * وأما الركوع والسجود فينبغي أن تجدد عندهما ذكر كبرياء الله سبحانه وترفع يديك مستجيرا بعفو الله عزوجل من عقابه بتجديد نية ومتبعا سنة نبيه ﷺ ثم تستأنف له ذلا وتواضعا بركوعك وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك وتستشعر ذلك وعز مولاك واتضاعك وعلو ربك وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار ثم ترتفع من ركوعك راجيا أنه راحم لك ومؤكدا للرجاء في نفسك بقولك سمع الله لمن حمده أي أجاب لمن شكره ثم تردف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول ربنا لك الحمد وتكثر الحمد بقولك ملء السموات وملء الأرض ثم تهوى الى السجود وهو أعلى درجات الاستكانة فتمكن أعز أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب وان أمكنك أن لا تجعل بينهما حائلا فتسجد على الأرض فافعل فانه أجلب للخشوع وأدل على الذل واذا وضعت نفسك موضع الذل فاعلم أنك وضعتها موضعها ورددت الفرع الى أصله فانك من التراب خلقت واليه تعود فعند هذا جدد على قلبك عظمة الله وقل سبحان ربي الأعلى وأكده بالتكرار فان الكرة الواحدة ضعيفة الأثر فاذا رق قلبك وظهر ذلك فلتصدق رجاءك في رحمة الله فان رحمته تتسارع الى الضعف والذل لا الى التكبر والبطر فارفع رأسك مكبرا وسائلا حاجتك وقائلا رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم أوما أردت من الدعاء ثم أكد التواضع بالتكرار فعد الى السجود ثانيا كذلك * وأما التشهد فاذا جلست له فاجلس متأدبا وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الاخلاق الطاهرة لله وكذلك الملك لله وهو معنى التحيات وأحضر في قلبك النبي ﷺ وشخصه الكريم وقل سلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته وليصدق أملك في أنه يبلغه و يرد عليك ما هو أوفى منه ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلاما وافيا بعدد عباده الصالحين ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه ﷺ بالرسالة مجددا عهد الله سبحانه باعادة كلمتي الشهادة ومستأنفا للتحصن بها ثم ادع في آخر صلاتك بالدعاء المأثور مع التواضع والخشوع والضراعة والابتهال

(١) حديث يقال لصاحب القرآن اقرأ وارق د ت ن من حديث عبد الله بن عمر وقال ت حسن صحيح
(٢) حديث ان الله يقبل على المصلي مالم يلتفت د ن ك وصحح اسناده من حديث أبي ذر
(٣) حديث اللهم أصلح الراعي والرعية لم أقف له على أصل وفسره المصنف بالقلب والجوارح

أو القاء معنى في روع أو ضرب مثل في يقظة أو منام لم يكن إلى علم ذلك الغيب سبيل و يكون تقدير الآية فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى من رسول ان يرسله إلى من يشاء من عباده في يقظة أو منام فانه يطلع على ذلك أيضا و يكون فائدة الاخبار بهذا في الآية الامتنان على من رزقه الله تعالى علم شيء من مكنوناته واعلامه أنه لا تصل اليها نفسه ولا مخلوق سواه الا بالله تعالى حين أرسل اليه الملك بذلك و بعثه الله حتى يتبرأ المؤمن من حوله ومن حول كل مخلوق وقوته و يرجع الى الله تعالى وحده و يتحقق أنه لا يرد عليه شيء من علم أو معرفة أو غير ذلك الا بارادته ومشيئته و يحتمل وجه آخر وهو أن يكون معناه والله أعلم فلا يظهر على غيبه أحدا الا من ارتضى يريد من سائر خلقه وأصناف عباده و يكون معنى من رسول أي عن يد رسول من الملائكة ﴿فصل﴾ ومعنى ولا يتخطى رقاب الصديقين

ان قلتما الذي أوصله الى مقامهم أو جاوز به ذلك وهو في المرتبة الثالثة حال المقر بين ما وصل حيث ظننت فكيف

وصدق الرجاء بالاجابة وأشرك في دعائك أبويك وسائر المؤمنين واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانوختم الصلاة به واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلاتك هذه وانك ربما لا تعيش لمثلها وقال ﷺ للذي أوصاه صل صلاة مودع ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله * كان يحيي بن وثاب اذا صلى مكث ماشاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة وكان ابراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض فهذا تفصيل صلاة الخاشعين الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم على صلاتهم يحافظون والذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم يناجون الله على قدر استطاعتهم في العبودية فليعرض الانسان نفسه على هذه الصلاة فبالقدر الذي يسر له منه ينبغي أن يفرح وعلى ما يفوته ينبغي أن يتحسر وفي مداواة ذلك ينبغي أن يجتهد * وأما صلاة الغافلين فهي مخطرة الا أن يتغمده الله برحمته والرحمة واسعة والكرم فائض فنسأل الله أن يتغمدنا برحمته ويغمرنا بمغفرته اذ لا وسيلة لنا الا الاعتراف بالعجز عن القيام بطاعته واعلم أن تخليص الصلاة عن الآفات واخلاصها لوجه الله عز وجل وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول أنوار في القلب تكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلاة لا سيما في السجود اذ يتقرب العبد من ربه عز وجل بالسجود ولذلك قال تعالى ﴿واسجد واقترب﴾ وانما تكون مكاشفة كل مصل على قدر صفائه عن كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثاله كما كشف لبعضهم الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعو اليها ويختلف أيضا بما فيه المكاشفة فبعضهم ينكشف له من صفات الله تعالى وجلاله ولبعضهم من أفعاله ولبعضهم من دقائق علوم المعاملة ويكون لتعين تلك المعاني في كل وقت أسباب خفية لا تحصى وأشدها مناسبة الهمة فانها اذا كانت مصروفة الى شيء معين كان ذلك أولى بالانكشاف ولما كانت هذه الامور لا تتراءى الا في المرائي الثقيلة وكانت المرآة كلها صدئة فاحتجبت عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل لخبث متراكم الصدإ على مصب الهداية تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلك اذ الطبع مجبول على انكار غير الحاضر ولو كان للجنين عقل لانكر امكان وجود الانسان في متسع الهواء ولو كان للطفل تمييز ما ربما أنكر ما يزعم العقلاء ادراكه من ملكوت السموات والارض وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما بعده ومن أنكر طور الولاية لزمه أن ينكر طور النبوة وقد خلق الخلق أطوارا فلا ينبغي أن ينكر كل واحد ما وراء درجته نعم لما طلبوا هذا من المجادلة والمباحثة المشوشة ولم يطلبوها من تصفية القلوب عما سوى الله عز وجل فقدوه فأنكروه ومن لم يكن من أهل المكاشفة فلا أقل من أن يؤمن بالغيب ويصدق به الى أن يشاهد بالتجربة ففي الخبر (١) ان العبد اذا قام في الصلاة رفع الله سبحانه الحجاب بينه وبين عبده وواجهه بوجهه وقامت الملائكة من لدن منكبيه الى الهواء يصلون بصلاته ويؤمنون على دعائه وان المصلي لينتثر عليه البر من عنان السماء الى مفرق رأسه وينادي مناد لو علم هذا المناجي من يناجي ما التفت وان أبواب السماء تفتح للمصلين وان الله عز وجل يباهي ملائكته بعبده المصلي ففتح أبواب السماء ومواجهة الله تعالى اياه بوجهه كناية عن الكشف الذي ذكرناه وفي التوراة مكتوب يا ابن آدم لا تعجز أن تقوم بين يدي مصليا باكيا فانا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري قال فكنا نرى ان تلك الرقة والبكاء والفتوح الذي يجده المصلي في قلبه من دنو الرب سبحانه من القلب واذا لم يكن هذا الدنو هو القرب بالمكان فلا معنى له الا الدنو بالهداية والرحمة وكشف

(١) حديث ان العبد إذا قام في الصلاة رفع الله الحجاب بينه وبين عبده الحديث لم أجده

بمجاوزه وانما خاصية من هو في رتبة الصديقين عدم السؤال لكثرة التحقق بالاحوال وخاصية من هو في رتبة القرب كثرة السؤال طمعا في بلوغ الآمال ومثالها فيما أشير اليه مثال انسانين دخلا في بستان أحدهما يعرف جميع أنواع نبات البستان ويتحقق أنواع تلك الثمار ويعلم أسماءها ومنافعها فهو لا يسأل عن شيء مما يراه ولا يحتاج الى أن يخبر به والثاني لا يعرف مما رأى شيأ أو يعرف بعضا ويجهل أكثر مما يعرف فهو يسأل ليصل الى علم الباقي وذلك من تكلمنا عليه حين أكثر السؤال عما يبعد عنه حاله ويتخلف عن مقامه الى ما هو أعلى منه وكان غير مراد لذلك اما في ذلك الوقت أو الابد وتلك العلوم متى كانت لا تنال بالكسب وانما

الحجاب

الحجاب و يقال ان العبد اذا صلى ركعتين عجب منه عشرة صفوف من الملائكة كل صف منهم عشرة آلاف و باهى الله به مائة ألف ملك وذلك ان العبد قد جمع في الصلاة بين القيام والقعود والركوع والسجود وقد فرّق الله ذلك على أربعين ألف ملك فالقائمون لا يركعون الى يوم القيامة والساجدون لا يرفعون الى يوم القيامة وهكذا الراكعون والقاعدون فان ما رزق الله تعالى الملائكة من القرب والرتبة لازم لهم مستمر على حال واحد لا يزيد ولا ينقص ولذلك أخبر الله عنهم أنهم قالوا { وما منا الا له مقام معلوم } وفارق الانسان الملائكة في الترقي من درجة الى درجة فانه لا يزال يتقرب الى الله تعالى فيستفيد مزيد قرب به و باب المزيد مسدود على الملائكة عليهم السلام وليس لكل واحد الا رتبته التي هي وقف عليه وعبادته التي هو مشغول بها لا ينتقل الى غيرها ولا يفتر عنها { فلا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون } ومفتاح مزيد الدرجات هي الصلوات قال الله عزوجل { قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون } فمدحهم بعد الايمان بصلاة مخصوصة وهي المقرونة بالخشوع ثم ختم أوصاف المفلحين بالصلاة أيضا فقال تعالى { والذين هم على صلاتهم يحافظون } ثم قال تعالى في ثمرة تلك الصفات { أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون } فوصفهم بالفلاح أولا و بوراثة الفردوس آخرا وما عندي أن هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي الى هذا الحد ولذلك قال الله عز وجل في أضدادهم ما سلككم في سقر { قالوا لم نك من المصلين } فالمصلون هم ورثة الفردوس وهم المشاهدون لنور الله تعالى والمتمتعون بقربه ودنوّه من قلوبهم نسأل الله أن يجعلنا منهم وأن يعيذنا من عقوبة من تزينت أقواله وقبحت أفعاله انه الكريم المنان القديم الاحسان وصلى الله على كل عبد مصطفى

{ حكايات وأخبار في صلاة الخاشعين رضي الله عنهم }

اعلم أن الخشوع ثمرة الايمان و نتيجة اليقين الحاصل بجلال الله عز وجل ومن رزق ذلك فانه يكون خاشعا في الصلاة وفي غير الصلاة بل في خلوته وفي بيت الماء عند قضاء الحاجة فان موجب الخشوع معرفة اطلاع الله تعالى على العبد ومعرفة جلاله ومعرفة تقصير العبد فمن هذه المعارف يتولد الخشوع وليست مختصة بالصلاة ولذلك روى عن بعضهم أنه لم يرفع رأسه الى السماء أربعين سنة حياء من الله سبحانه وخشوعا له وكان الربيع بن خيثم من شدة غضه لبصره واطراقه يظن بعض الناس أنه أعمى وكان يختلف الى منزل ابن مسعود عشرين سنة فاذا رأته جاريته قالت لابن مسعود صديقك الأعمى قد جاء فكان يضحك ابن مسعود من قولها وكان اذا دق الباب تخرج الجارية اليه فتراه مطرقا غاضا بصره وكان ابن مسعود اذا نظر اليه يقول وبشر المخبتين أما والله لو رآك محمد ﷺ لفرح بك وفي لفظ آخر لأحبك وفي لفظ آخر لضحك ومشى ذات يوم مع ابن مسعود في الحدادين فلما نظر الى الأكوار تنفخ والى النار تلتهب صعق وسقط مغشيا عليه وقعد ابن مسعود عند رأسه الى وقت الصلاة فلم يفق فحمله على ظهره الى منزله فلم يزل مغشيا عليه الى مثل الساعة التي صعق فيها ففاتته خمس صلوات وابن مسعود عند رأسه يقول هذا والله هو الخوف وكان الربيع يقول ما دخلت في صلاة قط فأهمني فيها الا ما أقول وما يقال لي وكان عامر بن عبد الله من خاشعي المصلين وكان اذا صلى ربما ضربت ابنته بالدف وتحدث النساء بما يردن في البيت ولم يكن يسمع ذلك ولا يعقله وقيل له ذات يوم هل تحدثك نفسك في الصلاة بشيء قال نعم بوقوفي بين يدي الله عز وجل ومنصرفي الى احدى الدارين قيل فهل تجد شيأ مما نجد من أمور الدنيا فقال لأن تختلف الاسنة فيّ أحب اليّ من أن أجد في صلاتي ما تجدون وكان يقول لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا وقد كان مسلم بن يسار منهم وقد نقلنا أنه لم يشعر بسقوط اسطوانة في المسجد وهو في الصلاة وتأكل طرف من أطراف بعضهم واحتيج فيه الى القطع فلم يمكن منه فقيل انه في الصلاة لا يحس بما يجرى عليه فقطع وهو في الصلاة وقال بعضهم الصلاة من الآخرة فاذا دخلت فيها خرجت من الدنيا وقيل لآخر هل تحدث نفسك بشيء من الدنيا في الصلاة فقال لا في الصلاة ولا في غيرها وسئل بعضهم هل تذكر في الصلاة شيأ فقال وهل شيء أحب اليّ من الصلاة فأذكره فيها

تنال بالمنح فقيل له لا تتخط رقاب الصديقين بالسؤال فذلك مما لا يخطر به وليس هو من الطرق الموصلة الى مقامهم فارجع الى الصديق الاكبر فاقتد به في حاله وسيرته فعساك ترزق مقامه فان لم يكن فتبقى على حالة القرب وهي تتلو الصديقية فهذا معناه

{ فصل } ومعنى انصراف السالك الناظر بعد وصوله الى ذلك الرفيق الأعلى اما أنه لما وصل اليه بالسؤال صرف اليه ما لاق به من الأحوال ليحكم ما بني عليه من الأعمال كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم للذي سأله أن يعلمه غرائب العلم اذهب فاحكم ما هناك وبعد ذلك أعلمك غرائب العلم وأما صفة انصرافه فانه نهض بالبحث ورجع بالتذكر وفوائد المزيد ووجهه ان من لم يستطع المقام في ذلك الموضع بعد وصوله اليه فذلك لتعلق خبر المعرفة بالبدن ومسكنه عالم الملك ولم يفارقه

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه يقول من فقه الرجل أن يبدأ بحاجته قبل دخوله في الصلاة ليدخل في الصلاة وقلبه فارغ وكان بعضهم يخفف الصلاة خيفة الوسواس وروى أن (١) عمار بن ياسر صلى صلاة فاخفها فقيل له خففت يا أبا اليقظان فقال هل رأيتموني نقصت من حدودها شيأ قالوا لا قال اني بادرت سهو الشيطان ان رسول الله ﷺ قال ان العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها ولا ربعها ولا خمسها ولا سدسها ولا عشرها وكان يقول انما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها ويقال ان طلحة والزبير وطائفة من الصحابة رضي الله عنهم كانوا أخف الناس صلاة وقالوا نبادر بها وسوسة الشيطان وروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال على المنبر ان الرجل ليشيب عارضاه في الاسلام وما أكمل لله تعالى صلاة قيل وكيف ذلك قال لا يتم خشوعها وتواضعها واقباله على الله عز وجل فيها *وسئل أبو العالية عن قوله الذين هم عن صلاتهم ساهون قال هو الذي يسهو في صلاته فلا يدري على كم ينصرف أعلى شفع أم على وتر وقال الحسن هو الذي يسهو عن وقت الصلاة حتى تخرج وقال بعضهم هو الذي ان صلاها في أول الوقت لم يفرح وان أخرها عن الوقت لم يحزن فلا يرى تعجيلها خيرا ولا تأخيرها اثما واعلم ان الصلاة قد يحسب بعضها ويكتب بعضها دون بعض كما دلت الاخبار عليه وان كان الفقيه يقول ان الصلاة في الصحة لا تتجزأ ولكن ذلك له معنى آخر ذكرناه وهذا المعنى دلت عليه الاحاديث اذ ورد (٢) جبر نقصان الفرائض بالنوافل وفي الخبر قال عيسى عليه السلام يقول الله تعالى بالفرائض نجا مني عبدي وبالنوافل تقرب الي عبدي وقال النبي ﷺ (٣) قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضته عليه وروى أن النبي ﷺ (٤) صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما انفتل قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي ابن كعب رضي الله عنه فقال قرأت سورة كذا وتركت آية كذا فما ندري أنسخت أم رفعت فقال أنت لها يا أبي ثم أقبل على الآخرين فقال ما بال أقوام يحضرون صلاتهم ويتمون صفوفهم ونبيهم بين أيديهم لا يدرون ما يتلو عليهم من كتاب ربهم ألا ان بني اسرائيل كذا فعلوا فأوحى الله عز وجل الى نبيهم أن قل لقومك تحضروني أبدانكم وتعطوني ألسنتكم وتغيبون عني بقلوبكم باطل ما تذهبون اليه وهذا يدل على أن استماع ما يقرأ الامام وفهمه بدل عن قراءة السورة بنفسه وقال بعضهم ان الرجل يسجد السجدة عنده أنه تقرب بها الى الله عز وجل ولو قسمت ذنوبه في سجدته على أهل مدينته لهلكوا قيل وكيف يكون ذلك قال يكون ساجدا عند الله وقلبه مصغ الى هوى ومشاهد لباطل قد استولى عليه فهذه صفة الخاشعين فدلت هذه الحكايات والاخبار مع ما سبق على أن الأصل في الصلاة الخشوع وحضور القلب وان مجرد الحركات مع الغفلة قليل الجدوى في المعاد والله أعلم نسأل الله حسن التوفيق

﴿ الباب الرابع في الامامة والقدوة ﴾

وفي أركان الصلاة وبعد السلام وعلى الامام وظائف قبل الصلاة وفي القراءة

﴿ أما الوظائف التي هي قبل الصلاة فستة ﴾ أولها أن لا يتقدم للامامة على قوم يكرهونه فان اختلفوا كان النظر الى الاكثر فان كان الاقلون هم أهل الخير والدين فالنظر اليهم أولى وفي الحديث (١) ثلاثة لا تجاوز صلاتهم

عمارة الدنيا وقد سبق في علمه ولن تجد لسنة الله تبديلا ومعنى قول أبي سليمان الداراني لو وصلوا ما رجعوا ما رجع الى حالة الانتقاص من وصل الى حالة الاخلاص والذي طمع الناظر في الحصول فيه سؤاله وتماديه الى حال القرب منه ادلم يصلح لذلك ولم يصف ولم يخلص أعماله ﴿ فصل ﴾ ومعنى بأن ليس في الامكان أبدع من صورة هذا العالم ولا أحسن ترتيبا ولا أكمل صنعا ولو كان وادخره مع القدرة كان ذلك بخلا يناقض الكرم الالهي وان لم يكن قادرا عليه كان ذلك عجزا يناقض القدرة الالهية فكيف يقضي عليه بالعجز أيام يخلقه احتيارا وكان ذلك ولم يسبب اليه ذلك قبل خلق العالم وبعده اذ خلق واخراج العالم من العدم الى الوجود

(١) حديث ان عمار بن ياسر صلى فأخفها فقيل له خففت يا أبا اليقظان الحديث وفيه ان العبد ليصلي صلاة لا يكتب له نصفها ولا ثلثها الى آخره أحمد باسناد صحيح وتقدم المرفوع عنه وهو عند د ن (٢) حديث جبر نقصان الفرائض بالنوافل أصحاب السنن والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة ان أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله صلاته وفيه فان انتقص من فريضته شيأ قال الرب عز وجل انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل بها ما نقص من الفريضة (٣) حديث قال الله تعالى لا ينجو مني عبدي الا باداء ما افترضت عليه لم أجده (٤) حديث صلى صلاة فترك من قراءتها آية فلما التفت قال ماذا قرأت فسكت القوم فسأل أبي بن كعب الحديث رواه محمد بن نصر في كتاب الصلاة مرسلا وأبو منصور الديلمي من حديث أبي بن كعب ورواه ن مختصرا من حديث عبد الرحمن بن أبزى باسناد صحيح ﴿ الباب الرابع ﴾

رؤسهم العبد الآبق وامرأة زوجها ساخط عليها وإمام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع كراهتهم فكذلك ينهى عن التقدم إن كان وراءه من هو أفقه منه إلا إذا امتنع من هو أولى منه فله التقدم فإن لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما تقدم وعرف من نفسه القيام بشروط الامامة و يكره عند ذلك المدافعة فقد قيل إن قوما تدافعوا الامامة بعد اقامة الصلاة فخسف بهم وما روى من مدافعة الامامة بين الصحابة رضى الله عنهم فسببه ايثارهم من رأوه أنه أولى بذلك أو خوفهم على أنفسهم السهو وخطر ضمان صلاتهم فان الأئمة ضمناء وكان من لم يتعود ذلك ربما يشتغل قلبه و يتشوش عليه الاخلاص فى صلاته حياء من المقتدين لاسيما فى جهره بالقراءة فكان لاحتراز من احترز أسباب من هذا الجنس * الثانية إذا خير المرء بين الأذان والامامة فينبغي أن يختار الامامة فان لكل واحد منهما فضلا ولكن الجمع مكروه بل ينبغي أن يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة أولى وقال قائلون الأذان أولى لما نقلناه من فضيلة الاذان ولقوله ﷺ (٢) الامام ضامن والمؤذن مؤتمن فقالوا فيها خطر الضمان وقال ﷺ (٣) الامام أمين فاذا ركع فاركعوا واذا سجد فاسجدوا وفى الحديث (٤) فان أتم فله ولهم وان نقص فعليه لا عليهم ولأنه ﷺ قال (٥) اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين والمغفرة أولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة وفى الخبر (٦) من أم فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة بلا حساب ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ولذلك نقل عن الصحابة رضى الله عنهم أنهم كانوا يتدافعون الامامة والصحيح أن الامامة أفضل إذ واظب عليها رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما والأئمة بعدهم نعم فيها خطر الضمان والفضيلة مع الخطر كما أن رتبة الامارة والخلافة أفضل لقوله ﷺ (٧) ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة ولكن فيها خطر ولذلك وجب تقديم الافضل والافقه فقد قال ﷺ (٨) أئمتكم شفعاؤكم أو قال وفدكم الى الله فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم وقال بعض السلف ليس بعد الانبياء أفضل من العلماء ولا بعد العلماء أفضل من الأئمة المصلين لأن هؤلاء قاموا بين يدى الله عز وجل وبين خلقه هذا بالنبوة وهذا بالعلم وهذا بعماد الدين وهو الصلاة وبهذه الحجة احتج الصحابة (٩) فى تقديم

(١) حديث ثلاثة لا تجاوز صلاتهم رؤسهم العبد الآبق الحديث ت من حديث أبى أمامة وقال حسن غريب وضعفه هق (٢) حديث الامام ضامن والمؤذن مؤتمن د ت من حديث أبى هريرة وحكي عن ابن المديني أنه لم يثبته ورواه أحمد من حديث أبى أمامة باسناد حسن (٣) حديث الامام أمين فاذا ركع فاركعوا الحديث خ من حديث أبى هريرة دون قوله الامام أمين وهو بهذه الزيادة فى مسند الحميدى وهو متفق عليه من حديث أنس دون هذه الزيادة (٤) حديث فان أتم فله ولهم وان انتقص فعليه ولا عليهم د ك وصححه من حديث عقبة بن عامر والبخارى من حديث أبى هريرة يصلون بكم فان أصابوا فلكم وان أخطأوا فلكم وعليهم (٥) حديث اللهم أرشد الأئمة واغفر للمؤذنين هو بقية حديث الامام ضامن وتقدم قبل بحديثين (٦) حديث من أذن فى مسجد سبع سنين وجبت له الجنة ومن أذن أربعين عاما دخل الجنة بغير حساب ت ه من حديث ابن عباس بالشطر الاول نحوه وقال ت حديث غريب (٧) حديث ليوم من سلطان عادل أفضل من عبادة سبعين سنة الطبرانى من حديث ابن عباس بسند حسن باللفظتين (٨) حديث أئمتكم وفدكم إلى الله تعالى فان أردتم أن تزكوا صلاتكم فقدموا خياركم قط هق وضعف أسناده من حديث ابن عمر والبغوى وابن قانع والطبرانى فى معاجمهم و ك من حديث مرثد بن أبى مرثد نحوه وهو منقطع وفيه يحيي بن يحيي الاسلمي وهو ضعيف

(٩) حديث تقديم الصحابة أبا بكر وقولهم اخترنا لدنيانا من اختاره رسول الله ﷺ لديننا ابن شاهين فى شرح مذاهب أهل السنة من حديث على قال لقد أمر رسول الله ﷺ أبا بكر أن يصلى بالناس وانى لشاهد ما أنا

(٧) قوله من أم الخ هكذا هو فى النسخ وهو الموافق لكلام المصنف ولكن فى العراقى والشارح لفظا وإن فى الموضعين فليحرر الحديث اه مصححه

عجز مثل ما قيل فيما ذكرناه وما الفرق بينهما وذلك لأن تأخيره بالعالم قبل خلقه عن أن يخرجه من العدم إلى الوجود يقع تحت الاختيار الممكن من حيث ان الفاعل المختار له أن يفعل فاذا فعل فليس فى الامكان أن يفعل الا نهاية ما تقتضيه الحكمة التى عرفنا أنها حكمة ولم يعرفنا بذلك الا لنعلم مجارى أفعاله ومصادر أموره وأن نتحقق ان كل ما اقتضاه و يقضيه من خلقه بعلمه وارادته وقدرته ان ذلك على غاية الحكمة ونهاية الاتقان ومبلغ جودة الصنع ليجعل كمال ما خلق دليلا قاطعا وبرهانا على كماله فى صفات جلاله الموجبة لاجلاله فلو كان ما خلق ناقصا بالاضافة إلى غيره ما قدر على خلقه ولو لم يخلق لكان يظهر النقصان المدعي على هذا الوجود من خلقه كما يظهر على ما خلقه على غير ذلك و يكون الجميع من باب الاستدلال على ما صنع من النقصان قطعا وما يحمل عليه من القدرة على أكمل منه ظنا إذ خلق للخلق عقولا وجعل

أبي بكر الصديق رضي الله عنه وعنهم للخلافة إذ قالوا نظرنا فاذا الصلاة عماد الدين فاخترنا للدنيا من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا وما قدموا[1] بلالا احتجاجا بأنه رضيه للاذان وما روى أنه قال له رجل يا رسول الله[2] دلني على عمل أدخل به الجنة قال كن مؤذنا قال لا أستطيع قال كن إماما قال لا أستطيع فقال صل بازاء الامام فلعله ظن أنه لا يرضى بامامته إذ الاذان اليه والامامة إلى الجماعة وتقديمهم له ثم بعد ذلك توهم أنه ربما يقدر عليها الثالثة أن يراعي الامام أوقات الصلوات فيصلي في أوائلها ليدرك رضوان الله سبحانه[3] ففضل أول الوقت على آخره كفضل الآخرة على الدنيا هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الحديث[4] إن العبد لا يصلي الصلاة في آخر وقتها ولم تفته ولما فاته من أول وقتها خير له من الدنيا وما فيها ولا ينبغي أن يؤخر الصلاة لانتظار كثرة الجماعة بل عليهم المبادرة لحيازة فضيلة أول الوقت فهي أفضل من كثرة الجماعة ومن تطويل السورة وقد قيل كانوا إذا حضر اثنان في الجماعة لم ينتظروا الثالث وإذا حضر أربعة في الجنازة لم ينتظروا الخامس وقد[5] تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الفجر وكانوا في سفر وانما تأخر للطهارة فلم ينتظر وقدم عبد الرحمن بن عوف فصلى بهم حتى فاتت رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعة فقام يقضيها قال فاشفقنا من ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أحسنتم هكذا فافعلوا وقد[6] تأخر في صلاة الظهر فقدموا أبا بكر رضي الله عنه حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في الصلاة فقام إلى جانبه وليس على الامام انتظار المؤذن وانما على المؤذن انتظار الامام للاقامة فاذا حضر فلا ينتظر غيره * الرابعة أن يؤم مخلصا لله عز وجل ومؤديا أمانة الله تعالى في طهارته وجميع شروط صلاته أما الاخلاص فبأن لا يأخذ عليها أجرة فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن أبي العاص الثقفي وقال[7] اتخذ مؤذنا لا يأخذ على الأذان أجرا فالأذان طريق إلى الصلاة فهي أولى بأن لا يؤخذ عليها أجر فان أخذ رزقا من مسجد قد وقف على من يقوم بامامته أو من السلطان أو آحاد الناس فلا يحكم بتحريمه ولكنه مكروه والكراهية في الفرائض أشد منها في التراويح وتكون أجرة له على مداومته على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلاة وأما الامانة فهي الطهارة باطنا عن الفسق والكبائر والاصرار على الصغائر فالمترشح للامامة ينبغي ان يحترز عن ذلك بجهده فانه كالوفد والشفيع للقوم فينبغي أن يكون خير القوم وكذا الطهارة ظاهرا عن الحدث والخبث فانه لا يطلع عليه سواه فان تذكر في أثناء

بغائب ولا بي مرض فرضينا للدنيا نا ما رضي به النبي صلى الله عليه وسلم لديننا والمرفوع منه متفق عليه من حديث عائشة وابي موسى في حديث قال مروا أبا بكر فليصل بالناس (١) حديث تقديم الصحابة بلالا احتجاجا بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم رضيه للاذان اما المرفوع منه فرواه ابوداود والترمذي وصححه وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان من حديث عبد الله بن زيد في بدء الأذان وفيه قم مع بلال فألق عليه ما رايت فليؤذن به الحديث واما تقديمهم له بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم فروى الطبراني ان بلالا جاء إلى ابي بكر فقال يا خليفة رسول الله اردت ان ارابط نفسي في سبيل الله حتى اموت فقال ابو بكر انشدك بالله يا بلال وحرمتي وحقي لقد كبرت سني وضعفت قوتي واقترب اجلي فأقام بلال معه فلما توفي أبو بكر جاء عمر فقال له مثل ما قال لأبي بكر فأبى عليه فقال عمر فمن يا بلال فقال إلى سعد فانه قد اذن بقباء على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل عمر الأذان الى سعد وعقبه وفي اسناده جهالة (٢) حديث قال له رجل يا رسول الله دلني على عمل ادخل به الجنة قال كن مؤذنا الحديث البخاري في التاريخ والعقيلي في الضعفاء وطب في الاوسط من حديث ابن عباس باسناد ضعيف (٣) حديث فضل اول الوقت على آخر كفضل الآخرة على الدنيا ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٤) حديث ان العبد ليصلي الصلاة في اول وقتها ولم تفته الحديث الدارقطني من حديث ابي هريرة نحوه باسناد ضعيف (٥) حديث تأخر رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما عن صلاة الفجر وكان في سفر وانما تأخر للطهارة فقدموا عبد الرحمن بن عوف الحديث متفق عليه من حديث المغيرة (٦) حديث تأخر في صلاة الظهر فقدموا

---

(٥) قول العراقي تقديم الصحابة بلالا لعل المناسب عدم تقديمه فليتأمل اهـ مصححه

لهم فهوما وعرفهم ما أكن وكشف لهم ما حجب وأجن فيكون من حيث عرفهم بكماله دلهم على نقصه ومن حيث أعلمهم بقدرته بصرهم بعجزه فتعالى الله رب العالمين الملك الحق المبين وايضا فلا يعترض هنا ويتزر به الامن لا يعرف مخلوقاته ولم يصرف الكلام الصحيح في مشابه ذلك اصلا في العلم او كان نسخ له ومعنى نقيس عليه غيره واما انكشافه بخير ممن رزق علم ذلك كان بطلان العلم في حق المخبر إذ أفشاه لغير أهله وأهداه لمن لا يستحقه كما روى عن عيسى على نبينا وعليه السلام لا تعلقوا الدر في اعناق الخنازير وانما اراد قطاع العلم غير اهله وقد جاء لا تمنعوا الحكمة أهلها فتظلموهم ولا تضعوها عند غير أهلها فتظلموها واما سر العلم الذي يوجب كشفه بطلان الأحكام فان كان كشفه من الله سبحانه لقلوب ضعيفة بطلت الأحكام

صلاته حدثا أو خرج منه ريح فلا ينبغي أن يستحيي بل يأخذ بيد من يقرب منه ويستخلفه فقد تذكر رسول الله ﷺ (١) الجنابة فى أثناء الصلاة فاستخلف واغتسل ثم رجع ودخل فى الصلاة وقال سفيان صل خلف كل بر وفاجر إلا مدمن خمر أو معلن بالفسوق أو عاق لوالديه أو صاحب بدعة أو عبد آبق * الخامسة أن لا يكبر حتى تستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان رأى خللا أمر بالتسوية قيل كانوا يتحاذون بالمناكب ويتضامون بالكعاب ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة والمؤذن يؤخر الاقامة عن الأذان بقدر استعداد الناس فى الصلاة ففى الخبر (٢) ليتمهل المؤذن بين الأذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره وذلك لانه نهى (٣) عن مدافعة الأخبثين (٤) وأمر بتقديم العشاء على العشاء طلبا لفراغ القلب * السادسة أن يرفع صوته بتكبيرة الاحرام وسائر التكبيرات ولا يرفع المأموم صوته إلا بقدر ما يسمع نفسه وينوي الامامة لينال الفضل فان لم ينو صحت صلاته وصلاة القوم اذا نووا الاقتداء ونالوا فضل القدوة وهو لا ينال فضل الامامة وليؤخر المأموم تكبيره عن تكبيرة الامام فيبتدئ بعد فراغه والله أعلم ﴿وأما وظائف القراءة فثلاثة﴾ أولها أن يسر بدعاء الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد ويجهر بالفاتحة والسورة بعدها فى جميع الصبح وأولي العشاء والمغرب وكذلك المنفرد ويجهر بقوله آمين فى الصلاة الجهرية وكذا المأموم ويقرن المأموم تأمينه بتأمين الامام معا لا تعقيبا (٥) ويجهر ببسم الله الرحمن الرحيم والأخبار فيه متعارضة (٦) واختيار الشافعي رضى الله عنه الجهر * الثانية أن يكون للامام فى القيام ثلاث سكتات هكذا رواه (٧) سمرة بن جندب وعمران بن الحصين عن رسول الله ﷺ أولاهن اذا كبر وهي الطولى منهن مقدار ما يقرأ من خلفه فاتحة الكتاب وذلك وقت قراءته لدعاء الاستفتاح فانه ان لم يسكت يفوتهم الاستماع فيكون عليه ما نقص من صلاتهم فان لم يقرأ الفاتحة فى سكوته واشتغلوا بغيرها فذلك عليه لا عليهم * والسكتة الثانية اذا فرغ من الفاتحة ليتم من يقرأ الفاتحة فى السكتة الأولى فاتحته وهى كنصف السكتة الأولى * السكتة الثالثة اذا فرغ من السورة قبل أن يركع وهى أخفها

ابا بكر الحديث متفق عليه من حديث سهل بن سعد (٧) حديث اتخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرة أصحاب السنن وك وصححه من حديث عثمان بن أبى العاص الثقفى (١) حديث تذكر النبي ﷺ الجنابة فى صلاته فاستخلف واغتسل ثم رجع د من حديث أبى بكرة باسناد صحيح وليس فيه ذكر الاستخلاف وانما قال ثم أومأ اليهم أن مكانكم الحديث وورد الاستخلاف من فعل عمر وعلى وعند خ استخلاف عمر فى قصة طعنه (٢) حديث يمهل المؤذن بين الأذان والاقامة بقدر ما يفرغ الآكل من طعامه والمعتصر من اعتصاره ت ك من حديث جابر يا بلال اجعل بين أذانك وإقامتك قدر ما يفرغ الآكل من أكله والشارب من شربه والمعتصر اذا دخل لقضاء حاجته قال ت إسناده مجهول وقال ك ليس فى إسناده مطعون فيه غير عمرو بن فائد قلت بل فيه عبد المنعم الدياجي منكر الحديث قاله خ وغيره (٣) حديث النهى عن مدافعة الأخبثين م من حديث عائشة بلفظ لا صلاة وللبيهقي لا يصلين أحدكم الحديث (٤) حديث الأمر بتقديم العشاء على العشاء تقدم من حديث ابن عمر وعائشة اذا حضر العشاء وأقيمت الصلاة فابدؤا بالعشاء متفق عليه (٥) حديث الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم قط ك وصححه من حديث ابن عباس (٦) حديث ترك الجهر بها م من حديث أنس صليت خلف النبي ﷺ وأبى بكر وعمر فلم أسمع أحدا منهم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم وللنسائي يجهر ببسم الله الرحمن الرحيم (٧) حديث سمرة بن جندب وعمران بن حصين فى سكتات الامام أحمد من حديث سمرة قال كانت لرسول الله ﷺ سكتات فى صلاته وقال عمران أنا أحفظهما عن رسول الله ﷺ فكتبوا فى ذلك الى أبى بن كعب فكتب ان سمرة قد حفظ هكذا وجدته فى غير نسخة صحيحة من المسند والمعروف ان عمران أنكر ذلك على سمرة هكذا فى غير موضع من المسند و د ه حب و ت فأنكر ذلك عمران وقال حفظنا سكتة وقال حديث حسن انتهى وليس فى حديث سمرة إلا سكتتان ولكن اختلف عنه فى محل الثانية فروى عنه بعد

فى حقها لمن يطلع عليه فى ذلك السر من معرفة مآل الاشياء وعواقب الخلق وكشف أسرار العبادة ومايظن من مقدور فمن عرف نفسه مثلا انه من أهل الجنة لم يصل ولم يصم ولم يتعب نفسه فى خير وكذلك لو انكشف له أنه من اهل النار كمل انهماكه فلا يحتاج الى تعب زائد ولا تصيبه مكابدة فلو عرف كل واحد عاقبته ومآله بطلت الأحكام الجارية عليه وان كان كشفها من مخبر استروح الضعيف الى ما يسمع من ذلك فيتعطل وينخرم حاله وينحل قيده وبعد هذا فلا يحمل كلام سهل الا على ما يقدر لا على ما يوجد ولذلك جعله مقرونا بحرف لو الدال على امتناع الشيء لامتناع غيره كما يقال لو كان للانسان جناحان لطار ولو كان للسماء درج لصعد عليها ولو كان البشر ملكا لفقد الشهوات فعلى هذا يخرج كلام سهل فى ظاهر العلم

(فصل) وأما خطاب العقلاء للجهادات فغير مستنكر

وذلك بقدر ما تنفصل القراءة عن التكبير فقد نهى عن الوصل فيه ولا يقرأ المأموم وراء الامام إلا الفاتحة فان لم يسكت الامام قرأ فاتحة الكتاب معه والمقصر هو الامام وان لم يسمع المأموم في الجهرية لبعده أو كان في السرية فلا بأس بقراءة السورة * الوظيفة الثالثة أن يقرأ في الصبح سورتين من المثاني مادون المائة فان الاطالة في قراءة الفجر والتغليس بها سنة ولا يضره الخروج منها مع الاسفار ولا بأس بأن يقرأ في الثانية بأواخر السور نحو الثلاثين أو العشرين الى أن يختمها لان ذلك لا يتكرر على الأسماع كثيرا فيكون أبلغ في الوعظ وأدعى الى التفكر وانما كره بعض العلماء قراءة بعض أول السورة وقطعها وقد روى أنه ﷺ (١) قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع فركع وروى أنه ﷺ (٢) قرأ في الفجر آية من البقرة وهى قوله ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ﴾ وفي الثانية ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ﴾ (٣) وسمع بلالا يقرأ من ههنا وههنا فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت ويقرأ في الظهر بطوال المفصل الى ثلاثين آية وفي العصر بنصف ذلك وفي المغرب بأواخر المفصل وآخر صلاة صلاها رسول الله ﷺ (٤) المغرب قرأ فيها سورة المرسلات ماصلى بعدها حتى قبض وبالجملة التخفيف أولى لاسيما اذا كثر الجمع قال ﷺ في هذه الرخصة (٥) اذا صلى أحدكم بالناس فليخفف فان فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة واذا صلى لنفسه فليطول ماشاء وقد كان (٦) معاذ بن جبل يصلي بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة وأتم لنفسه فقالوا نافق الرجل فتشاكيا الى رسول الله ﷺ فزجر رسول الله ﷺ معاذا فقال أفتان أنت يامعاذ اقرأ سورة سبح والسماء والطارق والشمس وضحاها ﴿ وأما وظائف الأركان فثلاثة ﴾ أولها أن يخفف الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلاث فقد روى عن أنس أنه قال (٧) مارأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ في تمام نعم روى أيضا أن أنس بن مالك (٨) لما صلى خلف عمر بن عبد العزيز وكان أميرا بالمدينة قال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من هذا الشاب قال وكنا نسبح وراءه عشرا عشرا وروى مجملا أنهم قالوا (٩) كنا نسبح وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الركوع والسجود عشرا عشرا وذلك حسن ولكن الثلاث اذا كثر الجمع أحسن فاذا لم يحضر إلا المتجردون للدين فلا بأس بالعشر هذا وجه الجمع بين الروايات وينبغي

الفاتحة وروى عنه بعد السورة ولقط من حديث أبي هريرة وضعفه من صلى صلاة مكتوبة مع الامام فليقرأ بفاتحة الكتاب في سكتاته (١) حديث قرأ بعض سورة يونس فلما انتهى الى ذكر موسى وفرعون قطع وركع م من حديث عبد الله بن السائب وقال سورة المؤمنين وقال موسى وهرون وعلقه خ (٢) حديث قرأ في الفجر ﴿ قولوا آمنا بالله ﴾ الآية وفي الثانية ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت ﴾ م من حديث ابن عباس كان يقرأ في ركعتي الفجر في الأولى منهما ﴿ قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا ﴾ الآية التي في البقرة وفي الآخرة منهما ﴿ آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون ﴾ ود من حديث أبي هريرة ﴿ قل آمنا بالله وما أنزل علينا ﴾ الآية وفي الركعة الآخرة ﴿ ربنا آمنا بما أنزلت أو إنا أرسلناك بالحق ﴾ (٣) حديث سمع بلالا يقرأ من ههنا ومن ههنا فسأله عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال أحسنت د من حديث أبي هريرة باسناد صحيح نحوه (٤) حديث قراءته في المغرب بالمرسلات وهى آخر صلاة صلاها متفق عليه من حديث أم الفضل (٥) حديث اذا صلى احدكم بالناس فليخفف الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٦) حديث صلى معاذ بقوم العشاء فقرأ البقرة فخرج رجل من الصلاة الحديث متفق عليه من حديث جابر وليس فيه ذكر والسماء والطارق وهى عند البيهقي (٧) حديث انس مارأيت أخف صلاة من رسول الله ﷺ في تمام متفق عليه (٨) حديث أنس انه صلى خلف عمر بن عبد العزيز فقال ماصليت وراء أحد أشبه صلاة برسول الله ﷺ من هذا الشاب الحديث د ن باسناد جيد وضعفه ابن القطان (٩) حديث كنا نسبح وراء رسول الله ﷺ في الركوع والسجود عشرا لم أجد له أصلا الا في الحديث الذي قبله وفيه نحزرنا في ركوعه عشر تسبيحات وفي سجوده عشر تسبيحات

نقد يماندب الناس الديار وسألوا الأطلال واستخبروا الآثار وقد جاء في اشعار العرب وكلامها من ذلك كثير وفي حديث النبي ﷺ أسكن أحد فانما عليك نبي وصديق وشهيدان وقال بعضهم اسأل الأرض تخبرك عمن شق أنهارها وفجر بحارها ونتق أهواءها ورتق أجواءها وأرسى جبالها إن لم تجبك أجابتك اعتبارا وانما الذي يتوقف على الأذهان ويتحير في قوله السامعون وتتعجب منه العقول هو كيفية كلام الجمادات والحيوانات الصامتات ففي هذا وقع الانكار واضطرب النظار وكذب في تصحيح وجوده ذو السمع من الاعتبار ولكن لتعلم أن تلقى الكلام للعقلاء ممن لم يعقل عنه في المشهود يكون على جهات من ذلك سماع الكلام الذاتي كما تتلقى من اهل النطق اذا قصدوا الى نظم اللفظ وذلك اكثر ما يكون للانبياء

أن

أن يقول الامام عند رفع رأسه من الركوع سمع الله لمن حمده * الثانية فى المأموم ينبغي أن لا يساوى الامام فى الركوع والسجود بل يتأخر فلا يهوى للسجود الا اذا وصلت جبهة الامام إلى المسجد (١) هكذا كان اقتداء الصحابة برسول الله ﷺ ولا يهوى للركوع حتى يستوى الامام راكعا وقد قيل ان الناس يخرجون من الصلاة على ثلاثة أقسام طائفة بخمس وعشرين صلاة وهم الذين يكبرون ويركعون بعد الامام وطائفة بصلاة واحدة وهم الذين يساوونه وطائفة بلا صلاة وهم الذين يسابقون الامام وقد اختلف فى أن الامام فى الركوع هل ينتظر لحوق من يدخل لينال فضل الجماعة وادراكهم لتلك الركعة ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا بأس به اذا لم يظهر تفاوت ظاهر للحاضرين فان حقهم مرعى فى ترك التطويل عليهم * الثالثة لا يزيد فى دعاء التشهد على مقدار التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه فى الدعاء بل يأتى بصيغة الجمع فيقول اللهم اغفر لنا ولا يقول اغفرلى فقد كره للامام أن يخص نفسه ولا بأس أن يستعيذ فى التشهد بالكلمات الخمس المأثورة عن رسول الله ﷺ (٢) فيقول نعوذ بك من عذاب جهنم وعذاب القبر ونعوذ بك من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين وقيل سمى مسيحا لانه يمسح الأرض بطولها وقيل لانه ممسوح العين أى مطموسها ﴿وأما وظائف التحلل فثلاثة﴾ أولها أن ينوى بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة * الثانية أن يثبت عقيب السلام (٣) كذلك فعل رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما فيصلى النافلة فى موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن وفى الخبر المشهور أنه ﷺ لم (٤) يكن يقعد الا قدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام * الثالثة اذا وثب فينبغي أن يقبل بوجهه على الناس ويكره للمأموم القيام قبل انفتال الامام فقد روى عن طلحة والزبير رضى الله عنهما أنهما صليا خلف امام فلما سلما قالا للامام ما أحسن صلاتك وأتمها الاشيأ واحدا انك لما سلمت لم تنفتل بوجهك ثم قالا للناس ما أحسن صلاتكم الا أنكم انصرفتم قبل أن ينفتل امامكم ثم ينصرف الامام حيث شاء من يمينه وشماله واليمين أحب هذه وظيفة الصلوات وأما الصبح فزيد فيها القنوت فيقول الامام اللهم اهدنا ولا يقول اللهم اهدنى ويؤمن المأموم فاذا انتهى الى قوله انك تقضى ولا يقضى عليك فلا يليق به التأمين وهو ثناء فيقرأ معه فيقول مثل قوله أو يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين أو صدقت وبررت وما أشبه ذلك (٥) وقد روى حديث فى رفع اليدين فى القنوت فاذا صح الحديث استحب ذلك وان كان على خلاف الدعوات فى آخر التشهد اذ لا يرفع بسببها اليد بل التعويل على التوقيف وبينهما أيضا فرق وذلك أن للايدى وظيفة فى التشهد وهو الوضع على الفخذين على هيئة مخصوصة ولا وظيفة لهما ههنا فلا يبعد أن يكون رفع اليدين هو الوظيفة فى القنوت فانه لائق بالدعاء والله أعلم فهذه جمل آداب القدوة والامامة والله الموفق

﴿ الباب الخامس فى فضل الجمعة وآدابها وسننها وشروطها ﴾

(١) حديث كان الصحابة لا يهوون للسجود الا اذا وصلت جبهة النبي ﷺ إلى الأرض متفق عليه من حديث البراء بن عازب (٢) حديث التعوذ فى التشهد من عذاب جهنم وعذاب القبر الحديث تقدم وزاد فيه الغزالي هنا واذا أردت بقوم فتنة فاقبضنا اليك غير مفتونين ولم أجده مقيدا بآخر الصلاة وللترمذى من حديث ابن عباس واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون ولك نحوه من حديث ثوبان وعبد الرحمن ابن عايش وصححهما وسيأتى فى الدعاء (٣) حديث المكث بعد السلام خ من حديث أم سلمة (٤) حديث أنه لم يكن يقعد الا بقدر قوله اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام م من حديث عائشة (٥) حديث رفع اليدين فى القنوت البيهقى من حديث أنس بسند جيد فى قصة قتل القراء ولقد رأيت رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم

تلقى الكلام فى حس السامع من غير أن يكون له وجود من خارج الحس ويعترى هذا سائر الحواس كمثل ما يسمع النائم فى منامه من مثال شخص من غير مثال والمثال المرئى للنائم ليس له وجود فى سمعه وأما ما يجده غير النائم فى اليقظة فمنها خاصة وعامة فقد ورد أن الحجر فى زمن عيسى ينادى المسلم يامسلم خلفى يهودى فاقتله وان لم يخلق الله تعالى للحجر حياة ونطقا ويذهب عنه معنى الحجرية أو يوكل بالحجر من يتكلم عنه ممن يستتر عن الابصار فى العادة من الملائكة والجن او يكون كلام يخلقه الله عز وجل فى اذن السامع ليفيده العلم باختفاء اليهودى حتى

ليتحرك إلى الحساب وحده دون من يشاركه فى اسمه ولا يكون نداء من خارج والامثلة كثيرة فى الشرع وفيما سمعت غنية ومقنع ومنها تلقى الكلام فى العقل وهو المستفاد بالمعرفة المسموع بالقلب المفهوم بالتقدير على اللفظ المسمى بلسان الحال كما قال قيس

واجهشت للتوادد حين رأيته * وكبر للرحمن حين رآنى

فقلت له أين الذين عهدتهم * حواليك فى عيش وخفض زمان

فقال مضوا واستودعونى بلادهم * ومن الذى يبقى على الحدثان

وفى أمثال العوام قال الحائط للوتد لم تشقنى فقال الوتد للحائط سل من يدقنى فلو كانت العبارة تتأتى منها ماعبرت إلا بما قد استعير لها وعلى هذا المعنى حمل

﴿ فضيلة الجمعة ﴾

اعلم أن هذا يوم عظيم عظم الله به الاسلام وخصص به المسلمين قال الله تعالى ﴿اذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾ فحرم الاشتغال بامور الدنيا و بكل صارف عن السعى إلى الجمعة وقال ﷺ (١) ان الله عزوجل فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا فى مقامى هذا وقال ﷺ (٢) من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه وفى لفظ آخر (٣) فقد نبذ الاسلام وراء ظهره واختلف رجل إلى ابن عباس يسأله عن رجل مات لم يكن يشهد جمعة ولا جماعة فقال فى النار فلم يزل يتردد اليه شهرا يسأله عن ذلك وهو يقول فى النار وفى الخبر (٤) ان أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه فصرفوا عنه وهدانا الله تعالى له وأخره لهذه الامة وجعله عيدا لهم فهم أولى الناس به سبقا وأهل الكتابين لهم تبع وفى حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال (٥) أتانى جبريل عليه السلام فى كفه مرآة بيضاء وقال هذه الجمعة يفرضها عليك ربك لتكون لك عيدا ولامتك من بعدك قلت فما لنا فيها قال لكم فيها خير ساعة من دعا فيها بخير قسم له أعطاه الله سبحانه إياه أو ليس له قسم ذخر له ماهو أعظم منه أو تعوذ من شر هو مكتوب عليه الا أعاذه الله عزوجل من أعظم منه وهو سيد الأيام عندنا ونحن ندعوه فى الآخرة يوم المزيد قلت ولم قال ان ربك عزوجل اتخذ فى الجنة واديا أفيح من المسك أبيض فاذا كان يوم الجمعة نزل تعالى من عليين على كرسيه فيتجلى لهم حتى ينظروا إلى وجهه الكريم وقال ﷺ (٦) خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم عليه السلام وفيه أدخل الجنة وفيه أهبط الى الأرض وفيه تيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة وهو عند الله يوم المزيد كذلك تسميه الملائكة فى السماء وهو يوم النظر الى الله تعالى فى الجنة وفى الخبر (٧) ان الله عزوجل فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار وفى حديث أنس رضى الله عنه أنه ﷺ (٨) قال اذا سلمت الجمعة سلمت الايام وقال ﷺ (٩) ان الجحيم تسعر فى كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس فى كبد السماء فلا تصلوا فى هذه الساعة الا يوم الجمعة فانه صلاة كله وان جهنم لا تسعر فيه وقال كعب ان الله عزوجل فضل من البلدان مكة ومن الشهور رمضان ومن الأيام الجمعة ومن الليالى ليلة القدر ويقال ان الطير والهوام يلقى بعضها بعضا فى يوم الجمعة فتقول سلام سلام يوم صالح وقال ﷺ (١٠) من مات يوم الجمعة أو ليلة الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر

﴿ الباب الخامس ﴾

(١) حديث ان الله فرض عليكم الجمعة فى يومى هذا الحديث ه من حديث جابر باسناد ضعيف (٢) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر طبع الله على قلبه أحمد واللفظ له وأصحاب السنن ك وصححه من حديث أبى الجعد الضمرى (٣) حديث من ترك الجمعة ثلاثا من غير عذر فقد نبذ الاسلام وراء ظهره البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس (٤) حديث ان أهل الكتابين أعطوا يوم الجمعة فاختلفوا فيه الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة بنحوه (٥) حديث أنس أتانى جبريل فى كفه مرآة بيضاء فقال هذه الجمعة الحديث الشافعى فى المسند والطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى التفسير بأسانيد ضعيفة مع اختلاف (٦) حديث خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة الحديث م من حديث أبى هريرة (٧) حديث ان الله فى كل جمعة ستمائة ألف عتيق من النار عد حب فى الضعفاء وهب فى الشعب من حديث أنس قال قط فى العلل والحديث غير ثابت (٨) حديث أنس اذا سلمت الجمعة سلمت الأيام حب فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية وهق فى الشعب من حديث عائشة ولم أجده من حديث أنس (٩) حديث ان الجحيم تسعر كل يوم قبل الزوال عند استواء الشمس إلى أن قال الا يوم الجمعة الحديث د من حديث أبى قتادة وأعله بالانقطاع (١٠) حديث من مات يوم الجمعة كتب الله له أجر شهيد ووقى فتنة القبر أبو نعيم فى الحلية من حديث جابر وهو ت نحوه مختصرا من حديث عبد الله بن عمر وقال غريب ليس اسناده بمتصل * قلت وصله ت الحكيم فى النوادر

﴿ بيان شروط الجمعة ﴾

اعلم انها تشارك جميع الصلوات في الشروط وتتميز عنها بستة شروط * الأول الوقت فان وقعت تسليمة الامام في وقت العصر فاتت الجمعة وعليه أن يتمها ظهرا أربعا والمسبوق اذا وقعت ركعته الاخيرة خارجا من الوقت ففيه خلاف * الثاني المكان فلا تصح في الصحارى والبرارى وبين الخيام بل لا بد من بقعة جامعة لأبنية لا تنقل يجمع أربعين ممن تلزمهم الجمعة والقرية فيه كالبلد ولا يشترط فيه حضور السلطان ولا اذنه ولكن الأحب استئذانه * الثالث العدد فلا تنعقد بأقل من أربعين ذكورا مكلفين أحرارا مقيمين لا يظعنون عنها شتاء ولا صيفا فان انفضوا حتى نقص العدد اما في الخطبة أو في الصلاة لم تصح الجمعة بل لا بد منهم من الأول الى الآخر * الرابع الجماعة فلو صلى أربعون في قرية أو في بلد متفرقين لم تصح جمعتهم ولكن المسبوق اذا أدرك الركعة الثانية جاز له الانفراد بالركعة الثانية وان لم يدرك ركوع الركعة الثانية اقتدى ونوى الظهر واذا سلم الامام تممها ظهرا * الخامس أن لا تكون الجمعة مسبوقة بأخرى في ذلك البلد فان تعذر اجتماعهم في جامع واحد جاز في جامعين وثلاثة وأربعة بقدر الحاجة وان لم تكن حاجة فالصحيح الجمعة التي يقع بها التحريم أولا واذا تحققت الحاجة فالأفضل الصلاة خلف الأفضل من الامامين فان تساويا فالمسجد الأقدم فان تساويا ففي الأقرب ولكثرة الناس أيضا فضل يراعى * السادس الخطبتان فهما فريضتان والقيام فيهما فريضة والجلسة بينهما فريضة وفي الأولى أربع فرائض التحميد وأقله الحمد لله والثانية الصلاة على النبي ﷺ والثالثة الوصية بتقوى الله سبحانه وتعالى والرابعة قراءة آية من القرآن وكذا فرائض الثانية أربعة الا أنه يجب فيها الدعاء بدل القراءة واسماع الخطبتين واجب من الأربعين

﴿ وأما السنن ﴾ فاذا زالت الشمس وأذن المؤذن وجلس الامام على المنبر انقطعت الصلاة سوى التحية والكلام لا ينقطع الا بافتتاح الخطبة ويسلم الخطيب على الناس اذا أقبل عليهم بوجهه ويردون عليه السلام فاذا فرغ المؤذن قام مقبلا على الناس بوجهه لا يلتفت يمينا ولا شمالا ويشغل يديه بقائم السيف أو العنزة والمنبر كي لا يعبث بهما أو يضع احداهما على الاخرى ويخطب خطبتين بينهما جلسة خفيفة ولا يستعمل غريب اللغة ولا يمطط ولا يتغنى وتكون الخطبة قصيرة بليغة جامعة ويستحب أن يقرأ آية في الثانية أيضا ولا يسلم من دخل والخطيب يخطب فان سلم لم يستحق جوابا والاشارة بالجواب حسن ولا يشمت العاطسين أيضا هذه شروط الصحة فاما شروط الوجوب فلا تجب الجمعة الا على ذكر بالغ عاقل مسلم حر مقيم في قرية تشتمل على أربعين جامعين لهذه الصفات أو في قرية من سواد البلد يبلغها نداء البلد من طرف يليها والأصوات ساكنة والمؤذن رفيع الصوت لقوله تعالى ﴿اذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكر الله وذروا البيع﴾ ويرخص لهؤلاء في ترك الجمعة لعذر المطر والوحل والفزع والمرض والتمريض اذا لم يكن للمريض قيم غيره ثم يستحب لهم أعني أصحاب الاعذار تأخير الظهر الى أن يفرغ الناس من الجمعة فان حضر الجمعة مريض أو مسافر أو عبد أو امرأة صحت جمعتهم وأجزأت عن الظهر والله أعلم

﴿ بيان آداب الجمعة على ترتيب العادة وهي عشر جمل ﴾

الأول أن يستعد لها يوم الخميس عزما عليها واستقبالا لفضلها فيشتغل بالدعاء والاستغفار والتسبيح بعد العصر يوم الخميس لانها ساعة قوبلت بالساعة المبهمة في يوم الجمعة قال بعض السلف ان لله عز وجل فضلا سوى أرزاق العباد لا يعطى من ذلك الفضل الا من سأله عشية الخميس ويوم الجمعة ويغسل في هذا اليوم ثيابه ويبيضها ويعد الطيب ان لم يكن عنده ويفرغ قلبه من الاشغال التي تمنعه من البكور الى الجمعة وينوي في هذه الليلة صوم يوم الجمعة فان له فضلا وليكن مضموما الى يوم الخميس أو السبت لا مفردا فانه مكروه ويشتغل باحياء هذه الليلة بالصلاة وختم القرآن فلها فضل كثير وينسحب عليها فضل يوم الجمعة ويجامع أهله في هذه الليلة أو في يوم الجمعة

كثير من العلماء قوله تعالى اخبارا عن السماء والارض حين قالتا أتينا طائعين وفي قوله تعالى (انا عرضنا الأمانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا) ومنها تلقي الكلام من الجبال مثل قوله صلى الله عليه وسلم كأني أنظر الى يونس ابن متى عليه السلام عليه عباءتان قطوانيتان يلبي وتجيبه الجبال والله يقول لبيك يا يونس فقوله كأني يدل على انه تخيل حالة سبقت لم يكن لها في الحال وجود ذاتي لان يونس ابن متى عليه السلام قدمات وتلك الحالة منه سلفت وفي هذا الحديث اخبار عن الوجود الخيالي في البصر والوجود الخيالي في السمع ومنها تلقي الكلام بالشبه وهو أن يسمع السامع كلاما أو صوتا من شخص حاضر فيلقي عليه شبه غيره مما غاب عنه كقوله عليه السلام في صوت أبي موسى

فقد استحب ذلك قوم حملوا عليه قوله ﷺ (١) رحم الله من بكروا بتكر وغسل واغتسل وهو حمل الاهل على الغسل وقيل معناه غسل ثيابه فروى بالتخفيف واغتسل لجسده وبهذا تتم آداب الاستقبال ويخرج من زمرة الغافلين الذين اذا أصبحوا قالوا ماهذا اليوم قال بعض السلف أوفى الناس نصيبا من الجمعة من انتظرها ورعاها من الأمس وأخسهم نصيبا من اذا أصبح يقول ايش اليوم وكان بعضهم يبيت ليلة الجمعة فى الجامع لاجلها * الثانى اذا أصبح ابتدأ بالغسل بعد طلوع الفجر وان كان لا يبكر فأقربه الى الرواح أحب ليكون أقرب عهدا بالنظافة فالغسل مستحب استحبابا مؤكدا وذهب بعض العلماء الى وجوبه قال ﷺ (٢) غسل الجمعة واجب على كل محتلم والمشهور من حديث نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما (٣) من أتى الجمعة فليغتسل وقال ﷺ (٤) من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل وكان أهل المدينة اذا تساب المتسابان يقول أحدهما للآخر لأنت أشر ممن لا يغتسل يوم الجمعة (٥) وقال عمر لعثمان رضى الله عنهما لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة منكرا عليه ترك البكور فقال مازدت بعد أن سمعت الأذان على ان توضأت وخرجت فقال والوضوء أيضا وقد علمت أن رسول الله ﷺ كان يأمرنا بالغسل وقد عرف جواز ترك الغسل بوضوء عثمان رضى الله عنه وبما روى انه ﷺ (٦) قال من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت ومن اغتسل فالغسل أفضل ومن اغتسل للجنابة فليفض الماء على بدنه مرة أخرى على نية غسل الجمعة فان اكتفى بغسل واحد أجزأه وحصل له الفضل اذا نوى كليهما ودخل غسل الجمعة فى غسل الجنابة وقد دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل فقال له أللجمعة فقال بل عن الجنابة فقال أعد غسلا ثانيا وروى الحديث فى غسل الجمعة على كل محتلم وانما أمره به لانه لم يكن نواه وكان لا يبعد أن يقال المقصود النظافة وقد حصلت دون النية ولكن هذا ينقدح فى الوضوء أيضا وقد جعل فى الشرع قربة فلابد من طلب فضلها ومن اغتسل ثم أحدث توضأ ولم يبطل غسله والأحب أن يحترز عن ذلك * الثالث الزينة وهى مستحبة فى هذا اليوم وهى ثلاثة الكسوة والنظافة وتطييب الرائحة أما النظافة فبالسواك وحلق الشعر وقلم الظفر وقص الشارب وسائر ما سبق فى كتاب الطهارة قال ابن مسعود من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله عز وجل منه داء وأدخل فيه شفاء فان كان قد دخل الحمام فى الخميس أو الاربعاء فقد حصل المقصود فليتطيب فى هذا اليوم بأطيب طيب عنده ليغلب بها الروائح الكريهة ويوصل بها الروح والرائحة الى مشام الحاضرين فى جواره (٧) وأحب طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه روى ذلك فى الأثر وقال الشافعى رضى الله عنه من نظف ثوبه قل همه ومن طاب ريحه زاد عقله وأما الكسوة فأحبها البياض من الثياب اذ أحب الثياب الى الله تعالى البيض ولا يلبس مافيه شهرة ولبس السواد ليس من السنة ولا فيه فضل بل كره جماعة النظر اليه لانه بدعة محدثة بعد رسول الله ﷺ والعمامة مستحبة فى هذا اليوم (٨) روى واثلة بن الأسقع ان رسول الله ﷺ

---

(١) حديث رحم الله من بكروا بتكر وغسل واغتسل الحديث أصحاب السنن وحب و لـ وصححه من حديث أوس بن أوس من غسل يوم الجمعة واغتسل وبكر وابتكر الحديث وحسنه ت (٢) حديث غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم متفق عليه من حديث أبى سعيد (٣) حديث نافع عن ابن عمر من أتى الجمعة من الرجال والنساء فليغتسل متفق عليه وهذا اللفظ حب (٤) حديث من شهد الجمعة من الرجال والنساء فليغتسلوا حب وهق من حديث ابن عمر (٥) حديث قال عمر لعثمان لما دخل وهو يخطب أهذه الساعة الحديث الى أن قال والوضوء أيضا وقد علمت ان رسول الله ﷺ كان يأمر بالغسل متفق عليه من حديث أبى هريرة ولم يسم البخارى وعثمان (٦) حديث من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت الحديث د ت وحسنه و ن من حديث سمرة (٧) حديث طيب الرجال ماظهر ريحه وخفى لونه وطيب النساء ماظهر لونه وخفى ريحه د ت وحسنه و ن من حديث أبى هريرة (٨) حديث واثلة بن الأسقع ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة ط وعد وقال منكر من حديث أبى الدرداء ولم أره من حديث واثلة

قال

الأشعرى اذ سمعه يترنم بالقرآن لقد أعطى مزمارا من مزامير آل داود ومزامير آل داود قد عدمت وذهبت وانما شبه صوته بها وكما اذا سمع المريد صوت مزمار أوعود فجأة على غير قصد يتخيل صرير أبواب الجنة وشبهها بما فجأ صوته من ذلك فهذه مراتب الوجود فأنت اذا أحسنت التصرف بين أساليبها ولم يعترك غلط فى بعضها ببعض ولا اشتبهت عليك وسمعت عمن نظر بمشكاة نور الله تعالى الى كاغد وقد رآه اسود وجهه بالحبر فقال له مابال وجهك وقد كان أبيض أشقر مونقا والآن قد ظهر فيه السواد فلم سودت وجهك فقال سل الحبر فانه كان مجموعا فى المحبرة التى هى مستقره ووطنه فسافر عن الوطن ونزل بساحة وجهى ظلما وعدوانا فقال صدقت ثم أنت اذا سمعت أمثال هذه المراجعات اعمل الفكر وجدد النظر وحل

قال ان الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة فان أكربه الحر فلا بأس بنزعها قبل الصلاة وبعدها ولكن لا ينزع في وقت السعي من المنزل الى الجمعة ولا في وقت الصلاة ولا عند صعود الامام المنبر ولا في خطبته *الرابع البكور الى الجامع ويستحب أن يقصد الجامع من فرسخين وثلاث وليبكر ويدخل وقت البكور بطلوع الفجر وفضل البكور عظيم وينبغي أن يكون في سعيه الى الجمعة خاشعا متواضعا ناويا للاعتكاف في المسجد الى وقت الصلاة قاصدا للمبادرة الى جواب نداء الله عز وجل الى الجمعة إياه والمسارعة الى مغفرته ورضوانه وقد قال صلى الله عليه وسلم (١) من راح الى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشا أقرن ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما أهدى دجاجة ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما أهدى بيضة فاذا خرج الامام طويت الصحف ورفعت الأقلام واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر فمن جاء بعد ذلك فانما جاء لحق الصلاة ليس له من الفضل شيء والساعة الأولى الى طلوع الشمس والثانية الى ارتفاعها والثالثة الى انبساطها حين ترمض الاقدام والرابعة والخامسة بعد الضحى الأعلى الى الزوال وفضلهما قليل ووقت الزوال حق الصلاة ولا فضل فيه وقال صلى الله عليه وسلم (٢) ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا ركض الابل في طلبهن الأذان والصف الأول والغدو الى الجمعة وقال أحمد بن حنبل رضي الله عنه أفضلهن الغدو الى الجمعة وفي الخبر (٣) اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المساجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب يكتبون الأول فالأول على مراتبهم وجاء في الخبر (٤) ان الملائكة يتفقدون الرجل اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا عنه مافعل فلان وما الذي أخره عن وقته فيقولون اللهم ان كان أخره فقر فأغنه وان كان أخره مرض فاشفه وان كان أخره شغل ففرغه لعبادتك وان كان أخره لهو فاقبل بقلبه الى طاعتك وكان يرى في القرن الأول سحرا وبعد الفجر الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج ويزدحمون بها الى الجامع كأيام العيد حتى اندرس ذلك فقيل أول بدعة حدثت في الاسلام ترك البكور الى الجامع وكيف لا يستحي المسلمون من اليهود والنصارى وهم يبكرون الى البيع والكنائس يوم السبت والأحد وطلاب الدنيا كيف يبكرون الى رحاب الاسواق للبيع والشراء والربح فلم لا يسابقهم طلاب الآخرة ويقال ان الناس يكونون في قربهم عند النظر الى وجه الله سبحانه وتعالى على قدر بكورهم الى الجمعة ودخل ابن مسعود رضي الله عنه بكرة الجامع فرأى ثلاثة نفر قد سبقوه بالبكور فاغتم لذلك وجعل يقول في نفسه معاتبا لها رابع أربعة وما رابع أربعة من البكور ببعيد *الخامس في هيئة الدخول ينبغي أن لا يتخطى رقاب الناس ولا يمر بين أيديهم والبكور يسهل

(١) حديث من راح الى الجمعة في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة وليس فيه ورفعت الأقلام وهذه اللفظة عند البيهقي من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث ثلاث لو يعلم الناس مافيهن لركضوا ركض الابل في طلبهن الأذان والصف الأول والغدو الى الجمعة أبو الشيخ في ثواب الأعمال من حديث أبي هريرة ثلاث لو يعلم الناس مافيهن ما أخذنه إلا بالاستهام عليها حرصا على مافيهن من الخير والبركة الحديث قال والتهجير الى الجمعة وفي الصحيحين من حديثه لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا اليه (٣) حديث اذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب الحديث ابن مردويه في التفسير من حديث علي باسناد ضعيف اذا كان يوم الجمعة نزل جبريل فركز لواءه بالمسجد الحرام وغدا سائر الملائكة الى المساجد التي يجمع فيها يوم الجمعة فركزوا ألويتهم وراياتهم بباب المساجد ثم نشروا قراطيس من فضة وأقلاما من ذهب (٤) حديث ان الملائكة يفتقدون العبد اذا تأخر عن وقته يوم الجمعة فيسأل بعضهم بعضا مافعل فلان هو من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مع زيادة ونقص باسناد حسن *واعلم أن المصنف ذكر هذا أثرا فان لم يرد به حديثا مرفوعا فليس من شرطنا وانما ذكرناه احتياطا (٥) حديث من تخطى

الكلام الى أجزائه التي ينتظم منها جملة ما بلغك فسأل عن معنى الناظر ومعنى المشكاة ومعنى نور الله سبحانه وما سبب انه لم يعرف الناظر الكتابة والمكتوب وبأي لسان خاطب الكاغد وكيف مخاطبة الكاغد وهو ليس من أهل النطق وفيما صدق الناطق الكاغد ولم صدقه بمجرد قوله دون دليل ولا شاهد فيبدو لك ههنا من الناظر هو ناظر القلب فيما أورده عليه الحس والمشكاة استعارة من مشكاة الزجاجة التي أعمرت بسراج النار الى خبر المعرفة الملقب بسر القلب شبهها بها لانها مسرجة الرب سبحانه وتعالى شعلها بنوره ونوره المذكور ههنا عبارة عن صفاء الباطن واشتعال السر بطلوع نيران كواكب المعارف الذاهبة باذن الله تعالى ظلم جهالات القلوب ووجه إضافته الى الله تعالى على سبيل الاشارة بالذكر لأجل التخصيص بالشرف والكاغد والحبر كناية عن أنفسهما لا عن غيرهما

ذلك عليه فقد ورد وعيد شديد (٥) في تخطي الرقاب وهو أنه يجعل جسرا يوم القيامة يتخطاه الناس (١) وروى ابن جريج مرسلا أن رسول الله ﷺ بينما هو يخطب يوم الجمعة إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس حتى تقدم فجلس فلما قضى النبي ﷺ صلاته عارض الرجل حتى لقيه فقال يا فلان ما منعك أن تجمع اليوم معنا قال يا نبي الله قد جمعت معكم فقال النبي ﷺ ألم نرك تتخطى رقاب الناس أشار به إلى أنه أحبط عمله وفي حديث مسند أنه قال (٢) ما منعك أن تصلي معنا قال أولم ترني يا رسول الله فقال ﷺ رأيتك تأنيت وآذيت أي تأخرت عن البكور وآذيت الحضور ومهما كان الصف الأول متروكا خاليا فله أن يتخطى رقاب الناس لأنهم ضيعوا حقهم وتركوا موضع الفضيلة قال الحسن تخطوا رقاب الناس الذين يقعدون على أبواب الجوامع يوم الجمعة فإنه لا حرمة لهم وإذا لم يكن في المسجد إلا من يصلي فينبغي أن لا يسلم لأنه تكليف جواب في غير محله * السادس أن لا يمر بين يدي الناس ويجلس حيث هو إلى قرب اسطوانة أو حائط حتى لا يمرون بين يديه أعني بين يدي المصلي فإن ذلك لا يقطع الصلاة ولكنه منهي عنه قال ﷺ (٣) لأن يقف أربعين عاما خير له من أن يمر بين يدي المصلي وقال ﷺ (٤) لأن يكون الرجل رمادا رمدا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي وقد روي في حديث آخر في المار والمصلي حيث صلى على الطريق أو قصر في الدفع فقال (٥) لو يعلم المار بين يدي المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك لكان أن يقف أربعين سنة خيرا له من أن يمر بين يديه والاسطوانة والحائط والمصلى المفروش حد للمصلي فمن اجتاز به فينبغي أن يدفعه قال ﷺ (٦) ليدفعه فإن أبى فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنه شيطان وكان أبو سعيد الخدري رضي الله عنه يدفع من يمر بين يديه حتى يصرعه فربما تعلق به الرجل فاستعدى عليه عند مروان فيخبره أن النبي ﷺ أمره بذلك فإن لم يجد اسطوانة فلينصب بين يديه شيأ طوله قدر ذراع ليكون ذلك علامة لحده * السابع أن يطلب الصف الأول فإن فضله كثير كما رويناه (٧) وفي الحديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع كان ذلك له كفارة لما بين الجمعتين وزيادة ثلاثة أيام وفي لفظ آخر غفر الله له إلى الجمعة الأخرى (٨) وقد اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس ولا يغفل في طلب الصف الأول عن ثلاثة أمور * أولها أنه إذا كان يرى بقرب الخطيب منكرا يعجز عن تغييره من لبس حرير من الامام أو غيره أو صلى في سلاح كثير ثقيل شاغل أو سلاح مذهب أو غير ذلك مما يجب فيه الانكار فالتأخر له أسلم وأجمع للهم فعل ذلك جماعة من العلماء طلبا للسلامة قيل لبشر بن الحرث نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف فقال إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد وأشار به إلى أن ذلك أقرب لسلامة قلبه ونظر سفيان الثوري إلى شعيب بن حرب عند المنبر يستمع إلى الخطبة من أبي جعفر المنصور فلما فرغ من الصلاة

رقاب الناس يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم ت وضعفه و ه من حديث معاذ بن أنس (١) حديث ابن جريج مرسلا أن النبي ﷺ بينما هو يخطب إذ رأى رجلا يتخطى رقاب الناس الحديث وفيه ما منعك أن تجمع معنا اليوم ابن المبارك في الرقائق (٢) حديث ما منعك أن تصلي معنا فقال أولم ترني قال رأيتك آنيت وآذيت د ن حب ك من حديث عبد الله بن بسر مختصرا (٣) حديث لأن يقف أربعين سنة خير له من أن يمر بين يدي المصلي البزار من حديث زيد بن خالد وفي الصحيحين من حديث أبي جهيم أن يقف أربعين قال أبو النضر لا أدري أربعين يوما أو شهرا أو سنة و ه وحب من حديث أبي هريرة مائة عام (٤) حديث لأن يكون الرجل رمادا تذروه الرياح خير له من أن يمر بين يدي المصلي أبو نعيم في تاريخ اصبهان وابن عبد البر في التمهيد موقوفا على عبد الله بن عمر وزاد متعمدا (٥) حديث لو يعلم المار بين المصلي والمصلي ما عليهما في ذلك الحديث رواه هكذا أبو العباس محمد بن يحيى السراج في مسنده من حديث زيد بن خالد باسناد صحيح (٦) حديث أبي سعيد فليدفعه فإن أبى فليقاتله فإنما هو شيطان متفق عليه (٧) حديث من غسل واغتسل وبكر وابتكر ودنا من الامام واستمع الحديث ك من حديث أوس بن أوس وأصله عند أصحاب السنن (٨) حديث انه اشترط في بعضها ولم يتخط رقاب الناس د حب ك من حديث أبي سعيد وأبي هريرة وقال صحيح على شرط م

وجعلهما مبدأ طريقه وأول سلوكه إذهما في عالم الملك والشهادة الذي محل جولة الناظر في حال نظره وأما سببا نه لم يعرف الكتابة والمكتوب فلأجل أنه كان أميا لا يقرأ الكتاب الصناعي وإنما يروم معرفة قراءة الخط الالهي الذي هو أبين وأدل على الفهم منه وأما مخاطبة الناظر الكاغد وهو جماد وسبق الكلام على مثله ومراجعة الكاغد له بعلى قدر حال الناظر ان كان مرادا ويلقى الكلام في الحس بما ينبئه عن المطلوب من الحق وهو من باب الالقاء في الروع فيودعه الحس المشترك المحفوظ فيه على الانسان صور الأشياء المحسوسة وان كان مريدا فيتلقاه بلسان الحال المسموع بسمع القلب بواسطة المعرفة والعقل وتصديق الناظر للكاغد في عذره وإحالته على الخبر لم يكن لمجرد قوله بل بشهادة أولي الرضا والعدل وهو البحث والتجربة لم تكن وشهادة النفس وهذا

قال

قال شغل قلبي قربك من هذا هل أمنت أن تسمع كلاما يجب عليك انكاره فلا تقوم به ثم ذكر ما أحدثوا من لبس السواد فقال يا أبا عبد الله أليس فى الخبر (١) ادن واستمع فقال ويحك ذاك للخلفاء الراشدين المهديين فأما هؤلاء فكلما بعدت عنهم ولم تنظر اليهم كان أقرب إلى الله عز وجل وقال سعيد بن عامر صليت إلى جنب أبي الدرداء فجعل يتأخر فى الصفوف حتى كنا فى آخر صف فلما صلينا قلت له أليس يقال خير الصفوف أولها قال نعم (٢) الا ان هذه الأمة مرحومة منظور اليها من بين الأمم فان الله تعالى اذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس فانما تأخرت رجاء أن يغفر لي بواحد منهم ينظر الله اليه وروى بعض الرواة انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذلك فمن تأخر على هذه النية إيثارا واظهارا لحسن الخلق فلا بأس وعند هذا يقال الاعمال بالنيات * ثانيها ان لم تكن مقصورة عند الخطيب مقتطعة عن المسجد للسلاطين فالصف الاول محبوب والا فقد كره بعض العلماء دخول المقصورة كان الحسن وبكر المزني لا يصليان فى المقصورة ورأيا أنها قصرت على السلاطين وهى بدعة أحدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المساجد والمسجد مطلق لجميع الناس وقد اقتطع ذلك على خلافه وصلى أنس ابن مالك وعمران بن حصين فى المقصورة ولم يكرها ذلك لطلب القرب ولعل الكراهية تختص بحالة التخصيص والمنع فأما مجرد المقصورة اذا لم يكن منع فلا يوجب كراهة * وثالثها أن المنبر يقطع بعض الصفوف وانما الصف الاول الواحد المتصل الذى فى فناء المنبر وما على طرفيه مقطوع وكان الثوري يقول الصف الاول هو الخارج بين يدي المنبر وهو متجه لانه متصل ولان الجالس فيه يقابل الخطيب ويسمع منه ولا يبعد أن يقال الأقرب إلى القبلة هو الصف الاول ولا يراعى هذا المعنى وتكره الصلاة فى الاسواق والرحاب الخارجة عن المسجد وكان بعض الصحابة يضرب الناس ويقيمهم من الرحاب * الثامن أن يقطع الصلاة عند خروج الامام ويقطع الكلام أيضا بل يشتغل بجواب المؤذن ثم باستماع الخطبة وقد جرت عادة بعض العوام بالسجود عند قيام المؤذنين ولم يثبت له أصل فى أثر ولا خبر ولكنه ان وافق سجود تلاوة فلا بأس بها للدعاء لانه وقت فاضل ولا يحكم بتحريم هذا السجود فانه لا سبب لتحريمه وقد روى عن علي وعثمان رضي الله عنهما انهما قالا من استمع وأنصت فله أجران ومن لم يستمع وأنصت فله أجر ومن سمع ولغا فعليه وزران ومن لم يستمع ولغا فعليه وزر واحد وقال صلى الله عليه وسلم (٣) من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت أو مه فقد لغا ومن لغا والامام يخطب فلا جمعة له وهذا يدل على أن الاسكات ينبغى أن يكون باشارة أو رمى حصاة لا بالنطق (٤) وفى حديث أبي ذر أنه لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال متى أنزلت هذه السورة فأومأ اليه ان اسكت فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له أبي اذهب فلا جمعة لك فشكاه أبو ذر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال صدق أبي * وان كان بعيدا من الامام فلا ينبغى أن يتكلم فى العلم وغيره بل يسكت لان كل ذلك يتسلسل ويفضى الى هينمة حتى ينتهى الى المستمعين ولا يجلس فى حلقة من يتكلم فمن عجز عن الاستماع بالبعد فلينصت فهو المستحب واذا كانت تكره الصلاة فى وقت خطبة الامام فالكلام أولى بالكراهية وقال علي كرم الله وجهه تكره الصلاة فى أربع ساعات بعد الفجر

---

(١) حديث ادن فاستمع د من حديث سمرة احضروا الذكر وادنوا من الامام وتقدم بلفظ من هجر ودنا واستمع وهو عند أصحاب السنن من حديث شداد (٢) حديث أبي الدرداء ان هذه الامة مرحومة منظور اليها من بين الامم وان الله اذا نظر الى عبد فى الصلاة غفر له ولمن وراءه من الناس ولم أجده (٣) حديث من قال لصاحبه والامام يخطب أنصت فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له ت ن عن أبي هريرة د دون قوله ومن لغا فلا جمعة له قال ت حديث حسن صحيح وهو فى الصحيحين بلفظ اذا قلت لصاحبك ود من حديث علي من قال صه فقد لغا ومن لغا فلا جمعة له (٤) حديث أبي ذر لما سأل أبيا والنبي صلى الله عليه وسلم يخطب وقال متى أنزلت هذه السورة الحديث هق وقال فى المعرفة اسناده صحيح د ه من حديث أبي بن كعب بسند صحيح ان السائل له أبو الدرداء وأبو ذر ولاحمد من حديث أبي الدرداء انه سأل أبيا ولابن حبان من حديث جابر ان السائل عبد الله بن مسعود ولأبي يعلى من حديث جابر قال قال سعد بن أبي وقاص لرجل لا جمعة لك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم يا سعد فقال لانه كان

العقل والعلم الموجودين فى الانسان المستقرة فى القوة الوهمية المدركة جميع مالا يستدعي وجوده جسما ولكن قد يعرض له انه فى جسم كما ندرك السخلة عداوة الذئب وعطف أمها فتتبع العطف وتنفر من العداوة وأما ما سمعته فى حد عالم الملكوت وذلك من العلم الالهي الا ما وراء ذلك مما هو داخل فيه ومعدود منه وسر القلب الذى يأخذ به عن الملائكة ويسمع به ما بعد مكانه ورق معناه وعرب عن القلوب من جهة الفكر بصوره فأما أي شيء حقائق هذه المذكورات وما كنه كل واحد منها على نحو معرفتك لاجزاء عالم الملك والشهادة فذلك علم لا ينتفع بسماعه مع عدم المشاهدة والله قد عرفك باسمائها فان كنت مؤمنا فصدق بوجودها على الجملة لعلمك أنك لا تخبر

تسميات ليس لها مسميات الى أن يلحقك الله باولى المشاهدة وتحصل خالص الكرامات ومن كفر فان الله

و بعد العصر ونصف النهار والصلاة والامام يخطب * التاسع ان يراعي في قدوة الجمعة ما ذكرناه في غيرها فاذا سمع قراءة الامام لم يقرأ سوى الفاتحة فاذا فرغ من الجمعة قرأ الحمد لله سبع مرات قبل أن يتكلم وقل هو الله أحد والمعوذتين سبعا سبعا وروى بعض السلف أن من فعله عصم من الجمعة إلى الجمعة وكان حرزا له من الشيطان ويستحب أن يقول بعد الجمعة اللهم يا غني يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود أغنني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك يقال من داوم على هذا الدعاء أغناه الله سبحانه عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب ثم يصلي بعد الجمعة ست ركعات فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما أنه ﷺ (١) كان يصلي بعد الجمعة ركعتين وروى أبو هريرة أربعا (٢) وروى علي وعبد الله بن عباس رضي الله عنهم ستا (٣) والكل صحيح في أحوال مختلفة والأكمل أفضل * العاشر أن يلازم المسجد حتى يصلي العصر فان أقام إلى المغرب فهو الأفضل يقال من صلى العصر في الجامع كان له ثواب الحج ومن صلى المغرب فله ثواب حجة وعمرة فان لم يأمن التصنع ودخول الآفة عليه من نظر الخلق إلى اعتكافه أو خاف الخوض فيما لا يعني فالأفضل أن يرجع إلى بيته ذاكرا لله عز وجل مفكرا في آلائه شاكرا لله تعالى على توفيقه خائفا من تقصيره مراقبا لقلبه ولسانه إلى غروب الشمس حتى لا تفوته الساعة الشريفة ولا ينبغي أن يتكلم في الجامع وغيره من المساجد بحديث الدنيا قال ﷺ (٤) يأتي على الناس زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم ليس لله تعالى فيهم حاجة فلا تجالسوهم

﴿ بيان الآداب والسنن الخارجة عن الترتيب السابق الذي يعم جميع النهار وهي سبعة أمور ﴾

الأول أن يحضر مجالس العلم بكرة أو بعد العصر ولا يحضر مجالس القصاص فلا خير في كلامهم ولا ينبغي أن يخلو المريد في جميع يوم الجمعة عن الخيرات والدعوات حتى توافيه الساعة الشريفة وهو في خير ولا ينبغي أن يحضر الحلق قبل الصلاة وروى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ (٥) نهى عن التحلق يوم الجمعة قبل الصلاة الا أن يكون عالما بالله يذكر بأيام الله ويفقه في دين الله يتكلم في الجامع بالغداة فيجلس اليه فيكون جامعا بين البكور وبين الاستماع واستماع العلم النافع في الآخرة أفضل من اشتغاله بالنوافل (٦) فقد روى أبو ذر أن حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة قال أنس بن مالك في قوله تعالى ﴿فاذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾ أما انه ليس بطلب دنيا ولكن عيادة مريض وشهود جنازة وتعلم علم وزيارة أخ في الله عز وجل وقد سمى الله عز وجل العلم فضلا في مواضع قال تعالى ﴿وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ وقال تعالى ﴿ولقد آتينا داود منا فضلا﴾ يعني العلم فتعلم العلم في هذا اليوم وتعليمه من أفضل القربات والصلاة أفضل من مجالس القصاص اذ كانوا يرونه بدعة ويخرجون القصاص من الجامع * بكر ابن عمر رضي الله عنهما الى مجلسه في المسجد الجامع فاذا قاص يقص في موضعه فقال قم عن مجلسي فقال لا أقوم وقد جلست وسبقتك اليه فارسل ابن عمر الى صاحب الشرطة فأقامه فلو كان ذلك من السنة لما جازت اقامته فقد قال ﷺ (٧) لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا وكان ابن عمر اذا اقام الرجل له من مجلسه

يتكلم وأنت تخطب فقال صدق سعد (١) حديث ابن عمر في الركعتين بعد الجمعة متفق عليه (٢) حديث أبي هريرة في الأربع ركعات بعد الجمعة م اذا صلى أحدكم الجمعة فليصل بعدها أربعا (٣) حديث علي وعبد الله في صلاة ست ركعات بعد الجمعة هق مرفوعا عن علي وله موقوفا على ابن مسعود أربعا ود من حديث ابن عمر كان اذا كان بمكة صلى بعد الجمعة ستا (٤) حديث يأتي على أمتي زمان يكون حديثهم في مساجدهم أمر دنياهم الحديث هق في الشعب من حديث الحسن مرسلا وأسنده ك من حديث أنس وصحح اسناده وحب نحوه من حديث ابن مسعود وقد تقدم (٥) حديث عبد الله بن عمر في النهي عن التحلق يوم الجمعة د ن وه من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ولم أجده من حديث ابن عمر (٦) حديث أبي ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة تقدم في العلم (٧) حديث لا يقيمن أحدكم أخاه من مجلسه الحديث متفق عليه من

غني حميد

﴿فصل﴾ والفرق بين العلم المحسوس في عالم الملك وبين العلم الالهي في عالم الملكوت أن العلم كما اعتقدته مجسما بطيء الحركة بالفعل سريع الانتقال بالهلاك مخلفا عن مثله في الظاهر مجهولا تحت قهر سلطان الآدمي الضعيف الجاهل في أكثر أوقاته متصرف بين أحوال متنافية كالعلم والجهل والعدل والظلم والشك والصدق والافك فالعلم الالهي عبارة عن خلق لله في عالم الملكوت مختص بخلاف خصائص الجواهر الحسية الكائنة في عالم الملك برى من أوصاف ما سمي به القلم المحسوس كليا مصرفا يتميز الخالق بحكم ارادته على ما سبق به علمه في أزل الازل وانما سمي بهذا الاسم لاجل شبهه بعمل ما سمي به غيرا نه لا يكتب الا حقائق الحق والفرق

ثم تجلس فيه حتى يعود إليه وروى أن قاصا كان يجلس بفناء حجرة عائشة رضي الله عنها فأرسلت إلى ابن عمر أن هذا قد آذاني بقصصه وشغلني عن سبحتي فضربه ابن عمر حتى كسر عصاه على ظهره ثم طرده * الثاني أن يكون حسن المراقبة للساعة الشريفة ففي الخبر المشهور (١) ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها شيئاً الا أعطاه وفي خبر آخر (٢) لا يصادفها عبد يصلي واختلف فيها فقيل انها عند طلوع الشمس وقيل عند الزوال وقيل مع الأذان وقيل اذا صعد الامام المنبر وأخذ في الخطبة وقيل اذا قام الناس إلى الصلاة وقيل آخر وقت العصر أعني وقت الاختيار وقيل قبل غروب الشمس (٣) وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت وتأمر خادمها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها فتأخذ في الدعاء والاستغفار إلى أن تغرب الشمس وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة وتؤثره عن أبيها ﷺ وعليها وقال بعض العلماء وهي مبهمة في جميع اليوم مثل ليلة القدر حتى تتوفر الدواعي على مراقبتها وقيل انها تنتقل في ساعات يوم الجمعة كتنقل ليلة القدر وهذا هو الأشبه وله سر لا يليق بعلم المعاملة ذكره ولكن ينبغي أن يصدق بما قال ﷺ (٤) ان لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ويوم الجمعة من جملة تلك الأيام فينبغي أن يكون العبد في جميع نهاره متعرضا لها باحضار القلب وملازمة الذكر والنزوع عن وساوس الدنيا فعساه يحظى بشيء من تلك النفحات (٥) وقد قال كعب الاحبار انها في آخر ساعة من يوم الجمعة وذلك عند الغروب فقال أبو هريرة وكيف تكون آخر ساعة وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل رسول الله ﷺ من قعد ينتظر الصلاة فهو في الصلاة قال بلى قال فذلك صلاة فسكت أبو هريرة وكان كعب مائلا إلى أنها رحمة من الله سبحانه للقائمين بحق هذا اليوم وأوان ارسالها عند الفراغ من تمام العمل وبالجملة هذا وقت شريف مع وقت صعود الامام المنبر فليكثر الدعاء فيهما * الثالث يستحب أن يكثر الصلاة على رسول الله ﷺ في هذا اليوم فقد قال ﷺ (٦) من صلى علي في يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يا رسول الله كيف الصلاة عليك قال تقول اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وتعقد واحدة وان قلت اللهم صل على محمد وعلى آل محمد صلاة تكون لك رضاء ولحقه أداء وأعطه الوسيلة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته واجزه عنا ما هو أهله واجزه أفضل ما جازيت نبيا عن أمته وصل عليه وعلى جميع اخوانه من النبيين والصالحين يا أرحم الراحمين تقول هذا سبع مرات فقد قيل من قالها في سبع جمع في كل جمعة سبع مرات وجبت له شفاعته ﷺ وان أراد أن يزيد أتى بالصلاة المأثورة (٧) فقال اللهم اجعل فضائل صلواتك ونوامي بركاتك وشرائف زكواتك ورأفتك ورحمتك

حديث ابن عمر (١) حديث ان في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئا الا أعطاه ت ه من حديث عمرو بن عوف المزني (٢) حديث لا يصادفها عبد مصل متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث فاطمة في ساعة الجمعة قط في العلل هق في الشعب وعلته الاختلاف (٤) حديث ان لربكم في أيام دهركم نفحات الحديث الحكيم في النوادر وطب في الأوسط من حديث محمد بن مسلمة ولابن عبد البر في التمهيد نحوه من حديث أنس ورواه ابن أبي الدنيا في كتاب الفرج من حديث أبي هريرة واختلف في اسناده (٥) حديث اختلاف كعب وأبي هريرة في ساعة الجمعة وقول أبي هريرة سمعت رسول الله ﷺ يقول لا يوافقها عبد يصلي ولات حين صلاة فقال كعب ألم يقل عليه الصلاة والسلام من قعد ينتظر الصلاة فهو في صلاة قلت وقع في الاحياء أن كعبا هو القائل انها آخر ساعة وليس كذلك وانما هو عبد الله بن سلام وأما كعب فانما قال انها في كل سنة مرة ثم رجع والحديث رواه د ت ن حب من حديث أبي هريرة و ه نحوه من حديث عبد الله ابن سلام (٦) حديث من صلى في يوم الجمعة ثمانين مرة الحديث قط من رواية ابن المسيب قال أظنه عن أبي هريرة وقال حديث غريب وقال ابن النعمان حديث حسن (٧) حديث اللهم اجعل فضائل صلواتك الحديث ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي ﷺ من حديث ابن مسعود نحوه بسند ضعيف وقفه على ابن

بين الآدمي وبين الله عز وجل أن يمين الآدمي كما علمت مركبة من عصب استعصى بقاؤها وعضل تعضل أدواؤها وعظام يعظم بلاؤها وغم ممتد وجلد غير جلد موصولة كلها في الضعف والانفعال ملقبة باليد وهي عاجزة على كل حال وبين الله تعالى هي عند بعض أهل التأويل عبارة عن قدرته وعند بعضهم صفة لله تعالى غير قدرة وليست بجارحة ولا جسم وعند آخرين انها عبارة عن خلق لله هي واسطة بين القلم الالهي الناقش العلوم المحدثة وغيرها وبين قدرته التي هي صفة له صرف بها اليمين الكاتبة بالقلم المذكور بالخط الالهي المثبوت على صفحات المخلوقات الذي ليس بعربي ولا عجمي يقرؤه الأميون اذا شرحت صدورهم وتستعجم على القارئين اذا كانوا عبيد شهواتهم ولم يشارك يمين الآدمي الا في بعض الاسماء لاجل الشبه اللطيف الذي بينهما بالفعل وتقريبا الى كل ناقص الفهم عساه يعقل ما أنزله

وتحيتك على محمد سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين ورسول رب العالمين قائد الخير وفاتح البر ونبي الرحمة وسيد الأمة اللهم ابعثه مقاما محمودا تزلف به قربه وتقر به عينه يغبطه به الاولون والآخرون اللهم أعطه الفضل والفضيلة والشرف والوسيلة والدرجة الرفيعة والمنزلة الشامخة المنيفة اللهم أعط محمدا سؤله وبلغه مأموله واجعله أول شافع وأول مشفع اللهم عظم برهانه وثقل ميزانه وأبلج حجته وارفع في أعلى المقربين درجته اللهم احشرنا في زمرته واجعلنا من أهل شفاعته واحينا على سنته وتوفنا على ملته وأوردنا حوضه واسقنا بكأسه غير خزايا ولا نادمين ولا شاكين ولا مبدلين ولا فاتنين ولا مفتونين آمين يارب العالمين وعلى الجملة فكل ما أتى به من ألفاظ الصلاة ولو بالمشهورة في التشهد كان مصليا وينبغي أن يضيف اليه الاستغفار فان ذلك أيضا مستحب في هذا اليوم * الرابع قراءة القرآن فليكثر منه وليقرأ سورة الكهف خاصة (١) فقد روي عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما أن من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة أعطي نورا من حيث يقرؤها إلى مكة وغفر له إلى يوم الجمعة الأخرى وفضل ثلاثة أيام وصلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح وعوفي من الداء والدبيلة وذات الجنب والبرص والجذام وفتنة الدجال ويستحب أن يختم القرآن في يوم الجمعة وليلتها ان قدر وليكن ختمه للقرآن في ركعتي الفجر ان قرأ بالليل أو في ركعتي المغرب أو بين الأذان والاقامة للجمعة فله فضل عظيم وكان العابدون يستحبون أن يقرؤا يوم الجمعة قل هو الله أحد ألف مرة ويقال ان من قرأها في عشر ركعات أو عشرين فهو أفضل من ختمة وكانوا يصلون على النبي ﷺ ألف مرة وكانوا يقولون سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ألف مرة وان قرأ المسبحات الست في يوم الجمعة أو ليلتها فحسن وليس يروى عن النبي ﷺ أنه كان يقرأ سورا بأعيانها الا في يوم الجمعة وليلتها كان (٢) يقرأ في صلاة المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد وكان يقرأ في صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين وروي أنه ﷺ (٣) كان يقرؤهما في ركعتي الجمعة وكان يقرأ في الصبح يوم الجمعة سورة سجدة لقمان وسورة هل أتى على الانسان * الخامس الصلوات يستحب اذا دخل الجامع أن لا يجلس حتى يصلي أربع ركعات يقرأ فيهن (٤) قل هو الله أحد مائتي مرة في كل ركعة خمسين مرة فقد نقل عن رسول الله ﷺ أن من فعله لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له ولا يدع ركعتي التحية وان كان الامام يخطب ولكن يخفف (٥) أمر رسول الله ﷺ بذلك وفي حديث غريب أنه ﷺ (٦) سكت للداخل حتى صلاها فقال الكوفيون ان سكت له الامام صلاها ويستحب في هذا اليوم أو في ليلته أن يصلي أربع ركعات بأربع سور الانعام والكهف وطه ويس فان لم يحسن قرأ يس وسورة سجدة لقمان وسورة الدخان وسورة الملك ولا يدع قراءة هذه الاربع سور في ليلة الجمعة ففيها فضل كثير ومن لا يحسن القرآن قرأ ما يحسن فهو له بمنزلة الختمة ويكثر من قراءة سورة الاخلاص ويستحب أن يصلي صلاة التسبيح كما سيأتي في باب

مسعود (١) حديث ابن عباس وأبي هريرة من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أو يوم الجمعة الحديث لم أجده من حديثهما (٢) حديث القراءة في المغرب ليلة الجمعة قل يا أيها الكافرون وقل هو الله احد وفي عشائها الجمعة والمنافقين حب وهق من حديث سمرة وفي ثقات حب المحفوظ عن سماك مرسلا قلت لا يصح مسندا ولا مرسلا (٣) حديث القراءة في الجمعة بالجمعة والمنافقين وفي صبح الجمعة بالسجدة وهل أتى م من حديث ابن عباس وأبي هريرة (٤) حديث من دخل يوم الجمعة المسجد فصلى اربع ركعات يقرأ فيها قل هو الله أحد مائتي مرة الحديث الخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر وقال غريب جدا (٥) حديث الامر بالتخفيف في التحية اذا دخل والامام يخطب م من حديث جابر وخ الامر بالركعتين ولم يذكر التخفيف (٦) حديث سكوته ﷺ عن الخطبة للداخل حتى فرغ من التحية قط من حديث انس وقال اسنده عبيد بن محمد ووهم فيه والصواب عن معتمر عن ابيه مرسلا

وحد عالم الملك ما ظهر للحواس ويكون بقدرة الله تعالى بعضه من بعض وصحة التعبير وحد عالم الملكوت ما أوجده سبحانه بالأمر الازلي بلا تدريج وبقي على حالة واحدة من غير زيادة فيه ولا نقصان منه وحد عالم الجبروت وهو ما بين العالمين مما يشبه أن يكون في الظاهر من عالم الملك فجبر بالقدرة الأزلية بما هو من عالم الملكوت

﴿فصل﴾ ومعنى إن الله خلق آدم على صورته فذلك على ما جاء في الحديث عن النبي ﷺ وللعلماء فيه وجهان فمنهم من يرى للحديث سببا وهو أن رجلا ضرب غلامه فرآه النبي ﷺ فنهاه وقال ان الله تعالى خلق آدم على صورته وتأولوا عود الضمير على المضروب وعلى هذا لا يكون للحديث مدخل في هذا الموضع لم يرده موردا آخر في غير هذا الموطن

التطوعات كيفيتها (١) لأنه ﷺ قال لعمه العباس صلها في كل جمعة وكان ابن عباس رضي الله عنهما لا يدع هذه الصلاة يوم الجمعة بعد الزوال وكان يخبر عن جلالة فضلها والاحسن أن يجعل وقته إلى الزوال للصلاة وبعد الجمعة إلى العصر لاستماع العلم وبعد العصر إلى المغرب للتسبيح والاستغفار * السادس الصدقة مستحبة في هذا اليوم خاصة فانها تتضاعف الا على من سأل والامام يخطب وكان يتكلم في كلام الامام فهذا مكروه وقال صالح بن محمد سأل مسكين يوم الجمعة والامام يخطب وكان الى جانب أبي فاعطى رجل أبي قطعة ليناوله اياها فلم يأخذها منه أبي وقال ابن مسعود اذا سأل الرجل في المسجد فقد استحق أن لا يعطى واذا سأل على القرآن فلا تعطوه ومن العلماء من كره الصدقة على السؤال في الجامع الذين يتخطون رقاب الناس الا أن يسأل قائما أو قاعدا في مكانه من غير تخط وقال كعب الاحبار من شهد الجمعة ثم انصرف فتصدق بشيئين مختلفين من الصدقة ثم رجع فركع ركعتين يتم ركوعهما وسجودهما وخشوعهما ثم يقول اللهم اني أسألك باسمك بسم الله الرحمن الرحيم وباسمك الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم لم يسأل الله تعالى شيئاً إلا أعطاه وقال بعض السلف من أطعم مسكينا يوم الجمعة ثم غدا وابتكر ولم يؤذ أحدا ثم قال حين يسلم الامام بسم الله الرحمن الرحيم الحي القيوم أسألك أن تغفر لي وترحمني وتعافيني من النار ثم دعا بما بدا له استجيب له * السابع أن يجعل يوم الجمعة للآخرة فيكف فيه عن جميع أشغال الدنيا ويكثر فيه الأوراد ولا يبتدئ فيه السفر (٢) فقد روي أنه من سافر في ليلة الجمعة دعا عليه ملكاه وهو بعد طلوع الفجر حرام إلا اذا كانت الرفقة تفوت وكره بعض السلف شراء الماء في المسجد من السقاء ليشربه أو يسبله حتى لا يكون مبتاعا في المسجد فان البيع والشراء في المسجد مكروه وقالوا لا بأس لو أعطى القطعة خارج المسجد ثم شرب أو سبل في المسجد وبالجملة ينبغي أن يزيد في الجمعة في أوراده وأنواع خيراته فان الله سبحانه اذا أحب عبدا استعمله في الأوقات الفاضلة بفواضل الأعمال واذا مقته استعمله في الأوقات الفاضلة بسيئ الاعمال ليكون ذلك أوجع في عقابه وأشد لمقته لحرمانه بركة الوقت وانتهاكه حرمة الوقت ويستحب في الجمعة دعوات وسيأتي ذكرها في كتاب الدعوات ان شاء الله تعالى وصلى الله على كل عبد مصطفى

﴿الباب السادس في مسائل متفرقة تعم بها البلوى ويحتاج المريد الى معرفتها فاما المسائل التي تقع نادرة فقد استقصيناها في كتب الفقه﴾

﴿مسئلة﴾ الفعل القليل وان كان لا يبطل الصلاة فهو مكروه الا لحاجة وذلك في دفع المار وقتل العقرب التي تخاف ويمكن قتلها بضربة أو ضربتين فاذا صارت ثلاثا فقد كثرت وبطلت الصلاة وكذلك القملة والبرغوث مهما تأذى بهما كان له دفعهما وكذلك حاجته الى الحك الذي يشوش عليه الخشوع كان معاذ يأخذ القملة والبرغوث في الصلاة وابن عمر كان يقتل القملة في الصلاة حتى يظهر الدم على يده وقال النخعي يأخذها ويوهنها ولا شيء عليه ان قتلها وقال ابن المسيب يأخذها ويخدرها ثم يطرحها وقال مجاهد الاحب الي أن يدعها الا أن تؤذيه فتشغله عن صلاته فيوهنها قدر ما لا تؤذي ثم يلقيها وهذه رخصة والا فالكمال الاحتراز عن الفعل وان قل ولذلك كان بعضهم لا يطرد الذباب وقال لا أعود نفسي ذلك فيفسد علي صلاتي وقد سمعت أن الفساق بين يدي الملوك يصبرون على أذى كثير ولا يتحركون ومهما تثاءب فلا بأس أن يضع يده على فيه وهو الاولى وان عطس حمد الله عز وجل في نفسه ولا يحرك لسانه وان تجشأ فينبغي ان لا يرفع رأسه إلى السماء وان سقط رداؤه فلا ينبغي أن يسويه وكذلك اطراف عمامته فكل ذلك مكروه الا لضرورة ﴿مسئلة﴾ الصلاة في النعلين جائزة وان كان

(١) حديث صلاة التسبيح وقوله لعمه العباس صلها في كل جمعة د ه وابن خزيمة والحاكم من حديث ابن عباس وقال عق وغيره ليس فيها حديث صحيح (٢) حديث من سافر يوم الجمعة دعا عليه ملكاه قط في الافراد من حديث ابن عمر وفيه ابن لهيعة وقال غريب والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابي هريرة بسند ضعيف

﴿الباب السادس﴾

ويكون الايمان به إلى غير هذا المعنى المذكور في السبب الحادث واثباته في غير موطن ذلك السبب المنقول من بعصر و بعصر فليبق المسبب على حاله ولينظر في وجه الحديث غير هذا مما يحتمل ويحسن الاحتجاج به في هذا الموطن والوجه الآخر أن يكون الضمير الذي في صورته عائدا إلى الله سبحانه ويكون معنى الحديث أن الله خلق آدم على صورة هي الى الله سبحانه وهذا العبد المضروب على صورة آدم فاذا هذا العبد المضروب على الصورة المضافة إلى الله تعالى ثم ينحصر بيان معنى الحديث ويتوقف على بيان معنى هذه الاضافة وعلى أي جهة يحمل في الاعتقاد العلمي على الله سبحانه ففيها وجهان أحدهما ان اضافته اضافة ملك الى الله تعالى كما يضاف اليه العبد والبيت والناقة واليمين على أحد الاوجه والوجه الآخر أن تكون اضافة

نزع النعلين سهلا وليست الرخصة في الخف لعسر النزع بل هذه النجاسة معفو عنها وفي معناها المداس صلى رسول الله ﷺ [1] في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم فقال لم خلعتم نعالكم قالوا رأيناك خلعت فخلعنا فقال ﷺ ان جبرائيل عليه السلام أتاني فأخبرني أن بهما خبثا فاذا أراد أحدكم المسجد فليقلب نعليه ولينظر فيهما فان رأى خبثا فليمسحه بالأرض وليصل فيهما وقال بعضهم الصلاة في النعلين أفضل لأنه ﷺ قال لم خلعتم نعالكم وهذه مبالغة فانه ﷺ سألهم ليبين لهم سبب خلعه اذ علم أنهم خلعوا على موافقته [2] وقد روى عبد الله بن السائب أن النبي ﷺ خلع نعليه فاذا قد فعل كليهما فمن خلع فلا ينبغي أن يضعهما عن يمينه ويساره فيضيق الموضع ويقطع الصف بل يضعهما بين يديه ولا يتركهما وراءه فيكون قلبه ملتفتا اليهما ولعل من رأى الصلاة فيهما أفضل راعي هذا المعنى وهو التفات القلب اليهما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ [3] قال اذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه وقال أبو هريرة لغيره اجعلهما بين رجليك ولا تؤذ بهما مسلما ووضعهما رسول الله ﷺ [4] على يساره وكان اماما فللامام أن يفعل ذلك إذ لا يقف أحد على يساره والأولى أن لا يضعهما بين قدميه فيشغلانه ولكن قدام قدميه ولعله المراد بالحديث وقد قال جبير بن مطعم وضع الرجل نعليه بين قدميه بدعة ﴿مسئلة﴾ اذا بزق في صلاته لم تبطل صلاته لأنه فعل قليل ومالا يحصل به صوت لا يعد كلاما وليس على شكل حروف الكلام الا أنه مكروه فينبغي أن يحترز منه الا كما أذن رسول الله ﷺ فيه اذ روى بعض الصحابة أن رسول الله ﷺ [5] رأى في القبلة نخامة فغضب غضبا شديدا ثم حكها بعرجون كان في يده وقال ائتوني بعبير فلطخ أثرها بزعفران ثم التفت الينا وقال أيكم يحب أن يبزق في وجهه فقلنا لا أحد قال فان أحدكم اذا دخل في الصلاة فان الله عز وجل بينه وبين القبلة وفي لفظ آخر واجهه الله تعالى فلا يبزقن أحدكم تلقاء وجهه ولا عن يمينه ولكن عن شماله أو تحت قدمه اليسرى فان بدرته بادرة فليبصق في ثوبه وليقل به هكذا ودلك بعضه ببعض ﴿مسئلة﴾ لوقوف المقتدي سنة وفرض أما السنة فان يقف الواحد عن يمين الامام متأخرا عنه قليلا والمرأة الواحدة تقف خلف الامام فان وقفت بجنب الامام لم يضر ذلك ولكن خالفت السنة فان كان معهما رجل وقف الرجل عن يمين الامام وهي خلف الرجل ولا يقف أحد خلف الصف منفردا بل يدخل في الصف أو يجر الى نفسه واحدا من الصف فان وقف منفردا صحت صلاته مع الكراهية وأما الفرض فاتصال الصف وهو أن يكون بين المقتدي والامام رابطة جامعة فانهما في جماعة فان كانا في مسجد كفى ذلك جامعا لأنه بنى له فلا يحتاج إلى اتصال صف بل إلى أن يعرف أفعال الامام صلى أبو هريرة رضي الله عنه على ظهر المسجد بصلاة الامام واذا كان المأموم على فناء المسجد في طريق أو صحراء مشتركة وليس بينهما اختلاف بناء مفرق فيكفي القرب بقدر غلوة سهم وكفى بها رابطة اذ يصل فعل أحدهما إلى الآخر وانما يشترط اذا وقف في صحن دار على يمين المسجد أو يساره وبابها لاطئ في المسجد فالشرط أن يمد صف المسجد في دهليزها من غير انقطاع إلى الصحن ثم تصح صلاة من في ذلك الصف ومن خلفه دون من تقدم عليه وهكذا حكم الأبنية المختلفة فأما البناء الواحد والعرصة الواحدة فكالصحراء ﴿مسئلة﴾ المسبوق اذا أدرك آخر صلاة الامام فهو أول صلاته فليوافق الامام وليبن عليه وليقنت في الصبح في آخر صلاة نفسه وان قنت مع الامام وان أدرك مع الامام بعض القيام فلا يشتغل بالدعاء وليبدأ بالفاتحة وليخففها فان ركع الامام قبل تمامها

---

(١) حديث صلى في نعليه ثم نزع فنزع الناس نعالهم الحديث أحمد واللفظ له د ك وصححه من حديث أبي سعيد (٢) حديث عبد الله بن السائب في خلع النبي ﷺ نعليه م (٣) حديث أبي هريرة اذا صلى أحدكم فليجعل نعليه بين رجليه د بسند صحيح وضعفه المنذري وليس بجيد (٤) حديث وضعه نعليه على يساره م من حديث عبد الله بن السائب (٥) حديث رأى في القبلة نخامة فغضب الحديث م من حديث جابر واتفقا عليه مختصرا من حديث أنس وعائشة وأبي سعيد وأبي هريرة وابن عمر

تخصيص به تعالى فمن حملها على اضافة الملك له رأى ان المراد بصورته هو العالم الأكبر بجملته وآدم مخلوق على مضاهاة صورة العالم الاكبر لكنه مختصر صغير فان العالم اذا فصلت أجزاؤه بالعلم وفصلت أجزاء آدم عليه السلام بمثله وجدت أجزاء آدم عليه السلام مشابهة للعالم الاكبر واذا شبهت أجزاء جملة أجزاء جملة فالجملتان بلا شك متشابهتان فالذي نظر في تحليل صورة العالم الاكبر فقسمه على أنحاء من القسمة وقسم آدم عليه السلام كذلك فوجد كل نحوين منهما شبيهين فمن ذلك ان العالم ينقسم الى قسمين أحد القسمين ظاهر محسوس كعالم الملك والثاني باطن معقول كعالم الملكوت والانسان كذلك ينقسم الى ظاهر محسوس كالعظم واللحم والدم وسائر أنواع الجواهر المحسوسة والى باطن كالروح والعقل والعلم والارادة

وقدر على لحوقه في اعتداله من الركوع فليتم فان عجز وافق الامام وركع وكان لبعض الفاتحة حكم جميعها فتسقط عنه بالسبق وان ركع الامام وهو في السورة فليقطعها وان أدرك الامام في السجود أو التشهد كبر للاحرام ثم جلس ولم يكبر بخلاف ما اذا أدركه في الركوع فانه يكبر ثانيا في الهوى لان ذلك انتقال محسوب له والتكبيرات للانتقالات الأصلية في الصلاة لا للعوارض بسبب القدوة ولا يكون مدركا للركعة ما لم يطمئن راكعا في الركوع والامام بعد في حد الراكعين فان لم يتم طمأنينته الا بعد مجاوزة الامام حد الراكعين فاتته تلك الركعة ﴿ مسئلة ﴾ من فاتته صلاة الظهر الى وقت العصر فليصل الظهر أولا ثم العصر فان ابتدأ بالعصر أجزأه ولكن ترك الأولى واقتحم شبهة الخلاف فان وجد إماما فليصل العصر ثم ليصل الظهر بعده فان الجماعة بالاداء أولى فان صلى منفردا في أول الوقت ثم أدرك جماعة صلى في الجماعة ونوى صلاة الوقت والله يحتسب أيهما شاء فان نوى فائتة أو تطوعا جاز وان كان قد صلى في الجماعة فأدرك جماعة أخرى فلينو الفائتة أو النافلة فاعادة المؤداة بالجماعة مرة أخرى لا وجه له وانما احتمل ذلك لدرك فضيلة الجماعة ﴿ مسئلة ﴾ من صلى ثم رأى على ثوبه نجاسة فالأحب قضاء الصلاة ولا يلزمه ولو رأى النجاسة في أثناء الصلاة رمى بالثوب وأتم والأحب الاستئناف وأصل هذا قصة خلع النعلين حين أخبر جبرائيل عليه السلام رسول الله ﷺ بان عليهما نجاسة فانه ﷺ لم يستأنف الصلاة ﴿ مسئلة ﴾ من ترك التشهد الاول أو القنوت أو ترك الصلاة على رسول الله ﷺ في التشهد الاول أو فعل فعلا سهوا وكانت تبطل الصلاة بتعمده أو شك فلم يدر أصلى ثلاثا أو أربعا أخذ باليقين وسجد سجدتي السهو قبل السلام فان نسي فبعد السلام مهما تذكر على القرب فان سجد بعد السلام وبعد أن أحدث بطلت صلاته فانه لما دخل في السجود كأنه جعل سلامه نسيانا في غير محله فلا يحصل التحلل به وعاد الى الصلاة فلذلك يستأنف السلام بعد السجود فان تذكر سجود السهو بعد خروجه من المسجد أو بعد طول الفصل فقد فات ﴿ مسئلة ﴾ الوسوسة في نية الصلاة سببها خبل في العقل أو جهل بالشرع لان امتثال أمر الله عز وجل مثل امتثال أمر غيره وتعظيمه كتعظيم غيره في حق القصد ومن دخل عليه عالم فقام له فلو قال نويت أن أنتصب قائما تعظيما لدخول زيد الفاضل لاجل فضله متصلا بدخوله مقبلا عليه بوجهي كان سفها في عقله بل كما يراه ويعلم فضله تنبعث داعية التعظيم فتقيمه ويكون معظما الا اذا قام لشغل آخر أو في غفلة واشتراط كون الصلاة ظهرا أداء فرضا في كونه امتثالا كاشتراط كون القيام مقرونا بالدخول مع الاقبال بالوجه على الداخل وانتفاء باعث آخر سواه وقصد التعظيم به ليكون تعظيما فانه لو قام مدبرا عنه أو صبر فقام بعد ذلك بمدة لم يكن معظما ثم هذه الصفات لا بد وأن تكون معلومة وأن تكون مقصودة ثم لا يطول حضورها في النفس في لحظة واحدة وانما يطول نظم الالفاظ الدالة عليها إما تلفظا باللسان وإما تفكرا بالقلب فمن لم يفهم نية الصلاة على هذا الوجه فكأنه لم يفهم النية فليس فيه إلا أنك دعيت الى أن تصلي في وقت فأجبت وقمت فالوسوسة محض الجهل فان هذه القصود وهذه العلوم تجتمع في النفس في حالة واحدة ولا تكون منفصلة الآحاد في الذهن بحيث تطالعها النفس وتتأملها وفرق بين حضور الشيء في النفس وبين تفصيله بالفكر والحضور مضاد للعزوب والغفلة وان لم يكن مفصلا فان من علم الحادث مثلا فيعلمه بعلم واحد في حالة واحدة وهذا العلم يتضمن علوما هي حاضرة وان لم تكن مفصلة فان من علم الحادث فقد علم الموجود والمعدوم والتقدم والتأخر والزمان وان التقدم للعدم وان التأخر للوجود فهذه العلوم منطوية تحت العلم بالحادث بدليل أن العالم بالحادث اذا لم يعلم غيره لو قيل له هل علمت التقدم فقط أو التأخر او العدم او تقدم العدم او تأخر الوجود او الزمان المنقسم الى المتقدم والمتأخر فقال ما عرفته قط كان كاذبا وكان قوله مناقضا لقوله إني أعلم الحادث ومن الجهل بهذه الدقيقة يثور الوسواس فان الموسوس يكلف نفسه أن يحضر في قلبه الظهرية والادائية والفرضية في حالة واحدة مفصلة بألفاظها وهو يطالعها وذلك محال ولو كلف نفسه ذلك في القيام لاجل العالم لتعذر عليه فبهذه المعرفة يندفع الوسواس وهو أن يعلم أن امتثال أمر الله سبحانه في النية

والقدرة واشباه ذلك (وقسم آخر) وذلك ان العالم قد انقسم بالعوالم الى عالم الملك وهو الظاهر للحواس والى عالم الملكوت وهو الباطن في العقول والى عالم الجبروت وهو المتوسط الذي أخذ بطرف من كل عالم منهما والانسان كذلك انقسم الى ما شابه هذه القسمة فالمشابه لعالم الملك الاجزاء المحسوسة وقد علمتها والمشابهة لعالم الملكوت فمثل الروح والعقل والقدرة والارادة وأشباه ذلك والمشابه لعالم الجبروت فكالادراكات الموجودة بالحواس والقوى الموجودة بأجزائه والوجه الثاني أن يكون معناه كفرا للسامع لا للمخبر بخلاف الوجه الأول ويكون هذا مطابقا لحديث النبي ﷺ لا تحدثوا الناس بما لم تصله عقولهم أتريدون أن يكذب الله ورسوله فمن حدث احدا بما لم يصله عقله ربما سارع الى التكذيب وهو الأكثر ومن كذب بقدرة الله تعالى وبما وجدتها فقد

كامتثال أمر غيره ثم أزيد عليه على سبيل التسهيل والترخص وأقول لو لم يفهم الموسوس النية إلا باحضار هذه الأمور مفصلة ولم يمثل في نفسه الامتثال دفعة واحدة وأحضر جملة ذلك في أثناء التكبير من أوله إلى آخره بحيث لا يفرغ من التكبير إلا وقد حصلت النية كفاه ذلك ولا نكلفه أن يقرن الجميع بأول التكبير أو آخره فإن ذلك تكليف شطط ولو كان مأمورا به لوقع للأولين سؤال عنه ولوسوس واحد من الصحابة في النية فعدم وقوع ذلك دليل على أن الأمر على التساهل فكيفما تيسرت النية للموسوس ينبغي أن يقنع به حتى يتعود ذلك وتفارقه الوسوسة ولا يطالب نفسه بتحقيق ذلك فإن التحقيق يزيد في الوسوسة وقد ذكرنا في الفتاوى وجوها من التحقيق في تحقيق العلوم والقصود المتعلقة بالنية تفتقر العلماء إلى معرفتها أما العامة فربما ضرها سماعها ويهيج عليها الوسواس فلذلك تركناها ﴿ مسئلة ﴾ ينبغي أن لا يتقدم المأموم على الإمام في الركوع والسجود والرفع منهما ولا في سائر الأعمال ولا ينبغي أن يساويه بل يتبعه ويقفو أثره فهذا معنى الاقتداء فإن ساواه عمدا لم تبطل صلاته كما لو وقف بجنبه غير متأخر عنه فإن تقدم عليه ففي بطلان صلاته خلاف ولا يبعد أن يقضى بالبطلان تشبيها بما لو تقدم في الموقف على الإمام بل هذا أولى لأن الجماعة اقتداء في الفعل لا في الموقف فالتبعية في الفعل أهم وإنما شرط ترك التقدم في الموقف تسهيلا للمتابعة في الفعل وتحصيلا لصورة التبعية إذ اللائق بالمقتدى به أن يتقدم فالتقدم عليه في الفعل لا وجه له إلا أن يكون سهوا ولذلك شدد رسول الله ﷺ النكير فيه فقال (١) أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام أن يحول الله رأسه رأس حمار وأما التأخر عنه بركن واحد فلا يبطل الصلاة وذلك بأن يعتدل الإمام عن ركوعه وهو بعد لم يركع ولكن التأخر إلى هذا الحد مكروه فإن وضع الإمام جبهته على الأرض وهو بعد لم ينته إلى حد الراكعين بطلت صلاته وكذا إن وضع الإمام جبهته للسجود الثاني وهو بعد لم يسجد السجود الأول ﴿ مسئلة ﴾ حق على من حضر الصلاة إذا رأى من غيره إساءة في صلاته أن يغيره وينكر عليه وإن صدر من جاهل رفق بالجاهل وعلمه فمن ذلك الأمر بتسوية الصفوف ومنع المنفرد بالوقوف خارج الصف والإنكار على من يرفع رأسه قبل الإمام إلى غير ذلك من الأمور فقد قال ﷺ (٢) ويل للعالم من الجاهل حيث لا يعلمه وقال ابن مسعود رضي الله عنه من رأى من يسيء صلاته فلم ينهه فهو شريكه في وزرها وعن بلال بن سعد أنه قال الخطيئة إذا أخفيت لم تضر إلا صاحبها فإذا أظهرت فلم تغير أضرت بالعامة وجاء (٣) في الحديث أن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة وعن عمر رضي الله عنه قال تفقدوا إخوانكم في الصلاة فإذا فقدتموهم فإن كانوا مرضى فعودوهم وإن كانوا أصحاء فعاتبوهم والعتاب إنكار على من ترك الجماعة ولا ينبغي أن يتساهل فيه وقد كان الأولون يبالغون فيه حتى كان بعضهم يحمل الجنازة إلى بعض من تخلف عن الجماعة إشارة إلى أن الميت هو الذي يتأخر عن الجماعة دون الحي ومن دخل المسجد ينبغي أن يقصد يمين الصف ولذلك تزاحم الناس عليه في زمن رسول الله ﷺ (٤) حتى قيل له تعطلت الميسرة فقال ﷺ من عمر ميسرة المسجد كان له كفلان من الأجر ومهما وجد غلاما في الصف ولم يجد لنفسه مكانا فله أن يخرجه إلى خلف ويدخل فيه أعني إذا لم يكن بالغا وهذا ما أردنا أن نذكره من المسائل التي تعم بها البلوى وسيأتي أحكام الصلوات المتفرقة في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى

﴿ الباب السابع في النوافل من الصلوات ﴾

(١) حديث أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام متفق عليه من حديث أبي هريرة (٢) حديث ويل للعالم من الجاهل الحديث صاحب مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف (٣) حديث أن بلالا كان يسوي الصفوف ويضرب عراقيبهم بالدرة لم أجده (٤) حديث قيل له قد تعطلت الميسرة فقال من عمر ميسرة المسجد الحديث ه من حديث ابن عمر بسند ضعيف

﴿ الباب السابع ﴾

كفر ولو لم يقصد الكفر فإن أكثر اليهود والنصارى وسائر الكفار ما قصدت الكفر ولا تظنه بأنه سهو وهي كفار بلا ريب وهذا وجه واضح قريب ولا تلتفت إلى ما مال إليه بعض من لا يعرف وجوه التأويل ولا يعقل كلام أولي الحكمة والراسخين في العلم حين ظن أن قائل ذلك أراد الكفر الذي هو نقيض الإيمان والإسلام بتعلق خبره ٧ وتلحق قائله وهذا لا يخرج إلا على مذاهب أهل الأهواء الذين يكفرون بالمعاصي وأهل السنة لا يرضون بذلك وكيف يقال لمن آمن بالله واليوم الآخر وعبد الله بالقول الذي ينزه به والعمل الذي يقصد به التعبد لوجهه الذي يستزيد به إيمانا ومعرفة له سبحانه ثم يكرمه الله تعالى على ذلك بفوائد المزيد وينيله ما شرف من المنح ويريه أعلام الرضا ثم يكفره أحد بغير شرع ولا قياس عليه والإيمان

اعلم

اعلم أن ماعدا الفرائض من الصلوات ينقسم الى ثلاثة أقسام سنن ومستحبات وتطوعات ونعني بالسنن ما نقل عن رسول الله ﷺ المواظبة عليه كالرواتب عقيب الصلوات وصلاة الضحى والوتر والتهجد وغيرها لان السنة عبارة عن الطريق المسلوكة ونعني بالمستحبات ماورد الخبر بفضله ولم ينقل المواظبة عليه كما سننقله في صلوات الايام والليالي في الاسبوع وكالصلاة عند الخروج من المنزل والدخول فيه وأمثاله ونعني بالتطوعات ماوراء ذلك مما لم يرد في عينه أثر ولكنه تطوع به العبد من حيث رغب في مناجاة الله عز وجل بالصلاة التي ورد الشرع بفضلها مطلقا فكأنه متبرع به إذ لم يندب الى تلك الصلاة بعينها وان ندب الي الصلاة مطلقا والتطوع عبارة عن التبرع وسميت الأقسام الثلاثة نوافل من حيث ان النفل هو الزيادة وجملتها زائدة على الفرائض فلفظ النافلة والسنة والمستحب والتطوع أردنا الاصطلاح عليه لتعريف هذه المقاصد ولا حرج على من يغير هذا الاصطلاح فلا مشاحة في الألفاظ بعد فهم المقاصد وكل قسم من هذه الأقسام تتفاوت درجاته في الفضل بحسب ماورد فيها من الاخبار والآثار المعرفة لفضلها وبحسب طول مواظبة رسول الله ﷺ عليها وبحسب صحة الأخبار الواردة فيها واشتهارها ولذلك يقال سنن الجماعات أفضل من سنن الانفراد وأفضل سنن الجماعات صلاة العيد ثم الكسوف ثم الاستسقاء وأفضل سنن الانفراد الوتر ثم ركعتا الفجر ثم ما بعدهما من الرواتب على تفاوتها * واعلم أن النوافل باعتبار الاضافة الى متعلقاتها تنقسم الى مايتعلق بأسباب كالكسوف والاستسقاء والى ما يتعلق بأوقات والمتعلق بالأوقات ينقسم الى مايتكرر بتكرر اليوم والليلة أو بتكرر الأسبوع أو بتكرر السنة فالجملة أربعة أقسام

﴿ القسم الأول مايتكرر بتكرر الأيام والليالي وهي ثمانية خمسة هي رواتب الصلوات
الخمس وثلاثة وراءها وهي صلاة الضحى وإحياء ما بين العشاءين والتهجد ﴾

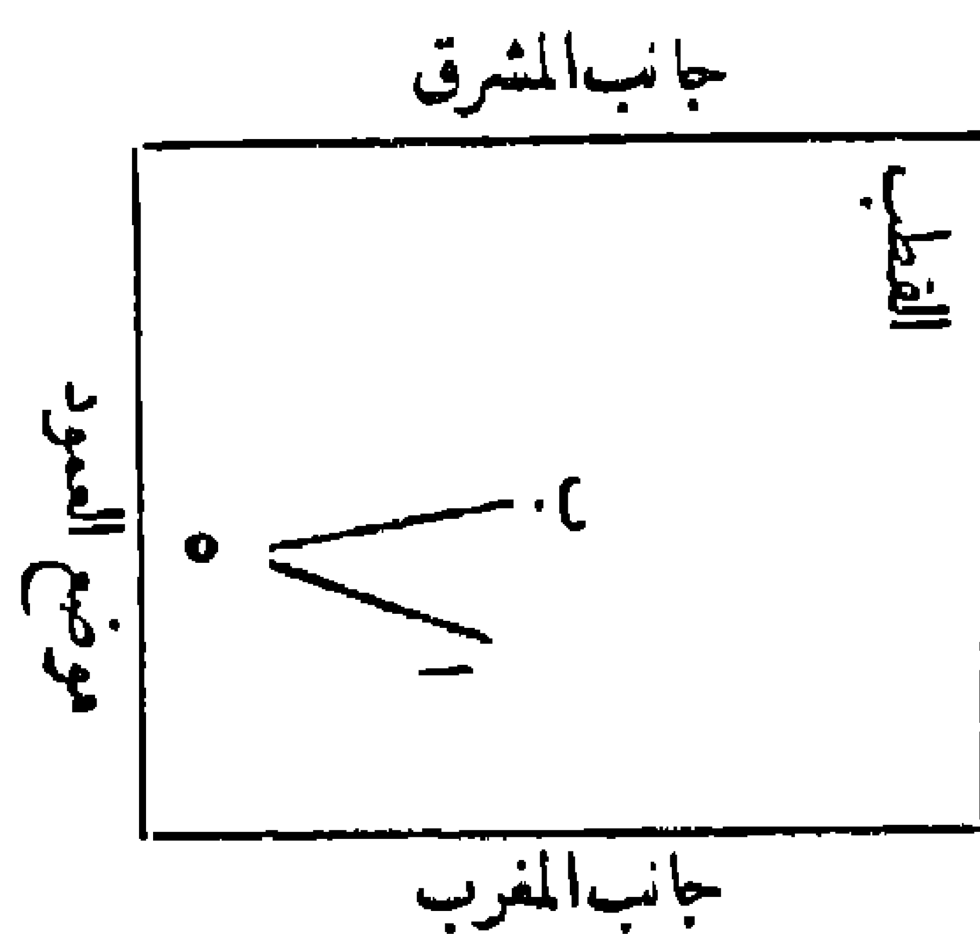
(الاولى) راتبة الصبح وهي ركعتان قال رسول الله ﷺ (١) ركعتا الفجر خير من الدنيا ومافيها ويدخل وقتها بطلوع الفجر الصادق وهو المستطير دون المستطيل وإدراك ذلك بالمشاهدة عسير في أوله إلا أن يتعلم منازل القمر أو يعلم اقتران طلوعه بالكواكب الظاهرة للبصر فيستدل بالكواكب عليه ويعرف بالقمر في ليلتين من الشهر فان القمر يطلع مع الفجر ليلة ست وعشرين ويطلع الصبح مع غروب القمر ليلة اثني عشر من الشهر هذا هو الغالب ويتطرق اليه تفاوت في بعض البروج وشرح ذلك يطول وتعلم منازل القمر من المهمات للمريد حتى يطلع به على مقادير الأوقات بالليل وعلى الصبح ويفوت وقت ركعتي الفجر بفوات وقت فريضة الصبح وهو طلوع الشمس ولكن السنة أداؤها قبل الفرض فان دخل المسجد وقد قامت الصلاة فليشتغل بالمكتوبة فانه ﷺ (٢) قال اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة ثم اذا فرغ من المكتوبة قام اليهما وصلاهما والصحيح انهما أداء ماوقعتا قبل طلوع الشمس لانهما تابعتان للفرض في وقته وانما الترتيب بينهما سنة في التقديم والتأخير اذا لم يصادف جماعة فاذا صادف جماعة انقلب الترتيب وبقيتا أداء والمستحب أن يصليهما في المنزل ويخففهما ثم يدخل المسجد ويصلي ركعتين تحية المسجد ثم يجلس ولا يصلي الى أن يصلي المكتوبة وفيما بين الصبح الى طلوع الشمس الأحب فيه الذكر والفكر والاقتصار على ركعتي الفجر والفريضة (الثانية) راتبة الظهر وهي ست ركعات ركعتان بعدها وهي أيضا سنة مؤكدة وأربع قبلها وهي أيضا سنة وان كانت دون الركعتين الأخيرتين روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٣) أنه قال من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن وركوعهن وسجودهن صلى معه سبعون ألف ملك يستغفرون له حتى الليل وكان

---

(١) حديث ركعتا الفجر خير من الدنيا الحديث م من حديث عائشة (٢) حديث اذا أقيمت الصلاة فلا صلاة الا المكتوبة م من حديث أبي هريرة (٣) حديث أبي هريرة من صلى أربع ركعات بعد زوال الشمس يحسن قراءتهن الحديث ذكره عبد الملك بن حبيب بلاغا من حديث ابن مسعود ولم أره من حديث أبي هريرة

لايخرج عنه الا بنبذه واطراحه وتركه واعتقادا مالا يتم الايمان معه ولا يحصل بمقارنته وليس في افشاء سر الولى مايحصل به تناقض الايمان اللهم الا أن يريد بافشائه وقوع الكفر من السامع له فهذا عات متمرد وليس بولى ومن أراد بأحد من خلق الله أن يكفر بالله فهو لامحالة كافر وعلى هذا يخرج قوله تعالى ولاتسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم ثم أنه من سب أحدا منهم على معني مايجد له من العداوة والبغضاء قيل له أخطأت وأثمت من غير تكفير وانه أيما فعل ذلك وسب رسول الله ﷺ فهو كافر بالاجماع ﴿سؤال﴾ فان قيل فما معنى قول سهل رحمه الله تعالى ونسب اليه للالهية سر لو انكشف لبطلت النبوات وللنبوات سر لو انكشف لبطل العلم وللعلم سر لو انكشف بطلت الاحكام وجاء في الاحياء على اثر هذا القول وقائل هذا القول ان لم يرد به ابطال النبوة في حق الضعفاء فما قالوا

ﷺ (١) لا يدع أربعا بعد الزوال يطيلهن ويقول ان أبواب السماء تفتح في هذه الساعة فأحب أن يرفع لي فيها عمل رواه أبو أيوب الأنصاري وتفرد به ودل عليه أيضا ماروت أم حبيبة زوج النبي ﷺ (٢) أنه قال من صلى في كل يوم اثنتي عشرة ركعة غير المكتوبة بني له بيت في الجنة ركعتين قبل الفجر وأربعا قبل الظهر وركعتين بعدها وركعتين قبل العصر وركعتين بعد المغرب وقال ابن عمر رضى الله عنهما حفظت من رسول الله ﷺ (٣) في كل يوم عشر ركعات فذكر ماذكرته أم حبيبة رضى الله عنها إلا ركعتي الفجر فانه قال تلك ساعة لم يكن يدخل فيها على رسول الله ﷺ ولكن حدثتني أختي حفصة رضى الله عنها انه ﷺ كان يصلي ركعتين في بيتها ثم يخرج وقال في حديثه ركعتين قبل الظهر وركعتين بعد العشاء فصارت الركعتان قبل الظهر آكد من جملة الأربعة ويدخل وقت ذلك بالزوال والزوال يعرف بزيادة ظل الأشخاص المنتصبة مائلة الى جهة الشرق إذ يقع للشخص ظل عند الطلوع في جانب المغرب يستطيل فلا تزال الشمس ترتفع والظل ينقص وينحرف عن جهة المغرب الى أن تبلغ الشمس منتهى ارتفاعها وهو قوس نصف النهار فيكون ذلك منتهى نقصان الظل فاذا زالت الشمس عن منتهى الارتفاع اخذ الظل في الزيادة فمن حيث صارت الزيادة مدركة بالحس دخل وقت الظهر ويعلم قطعا ان الزوال في علم الله سبحانه وقع قبله ولكن التكاليف لا ترتبط إلا بما يدخل تحت الحس والقدر الباقي من الظل الذي منه يأخذ في الزيادة يطول في الشتاء ويقصر في الصيف ومنتهى طوله بلوغ الشمس أول الجدي ومنتهى قصره بلوغها اول السرطان ويعرف ذلك بالاقدام والموازين ومن الطرق القريبة من التحقيق لمن أحسن مراعاته ان يلاحظ القطب الشمالي بالليل ويضع على الأرض لوحا مربعا وضعا مستويا بحيث يكون احد اضلاعه من جانب القطب بحيث لو توهمت سقوط حجر من القطب الى الأرض ثم توهمت خطا من مسقط الحجر الى الضلع الذي يليه من اللوح لقام الخط على الضلع على زاويتين قائمتين اى لا يكون الخط مائلا الى احد الضلعين ثم تنصب عمودا على اللوح نصبا مستويا في موضع علامة ه وهو بازاء القطب فيقع ظله على اللوح في أول النهار مائلا الى جهة المغرب في صوب خط ا ثم لا يزال يميل الى أن ينطبق على خط ب بحيث لو مد رأسه لانتهى على الاستقامة الى مسقط الحجر ويكون موازيا للضلع الشرقي والغربي غير مائل الى أحدهما فاذا بطل ميله الى الجانب الغربي فالشمس في منتهى الارتفاع فاذا انحرف الظل عن الخط الذي على اللوح الى جانب الشرق فقد زالت الشمس وهذا يدرك بالحس تحقيقا في وقت هو قريب من أول الزوال في علم الله تعالى ثم يعلم على رأس الظل عند انحرافه علامة فاذا صار الظل من تلك العلامة مثل العمود دخل وقت العصر فهذا القدر لا بأس بمعرفته في علم الزوال وهذه صورته



(١) حديث أبي أيوب كان لا يدع أربعا بعد الزوال الحديث أحمد بسند ضعيف نحوه وهو عند أبي داود وه مختصرا وت نحوه من حديث عبدالله بن السائب وقال حسن (٢) حديث أم حبيبة من صلى في يوم اثنتي عشرة ركعة الحديث ن ك وصحح اسناده على شرط م ورواه م مختصرا ليس فيه تعيين أوقات الركعات (٣) حديث ابن عمر حفظت من النبي ﷺ في كل يوم عشر ركعات الحديث متفق عليه واللفظ

ليس بحق فان الصحيح لا يتناقض والكامل من لا يطفىء نور معرفته نور ورعه وهذا وان لم يكن من الاسئلة المرسومة فهو متعلق منها بما فرع من الكلام فيها آنفا وناظر اليه اذ ما أدى افشاؤه الى ابطال النبوة والاحكام والعلم كفر (فالجواب) ان الذى قاله رحمه الله وان كان مستجمعا في الظاهر فهو قريب المسلك باد للمتأمل الذى يعرف مصادر أغراضهم ومسالك أقوالهم الالهية ومن وصل اليه اليقين الذى لولاه لم يكن نبيا لا يخلو أن يكون انكشافه من الله بما يطلع على القلوب من أنوار الشمس التي هي غائبة عنها بأن كانت القلوب ضعيفة طرأ عليها من الدهش والاصطلام والحيرة والتيه مايبهر العقول ويفقد الحس ويقطع عن الدنيا ومافيها وذلك لضعفه ومن انتهى الى هذه الحالة فتبطل النبوة في حقه أن يعرفها أو يعقل

﴿الثالثة﴾ راتبة العصر وهي أربع ركعات قبل العصر روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال (١) رحم الله عبدا صلى قبل العصر أربعا ففعل ذلك على رجاء الدخول في دعوة رسول الله ﷺ مستحب استحبابا مؤكدا فان دعوته تستجاب لا محالة ولم تكن مواظبته على السنة قبل العصر كمواظبته على ركعتين قبل الظهر ﴿الرابعة﴾ راتبة المغرب وهما ركعتان بعد الفريضة لم تختلف الرواية فيهما وأما ركعتان قبلها بين أذان المؤذن واقامة المؤذن على سبيل المبادرة فقد نقل عن جماعة من الصحابة كأبيّ بن كعب وعبادة بن الصامت وأبي ذر وزيد بن ثابت وغيرهم قال عبادة أو غيره كان المؤذن اذا أذن لصلاة المغرب ابتدر أصحاب رسول الله ﷺ (٢) السواري يصلون ركعتين وقال بعضهم (٣) كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا فيسأل أصليتم المغرب وذلك يدخل في عموم قوله ﷺ (٤) بين كل أذانين صلاة لمن شاء وكان أحمد بن حنبل يصليهما فعابه الناس فتركهما فقيل له في ذلك فقال لم أر الناس يصلونهما فتركتهما وقال لئن صلاهما الرجل في بيته أو حيث لا يراه الناس فحسن ويدخل وقت المغرب بغيبوبة الشمس عن الأبصار في الاراضي المستوية التي ليست محفوفة بالجبال فان كانت محفوفة بها في جهة المغرب فيتوقف إلى أن يرى اقبال السواد من جانب المشرق قال ﷺ (٥) اذا أقبل الليل من ههنا وأدبر النهار من ههنا فقد أفطر الصائم والاحب المبادرة في صلاة المغرب خاصة وان أخرت وصليت قبل غيبوبة الشفق الأحمر وقعت أداء ولكنه مكروه وأخر عمر رضي الله عنه صلاة المغرب ليلة حتى طلع نجم فاعتق رقبة وأخرها ابن عمر حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين ﴿الخامسة﴾ راتبة العشاء الآخرة أربع ركعات بعد الفريضة قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ (٦) يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام واختار بعض العلماء من مجموع الاخبار أن يكون عدد الرواتب سبع عشرة كعدد المكتوبة ركعتان قبل الصبح وأربع قبل الظهر وركعتان بعدها وأربع قبل العصر وركعتان بعد المغرب وثلاث بعد العشاء الآخرة وهي الوتر (٧) ومهما عرفت الاحاديث الواردة فيه فلا معنى للتقدير فقد قال ﷺ (٨) الصلاة خير موضوع فمن شاء أكثر ومن شاء أقل فاذا اختيار كل مريد من هذه الصلوات بقدر رغبته في الخير فقد ظهر فيما ذكرناه أن بعضها آكد من بعض وترك الآكد أبعد لا سيما والفرائض تكمل بالنوافل فمن لم يستكثر منها يوشك أن لا تسلم له فريضة من غير جابر ﴿السادسة﴾ الوتر قال أنس بن مالك كان رسول الله ﷺ (٩) يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبح اسم ربك الأعلى وفي الثانية قل يا أيها الكافرون وفي الثالثة قل هو الله أحد وجاء في الخبر أنه ﷺ (١٠) كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا

الخ ولم يقل في كل يوم (١) حديث أبي هريرة رحم الله عبدا صلى أربعا قبل العصر د ت حب من حديث ابن عمر وأعله ابن القطان ولم أره من حديث أبي هريرة (٢) حديث عبادة أو غيره في ابتدار أصحاب رسول الله ﷺ السواري اذا أذن لصلاة المغرب متفق عليه من حديث أنس لا من حديث عبادة وروى عبد الله ابن أحمد في زيادات المسند ان أبي بن كعب وعبد الرحمن بن عوف كانا يركعان حين تغرب الشمس ركعتين قبل المغرب (٣) حديث كنا نصلي الركعتين قبل المغرب حتى يدخل الداخل فيحسب أنا صلينا م من حديث أنس (٤) حديث بين كل أذانين صلاة لمن شاء متفق عليه من حديث عبد الله بن مغفل (٥) حديث اذا أقبل الليل من ههنا الحديث متفق عليه من حديث عمر (٦) حديث عائشة كان يصلي بعد العشاء الآخرة أربع ركعات ثم ينام د (٧) حديث الوتر بثلاث بعد العشاء أحمد واللفظ له والنسائي من حديث عائشة كان يوتر بثلاث لا يفصل بينهن (٨) حديث الصلاة خير موضوع أحمد وابن حبان ك وصححه من حديث أبي ذر (٩) حديث أنس كان يوتر بعد العشاء بثلاث ركعات يقرأ في الأولى سبح الحديث ابن عدي في ترجمة محمد بن أبان ورواه ت ن ه من حديث ابن عباس بسند صحيح (١٠) حديث كان يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا م من حديث عائشة .

ما جاء من قبلها اذ قد شغله عنها ما هو اعظم لديه منها وربما كان سبب موته لعجزه عن حمل ما يطرا عليه كما حكى ان شابا من سالكي طريق الآخرة عرض عليه أبو يزيد ولم يره من قبل فلما رآه انكشف له ذلك وكان في مقام الضعفاء من المريدين فلم يطق حمله فمات به واما أن يكون انكشافه من عالم به على وجه الخبر عنه فتبطل النبوة في حق المخبر حين نهى ان لا يفشي فأفشى او امر ان لا يتحدث فلم يفعل فخرج بهذه المعصية عن طاعة النبي ﷺ فيها فلهذا قيل في ذلك بطلت النبوة في حقه فان قيل فلم لا تكفروه على هذا الوجه اذا بطلت النبوة في حقه باخباره قلنا ما بطلت في حقه جميعا وانما بطل في حقه منها ما خالف الامر الثابت من قبلها وبعد هذا من الكلام على تغليظ حق الافشاء وقد سبق الكلام عليه في معنى افشاء سر الربوبية كفر واما سر النبوة الذي اوجب العلم لمن رزقها ورزق

وفى بعضها متربعا وفى بعض الأخبار (١) اذا اراد ان يدخل فراشه زحف اليه وصلى فوقه ركعتين قبل ان يرقد يقرأ فيهما اذا زلزلت الارض وسورة التكاثر وفى رواية اخرى قل يا ايها الكافرون ويجوز الوتر مفصولا وموصولا بتسليمة واحدة وتسليمتين وقد اوتر رسول الله ﷺ بركعة (٢) وثلاث (٣) وخمس (٤) وهكذا بالاوتار (٥) إلى إحدى عشرة ركعة (٦) والرواية مترددة فى ثلاث عشرة (٧) وفى حديث شاذ سبع عشرة ركعة (٨) وكانت هذه الركعات اعنى ما سميناه جملتها وترا صلاته بالليل وهو التهجد والتهجد بالليل سنة مؤكدة وسيأتى ذكر فضلها فى كتاب الاوراد وفى الأفضل خلاف فقيل ان الايتار بركعة فردة افضل اذ صح انه ﷺ كان يواظب على الايتار بركعة فردة وقيل الموصولة افضل للخروج عن شبهة الخلاف لا سيما الامام اذ قد يقتدى به من لا يرى الركعة المفردة صلاة فان صلى موصولا نوى بالجميع الوتر وان اقتصر على ركعة واحدة بعد ركعتى العشاء او بعد فرض العشاء نوى الوتر وصح لان شرط الوتر ان يكون فى نفسه وترا وان يكون موترا لغيره مما سبق قبله وقد اوتر الفرض ولو اوتر قبل العشاء لم يصح اى لا ينال فضيلة الوتر (٩) الذى هو خير له من حمر النعم كما ورد به الخبر والا فركعة فردة صحيحة فى اى وقت كان وانما لم يصح قبل العشاء لانه خرق اجماع الخلق فى الفعل ولانه لم يتقدمه ما يصير به وترا فاما اذا اراد ان يوتر بثلاث مفصولة ففى نيته فى الركعتين نظر فانه ان نوى بهما التهجد او سنة العشاء لم يكن هو من الوتر وان نوى الوتر لم يكن هو فى نفسه وترا وانما الوتر ما بعده ولكن الاظهر ان ينوى الوتر كما ينوى فى الثلاث الموصولة الوتر ولكن للوتر معنيان احدهما ان يكون فى نفسه وترا والآخر ان ينشأ ليجعل وترا بما بعده فيكون مجموع الثلاثة وترا والركعتان من جملة الثلاث الا ان وتريته موقوفة على الركعة الثالثة واذا كان هو على عزم ان يوترهما بثالثة كان له ان ينوى بهما الوتر والركعة الثالثة وتر بنفسها وموترة لغيرها والركعتان لا يوتران غيرهما وليستا وترا بأنفسهما ولكنهما موتران بغيرهما والوتر ينبغى ان يكون آخر صلاة الليل فيقع بعد التهجد وسيأتى فضائل الوتر والتهجد وكيفية الترتيب بينهما فى كتاب ترتيب الاوراد

﴿ السابعة ﴾ صلاة الضحى فالمواظبة عليها من عزائم الأفعال وفواضلها اما عدد ركعاتها فاكثر ما نقل فيه ثمانى ركعات روت ام هانىء اخت على بن ابى طالب رضى الله عنهما انه ﷺ (١٠) صلى الضحى ثمانى ركعات اطالهن وحسنهن ولم ينقل هذا القدر غيرها فاما عائشة رضى الله عنها فانها ذكرت انه ﷺ (١١) كان يصلى الضحى اربعا ويزيد ما شاء الله سبحانه فلم تحد الزيادة اى انه كان يواظب على الأربعة ولا ينقص منها وقد يزيد زيادات وروى

---

(١) حديث اذا أراد أن يدخل فراشه زحف اليه ثم صلى ركعتين الحديث هق من حديث أبى أمامة وأنس نحوه وضعفه وليس فيه زحف اليه ولا ذكر ألهاكم التكاثر (٢) حديث الوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر وهو لمسلم من حديث عائشة (٣) حديث الوتر بثلاث تقدم (٤) حديث الوتر بخمس من حديث عائشة يوتر من ذلك بخمس ولا يجلس فى شىء الا فى آخرها (٥) حديث الوتر بسبع م د ن واللفظ له من حديث عائشة أن رسول الله ﷺ لما كبر وضعف أوتر بسبع ركعات لا يقعد الا فى السادسة ثم ينهض ولا يسلم فيصلى السابعة حديث الوتر بتسع م من حديث عائشة وهو فى الذى قبله (٦) حديث الوتر باحدى عشرة أبو داود باسناد صحيح من حديث عائشة كان يوتر بأربع وثلاث وست وثلاث وثمان وثلاث وعشر وثلاث الحديث ولمسلم من حديثها كان يصلى بالليل احدى عشرة ركعة الحديث (٧) حديث الوتر بثلاث عشرة تقدم فى الذى قبله وللترمذى والنسائى من حديث أم سلمة كان يوتر بثلاث عشرة وقالت حسن ولمسلم من حديث عائشة كان يصلى من الليل ثلاث عشرة ركعة زاد فى رواية بركعتى الفجر (٨) حديث الوتر سبع عشرة ابن المبارك من حديث طاوس مرسلا كان يصلى سبع عشرة ركعة من الليل (٩) حديث الوتر خير من حمر النعم د ت ه من حديث خارجة بن حذافة ان الله أمدكم بصلاة هى خير لكم من حمر النعم وضعفه خ وغيره (١٠) حديث أم هانىء صلى الضحى ثمانى ركعات أطالهن وأحسنهن متفق عليه دون زيادة أطالهن وأحسنهن وهى منكرة (١١) حديث عائشة كان يصلى الضحى أربعا ويزيد ما شاء الله م

معرفتها على الجملة اذ النبوة لا يعرفها بالحقيقة الا نبي فان انكشف ذلك لقلب احد بطل العلم فى حقه بارتفاع المحنة له بالامر المتوجه عليه بطلبه والبحث عنه والتفكر فيه فيكون كالنبي اذا سئل عن شيء لو وقعت له واقعة لم يحتج إلى النظر فيها ولا الى البحث عنها بل ينتظرها عود من كشف الحقائق باخبار ملك اوضرب مثل يفهم عنه او اطلاع على اللوح المحفوظ او إلقاء فى روع فيعود ٧ مخترعا انه ولم يعلم مقدار الدنيا وترتيب الآخرة عليها ولا عرف خواصها ولا تنزه فى عجائبها ولا لاحظ الملكوت ببصر قلبه ولا جاوز التخوم الى اسفل من ذلك بسره ولبه ولا فهم ان الجنة اعلى النعيم وان النار اقصى العذاب الأليم وان النظر اليه منتهى الكرامات وان رضاه وسخطه غاية الدرجات والدركات وان منح المعارف والعلوم اسنى الهبات ويرى ان العالم باسره اخرجه

في حديث مفرد أن النبي ﷺ (١) كان يصلي الضحى ست ركعات وأما وقتها فقد روى علي رضي الله عنه أنه ﷺ كان يصلي الضحى ستاً في وقتين (٢) إذا أشرقت الشمس وارتفعت قام وصلى ركعتين وهو أول الورد الثاني من أوراد النهار كما سيأتي وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع السماء من جانب الشرق صلى أربعاً فالأول إنما يكون إذا ارتفعت الشمس قيد نصف رمح والثاني إذا مضى من النهار ربعه بإزاء صلاة العصر فإن وقته أن يبقى من النهار ربعه والظهر على منتصف النهار ويكون الضحى على منتصف ما بين طلوع الشمس إلى الزوال كما أن العصر على منتصف ما بين الزوال إلى الغروب وهذا أفضل الأوقات ومن وقت ارتفاع الشمس إلى ما قبل الزوال وقت للضحى على الجملة (الثامنة) إحياء ما بين العشاءين وهي سنة مؤكدة ومما نقل عدده من فعل رسول الله ﷺ (٣) بين العشاءين ست ركعات ولهذه الصلاة فضل عظيم وقيل إنها المراد بقوله عز وجل ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع﴾ وقد روى عنه ﷺ (٤) أنه قال من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين وقال ﷺ (٥) من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو بقرآن كان حقاً على الله أن يبني له قصرين في الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام ويغرس له بينهما غراساً لو طافه أهل الأرض لوسعهم وسيأتي بقية فضائلها في كتاب الأوراد إن شاء الله تعالى

﴿القسم الثاني ما يتكرر بتكرر الأسابيع﴾

وهي صلوات أيام الأسبوع ولياليه لكل يوم ولكل ليلة

أما الأيام فنبدأ فيها بيوم الأحد (يوم الأحد) روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ (٦) أنه قال من صلى يوم الأحد أربع ركعات يقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب وآمن الرسول مرة كتب الله له بعدد كل نصراني ونصرانية حسنات وأعطاه الله ثواب نبي وكتب له حجة وعمرة وكتب له بكل ركعة ألف صلاة وأعطاه الله في الجنة بكل حرف مدينة من مسك أذفر وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ (٧) أنه قال وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد فإنه سبحانه واحد لا شريك له فمن صلى يوم الأحد بعد صلاة الظهر أربع ركعات بعد الفريضة والسنة يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وتنزيل السجدة وفي الثانية فاتحة الكتاب وتبارك الملك ثم تشهد وسلم ثم قام فصلى ركعتين أخريين يقرأ فيهما فاتحة الكتاب وسورة الجمعة وسأل الله سبحانه حاجته كان حقاً على الله أن يقضي حاجته (يوم الاثنين) روى جابر عن رسول الله ﷺ (٨) أنه قال من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد

---

(١) حديث كان يصلي الضحى ست ركعات ك في فضل صلاة الضحى من حديث جابر ورجاله ثقات (٢) حديث كان إذا أشرقت وارتفعت قام وصلى ركعتين وإذا انبسطت الشمس وكانت في ربع النهار من جانب المشرق صلى أربعاً ت ن ه من حديث علي كان نبي الله ﷺ إذا زالت الشمس من مطلعها قيد رمح أو رمحين كقدر صلاة العصر من مغربها صلى ركعتين ثم أمهل حتى إذا ارتفع الضحى صلى أربع ركعات لفظ ن وقال ت حسن (٣) حديث صلى بين العشاءين ست ركعات ابن منده في الضحى به وطب في الأوسط والأصغر من حديث عمار ابن ياسر بسند ضعيف و ت وضعفه من حديث أبي هريرة من صلى بعد المغرب ست ركعات لم يتكلم فيما بينهن بسوء عدلن له بعبادة ثنتي عشرة سنة (٤) حديث من صلى بين المغرب والعشاء فإنها من صلاة الأوابين ابن المبارك في الرقائق من رواية ابن المنذر مرسلا (٥) حديث من عكف نفسه بين المغرب والعشاء في مسجد جماعة أبو الوليد الصفار في كتاب الصلاة من طريق عبد الملك بن حبيب بلاغا له من حديث عبد الله بن عمر (٦) حديث من صلى يوم الأحد أربع ركعات الحديث أبو موسى المديني من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٧) حديث علي وحدوا الله بكثرة الصلاة يوم الأحد الحديث ذكره أبو موسى المديني فيه بغير إسناد (٨) حديث جابر من صلى يوم الاثنين عند ارتفاع النهار ركعتين الحديث أبو موسى المديني من حديث جابر عن عمر مرفوعا

من العدم الذي هو نفي محض إلى الوجود الذي هو إثبات صحيح وقدره منازل وجعله طبقات فمن حي وميت ومتحرك وساكن وعالم وجاهل وشقي وسعيد وقريب وبعيد وصغير وكبير وجليل وحقير وغني وفقير ومأمور وأمير ومؤمن وكافر وجاحد وشاكر وذكر وأنثى وأرض وسماء ودنيا وأخرى وغير ذلك مما لا يحصى والكل قائم به موجود بقدرته وباق بعلمه ومنته إلى أجله ومصرف بمشيئته وذلك على بالغ حكمته فما أكل جهل من لا يجد به الأقدماه ولا من يصرفه إلا استبداده ولا ملكه إلا ملكه فيعود المحدث قديما والمربوب ربا والمملوك مالكا فيعود الخالق من خلق الله كهو تعالى الله عن جهل الجاهلين وتخييل المتوهمين وزيغ الزائغين

﴿فصل﴾ وأما حكم هذه العلوم المكتوبة في الطلب وسلوك هذه المقامات ورفق

والمعوذتين مرة مرة فاذا سلم استغفر الله عشر مرات وصلى على النبي ﷺ عشر مرات غفر الله تعالى ذنوبه كلها وروى أنس بن مالك عن النبي ﷺ [1] أنه قال من صلى يوم الاثنين ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة فاذا فرغ قرأ قل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة واستغفر اثنتي عشرة مرة ينادى به يوم القيامة أين فلان بن فلان ليقم فليأخذ ثوابه من الله عز وجل فأول ما يعطى من الثواب ألف حلة ويتوج ويقال له ادخل الجنة فيستقبله مائة ألف ملك مع كل ملك هدية يشيعونه حتى يدور على ألف قصر من نور يتلألأ (يوم الثلاثاء) روى يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال قال ﷺ [2] من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار وفي حديث آخر عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات لم تكتب عليه خطيئة إلى سبعين يوما فان مات إلى سبعين يوما مات شهيداً وغفر له ذنوب سبعين سنة (يوم الأربعاء) روى أبو إدريس الخولاني عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ [3] من صلى يوم الأربعاء ثنتي عشرة ركعة عند ارتفاع النهار يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية الكرسي مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات والمعوذتين ثلاث مرات نادى مناد عند العرش يا عبد الله استأنف العمل فقد غفر لك ما تقدم من ذنبك ورفع الله سبحانه عنك عذاب القبر وضيقه وظلمته ورفع عنك شدائد القيامة ورفع له من يومه عمل نبي (يوم الخميس) عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ [4] من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وآية الكرسي مائة مرة وفي الثانية فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد مائة مرة ويصلي على محمد مائة مرة أعطاه الله ثواب من صام رجب وشعبان ورمضان وكان له من الثواب مثل حاج البيت وكتب له بعدد كل من آمن بالله سبحانه وتوكل عليه حسنة (يوم الجمعة) روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن النبي ﷺ [5] أنه قال يوم الجمعة صلاة كله ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس وارتفعت قدر رمح أو أكثر من ذلك فتوضأ ثم أسبغ الوضوء فصلى سبحة الضحى ركعتين ايمانا واحتسابا الا كتب الله له مائتي حسنة ومحا عنه مائتي سيئة ومن صلى أربع ركعات رفع الله سبحانه له في الجنة أربعمائة درجة ومن صلى ثمان ركعات رفع الله تعالى له في الجنة ثمانمائة درجة وغفر له ذنوبه كلها ومن صلى ثنتي عشرة ركعة كتب الله له ألفين ومائتي حسنة ومحا عنه ألفين ومائتي سيئة ورفع له في الجنة ألفين ومائتي درجة وعن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ [6] أنه قال من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات قبل صلاة الجمعة يقرأ في كل ركعة الحمد لله وقل هو الله أحد خمسين مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له (يوم السبت) روى أبو هريرة أن النبي ﷺ [7] قال من صلى يوم السبت أربع ركعات يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله

---

(١) حديث أنس من صلى يوم الاثنين اثنتي عشرة ركعة الحديث ذكره أبو موسى المديني بغير سند وهو منكر (٢) حديث يزيد الرقاشي عن أنس من صلى يوم الثلاثاء عشر ركعات عند انتصاف النهار الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف ولم يقل عند انتصاف النهار ولا عند ارتفاعه (٣) حديث أبي إدريس الخولاني عن معاذ من صلى يوم الاربعاء اثنتي عشرة ركعة الحديث أبو موسى المديني وقال رواته ثقات والحديث مركب * قلت بل فيه غير مسمى وهو محمد بن حميد الرازي أحد الكذابين (٤) حديث عكرمة عن ابن عباس من صلى يوم الخميس بين الظهر والعصر ركعتين الحديث أبو موسى المديني بسند ضعيف جدا (٥) حديث علي يوم الجمعة صلاة ما من عبد مؤمن قام إذا استقلت الشمس الحديث لم أجد له أصلا وهو باطل (٦) حديث نافع عن ابن عمر من دخل الجامع يوم الجمعة فصلى أربع ركعات الحديث الدارقطني في غرائب مالك وقال لا يصح وعبد الله بن وصيف مجهول والخطيب في الرواة عن مالك وقال غريب جدا ولا أعرف له وجها غير هذا (٧) حديث أبي هريرة من صلى يوم السبت أربع ركعات الحديث أبو موسى المديني في كتاب وظائف الليالي والأيام بسند ضعيف جدا

هذه الدرجات واستفهام هذه المخاطبات أهي من قبيل الواجبات والمندوبات أو المباحات فاعلم أن المسئول عنه على ضربين أحدهما ما هو في حكم المبادي والثاني في حكم الغايات فاما الذي هو في حكم المبادي فطلبه فرض على كل أحد بقدر بذل المجهود وافراغ الوسع وجميع ما يقدر عليه من العبادة وذلك ما تضمنه أصول علم المعاملة مثل اخلاص التوحيد والصدق في العمل وعدم الاجحاف بالخوف والرجاء والتزين بالصبر والشكر لأن هذه كلها وما يتعلق بها من علم الامر والنهي واجبة قال الله تعالى (فاتقوا الله ما استطعتم) وقد سبق التنبيه عليه وأما الذي هو في حكم ... يات مثل ... قلاب الهيآت والنصر بالتوفيق بحكم الموافقة والرضا بالاثبات ٧ والتوكل بالتجريد وحقيقة علم معاني التوحيد وسر معاني التقرير وأوصاف أهل أبيات

احد

أحد ثلاث مرات فاذا فرغ قرأ آية الكرسي كتب الله له بكل حرف حجة وعمرة ورفع له بكل حرف أجر سنة صيام نهارها وقيام ليلها وأعطاه الله عز وجل بكل حرف ثواب شهيد وكان تحت ظل عرش الله مع النبيين والشهداء (وأما الليالي * ليلة الأحد) روى أنس بن مالك في ليلة الأحد أنه ﷺ (١) قال من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد خمسين مرة والمعوذتين مرة مرة واستغفر الله عز وجل مائة مرة واستغفر لنفسه ولوالديه مائة مرة وصلى على النبي ﷺ مائة مرة وتبرأ من حوله وقوته والتجأ الى الله ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن آدم صفوة الله وفطرته وابراهيم خليل الله وموسى كليم الله وعيسى روح الله ومحمدا حبيب الله كان له من الثواب بعدد من دعا لله ولدا ومن لم يدع لله ولدا وبعثه الله عز وجل يوم القيامة مع الآمنين وكان حقا على الله تعالى أن يدخله الجنة مع النبيين (ليلة الاثنين) روى الأعمش عن أنس قال قال رسول الله ﷺ (٢) من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات يقرأ في الركعة الأولى الحمد لله وقل هو الله أحد عشر مرات وفي الركعة الثانية الحمد لله وقل هو الله أحد عشرين مرة وفي الثالثة الحمد لله وقل هو الله أحد ثلاثين مرة وفي الرابعة الحمد لله وقل هو الله أحد أربعين مرة ثم يسلم ويقرأ قل هو الله أحد خمسا وسبعين مرة واستغفر الله لنفسه ولوالديه خمسا وسبعين مرة ثم سأل الله حاجته كان حقا على الله أن يعطيه سؤاله ماسأل وهي تسمى صلاة الحاجة (ليلة الثلاثاء) (٣) من صلى ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين خمس عشرة مرة ويقرأ بعد التسليم خمس عشرة مرة آية الكرسي واستغفر الله تعالى خمس عشرة مرة كان له ثواب عظيم وأجر جسيم روي عن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال من صلى ليلة الثلاثاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وإنا أنزلناه وقل هو الله أحد سبع مرات أعتق الله رقبته من النار ويكون يوم القيامة قائده ودليله الى الجنة (ليلة الأربعاء) روي النبي ﷺ (٤) انه قال من صلى ليلة الأربعاء ركعتين يقرأ في الأولى فاتحة الكتاب وقل أعوذ برب الفلق عشر مرات وفي الثانية بعد الفاتحة قل أعوذ برب الناس عشر مرات ثم اذا سلم استغفر الله عشر مرات ثم يصلي على محمد ﷺ عشر مرات نزل من كل سماء سبعون الف ملك يكتبون ثوابه الى يوم القيامة وفي حديث آخر ست عشرة ركعة يقرأ بعد الفاتحة ماشاء الله ويقرأ في آخر الركعتين آية الكرسي ثلاثين مرة وفي الأولين ثلاثين مرة قل هو الله أحد يشفع في عشرة من أهل بيته كلهم وجبت عليهم النار (٥) روت فاطمة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ من صلى ليلة الأربعاء ست ركعات قرأ في كل ركعة بعد الفاتحة قل اللهم مالك الملك الى آخر الآية فاذا فرغ من صلاته يقول جزى الله محمدا عنا ما هو أهله غفر له ذنوب سبعين سنة وكتب له براءة من النار (ليلة الخميس) قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ (٦) من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وآية

---

(١) حديث أنس من صلى ليلة الأحد بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجد له أصلا وحديث من صلى ليلة الأحد عشرين ركعة الحديث ذكره ابو موسى المديني بغير إسناد وهو منكر وروى ابو موسى من حديث أنس في فضل الصلاة فيها ست ركعات وأربع ركعات وكلاهما ضعيف جدا
(٢) حديث الأعمش عن أنس من صلى ليلة الاثنين أربع ركعات الحديث ذكره ابو موسى المديني هكذا عن الأعمش بغير إسناد وأسند من رواية يزيد الرقاشي عن انس حديثا في صلاة ست ركعات فيها وهو منكر
(٣) حديث الصلاة في ليلة الثلاثاء ركعتين الحديث ذكره ابو موسى بغير إسناد حكاية عن بعض المصنفين واسند من حديث ابن مسعود وجابر حديثا في صلاة اربع ركعات فيها وكلها منكرة (٤) حديث من صلى ليلة الأربعاء ركعتين الحديث لم اجد فيه إلا حديث جابر في صلاة اربع ركعات فيها ورواه ابو موسى المديني وروى من حديث انس ثلاثين ركعة (٥) حديث فاطمة من صلى ست ركعات اي ليلة الأربعاء الحديث ابو موسى المديني بسند ضعيف جدا (٦) حديث ابي هريرة من صلى ليلة الخميس ما بين المغرب والعشاء ركعتين الحديث ابو موسى

قول العراقي حديث أنس من صلى ليلة الأحد عشرين الخ لم يكن بالاحياء ولعله بنسخته وكذا مالم يخرجه تأمل

اليقين فهو درجات ومقامات ومنازل ومراتب ومنح يخص الله تعالى بها من شاء من عباده من غير أن ينال بطلب ولا بحث ولا تعلم ولو كان ذلك لما قيل للناظر السالك حين أراد الارتقاء الى درجة أعلى من درجته بلسان السؤال ارجع لا تتخطى رقاب الصديقين لكنها مواهب أكرم الله تعالى بها أهل صفوته وولايته وهي مراتب الصدق في العلم وبركات الاخلاص في العمل فمن لم يرث من علمه وعمله المفترض عليه فطلبه والعمل به شأن من هذه المعاني فليس في شيء من الحقيقة وان كان حقا غير أن حاله معلول إما مفتون بدنياه أو محجوب بهواه وربك على كل شيء قدير

﴿ فصل ﴾ وأما لأي شيء ذكرت هذه العلوم بالاشارات دون العبارات وبالرموز دون التصريحات وبالمتشابه من الألفاظ دون المحكمات وان كان قد سبق هذا من الشارع فيما له أن يمتحن به من كلف ويتلو من بعيد ولكن للعلم رجال مخصوصون

الكرسي خمس مرات وقل هو الله أحد خمس مرات والمعوذتين خمس مرات فاذا فرغ من صلاته استغفر الله تعالى خمس عشرة مرة وجعل ثوابه لوالديه فقد أدى حق والديه عليه وان كان عاقا لهما وأعطاه الله تعالى ما يعطى الصديقين والشهداء (ليلة الجمعة) قال جابر قال رسول الله ﷺ (١) من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد إحدى عشرة مرة فكأنما عبد الله تعالى اثنتي عشرة سنة صيام نهارها وقيام ليلها وقال أنس قال النبي ﷺ (٢) من صلى ليلة الجمعة صلاة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات قرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد والمعوذتين مرة مرة ثم أوتر بثلاث ركعات ونام على جنبه الأيمن ووجهه الى القبلة فكأنما أحيا ليلة القدر وقال ﷺ (٣) أكثروا من الصلاة علي في الليلة الغراء واليوم الأزهر ليلة الجمعة ويوم الجمعة (ليلة السبت) قال أنس قال رسول الله ﷺ (٤) من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة بنى له قصر في الجنة وكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة وتبرأ من اليهود وكان حقا على الله أن يغفر له

﴿ القسم الثالث ما يتكرر بتكرر السنين ﴾

وهي أربعة صلاة العيدين والتراويح وصلاة رجب وشعبان (الاولى صلاة العيدين) وهي سنة مؤكدة وشعار من شعائر الدين وينبغي أن يراعي فيها سبعة أمور * الاول التكبير ثلاثا نسقا فيقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون يفتتح بالتكبير ليلة الفطر الى الشروع في صلاة العيد وفي العيد الثاني يفتتح التكبير عقيب الصبح يوم عرفة الى آخر النهار يوم الثالث عشر وهذا أكمل الاقاويل ويكبر عقيب الصلوات المفروضة وعقيب النوافل وهو عقيب الفرائض آكد * الثاني اذا أصبح يوم العيد يغتسل ويتزين ويتطيب كما ذكرناه في الجمعة والرداء والعمامة هو الأفضل للرجال وليجتنب الصبيان الحرير والعجائز التزين عند الخروج * الثالث (٥) أن يخرج من طريق ويرجع من طريق آخر هكذا فعل رسول الله ﷺ وكان ﷺ (٦) يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور * الرابع المستحب الخروج الى الصحراء إلا بمكة وبيت المقدس فان كان يوم مطر فلا بأس بالصلاة في المسجد ويجوز في يوم الصحو أن يأمر الامام رجلا يصلي بالضعفة في المسجد ويخرج بالأقوياء مكبرين * الخامس يراعي الوقت فوقت صلاة العيد ما بين طلوع الشمس الى الزوال ووقت الذبح للضحايا ما بين ارتفاع الشمس بقدر خطبتين وركعتين الى آخر اليوم الثالث عشر ويستحب تعجيل صلاة الأضحى لاجل الذبح وتأخير صلاة الفطر لاجل تفريق صدقة الفطر قبلها هذه سنة رسول الله ﷺ (٧) * السادس في كيفية الصلاة فليخرج

المديني وأبو منصور الديلمي في مسند الفردوس بسند ضعيف جدا وهو منكر (١) حديث جابر من صلى ليلة الجمعة بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث باطل لا أصل له (٢) حديث أنس من صلى ليلة الجمعة العشاء الآخرة في جماعة وصلى ركعتي السنة ثم صلى بعدهما عشر ركعات الحديث باطل لا أصل له وروى المظفر بن الحسين الأرجاني في كتاب فضائل القرآن وابراهيم بن المظفر في كتاب وصول القرآن للميت من حديث أنس من صلى ركعتين ليلة الجمعة قرأ فيهما بفاتحة الكتاب واذا زلزلت خمسة عشر مرة وقال ابراهيم بن المظفر خمسين مرة أمنه الله من عذاب القبر ومن أهوال يوم القيامة ورواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من هذا الوجه ومن حديث ابن عباس أيضا وكلها ضعيفة منكرة وليس يصح في أيام الأسبوع ولياليه شيء والله أعلم (٣) حديث أكثروا علي من الصلاة في الليلة الغراء واليوم الأزهر طب في الأوسط من حديث أبي هريرة وفيه عبد المنعم بن بشير ضعفه ابن معين وابن حبان (٤) حديث أنس من صلى ليلة السبت بين المغرب والعشاء اثنتي عشرة ركعة الحديث لم أجد له أصلا (٥) حديث الخروج في العيد في طريق والرجوع في أخرى م من حديث أبي هريرة (٦) حديث كان يأمر باخراج العواتق وذوات الخدور متفق عليه من حديث أم عطية (٧) حديث

ورث العلم ليتجمل بعمله ويحمل به كحمله والنبي ﷺ لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى ذو مرة فاستوى وحكم الوارث فيما ورث حكم الموروث فيما ورث عنه فما عرف فيه الحكم من فعل الموروث عنه امتثله ومالم يصل اليه فيه شيء كان له اجتهاده فان أخطأ كان له أجر وان أصاب كان له أجران ثم ان الوارث رأى النبي ﷺ يصرح بعلوم المعاملات وأشار مما وراءها مما لا يفهمه إلا أرباب التخصيص كما قال الله عز وجل وما يعقلها إلا العالمون ولم يكن للوارث تعدي حكم موروث كما حكي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال إني رويت عن رسول الله ﷺ

وعاءين أحدهما هو الذي بثثته فيكم وأما الثاني فلو بثثته لحز رتم السكين على هذا البلعوم وأشار إلى حلقه وبعد كل شيء فوق القدوة بصاحب الشرع صلوات الله عليه وسلامه النجاة وفي اتباعه الفوز بحب الله ويد الله مع الجماعة وفوق كل ذي علم عليم وقد أفدناك من طرائف ما عندنا وأهدينا اليك من غرائب ما لدينا والى الله يرد العلم صادق وجل وكثر وقل وعظم وصغر وظهر واستتر وانما ينطق الانسان بما أنطقه الله تعالى وهو مستعمل بما استعمله فيه إذ كل ميسر لما خلق له فاستنزل ما عند ربك وخالقك من خير واستجلب ما تؤمله منه من هداية وبر بقراءة السبع المثاني والقرآن العظيم التي أمرت بقراءتها في كل صلاة وكذا عليك أن تعيدها في كل ركعة وأخبرك الصادق المصدوق ﷺ أن ليس في التوراة ولا في الانجيل ولا في الفرقان مثلها وفي هذا تنبيه بل تصريح بان يكثر

الناس مكبرين في الطريق واذا بلغ الامام المصلى لم يجلس ولم يتنفل ويقطع الناس التنفل ثم ينادي مناد الصلاة جامعة ويصلي الامام بهم ركعتين يكبر في الاولى سوى تكبيرة الاحرام والركوع سبع تكبيرات يقول بين تكبيرتين سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ويقول وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض عقيب تكبيرة الافتتاح ويؤخر الاستعاذة إلى ماوراء الثامنة ويقرأ سورة ق في الاولى بعد الفاتحة واقتربت في الثانية والتكبيرات الزائدة في الثانية خمس سوى تكبيرتي القيام والركوع وبين كل تكبيرتين ماذكرناه ثم يخطب خطبتين بينهما جلسة ومن فاتته صلاة العيد قضاها * السابع أن يضحي بكبش ضحى رسول الله ﷺ (١) بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضح من أمتي وقال ﷺ (٢) من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذن من شعره ولا من أظفاره شيأ قال أبو أيوب الانصاري (٣) كان الرجل يضحي على عهد رسول الله ﷺ بالشاة عن أهل بيته ويأكلون ويطعمون وله أن يأكل من الضحية بعد ثلاثة أيام فما فوق وردت فيه الرخصة بعد النهي عنه (٤) وقال سفيان الثوري يستحب أن يصلي بعد عيد الفطر اثني عشرة ركعة وبعد عيد الاضحى ست ركعات وقال هو من السنة ﴿الثانية التراويح﴾ وهي عشرون ركعة وكيفيتها مشهورة وهي سنة مؤكدة وان كانت دون العيدين واختلفوا في أن الجماعة فيها أفضل أم الانفراد وقد خرج رسول الله ﷺ (٥) فيها ليلتين أو ثلاثا للجماعة ثم لم يخرج وقال أخاف أن توجب عليكم وجمع عمر رضي الله عنه الناس عليها في الجماعة حيث أمن من الوجوب بانقطاع الوحي فقيل أن الجماعة أفضل لفعل عمر رضي الله عنه ولان الاجتماع بركة وله فضيلة بدليل الفرائض ولانه ربما يكسل في الانفراد وينشط عند مشاهدة الجمع وقيل الانفراد افضل لأن هذه سنة ليست من الشعائر كالعيدين فالحاقها بصلاة الضحى وتحية المسجد أولى ولم تشرع فيها جماعة وقد جرت العادة بأن يدخل المسجد جمع معا ثم لم يصلوا التحية بالجماعة ولقوله ﷺ (٦) فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت وروى أنه ﷺ (٧) قال صلاة في مسجدي هذا أفضل من مائة صلاة في غيره من المساجد وصلاة في المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة في مسجدي وأفضل من ذلك كله رجل يصلي في زاوية بيته ركعتين لا يعلمهما إلا الله عز وجل وهذا لان الرياء والتصنع ربما يتطرق اليه في الجمع ويأمن منه في الوحدة فهذا ما قيل فيه والمختار أن الجماعة أفضل كما

تعجيل صلاة الاضحى وتأخير صلاة الفطر الشافعي من رواية أبي الحويرث مرسلا أن النبي ﷺ كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران أن عجل الاضحى وأخر الفطر (١) حديث ضحى بكبشين أملحين وذبح بيده وقال بسم الله والله أكبر هذا عني وعمن لم يضح من أمتي متفق عليه دون قوله عني الخ من حديث أنس وهذه الزيادة عند أبي داود وت من حديث جابر وقال ت غريب ومنقطع (٢) حديث من رأى هلال ذي الحجة وأراد أن يضحي فلا يأخذ من شعره وأظفاره م من حديث أم سلمة (٣) حديث أبي أيوب كان الرجل يضحي على عهد رسول الله ﷺ الشاة عن اهله فيأكلون ويطعمون ت ه قال ت حسن صحيح (٤) قال سفيان الثوري من السنة ان يصلي بعد الفطر اثني عشرة ركعة وبعد الأضحى ست ركعات لم اجد له أصلا في كونه سنة وفي الحديث الصحيح ما يخالفه وهو أنه ﷺ لم يصل قبلها ولا بعدها وقد اختلفوا في قول التابعي من السنة كذا واما قول تابعي التابع كذلك كالثوري فهو مقطوع (٥) حديث خروجه لقيام رمضان ليلتين اوثلاثا ثم لم يخرج وقال اخاف ان يوجب عليكم متفق عليه من حديث عائشة بلفظ خشيت ان تفرض عليكم (٦) حديث فضل صلاة التطوع في بيته على صلاته في المسجد كفضل صلاة المكتوبة في المسجد على صلاته في البيت رواه آدم بن ابي اياس في كتاب الثواب من حديث ضمرة بن حبيب مرسلا ورواه ابن ابي شيبة في المصنف فجعله عن ضمرة بن حبيب عن رجل من أصحاب النبي ﷺ موقوفا وفي سنن د باسناد صحيح من حديث زيد بن ثابت صلاة المرء في بيته أفضل من صلاته في مسجدي هذا إلا المكتوبة (٧) حديث صلاة في مسجدي هذا أفضل

رأة عمر رضى الله عنه فان بعض النوافل قد شرعت فيها الجماعة وهذا جدير بأن يكون من الشعائر التي تظهر وأما الالتفات إلى الرياء فى الجمع والكسل فى الانفراد عدول عن مقصود النظر فى فضيلة الجمع من حيث انه جمع وكأن قائله يقول الصلاة خير من تركها بالكسل والاخلاص خير من الرياء فلنفرض المسئلة فيمن يثق بنفسه أنه لا يكسل لو انفرد ولا يرائى لو حضر الجمع فأيهما أفضل له فيدور النظر بين بركة الجمع وبين مزيد قوة الاخلاص وحضور القلب فى الوحدة ويجوز أن يكون فى تفضيل أحدهما على الآخر تردد ومما يستحب القنوت فى الوتر فى النصف الأخير من رمضان (أما صلاة رجب) فقد روى باسناد عن رسول الله ﷺ (١) أنه قال ما من أحد يصوم أول خميس من رجب ثم يصلى فيما بين العشاء والعتمة اثنتي عشرة ركعة يفصل بين كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة وانا أنزلناه فى ليلة القدر ثلاث مرات وقل هو الله أحد اثنتي عشرة مرة فاذا فرغ من صلاته صلى على سبعين مرة يقول اللهم صل على محمد النبى الأمى وعلى آله ثم يسجد ويقول فى سجوده سبعين مرة سبوح قدوس رب الملائكة والروح ثم يرفع رأسه ويقول سبعين مرة رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انك أنت الأعز الأكرم ثم يسجد سجدة أخرى ويقول فيها مثل ما قال فى السجدة الأولى ثم يسأل حاجته فى سجوده فانها تقضى قال رسول الله ﷺ لا يصلى أحد هذه الصلاة إلا غفر الله تعالى له جميع ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وعدد الرمل وورق الجبال وورق الأشجار ويشفع يوم القيامة فى سبعمائة من أهل بيته ممن قد استوجب النار فهذه صلاة مستحبة وانما أوردناها فى هذا القسم لانها تتكرر بتكرر السنين وان كانت رتبتها لا تبلغ رتبة التراويح وصلاة العيد لأن هذه الصلاة نقلها الآحاد ولكنى رأيت أهل القدس بأجمعهم يواظبون عليها ولا يسمحون بتركها فأحببت ايرادها ﴿وأما صلاة شعبان﴾ فليلة الخامس عشر منه يصلى مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة قل هو الله أحد احدى عشرة مرة وان شاء صلى عشر ركعات يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة قل هو الله أحد فهذا أيضا مروى فى جملة الصلوات كان السلف يصلون هذه الصلاة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة روى عن الحسن أنه قال حدثنى ثلاثون من أصحاب النبى ﷺ (٢) أن من صلى هذه الصلاة فى هذه الليلة نظر الله اليه سبعين نظرة وقضى له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة

﴿القسم الرابع من النوافل ما يتعلق بأسباب عارضة ولا يتعلق بالمواقيت وهى تسعة﴾

صلاة الخسوف والكسوف والاستسقاء وتحية المسجد وركعتى الوضوء وركعتين بين الأذان والاقامة وركعتين عند الخروج من المنزل والدخول فيه ونظائر ذلك فنذكر منها ما يحضرنا الآن ﴿الأولى صلاة الخسوف﴾ قال رسول الله ﷺ (٣) ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكر الله والصلاة قال ذلك لما مات ولده ابراهيم ﷺ وكسفت الشمس فقال الناس انما كسفت لموته * والنظر فى كيفيتها ووقتها أما الكيفية فاذا كسفت الشمس فى وقت الصلاة فيه مكروهة

من مائة صلاة فى غيره وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من ألف صلاة فى مسجدى وأفضل من هذا كله رجل يصلى ركعتين فى زاوية بيته لا يعلمهما إلا الله أبو الشيخ فى الثواب من حديث أنس صلاة فى مسجدى تعدل بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام تعدل بمائة ألف صلاة والصلاة بأرض الرباط تعدل بألفى ألف صلاة وأكثر من ذلك كله الركعتان يصليهما العبد فى جوف الليل لا يريد بهما إلا وجه الله عز وجل واسناده ضعيف وذكر أبو الوليد الصفار فى كتاب الصلاة تعليقا من حديث الاوزاعى قال دخلت على يحيى بن أبى كثير فأسند لى حديثا فذكره إلا أنه قال فى الأولى ألف وفى الثانية مائة (١) حديث ما من أحد يصوم أول خميس من رجب الحديث فى صلاة الرغائب أورده رزين فى كتابه وهو حديث موضوع (٢) حديث صلاة ليلة نصف شعبان حديث باطل رواه ابن ماجه من حديث على إذا كانت ليلة النصف من شعبان فقوموا ليلها وصوموا نهارها واسناده ضعيف (٣) حديث أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله

ما خلقت له واعرف ما أعد لك والله تعالى سبحانه حسيب من اراده وهادى من جاهد فى سبيله وكاف من توكل عليه وهو المعول الكريم انتهى الجواب عما سألت عنه وفرغنا منه بحسب الوسع من الكلام ونسأل الله تعالى المساعدة بين جلال فوق البشر أن يصرف عنا حب المكدرات والاهواء ومراتب الفتن قيده بجارى المقدورات وهو أهله من طهر وغفر واليه رحمة من أمر وكفر ويجازى الخلائق بنعيم أو سقر والصلاة على سيدنا محمد سيد البشر وكاف الضرر وعلى آله السادات الغرر وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين

﴿تم كتاب الاملاء فى أشكالات الاحياء﴾

أو

وغير مكروهة نودي الصلاة جامعة وصلى الامام بالناس فى المسجد ركعتين وركع فى كل ركعة ركوعين أوائلها أطول من أواخرها ولا يجهر فيقرأ فى الأولى من قيام الركعة الأولى الفاتحة والبقرة وفى الثانية الفاتحة وآل عمران وفى الثالثة الفاتحة وسورة النساء وفى الرابعة الفاتحة وسورة المائدة أو مقدار ذلك من القرآن من حيث أراد ولو اقتصر على الفاتحة فى كل قيام أجزأه ولو اقتصر على سور قصار فلا بأس ومقصود التطويل دوام الصلاة الى الانجلاء ويسبح فى الركوع الأول قدر مائة آية وفى الثانى قدر ثمانين وفى الثالث قدر سبعين وفى الرابع قدر خمسين وليكن السجود على قدر الركوع فى كل ركعة ثم يخطب خطبتين بعد الصلاة بينهما جلسة ويأمر الناس بالصدقة والعتق والتوبة وكذلك يفعل بخسوف القمر الا أنه يجهر فيها لانها ليلية * فاما وقتها فعند ابتداء الكسوف الى تمام الانجلاء ويخرج وقتها بان تغرب الشمس كاسفة وتفوت صلاة خسوف القمر بان يطلع قرص الشمس اذ يبطل سلطان الليل ولا تفوت بغروب القمر خاسفا لان الليل كله سلطان القمر فان انجلى فى أثناء الصلاة أتمها مخففة ومن أدرك الركوع الثانى مع الامام فقد فاتته تلك الركعة لان الأصل هو الركوع الأول ﴿الثانية صلاة الاستسقاء﴾ فاذا غارت الأنهار وانقطعت الأمطار أو انهارت قناة فيستحب للامام أن يأمر الناس أولا بصيام ثلاثة أيام وما أطاقوا من الصدقة والخروج من المظالم والتوبة من المعاصى ثم يخرج بهم فى اليوم الرابع وبالعجائز والصبيان متنظفين فى ثياب بذلة واستكانة متواضعين بخلاف العيد وقيل يستحب اخراج الدواب لمشاركتها فى الحاجة ولقوله ﷺ (١) لولا صبيان رضع ومشايخ ركع وبهائم رتع لصب عليكم العذاب صبا ولو خرج أهل الذمة أيضا متميزين لم يمنعوا فاذا اجتمعوا فى المصلى الواسع من الصحراء نودي الصلاة جامعة وصلى بهم الامام ركعتين مثل صلاة العيد بغير تكبير ثم يخطب خطبتين وبينهما جلسة خفيفة وليكن الاستغفار معظم الخطبتين وينبغي فى وسط الخطبة الثانية (٢) أن يستدبر الناس ويستقبل القبلة ويحول رداءه فى هذه الساعة تفاؤلا بتحويل الحال هكذا فعل رسول الله ﷺ فيجعل أعلاه أسفله وما على اليمين على الشمال وما على الشمال على اليمين وكذلك يفعل الناس ويدعون فى هذه الساعة سرا ثم يستقبلهم فيختم الخطبة ويدعون أرديتهم محولة كما هي حتي ينزعوها متى نزعوا الثياب ويقول فى الدعاء اللهم انك أمرتنا بدعائك ووعدتنا اجابتك فقد دعوناك كما أمرتنا فأجبنا كما وعدتنا اللهم فامنن علينا بمغفرة ما قارفنا واجابتك فى سقيانا وسعة أرزاقنا ولا بأس بالدعاء أدبار الصلوات فى الأيام الثلاثة قبل الخروج ولهذا الدعاء آداب وشروط باطنة من التوبة ورد المظالم وغيرها وسيأتى ذلك فى كتاب الدعوات ﴿الثالثة صلاة الجنائز﴾ وكيفيتها مشهورة وأجمع دعاء مأثور ماروى فى الصحيح عن عوف بن مالك قال رأيت رسول الله ﷺ (٣) صلى على جنازة فحفظت من دعائه اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس وأبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار حتي قال عوف تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت ومن أدرك التكبيرة الثانية فينبغي أن يراعي ترتيب الصلاة فى نفسه ويكبر مع تكبيرات الامام فاذا سلم الامام قضى تكبيره الذى فات كفعل المسبوق فانه لو بادر التكبيرات لم يبق للقدوة فى هذه الصلاة معني فالتكبيرات هى الاركان الظاهرة وجدير بان تقام مقام الركعات فى سائر الصلوات هذا هو الأوجه عندى وان كان غيره محتملا والاخبار الواردة فى فضل صلاة الجنازة وتشييعها مشهورة فلا نطيل بايرادها وكيف لا يعظم فضلها وهى من فرائض الكفايات وانما تصير نفلا فى حق من لم تتعين عليه بحضور غيره ثم ينال بها فضل فرض الكفاية وان لم يتعين لانهم بجملتهم قاموا بما هو

الحديث اخرجاه من حديث المغيرة بن شعبة (١) حديث لولا صبيان رضع ومشايخ ركع الحديث هق وضعفه من حديث أبى هريرة (٢) حديث استدبار الناس واستقبال القبلة وتحويل الرداء فى الاستسقاء أخرجاه من حديث عبد الله بن زيد المازنى (٣) حديث عوف بن مالك فى الصلاة على الجنازة اللهم اغفر لى وله وارحمنى وارحمه وعافنى

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله العظيم شانه القوى سلطانه الظاهر احسانه الباهر حجته وبرهانه المحتجب بالجلال والمنفرد بالكمال والمتردى بالعظمة فى الآباد والآزال لا يصوره وهم وخيال ولا يحصره حد ومثال ذى العز الدائم السرمدى والملك القائم الديمومى والقدرة الممتنع ادراك كنهها والسطوة المستوعر طريق استيفاء وصفها نطقت الكائنات بانه الصانع المبدع ولاح من صفحات ذرات الوجود بانه الخالق المخترع وسم عقل الانسان بالعجز والنقصان وألزم فصيحات الألسن وصف الحصر فى حلبة البيان وأحرقت سبحات وجهه الكريم أجنحة طائر الفهم وسدت تعززا وجلالا مسالك الوهم وأطرق طامح البصيرة تعظما واجلالا ولم يجد من فرط الهيبة فى فضاء الجبروت مجالا فعاد البصر كليلا والعقل غليلا ولم يلتهج الى كنه الكبرياء سبيلا فسبحان من عزت

فرض الكفايه وأسقطوا الحرج عن غيرهم فلا يكون ذلك كنفل لا يسقط به فرض عن أحد ويستحب طلب كثرة الجمع تبركا بكثرة الهمم والأدعية واشتماله على ذوي دعوة مستجابة لما روى كريب عن ابن عباس انه مات له ابن فقال يا كريب انظر ما اجتمع له من الناس قال فخرجت فاذا ناس قد اجتمعوا له فأخبرته فقال تقول هم أربعون قلت نعم قال أخرجوه فاني سمعت رسول الله ﷺ (١) يقول ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلا لا يشركون بالله شيأ الا شفعهم الله عز وجل فيه واذا شيع جنازة فوصل المقابر أو دخلها ابتدأ قال السلام عليكم أهل هذه الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين وانا ان شاء الله بكم لاحقون والأولى أن لا ينصرف حتى يدفن الميت فاذا سوى على الميت قبره قام عليه وقال اللهم عبدك رد اليك فارأف به وارحمه اللهم جاف الارض عن جنبيه وافتح أبواب السماء لروحه وتقبله منك بقبول حسن اللهم ان كان محسنا فضاعف له في احسانه وان كان مسيئا فتجاوز عنه ﴿الرابعة تحية المسجد﴾ ركعتان فصاعدا سنة مؤكدة حتى انها لا تسقط وان كان الامام يخطب يوم الجمعة مع تأكد وجوب الاصغاء الى الخطيب وان اشتغل بفرض أو قضاء تأدى به التحية وحصل الفضل اذ المقصود أن لا يخلو ابتداء دخوله عن العبادة الخاصة بالمسجد قياما بحق المسجد ولهذا يكره أن يدخل المسجد على غير وضوء فان دخل لعبور أو جلوس فليقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر يقولها أربع مرات يقال انها عدل ركعتين في الفضل ومذهب الشافعي رحمه الله انه لا تكره التحية في أوقات الكراهية وهي بعد العصر وبعد الصبح ووقت الزوال ووقت الطلوع والغروب لما روي انه ﷺ (٢) صلى ركعتين بعد العصر فقيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر فشغلني عنهما الوفد فأفاد هذا الحديث فائدتين احداهما ان الكراهية مقصورة على صلاة لا سبب لها ومن أضعف الأسباب قضاء النوافل اذ اختلفت العلماء في أن النوافل هل تقضى واذا فعل مثل ما فاته هل يكون قضاء واذا انتفت الكراهية بأضعف الأسباب فبأحرى أن تنتفي بدخول المسجد وهو سبب قوي ولذلك لا تكره صلاة الجنازة اذا حضرت ولا صلاة الخسوف والاستسقاء في هذه الأوقات لان لها أسبابا * الفائدة الثانية قضاء النوافل اذ قضى رسول الله ﷺ ذلك ولنا فيه أسوة حسنة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ (٣) اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة صلى من أول النهار اثنتي عشرة ركعة وقد قال العلماء من كان في الصلاة ففاته جواب المؤذن فاذا سلم قضى وأجاب وان كان المؤذن سكت ولا معنى الآن لقول من يقول ان ذلك مثل الأول وليس بقضي اذ لو كان كذلك لما صلاها رسول الله ﷺ في وقت الكراهة نعم من كان له ورد فعاقه عن ذلك عذر فينبغي أن لا يرخص لنفسه في تركه بل يتداركه في وقت آخر حتى لا تميل نفسه الى الدعة والرفاهية وتداركه حسن على سبيل مجاهدة النفس ولانه ﷺ (٤) قال أحب الأعمال الى الله تعالى أدومها وان قل فيقصد به أن لا يفتر في دوام عمله وروت عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ (٥) أنه قال من عبد الله عز وجل بعبادة ثم تركها ملالة مقته الله عز وجل فليحذر أن يدخل تحت الوعيد وتحقيق هذا الخبر أنه مقته الله تعالى بتركها ملالة فلولا المقت والابعاد لما سلطت الملالة عليه ﴿الخامسة ركعتان بعد الوضوء﴾ مستحبتان لان الوضوء

وعامة احديث مسلم دون الدعاء للمصلي (١) حديث ابن عباس ما من رجل مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون الحديث م (٢) حديث صلى ركعتين بعد العصر قيل له أما نهيتنا عن هذا فقال هما ركعتان كنت أصليهما بعد الظهر الحديث أخرجاه من حديث أم سلمة ولمسلم من حديث عائشة كان يصلي ركعتين قبل العصر ثم انه شغل عنهما الحديث (٣) حديث عائشة كان اذا غلبه نوم أو مرض فلم يقم تلك الليلة الحديث م (٤) حديث أحب الأعمال الى الله أدومه وان قل أخرجاه من حديث عائشة (٥) حديث عائشة من عبد الله عبادة ثم تركها ملالة مقته الله ورواه

بين عباده بخصائص الاحسان فصارت ضمائرهم من مواهب الأنس مملوأة ومرائي قلوبهم بنور القدس مجلوة فتهيأت لقبول الأمداد القدسية واستعدت لورود الأنوار العلوية واتخذت من الأنفاس العطرية بالاذكار جلاسا وأقامت على الظاهر والباطن من التقوى حراسا وأشعلت في ظلم البشرية من اليقين نبراسا واستحقرت فوائد الدنيا ولذاتها وأنكرت مصايد الهوى وتبعاتها وامتطت غوارب الرغبوت والرهبوت واستفرشت بعلو همتها بساط الملكوت وامتدت الى المعالي أعناقها وطمحت الى اللامع العلوي أحداقها واتخذت من الملأ الأعلى مسامرا ومحاورا ومن النور الأعلى الأقصى مزاورا ومجاورا أجسادا أرضية

قربة

قربة ومقصودها الصلاة والاحداث عارضة فربما يطرأ الحدث قبل صلاة فينتقض الوضوء ويضيع السعي فالمبادرة الى ركعتين استيفاء لمقصود الوضوء قبل الفوات وعرف ذلك بحديث بلال اذ قال ﷺ (١) دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت لبلال بم سبقتني الى الجنة فقال بلال لا أعرف شيأ الا أني لا أحدث وضوأ الا أصلي عقيبه ركعتين ﴿السادسة ركعتان عند دخول المنزل وعند الخروج منه﴾ روى أبو هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٢) اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت الى منزلك فصل ركعتين يمنعانك مدخل السوء وفي معنى هذا كل أمر يبتدأ به مماله وقع ولذلك ورد ركعتان (٣) عند الاحرام وركعتان (٤) عند ابتداء السفر وركعتان (٥) عند الرجوع من السفر في المسجد قبل دخول البيت فكل ذلك مأثور من فعل رسول الله ﷺ وكان بعض الصالحين اذا أكل أكلة صلى ركعتين واذا شرب شربة صلى ركعتين وكذلك في كل أمر يحدثه وبداية الامور ينبغي ان يتبرك فيها بذكر الله عز وجل وهي على ثلاث مراتب بعضها يتكرر مرارا كالاكل والشرب فيبدأ فيه باسم الله عز وجل قال ﷺ (٦) كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر الثانية مالا يكثر تكرره وله وقع كعقد النكاح وابتداء النصيحة والمشورة فالمستحب فيها أن يصدر بحمد الله فيقول المزوج الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ زوجتك ابنتي ويقول القابل الحمد لله والصلاة على رسول الله ﷺ قبلت النكاح وكانت عادة الصحابة رضي الله عنهم في ابتداء أداء الرسالة والنصيحة والمشورة تقديم التحميد * الثالثة مالا يتكرر كثيرا واذا وقع دام وكان له وقع كالسفر وشراء دار جديدة والاحرام وما يجري مجراه فيستحب تقديم ركعتين عليه وادناه الخروج من المنزل والدخول اليه فانه نوع سفر قريب ﴿السابعة صلاة الاستخارة﴾ فمن هم بأمر وكان لا يدري عاقبته ولا يعرف ان الخير في تركه أو في الاقدام عليه فقد امره رسول الله ﷺ (٧) بان يصلي ركعتين يقرأ في الاولى فاتحة الكتاب وقل يا أيها الكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو الله أحد فاذا فرغ دعا وقال اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم ان هذا الامر خير لي في ديني ودنياي وعاقبة امري وعاجله وآجله فاقدره لي وبارك لي فيه ثم يسره لي وان كنت تعلم أن هذا الامر شر لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفني عنه واصرفه عني واقدر لي الخير أينما كان انك على كل شيء قدير رواه جابر بن عبد الله قال كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الامور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن وقال ﷺ اذا هم أحدكم بامر فليصل ركعتين ثم ليسم الامر ويدعو بما ذكرنا وقال بعض الحكماء من أعطي أربعا لم يمنع أربعا من أعطي الشكر لم يمنع المزيد ومن أعطي التوبة لم يمنع القبول

ابن السني في رياضة المتعبدين موقوفا على عائشة (١) حديث دخلت الجنة فرأيت بلالا فيها فقلت بلال بم سبقتني الى الجنة الحديث أخرجاه من حديث ابي هريرة (٢) حديث ابي هريرة اذا خرجت من منزلك فصل ركعتين يمنعانك مخرج السوء واذا دخلت منزلك الحديث هق في الشعب من رواية بكر بن عمرو عن صفوان ابن سليم قال بكر حسبته عن أبي سلمة عن أبي هريرة فذكره وروى الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل من حديث أبي هريرة اذا دخل أحدكم بيته فلا يجلس حتى يركع ركعتين فان الله جاعل له من ركعتيه خيرا قال ابن عدي وهو بهذا الاسناد منكر وقال خ لا أصل له (٣) حديث ركعتي الاحرام خ من حديث ابن عمر (٤) حديث صلاة ركعتين عند ابتداء السفر الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث أنس ما استخلف في أهله من خليفة أحب الى الله من أربع ركعات يصليهن العبد في بيته اذا شد عليه ثياب سفره الحديث وهو ضعيف (٥) حديث الركعتين عند القدوم من السفر أخرجاه من حديث كعب بن مالك (٦) حديث كل أمر ذي بال لم يبدأ فيه بسم الله فهو أبتر دن ٥ حب في صحيحه من حديث أبي هريرة (٧) حديث صلاة الاستخارة خ من حديث جابر قال أحمد حديث منكر

طيارة همم اهبهم في العبودية مشهورة وأعلامهم في أقطار الارض منشورة يظن الجاهل بهم فقدوا وما فقدوا ولكن سمت أحوالهم فلم يدركوا وعلا مقامهم فلم يملكوا كائنين بالجثمان بائنين بقلوبهم عن أوطان الحدثان لارواحهم حول العرش تطواف ولقلوبهم من خزائن البر اسعاف يتنعمون بالخدمة في الدياجر ويتلذذون من وهج الطلب بظمأ الهواجر تصلوا بالصلوات عن الشهوات وتعوضوا بحلاوة التلاوة عن اللذات يلوح من صفحات وجوههم بشر الوجدان وينم على مكنون سرائرهم نضارة العرفان لا يزال في كل عصر منهم علماء بالحق داعون للخلق منحوا بحسن المتابعة رتبة الدعوة وجعلوا للمتقين قدوة فلا يزال

ومن أعطى الاستخارة لم يمنع الخيرة ومن أعطى المشورة لم يمنع الصواب ﴿الثامنة صلاة الحاجة﴾[1] فمن ضاق عليه الامر ومسته حاجة في صلاح في دينه ودنياه الى أمر تعذر عليه فليصل هذه الصلاة فقد روى عن وهيب بن الورد أنه قال ان من الدعاء الذى لا يرد أن يصلى العبد ثنتي عشرة ركعة يقرأ في كل ركعة بأم الكتاب وآية الكرسي وقل هو الله أحد فاذا فرغ خر ساجدا ثم قال سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى أحصى كل شيء بعلمه سبحان الذى لا ينبغي التسبيح إلا له سبحان ذى المن والفضل سبحان ذى العز والكرم سبحان ذى الطول أسألك بمعاقد العز من عرشك ومنتهى الرحمة من كتابك وباسمك الأعظم وجدك الأعلى وكلماتك التامات العامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر أن تصلى على محمد وعلى آل محمد ثم يسأل حاجته التي لا معصية فيها فيجاب ان شاء الله عز وجل قال وهيب بلغنا أنه كان يقال لا تعلموها لسفهائكم فيتعاونون بها على معصية الله عز وجل ﴿التاسعة صلاة التسبيح﴾ وهذه الصلاة مأثورة على وجهها ولا تختص بوقت ولا بسبب ويستحب أن لا يخلو الأسبوع عنها مرة واحدة أو الشهر مرة فقد روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه ﷺ[2] قال للعباس بن عبد المطلب ألا أعطيك ألا أمنحك ألا أحبوك بشيء اذا أنت فعلته غفر الله لك ذنبك أوله وآخره قديمه وحديثه خطأه وعمده سره وعلانيته تصلى أربع ركعات تقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة فاذا فرغت من القراءة في أول ركعة وأنت قائم تقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خمس عشرة مرة ثم تركع فتقولها وأنت راكع عشر مرات ثم ترفع من الركوع فتقولها قائما عشرا ثم تسجد فتقولها عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها جالسا عشرا ثم تسجد فتقولها وأنت ساجد عشرا ثم ترفع من السجود فتقولها عشرا فذلك خمس وسبعون في كل ركعة تفعل ذلك في أربع ركعات ان استطعت أن تصليها في كل يوم مرة فافعل فان لم تفعل ففي كل جمعة مرة فان لم تفعل ففي كل شهر مرة فان لم تفعل ففي السنة مرة وفى رواية أخرى انه يقول في أول الصلاة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك وتقدست أسماؤك ولا إله غيرك ثم يسبح خمس عشرة تسبيحة قبل القراءة وعشرا بعد القراءة والباقي كما سبق عشرا عشرا ولا يسبح بعد السجود الاخير قاعدا وهذا هو الاحسن وهو اختيار ابن المبارك والمجموع من الروايتين ثلثمائة تسبيحة فان صلاها نهارا فبتسليمة واحدة وان صلاها ليلا فبتسليمتين أحسن اذ ورد ان صلاة[3] الليل مثنى مثنى وان زاد بعد التسبيح قوله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فهو حسن فقد ورد ذلك في بعض الروايات فهذه الصلوات المأثورة ولا يستحب شيء من هذه النوافل في الاوقات المكروهة إلا تحية المسجد وما أوردناه بعد التحية من ركعتي الوضوء وصلاة السفر والخروج من المنزل والاستخارة فلا لان النهي مؤكد وهذه الأسباب ضعيفة فلا تبلغ درجة الخسوف والاستسقاء والتحية وقد رأيت بعض المتصوفة يصلى في الاوقات المكروهة ركعتي الوضوء وهو في غاية البعد لان الوضوء لا يكون سببا للصلاة بل الصلاة سبب الوضوء فينبغي أن يتوضأ ليصلى لا انه يصلى لانه توضأ وكل محدث يريد أن يصلى في وقت الكراهية فلا سبيل له الا أن يتوضأ ويصلى فلا يبقى للكراهية معنى ولا ينبغي أن ينوى ركعتي الوضوء كما ينوى ركعتي التحية بل اذا توضأ صلى ركعتين تطوعا كيلا يتعطل وضوءه كما كان يفعله بلال فهو تطوع محض يقع عقيب الوضوء وحديث بلال لم يدل على أن الوضوء سبب كالخسوف والتحية حتى ينوى ركعتي الوضوء فيستحيل أن ينوى بالصلاة الوضوء بل ينبغي أن ينوى بالوضوء الصلاة وكيف ينتظم أن يقول في وضوئه أتوضأ لصلاتي وفى صلاته يقول أصلى لوضوئي بل

(١) حديث ابن مسعود في صلاة الحاجة اثنى عشر ركعة أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس باسنادين ضعيفين جدا فيهما عمرو بن هارون البلخى كذبه ابن معين وفيه علل أخرى وقد وردت صلاة الحاجة ركعتين رواه ت ه من حديث عبد الله بن أبى أوفى وقال ت حديث غريب وفى اسناده مقال (٢) حديث صلاة التسبيح تقدم (٣) حديث صلاة الليل مثنى مثنى أخرجاه من حديث ابن عمر

تظهر في الخلائق آثارهم وتزهو في الآفاق أنوارهم من اقتدى بهم اهتدى ومن أنكرهم ضل واعتدى فلله الحمد على ماهيأ للعباد من بركة خواص حضرته من أهل الوداد والصلاة على نبيه ورسوله محمد وآله وأصحابه الاكرمين الامجاد • ثم ان ايثارى لهدى هؤلاء القوم ومحبتي لهم علما بشرف حالهم وصحة طريقتهم المبنية على الكتاب والسنة المتحقق بهما من الله الكريم الفضل والمنة حدابي ان أذهب عن هذه العصابة بهذه الصبابة وأؤلف أبوابا في الحقائق والآداب معربة عن وجه الصواب فيما اعتمدوه مشعرة بشهادة صريح العلم لهم فيما اعتقدوه حيث كثر المتشبهون واختلف أحوالهم وستر بزيهم المتسترون وفسدت أعمالهم وسبق الى قلب من لا يعرف أصول سلفهم سوء ظن وكاد لا يسلم من وقيعة فيهم وطعن ظنا منه ان حاصلهم راجع الى

من أراد أن يحرس وضوأه عن التعطيل فى وقت الكراهية فليتوقضاء ان كان يجوز أن يكون فى ذمته صلاة تطرق اليها خلل لسبب من الأسباب فان قضاء الصلوات فى اوقات الكراهية غير مكروه فأما نية التطوع فلا وجه لها ففى النهى فى أوقات الكراهية مهمات ثلاثة أحدها التوقى من مضاهاة عبدة الشمس والثانى الاحتراز من انتشار الشياطين إذ قال ﷺ (١) ان الشمس لتطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها واذا ارتفعت فارقها فان استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا تضيفت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلوات فى هذه الأوقات ونبه به على العلة والثالث ان سالكى طريق الآخرة لا يزالون يواظبون على الصلوات فى جميع الأوقات والمواظبة على نمط واحد من العبادات يورث الملل ومهما منع منها ساعة زاد النشاط وانبعثت الدواعي والانسان حريص على ما منع منه ففى تعطيل هذه الأوقات زيادة تحريض وبعث على انتظار انقضاء الوقت فخصصت هذه الأوقات بالتسبيح والاستغفار حذرا من الملل بالمداومة وتفرجا بالانتقال من نوع عبادة الى نوع آخر ففى الاستطراف والاستجداد لذة ونشاط وفى الاستمرار على شىء واحد استثقال وملال ولذلك لم تكن الصلاة سجودا مجردا ولا ركوعا مجردا ولا قياما مجردا بل رتبت العبادات من أعمال مختلفة وأذكار متباينة فان القلب يدرك من كل عمل منهما لذة جديدة عند الانتقال اليها ولو واظب على الشيء الواحد لتسارع اليه الملل فاذا كانت هذه أمورا مهمة فى النهى عن ارتكاب أوقات الكراهة الى غير ذلك من أسرار أخر ليس فى قوة البشر الاطلاع عليها والله ورسوله أعلم بها فهذه المهمات لا تترك إلا بأسباب مهمة فى الشرع مثل قضاء الصلوات وصلاة الاستسقاء والخسوف وتحية المسجد فاما ما ضعف عنها فلا ينبغي أن يصادم به مقصود النهى هذا هو الأوجه عندنا والله أعلم * كمل كتاب أسرار الصلاة من كتاب إحياء علوم الدين * يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه والحمد لله وحده وصلاته على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا

كتاب أسرار الزكاة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أسعد وأشقى وأمات وأحيا وأضحك وأبكى وأوجد وأفنى وأفقر وأغنى وأضر وأقنى الذى خلق الحيوان من نطفة تمنى ثم تفرد عن الخلق بوصف الغنى ثم خصص بعض عباده بالحسنى فأفاض عليهم من نعمه ما أيسر به من شاء واستغني وأحوج اليه من أخفق فى رزقه وأكدى إظهارا للامتحان والابتلاء ثم جعل الزكاة للدين أساسا ومبنى وبين أن بفضله تزكى من عباده من تزكى ومن غناه زكى ماله من زكى والصلاة على محمد المصطفى سيد الورى وشمس الهدى وعلى آله وأصحابه المخصوصين بالعلم والتقى ﴿ أما بعد ﴾ فان الله تعالى جعل الزكاة إحدى مبانى الاسلام وأردف بذكرها الصلاة التى هى أعلى الأعلام فقال تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) وقال ﷺ (٢) بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وشدد الوعيد على المقصرين فيها فقال (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم) ومعنى الانفاق فى سبيل الله إخراج حق الزكاة قال الأحنف بن قيس كنت فى نفر من قريش فمر أبو ذر فقال بشر الكانزين بكى فى ظهورهم يخرج من جنوبهم وبكى فى أقفائهم يخرج من جباههم وفى رواية أنه يوضع على حلمة ثدى أحدهم فيخرج من نغض كتفيه ويوضع على نغض كتفيه حتى يخرج من حلمة ثدييه يتزلزل وقال أبو ذر (٣) انتهيت الى رسول الله ﷺ وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم

(١) حديث ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا طلعت قارنها الحديث ن من حديث عبد الله الصنابحى وهو مرسل ومالك هو الذى يقول عبد الله الصنابحى ووهم فيه والصواب عبد الرحمن ولم ير النبى ﷺ

﴿ كتاب أسرار الزكاة ﴾

(٢) حديث بنى الاسلام على خمس أخرجاه من حديث ابن عمر (٣) حديث أبى ذر انتهيت الى النبى ﷺ

مجرد رسم وتخصصهم عائد الى مطابق اسم ومما حضرنى فيه من النية أن أكثر سواد القوم بالاعتزاء الى طريقهم والاشارة الى أحوالهم وقد ورد من كثر سواد قوم فهو منهم وأرجو من الله الكريم صحة النية فيه وتخليصها من شوائب النفس وكل ما فتح الله تعالى على فيه منح من الله الكريم وعوارف وأجل المنح عوارف المعارف والكتاب يشتمل على نيف وستين بابا والله المعين * الباب الأول فى منشأ علوم الصوفية * الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع * الباب الثالث فى بيان فضيلة علم الصوفية والاشارة الى أنموذج منها * الباب الرابع فى شرح حال الصوفية واختلاف طريقهم فيها * الباب الخامس فى ذكر ماهية التصوف * الباب السادس فى ذكر تسميتهم بهذا الاسم * الباب السابع فى ذكر المتصوف والمتشبه * الباب الثامن فى ذكر الملامتى وشرح حاله * الباب التاسع

الأخسرون ورب الكعبة فقلت ومن هم قال الأكثرون أموالا إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله وقليل ماهم مامن صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدى زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمنه تنطحه بقرونها وتطؤه بأظلافها كلما نفدت أخراها عادت عليه أولاها حتى يقضى بين الناس واذا كان هذا التشديد مخرجا فى الصحيحين فقد صار من مهمات الدين الكشف عن أسرار الزكاة وشروطها الجلية والخفية ومعانيها الظاهرة والباطنة مع الاقتصار على مالا يستغنى عن معرفته مؤدى الزكاة وقابضها وينكشف ذلك فى أربعة فصول (الفصل الأول) فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها (الثانى) فى آدابها وشروطها الباطنة والظاهرة (الثالث) فى القابض وشروط استحقاقه وآداب قبضه (الرابع) فى صدقة التطوع وفضلها

﴿ الفصل الأول فى أنواع الزكاة وأسباب وجوبها والزكوات باعتبار متعلقاتها ستة أنواع زكاة النعم والنقدين والتجارة وزكاة الركاز والمعادن وزكاة المعشرات وزكاة الفطر ﴾

﴿ النوع الأول زكاة النعم ﴾

ولا تجب هذه الزكاة وغيرها إلا على حر مسلم ولا يشترط البلوغ بل تجب فى مال الصبى والمجنون هذا شرط من عليه وأما المال فشروطه خمسة أن يكون نعما سائمة باقية حولا نصابا كاملا مملوكا على الكمال * الشرط الأول كونه نعما فلا زكاة إلا فى الابل والبقر والغنم أما الخيل والبغال والحمير والمتولد من بين الظباء والغنم فلا زكاة فيها * الثانى السوم فلا زكاة فى معلوفة واذا أسيمت فى وقت وعلفت فى وقت تظهر بذلك مؤنتها فلا زكاة فيها * الثالث الحول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول ويستثنى من هذا نتاج المال فانه ينسحب عليه حكم المال وتجب الزكاة فيه لحول الأصول ومهما باع المال فى أثناء الحول أو وهبه انقطع الحول * الرابع كمال الملك والتصرف فتجب الزكاة فى الماشية المرهونة لانه الذى حجر على نفسه فيه ولا تجب فى الضال والمغصوب إلا اذا عاد بجميع نمائه فتجب زكاة مامضى عند عوده ولو كان عليه دين يستغرق ماله فلا زكاة عليه فانه ليس غنيا به إذ الغنى ما يفضل عن الحاجة * الخامس كمال النصاب ﴿أما الابل﴾ فلا شىء فيها حتى تبلغ خمسا ففيها جذعة من الضأن والجذعة هى التى تكون فى السنة الثانية أو ثنية من المعز وهى التى تكون فى السنة الثالثة وفى عشر شاتان وفى خمس عشرة ثلاث شياه وفى عشرين أربع شياه وفى خمس وعشرين بنت مخاض وهى التى فى السنة الثانية فان لم يكن فى ماله بنت مخاض فابن لبون ذكر وهو الذى فى السنة الثالثة يؤخذ وان كان قادرا على شرائها وفى ست وثلاثين ابنة لبون ثم اذا بلغت ستا وأربعين ففيها حقة وهى التى فى السنة الرابعة فاذا صارت إحدى وستين ففيها جذعة وهى التى فى السنة الخامسة فاذا صارت ستا وسبعين ففيها بنتا لبون فاذا صارت إحدى وتسعين ففيها حقتان فاذا صارت إحدى وعشرين ومائة ففيها ثلاث بنات لبون فاذا صارت مائة وثلاثين فقد استقر الحساب ففى كل خمسين حقة وفى كل أربعين بنت لبون ﴿وأما البقر﴾ فلا شىء فيها حتى تبلغ ثلاثين ففيها تبيع وهو الذى فى السنة الثانية ثم فى أربعين مسنة وهى التى فى السنة الثالثة ثم فى ستين تبيعان واستقر الحساب بعد ذلك ففى كل أربعين مسنة وفى كل ثلاثين تبيع ﴿وأما الغنم﴾ فلا زكاة فيها حتى تبلغ أربعين ففيها شاة جذعة من الضأن أو ثنية من المعز ثم لا شىء فيها حتى تبلغ مائة وعشرين وواحدة ففيها شاتان الى مائتى شاة وواحدة ففيها ثلاث شياه الى أربعمائة ففيها أربع شياه ثم استقر الحساب فى كل مائة شاة * وصدقة الخليطين كصدقة المالك الواحد فى النصاب فاذا كان بين رجلين أربعون من الغنم ففيها شاة وان كان بين ثلاثة نفر مائة شاة وعشرون ففيها شاة واحدة على جميعهم وخلطة الجوار كخلطة الشيوع ولكن يشترط أن يريحا معا ويسقيا

وهو جالس فى ظل الكعبة فلما رآنى قال هم الأخسرون ورب الكعبة الحديث أخرجاه م و خ (١) حديث لا زكاة فى مال حتى يحول عليه الحول أبوداود من حديث على باسناد جيد و ه من حديث عائشة باسناد ضعيف

شرح حال الخادم ومن يتشبه به * الباب الثانى عشر فى شرح خرقة المشايخ الصوفية * الباب الثالث عشر فى فضيلة سكان الربط * الباب الرابع عشر فى مشابهة أهل الربط بأهل الصفة * الباب الخامس عشر فى خصائص أهل الربط فيما يتعاهدونه بينهم * الباب السادس عشر فى اختلاف أحوال المشايخ بالسفر والمقام * الباب السابع عشر فيما يحتاج المسافر اليه من الفرائض والنوافل والفضائل * الباب الثامن عشر فى القدوم من السفر ودخول الرباط والأدب فيه * الباب التاسع عشر فى حال الصوفى المتسبب * الباب العشرون فى حال من يأكل من الفتوح * الباب الحادى والعشرون فى شرح حال المتجرد من الصوفية .

معا ويحلبا معا ويسرحا معا ويكون المرعى معا ويكون انزاء الفحل معا وأن يكونا جميعا من أهل الزكاة ولا حكم للخلطة مع الذمى والمكاتب ومهما نزل فى واجب الابل عن سن الى سن فهو جائز مالم يجاوز بنت مخاض فى النزول ولكن يضم اليه جبران السن لسنة واحدة شاتين أو عشرين درهما ولسنتين أربع شياه أو أربعين درهما وله ان يصعد فى السن مالم يجاوز الجذعة فى الصعود ويأخذ الجبران من الساعين من بيت المال ولا تؤخذ فى الزكاة مريضة اذا كان بعض المال صحيحا ولو واحدة ويؤخذ من الكرام كريمة ومن اللئام لئيمة ولا يؤخذ من المال الأكولة ولا الماخض ولا الربى ولا الفحل ولا غراء المال

﴿ النوع الثانى زكاة المعشرات ﴾

فيجب العشر فى كل مستنبت مقتات بلغ ثمانمائة من ولا شىء فيما دونها ولا فى الفواكه والقطن ولكن فى الحبوب التى تقتات وفى التمر والزبيب ويعتبر أن تكون ثمانمائة من تمرا أو زبيبا لا رطبا وعنبا ويخرج ذلك بعد التجفيف ويكمل مال أحد الخليطين بمال الآخر فى خلطة الشيوع كالبستان المشترك بين ورثة لجميعهم ثمانمائة من من زبيب فيجب على جميعهم ثمانون منا من زبيب بقدر حصصهم ولا يعتبر خلطة الجوار فيه ولا يكمل نصاب الحنطة بالشعير ويكمل نصاب الشعير بالسلت فانه نوع منه هذا قدر الواجب ان كان يسقى بسيح أو قناة فان كان يسقى بنضح أو دالية فيجب نصف العشر فان اجتمعا فالأغلب يعتبر وأما صفة الواجب فالتمر والزبيب اليابس والحب اليابس بعد التنقية ولا يؤخذ عنب ولا رطب الا اذا حلت بالأشجار آفة وكانت المصلحة فى قطعها قبل تمام الادراك فيؤخذ الرطب فيكال تسعة للمالك وواحد للفقير ولا يمنع من هذه القسمة قولنا ان القسمة بيع بل يرخص فى مثل هذا للحاجة ووقت الوجوب أن يبدو الصلاح فى الثمار وان يشتد الحب ووقت الاداء بعد الجفاف

﴿ النوع الثالث زكاة النقدين ﴾

فاذا تم الحول على وزن مائتى درهم بوزن مكة نقرة خالصة ففيها خمسة دراهم وهو ربع العشر وما زاد فبحسابه ولو درهما ونصاب الذهب عشرون مثقالا خالصا بوزن مكة ففيه ربع العشر وما زاد فبحسابه وان نقص من النصاب حبة فلا زكاة وتجب على من معه دراهم مغشوشة اذا كان فيها هذا المقدار من النقرة الخالصة وتجب الزكاة فى التبر وفى الحلى المحظور كأوانى الذهب والفضة ومراكب الذهب للرجال ولا تجب فى الحلى المباح وتجب فى الدين الذى هو على ملىء ولكن تجب عند الاستيفاء وان كان مؤجلا فلا تجب الا عند حلول الأجل

﴿ النوع الرابع زكاة التجارة ﴾

وهى كزكاة النقدين وانما ينعقد الحول من وقت ملك النقدين الذى به اشترى البضاعة ان كان النقد نصابا فان كان ناقصا أو اشترى بعرض على نية التجارة فالحول من وقت الشراء وتؤدى الزكاة من نقد البلد وبه يقوم فان كان ما به الشراء نقدا وكان نصابا كاملا كان التقويم به أولى من نقد البلد ومن نوى التجارة من مال قنية فلا ينعقد الحول بمجرد نيته حتى يشترى به شيأ ومهما قطع نية التجارة قبل تمام الحول سقطت الزكاة والأولى أن تؤدى زكاة تلك السنة وما كان من ربح فى السلعة فى آخر الحول وجبت الزكاة فيه بحول رأس المال ولم يستأنف له حولا كما فى النتاج وأموال الصيارفة لا ينقطع حولها بالمبادلة الجارية بينهم كسائر التجارات وزكاة ربح مال القراض على العامل وان كان قبل القسمة هذا هو الأقيس

﴿ النوع الخامس الركاز والمعدن ﴾

والركاز مال دفن فى الجاهلية ووجد فى أرض لم يجر عليها فى الاسلام ملك فعلى واجده فى الذهب والفضة منه الخمس والحول غير معتبر والأولى أن لا يعتبر النصاب أيضا لأن ايجاب الخمس يؤكد شبهه بالغنيمة واعتباره أيضا ليس ببعيد لان مصرفه مصرف الزكاة ولذلك يخصص على الصحيح بالنقدين وأما المعادن فلا زكاة فيما استخرج منها سوى الذهب والفضة ففيها بعد الطحن والتخليص ربع العشر على أصح القولين وعلى هذا يعتبر

في السماع ردا وانكارا * الباب الرابع والعشرون في القول في السماع ترفعا واستغناء * الباب الخامس والعشرون في القول في السماع تأدبا واعتناء * الباب السادس والعشرون في خاصية الأربعينية التي يتعاهدها الصوفية * الباب السابع والعشرون في ذكر فتوح الأربعينية * الباب الثامن والعشرون في كيفية الدخول في الأربعينية * الباب التاسع والعشرون في ذكر أخلاق الصوفية وشرح الخلق * الباب الثلاثون في ذكر تفاصيل الأخلاق * الباب الحادي والثلاثون في الأدب ومكانه من التصوف * الباب الثاني والثلاثون في آداب الحضرة لاهل القرب * الباب الثالث والثلاثون في آداب الطهارة ومقدماتها * الباب الرابع والثلاثون في آداب الوضوء

النصاب وفى الحول قولان وفى قول يجب الخمس فعلى هذا لا يعتبر وفى النصاب قولان وفى الحول قولان والأشبه والعلم عند الله تعالى أن يلحق فى قدر الواجب بزكاة التجارة فانه نوع اكتساب وفى الحول بالمعشرات فلا يعتبر لانه عين الرفق ويعتبر النصاب كالمعشرات والاحتياط أن يخرج الخمس من القليل والكثير ومن عين النقدين أيضا خروجا عن شبهة هذه الاختلافات فانها ظنون قريبة من التعارض وجزم الفتوى فيها خطر لتعارض الاشتباه

﴿ النوع السادس فى صدقة الفطر ﴾

وهى واجبة على لسان رسول الله ﷺ (١) على كل مسلم فضل عن قوته وقوت من يقوته يوم الفطر وليلته صاع مما يقتات بصاع رسول الله ﷺ وهو منوان وثلثا من يخرجه من جنس قوته أو من أفضل منه فان اقتات بالحنطة لم يجز الشعير وان اقتات حبوبا مختلفة اختار خيرها ومن أيها أخرج أجزأه وقسمتها كقسمة زكاة الأموال فيجب فيها استيعاب الأصناف ولا يجوز اخراج الدقيق والسويق ويجب على الرجل المسلم فطرة زوجته ومماليكه وأولاده وكل قريب هو فى نفقته أعنى من تجب عليه نفقته من الآباء والأمهات والأولاد قال ﷺ (٢) أدوا صدقة الفطر عمن تمونون وتجب صدقة العبد المشترك على الشريكين ولا تجب صدقة العبد الكافر وان تبرعت الزوجة بالاخراج عن نفسها أجزأها وللزوج الاخراج عنها دون اذنها وان فضل عنه ما يؤدى عن بعضهم أدى عن بعضهم وأولاهم بالتقديم من كانت نفقته آكد وقد قدم رسول الله ﷺ (٣) نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم فهذه أحكام فقهية لابد للغنى من معرفتها وقد تعرض له وقائع نادرة خارجة عن هذا فله أن يتكل فيها على الاستفتاء عند نزول الواقعة بعد احاطته بهذا المقدار

﴿ الفصل الثانى فى الأداء وشروطه الباطنة والظاهرة ﴾

اعلم أنه يجب على مؤدى الزكاة مراعاة خمسة أمور (الأول) النية وهو أن ينوى بقلبه زكاة الفرض ويسن عليه تعيين الأموال فان كان له مال غائب فقال هذا عن مالى الغائب ان كان سالما والا فهو نافلة جاز لانه لم يصرح به فكذلك يكون عند اطلاقه ونية الولى تقوم مقام نية المجنون والصبى ونية السلطان تقوم مقام نية المالك الممتنع عن الزكاة ولكن فى ظاهر حكم الدنيا أعنى فى قطع المطالبة عنه أما فى الآخرة فلا بل تبقى ذمته مشغولة الى أن يستأنف الزكاة واذا وكل باداء الزكاة ونوى عند التوكيل أو وكل الوكيل بالنية كفاه لان توكيله بالنية نية (الثانية) البدار عقيب الحول وفى زكاة الفطر لا يؤخرها عن يوم الفطر ويدخل وقت وجوبها بغروب الشمس من آخر يوم من شهر رمضان ووقت تعجيلها شهر رمضان كله ومن آخر زكاة ماله مع التمكن عصى ولم يسقط عنه بتلف ماله وتمكنه بمصادفة المستحق وان أخر لعدم المستحق فتلف ماله سقطت الزكاة عنه وتعجيل الزكاة جائز بشرط أن يقع بعد كمال النصاب وانعقاد الحول ويجوز تعجيل زكاة حولين ومهما عجل فمات المسكين قبل الحول أو ارتد أو صار غنيا بغير ما عجل اليه أو تلف مال المالك أو مات فالمدفوع ليس بزكاة واسترجاعه غير ممكن الا اذا قيد الدفع بالاسترجاع فليكن المعجل مراقبا آخر الأمور وسلامة العاقبة (الثالث) أن لا يخرج بدلا باعتبار القيمة بل يخرج المنصوص عليه فلا يجزئ ورق عن ذهب ولا ذهب عن ورق وان زاد عليه فى القيمة ولعل بعض من لا يدرك غرض الشافعى رضى الله عنه يتساهل فى ذلك ويلاحظ المقصود من سد الخلة وما أبعده عن التحصيل فان سد الخلة مقصود وليس هو كل المقصود بل واجبات الشرع ثلاثة أقسام قسم

---

(١) حديث وجوب صدقة الفطر على كل مسلم أخرجاه من حديث ابن عمر قال فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان الحديث (٢) حديث أدوا زكاة الفطر عمن تمونون قط هق من حديث ابن عمر أمر رسول الله ﷺ بصدقة الفطر عن الصغير والكبير والحر والعبد ممن تمونون قال هق اسناده غير قوى (٣) حديث قدم رسول الله ﷺ نفقة الولد على نفقة الزوجة ونفقتها على نفقة الخادم د من حديث أبى هريرة بسند صحيح وحب ك وصححه ورواه ن حب بتقديم الزوجة على الولد وسيأتى

هو تعبد محض لا مدخل للحظوظ والاغراض فيه وذلك كرمى الجمرات مثلا إذ لا حظ للجمرة فى وصول الحصى اليها فمقصود الشرع فيه الابتلاء بالعمل ليظهر العبد رقه وعبوديته بفعل مالا يعقل له معنى لأن ما يعقل معناه فقد يساعده الطبع عليه ويدعوه اليه فلا يظهر به خلوص الرق والعبودية إذ العبودية تظهر بان تكون الحركة لحق أمر المعبود فقط لا لمعنى آخر وأكثر أعمال الحج كذلك ولذلك قال ﷺ [١] فى احرامه لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تنبيها على أن ذلك اظهار للعبودية بالانقياد لمجرد الامر وامتثاله كما أمر من غير استئناس العقل منه بما يميل اليه ويحث عليه * القسم الثانى من واجبات الشرع ما المقصود منه حظ معقول وليس يقصد منه التعبد كقضاء دين الآدميين ورد المغصوب فلاجرم لا يعتبر فيه فعله ونيته ومهما وصل الحق إلى مستحقه باخذ المستحق أو ببدل عنه عند رضاه تأدى الوجوب وسقط خطاب الشرع فهذان قسمان لا تركيب فيهما يشترك فى دركهما جميع الناس * والقسم الثالث هو المركب الذى يقصد منه الامران جميعا وهو حظ العباد وامتحان المكلف بالاستعباد فيجتمع فيه تعبد رمى الجمار وحظ رد الحقوق فهذا قسم فى نفسه معقول فان ورد الشرع به وجب الجمع بين المعنيين ولا ينبغى أن ينسى أدق المعنيين وهو التعبد والاسترقاق بسبب أجلاهما ولعل الأدق هو الأهم والزكاة من هذا القبيل ولم يتنبه له غير الشافعى رضى الله عنه فحظ الفقير مقصود فى سد الخلة وهو جلى سابق إلى الافهام وحق التعبد فى اتباع التفاصيل مقصود للشرع وباعتباره صارت الزكاة قرينة للصلاة والحج فى كونها من مبانى الاسلام ولا شك فى أن على المكلف تعبا فى تمييز أجناس ماله وإخراج حصة كل مال من نوعه وجنسه وصفته ثم توزيعه على الاصناف الثمانية كما سيأتى والتساهل فيه غير قادح فى حظ الفقير لكنه قادح فى التعبد ويدل على أن التعبد مقصود بتعيين الأنواع أمور ذكرناها فى كتب الخلاف من الفقهيات ومن أوضحها إن الشرع أوجب فى خمس من الابل شاة فعدل من الابل إلى الشاة ولم يعدل إلى النقدين والتقويم وإن قدر إن ذلك لقلة النقود فى أيدى العرب بطل بذكره عشرين درهما فى الجبران مع الشاتين فلم يذكر فى الجبران قدر النقصان من القيمة ولم قدر بعشرين درهما وشاتين وإن كانت الثياب والامتعة كلها فى معناها فهذا وأمثاله من التخصيصات تدل على أن الزكاة لم تترك خالية عن التعبدات كما فى الحج ولكن جمع بين المعنيين والاذهان الضعيفة تقصر عن درك المركبات فهذا شأن الغلط فيه ﴿الرابع ان لا ينقل الصدقة إلى بلد آخر﴾ فان اعين المساكين فى كل بلدة تمتد إلى اموالها وفى النقل تخييب للظنون فان فعل ذلك أجزأه فى قول ولكن الخروج عن شبهة الخلاف اولى فليخرج زكاة كل مال فى تلك البلدة ثم لا بأس ان يصرف على الغرباء فى تلك البلدة ﴿الخامس ان يقسم ماله بعدد الأصناف الموجودين فى بلده﴾ فان استيعاب الأصناف واجب وعليه يدل ظاهر قوله تعالى ﴿انما الصدقات للفقراء والمساكين﴾ الآية فانه يشبه قول المريض انما ثلث مالى للفقراء والمساكين وذلك يقتضى التشريك فى التمليك والعبادات ينبغى ان يتوقى عن الهجوم فيها على الظواهر وقد عدم من الثمانية صنفان فى اكثر البلاد وهم المؤلفة قلوبهم والعاملون على الزكاة ويوجد فى جميع البلاد اربعة اصناف الفقراء والمساكين والغارمون والمسافرون اعنى ابناء السبيل وصنفان يوجدان فى بعض البلاد دون البعض وهم الغزاة والمكاتبون فان وجد خمسة اصناف مثلا قسم بينهم زكاة ماله بخمسة اقسام متساوية اومتقاربة وعين لكل صنف قسما ثم قسم كل قسم ثلاثة اسهم فما فوقه إما متساوية او متفاوتة وليس عليه التسوية بين آحاد الصنف فان له ان يقسمه على عشرة وعشرين فينقص نصيب كل واحد واما الاصناف فلا تقبل الزيادة والنقصان فلا ينبغى ان ينقص فى كل صنف عن ثلاثة ان وجد ثم لو لم يجب الا صاع للفطرة ووجد خمسة اصناف فعليه ان يوصله إلى خمسة عشر نفرا ولو نقص منهم واحد مع الامكان غرم نصيب ذلك الواحد فان عسر عليه ذلك لقلة الواجب فليتشارك جماعة ممن عليهم الزكاة وليخلط مال نفسه بمالهم وليجمع المستحقين وليسلم اليهم حتى يتساهموا فيه

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا البزار والدارقطنى فى العلل من حديث انس

التاسع والخمسون في الاشارة إلى المقامات على الاختصار والايجاز * الباب الستون في ذكر اشارات المشايخ في المقامات على الترتيب * الباب الحادي والستون في ذكر الاحوال وشرحها * الباب الثاني والستون في شرح كلمات من اصطلاح الصوفية مشيرة إلى الاحوال * الباب الثالث والستون في ذكر شيء من البدايات والنهايات وصحتها فهذه الابواب تحررت بعون الله تعالى مشتملة على بعض علوم الصوفية وأحوالهم ومقاماتهم وآدابهم وأخلاقهم وغرائب مواجيدهم وحقائق معرفتهم وتوحيدهم ودقيق اشاراتهم ولطيف اصطلاحاتهم فعلومهم كلها انباء عن وجدان واعتزاء إلى عرفان وذوق تحقق بصدق الحال ولم يف باستيفاء كنهه صريح المقال لانها مواهب ربانية ومنائح حقانية استنزلها صفاء السرائر وخلوص الضمائر

فان ذلك لا بد منه

﴿ بيان دقائق الآداب الباطنة في الزكاة ﴾

اعلم أن على مريد طريق الآخرة بزكاته وظائف ﴿الوظيفة الاولى﴾ فهم وجوب الزكاة ومعناها ووجه الامتحان فيها وإنها لم جعلت من مباني الاسلام مع أنها تصرف مالي وليست من عبادة الأبدان وفيه ثلاثة معان ﴿الاول﴾ إن التلفظ بكلمتي الشهادة التزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء به أن لا يبقى للموحد محبوب سوى الواحد الفرد فان المحبة لا تقبل الشركة والتوحيد باللسان قليل الجدوى وانما يمتحن به درجة المحب بمفارقته المحبوب والأموال محبوبة عند الخلائق لأنها آلة تمتعهم بالدنيا وبسببها يأنسون بهذا العالم وينفرون عن الموت مع أن فيه لقاء المحبوب فامتحنوا بتصديق دعواهم في المحبوب واستنزلوا عن المال الذي هو مرموقهم ومعشوقهم ولذلك قال الله تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم أن لهم الجنة﴾ وذلك بالجهاد وهو مسامحة بالمهجة شوقا إلى لقاء الله عز وجل والمسامحة بالمال أهون ولما فهم هذا المعنى في بذل الأموال انقسم الناس إلى ثلاثة أقسام قسم صدقوا التوحيد ووفوا بعهدهم ونزلوا عن جميع أموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما فأبوا أن يتعرضوا لوجوب الزكاة عليهم حتى قيل لبعضهم كم يجب من الزكاة في مائتي درهم فقال أما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم وأما نحن فيجب علينا بذل الجميع [1] ولهذا تصدق أبو بكر رضي الله عنه بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال ﷺ ما أبقيت لاهلك فقال مثله وقال لأبي بكر رضي الله عنه ما أبقيت لأهلك قال الله ورسوله فقال ﷺ بينكما ما بين كلمتيكما فالصديق وفى بتمام الصدق فلم يمسك سوى المحبوب عنده وهو الله ورسوله القسم الثاني درجتهم دون درجة هذا وهم الممسكون أموالهم المراقبون لمواقيت الحاجات ومواسم الخيرات فيكون قصدهم في الادخار الانفاق على قدر الحاجة دون التنعم وصرف الفاضل عن الحاجة إلى وجوه البر مهما ظهر وجوهها وهؤلاء لا يقتصرون على مقدار الزكاة وقد ذهب جماعة من التابعين إلى أن في المال حقوقا سوى الزكاة كالنخعي والشعبي وعطاء ومجاهد قال الشعبي بعد أن قيل له هل في المال حق سوى الزكاة قال نعم أما سمعت قوله عز وجل ﴿وآتى المال على حبه ذوي القربى﴾ الآية واستدلوا بقوله عز وجل ﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾ وبقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناكم وزعموا أن ذلك غير منسوخ بآية الزكاة بل هو داخل في حق المسلم على المسلم ومعناه أنه يجب على الموسر مهما وجد محتاجا أن يزيل حاجته فضلا عن مال الزكاة والذي يصح في الفقه من هذا الباب أنه مهما أرهقته حاجته كانت إزالتها فرض كفاية إذ لا يجوز تضييع مسلم ولكن يحتمل أن يقال ليس على الموسر إلا تسليم ما يزيل الحاجة قرضا ولا يلزمه بذله بعد أن أسقط الزكاة عن نفسه ويحتمل أن يقال يلزمه بذله في الحال ولا يجوز له الاقتراض أي لا يجوز له تكليف الفقير قبول القرض وهذا مختلف فيه والاقتراض نزول إلى الدرجة الأخيرة من درجات العوام وهي درجة القسم الثالث الذين يقتصرون على أداء الواجب فلا يزيدون عليه ولا ينقصون عنه وهي أقل الرتب وقد اقتصر جميع العوام عليه لبخلهم بالمال وميلهم اليه وضعف حبهم للآخرة قال الله تعالى ﴿إن يسألكموها فيحفكم تبخلوا﴾ يحفكم أي يستقص عليكم فكم بين عبد اشترى منه ماله ونفسه بأن له الجنة وبين عبد لا يستقصى عليه لبخله فهذا أحد معاني أمر الله سبحانه عباده ببذل الأموال المعنى الثاني التطهير من صفة البخل فانه من المهلكات قال ﷺ [2] ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه وقال تعالى ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ وسيأتي في ربع المهلكات وجه كونه مهلكا وكيفية التقصي منه وانما تزول صفة البخل بأن تتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس على مفارقته حتى يصير ذلك اعتيادا فالزكاة بهذا المعنى طهرة أي تطهر صاحبها عن خبث البخل المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجه واستبشاره بصرفه إلى الله تعالى * المعنى الثالث شكر النعمة فان لله عز وجل على عبده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادات

---

(١) حديث جاء أبو بكر بجميع ماله وعمر بشطر ماله الحديث د ت ك وصححه من حديث ابن عمر وليس فيه قوله بينكما ما بين كلمتيكما (٢) حديث ثلاث مهلكات الحديث تقدم

البدنية

فاستعصت بكنهها على الاشارة وطمحت على العبارة وتهادتها الارواح بدلالة الاشام والائتلاف وكرعت حقائقها

البدنية شكر لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال وما أخس من ينظر إلى الفقير وقد ضيق عليه الرزق وأحوج اليه ثم لا تسمح نفسه بان يؤدي شكر الله تعالى على اغنائه عن السؤال واحواج غيره اليه بربع العشر او العشر من ماله ﴿الوظيفة الثانية﴾ في وقت الاداء ومن آداب ذوي الدين التعجيل عن وقت الوجوب اظهارا للرغبة في الامتثال بايصال السرور إلى قلوب الفقراء ومبادرة لعوائق الزمان أن تعوقه عن الخيرات وعلما بأن في التأخير آفات مع ما يتعرض العبد له من العصيان لو أخر عن وقت الوجوب ومهما ظهرت داعية الخير من الباطن فينبغي أن يغتنم فان ذلك لمة الملك وقلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن فما أسرع تقلبه والشيطان يعد الفقر ويأمر بالفحشاء والمنكر وله لمة عقيب لمة الملك فليغتنم الفرصة فيه وليعين لزكاتها ان كان يؤديها جميعا شهرا معلوما وليجتهد أن يكون من أفضل الاوقات ليكون ذلك سببا لنماء قربته وتضاعف زكاته وذلك كشهر المحرم فانه أول السنة وهو من الاشهر الحرم أو رمضان فقد كان ﷺ (١) أجود الخلق وكان في رمضان كالريح المرسلة لا يمسك فيه شيأ ولرمضان فضيلة ليلة القدر وانه أنزل فيه القرآن وكان مجاهد يقول لا تقولوا رمضان فانه اسم من أسماء الله تعالى ولكن قولوا شهر رمضان وذو الحجة أيضا من الشهور الكثيرة الفضل فانه شهر حرام وفيه الحج الاكبر وفيه الأيام المعلومات وهي العشر الأول والأيام المعدودات وهي أيام التشريق وأفضل أيام شهر رمضان العشر الاواخر وأفضل أيام ذي الحجة العشر الاول ﴿الوظيفة الثالثة﴾ الاسرار فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال ﷺ (٢) أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر وقال بعض العلماء (٣) ثلاث من كنوز البر منها اخفاء الصدقة وقد روي أيضا مسندا وقال ﷺ (٤) ان العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله له سرا فان أظهره نقل من السر وكتب في العلانية فان تحدث به نقل من السر والعلانية وكتب رياء وفي الحديث المشهور (٥) سبعة يظلهم الله يوم لا ظل إلا ظله أحدهم رجل تصدق بصدقة فلم تعلم شماله بما أعطت يمينه وفي الخبر (٦) صدقة السر تطفئ غضب الرب وقال تعالى ﴿وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم﴾ وفائدة الاخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة فقد قال ﷺ (٧) لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان والمتحدث بصدقته يطلب السمعة والمعطي في ملأ من الناس يبغي الرياء والاخفاء والسكوت هو المخلص منه وقد بالغ في فضل الاخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطي فكان بعضهم يلقيه في يد أعمى وبعضهم يلقيه في طريق الفقير وفي موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطي وبعضهم كان يصره في ثوب الفقير وهو نائم وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطي وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بان لا يفشيه كل ذلك توصلا إلى اطفاء غضب الرب سبحانه واحترازا من الرياء والسمعة ومهما لم يتمكن إلا بان يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى إذ في معرفة المسكين الرياء والمنة جميعا وليس في معرفة المتوسط إلا الرياء ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لان الزكاة ازالة للبخل وتضعيف لحب المال وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال وكل واحد

---

(١) حديث كان رسول الله ﷺ أجود الخلق وأجود ما يكون في رمضان الحديث أخرجاه من حديث ابن عباس (٢) حديث أفضل الصدقة جهد المقل إلى فقير في سر أحمد حب ك من حديث أبي ذر ولابي داود من حديث أبي هريرة أي الصدقة أفضل قال جهد المقل (٣) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها إخفاء الصدقة أبو نعيم في كتاب الايجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف (٤) حديث أن العبد ليعمل عملا في السر فيكتبه الله سرا فان أظهره نقل من السر الحديث الخطيب في التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف (٥) حديث سبعة يظلهم الله في ظله الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة (٦) حديث صدقة السر تطفئ غضب الرب طب من حديث أبي أمامة ورواه أبو الشيخ في كتاب الثواب وهق في الشعب من حديث أبي سعيد كلاهما ضعيف والترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة ان الصدقة لتطفئ غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا (٧) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان لم

من بحر الالطاف وقد اندرس كثير من دقيق علومهم * كما انطمس كثير من حقائق رسومهم (وقد قال الجنيد) رحمه الله علمنا هذا قد طوي بساطه منذ كذا سنة ونحن نتكلم في حواشيه بدا هذا القول منه في وقته مع قرب العهد بعلماء السلف وصالحي التابعين فكيف بنا مع بعد العهد وقلة العلماء الزاهدين والعارفين بحقائق علوم الدين والله المأمول أن يقابل جهد المقل بحسن القبول والحمد لله رب العالمين

﴿الباب الأول في ذكر منشأ علوم الصوفية﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي املاء من لفظه في شوال سنة ستين وخمسمائة قال أنبأنا الشريف

منهما مهلك فى الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم المثال عقربا لادغا وصفة الرياء تنقلب فى القبر أفعى من الافاعي وهو مأمور بتضعيفهما أو قتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما فهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية فبقدر ما ضعف من العقرب زاد فى قوة الحية ولو ترك الامر كما كان لكان الأمر أهون عليه وقوة هذه الصفات التي بها قوتها العمل بمقتضاها وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها والعمل بخلاف مقتضاها فأى فائدة فى أن يخالف دواعي البخل ويجيب دواعي الرياء فيضعف الادنى ويقوى الأقوى وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات ﴿ الوظيفة الرابعة ﴾ أن يظهر حيث يعلم أن فى اظهاره ترغيبا للناس فى الاقتداء ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء فقد قال الله عز وجل ﴿ إن تبدوا الصدقات فنعما هى ﴾ وذلك حيث يقتضي الحال الابداء إما للاقتداء واما لأن السائل انما سأل على ملأ من الناس فلا ينبغي أن يترك التصدق خيفة من الرياء فى الاظهار بل ينبغي أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان وهذا لأن فى الاظهار محذورا ثالثا سوى المن والرياء وهو هتك سترا لفقير فانه ربما يتأذى بان يرى فى صورة المحتاج فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى فى اظهاره وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه فامامن أظهره فاقامة الحد عليه اشاعة ولكن هو السبب فيها وبمثل هذا المعنى قال ﷺ (١) من ألقي جلباب الحياء فلا غيبة له وقد قال الله تعالى ﴿وأ نفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية﴾ ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه فان ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فقد يكون الاعلان فى بعض الاحوال لبعض الاشخاص أفضل ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة اتضح له الأولى والأليق بكل حال ﴿الوظيفة الخامسة﴾ أن لا يفسد صدقته بالمن والاذى قال الله تعالى ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ واختلفوا فى حقيقة المن والأذى فقيل المن أن يذكرها والأذى أن يظهرها وقال سفيان من من فسدت صدقته فقيل له كيف المن فقال أن يذكره ويتحدث به وقيل المن أن يستخدمه بالعطاء والاذى أن يعيره بالفقر وقيل المن أن يتكبر عليه لأجل عطائه والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسئلة وقد قال ﷺ (٢) لا يقبل الله صدقة منان * وعندى أن المن له أصل ومغرس وهو من أحوال القلب وصفاته ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح فاصله أن يرى نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه أن يرى الفقير محسنا اليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهنا به فحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائبا عن الله عز وجل فى قبض حق الله عز وجل قال رسول الله ﷺ (٣) إن الصدقة تقع بيد الله عز وجل قبل أن تقع فى يد السائل فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل ولو كان عليه دين لانسان فأحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفها وجهلا فان المحسن اليه هو المتكفل برزقه أما هو فانما يقضى الذى لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمن به على غيره ومهما عرف المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسنا إلا إلى نفسه إما ببذل ماله إظهارا لحب الله تعالى أو تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل أو شكرا على نعمة المال طلبا للمزيد وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسنا اليه ومهما حصل هذا الجهل بان رأى نفسه محسنا اليه تفرع منه على ظاهره ماذكر فى معنى المن وهو التحدث به واظهاره وطلب المكافأة منه بالشكر والدعاء والخدمة والتوقير والتعظيم والقيام بالحقوق والتقديم فى المجالس والمتابعة فى الامور فهذه كلها

أطفر به هكذا (١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له عد حب فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث لا يقبل الله صدقة منان هو كالذى قبله بحديث لم أجده (٣) حديث أن الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع فى يد السائل قط فى الافراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه هق فى

نورالهدى أبوطالب الحسين بن محمد الزينبي قال اخبرتنا كريمة بنت أحمد بن محمد المروزية المجاورة بمكة حرسها الله تعالى قالت أخبرنا أبو الهيثم محمد بن مكى الكشميهني قال أنبأنا أبو عبد الله محمد بن يوسف الفربرى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن اسمعيل البخارى قال حدثنا أبو كريب قال حدثنا أبو أسامة عن بريد عن أبى بردة عن أبى موسى الاشعرى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال انما مثلى ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قوما فقال ياقومى انى رأيت الجيش بعيني وانى أنا النذير العريان فالنجاء النجاء فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني فاتبع ماجئت به ومثل من عصانى وكذب بما جئت به

ثمرات المنة ومعنى المنة في الباطن ما ذكرناه وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف وباطنه وهو منبعه أمران أحدهما كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه فإن ذلك يضيق الخلق لا محالة والثاني رؤيته أنه خير من الفقير وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه وكلاهما منشؤه الجهل أما كراهية تسليم المال فهو حمق لأن من كره بذل درهم في مقابلة ما يساوي ألفا فهو شديد الحمق ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب في الدار الآخرة وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكرا لطلب المزيد وكيفما فرض فالكراهة لا وجه لها وأما الثاني فهو أيضا جهل لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير بل تبرك به وتمنى درجته فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ولذلك قال ﷺ هم الأخسرون ورب الكعبة فقال أبو ذر من هم قال هم الأكثرون أموالا الحديث ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له إذ يكتسب المال بجهده ويستكثر منه ويجتهد في حفظه بمقدار الحاجة وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ويكف عنه الفاضل الذي يضره لو سلم إليه فالغني مستخدم للسعي في رزق الفقير ويتميز عليه بتقلد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات إلى أن يموت فيأكله أعداؤه فإذن مهما انتفت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له في أداء الواجب وتقبيضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة فهذا منشأ المن والأذى فإن قلت فرؤيته نفسه في درجة المحسن أمر غامض فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا * فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أو مالأ عدوا له عليه مثلا هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق فإن زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة لأنه توقع بسببه ما لم يكن يتوقعه قبل ذلك (فإن قلت) فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه فما دواؤه * فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب وأن الفقير هو المحسن إليه في تطهيره بالقبول وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متقلد المنة فإن الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتي أسراره في الشطر الأخير من الكتاب ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو رده وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول احفظ ما يدعو به ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان هذا بذاك حتى تخلص لنا صدقتنا فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة وكانوا يقابلون الدعاء بمثله وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله ﷺ (١) ليس للمرء من صلاته إلا ما عقل منها وهذا كقوله ﷺ لا يتقبل الله صدقة منان وكقوله عز وجل ﴿لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى﴾ وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة ﴿الوظيفة السادسة﴾ أن يستصغر العطية فإنه إن استعظمها أعجب بها والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال قال تعالى ﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا﴾ ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل وقيل لا يتم المعروف إلا بثلاثة أمور تصغيره وتعجيله وستره

الشعب بسند ضعيف (١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ما عقل منها تقدم في الصلاة

من الحق (معنى اجتاحهم) استأصلهم ومن ذلك الجائحة التي تفسد الثمار * وقال صلى الله عليه وسلم مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا وكانت طائفة منها طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكانت منها طائفة أخاذات أمسكت الماء فنفع الله تعالى بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا وكانت منها طائفة أخرى قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به قال الشيخ أعد الله تعالى لقبول ما جاء به رسول الله ﷺ أصفى القلوب وأزكى النفوس فظهر تفاوت الصفاء واختلاف التزكية في تفاوت الفائدة والنفع فمن القلوب ما هو بمثابة الأرض الطيبة التي أنبتت الكلا والعشب الكثير وهذا مثل من انتفع بالعلم في نفسه واهتدى ونفعه علمه

و ليس الاستعظام هو المن والاذى فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام ولا يمكن فيه المن والاذى بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات ودواؤه علم وعمل أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرناه فى فهم الوجوب فهو جدير بان يستحي منه فكيف يستعظمه وان ارتقى إلى الدرجة العليا فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال والى ماذا يصرفه فالمال لله عز وجل وله المنة عليه اذ أعطاه ووفقه لبذله فلم يستعظم فى حق الله تعالى ما هو عين حق الله سبحانه وان كان مقامه يقتضى أن ينظر الى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ما ينتظر عليه أضعافه وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله عز وجل فتكون هيئته الانكسار والحياء كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض لان المال كله لله عز وجل وبذل جميعه هو الاحب عند الله سبحانه وانما لم يأمر به عبده لانه يشق عليه بسبب بخله كما قال الله عز وجل ﴿فيحفكم تبخلوا﴾ ﴿الوظيفة السابعة﴾ ان ينتقى من ماله أجوده وأحبه اليه وأجله وأطيبه فان الله تعالى طيب لا يقبل الا طيبا واذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفى حديث أبان عن أنس بن مالك(١) طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب اذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره ولو فعل هذا بضيفه وقدم اليه أردأ طعام فى بيته لأوغر بذلك صدره هذا ان كان نظره الى الله عز وجل وان كان نظره الى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسه وليس له من ماله الا ما تصدق به فأبقى أو أكل فأفنى والذى يأكله قضاء وطر فى الحال فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار وقد قال الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه الا ان تغمضوا فيه﴾ أى لا تأخذوه الا مع كراهية وحياء وهو معنى الاغماض فلا تؤثروا به ربكم وفى الخبر(٢) سبق درهم مائة ألف درهم وذلك بان يخرجه الانسان وهو من أحل ماله وأجوده فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجل بشيء مما يحبه وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله ما يكرهون فقال تعالى ﴿ويجعلون لله ما يكرهون وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى لا﴾ وقف بعض القراء على النفى تكذيبا لهم ثم ابتدأ وقال جرم أن لهم النار أى كسب لهم جعلهم لله ما يكرهون النار ﴿الوظيفة الثامنة﴾ أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ولا يكتفى بان يكون من عموم الأصناف الثمانية فان فى عمومهم خصوص صفات فليراع خصوص تلك الصفات وهى ستة ﴿الأولى﴾ أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة قال ﷺ(٣) لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى وهذا لان التقى يستعين به على التقوى فتكون شريكا له فى طاعته باعانتك اياه وقال ﷺ(٤) أطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين وفى لفظ آخر(٥) أضف بطعامك من تحبه فى الله تعالى وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم فقيل له لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل فقال لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فاذا طرقتهم فاقة تشتت هم أحدهم فلأن أرد همة واحد الى الله عز وجل أحب الى من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه وقال هذا ولى من أولياء الله تعالى وقال ما سمعت منذ زمان كلاما

احسن

(١) حديث أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية عد والبزار (٢) حديث سبق درهم مائة ألف ن حب وصححه من حديث أبى هريرة (٣) حديث لا تأكل الا طعام تقى ولا يأكل طعامك الا تقى د ت من حديث أبى سعيد بلفظ لا تصحب الا مؤمنا ولا يأكل طعامك الا تقى (٤) حديث أطعموا طعامكم الاتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين ابن المبارك فى البر والصلة من حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن طاهر غريب فيه مجهول (٥) حديث أضف بطعامك من تحبه فى الله ابن المبارك أنبأنا جويبر عن الضحاك مرسلا

وهداه الى الطريق القويم من متابعة رسول الله ﷺ ومن القلوب ما هو بمثابة الاخاذات أى الغدران جمع اخاذة وهو المصنع والغدير الذى يجتمع فيه الماء فنفوس العلماء الزاهدين من الصوفية والشيوخ زكت وقلوبهم صفت فاختصت بمزيد الفائدة فصاروا اخاذات قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله ﷺ فوجدتهم كالاخاذات لان قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء الفهوم (أخبرنا) الشيخ الامام رضى الدين أبو الخير أحمد بن اسمعيل القزوينى اجازة قال أنبأنا أبو سعيد محمد الخليلى قال أنبأنا القاضى أبو سعيد محمد الفرخزاذى قال أنبأنا أبو اسحق أحمد بن محمد الثعالبى قال أنبأنا ابن فنجويه قال حدثنا ابن حبان قال حدثنا اسحق بن محمد قال حدثنا أبى قال حدثنا ابراهيم بن عيسى

أحسن من هذا ثم حكي ان هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث اليه الجنيد مالا وقال اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه ﴿الصفة الثانية﴾ أن يكون من أهل العلم خاصة فان ذلك اعانة له على العلم والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم فقيل له لو عممت فقال انى لا أعرف بعد مقام النبوة أفضل من مقام العلماء فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجته لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم فتفريغهم للعلم أفضل ﴿الصفة الثالثة﴾ أن يكون صادقا فى تقواه وعلمه بالتوحيد وتوحيده انه اذا أخذ العطاء حمد الله عزوجل وشكره ورأى ان النعمة منه ولم ينظر الى واسطة فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه وهو أن يرى ان النعمة كلها منه وفى وصية لقمان لابنه لا تجعل بينك وبين الله منعما واعدد نعمة غيره عليك مغرما ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن ان الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عزوجل اذسلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عزوجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله فمهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الارادة وانتهاض القدرة ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا تردد فيه والله عزوجل خالق للبواعث ومهيجها ومزيل للضعف والتردد عنها ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث فمن تيقن هذا لم يكن له نظر الا الى مسبب الأسباب وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره فذلك حركة لسان يقل فى الأكثر جدواه واعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ويدعو بالشر عند الايذاء وأحواله متفاوتة وقد روى أنه ﷺ (١) بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذ قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ولا يضيع من شكره ثم قال اللهم انك لم تنس فلانا يعنى نفسه فاجعل فلانا لا ينساك يعنى بفلان نفسه فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فسر وقال ﷺ علمت أنه يقول ذلك فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده وقال ﷺ (٢) لرجل تب فقال أتوب الى الله وحده ولا أتوب الى محمد فقال ﷺ عرف الحق لأهله (٣) ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الافك قال أبو بكر رضى الله عنه قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقالت والله لا أفعل ولا أحمد الا الله فقال ﷺ دعها يا أبا بكر وفى لفظ آخر أنها رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه بحمد الله لا بحمدك ولا بحمد صاحبك فلم ينكر رسول الله ﷺ عليها ذلك مع أن الوحى وصل اليها على لسان رسول الله ﷺ ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين قال الله تعالى ﴿واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون﴾ ومن لم يصف باطنه عن رؤية الوسائط

(١) حديث بعث معروفا الى بعض الفقراء وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره الحديث لم أجد له أصلا الا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده فى الصحابة أوله ولم يسق هذه القطعة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حديرا فقد رويناه من طريق البيهقى أنه وصل لحدير من أبى الدرداء شىء فقال اللهم انك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك وقيل ان هذا آخر لا صحبة له يكنى أبا جرير وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين (٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد الحديث أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف (٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ الحديث د من حديث عائشة بلفظ فقال أبواى قومى فقبلى رأس رسول الله ﷺ فقلت أحمد الله لا اياكما وللبخارى تعليقا فقال أبواى قومى اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن أحمد الله وله ولمسلم فقالت لى أمى قومى اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومى فاحتضنى رسول الله ﷺ فقالت لا والله لا أدنو منه الحديث وفيه أنها قالت للنبي

أذن واعية قال رسول الله ﷺ اعلى سألت الله سبحانه وتعالى ان يجعلها اذنك يا على قال على فما نسيت شيأ بعد وما كان لى ان انسى قال ابو بكر الواسطى آذان وعت عن الله تعالى اسراره وقال ايضا واعية فى معادنها ليس فيها غير ما شهدته شىء فهى الخالية عما سواه فما اضطراب الطبائع الاضرب من الجهل فقلوب الصوفية واعية لانهم زهدوا فى الدنيا بعد ان احكموا اساس التقوى فبالتقوى زكت نفوسهم وبالزهد صفت قلوبهم فلما عدموا شواغل الدنيا بتحقيق الزهد انفتحت مسام بواطنهم وسمعت آذان قلوبهم واعانهم على ذلك زهدهم فى الدنيا فعلماء التفسير وأئمة الحديث وفقهاء الاسلام احاطوا علما بالكتاب والسنة واستنبطوا منهما الاحكام وردوا الحوادث المتجددة الى اصول من

الا من حيث انهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه ﴿ الصفة الرابعة ﴾ أن يكون مستترا مختفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش فى جلباب التجمل قال الله تعالى ﴿ يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ﴾ أى لا يلحون فى السؤال لانهم أغنياء بيقينهم أعزة بصبرهم وهذا ينبغى أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين فى كل محلة ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم أضعاف ما يصرف الى المجاهرين بالسؤال ﴿ الصفة الخامسة ﴾ أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الاسباب فيوجد فيه معنى قوله عز وجل للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله أى حبسوا فى طريق الآخرة بعيلة أو ضيق معيشة أو اصلاح قلب لا يستطيعون ضربا فى الأرض لانهم مقصوصو الجناح مقيد والأطراف فبهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها وكان ﷺ (١) يعطى العطاء على مقدار العيلة وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة المال ﴿ الصفة السادسة ﴾ أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام فتكون صدقة وصلة رحم وفى صلة الرحم من الثواب مالا يحصى قال علىّ رضى الله عنه لأن أصل أخا من اخوانى بدرهم أحب الى من أن أتصدق بعشرين درهما ولأن أصله بعشرين درهما أحب الىّ من ان أتصدق بمائة درهم ولأن اصله بمائة درهم احب الى من ان اعتق رقبة والأصدقاء واخوان الخير ايضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب فليراع هذه الدقائق فهذه هى الصفات المطلوبة وفى كل صفة درجات فينبغى ان يطلب اعلاها فان وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ومهما اجتهد فى ذلك واصاب فله اجران وان اخطأ فله اجر واحد فان احدا اجريه فى الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل فى قلبه واجتهاده فى طاعته وهذه الصفات هى التى تقوى فى قلبه فتشوقه الى لقاء الله عز وجل والأجر الثانى ما يعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته فان قلوب الأبرار لها آثار فى الحال والمآل فان اصاب حصل الأجران وان اخطأ حصل الأول دون الثانى فبهذا يضاعف اجر المصيب فى الاجتهاد ههنا وفى سائر المواضع والله اعلم

﴿ الفصل الثالث فى القابض واسباب استحقاقه ووظائف قبضه ﴾

﴿ بيان اسباب الاستحقاق ﴾

اعلم انه لا يستحق الزكاة الا حر مسلم ليس بهاشمى ولا مطلبى اتصف بصفة من صفات الاصناف الثمانية المذكورين فى كتاب الله عز وجل ولا تصرف زكاة الى كافر ولا الى عبد ولا الى هاشمى ولا الى مطلبى أما الصبى والمجنون فيجوز الصرف اليهما اذا قبض وليهما فلنذكر صفات الاصناف الثمانية ﴿ الصنف الأول الفقراء ﴾ والفقير هو الذى ليس له مال ولا قدرة له على الكسب فان كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير وان كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير لانه فى الحال قد عدم ما هو محتاج اليه وما هو عاجز عنه فلا ينبغى أن يشترط فى الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة فان هذا غلوّ والغالب انه لا يوجد مثله ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال فلا يجعل السؤال كسبا بخلاف ما لو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ويجوز أن يشترى له آلة وان قدر على كسب لا يليق بمروأته

ﷺ بحمد الله لا بحمدك (١) حديث كان يعطى العطاء على مقدار العيلة لم أر له أصلا ولأبى داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله ﷺ كان اذا أتاه الفىء قسمه فى يومه وأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا

وغرائب النحو والتصريف وأصول القصص واختلاف وجوه القراءة وصنفوا فى ذلك الكتب فاتسع بطريقتهم علوم القرآن على الامة وأئمة الحديث ميزوا بين الصحاح والحسان وتفردوا بمعرفة الرواة وأسامى الرجال وحكموا بالجرح والتعديل ليتبين الصحيح من السقيم ويتميز الممسوح من المستقيم فيتحفظ بطريقهم طريق الرواية والسند حفظا للسنة وانتداب الفقهاء لاستنباط الأحكام والتفريع فى المسائل ومعرفة التعليل ورد الفروع الى الأصول بالعلل الجوامع واستيعاب الحوادث بحكم النصوص وتفرع من علم الفقه والأحكام علم أصول الفقه وعلم الخلاف وتفرع من علم الخلاف علم الجدل وأحوج علم أصول الفقه الى

ومحال مثله فهو فقير وان كان متفقها و يمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته وان كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الأوقات فليكتسب لأن الكسب أولى من ذلك قال ﷺ (١) طلب الحلال فريضة بعد الفريضة وأراد به السعي في الاكتساب وقال عمر رضي الله عنه كسب في شبهة خير من مسئلة وان كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا أهون من الكسب فليس بفقير ﴿الصنف الثاني المساكين﴾ والمسكين هو الذي لا يفي دخله بخرجه فقد يملك ألف درهم وهو مسكين وقد لا يملك الا فاسا وحبلا وهو غني والدويرة التي يسكنها والثوب الذي يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين وكذا أثاث البيت أعني ما يحتاج اليه وذلك ما يليق به وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة واذا لم يملك الا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر وحكم الكتاب حكم الثوب وأثاث البيت فانه محتاج اليه ولكن ينبغي أن يحتاط في قطع الحاجة بالكتاب فالكتاب محتاج اليه لثلاثة أغراض التعليم والاستفادة والتفرج بالمطالعة أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الاشعار وتواريخ الاخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع في الآخرة ولا يجري في الدنيا الا مجرى التفرج والاستئناس فهذا يباع في الكفارة وزكاة الفطر وتمنع اسم المسكنة وأما حاجة التعليم ان كان لاجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته فلا تباع في الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين وان كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لانها حاجة مهمة وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به فان كان في البلد طبيب وواعظ فهذا مستغني عنه وان لم يكن فهو محتاج اليه ثم ربما لا يحتاج الى مطالعة الكتاب الا بعد مدة فينبغي أن يضبط مدة الحاجة والاقرب أن يقال ما لا يحتاج اليه في السنة فهو مستغنى عنه فان من فضل من قوت يومه شيء لزمته الفطرة فاذا قدرنا القوت باليوم فحاجة أثاث البيت وثياب البدن ينبغي أن تقدر بالسنة فلا تباع ثياب الصيف في الشتاء والكتب بالثياب والاثاث أشبه وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة الى احداهما فان قال احداهما أصح والاخرى أحسن فانا محتاج اليهما قلنا اكتف بالاصح وبع الاحسن ودع التفرج والترفه وان كان نسختان من علم واحد احداهما بسيطة والاخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط وان كان قصده التدريس فيحتاج اليهما اذ في كل واحدة فائدة ليست في الاخرى وأمثال هذه الصور لا تنحصر ولم يتعرض له في فن الفقه وانما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره فان استقصاء هذه الصور غير ممكن اذ يتعدى مثل هذا النظر في أثاث البيت في مقدارها وعددها ونوعها وفي ثياب البدن وفي الدار وسعتها وضيقها وليس لهذه الامور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ويقرب في التحديدات بما يراه ويقتحم فيه خطر الشبهات والمتورع يأخذ فيه بالاحوط ويدع ما يريبه الى ما لا يريبه والدرجات المتوسطة المشكلة بين الاطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجي منها الا الاحتياط والله أعلم ﴿الصنف الثالث العاملون﴾ وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضي ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفي والحافظ والنقال ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل فان فضل شيء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الاصناف وان نقص كمل من مال المصالح ﴿الصنف الرابع﴾ المؤلفة قلوبهم على الاسلام وهم الاشراف الذين أسلموا وهم مطاعون في قومهم وفي اعطائهم تقريرهم على الاسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم ﴿الصنف الخامس المكاتبون﴾ فيدفع الى السيد سهم المكاتب وان دفع الى المكاتب جاز ولا يدفع السيد زكاته الى مكاتب نفسه لانه يعد عبده ﴿الصنف السادس الغارمون﴾ والغارم هو الذي استقرض في طاعة أو مباح وهو فقير فان استقرض في معصية فلا يعطى الا اذا تاب وان كان غنيا لم يقض دينه الا اذا كان قد استقرض لمصلحة أو اطفاء فتنة

---

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة الطبراني والبيهقي في شعب الايمان من حديث ابن مسعود

شيء من علم أصول الدين وكان من علمهم علم الفرائض ولزم منه علم الحساب والجبر والمقابلة الى غير ذلك فتمهدت الشريعة وتأيدت واستقام الدين الحنيفي وتفرع وتأصل الهدى النبوي المصطفوي فأنبتت أراضي قلوب العلماء الكلأ والعشب بما قبلت من مياه الحياة من الهدى والعلم قال الله تعالى أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها قال ابن عباس رضي الله عنهما الماء العلم والاودية القلوب (قال أبو بكر الواسطي) رضي الله عنه خلق الله تعالى درة صافية فلاحظها بعين الجلال فذابت حياء منه فسالت فقال أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها فصفاء القلوب من وصول ذلك الماء اليها * وقال ابن عطاء انزل من السماء ماء هذا مثل ضربه الله تعالى للعبد وذلك اذا سال السيل في الاودية لا يبقى في الاودية نجاسة الا كنسها وذهب بها كذلك اذا سال النور الذي قسمه الله تعالى للعبد في نفسه لا تبقى فيه غفلة

﴿الصنف السابع الغزاة﴾ الذين ليس لهم مرسوم في ديوان المرتزقة فيصرف اليهم سهم وان كانوا أغنياء اعانة لهم على الغزو ﴿الصنف الثامن ابن السبيل﴾ وهو الذي شخص من بلده ليسافر في غير معصية أو اجتاز بها فيعطى ان كان فقيرا وان كان له مال ببلد آخر أعطى بقدر بلغته فان قلت فبم تعرف هذه الصفات قلنا أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ولا يطالب ببينة ولا يحلف بل يجوز اعتماد قوله اذا لم يعلم كذبه وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله اني غاز فان لم يف به استرد وأما بقية الاصناف فلا بد فيها من البينة فهذه شروط الاستحقاق وأما مقدار ما يصرف الى كل واحد فسيأتي

﴿بيان وظائف القابض وهي خمسة﴾

﴿الاولى﴾ أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة اليه ليكفي همه ويجعل همومه هما واحدا فقد تعبد الله عز وجل الخلق بان يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى ﴿وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون﴾ ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهي تفرق همه اقتضى الكرم افاضة نعمة تكفي الحاجات فأكثر الاموال وصبها في أيدي عباده لتكون آلة لهم في دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه في الخطر ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمي المشفق مريضه فزوى عنه فضولها وساق اليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب والتعب في الجمع والحفظ عليهم وفائدته تنصب الى الفقراء فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة وهذا منتهى النعمة فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه كما سيأتي في كتاب الفقر تحقيقه وبيانه ان شاء الله تعالى فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله فان لم يقدر عليه فليصرفه الى ما أباحه الله عز وجل فان استعان به على معصية الله كان كافرا لانعم الله عز وجل مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه ﴿الثانية﴾ أن يشكر المعطي ويدعو له ويثني عليه ويكون شكره ودعاؤه بحيث لا يخرجه عن كونه واسطة ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه اليه وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة وذلك لا ينافي رؤية النعمة من الله سبحانه فقد قال ﷺ (١) من لم يشكر الناس لم يشكر الله وقد أثنى الله عز وجل على عباده في مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها نحو قوله تعالى ﴿نعم العبد إنه أواب﴾ إلى غير ذلك وليقل القابض في دعائه طهر الله قلبك في قلوب الابرار وزكى عملك في عمل الاخيار وصلى على روحك في أرواح الشهداء وقد قال ﷺ (٢) من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطيعوا فادعوا له حتى تعلموا انكم قد كافأتموه ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء ان كان فيه عيب ولا يحقره ولا يذمه ولا يعيره بالمنع إذا منع ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه فوظيفة المعطي الاستصغار ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام وعلى كل عبد القيام بحقه وذلك لا تناقض فيه اذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض والنافع للمعطي ملاحظة أسباب التصغير ويضره خلافه والآخذ بالعكس منه وكل ذلك لا يناقض رؤية النعمة من الله عز وجل فان من لا يرى الواسطة واسطة فقد جهل وانما المنكر أن يرى الواسطة أصلا ﴿الثالثة﴾ أن ينظر فيما يأخذه فان لم يكن من حل تورع عنه ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال فلا يأخذ من أموال الاتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم اليه لا يعرف له

بسند ضعيف (١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله ت وحسنه من حديث أبي سعيد وله ولأبي داود وابن حبان نحوه من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (٢) حديث من اسدى اليكم معروفا فكافئوه الحديث د ن من حديث ابن عمر باسناد صحيح بلفظ من صنع

ولا ظلمة انزل من السماء ماء يعني قسمة النور فسالت اودية بقدرها يعني في القلوب الانوار على ما قسم الله تعالى لها في الازل (فاما الزبد فيذهب جفاء) فتصير القلوب منورة لا تبقى فيها جفوة (واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض) تذهب البواطل وتبقى الحقائق وقال بعضهم انزل من السماء ماء انواع الكرامات فاخذ كل قلب بحظه ونصيبه فسالت أودية قلوب علماء التفسير والحديث والفقه بقدرها وسالت أودية قلوب الصوفية من العلماء الزاهدين في الدنيا المتمسكين بحقائق التقوى بقدرها فمن كان في باطنه لوث محبة الدنيا من فضول المال والجاه وطلب المناصب والرفعة سال وادي قلبه بقدره فاخذ من العلم طرفا صالحا ولم يحظ بحقائق العلوم ومن زهد في الدنيا اتسع وادي قلبه فسالت فيه مياه العلوم واجتمعت وصارت اخاذات * قيل

مالكا

مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة فان فتوى الشرع في مثل هذا أن يتصدق به على ماسيأتي بيانه في كتاب الحلال والحرام وذلك اذا عجز عن الحلال فاذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام

(الرابعة) أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه في مقدار ما يأخذه فلا يأخذ إلا المقدار المباح ولا يأخذ إلا اذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق فان كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين وان كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل وان أعطي زيادة أبى وامتنع إذ ليس المال للمعطي حتى يتبرع به وان كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده وان كان غازيا لم يأخذ إلا ما يحتاج اليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة وتقدير ذلك بالاجتهاد وليس له حد وكذا زاد السفر والورع ترك ما يريبه الى ما لا يريبه وان أخذ بالمسكنة فلينظر أولا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته فيمكن أن يبدل بما يكفي ويفضل بعض قيمته وكل ذلك الى اجتهاده وفيه طرف ظاهر يتحقق معه أنه مستحق وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق وبينهما أوساط مشتبهة ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه والاعتماد في هذا على قول الآخذ ظاهرا وللمحتاج في تقدير الحاجات مقامات في التضييق والتوسيع ولا تنحصر مراتبه وميل الورع الى التضييق وميل المتساهل إلى التوسيع حتى يرى نفسه محتاجا الى فنون من التوسع وهو ممقوت في الشرع ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيرا بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه الى سنة فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث أن السنة اذا تكررت تكررت أسباب الدخل ومن حيث ان رسول الله ﷺ (١) ادخر لعياله قوت سنة فهذا أقرب ما يحد به حد الفقير والمسكين ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى ومذاهب العلماء في قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة فمن مبالغ في التقليل الى حد أوجب الاقتصار على قدر قوت يومه وليلته وتمسكوا بما روى سهل بن الحنظلية أنه ﷺ (٢) نهى عن السؤال مع الغنى فسئل عن غناه فقال ﷺ غداؤه وعشاؤه وقال آخرون يأخذ الى حد الغنى وحد الغنى نصاب الزكاة اذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الاغنياء فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة وقال آخرون حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب لما روى ابن مسعود أنه ﷺ (٣) قال من سأل وله مال يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش فسئل وما غناه قال خمسون درهما أو قيمتها من الذهب وقيل راويه ليس بقوي وقال قوم أربعون لما رواه عطاء بن يسار منقطعا أنه ﷺ (٤) قال من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال وبالغ آخرون في التوسيع فقالوا له أن يأخذ مقدار ما يشتري به ضيعة فيستغني به طول عمره أو يهيئ بضاعة ليتجر بها ويستغني بها طول عمره لأن هذا هو الغنى وقد قال عمر رضي الله عنه اذا أعطيتم فأغنوا حتى ذهب قوم الى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به الى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم إلا إذا خرج عن حد الاعتدال (٥) ولما شغل أبو طلحة ببستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة فقال ﷺ اجعله في قرابتك فهو خير

(١) حديث ادخر لعياله قوت سنة أخرجاه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبراني في الأوسط من حديث أنس كان اذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقي قال الذهبي حديث منكر (٢) حديث سهل بن الحنظلية في النهي عن السؤال مع الغنى فيسأل ما يغنيه فقال غداؤه وعشاؤه د حب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم الحديث (٣) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفي وجهه خموش الحديث أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائي والخطابي (٤) حديث عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف في السؤال د ن من رواية عطاء عن رجل من بني أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكرا لمصنف لأن الرجل صحابي فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبي سعيد (٥) حديث لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة تقدم في الصلاة

للحسن البصري هكذا قال الفقهاء فقال وهل رأيت فقيها قط انما الفقيه الزاهد في الدنيا فالصوفية أخذوا حظا من علم الدراسة فأفادهم علم الدراسة العمل بالعلم فلما عملوا بما علموا أفادهم العمل علم الوراثة فهم مع سائر العلماء في علومهم وتميزوا عنهم بعلوم زائدة هي علوم الوراثة وعلم الوراثة هو الفقه في الدين قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا اليهم فصار الانذار مستفادا من الفقه والانذار إحياء المنذر بماء العلم والاحياء بالعلم رتبة الفقيه في الدين فصار الفقه في الدين من أكمل المراتب وأعلاها وهو علم العالم الزاهد في الدنيا المتقي الذي يبلغ رتبة الانذار بعلمه فمورد العلم والهدى رسول الله ﷺ أولا وورد عليه الهدى من العلم من الله تعالى فارتوى بذلك ظاهرا وباطنا فظهر من

لك فأعطاه حسان وأبا قتادة لحائط من نخل لرجلين كثير مغن وأعطى عمر رضي الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئرلها فهذا ما حكي فيه فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الاوقية فذلك ورد في كراهية السؤال والتردد على الأبواب وذلك مستنكرا وله حكم آخر بل التجويز إلى أن يشتري ضيعة فيستغني بها أقرب الى الاحتمال وهو أيضا مائل الى الاسراف والاقرب الى الاعتدال كفاية سنة فما وراءه فيه خطر وفيما دونه تضييق وهذه الامور إذا لم يكن فيها تقدير بجزم بالتوقيف فليس للمجتهد إلا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع[1] استفت قلبك وان أفتوك وأفتوك كما قاله ﷺ اذ الاثم حزاز القلوب فاذا وجد القابض في نفسه شيأ مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر فان لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات وفيها تخمينات واقتحام شبهات والتوقي من الشبهات من شيم ذوي الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة (الخامسة) أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه فان كان ما يعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فانه لا يستحق مع شريكه إلا الثمن فلينقص من الثمن مقدار ما يصرف الى اثنين من صنفه وهذا السؤال واجب على اكثر الخلق فانهم لا يراعون هذه القسمة اما الجهل واما التساهل وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور اذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم وسيأتي في ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال في كتاب الحلال والحرام ان شاء الله تعالى

(الفصل الرابع في صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها واعطائها)

(بيان فضيلة الصدقة)

(من الاخبار) قوله ﷺ[2] تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وقال ﷺ[3] اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فكلمة طيبة وقال ﷺ[4] ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا إلا كان الله آخذها بيمينه فيربيها كما يربي أحدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل أحد وقال ﷺ[5] لأبي الدرداء إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم انظر إلى أهل بيت من جيرانك فأصبهم منه بمعروف وقال ﷺ[6] ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله عز وجل الخلافة على تركته وقال ﷺ[7] كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس وقال ﷺ[8] الصدقة تسد سبعين بابا من الشر وقال ﷺ صدقة السر

(١) حديث استفت قلبك وان أفتوك تقدم في العلم (٢) حديث تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار ابن المبارك في الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استتري من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان ولأبي يعلى والبزار من حديث أبي بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان واسناده ضعيف وللترمذي ون في الكبرى وه في حديث معاذ والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجاه من حديث عدي بن حاتم (٤) حديث ما من عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا طيبا الحديث خ تعليقا وم ت ن في الكبرى واللفظ له ه من حديث أبي هريرة (٥) حديث قال لأبي الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها الحديث م من حديث أبي ذر أنه قال ذلك له وما ذكره المصنف انه قال لأبي الدرداء وهم (٦) حديث ما أحسن عبد الصدقة إلا أحسن الله الخلافة على تركته ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا باسناد صحيح وأسنده الخطيب فيمن روى عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه (٧) حديث كل امرئ في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر

(٨) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف إن الله ليدرأ بالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء

الانسان نفسه لربه قال الله تعالى شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا اليك وما وصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه فبالتفرق في الدين يستولي الذبول على الجوارح وتذهب عنها نضارة العلم والنضارة في الظاهر بتزيين الجوارح بالانقياد في النفس والمال مستفاد من ارتواء القلب والقلب في ارتوائه بالعلم بمثابة البحر فصار قلب رسول الله ﷺ بالعلم والهدى بحرا مواجا ثم وصل من بحر قلبه الى النفس فظهر على نفسه الشريفة نضارة العلم وريه فتبدلت نعوت النفس وأخلاقها ثم وصل الى الجوارح جدول فصارت ريانة ناضرة فلما استتم نضارة وامتلاريا بعثه

تطفئ غضب الرب عز وجل وقال ﷺ (١) ما الذى أعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة ولعل المراد به الذى يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين فيكون مساويا للمعطى الذى يقصد باعطائه عمارة دينه وسئل رسول الله ﷺ (٢) أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفاقة ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقد كان لفلان وقد قال ﷺ (٣) يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك فقال ان عندى آخر قال أنفقه على زوجتك قال ان عندى آخر قال أنفقه على ولدك قال ان عندى آخر قال أنفقه على خادمك قال ان عندى آخر قال ﷺ أنت أبصر به وقال ﷺ (٤) لا تحل الصدقة لآل محمد انما هى أوساخ الناس وقال (٥) ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام وقال ﷺ (٦) لو صدق السائل ما أفلح من رده وقال عيسى عليه السلام من رد سائلا خائبا من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام وكان نبينا ﷺ (٧) لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل ويخمره وكان يناول المسكين بيده وقال ﷺ (٨) ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان انما المسكين المتعفف اقرؤا ان شئتم لا يسألون الناس الحافا وقال ﷺ (٩) ما من مسلم يكسو مسلما الا كان فى حفظ الله عز وجل ما دامت عليه منه رقعة (الآثار) قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عائشة رضى الله عنها بخمسين ألفا وان درعها لمرقع وقال مجاهد فى قول الله عز وجل ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ فقال وهم يشتهونه وكان عمر رضى الله عنه يقول اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا وقال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك والصدقة تدخلك عليه وقال ابن أبى الجعد ان الصدقة لتدفع سبعين بابا من السوء وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفا وانها لتفك لحى سبعين شيطانا وقال ابن مسعود ان رجلا عبد الله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فاحبط عمله ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة وقال لقمان لابنه اذا أخطأت خطيئة فاعط الصدقة وقال يحيى بن معاذ ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبى رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة كتمان المرض وكتمان الصدقة وكتمان المصائب وروى مسندا وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الاعمال تباهت فقالت الصدقة أنا أفضلكن وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ والله يعلم أنى أحب السكر وقال النخعى اذا كان الشئ لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط وأعطش ما كانوا قط وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ومن كسا الله عز وجل كساه الله وقال

(١) حديث ما المعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة حب فى الضعفاء وطب فى الأوسط من حديث أنس ورواه فى الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٢) حديث سئل أى الصدقة أفضل قال أن تصدق وأنت صحيح شحيح الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٣) حديث قال يوما لاصحابه تصدقوا فقال رجل ان عندى دينارا فقال أنفقه على نفسك الحديث د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبى هريرة وقد تقدم قبل بيسير (٤) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد الحديث م من حديث المطلب بن ربيعة (٥) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام العقيلى فى الضعفاء من حديث عائشة (٦) لو صدق السائل ما أفلح من رده العقيلى فى الضعفاء وابن عبد البر فى التمهيد من حديث عائشة قال العقيلى لا يصح فى هذا الباب شئ وللطبرانى نحوه من حديث أبى أمامة بسند ضعيف (٧) حديث كان لا يكل خصلتين الى غيره الحديث الدارقطنى من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك فى البر مرسلا (٨) حديث ليس المسكين الذى ترده التمرة والتمرتان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٩) حديث ما من مسلم يكسو مسلما الا كان فى حفظ الله الحديث ت وحسنه وك وصحح اسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف

جدول قسط ونصيب وذلك القسط الواصل الى الفهوم هو الفقه فى الدين * روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله عز وجل بشئ أفضل من فقه فى الدين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شئ عماد وعماد هذا الدين الفقه * حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب املاء قال حدثنا سعيد ابن حفص قال حدثنا أبو طالب الزينبى قال أخبرتنا كريمة بنت أحمد ابن محمد المروزية قالت أخبرنا أبو الهيثم قال أخبرنا الفربرى قال أخبرنا البخارى قال حدثنا ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن قال سمعت معاوية خطيبا يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين وانما أنا قاسم والله يعطى قال الشيخ

الحسن لوشاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلى بعضكم ببعض وقال الشعبي من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته فقد أبطل صدقته وضرب بها وجهه وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذي يتصدق به و يسقى في المسجد لانه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص و يقال ان الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله عزوجل رضي في الحور العين بالفلس واللقمة

﴿ بيان اخفاء الصدقة واظهارها ﴾

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص في ذلك فمال قوم الى أن الاخفاء أفضل ومال قوم الى أن الاظهار أفضل ونحن نشير الى مافي كل واحد من المعاني والآفات ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه ﴿أما الاخفاء ففيه خمسة معان﴾ * الأول انه أبقى للستر على الآخذ فان أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة وكشف عن الحاجة وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذي يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف * الثاني انه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم فانهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه و يظنون انه آخذ مع الاستغناء أو ينسبونه الى أخذ زيادة والحسد وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السختياني اني لأترك لبس الثوب الجديد خشية ان يحدث في جيراني حسدا وقال بعض الزهاد ربما تركت استعمال الشيء لأجل اخواني يقولون من أين له هذا وعن ابراهيم التيمي انه رؤي عليه قميص جديد فقال بعض اخوانه من أين لك هذا فقال كسانيه أخي خيثمة ولو علمت ان أهله علموا به ماقبلته * الثالث اعانة المعطي على اسرار العمل فان فضل السر على الجهر في الاعطاء أكثر والاعانة على اتمام المعروف معروف والكتمان لا يتم الا باثنين فمهما أظهر هذا انكشف أمر المعطي ودفع رجل الى بعض العلماء شيأ ظاهرا فرده اليه ودفع اليه آخر شيأ في السر فقبله فقيل له في ذلك فقال ان هذا عمل بالادب في اخفاء معروفه فقبلته وذاك أساء أدبه في عمله فرددته عليه وأعطى رجل لبعض الصوفية شيأ في الملا فرده فقال له لم ترد على الله عزوجل ما أعطاك فقال انك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عزوجل فرددت عليك شركك وقبل بعض العارفين في السر شيأ كان رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم أك عونا لك على المعصية وأطعته بالاخفاء فاعنتك على برك وقال الثوري لو علمت أن أحدهم لا يذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته * الرابع أن في اظهار الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن أن يذل نفسه كان بعض العلماء يأخذ في السر ولا يأخذ في العلانية و يقول ان في اظهاره اذلالا للعلم وامتهانا لأهله فما كنت بالذي أرفع شيأ من الدنيا بوضع العلم واذلال أهله * الخامس الاحتراز عن شبهة الشركة قال ﷺ (١) من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها وبان يكون ورقا أوذهبا لايخرج عن كونه هدية قال ﷺ (٢) أفضل ما أهدى الرجل الى أخيه ورقا أو يطعمه خبزا فجعل الورق هدية بانفراده فما يعطى في الملا مكروه الا برضا جميعهم ولا يخلو عن شبهة فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة ﴿ أما الاظهار والتحدث به ففيه معان أربعة ﴾ * الأول الاخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراآة * والثاني اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والمسكنة والتبري عن الكبرياء ودعوى الاستغناء واسقاط النفس من أعين الخلق قال بعض العارفين لتلميذه أظهر الاخذ على كل حال ان كنت آخذا فانك لاتخلو عن أحد رجلين رجل تسقط من قلبه اذا فعلت ذلك فذلك هو المراد لانه اسلم لدينك واقل لآفات نفسك اورجل تزداد في قلبه باظهارك الصدق فذلك الذي يريده اخوك لأنه يزداد ثوابا بزيادة

(١) حديث من اهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها العقيلي وابن حبان في الضعفاء وطب في الأوسط وهق من حديث ابن عباس قال عق لايصح في هذا المتن حديث (٢) حديث افضل مايهدي الرجل الى اخيه ورقا او يعطيه خبزا عد وضعفه من حديث ابن عمر ان افضل العمل عند الله ان يقضي عن مسلم دينه او يدخل عليه سرورا او يطعمه خبزا ولأحمد وت وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق او منحة لبن او هدى

رسول الله صلى الله عليه وسلم على الأعرابي فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال الاعرابي حسبي حسبي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقه الرجل * وروى عبدالله بن عباس أفضل العبادة الفقه في الدين والحق سبحانه وتعالى جعل الفقه صفة القلب فقال لهم قلوب لايفقهون بها فلما فقهوا علموا ولما علموا عملوا ولما عملوا عرفوا ولما عرفوا اهتدوا فكل من كان أفقه كانت نفسه أسرع اجابة وأكثر انقيادا لمعالم الدين وأوفر حظا من نور اليقين فالعلم جملة موهوبة من الله للقلوب والمعرفة تمييز تلك الجملة والهدى وجدان القلوب ذلك فالنبي صلى الله عليه وسلم لما قال مثل ما بعثني الله به

من الهدى والعلم أخبر انه وجد القلب النبوى العلم وكان هاديا مهديا وعلمه صلوات الله عليه منها وراثة معجونة فيه

حبه لك وتعظيمه إياك فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه * الثالث هو أن العارف لا نظر له إلا إلى الله عز وجل والسر والعلانية فى حقه واحد فاختلاف الحال شرك فى التوحيد قال بعضهم كنا لا نعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويرد فى العلانية والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال بل ينبغي أن يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد * حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين فشق على الآخرين فاراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد فاعطى كل واحد منهم دجاجة وقال لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لا يراه أحد فانفرد كل واحد وذبح إلا ذلك المريد فانه رد الدجاجة فسألهم فقالوا فعلنا ما أمرنا به الشيخ فقال الشيخ للمريد مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك فقال ذلك المريد لم أقدر على مكان لا يرانى فيه أحد فان الله يرانى فى كل موضع فقال الشيخ لهذا أميل اليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل * الرابع إن الاظهار إقامة لسنة الشكر وقد قال تعالى ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ والكتمان كفران النعمة وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى ﴿الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما آتاهم الله من فضله﴾ وقال ﷺ (١) إذا أنعم الله على عبد نعمة أحب أن ترى نعمته عليه وأعطى رجل بعض الصالحين شيأ فى السر فرفع به يده وقال هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر فى أمور الآخرة أفضل ولذلك قال بعضهم إذا أعطيت فى الملا فخذ ثم اردد فى السر والشكر فيه محثوث عليه قال ﷺ (٢) من لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل والشكر قائم مقام المكافأة حتى قال ﷺ من أسدى اليكم معروفا فكافئوه فان لم تستطعوا فاثنوا عليه به خيرا وادعوا له حتى تعلموا أنكم قد كافأتموه (٣) ولما قال المهاجرون فى الشكر يارسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموال حتى خفنا أن يذهبوا بالاجر كله فقال ﷺ كل ما شكرتم لهم وأثنيتم عليهم به فهو مكافأة * فالآن إذا عرفت هذه المعانى فاعلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف الغطاء فى هذا أنا لا نحكم حكما بتا بان الاخفاء أفضل فى كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف الأحوال والأشخاص فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه حتى لا يتدلى بحبل الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع أغلب فى معانى الاخفاء منه فى الاظهار مع أن له دخلا فى كل واحد منهما فاما مدخل الخداع فى الاسرار فمن ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط القدر عن أعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء والى المعطى بعين المنعم المحسن فهذا هو الداء الدفين ويستكن فى النفس والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله فانه ان كان يبغي صيانة الناس عن الغيبة والحسد وسوء الظن أو يتقى انتهاك الستر أو اعانة المعطى على الاسرار أو صيانة العلم عن الابتذال فكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره فتقديره الحذر من هذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه فان اذلال العلم محذور من حيث انه علم لا من حيث انه علم زيد او علم عمرو والغيبة محذورة من حيث انها تعرض لعرض مصون لا من حيث انها تعرض لعرض زيد على الخصوص ومن احسن من ملاحظة مثل هذا ربما يعجز الشيطان عنه والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله واظهاره عند غيره انه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى اكرامه وتفقده وهذا داء دفين فى الباطن

رفاقا فهو كعتاق نسمة (١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه أحمد من حديث عمران ابن حصين بسند صحيح وحسنه ت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده (٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله تقدم (٣) حديث قالت المهاجرون يارسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم الحديث ت وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا د ن فى اليوم والليلة و ك وصححه

من آدم أبى البشر ﷺ حيث علم الاسماء كلها والاسماء سمة الاشياء فكرمه الله تعالى بالعلم وقال تعالى علم الانسان مالم يعلم فآدم لما ركب فيه من العلم والحكمة صار ذا الفهم والفطنة والمعرفة والرأفة واللطف والحب والبغض والفرح والغم والرضا والغضب والكياسة ثم اقتضاه استعمال كل ذلك وجعل لقلبه بصيرة واهتداء إلى الله تعالى بالنور الذى وهب له فالنبى ﷺ بعث الى الامة بالنور الموروث والموهوب له خاصة وقيل لما خاطب الله السموات والارض بقوله ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين نطق من الارض وأجاب موضع الكعبة ومن السماء مايحاذيها وقد قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أصل طينة رسول الله ﷺ من سرة الارض

والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بان يروج عليه هـذا الخبث في معرض السـنة و يقول له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء و يورد عليه المعاني التي ذكرناها ليحمله على الاظهار وقصده الباطن ماذكرناه ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لا ينتهى الخبر إلى المعطى ولا إلى من يرغب في عطائه و بين يدي جماعة يكرهون إظهار العطيـة و يرغبون في اخفائها وعادتهم أنهم لا يعطون إلا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الأحوال عنده فليعلم إن باعثه هو إقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة و إلا فهو مغرور ثم إذا علم أن باعثه السـنة في الشكر فلا ينبغي أن يغفل عن قضاء حق المعطي فينظر فان كان هو ممن يحب الشكر و النشر فينبغي أن يخفي و لا يشكر لأن قضاء حقه أن لا ينصره على الظلم وطلبـه الشكر ظلم و إذا علم من حاله أنه لا يحب الشكر و لا يقصده فعند ذلك يشكره و يظهر صدقته ولذلك قال ﷺ (١) للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح مع أنه ﷺ كان يثني على قوم في وجوههم لثقته بيقينهم وعلمه بان ذلك لا يضرهم بل يزيد في رغبتهم في الخير فقال لواحد (٢) انه سيد أهل الوبر وقال ﷺ (٣) في آخر إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه وسمع كلام رجل فاعجبه فقال ﷺ (٤) إن من البيان لسحرا وقال ﷺ (٥) إذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير وقال ﷺ (٦) إذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه وقال الثوري من عرف نفسـه لم يضره مدح الناس وقال أيضا ليوسف بن أسباط إذا أوليتك معروفا كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجـل علي فاشكر و إلا فلا تشكر ودقائق هـذه المعاني ينبغي أن يلحظها من يراعي قلبه فان أعمال الجوارح مع اهمال هـذه الدقائق ضحكة للشيطان وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع ومثل هذا العلم هو الذي يقال فيه إن تعلم مسـئلة واحدة منه أفضل من عبادة سنة اذ بهذا العـلم تحيا عبادة العمر و بالجهل به تموت عبادة العمر كله و تتعطل وعلى الجملة فالاخذ في الملا والرد في السر أحسن المسالك وأسـلمها فلا ينبغي أن يدفع بالتزويقات الا ان تكمل المعرفة بحيث يستوي السر والعلانية وذلك هو الكبريت الاحمر الذي يتحدث به ولا يرى نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق

﴿ بيان الافضل من أخذ الصدقة أو الزكاة ﴾

كان ابراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الأخذ من الصدقة أفضل فان في أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ولأنه ربما لا يكمل في أخذه صفة الاستحقاق كما وصف في الكتاب العزيز وأما الصدقة فالامر فيها أوسع وقال قائلون يأخذ الزكاة دون الصدقة لانها اعانة على الواجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا ولان الزكاة لا منة فيها وانما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ولأنه أخذ بالحاجة والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين فان الغالب أن المتصدق يعطي من يعتقد فيه خيرا ولان مرافقة المساكين أدخل في الذل والمسكنة وأبعد من التكبر اذ قد يأخذ الانسان الصدقة في معرض الهدية فلا تتميز

(١) حديث قال للرجل الذي مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ما أفلح متفق عليه من حديث ابي بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب في رواية والله لو سمعها ما افلح ابدا وفي سنده علي بن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث ابي موسى (٢) حديث انه سيد الوبر العنبري و طب وابن قانع في معاجيهم وحب في الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقري ان النبي ﷺ قال له ذلك (٣) حديث اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه ه من حـديث ابن عمر ورواه د في المراسيل من حديث الشعبي مرسلا بسند صحيح وقال روي متصلا وهو ضعيف ولك نحوه من حديث معبد بن خالد الانصاري عن ابيه وصحح اسناده (٤) حديث ان من البيان سحرا خ من حديث ابن عمر (٥) حديث اذا علم احدكم من اخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة في الخير قط في العلل من رواية ابن المسيب عن ابي هريرة وقال لا يصح عن الزهري وروي عن ابن المسيب مرسلا (٦) حديث اذا مدح المؤمن ربا الايمان في قلبه طب من حديث اسامة بن زيد بسند ضعيف

وحيث الارض فصار رسول الله ﷺ هو الاصل في التكوين والكائنات تبع له والى هـذا اشارة بقوله ﷺ كنت نبيا وآدم بين الماء والطين وفي رواية بين الروح والجسد وقيل لذلك سمي أميا لان مكة أم القرى وذرته أم الخليقـة وتربة الشخص مدفنـه فكان يقتضي أن يكون مدفنـه بمكة حيث كانت تربته منها ولكن قيـل الماء لما تموج رمى الزبد الى النـواحي فوقعت جوهـرة النبي ﷺ الى ما يحاذي تربتـه بالمدينـة وكان رسول الله ﷺ مكيا مدنيا حنينه الى مكة وتربته بالمدينة والاشارة فيما ذكرناه من ذرة رسـول الله ﷺ هو ما قال الله تعالى واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم

عنه وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته والقول الحق فى هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية فان كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغي أن يأخذ الزكاة فاذا علم أنه مستحق قطعا كما اذا حصل عليه دين صرفه الى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة فاذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال لولم يأخذه هو فليأخذ الصدقة فان الزكاة الواجبة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ففى ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين وان كان المال معرضا للصدقة ولم يكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير والامر فيهما يتفاوت وأخذ الزكاة أشد فى كسر النفس واذلالها فى أغلب الاحوال والله أعلم * كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ويتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائما إلى يوم الدين والحمد لله وحده وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿ كتاب أسرار الصوم ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنة بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنه ورد أمله وخيب ظنه اذ جعل الصوم حصنا لأوليائه وجنة وفتح لهم به أبواب الجنة وعرفهم ان وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة وان بقمعها تصبح النفس المطمئنة ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنة والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنة وعلى آله وأصحابه ذوى الابصار الثاقبة والعقول المرجحة وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فان الصوم ربع الايمان بمقتضى قوله ﷺ (١) الصوم نصف الصبر وبمقتضى قوله ﷺ (٢) الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الاركان اذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه ﷺ (٣) كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصيام فانه لى وأنا أجزى به وقد قال الله تعالى ﴿انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾ والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك فى معرفة فضله قوله ﷺ (٤) والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك يقول الله عز وجل انما يذر شهوته وطعامه وشرابه لاجلى فالصوم لى وأنا أجزى به وقال ﷺ (٥) للجنة باب يقال له الريان لا يدخله الا الصائمون وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه وقال ﷺ (٦) للصائم فرحتان فرحة عند افطاره وفرحة عند لقاء ربه وقال ﷺ (٧) لكل شىء باب وباب العبادة الصوم وقال ﷺ (٨) نوم الصائم عبادة وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ (٩) قال اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين

﴿ كتاب أسرار الصيام ﴾

(١) حديث الصوم نصف الصبر ت وحسنه من حديث رجل من سليم وه من حديث أبى هريرة
(٢) حديث الصبر نصف الايمان أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن
(٣) حديث كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة
(٤) حديث والذى نفسى بيده لخلوف فم الصائم الحديث أخرجاه من حديثه وهو بعض الذى قبله (٥) حديث للجنة باب يقال له الريان الحديث أخرجاه من حديث سهل بن سعد (٦) حديث للصائم فرحتان الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٧) حديث لكل شىء باب وباب العبادة الصوم ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف (٨) حديث نوم الصائم عبادة رويناه فى أمالى ابن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبد الله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية الا عنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبى أوفى وفيه سليمان بن عمرو النخعى أحد الكذابين (٩) حديث اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة الحديث ت وقال غريب

وأخرج ذريته منه كهيئة الذر استخرج الذر من مسام شعر آدم فخرج الذر كخروج العرق وقيل كان المسح من بعض الملائكة فأضاف الفعل الى المسبب وقيل معنى القول بانه مسح أى أحصى كما تحصى الارض بالمساحة وكان ذلك ببطن نعمان واد بجنب عرفة بين مكة والطائف فلما خاطب الذر وأجابوا ببلى كتب العهد فى رق أبيض وأشهد عليه الملائكة وألقم الحجر الأسود فكانت ذرة رسول الله ﷺ هى المجيبة من الارض والعلم والهدى فيه معجونان فبعث بالعلم والهدى موروثا له وموهوبا وقيل لما بعث الله جبرائيل وميكائيل ليقبضا قبضة من الارض فأبت حتى بعث الله تعالى عزرائيل فقبض قبضة من الارض وكان ابليس قد وطىء الارض بقدميه فصار بعض

ونادى مناد يا باغي الخير هلم و يا باغي الشر أقصر وقال وكيع في قوله تعالى كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية هي أيام الصيام اذ تركوا فيها الاكل والشرب وقد جمع رسول الله ﷺ في رتبة المباهاة بين الزهد في الدنيا و بين الصوم (١) فقال ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته لاجلي المبذل شبابه لي أنت عندي كبعض ملائكتي وقال ﷺ في الصائم يقول الله عز وجل (٢) انظروا ياملائكتي إلى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي وقيل في قوله تعالى ﴿ فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ قيل كان عملهم الصيام لانه قال ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ فيفرغ للصائم جزاؤه افراغا و يجازف جزافا فلا يدخل تحت وهم و تقدير وجدير بان يكون كذلك لان الصوم انما كان له ومشرفا بالنسبة اليه وان كانت العبادات كلها له كما شرف البيت بالنسبة الى نفسه والارض كلها له لمعنيين أحدهما ان الصوم كف وترك وهو في نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى والصوم لا يراه إلا الله عز وجل فانه عمل في الباطن بالصبر المجرد والثاني أنه قهر لعدو الله عز وجل فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال ﷺ (٣) ان الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال ﷺ لعائشة رضي الله عنها داومي (٤) قرع باب الجنة قالت بماذا قال ﷺ بالجوع وسيأتي فضل الجوع في كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات فلما كان الصوم على الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه و تضييقا لمجاريه استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ففي قمع عدو الله نصرة لله سبحانه وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له قال الله تعالى ﴿ ان تنصروا الله ينصركم و يثبت أقدامكم ﴾ فالبداية بالجهد من العبد والجزاء بالهداية من الله عز وجل ولذلك قال تعالى ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ وانما التغيير تكثير الشهوات فهي مرتع الشياطين ومرعاهم فما دامت مخصبة لم ينقطع ترددهم وماداموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه وقال ﷺ (٥) لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السموات فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة وصار جنة واذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة بذكر أركانه وسننه وشروطه الباطنة ونبين ذلك بثلاثة فصول

﴿ الفصل الاول في الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده ﴾

﴿ أما الواجبات الظاهرة فستة ﴾

(الأول) مراقبة أول شهر رمضان وذلك برؤية الهلال فان غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان ونعني بالرؤية العلم ويحصل ذلك بقول عدل واحد ولا يثبت هلال شوال الا بقول عدلين احتياطا للعبادة ومن سمع عدلا و وثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وان لم يقض القاضي به فليتبع كل عبد في عبادته موجب ظنه واذا رؤي الهلال ببلدة ولم ير بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وان كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ولا يتعدى الوجوب (الثاني) النية ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة فلو نوى أن يصوم

وه وك وصححه على شرطهما من حديث أبي هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادى مناد (١) حديث ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته الحديث عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٢) حديث يقول الله تعالى لملائكته ياملائكتي انظروا إلى عبدي ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلي (٣) حديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم الحديث متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع (٤) حديث قال لعائشة داومي قرع باب الجنة الحديث لم أجد له أصلا (٥) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم الحديث أحمد

و بعضها لم يصل اليه قدم إبليس فمن تلك التربة أصل الأنبياء والاولياء وكانت ذرة رسول الله ﷺ موضع نظر الله تعالى من قبضة عزرائيل لم يمسها قدم إبليس فلم يصبه حظ الجهل بل صار منزوع الجهل موفرا حظه من العلم فبعثه الله تعالى بالهدى والعلم وانتقل من قلبه الى القلوب ومن نفسه الى النفوس فوقعت المناسبة في أصل طهارة الطينة ووقع التأليف بالتعارف الأول فكل من كان أقرب مناسبة بنسبة طهارة الطينة كان أوفر حظا من قبول ماجاء به فكانت قلوب الصوفية أقرب مناسبة فأخذت من العلم حظا وافرا وصارت بواطنهم أخاذات فعلموا وعلموا كالاخاذ الذي يستقي منه ويزرع منه وجمعوا بين

شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه وهو الذي عنينا بقولنا كل ليلة ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض الا التطوع وهو الذي عنينا بقولنا مبينة ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا ان كان من رمضان لم يجزه فانها ليست جازمة الا ان تستند نيته الى قول شاهد عدل واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم أو يستند الى استصحاب حال كالشك في الليلة الأخيرة من رمضان فذلك لا يمنع جزم النية أو يستند الى اجتهاد كالمحبوس في المطمورة اذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك كما لو قال في وسط رمضان أصوم غدا ان كان من رمضان فان ذلك لا يضره لانه ترديد لفظ ومحل النية لا يتصور فيه تردد بل هو قاطع بانه من رمضان ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته ولو نوت امرأة في الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها (الثالث) الامساك عن ايصال شىء الى الجوف عمدا مع ذكر الصوم فيفسد صومه بالاكل والشرب والسعوط والحقنة ولا يفسد بالفصد والحجامة والاكتحال وادخال الميل في الأذن والاحليل الا أن يقطر فيه ما يبلغ المثانة وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق الى جوفه أو ما يسبق الى جوفه في المضمضة فلا يفطر الا اذا بالغ في المضمضة فيفطر لانه مقصر وهو الذي أردنا بقولنا عمدا فاما ذكر الصوم فاردنا به الاحتراز عن الناسي فانه لا يفطر أما من أكل عامدا في طرفي النهار ثم ظهر له انه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء وان بقي على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه ولا ينبغي أن يأكل في طرفي النهار الا بنظر واجتهاد (الرابع) الامساك عن الجماع وحده مغيب الحشفة وان جامع ناسيا لم يفطر وان جامع ليلا أو احتلم فاصبح جنبا لم يفطر وان طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع في الحال صح صومه فان صبر فسد ولزمته الكفارة (الخامس) الامساك عن الاستمناء وهو اخراج المني قصدا بجماع أو بغير جماع فان ذلك يفطر ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها ما لم ينزل لكن يكره ذلك الا أن يكون شيخا أو مالكا لأربه فلا بأس بالتقبيل وتركه أولى واذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المني أفطر لتقصيره (السادس) الامساك عن اخراج القيء فالاستقاء يفسد الصوم وان ذرعه القيء لم يفسد صومه واذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به الا ان يبتلعه بعد وصوله الى فيه فانه يفطر عند ذلك

﴿ وأما اللوازم بالافطار فاربعة ﴾

القضاء والكفارة والفدية وامساك بقية النهار تشبيها بالصائمين ﴿ أما القضاء ﴾ فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر فالحائض تقضي الصوم وكذا المرتد أما الكافر والصبي والمجنون فلا قضاء عليهم ولا يشترط التتابع في قضاء رمضان ولكن يقضي كيف شاء متفرقا ومجموعا ﴿ وأما الكفارة ﴾ فلا تجب الا بالجماع وأما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا الجماع لا تجب به كفارة فالكفارة عتق رقبة فان أعسر فصوم شهرين متتابعين وان عجز فاطعام ستين مسكينا مدا مدا ﴿ وأما امساك بقية النهار ﴾ فيجب على من عصى بالفطر أو قصر فيه ولا يجب على الحائض اذا طهرت امساك بقية نهارها ولا على المسافر اذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين ويجب الامساك اذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك والصوم في السفر أفضل من الفطر الا اذا لم يطق ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما في أوله ولا يوم يقدم اذا قدم صائما ﴿ وأما الفدية ﴾ فتجب على الحامل والمرضع اذا أفطرتا خوفا على ولديهما لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم اذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا ﴿ وأما السنن فست ﴾ تأخير السحور وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة وترك السواك بعد الزوال والجود في شهر رمضان لما سبق من فضائله في الزكاة ومدارسة القرآن والاعتكاف في المسجد لا سيما في العشر الأخير فهو عادة رسول الله ﷺ (١) كان اذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش وشد المئزر ودأب

(١) حديث كان اذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش الحديث متفق عليه من حديث عائشة ... من حديث أبي هريرة بنحوه

من التقوى فانجلى فيها صور الاشياء على هيئتها وماهيتها فبانت الدنيا بقبحها فرفضوها وظهرت الآخرة بحسنها فطلبوها فلما زهدوا في الدنيا انصبت الى بواطنهم أقسام العلوم انصبابا وانضاف الى علم الدراسة علم الوراثة (واعلم) ان كان حال شريف نعزوه الى الصوفية في هذا الكتاب هو حال المقرب والصوفي هو المقرب وليس في القرآن اسم الصوفي واسم الصوفي ترك ووضع للمقرب على ما سنشرح ذلك في بابه ولا يعرف في طرفي بلاد الاسلام شرقا وغربا هذا الاسم لأهل القرب وانما يعرف للمترسمين وكم من الرجال المقربين في بلاد المغرب وبلاد تركستان وما وراء النهر ولا يسمون صوفية لانهم لا يتزيون بزي

وأدأب أهله أى أداموا النصب فى العبادة اذفيها ليلة القدر والأغلب انها فى أوتار وأشبه الأوتار ليلة احدى وثلاث وخمس وسبع والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى فان نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة كما لو خرج لعيادة أو شهادة أو جنازة أو زيارة أو تجديد طهارة وان خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع وله أن يتوضأ فى البيت ولا ينبغى أن يعرج على شغل آخر كان ﷺ (١) لا يخرج الا لحاجة الانسان ولا يسأل عن المريض الامارا وينقطع التتابع بالجماع ولا ينقطع بالتقبيل ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح وبالأكل والنوم وغسل اليد فى الطست فكل ذلك قد يحتاج اليه فى التتابع ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه كان ﷺ (٢) يدنى رأسه فترجله عائشة رضى الله عنها وهى فى الحجرة ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فاذا عاد ينبغى أن يستأنف النية الا اذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا والأفضل مع ذلك التجديد

﴿ الفصل الثانى فى أسرار الصوم وشروطه الباطنة ﴾

اعلم أن الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص أما صوم العموم فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله وأما صوم الخصوص فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام وأما صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية ويحصل الفطر فى هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر وبالفكر فى الدنيا الا دنيا تراد للدين فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا حتى قال أرباب القلوب من تحركت همته بالتصرف فى نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل وقلة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين ولا يطول النظر فى تفصيلها قولا ولكن فى تحقيقها عملا فانه اقبال بكنه الهمة على الله عز وجل وانصراف عن غير الله سبحانه وتلبس بمعنى قوله عز وجل ﴿ قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون ﴾ وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو كف الجوارح عن الآثام وتمامه بستة أمور ﴿الأول﴾ غض البصر وكفه عن الاتساع فى النظر الى كل ما يذم ويكره والى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل قال ﷺ (٣) النظرة سهم مسموم من سهام ابليس لعنه الله فمن تركها خوفا من الله آتاه الله عز وجل ايمانا يجد حلاوته فى قلبه وروى جابر عن أنس عن رسول الله ﷺ (٤) أنه قال خمس يفطرن الصائم الكذب والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة ﴿الثانى﴾ حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء والزامه السكوت وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان وقد قال سفيان الغيبة تفسد الصوم رواه بشر بن الحرث عنه وروى ليث عن مجاهد خصلتان يفسدان الصيام الغيبة والكذب وقال ﷺ (٥) انما الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما فلا يرفث ولا يجهل وان امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل انى صائم انى صائم وجاء فى الخبر ان (٦) امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ فاجهدهما الجوع والعطش من آخر النهار حتى كادتا أن تتلفا فبعثتا الى رسول الله ﷺ يستأذنانه فى الافطار فأرسل اليهما قدحا وقال ﷺ قل لهما قيآ فيه ما أكلتما

عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر (١) حديث كان لا يخرج الا لحاجته ولا يسأل عن المريض الامارا متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثانى رواه أبو داود بنحوه بسند لين (٢) حديث كان يدنى رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها (٣) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس الحديث لك وصحح اسناده من حديث حذيفة (٤) حديث جابر عن أنس خمس يفطرن الصائم الحديث الازدى فى الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقول جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازى هذا كذاب (٥) حديث الصوم جنة فاذا كان أحدكم صائما الحديث أخرجاه من حديث أبى هريرة (٦) حديث أن امرأتين صامتا على عهد رسول الله ﷺ الحديث فى الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ

وغير ذلك من الكتب كلهم كانوا فى طريق المقربين وعلومهم علوم أحوال المقربين ومن تطلع الى مقام المقربين من جملة الابرار فهو متصوف مالم يتحقق بحالهم فاذا تحقق بحالهم صار صوفيا ومن عداهما ممن تميز بزى ونسب اليهم فهو متشبه وفوق كل ذى علم عليم

﴿الباب الثانى فى تخصيص الصوفية بحسن الاستماع﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردى املاء قال انا ابو منصور المقرى قال انا الامام الحافظ ابو بكر الخطيب قال انا ابو عمرو الهاشمى قال انا ابو على اللؤلؤى قال انا ابو داود السجستانى قال حدثنا مسدد قال حدثنا يحيى عن شعبة قال حدثنى عمر بن سليمان من ولد عمر بن الخطاب عن

فقاءت احداهما نصفه دما عبيطا ولحما غريضا وقاءت الأخرى مثل ذلك حتى ملأتاه فعجب الناس من ذلك فقال ﷺ هاتان صامتا عما أحل الله لهما وأفطرتا على ماحرم الله تعالى عليهما قعدت احداهما إلى الأخرى فجعلتا يغتابان الناس فهذا ما أكلتا من لحومهم (الثالث) كف السمع عن الاصغاء الى كل مكروه لأن كل ماحرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك سوى الله عزوجل بين المستمع وآكل السحت فقال تعالى (سماعون للكذب أكالون للسحت) وقال عزوجل (لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت) فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى (انكم اذا مثلهم) ولذلك قال ﷺ (١) المغتاب والمستمع شريكان في الاثم (الرابع) كف بقية الجوارح عن الآثام من اليد والرجل وعن المكاره وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام فمثال هذا الصائم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرا فان الطعام الحلال انما يضر بكثرته لا بنوعه فالصوم لتقليله وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره اذا عدل الى تناول السم كان سفيها والحرام سم مهلك للدين والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله وقد قال ﷺ (٢) كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش فقيل هو الذي يفطر على الحرام وقيل هو الذي يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام وقيل هو الذي لا يحفظ جوارحه عن الآثام (الخامس) أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلئ جوفه فما من وعاء أبغض الى الله عزوجل من بطن مليء من حلال وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة اذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره وربما يزيد عليه في ألوان الطعام حتى استمرت العادات بان تدخر جميع الاطعمة لرمضان فيؤكل من الاطعمة فيه مالا يؤكل في عدة أشهر ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى لتقوى النفس على التقوى واذا دفعت المعدة من ضحوة نهار الى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها وانبعث من الشهوات ماعساها كانت راكدة لو تركت على عادتها فروح الصوم وسره تضعيف القوى التي هي وسائل الشيطان في العود الى الشرور ولن يحصل ذلك الا بالتقليل وهو أن يأكل أكلته التي كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم فأما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى فيصفو عند ذلك قلبه ويستديم في كل ليلة قدرا من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر الى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التي ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى (انا أنزلناه في ليلة القدر) ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب مالم يخل همته عن غير الله عزوجل وذلك هو الامر كله ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام وسيأتي له مزيد بيان في كتاب الاطعمة ان شاء الله عزوجل (السادس) أن يكون قلبه بعد الافطار معلقا مضطربا بين الخوف والرجاء اذ ليس يدري أيقبل صومه فهو من المقربين أو يرد عليه فهو من الممقوتين وليكن كذلك في آخر كل عبادة يفرغ منها فقد روي عن الحسن بن أبي الحسن البصري أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال ان الله عزوجل جعل شهر رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا وتخلف أقوام فخابوا فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته أي كان سرور المقبول يشغله عن اللعب وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك وعن الاحنف بن قيس أنه قيل له

الحديث بسند فيه مجهول (١) حديث المغتاب والمستمع شريكان في الاثم غريب وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله ﷺ عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة (٢) حديث كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ن ه من حديث أبي هريرة

عبدالرحمن بن أبان عن أبيه عن زيد بن ثابت قال سمعت رسول الله ﷺ يقول نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو أفقه منه ورب حامل فقه وليس بفقيه أساس كل خير حسن الاستماع قال الله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم * يقول بعضهم علامة الخير في السماع أن يسمع العبد بفنائه أوصافه ونعوته ويسمعه بحق من حق وقال بعضهم لو علمهم أهلا للسماع لفتح آذانهم للاستماع فمن تملكته الوساوس وغلب على باطنه حديث النفس لا يقدر على حسن الاستماع فالصوفية وأهل القرب لما علموا ان كلام الله تعالى ورسائله الى عباده ومخاطباته اياهم رأوا كل آية من كلامه تعالى بحرا من أبحر العلم بما تضمن من ظاهر العلم وباطنه وجليه وخفيه وبابا من أبواب الجنة باعتبار ما تنبه أو تدعو اليه من العمل ورأوا كلام رسول الله ﷺ الذى

انك شيخ كبير وان الصيام يضعفك فقال انى أعده لسفر طويل والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه فهذه هي المعانى الباطنة فى الصوم فان قلت فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقهاء صومه صحيح فما معناه فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بادلة هى أضعف من هذه الادلة التى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة لاسيما الغيبة وأمثالها ولكن ليس الى فقهاء الظاهر من التكليفات الا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته فاما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الى المقصود ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عزوجل وهو الصمدية والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات انحط الى أسفل السافلين والتحق بغمار البهائم وكلما قمع الشهوات ارتفع الى أعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة مقربون من الله عزوجل والذى يقتدى بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله عزوجل كقربهم فان الشبيه من القريب قريب وليس القرب ثم بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم عند أرباب الألباب وأصحاب القلوب فاى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء مع الانهماك فى الشهوات الأخر طول النهار ولو كان لمثله جدوى فاى معنى لقوله ﷺ كم من صائم ليس له من صومه الا الجوع والعطش ولهذا قال أبو الدرداء ياحبذا نوم الاكياس وفطرهم كيف لا يعيبون صوم الحمقى وسهرهم ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين ولذلك قال بعض العلماء كم من صائم مفطر وكم من مفطر صائم والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الاكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات فقد وافق فى الظاهر العدد الا أنه ترك المهم وهو الغسل فصلاته مردودة عليه بجهله ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة فصلاته متقبلة ان شاء الله لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال ﷺ (١) ان الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته (٢) ولما تلا قوله عزوجل ﴿ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها﴾ وضع يده على سمعه وبصره فقال السمع أمانة والبصر أمانة ولولا أنه من أمانات الصوم لما قال ﷺ فليقل انى صائم أى انى أودعت لسانى لاحفظه فكيف أطلقه بجوابك فاذا قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة لان فى أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز الى غمار أرباب الالباب

﴿ الفصل الثالث فى التطوع بالصيام وترتيب الاوراد فيه ﴾

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة وبعضها يوجد فى كل شهر وبعضها فى كل أسبوع * اما فى السنة بعد أيام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر الاول من ذى الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم وهى أوقات فاضلة وكان رسول الله ﷺ (٣) يكثر صوم شعبان حتى كان يظن انه فى رمضان (٤) وفى الخبر أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله

(١) حديث انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث فى الامانة والصوم واسناده حسن (٢) حديث لما تلا قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر امانة د من حديث ابى هريرة دون قوله السمع امانة (٣) حديث كان يكثر صيام شعبان الحديث متفق عليه من حديث عائشة (٤) حديث افضل الصيام بعد شهر رمضان

الاستعداد للاستماع ورأوا ان حسن الاستماع قرع باب الملكوت واستنزال بركة الرغبوت والرهبوت ورأوا ان الوساوس ادخنة ثائرة من نار النفس الامارة بالسوء وقتام يتراكم من نفث الشيطان وان الحظوظ العاجلة والاقسام الدنيوية التى هى مناط الهوى ومثار الردى بمثابة الحطب الذى تزداد النار به تأججا وتزداد القلب به تحرجا فرفضوا الدنيا وزهدوا فيها فلما انقطعت عن نار النفس احطابها وفترت نيرانها وقل دخانها شهدت بواطنهم وقلوبهم مصادر العلوم فهيؤا مواردها بصفاء الفهوم فلما شهدوا سمعوا قال الله تعالى ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (قال الشبلى) رحمه الله

المحرم لانه ابتداء السنة فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته وقال ﷺ (١) صوم يوم من شهر حرام أفضل من ثلاثين من غيره وصوم يوم من رمضان أفضل من ثلاثين من شهر حرام (٢) وفي الحديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت كتب الله بكل يوم عبادة تسعمائة عام (٣) وفي الخبر اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما فان وصل شعبان برمضان فجائز فعل ذلك رسول الله ﷺ مرة (٤) وفصل مرارا كثيرة (٥) ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة الا أن يوافق وردا له وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهي بشهر رمضان فالأشهر الفاضلة ذو الحجة والمحرم ورجب وشعبان والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب واحد فرد وثلاثة سرد وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والايام المعلومات والمعدودات وذا القعدة من الاشهر الحرم وهو من أشهر الحج وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج (٦) وفي الخبر ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله عز وجل من أيام عشر ذي الحجة ان صوم يوم منه يعدل صيام سنة وقيام ليلة منه تعدل قيام ليلة القدر قيل ولا الجهاد في سبيل الله تعالى قال ولا الجهاد في سبيل الله عز وجل الا من عقر جواده واهريق دمه (وأما ما يتكرر) في الشهر فأول الشهر وأوسطه وآخره ووسطه الايام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر (وأما في الاسبوع) فالاثنين والخميس والجمعة فهذه هي الايام الفاضلة فيستحب فيها الصيام وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الاوقات * وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة وللسالكين فيه طرق فمنهم من كره ذلك اذ وردت أخبار تدل على كراهته (٧) والصحيح انه انما يكره لشيئين أحدهما ان لا يفطر في العيدين وايام التشريق فهو الدهر كله والآخر أن يرغب عن السنة في الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه مع ان الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب ان تؤتى عزائمه فاذا لم يكن شيء من ذلك ورأى صلاح نفسه في صوم الدهر فليفعل ذلك فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم وقال ﷺ (٨) فيما رواه أبو موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم وعقد تسعين ومعناه لم يكن له

شهر الله المحرم م من حديث أبي هريرة (١) حديث صوم يوم من شهر حرام افضل من صوم ثلاثين الحديث لم اجده هكذا وفي المعجم الصغير للطبراني من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما (٢) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت الحديث الازدي في الضعفاء من حديث انس (٣) حديث اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان الاربعة من حديث ابي هريرة حب في صحيحه عنه اذا كان النصف من شعبان فافطروا حتى يجيء رمضان وصححه ت (٤) حديث وصل شعبان برمضان مرة الاربعة من حديث ام سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان ود نحوه من حديث عائشة (٥) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا د من حديث عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يتحفظ من هلال شعبان ما لا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال اسناده صحيح و ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٦) حديث ما من ايام العمل فيهن افضل واحب الى الله من عشر ذي الحجة الحديث ت ه من حديث ابي هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند خ من حديث ابن عباس ما العمل في ايام افضل من العمل في هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء (٧) الاحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر خ م من حديث عبد الله ابن عمرو وفي حديث له لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث ابي قتادة قيل يا رسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا افطر ونحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبد الله بن الشخير (٨) حديث ابي موسى الاشعري من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين أحمد ن في الكبرى وحب وحسنه ابو علي الطوسي (١) حديث عرضت

احتشى بأشغال الدنيا حتى اذا حضر أمر من أمور الطاعة لم يدر صاحبه ما يصنع من شغل قلبه بالدنيا وقلب قد احتشى بأحوال الآخرة حتى اذا حضر امر من امور الدنيا لم يدر صاحبه ما يصنع لذهاب قلبه في الآخرة فانظر كم بين بركة تلك الافهام الثابتة وشؤم هذه الاشغال الفانية التي اقعدتك عن الطاعة قال بعضهم لمن كان له قلب سليم من الاغراض والامراض قال الحسين بن منصور لمن كان له قلب لا يخطر فيه الا شهود الرب وانشد

انعى اليك قلوبا طالما هطلت * سحائب الوحي فيها ابحر الحكم

* وقال ابن عطاء قلب لاحظ الحق بعين التعظيم * فذاب له وانقطع اليه عما سواه قال الواسطي اي لذكرى لقوم مخصوصين لا لسائر الناس لمن كان له

فيها موضع ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر بان يصوم يوما و يفطر يوما وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها وقد ورد في فضله أخبار كثيرة لان العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم فقد قال ﷺ (١) عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا وكنوز الارض فرددتها وقلت اجوع يوما واشبع يوما احمدك اذا شبعت وأتضرع اليك اذا جعت وقال ﷺ (٢) أفضل الصيام صوم أخي داود كان يصوم يوما و يفطر يوما ومن ذلك (٣) منازلته ﷺ لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما في الصوم وهو يقول اني اطيق اكثر من ذلك فقال ﷺ صم يوما وافطر يوما فقال اني أريد أفضل من ذلك فقال ﷺ لا أفضل من ذلك وقد روي أنه ﷺ (٤) ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان بل كان يفطر منه ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين واذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث وواقع في الاوقات الفاضلة وان صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث واذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في ان يفهم الانسان معنى الصوم وان مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل والفقيه بدقائق الباطن ينظر الى أحواله فقد يقتضي حاله دوام الصوم وقد يقتضي دوام الفطر وقد يقتضي مزج الافطار بالصوم واذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ولذلك روي أنه ﷺ (٥) كان يصوم حتى يقال لا يفطر و يفطر حتى يقال لا يصوم و ينام حتى يقال لا يقوم و يقوم حتى يقال لا ينام وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الاوقات وقد كره العلماء أن يوالي بين الافطار أكثر من أربعة أيام تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق وذكروا ان ذلك يقسي القلب و يولد رديء العادات و يفتح ابواب الشهوات ولعمري هو كذلك في حق اكثر الخلق لاسيما من يأكل في اليوم والليلة مرتين فهذا ما اردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوع به والله اعلم بالصواب * تم كتاب أسرار الصوم والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها وما لم نعلم على جميع نعمه كلها ما علمنا منها وما لم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم وعلى كل عبد مصطفى من أهل الارض والسماء * يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج والله المعين لا رب غيره وما توفيقي إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل

﴿كتاب أسرار الحج﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الذي جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا وأكرمه بالنسبة الى نفسه تشريفا وتحصينا ومنا وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد و بين العذاب ومجنا والصلاة على محمد نبي الرحمة وسيد الامة وعلى آله وصحبه قادة الحق وسادة الخلق وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه عبادة العمر وختام الامر وتمام الاسلام وكمال الدين فيه أنزل الله عز وجل قوله اليوم

على مفاتيح خزائن الدنيا الحديث ت من حديث ابي امامة بلفظ عرض على ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا وقال حسن (٢) حديث افضل الصيام صوم اخي داود الحديث أخرجاه من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وافطر يوما الحديث أخرجاه من حديثه (٤) حديث ما صام شهرا كاملا قط الا رمضان أخرجاه من حديث عائشة (٥) حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر الحديث اخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم و خ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيأ و يصوم حتى يظن ان لا يفطر منه شيأ وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته

﴿كتاب اسرار الحج﴾

قلب أي في الازل وهم الذين قال الله تعالى فيهم أومن كان ميتا فأحييناه وقال أيضا المشاهدة تذهل والهيبة تفهم لان الله تعالى اذا تجلى لشيء خضع له وخشع وهذا الذي قاله الواسطي صحيح في حق أقوام وهذه الآية تحكم بخلاف هذا لأقوام آخرين وهم أرباب التمكين يجمع لهم بين المشاهدة والفهم فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة وهو سمع القلب وموضع المشاهدة بصر القلب وللسمع حكمة وفائدة وللبصر حكمة وفائدة فمن هو في سكر الحال يغيب سمعه في بصره ومن هو في حال الصحو والتمكين لا يغيب سمعه في بصره لتملكه ناصية الحال ويفهم بالوعاء الوجودي المستعد لفهم المقال لان الفهم مورد الالهام والسماع والالهام يستدعيان وعاء وجوديا وهذا الوجود موهوب منشأ انشاء ثانيا للمتمكن في مقام

اكملت

أ كملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ وفيه قال ﷺ (١) من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوي تاركها اليهود والنصارى في الضلال وأجدر بها ان تصرف العناية الى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل في ثلاثة أبواب

﴿الباب الأول﴾ في فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق وجمل أركانها وشرائط وجوبها

﴿الباب الثاني﴾ في أعمالها الظاهرة على الترتيب في مبدا السفر إلى الرجوع

﴿الباب الثالث﴾ في آدابها الدقيقة وأسرارها الخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان

﴿الفصل الأول﴾ في فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال الى المساجد

﴿فضيلة الحج﴾

قال الله عز وجل ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ وقال قتادة لما أمر الله عز وجل ابراهيم ﷺ وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن في الناس بالحج نادى يا أيها الناس ان الله عز وجل بنى بيتا فحجوه وقال تعالى ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾ قيل التجارة في الموسم والاجر في الآخرة ولما سمع بعض السلف هذا قال غفر لهم ورب الكعبة وقيل في تفسير قوله عز وجل ﴿لأقعدن لهم صراطك المستقيم﴾ أي طريق مكة يقعد الشيطان عليها ليمنع الناس منها وقال ﷺ (٢) من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وقال أيضا ﷺ (٣) ما رؤى الشيطان في يوم أصغر ولا أدحر ولا أحقر ولا أغيظ منه يوم عرفة وما ذلك الا لما يرى من نزول الرحمة وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام اذ يقال (٤) ان من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة وقد أسنده جعفر بن محمد إلى رسول الله ﷺ وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن ابليس لعنة الله عليه ظهر له في صورة شخص بعرفة فاذا هو ناحل الجسم مصفر اللون باكي العين مقصوف الظهر فقال له ما الذي أبكى عينك قال خروج الحاج اليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزنني ذلك قال فما الذي أنحل جسمك قال صهيل الخيل في سبيل الله عز وجل ولو كانت في سبيلي كان أحب الي قال فما الذي غير لونك قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب الي قال فما الذي قصف ظهرك قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتي متى يعجب هذا بعمله أخاف ان يكون قد فطن وقال ﷺ (٥) من خرج من بيته حاجا أو معتمرا فمات اجرى له اجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات في إحدى الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة وقال ﷺ (٦) حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة وقال ﷺ (٧) الحجاج والعمار وفد الله عز وجل وزواره ان

---

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا عد من حديث ابي هريرة وت نحوه من حديث علي وقال غريب وفي اسناده مقال (٢) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه أخرجاه من حديث أبي هريرة (٣) حديث ما رؤى الشيطان في يوم هو أصغر الحديث مالك عن ابراهيم بن أبي عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا (٤) حديث من الذنوب ذنوبا لا يكفرها الا الوقوف بعرفة لم أجد له أصلا (٥) حديث من خرج من بيته حاجا أو معتمرا أجرالله اجر الحاج المعتمر الى يوم القيامة ومن مات في احد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة هق في الشعب بالشطر الاول من حديث أبي هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثاني نحوه وكلاهما ضعيف (٦) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة اخرجاه من حديث ابي هريرة الشطر الثاني بلفظ الحج المبرور وقال ان الحجة المبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة (٧) حديث الحجاج والعمار وفد الله وزواره الحديث ه من حديث ابي هريرة دون قوله وزواه ودون قوله ان سألوا اعطاهم وان شفعوا شفعوا وله من حديث

الصحو وهو غير الوجود الذي يتلاشى عنده لمعان نور المشاهدة لمن جاز على ممر الفناء الى مقار البقاء * وقال ابن سمعون ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب يعرف آداب الخدمة وآداب القلب وهي ثلاثة اشياء فالقلب اذا ذاق طعم العبادة عتق من رق الشهوة فمن وقف على شهوته وجد ثلث الادب ومن افتقر الى ما لم يجد من ادب بعد الاشتغال بما وجد فقد وجد ثلثي الادب والثالث امتلاء القلب بالذي بدا بالفضل عند الوفاء تفضلا فقد وجد كل الادب * قال محمد بن علي الباقر موت القلب من شهوات النفس فكلما رفض شهوات نال من الحياة بقسطها فالسماع للاحياء لا للاموات قال الله تعالى انك لا تسمع الموتى * قال سهل ابن عبد الله القلب رقيق تؤثر فيه الخطرات المذمومة وأثر القليل عليه كثير قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فالقلب عمال

سألوه أعطاهم وان استغفروه غفر لهم وان دعوا استجيب لهم وان شفعوا شفعوا وفى حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام (١) أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله تعالى لم يغفر له وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي ﷺ (٢) أنه قال ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة ستون للطائفين وأربعون للمصلين وعشرون للناظرين (٣) وفى الخبر استكثروا من الطواف بالبيت فانه من أجل شيء تجدونه فى صحفكم يوم القيامة وأغبط عمل تجدونه ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة (٤) وفى الخبر من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنبه ويقال ان الله عز وجل اذا غفر لعبد ذنبا فى الموقف غفره لكل من أصابه فى ذلك الموقف وقال بعض السلف اذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة وهو أفضل يوم فى الدنيا وفيه حج رسول الله ﷺ (٥) حجة الوداع وكان واقفا اذ نزل قوله عز وجل ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا﴾ قال أهل الكتاب لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد فقال عمر رضى الله عنه أشهد لقد أنزلت هذه الآية فى يوم عيدين اثنين يوم عرفة ويوم جمعة على رسول الله ﷺ وهو واقف بعرفة وقال ﷺ (٦) اللهم اغفر للحاج ولمن استغفر له الحاج وروى أن على بن موفق حج عن رسول الله ﷺ حججا قال فرأيت رسول الله ﷺ فى المنام فقال لى يا ابن موفق حججت عنى قلت نعم قال ولبيت عنى قلت نعم قال فانى أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك فى الموقف فأدخلك الجنة والخلائق فى كرب الحساب وقال مجاهد وغيره من العلماء ان الحجاج اذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الابل وصافحوا ركبان الحمر واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج مات شهيدا وقال عمر رضي الله عنه الحاج مغفور له ولمن يستغفر له فى شهر ذى الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول وقد كان من سنة السلف رضى الله عنهم أن يشيعوا الغزاة وأن يستقبلوا الحاج ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام ويروى عن على بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى فى مسجد الخيف فرأيت فى المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر فنادى أحدهما صاحبه يا عبد الله فقال الآخر لبيك يا عبد الله قال تدرى كم حج بيت ربنا عز وجل فى هذه السنة قال لا أدرى قال حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدرى كم قبل منهم قال لا قال ستة أنفس قال ثم ارتفعا فى الهواء فغابا عنى فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا وأهمنى أمرى فقلت اذا قبل حج ستة أنفس فأين أكون أنا فى ستة أنفس فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم فحملنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ثم قال أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة قال لا قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف وعنه أيضا رضي الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن

ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب (١) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة فظن أن الله لم يغفر له الخطيب فى المتفق والمفترق وأبو منصور شهردار بن شيرويه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف (٢) حديث ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة حب فى الضعفاء وهق فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر (٣) حديث استكثروا من الطواف بالبيت الحديث حب ولك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة وقال لك صحيح على شرط الشيخين (٤) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ما سلف من ذنوبه لم أجده هكذا وعند ت ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظ ت وحسنه (٥) حديث وقوفه فى حجة الوداع يوم الجمعة ونزول اليوم أكملت لكم دينكم الحديث أخرجاه من حديث عمر (٦) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج لك من

لا يفتر والنفس يقظانة لا ترقد فان كان العبد مستمعا الى الله تعالى والا فهو مستمع الى الشيطان والنفس فكل شىء سد باب الاستماع من حركة النفس وفى حركتها يطرق الشيطان (وقد ورد) لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم لنظروا الى ملكوت السموات * وقال الحسين بصائر المبصرين ومعارف العارفين ونور العلماء الربانيين وطرق السابقين الناجين والأزل والأبد وما بينهما من الحدث لمن كان له قلب أو ألقى السمع * وقال ابن عطاء هو القلب الذى يلاحظ الحق ويشاهده ولا يغيب عنه خطوة ولا فترة فيسمع به بل يسمع منه ويشهد به بل يشهده فاذا لاحظ القلب الحق بعين الجلال فزع وارتعد واذا طالعه بعين الجمال هدأ واستقر وقال بعضهم لمن كان له قلب بصير يقوى على التجرد بدمع الله تعالى والتفرد بذله حتى يخرج من الدنيا

لا يقبل

لا يقبل حجه فقلت اللهم انى قد وهبت حجتي وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته قال فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى ياعلى تتسخى علىّ وأنا خلقت السخاء والأسخياء وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين وأحق بالجود والكرم من العالمين قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته

﴿ فضيلة البيت ومكة المشرفة ﴾

قال ﷺ (١) ان الله عز وجل قد وعد هذا البيت أن يحجه فى كل سنة ستمائة ألف فان نقصوا أكملهم الله عز وجل من الملائكة وان الكعبة تحشر كالعروس المزفوفة وكل من حجها يتعلق باستارها يسعون حولها حتى تدخل الجنة فيدخلون معها (٢) وفى الخبر ان الحجر الأسود ياقوتة من يواقيت الجنة وانه يبعث يوم القيامة له عينان ولسان ينطق به يشهد لكل من استلمه بحق وصدق وكان ﷺ (٣) يقبله كثيرا وروى أنه ﷺ (٤) سجد عليه وكان يطوف على الراحلة فيضع المحجن عليه ثم يقبل طرف المحجن (٥) وقبله عمر رضى الله عنه ثم قال انى لأعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا انى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك ثم بكى حتى علا نشيجه فالتفت الى ورائه فرأى عليا كرم الله وجهه ورضى الله عنه فقال يا أبا الحسن ههنا تسكب العبرات وتستجاب الدعوات فقال على رضى الله عنه يا أمير المؤمنين بل هو يضر وينفع قال وكيف قال ان الله تعالى لما أخذ الميثاق على الذرية كتب عليهم كتابا ثم ألقمه هذا الحجر فهو يشهد للمؤمن بالوفاء ويشهد على الكافر بالجحود قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه ان صوم يوم فيها بمائة ألف يوم وصدقة درهم بمائة ألف درهم وكذلك كل حسنة بمائة ألف ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة (٦) وفى الخبر الصحيح عمرة فى رمضان كحجة معى وقال ﷺ (٧) أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ثم آتى أهل مكة فأحشر بين الحرمين وفى الخبر (٨) ان آدم ﷺ لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام وجاء فى الأثر ان الله عز وجل ينظر فى كل ليلة الى أهل الأرض فأول من ينظر اليه أهل الحرم وأول من ينظر اليه من أهل الحرم أهل المسجد الحرام فمن رآه طائفا غفر له ومن رآه مصليا غفر له ومن رآه قائما مستقبل الكعبة غفر له وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم قال انى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ورأيت عبادان ساجدة لجدة ويقال لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد واذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس

حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م (١) حديث ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه فى كل سنة ستمائة ألف الحديث لم أجد له أصلا (٢) حديث ان الحجر ياقوتة من يواقيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان الحديث ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقى الحديث رواه ت وحسنه و ه وحب و ك وصحح اسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث انس ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصحح اسناده ورواه ن حب ك من حديث عبد الله بن عمرو (٣) حديث انه ﷺ كان يقبله كثيرا اخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا و ن انه كان يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خاليا (٤) حديث انه كان يسجد عليه البزار و ك من حديث عمر وصحح اسناده (٥) حديث قبله عمر وقال انى لأعلم انك حجر اخرجاه دون الزيادة التى رواها على ورواه بتلك الزيادة ك وقال ليس من شرط الشيخين (٦) حديث عمرة فى رمضان كحجة معى اخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معى فهى عند مسلم على الشك تقضى حجة او حجة معى ورواه ك بزيادتها من غير شك (٧) حديث انا اول من تنشق عنه الأرض ثم آتى اهل البقيع فيحشرون معى الحديث ت وحسنه وحب من حديث ابن عمر (٨) حديث ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم الحديث رواه المفضل الجندى ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس وقال لا يصح

والخلق والنفس فلا يشتغل بغيره ولا يركن الى سواه فقلب الصوفي مجرد عن الاكوان ألقى سمعه وشهد بصره فسمع المسموعات وأبصر المبصرات وشاهد المشهودات لتخلصه الى الله تعالى واجتماعه بين يدى الله والاشياء كلها عند الله وهو عنده فسمع وشاهد فأبصر وسمع جملها ولم يسمع ويشاهد تفصيلها لان الجمل تدرك لسعة عين الشهود والتفاصيل لا تدرك لضيق وعاء الوجود والله تعالى هو العالم بالجمل والتفاصيل وقد مثل بعض الحكماء تفاوت الناس فى الاسماع وقال ان الباذر خرج ببذره فملأ منه كفه فوقع منه شىء على ظهر الطريق فلم يلبث أن انحط عليه الطير فاختطفه ووقع منه شىء على الصفوان وهو الحجر الاملس عليه تراب يسير وندى قليل فنبت حتى اذا وصلت عروقه الى الصفا لم تجد مساغا تنفذ فيه

لها أثراً وهذا اذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحد ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ثم يرجع الناس الى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله والساعة عند ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها وفي الخبر (١) استكثروا من الطواف بهذا البيت قبل أن يرفع فقد هدم مرتين ويرفع في الثالثة وروى عن على رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال الله تعالى (٢) اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتي فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره

﴿ فضيلة المقام بمكة حرسها الله تعالى وكراهيته ﴾

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة ﴿الأول﴾ خوف التبرم والانس بالبيت فان ذلك ربما يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج اذا حجوا ويقول يا أهل اليمن يمنكم ويا أهل الشام شامكم ويا أهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت ﴿الثانى﴾ تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود فان الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمناً أى يثوبون ويعودون اليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا وقال بعضهم تكون فى بلد وقلبك مشتاق الى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر وقال بعض السلف كم من رجل بخراسان وهو أقرب الى هذا البيت ممن يطوف به ويقال ان لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا الى الله عز وجل ﴿الثالث﴾ الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها فان ذلك مخطر وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع وروى عن وهيب بن الورد المكي قال كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والاستار يقول الى الله أشكو ثم اليك يا جبريل ما ألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم لئن لم ينتهوا عن ذلك لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى الى الجبل الذى قطع منه وقال ابن مسعود رضى الله عنه مامن بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة وتلا قوله تعالى ﴿ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب أليم﴾ أى انه على مجرد الارادة ويقال ان السيآت تضاعف بها كما تضاعف الحسنات وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول الاحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم وقيل الكذب أيضا وقال ابن عباس لان أذنب سبعين ذنبا بركية أحب الى من أن أذنب ذنبا واحدا بمكة وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين الى انه لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج الى الحل عند قضاء الحاجة وبعضهم أقام شهرا وما وضع جنبه على الأرض وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة ولا تظنن ان كراهة المقام يناقض فضل البقعة لان هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع فمعنى قولنا ان ترك المقام به أفضل أى بالاضافة الى مقام مع التقصير والتبرم أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مكة استقبل الكعبة وقال (٣) انك لخير أرض الله عز وجل وأحب بلاد الله تعالى الىّ ولولا أنى أخرجت منك لما خرجت وكيف لا والنظر الى البيت عبادة والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه

﴿ فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد ﴾

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فالأعمال فيها أيضا مضاعفة قال صلى الله عليه وسلم (٤) صلاة فى مسجدى

ورواه الازرقى فى تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس (١) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت الحديث البزار وحب وك وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة (٢) حديث قال الله اذا اردت ان اخرب الدنيا بدات ببيتي فخربته ثم اخرب الدنيا على اثره ليس له اصل (٣) حديث انك لخير ارض الله واحب بلاد الله الى الله ولولا انى اخرجت منك ماخرجت ت وصححه ون فى الكبرى وه وحب من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء (٤) حديث صلاة فى مسجدى

فيبس ووقع منه شيء فى أرض طيبة فيها شوك نابت فنبت فلما ارتفع خنقه الشوك فافسده واختلط به ووقع منه شيء على أرض طيبة ليست على ظهر الطريق ولا على الصفوان ولا فيها شوك فنبت ونما وصلح فمثل الباذر مثل الحكيم ومثل البذر كمثل صواب الكلام ومثل ماقع على ظهر الطريق مثل الرجل يسمع الكلام وهو لا يريد أن يسمعه فما يلبث الشيطان أن يختطفه من قلبه فينساه ومثل الذى وقع على الصفوان مثل الرجل يستمع الكلام فيستحسنه ثم تفضى الكلمة الى قلب ليس فيه عزم على العمل فينسخ من قلبه ومثل الذى وقع فى أرض طيبة فيها شوك مثل الرجل يسمع الكلام وهو ينوى أن يعمل به فاذا اعترضت له الشهوات قيدته عن النهوض بالعمل فيترك مانوى عمله لغلبة الشهوة كالزرع يختنق بالشوك ومثل الذى

هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وكذلك كل عمل بالمدينة بألف وبعد مدينته الأرض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام وكذلك سائر الاعمال وروى ابن عباس عن النبي ﷺ (١) أنه قال صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة وقال ﷺ (٢) من صبر على شدتها ولأوائها كنت له شفيعا يوم القيامة وقال ﷺ (٣) من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم ولذلك قال ﷺ (٤) لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى وقد ذهب بعض العلماء الى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء وما تبين لى أن الأمر كذلك بل الزيارة مأمور بها قال ﷺ (٥) كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها ولا تقولوا هجرا والحديث انما ورد فى المساجد وليس فى معناها المشاهد لان المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة الى مسجد آخر وأما المشاهد فلا تتساوى بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال الى موضع فيه مسجد وينتقل اليه بالكلية إن شاء ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال الى قبور الأنبياء عليهم السلام مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة فاذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه اذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه فان لم يسلم فيطلب من المواضع ما هو أقرب الى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة فهو أفضل المواضع له قال ﷺ (٦) البلاد بلاد الله عز وجل والخلق عباده فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم واحمد الله تعالى وفى الخبر (٧) من بورك له فى شىء فيلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه وقال أبو نعيم رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده فقلت الى أين يا أبا عبد الله قال الى بلد أملأ فيه جرابى بدرهم وفى حكاية أخرى بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها قال فقلت وتفعل هذا يا أبا عبد الله فقال نعم اذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك وكان يقول هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية الى قرية يفر بدينه من الفتن ويحكى عنه أنه قال والله ما أدرى أى البلاد أسكن فقيل

هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام متفق عليه من حديث أبى هريرة ورواه م من حديث ابن عمر (١) حديث ابن عباس صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة غريب لم أجده بجملته هكذا و ه من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت المقدس ائتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة فى غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين الف صلاة ليس فى إسناده من ضعف وقال الذهبى انه منكر (٢) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة م من حديث أبى هريرة وابن عمر وأبى سعيد (٣) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث ت ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح (٤) حديث لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد الحديث متفق عليه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد (٥) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب (٦) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف (٧) حديث من رزق فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه ه من حديث أنس بالجملة الاولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ اذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له

وقع فى أرض طيبة مثل المستمع الذى ينوى عمله فيفهمه ويعمل به ويجانب هواه وهذا الذى جانب الهوى واتبعت سبيل الهدى هو الصوفى لان للهوى حلاوة والنفس اذا تشربت حلاوة الهوى فهى تركن اليه وتستلذه واستلذاذ الهوى هو الذى يخنق النبت كالشوك وقلب الصوفى نازله حلاوة الحب الصافى والحب الصافى تعلق الروح بالحضرة الالهية ومن قوة انجذاب الروح الى الحضرة الالهية بداعية الحب تستتبع القلب والنفس وحلاوة الحب للحضرة الالهية تغلب حلاوة الهوى لان حلاوة الهوى كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار لكونها لا ترتقى عن حد النفس وحلاوة الحب كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء لانها متأصلة فى الروح فرعها عند الله تعالى وعروقها ضاربة فى أرض النفس فاذا سمع الكلمة من القرآن أو من كلام رسول الله صلى الله

لهخراسان فقال مذاهب مختلفة وآراء فاسدة قيل فالشام قال يشار اليك بالاصابع أراد الشهرة قيل فالعراق قال بلد الجبابرة قيل مكة قال مكة تذيب الكيس والبدن وقال له رجل غريب عزمت على المجاورة بمكة فأوصني قال أوصيك بثلاث لا تصلين فى الصف الأوّل ولا تصحبن قرشيا ولا تظهرن صدقة وانما كره الصف الأوّل لانه يشتهر فيفتقد اذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

﴿ الفصل الثانى فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته ﴾

﴿ أما الشرائط ﴾ فشرط صحة الحج اثنان الوقت والاسلام فيصح حج الصبي ويحرم بنفسه ان كان مميزا ويحرم عنه وليه ان كان صغيرا ويفعل به ما يفعل فى الحج من الطواف والسعي وغيره وأما الوقت فهو شوّال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة الى طلوع الفجر من يوم النحر لمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة وجميع السنة وقت العمرة ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغي أن يحرم بالعمرة لانه لا يتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى ﴿ وأما شروط وقوعه من حجة الاسلام فخمسة ﴾ الاسلام والحرية والبلوغ والعقل والوقت فان أحرم الصبي أو العبد ولكن عتق العبد وبلغ الصبي بعرفة أو بمزدلفة وعاد الى عرفة قبل طلوع الفجر أجزأهما عن حجة الاسلام لان الحج عرفة وليس عليهما دم إلا شاة وتشترط هذه الشرائط فى وقوع العمرة عن فرض الاسلام إلا الوقت ﴿ وأما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ ﴾ فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام فحج الاسلام متقدم ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف٧ ثم النذر ثم النيابة ثم النفل وهذا الترتيب مستحق وكذلك يقع وان نوى خلافه ﴿ وأما شروط لزوم الحج فخمسة ﴾ البلوغ والاسلام والعقل والحرية والاستطاعة ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج ﴿ وأما الاستطاعة فنوعان ﴾ أحدهما المباشرة وذلك له أسباب أما فى نفسه فبالصحة وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلا بحر مخطر ولا عدو قاهر وأما فى المال فبأن يجد نفقة ذهابه وإيابه الى وطنه كان له أهل أو لم يكن لان مفارقة الوطن شديدة وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة وأن يملك ما يقضى به ديونه وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة ان استمسك على الزاملة *وأما النوع الثانى فاستطاعة المعضوب بماله وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع والابن اذا عرض طاعته على الأب الزمن صار به مستطيعا ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا لان الخدمة بالبدن فيها شرف للولد وبذل المال فيه منة على الوالد ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ولكنه فيه على خطر فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه وان مات قبل الحج لقى الله عزوجل عاصيا بترك الحج وكان الحج فى تركته يحج عنه وان لم يوص كسائر ديونه وان استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقى الله عزوجل ولا حج عليه ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى قال عمر رضى الله عنه لقد هممت أن أكتب فى الأمصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع اليه سبيلا وعن سعيد ابن جبير وابراهيم النخعي ومجاهد وطاوس لو علمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ما صليت عليه وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه وكان ابن عباس يقول من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا وقرأ قوله عزوجل رب ارجعون لعلى أعمل صالحا فيما تركت قال الحج ﴿ وأما الأركان التي لا يصح الحج بدونها فخمسة ﴾ الاحرام والطواف والسعي بعده والوقوف بعرفة والحلق بعده على قول وأركان العمرة كذلك إلا الوقوف والواجبات المجبورة بالدم ست الاحرام من الميقات فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة والرمى فيه الدم قولا واحدا وأما الصبر بعرفة الى غروب الشمس والمبيت بمزدلفة والمبيت بمنى وطواف الوداع فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب ﴿ وأما وجوه أداء الحج والعمرة

٧ (قوله فى حالة الوقوف) هكذا با لنسخ وفى نسخة الشارح الرق وهى أظهر فان الرقيق اذا أفسد حجه وهو رقيق ثم عتق ثم حج انصرف حجه للقضاء ولا يجزيه عن حجة الاسلام تأمل اه مصححه

أظن لمياء جرت فيك اردانا فتعمه الكلمة وتشمله وتصير كل شعرة منه سمعا وكل ذرة منه بصرا فيسمع الكل بالكل ويبصر الكل بالكل ويقول ان تأملتكم فكلي عيون * أو تذكرتكم فكلي قلوب قال الله تعالى فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب قال بعضهم اللب والعقل مائة جزء تسعة وتسعون فى النبي صلى الله عليه وسلم وجزء فى سائر المؤمنين والجزء الذى فى سائر المؤمنين أحد وعشرون سهما فسهم يتساوى المؤمنون كلهم فيه وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وعشرون جزأ يتفاضلون فيها على مقادير حقائق إيمانهم قيل فى هذه

فثلاثة

فثلاثة) الأول الافراد وهو الأفضل وذلك أن يقدم الحج وحده فاذا فرغ خرج الى الحل فأحرم واعتمر وأفضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وليس على المفرد دم الا أن يتطوع * الثاني القران وهو أن يجمع فيقول لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ويكفيه أعمال الحج وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل الا أنه اذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين وأما طوافه فغير محسوب لان شرط طواف الفرض في الحج أن يقع بعد الوقوف وعلى القارن دم شاة الا أن يكون مكيا فلا شيء عليه لانه لم يترك ميقاته اذ ميقاته مكة * الثالث التمتع وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات الى وقت الحج ثم يحرم بالحج ولا يكون متمتعا الا بخمس شرائط * أحدها أن لا يكون من حاضري المسجد الحرام وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة * الثاني أن يقدم العمرة على الحج * الثالث أن تكون عمرته في أشهر الحج * الرابع أن لا يرجع الى ميقات الحج ولا الى مثل مسافته لاحرام الحج * الخامس أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد فاذا وجدت هذه الاوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة وسبعة اذا رجع الى الوطن وان لم يصم الثلاثة حتى رجع الى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا وبدل دم القران والتمتع سواء والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران (وأما محظورات الحج والعمرة فستة) الاول اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة بل ينبغي أن يلبس ازارا ورداء ونعلين فان لم يجد نعلين فكمبين فان لم يجد ازارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال في المحمل ولكن لا ينبغي أن يغطي رأسه فان احرامه في الرأس وللمرأة أن تلبس كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فان احرامها في وجهها * الثاني الطيب فليجتنب كل ما يعده العقلاء طيبا فان تطيب أو لبس فعليه دم شاة * الثالث الحلق والقلم وفيهما الفدية أعني دم شاة ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر * الرابع الجماع وهو مفسد قبل التحلل الاول وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه وان كان بعد التحلل الاول لزمه البدنة ولم يفسد حجه * الخامس مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التي تنقض الطهر مع النساء فهو محرم وفيه شاة وكذا في الاستمناء ويحرم النكاح والانكاح ولا دم فيه لانه لا ينعقد * السادس قتل صيد البر أعني ما يؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعي فيه التقارب في الخلقة وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

(الباب الثاني في ترتيب الاعمال الظاهرة من أول السفر الى الرجوع وهي عشرة جمل)

(الجملة الاولى في السير من أول الخروج الى الاحرام وهي ثمانية)

(الاولى في المال) فينبغي أن يبدأ بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته الى وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودائع ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وايابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع في الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ويتصدق بشيء قبل خروجه ويشتري لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف أو يكتريها فان اكترى فليظهر للمكاري كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه (الثانية في الرفيق) ينبغي أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ان نسي ذكره وان ذكر أعانه وان جبن شجعه وان عجز قواه وان ضاق صدره صبره ويودع رفقاءه المقيمين واخوانه وجيرانه فيودعهم ويلتمس ادعيتهم فان الله تعالى جاعل في ادعيتهم خيرا والسنة في الوداع ان يقول(١) أستودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلى الله عليه وسلم (٢) يقول لمن أراد السفر في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما كنت (الثالثة في الخروج من الدار) ينبغي اذا هم بالخروج أن يصلي ركعتين أولا يقرأ في الاولى بعد الفاتحة

(الباب الثاني في ترتيب الافعال الظاهرة)

(١) حديث استودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك د ت وصححه ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل اذا أراد سفرا أدن مني حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا (٢) حديث كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن أراد سفرا في حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت

الآية اظهار فضيلة رسول الله صلى الله عليه وسلم أي الاحسن ما يأتي به لانه لما وقعت له هيبة التمكين ومقارنة الاستقرار قبل خلق الكون ظهرت عليه الانوار في الاحوال كلها وكان معه أحسن الخطاب وله السبق في جميع المقامات ألا تراه صلى الله عليه وسلم يقول نحن الآخرون السابقون يعني الآخرون وجودا السابقون في الخطاب الاول في الفضل في محل القدس وقال تعالى يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم * قال الجنيدي تنسموا روح مادعاهم اليه فاسرعوا إلى محو العلائق المشغلة وهجموا بالنفوس على معانقة الحذر وتجرعوا مرارة المكابدة وصدقوا الله في المعاملة وأحسنوا الأدب فيما توجهوا اليه وهانت عليهم المصائب وعرفوا قدر ما يطلبون وسجنوا اهممهم عن التفلت إلى مذكور سوى وليهم لحيوا حياة الابد بالحي الذي لم يزل ولا يزال (وقال الواسطي) رحمه الله

قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الاخلاص فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن اخلاص صاف ونية صادقة وقال اللهم أنت الصاحب فى السفر وأنت الخليفة فى الاهل والمال والولد والاصحاب احفظنا واياهم من كل آفة وعاهة اللهم إنا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ماترضى اللهم إنا نسألك أن تطوى لنا الارض وتهون علينا السفر وأن ترزقنا فى سفرنا سلامة البدن والدين والمال وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد ﷺ اللهم انا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلنا واياهم فى جوارك ولا تسلبنا واياهم نعمتك ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك ﴿الرابعة﴾ اذا حصل على باب الدار قال بسم الله توكلت على الله لاحول ولا قوة إلا بالله رب أعوذ بك أن أضل أو أضل أو أذل أو أذل أو أزل أو أزل أو أظلم أو ظلم أو أجهل أو يجهل على اللهم انى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الى لقائك فاذا مشى قال اللهم بك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت اللهم أنت ثقتي وانت رجائى فاكفنى ما أهمنى ومالا اهتم به وما أنت أعلم به منى عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك اللهم زودنى التقوى واغفرلي ذنبى ووجهني للخير أينما توجهت ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه ﴿الخامسة فى الركوب﴾ فاذا ركب الراحلة يقول بسم الله وبالله والله أكبر توكلت على الله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم انى وجهت وجهى اليك وفوضت أمرى كله اليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك أنت حسبي ونعم الوكيل فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله والحمد لله ولا اله إلا الله والله أكبر سبع مرات وقال الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الامور ﴿السادسة فى النزول﴾ والسنة أن لا ينزل حتي يحمى النهار ويكون أكثر سيره بالليل قال ﷺ [1] عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ومهما أشرف على المنزل فليقل اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الارضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار وما جرين أسألك خير هذا المنزل وخير أهله وأعوذ بك من شره وشر ما فيه اصرف عنى شر شرارهم فاذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال أعوذ بكلمات الله التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق فاذا جن عليه الليل يقول يا أرض ربى وربك الله أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب عليك أعوذ بالله من شر كل اسد وأسود وحية وعقرب ومن شر ساكن البلد ووالد وما ولد وما سكن فى الليل والنهار وهو السميع العليم ﴿السابعة فى الحراسة﴾ ينبغي ان يحتاط بالنهار فلا يمشى منفردا خارج القافلة لانه ربما يغتال أو ينقطع ويكون بالليل متحفظا عند النوم [2] فان نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه وان نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه في كفه هكذا كان ينام رسول الله ﷺ فى سفره لانه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لا يدرى فيكون ما يفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج والاحب فى الليل [3] أن يتناوب الرفيقان فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة فان قصده عدو أو سبع فى ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين وليقل بسم الله

الطبرانى فى الدعاء من حديث انس وهو عند ت وحسنه دون قوله فى حفظ الله وكنفه (١) حديث عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار د من حديث انس دون قوله مالا تطوى بالنهار وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا (٢) حديث كان إذا نام فى أول الليل افترش ذراعه واذا نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه فى كفه أحمد وت فى الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى م ولم أره فيه (٣) حديث تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر هق من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى اى الليل احب اليك ان اكفيكه اوله او آخره فقال بل اكفنى اوله فاضطجع المهاجرى الحديث والحديث عند ابى

النفوس بمتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة القلوب بمشاهدة الغيوب وهو الحياء من الله تعالى برؤية التقصير (وقال ابن عطاء) فى هذه الآية الاستجابة على أربعة أوجه أولها اجابة التوحيد والثانى إجابة التحقيق والثالث إجابة التسليم والرابع إجابة التقريب فالاستجابة على قدر السماع والسماع من حيث الفهم والفهم على قدر المعرفة بقدر الكلام والمعرفة بالكلام على قدر المعرفة والعلم بالمتكلم ووجوه الفهم لا تنحصر لان وجوه الكلام لا تنحصر قال الله تعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى فلله تعالى فى كل كلمة من القرآن كلماته التي ينفد البحر دون نفادها

ماشاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله ماشاء الله لا يأتي بالخير الا الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله حسبي الله وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملجأ كتب الله لأغلبن أنا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام واكنفنا بركنك الذي لا يرام اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلا نهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وامائك برأفة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين ﴿الثامنة﴾ مهما علا نشزا من الأرض في الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ثم يقول اللهم لك الشرف على كل شرف ولك الحمد على كل حال ومهما هبط سبح ومهما خاف الوحشة في سفره قال سبحان الله الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات بالعزة والجبروت

﴿الجملة الثانية في آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهي خمسة﴾

﴿الأول﴾ أن يغتسل وينوي به غسل الاحرام أعني اذا انتهى الى الميقات المشهور الذي يحرم الناس منه ويتمم غسله بالتنظيف ويسرح لحيته ورأسه ويقلم أظفاره ويقص شاربه ويستكمل النظافة التي ذكرناها في الطهارة ﴿الثاني﴾ أن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبي الاحرام فيرتدي ويتزر بثوبين أبيضين فالابيض هو أحب الثياب الى الله عزوجل ويتطيب في ثيابه وبدنه ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام[1] فقد رؤي بعض المسك على مفرق رسول الله ﷺ بعد الاحرام مما كان استعمله قبل الاحرام ﴿الثالث﴾ أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته ان كان راكبا أو يبدأ بالسير ان كان راجلا فعند ذلك ينوي الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو افرادا كما أراد ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك وان زاد قال لبيك وسعديك والخير كله بيديك والرغباء اليك لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ﴿الرابع﴾ اذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول اللهم اني أريد الحج فيسره لي وأعني على أداء فرضه وتقبله مني اللهم اني نويت أداء فريضتك في الحج فاجعلني من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك واجعلني من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم اللهم فيسر لي أداء ما نويت من الحج اللهم قد أحرم لك لحمي وشعري ودمي وعصبي ومخي وعظامي وحرمت على نفسي النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التي ذكرناها من قبل فليجتنبها ﴿الخامس﴾ يستحب تجديد التلبية في دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق وعند اجتماع الناس وعند كل صعود وهبوط وعند كل ركوب ونزول رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولا ينبهر[2] فانه لا ينادي أصم ولا غائبا كما ورد في الخبر ولا بأس برفع الصوت بالتلبية في المساجد الثلاثة فانها مظنة المناسك أعني المسجد الحرام ومسجد الخيف ومسجد الميقات وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت وكان ﷺ[3] اذا أعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة

﴿الجملة الثالثة في آداب دخول مكة الى الطواف وهي ستة﴾

الأول أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة ﴿الأول﴾ للاحرام من الميقات ثم لدخول مكة ثم لطواف القدوم ثم للوقوف بعرفة ثم للوقوف بمزدلفة ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث ولا غسل لرمي جمرة العقبة ثم لطواف الوداع ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة

داود لكن ليس فيه قول الانصاري للمهاجري (١) حديث رؤية وبيص المسك على مفرق رسول الله ﷺ بعد الاحرام متفق عليه من حديث عائشة قالت كأنما أنظر الى وبيص المسك الحديث (٢) حديث انكم لا تنادون أصم ولا غائبا متفق عليه من حديث أبي موسى (٣) حديث كان اذا أعجبه شيء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة الشافعي في المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من

شيخنا أبو النجيب السهروردي قال أنبأنا الرئيس أبو علي بن نبهان قال أنبأنا الحسن بن شاذان قال أنا دعلج بن أحمد قال أنا أبو الحسن ابن عبد العزيز البغوي قال أنا أبو عبيد بن القاسم ابن سلام قال حدثنا حجاج عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن الحسن يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قال ما نزل من القرآن آية الا ولها ظهر وبطن ولكل حرف حد ولكل حد مطلع قال فقلت يا أبا سعيد ما المطلع قال يطلع قوم يعملون به قال أبو عبيد أحسب أن قول الحسن هذا انما ذهب الى قول عبد الله ابن مسعود قال أبو عبيد حدثني حجاج عن شعبة عن عمرو بن مرة عن مرة عن عبد الله بن مسعود قال ما من حرف أو آية الا وقد عمل بها قوم أولها قوم سيعملون بها فالمطلع المصعد يصعد اليه من معرفة علمه فيكون المطلع الفهم بفتح

ولطواف الوداع فتعود الى سبعة ﴿الثانى﴾ أن يقول عند الدخول فى أول الحرم وهو خارج مكة اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمى ودمى وشعري وبشرى على النار وآمنى من عذابك يوم تبعث عبادك واجعلنى من أوليائك وأهل طاعتك ﴿الثالث﴾ أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف عدل رسول الله ﷺ (١) من جادة الطريق اليها فالتأسى به أولى واذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهى الثنية السفلى والاولى هى العليا ﴿الرابع﴾ اذا دخل مكة وانتهى الى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت فليقل لا إله إلا الله والله أكبر اللهم أنت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه براو كرامة اللهم افتح لى أبواب رحمتك وأدخلنى جنتك وأعذنى من الشيطان الرجيم ﴿الخامس﴾ اذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بنى شيبة وليقل بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفى سبيل الله وعلى ملة رسول الله ﷺ فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم انى أسألك فى مقامى هذا فى أول مناسكى أن تتقبل توبتى وأن تتجاوز عن خطيئتى وتضع عنى وزرى الحمد لله الذى بلغنى بيته الحرام الذى جعله مثابة للناس وأمنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم انى عبدك والبلد بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك الراجى لرحمتك الطالب مرضاتك ﴿السادس﴾ أن تقصد الحجر الأسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول اللهم أمانتى أديتها وميثاقى وفيته اشهد لى بالموافاة فان لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم الا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف

﴿الجملة الرابعة فى الطواف﴾

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وإما لغيره فينبغى أن يراعى أمورا ستة ﴿الاول﴾ أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام وليضطبع قبل ابتداء الطواف وهو أن يجعل وسط ردائه تحت ابطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ويشتغل بالادعية التى سنذكرها ﴿الثانى﴾ اذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره وليقف عند الحجر الاسود وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ولكيلا يكون طائفا على الشاذروان فانه من البيت وعند الحجر الاسود قد يتصل الشاذروان بالارض ويلتبس به والطائف عليه لا يصح طوافه لانه طائف فى البيت والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ثم من هذا الموقف يبتدئ الطواف ﴿الثالث﴾ أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف بسم الله والله أكبر اللهم ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد ﷺ ويطوف فأول ما يجاوز الحجر ينتهى الى باب البيت فيقول اللهم هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الامن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار وعند ذكر المقام يشير بعينه الى مقام ابراهيم عليه السلام اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين فاعذنى من النار ومن الشيطان الرجيم وحرم لحمى ودمى على النار وآمنى من أهوال يوم القيامة واكفنى مؤنة الدنيا والآخرة ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقى فعنده يقول اللهم انى أعوذ بك من

حديث ابن عباس ان رسول الله ﷺ وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال انما الخير خير الآخرة (١) حديث دخول رسول الله ﷺ من ثنية كداء بفتح الكاف متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله

والبطن تأويله وقيل الظهر صورة القصة مما أخبر الله تعالى عن غضبه على قوم وعقابه إياهم فظاهر ذلك اخبار عنهم وباطنه عظة وتنبيه لمن يقرأ ويسمع من الامة وقيل ظاهره تنزيله الذى يجب الايمان به وباطنه وجوب العمل به وقيل ظهره تلاوته كما أنزل قال الله تعالى ورتل القرآن ترتيلا وباطنه التدبر والتفكر فيه قال الله تعالى كتاب أنزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الالباب وقيل قوله لكل حرف حد أى فى التلاوة لا يجاوز المصحف الذى هو الامام وفى التفسير لا يجاوز المسموع المنقول وفرق بين التفسير والتأويل فالتفسير علم نزول الآية وشأنها وقصتها والاسباب الذى نزلت

الشرك

الشرك والشك والكفر والنفاق والشقاق وسوء الأخلاق وسوء المنظر في الأهل والمال والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لا ظل إلا ظلك اللهم اسقني بكاس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبدا فاذا بلغ الركن الشامى قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم فاذا بلغ الركن اليمانى قال اللهم إنى أعوذ بك من الكفر وأعوذ بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات وأعوذ بك من الخزى فى الدنيا والآخرة ويقول بين الركن اليمانى والحجر الأسود اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار فاذا بلغ الحجر الأسود قال اللهم اغفرلى برحمتك أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر وضيق الصدر وعذاب القبر وعند ذلك قد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية فى كل شوط ﴿الرابع﴾ أن يرمل فى ثلاثة أشواط ويمشى فى الأربعة الأخر على الهيئة المعتادة ومعنى الرمل الاسراع فى المشى مع تقارب الخطا وهو دون العدو وفوق المشى المعتاد والمقصود منه ومن الاضطباع إظهار الشطارة والجلادة والقوة هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة [(١)] والأفضل الرمل مع الدنو من البيت فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل فليخرج الى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ثم ليقرب الى البيت فى المزدحم وليمش أربعا وان أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب وان منعه الزحمة أشار باليد وقبل يده وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان وروى انه ﷺ [(٢)] كان يستلم الركن اليمانى ويقبله [(٣)] ويضع خده عليه [(٤)] ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى ﴿الخامس﴾ اذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم وهو بين الحجر والباب وهو موضع استجابة الدعوة وليلتزق بالبيت وليتعلق بالأستار وليلصق بطنه بالبيت وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه وليقل اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم وأعذنى من كل سوء وقنعني بما رزقتني وبارك لى فيما آتيتني اللهم ان هذا البيت بيتك والعبد عبدك وهذا مقام العائذ بك من النار اللهم اجعلني من أكرم وفدك عليك ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه * كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى ﴿السادس﴾ اذا فرغ من ذلك ينبغي أن يصلى خلف المقام

ﷺ اذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التي بالبطحاء الحديث (١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله ﷺ وأصحابه فقال المشركون انه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الأشواط الثلاثة الحديث وأما اضطباع فروى د ه ك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لا ندع شيأ كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حديث استلامه ﷺ للركن اليمانى متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله ﷺ حين يقدم مكة اذا استلم الركن الأسود الحديث ولهما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الأركان إلا اليمانيين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى اذا أتيت البيت معه استلم الركن (٣) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا أنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ما قبلتك وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا استلم الركن اليمانى قبله (٤) حديث وضع الخد عليه قط ك من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى الحديث قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله بن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور

فيها وهذا محظور على الناس كافة القول فيه إلا بالسماع والأثر وأما التأويل فصرف الآية الى معنى محتمله اذا كان المحتمل الذى يراه يوافق الكتاب والسنة فالتأويل يختلف باختلاف حال المؤول على ما ذكرناه من صفاء الفهم ورتبة المعرفة ومنصب القرب من الله تعالى (قال أبو الدرداء) لا يفقه الرجل كل الفقه حتى يرى للقرآن وجوها كثيرة لما أعجب قول عبد الله بن مسعود ما من آية إلا ولها قوم سيعملون بها وهذا الكلام محرض لكل طالب صاحب همة أن يصغى موارد الكلام ويفهم دقيق معانيه وغامض أسراره من قلبه فالصوفى بكمال الزهد فى الدنيا وتجريد القلب عما سوى الله تعالى مطلع من كل آية وله بكل مرة فى التلاوة مطلع جديد وفهم عتيد وله بكل فهم عمل جديد ففهمهم يدعو الى العمل وعملهم

يجلب صفاء الفهم ودقيق النظر فى معانى الخطاب فمن الفهم علم ومن العلم عمل والعلم والعمل يقترنان فيه وهذا

ركعتين يقرأ فى الاولى قل يا أيها الكافرون وفى الثانية الاخلاص وهما ركعتا الطواف قال الزهرى (١) مضت السنة أن يصلى لكل سبع ركعتين وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز (٢) فعل ذلك رسول الله ﷺ وكل أسبوع طواف وليدع بعد ركعتى الطواف وليقل اللهم يسرلى اليسرى وجنبنى العسرى واغفرلى فى الآخرة والاولى واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك وأعنى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك واجعلنى ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين اللهم حببنى الى ملائكتك ورسلك والى عبادك الصالحين اللهم فكما هديتنى الى الاسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك وأجرنى من مضلات الفتن ثم ليعد الى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف قال ﷺ (٣) من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة وهذه كيفية الطواف والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت وأن يبتدئ بالحجر الأسود ويجعل البيت على يساره وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت لا على الشاذروان ولا فى الحجر وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد وما عدا هذا فهو سنن وهيآت

﴿ الجملة الخامسة فى السعى ﴾

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى الى الصفا وهو جبل فيرقى فيه درجات فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل رقى رسول الله ﷺ (٤) حتى بدت له الكعبة وابتداء السعى من أصل الجبل كاف وهذه الزيادة مستحبة ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة فينبغى أن لا يخلفها وراء ظهره فلا يكون متمما للسعى واذا ابتدأ من ههنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات وعند رقيه فى الصفا ينبغى أن يستقبل البيت ويقول الله أكبر الله أكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت بيده الخير وهو على كل شىء قدير لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيى الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم اذا أنتم بشر تنتشرون اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا وعلما نافعا وقلبا خاشعا ولسانا ذاكرا وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة ويصلى على محمد ﷺ ويدعو الله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء ثم ثم ينزل ويبتدئ السعى وهو يقول رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ويمشى على هينة حتى ينتهى الى الميل الأخضر وهو أول ما يلقاه إذا

(١) حديث الزهرى مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبى ﷺ أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله ﷺ وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين (٢) حديث قرانه ﷺ بين أسابيع ابن أبى حاتم من حديث ابن عمر ان النبى صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عق فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفى إسناده عبد السلام بن أبى الجنوب منكر الحديث (٣) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الأجر كعتق رقبة ت وحسنه ون ه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة وللبيهقى فى الشعب من طاف أسبعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة (٤) حديث انه رقى على الصفا حتى رأى الكعبة م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبى هريرة أتى الصفا فعلا عليه

العمل آنفا إنما هو عمل القلوب وعمل القلوب غير عمل القالب وأعمال القلوب للطفها وصداقتها مشاكلة للعلوم لأنها نيات وطويات وتعلقات روحية وتأديبات قلبية ومسامرات سرية وكلما أتوا بعمل فمن هذه الأعمال رفع لهم علم من العلم واطلعوا على مطلع من فهم الآية جديد ويخالج سرى أن يكون المطلع ليس بالوقوف بصفاء الفهم على دقيق المعنى وغامض السر فى الآية ولكن المطلع أن يطلع عند كل آية على شهود المتكلم بها لأنها مستودع وصف من أوصافه ونعت من نعوته فتتجدد له التجليات بتلاوة الآيات وسماعها ويصير له مرائى منبئة عن عظيم الجلال ولقد نقل عن جعفر الصادق رضى الله عنه انه قال

نزل

نزل من الصفا وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقى بينه و بين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ فى السير السريع وهو الرمل حتى ينتهى الى الميلين الأخضرين ثم يعود الى الهينة فاذا انتهى الى المروى صعدها كما صعد الصفا وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء، و قد حصل السعى مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتين يفعل ذلك سبعا و يرمل فى موضع الرمل فى كل مرة و يسكن فى موضع السكون كما سبق وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة بخلاف الطواف واذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف و يكتفى بهذا ركنا فانه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وانما ذلك شرط فى طواف الركن نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

﴿الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله﴾

الحاج اذا انتهى يوم عرفة الى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف واذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما الى اليوم السابع من ذى الحجة فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة و يأمر الناس بالاستعداد للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها و بالغد ومنها الى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال اذ وقت الوقوف من الزوال الى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر فينبغى أن يخرج الى منى ملبيا و يستحب له المشى من مكة فى المناسك الى انقضاء حجه ان قدر عليه والمشى من مسجد ابراهيم عليه السلام الى الموقف أفضل وآكد فاذا انتهى الى منى قال اللهم هذه منى فامنن على بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك وليمكث هذه الليلة بمنى وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح فاذا طلعت الشمس على ثبير سار الى عرفات و يقول اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط وأقربها من رضوانك وأبعدها من سخطك اللهم اليك غدوت واياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فثم ضرب رسول الله ﷺ (١) قبته ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة و ليغتسل للوقوف فاذا زالت الشمس خطب الامام خطبة وجيزة وقعد وأخذ المؤذن فى الأذان والامام فى الخطبة الثانية ووصل الاقامة بالاذان وفرغ الامام مع تمام اقامة المؤذن ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان واقامتين وقصر الصلاة وراح الى الموقف فليقف بعرفة ولا يقفن فى وادى عرنة وأما مسجد ابراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة و يتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا و ليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل الأحب أن يلبى تارة و يكب على الدعاء أخرى و ينبغى أن لا ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار وان أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عندا مكان الغلط فى الهلال فهو الحزم و به الأمن من الفوات ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج فعليه أن يتحلل عن احرامه بأعمال العمرة ثم يريق دما لاجل الفوات ثم يقضى العام الآتى وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء ففى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترتجى اجابة الدعوات والدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ (٢) وعن السلف فى يوم عرفة أولى ما يدعو به

---

(١) حديث ضرب ﷺ قبته بنمرة مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة الحديث (٢) حديث الدعاء المأثور فى يوم عرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث ت من رواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ما قلت أنا والنبيون من قبلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال حسن غريب وله من حديث على قال أكثر ما دعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة فى الموقف اللهم لك الحمد كالذى نقول وخيرا مما نقول لك صلاتى ونسكى

لقد تجلى الله تعالى لعباده فى كلامه ولكن لا يبصرون فيكون لكل آية مطالع من هذا الوجه فالحد حد الكلام والمطلع الترقى عن حد الكلام الى شهود المتكلم ❊ وقد نقل عن جعفر الصادق أيضا أنه خر مغشيا عليه وهو فى الصلاة فسئل عن ذلك فقال مازلت أردد الآية حتى سمعتها من المتكلم بها فالصوفى لما لاح له نور ناصية التوحيد وألقى سمعه عند سماع الوعد والوعيد وقلبه بالتخلص عما سوى الله تعالى صار بين يدى الله حاضرا شهيدا يرى لسانه أو لسان غيره فى التلاوة كشجرة موسى عليه السلام حيث أسمعه الله منها خطابه اياه بانى أنا الله فاذا كان سماعه من الله تعالى واستماعه الى الله صار سمعه بصره و بصره سمعه وعلمه عمله وعمله علمه وعاد آخره أوله وأوله آخره ومعنى ذلك ان الله تعالى خاطب الذر بقوله ألست بربكم فسمعت النداء على غاية الصفاء ثم لم تزل الذرات تتقلب فى الأصلاب وتنتقل الى الأرحام

فليقل لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل فى قلبي نورا وفى سمعي نورا وفى بصرى نورا وفى لسانى نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسرلى أمرى وليقل اللهم رب الحمد لك الحمد كما تقول وخيرا مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبي واليك ثوابى اللهم انى أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر اللهم انى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ومن شر ما يلج فى النهار ومن شر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر اللهم انى أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك اللهم اهدنى بالهدى واغفرلى فى الآخرة والاولى يا خير مقصود وأسنى منزول به وأكرم مسؤل ما لديه أعطنى العشية أفضل ما أعطيت احدا من خلقك وحجاج بيتك يا أرحم الراحمين اللهم يا رفيع الدرجات ومنزل البركات ويا فاطر الأرضين والسموات ضجت اليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات وحاجتى اليك أن لا تنسانى فى دار البلاء اذا نسينى أهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شيء من أمرى أنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه أسألك مسئلة المسكين وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير دعاء من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ورغم لك أنفه اللهم لا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بى رؤفا رحيما يا خير المسؤلين وأكرم المعطين إلهى من مدح لك نفسه فانى لائم نفسى إلهى أخرست المعاصى لسانى فمالى وسيلة من عمل ولا شفيع سوى الأمل إلهى انى أعلم ان ذنوبى لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك أكرم الأكرمين إلهى ان لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغني ورحمتك وسعت كل شيء وأنا شيء إلهى ان ذنوبى وان كانت عظاما ولكنها صغار فى جنب عفوك فاغفرها لى يا كريم إلهى أنت أنت وأنا أنا العواد الى الذنوب وأنت العواد الى المغفرة إلهى ان كنت لا ترحم الا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون إلهى تجنبت عن طاعتك عمدا وتوجهت الى معصيتك قصدا فسبحانك ما أعظم حجتك علىّ وأكرم عفوك عنى فبوجوب حجتك علىّ وانقطاع حجتي عنك وفقرى اليك وغناك عنى الا غفرت لى يا خير من دعاه داع وأفضل من رجاه راج بحرمة الاسلام وبذمة محمد عليه السلام أتوسل اليك فاغفرلى جميع ذنوبى واصرفنى من موقفى هذا مقضي الحوائج وهب لى ما سألت وحقق رجائى فيما تمنيت إلهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه إلهى ما أنت صانع العشية بعبد مقرلك بذنبه خاشع لك بذلته مستكين بجرمه متضرع اليك من عمله تائب اليك من اقترافه مستغفرلك من ظلمه مبتهل اليك فى العفو عنه طالب اليك نجاح حوائجه راج اليك فى موقفه مع كثرة ذنوبه فيا ملجأ كل حى وولى كل مؤمن من أحسن فبرحمتك يفوز ومن أخطأ فبخطيئته يهلك اللهم اليك خرجنا وبفنائك أنخنا واياك أملنا وما عندك طلبنا ولاحسانك تعرضنا ورحمتك رجونا ومن عذابك أشفقنا واليك بأثقال الذنوب هربنا ولبيتك الحرام حججنا يا من يملك حوائج السائلين ويعلم ضمائر الصامتين يا من ليس معه رب يدعي ويا من ليس فوقه خالق يخشى ويا من ليس له وزير يؤتى ولا حاجب يرشى يا من لا يزداد على كثرة

ومحياى ومماتى واليك مآبى ولك رب تراثى اللهم انى أعوذ بك من شر ما تجيء الريح وقال ليس بالقوى اسناده وروى المستغفرى فى الدعوات من حديثه يا على ان أكثر دعاء من قبلى يوم عرفة أن أقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم اجعل فى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى قلبي نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسرلى أمرى اللهم انى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الامر وفتنة القبر وشر ما يلج فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ما تهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر واسناده ضعيف وروى الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم انك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى

من آبائك الانبياء فما زالت تنتقل الذرات حتى برزت بين أجسادها فاحتجبت بالحكمة عن القدرة وبعالم الشهادة عن عالم الغيب وتراكم ظلمتها بالتقلب فى الأطوار فاذا أراد الله تعالى بالعبد حسن الاستماع بان يصيره صوفيا صافيا لا يزال يرقيه فى رتب التزكية والتحلية حتى يخلص من مضيق عالم الحكمة الى فضاء القدرة ويزال عن بصيرته النافذة سجف الحكمة فيصير سماعه ألست بربكم كشفا وعيانا وتوحيده وعرفانه تبيانا وبرهانا وتندرج له ظلم الاطوار فى لوامع الانوار * قال بعضهم أنا أذكر خطاب ألست بربكم اشارة منه الى هذا الحال فاذا تحقق الصوفى بهذا الوصف صار وقته

السؤال الا جودا وكرما وعلى كثرة الحوائج الا تفضلا واحسانا اللهم انك جعلت لكل ضيف قرى ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة اللهم ان لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ولكل سائل عطية ولكل راج ثوابا ولكل ملتمس لما عندك جزاء ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب اليك زلفى ولكل متوسل اليك عفوا وقد وفدنا الى بيتك الحرام ووقفنا بهذه المشاعر العظام وشهدنا هذه المشاهد الكرام رجاء لما عندك فلا تخيب رجاءنا الهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الا نفس بتتابع نعمك وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والارضون بادلتك وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شيء لعزتك وعنت الوجوه لعظمتك اذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت وان أحسنوا تفضلت وقبلت وان عصوا سترت وان أذنبوا عفوت وغفرت واذا دعونا أجبت واذا نادينا سمعت واذا أقبلنا اليك قربت واذا ولينا عنك دعوت الهنا انك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين ﴿قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف﴾ فارضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود وانا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ولمحمد بالرسالة مخلصين فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الاجرام ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الاسلام الهنا انك أحببت التقرب اليك بعتق ما ملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فاعتقنا وانك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار * وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول يامن لا يشغله شأن عن شأن ولا سمع عن سمع ولا تشتبه عليه الاصوات يامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات يامن لا يبرمه الحاح الملحين ولا تضجره مسئلة السائلين أذقنا برد عفوك وحلاوة مناجاتك وليدع بما بداله وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات وليلح فى الدعاء وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال مطرف ابن عبد الله وهو بعرفة اللهم لا ترد الجميع من أجلى وقال بكر المزنى قال رجل لما نظرت الى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم

﴿ الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف ﴾

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغي أن يكون على السكينة والوقار وليجتنب وجيف الخيل وايضاع الابل كما يعتاده بعض الناس فان رسول الله ﷺ (١) نهى عن وجيف الخيل وايضاع الابل وقال اتقوا الله وسيروا سيرا جميلا لا تطؤا ضعيفا ولا تؤذوا مسلما فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم فليدخل بغسل وان قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب الى توقير الحرم ويكون فى الطريق رافعا صوته بالتلبية فاذا بلغ المزدلفة قال اللهم ان هذه مزدلفة جمعت فيها ألسنة مختلفة أسألك حوائج مؤتنفة فاجعلنى ممن دعاك فاستجبت له وتوكل عليك فكفيته ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصرا لها بأذان واقامتين ليس بينهما نافلة ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ويبدأ بنافلة المغرب ثم بنافلة العشاء كما فى الفريضتين فان ترك النوافل فى السفر خسران ظاهر وتكليف ايقاعها فى الاوقات اضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض فاذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا اليه من

عليك شيء من أمرى أنا البائس الفقير فذكر الحديث الى قوله ياخير المسؤلين وياخير المعطين واسناده ضعيف وباقى الدعاء من دعاء بعض السلف وفى بعضه ما هو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة (١) حديث نهى النبي عن وجيف الخيل وايضاع الابل ن لك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس فى ايضاع الابل وقال لك ليس البر بايجاف الخيل والابل وللبخارى من حديث ابن عباس فان البر

سرمدا وشهوده مؤبدا وسماعه متواليا متجددا يسمع كلام الله تعالى وكلام رسوله حق السماع * قال سفيان بن عيينة أول العلم الاستماع ثم الفهم ثم الحفظ ثم العمل ثم النشر * وقال بعضهم تعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام وقيل من حسن الاستماع امهال المتكلم حتى يقضى حديثه وقلة التلفت الى الجوانب والاقبال بالوجه والنظر الى المتكلم والوعى قال الله تعالى لنبيه عليه السلام ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى اليك وحيه وقال لا تحرك به لسانك لتعجل به هذا تعليم من الله تعالى لرسوله عليه السلام حسن الاستماع قيل معناه لا تمله على الصحابة حتى تتدبر معانيه حتى تكون أنت أول من يخلص بغرائبه وعجائبه وقيل كان رسول الله ﷺ اذا نزل عليه جبريل عليه السلام وأوحى اليه لا يفتر من قراءة القرآن مخافة الانفلات والنسيان فنهاه الله تعالى عن ذلك

التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك ومن خرج منها فى النصف الاول من الليل ولم يبت فعليه دم واحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه ثم اذا انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل ويتزود الحصى منها ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ثم ليغلس بصلاة الصبح وليأخذ فى المسير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو الى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام أبلغ روح محمد منا التحية والسلام وأدخلنا دار السلام ياذا الجلال والاكرام ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى الى موضع يقال له وادى محسر فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وان كان راجلا أسرع فى المشى ثم اذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير فيلبي تارة ويكبر أخرى فينتهى الى منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة فيتجاوز الاولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر حتى ينتهى الى جمرة العقبة وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل وهو ظاهر بمواقع الجمرات ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح وكيفيته أن يقف مستقبلا للقبلة وان استقبل الجمرة فلا بأس ويرمى سبع حصيات رافعا يده ويبدل التلبية بالتكبير ويقول مع كل حصاة الله أكبر على طاعة الرحمن ورغم الشيطان اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك فاذا رمى قطع التلبية والتكبير الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله وصفة التكبير أن يقول الله أكبر الله أكبر الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون لا إله إلا الله وحده صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده لا إله إلا الله والله أكبر ثم ليذبح الهدى ان كان معه والاولى أن يذبح بنفسه وليقل بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك واليك تقبل منى كما تقبلت من خليلك ابراهيم والتضحية بالبدن أفضل ثم بالبقر ثم بالشاه والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة أو البقرة والضأن أفضل من المعز قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) خير الاضحية الكبش الاقرن والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء وقال أبو هريرة البيضاء أفضل فى الاضحى من دم سوداوين وليأكل منه ان كانت من هدى التطوع ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء والجدع فى الانف والاذن القطع منهما والعضب فى القرن وفى نقصان القوائم والشرقاء المشقوقة الاذن من فوق والخرقاء من أسفل والمقابلة المخروقة الاذن من قدام والمدابرة من خلف والعجفاء المهزولة التى لا تنقى أى لا مخ فيها من الهزال ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الايمن الى العظمين المشرفين على القفا ثم ليحلق الباقى ويقول اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة وارفع لى بها عندك درجة والمرأة تقصر الشعر والاصلع يستحب له امرار الموسى على رأسه ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الاول وحل له كل المحذورات الا النساء والصيد ثم يفيض الى مكة ويطوف كما وصفناه وهذا الطواف طواف ركن فى الحج ويسمى طواف الزيارة وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر وأفضل وقته يوم النحر ولا آخر لوقته بل له أن يؤخر الى أى وقت شاء ولكن يبقى مقيدا بعلقة الاحرام فلا تحل له النساء الى ان يطوف فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ولم يبق الا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحاج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا ان لم يكن سعى بعد طواف القدوم وان كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى * وأسباب التحلل ثلاثة الرمى والحلق والطواف الذى هو ركن ومهما أتى باثنين من

لبس بالايضاح

(١) حديث خير الاضحية الكبش د من حديث عبادة بن الصامت و ت ه من حديث

صلى الله عليه وسلم بمعنى السماع ويحتاج المطالع للعلوم والاخبار وسير أهل الصلاح وحكاياتهم وأنواع الحكم والامثال التى فيها نجاة من عذاب الآخرة أن يكون فى ذلك كله متأدبا بآداب حسن الاستماع لانه نوع من ذلك وكما أن القلب استعد بحسن الاستماع بالزهادة والتقوى حتى أخذ من كل ما سمعه أحسنه يكون آخذا بالمطالعة من كل شىء أحسنه ومن الأدب فى المطالعة أن العبد اذا أراد أن يطالع شيأ من الحديث والعلم يعلم أنه قد تكون مطالعة ذلك بداعية النفس وقلة صبرها على الذكر والتلاوة والعمل فتستروح بالمطالعة كما تتروح بمجالسة الناس ومكالمتهم فليتفقد المتفطن نفسه فى ذلك ولا يستحلى مطالعة الكتب الى حد

هذه

هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه في التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ولكن الاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف والسنة للامام في هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ ففي الحج أربع خطب خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة وخطبة(١) يوم النحر وخطبة يوم النفر الاول وكلها عقيب الزوال وكلها افراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة ثم اذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمي فيبيت تلك الليلة بمنى وتسمى ليلة القر لان الناس في غد يقرون بمنى ولا ينفرون فاذا أصبح اليوم الثاني من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الاولى التي تلي عرفة وهي على يمين الجادة ويرمي اليها سبع حصيات فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمي كما رمى الاولى ويقف كما وقف للاولى ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي سبعا ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الاول ويصبح فاذا صلى الظهر في اليوم الثاني من أيام التشريق رمى في هذا اليوم احدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ثم هو مخير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شيء عليه وان صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمي في يوم النفر الثاني احدا وعشرين حجرا كما سبق وفي ترك المبيت والرمي اراقة دم وليتصدق باللحم وله أن يزور البيت في ليالي منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كان رسول الله ﷺ يفعل ذلك (٢) ولا يتركن حضور الفرائض مع الامام في مسجد الخيف فان فضله عظيم فاذا أفاض من منى فالاولى أن يقيم بالمحصب من منى ويصلي العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة (٣) رواه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم فان لم يفعل ذلك فلا شيء عليه

{ الجملة الثامنة في صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع }

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق في الحج ويحرم بالعمرة من ميقاتها وأفضل مواقيتها الجعرانة ثم التنعيم ثم الحديبية وينوي العمرة ويلبي ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلي ركعتين ويدعو بما شاء ثم يعود إلى مكة وهو يلبي حتى يدخل المسجد الحرام فاذا دخل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته والمقيم بمكة ينبغي أن يكثر الاعتمار والطواف وليكثر النظر الى البيت فاذا دخله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل وليدخله حافيا موقرا قيل لبعضهم هل دخلت بيت ربك اليوم فقال والله ما أرى هاتين القدمين أهلا للطواف حول بيت ربي فكيف أراهما أهلا لان أطأ بهما بيت ربي وقد علمت حيث مشيتا والى أين مشيتا وليكثر شرب ماء زمزم وليستق بيده

أبي أمامة قال ت غريب وعفير يضعف في الحديث (١) حديث الخطبة يوم النحر وهي خطبة وداع رسول الله ﷺ خ من حديث أبي بكرة خطبنا رسول الله ﷺ يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفي حديث علقه خ ووصله ه من حديث ابن عمر وقف النبي ﷺ يوم النحر بين الجمرات في الحجة التي حج فيها فقال أي يوم هذا الحديث وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع (٢) حديث زيارة البيت في ليالي منى والمبيت بمنى د في المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالي منى قال د وقد أسند قلت وصله ابن عدي عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله ﷺ يزور البيت أيام منى وفيه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الاسناد ولأبي داود من حديث عائشة ان النبي ﷺ مكث بمنى ليالي أيام التشريق (٣) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة خ من حديث أنس أن النبي ﷺ صلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة الحديث

يأخذ ذلك من وقته ويراعي الافراط فيه فاذا أراد مطالعة كتاب أو شيء من العلم لا يبادر اليه الا بعد التثبت والانابة والرجوع إلى الله تعالى وطلب التأييد من رحمة الله تعالى فيه فانه قد يرزق بالمطالعة ما يكون من مزيد حاله ولو قدم الاستخارة لذلك كان حسنا فان الله تعالى يفتح عليه باب الفهم والتفهيم موهبة من الله زيادة على ما يتبين من صورة العلم فللعلم صورة ظاهرة وسر باطن وهو الفهم والله تعالى نبه على شرف الفهم بقوله ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما أشار إلى الفهم بمزيد اختصاص وتميز عن الحكم والعلم قال الله تعالى ان الله يسمع من يشاء فاذا كان المسمع هو الله تعالى يسمع تارة بواسطة اللسان وتارة بما يرزق بمطالعة الكتب من التبيان فصار ما يفتح الله تعالى بمطالعة الكتب على معنى ما يرزق من المسموع ببركة حسن الاستماع ليتفقد العبد حاله في ذلك ويتعلم علمه وأدبه فانه باب

والمزيد من كل شيء ينفع سلوك الآخرة

﴿الباب الثالث في بيان فضيلة علوم الصوفية والاشارة الى أنموذج منها﴾

حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب السهروردي رحمه الله قال أنبأنا أبو عبد الرحمن الصوفي قال أنا عبد الرحمن بن محمد قال أنا أبو محمد عبدالله بن أحمد السرخسي قال أنا أبو عمران السمرقندي قال أنا أبو محمد عبدالله بن عبد الرحمن الدارمي قال حدثنا نعيم بن حماد قال حدثنا بقية عن الأحوص ابن حكيم عن أبيه قال سأل رجل النبي عليه السلام عن الشر فقال لا تسألوني عن الشر وسلوني عن الخير يقولها ثلاثا ثم قال أن

من غير استنابة ان أمكنه وليرتومنه حتي يتضلع وليقل اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والأخرة قال ﷺ(١) ماء زمزم لما شرب له أي يشفي ما قصد به

﴿الجملة التاسعة في طواف الوداع﴾

مهما عن له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من اتمام الحج والعمرة فلينجز أولا أشغاله وليشد رحاله وليجعل آخر أشغاله وداع البيت ووداعه بان يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام وشرب من ماء زمزم ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك حملتني على ماسخرت لي من خلقك حتي سيرتني في بلادك وبلغتني بنعمتك حتي أعنتني على قضاء مناسكك فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا وإلا فمن الآن قبل تباعدي عن بيتك هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك اللهم أصحبني العافية في بدني والعصمة في ديني وأحسن منقلبي وارزقني طاعتك أبدا ما أبقيتني واجمع لي خير الدنيا والآخرة انك على كل شيء قدير اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام وان جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة والاحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتي يغيب عنه

﴿الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها﴾

قال ﷺ(٢) من زارني بعد وفاتي فكانما زارني في حياتي وقال ﷺ(٣) من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني قال ﷺ(٤) من جاءني زائرا لا يهمه إلا زيارتي كان حقا على الله سبحانه أن أكون له شفيعا فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله ﷺ في طريقه كثيرا فاذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لي وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة وليتطيب وليلبس أنظف ثيابه فاذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما وليقل بسم الله وعلى ملة رسول الله ﷺ رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا ثم يقصد المسجد ويدخله ويصلي بجنب المنبر ركعتين ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الايمن ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق وتكون الدائرة التي في قبلة المسجد بين عينيه فذلك موقف رسول الله ﷺ قبل أن يغير المسجد وليجتهد أن يصلي في المسجد الاول قبل أن يزاد فيه ثم يأتي قبر النبي ﷺ فيقف عند وجهه وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التي في زاوية جدار القبر ويجعل القنديل على رأسه وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول السلام عليك يا رسول الله السلام عليك يا نبي الله السلام عليك يا أمين الله السلام عليك يا حبيب الله السلام عليك يا صفوة الله السلام عليك يا خيرة الله السلام عليك يا أحمد السلام عليك يا محمد السلام عليك يا أبا القاسم السلام عليك يا ماحي السلام عليك يا عاقب السلام عليك يا حاشر السلام عليك يا بشير السلام عليك يا نذير السلام عليك يا مطهر السلام عليك يا طاهر السلام عليك

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له ه من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط وك في المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد ان سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوي عنه مجهول وهو محمد بن هشام المروزي (٢) حديث من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي الطبراني والدارقطني من حديث ابن عمر (٣) حديث من وجد سعة ولم يفد الي فقد جفاني ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك وابن حبان في الضعفاء والخطيب في الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرني فقد جفاني وذكره ابن الجوزي في الموضوعات وروى ابن النجار في تاريخ المدينة من حديث أنس ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر (٤) حديث من جاءني زائرا لا تهمه إلا زيارتي كان حقا على الله أن أكون له شفيعا الطبراني من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن

يا أكرم ولد آدم السلام عليك يا سيد المرسلين السلام عليك يا خاتم النبيين السلام عليك يا رسول رب العالمين السلام عليك يا قائد الخير السلام عليك يا فاتح البر السلام عليك يا نبي الرحمة السلام عليك يا هدى الأمة السلام عليك يا قائد الغر المحجلين السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين جزاك الله عنا أفضل ما جزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون وكلما غفل عنك الغافلون وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجل وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه كما استنقذنا بك من الضلالة وبصرنا بك من العماية وهدانا بك من الجهالة أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله وأمينه وصفيه وخيرته من خلقه وأشهد أنك قد بلغت الرسالة وأديت الأمانة ونصحت الأمة وجاهدت عدوك وهديت أمتك وعبدت ربك حتى أتاك اليقين فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرف وكرم وعظم وان كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول السلام عليك من فلان السلام عليك من فلان ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لان رأسه عند منكب رسول الله ﷺ ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول السلام عليكما يا وزيرى رسول الله ﷺ والمعاونين له على القيام بالدين ما دام حيا والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين تتبعان فى ذلك آثاره وتعملان بسنته فجزاكما الله خير ما جزى وزيرى نبي عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله ﷺ بين القبر والاسطوانة اليوم ويستقبل القبلة وليحمد الله عز وجل وليمجده وليكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ ثم يقول اللهم انك قد قلت وقولك الحق ولو أنهم اذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما اللهم انا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك وقصدنا نبيك متشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا فتب اللهم علينا وشفع نبيك هذا فينا وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار واغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك يا أرحم الراحمين ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء ما استطاع لقوله ﷺ (١) ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى ويدعو عند المنبر ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله ﷺ (٢) يضع يده عليها عند الخطبة ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء فيصلى الغداة فى مسجد النبي ﷺ ثم يخرج ويعود الى المسجد لصلاة الظهر فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد ويستحب أن يخرج كل يوم الى البقيع بعد السلام على رسول الله ﷺ ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما وفيه أيضا قبر على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم ابن رسول الله ﷺ وقبر صفية عمة رسول الله ﷺ وذلك كله فى البقيع ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه لما روى أن رسول الله ﷺ (٣) قال من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان له عدل عمرة ويأتى بئر أريس يقال ان النبي ﷺ (٤) تفل فيها وهى عند المسجد فيتوضأ منها

---

(١) حديث ما بين قبرى ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى متفق عليه من حديث أبى هريرة وعبد الله بن زيد (٢) حديث وضعه ﷺ يده عند الخطبة على رمانة المنبر لم أقف له على أصل وذكر محمد بن الحسن بن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما ﷺ بيده الكريمتين اذا جلس شبر وأصبعان (٣) حديث من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح (٤) حديث ان النبي ﷺ تفل فى بئر أريس لم أقف له على أصل

وسرج ظلمات الجهالات الجبلية ونقباء ديوان الاسلام ومعادن حكم الكتاب والسنة وامناء الله تعالى فى خلقه وأطباء العباد وجهابذة الملة الحنيفية وحملة عظيم الامانة فهم أحق الخلق بحقائق التقوى وأحوج العباد الى الزهد فى الدنيا لانهم يحتاجون اليها لنفسهم ولغيرهم ففسادهم فساد متعد وصلاحهم صلاح متعد * قال سفيان بن عيينة أجهل الناس من ترك العمل بما يعلم وأعلم الناس من عمل بما يعلم وأفضل الناس أخشعهم لله تعالى وهذا قول صحيح يحكم بان العالم اذا لم يعمل بعلمه فليس بعالم فلا يغرك تشدقه واستطالته وحذاقته وقوته فى المناظرة والمجادلة فانه جاهل وليس بعالم الا أن يتوب الله عليه ببركة العلم فان العلم فى الاسلام لا يضيع أهله ويرجى عود العالم ببركة العلم والعلم فريضة وفضيلة فالفريضة مالابد للانسان من

ويشرب من مائها ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد ويقال ان جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد فيقصد ما قدر عليه وكذلك يقصد الآبار التى كان رسول الله ﷺ (١) يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهى سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به ﷺ وان أمكنه الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم قال ﷺ (٢) لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة وقال ﷺ (٣) من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت فانه لن يموت بها أحد الا كنت له شفيعا أو شهيدا يوم القيامة ثم اذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر

وانما أورد انه نفل فى بئر البصة وبئر غرس كما سيأتى عند ذكرها (١) حديث الآبار التى كان النبى صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهى سبعة آبار * قلت وهى بئر أريس وبئر حا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل * فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبى موسى الاشعرى فى حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ الحديث * وحديث بئر حا متفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصارى بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله اليه بئرحا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب الحديث * وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشترى بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين الحديث قال ت حديث حسن وفى رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغنى والفقير وابن السبيل الحديث وقال حسن صحيح وروى البغوى والطبرانى من حديث بشير الاسلمى قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بنى غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث * وحديث بئر غرس رواه ابن حبان فى الثقات من حديث أنس أنه قال ائتونى بماء من بئر غرس فانى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا اذا أنا مت فاغسلونى بسبع قرب من بئرى بئر غرس وروينا فى تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسلا ان النبى صلى الله عليه وسلم توضأ منها وبزق فيها وغسل منها حين توفى * وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبى سعيد الخدرى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من بئر بضاعة وفى رواية انه يستقى لك من بئر بضاعة الحديث قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال ت حسن وللطبرانى من حديث أبى أسيد بصق النبى ﷺ فى بئر بضاعة وروينا أيضا فى تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة رواه ابن عدى من حديث أبى سعيد الخدرى ان النبى ﷺ جاء يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسى فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله ﷺ رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره فى البصه وفيه محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف وحديث بئر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبى ﷺ كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار فى مسنده أو من بئر السقيا ولاحمد من حديث على خرجنا مع رسول الله ﷺ حتى اذا كنا بالسقيا التى كانت لسعد بن أبى وقاص قال رسول الله ﷺ ائتونى بوضوء فلما توضأ قام الحديث * وأما بئر جمل ففى الصحيحين من حديث أبى الجهم أقبل رسول الله ﷺ نحو بئر جمل الحديث وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمى من حديث عائشة أن النبى ﷺ قال فى مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شتى الحديث وهو عند خ دون قوله من آبار شتى (٢) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد إلا كنت له شفيعا يوم القيامة تقدم فى الباب قبله (٣) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها الحديث تقدم فى الباب قبله

معرفته ليقوم بواجب حق الدين والفضيله مازاد على قدر حاجته مما يكسبه فضيلة فى النفس موافقة للكتاب والسنة وكل علم لا يوافق الكتاب والسنة وماهو مستفاد منهما أو معين على فهمهما أو مستند اليهما كائنا ما كان فهو رذيلة وليس بفضيلة يزداد الانسان به هوانا ورذيلة فى الدنيا والآخرة فالعلم الذى هو فريضة لا يسع الانسان جهله على ما حدثنا شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب قال أنا الحافظ أبو القاسم المستملى قال أنا الشيخ العالم أبو القاسم عبد الكريم ابن هوازن القشيرى قال أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف الاصفهانى قال أنا أبو سعيد ابن الاعرابى قال حدثنا جعفر بن عامر العسكرى قال حدثنا الحسن ابن عطية قال حدثنا أبو عاتكة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اطلبوا العلم ولو بالصين

الشريف و بعيد دعاء الزيارة كما سبق و يودع رسول الله صلى الله عليه وسلم و يسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه ويسأل السلامة فى سفره ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا ثم اليمنى وليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته واصحبنى فى سفرى السلامة و يسر رجوعى الى أهلى ووطنى سالما يا أرحم الراحمين وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه وليتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها وهى عشرون موضعا

﴿ فصل فى سنن الرجوع من السفر ﴾

كان رسول الله ﷺ (١) اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على رأس كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات و يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير آيبون تائبون عابدون ساجدون لربنا حامدون صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده وفى بعض الروايات وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون فينبغي أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه واذا أشرف على مدينته يحرك الدابة و يقول اللهم اجعل لنا بها قرارا ورزقا حسنا (٢) ثم ليرسل الى أهله من يخبرهم بقدومه كى لا يقدم عليهم بغتة فذلك هو السنة ولا ينبغي أن يطرق أهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا (٣) وليصل ركعتين فهو السنة كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ فاذا دخل بيته قال توبا توبا لربنا أوبا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر فى منزله فلا ينبغي أن ينسى ما أنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه ﷺ فيكفر تلك النعمة بأن يعود الى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى فما ذلك علامة الحج المبرور بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

﴿ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة ﴾

﴿ بيان دقائق الآداب وهى عشرة ﴾

﴿ الاول ﴾ أن تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم حتى يكون الهم مجردا لله تعالى والقلب مطمئنا منصرفا الى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت (٤) اذا كان آخر الزمان خرج الناس الى الحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للسمعة وفى الخبر إشارة الى جملة أغراض الدنيا التى يتصور أن تتصل بالحج فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ويخرجه عن حيز حج الخصوص لا سيما اذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا

(١) حديث كان النبي ﷺ اذا قفل من غزو أو حج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شىء هالك إلا وجهه له الحكم واليه ترجعون رواه المحاملى فى الدعاء باسناد جيد (٢) حديث إرسال المسافر الى أهل بيته من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة لم أجد فيه ذكر الارسال وفى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله ﷺ فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة (٣) حديث صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر تقدم فى الصلاة

﴿ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة ﴾

(٤) حديث اذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم

علم الاخلاص ومعرفة آفات النفوس وما يفسد الأعمال لان الاخلاص مأمور به كما أن العمل مأمور به قال الله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين فالاخلاص مأمور به وخدع النفس وغرورها ودسائسها وشهواتها الخفية تخرب مبانى الاخلاص المأمور به فصار علم ذلك فرضا حيث كان الاخلاص فرضا ومالا يصل العبد الى الفرض إلا به صار فرضا وقال بعضهم معرفة الخواطر وتفصيلها فريضة لان الخواطر هى أصل الفعل ومبدؤه ومنشؤه وبذلك يعلم الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان فلا يصح الفعل إلا بصحتها فصار علم ذلك فرضا حتى يصح الفعل

من العبد لله وقال بعضهم هو طلب علم الوقت وقال سهل بن عبد الله هو طلب علم الحال يعنى حكم حاله الذى بينه و بين الله تعالى فى

بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لا ليتوصل بالدين الى الدنيا بل بالدنيا الى الدين فعند ذلك ينبغي أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي مثله ينزل قول رسول الله ﷺ (١) يدخل الله سبحانه بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه ولست أقول لا تحل الأجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ولكن الأولى أن لا يفعل ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره فان الله عز وجل يعطي الدنيا بالدين ولا يعطي الدين بالدنيا وفي الخبر (٢) مثل الذي يغزو في سبيل الله عز وجل ويأخذ أجرا مثل أم موسى عليه السلام ترضع ولدها وتأخذ أجرها فمن كان مثاله في أخذ الأجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم ﴿الثاني﴾ أن لا يعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين في الطريق فان تسليم المال اليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم فهو كالاعانة بالنفس فليتلطف في حيلة الخلاص فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله ان ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة فان هذه بدعة أحدثت وفي الانقياد لها ما يجعلها سنة مطردة وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ولا معنى لقول القائل ان ذلك يؤخذ مني وأنا مضطر فانه لو قعد في البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شيء بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته فلو كان في زي الفقراء لم يطالب فهو الذي ساق نفسه الى حالة الاضطرار ﴿الثالث﴾ التوسع في الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا إسراف بل على الاقتصاد وأعني بالاسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين فأما كثرة البذل فلا سرف فيه إذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير كما قيل وبذل الزاد في طريق الحج نفقة في سبيل الله عز وجل والدرهم بسبعمائة درهم قال ابن عمر رضي الله عنهما من كرم الرجل طيب زاده في سفره وكان يقول أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة وأحسنهم يقينا وقال ﷺ (٣) الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له يارسول الله ما بر الحج فقال طيب الكلام وإطعام الطعام ﴿الرابع﴾ ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرآن والرفث اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن والتحدث بشأن الجماع ومقدماته فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل والجدال هو المبالغة في الخصومة والممارات بما يورث الضغائن ويفرق في الحال الهمة ويناقض حسن الخلق وقد قال سفيان من رفث فسد حجه وقد جعل رسول الله ﷺ طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج والممارات تناقض طيب الكلام فلا ينبغي أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله وعلى غيره من أصحابه بل يلين جانبه ويخفض جناحه للسائرين الى بيت الله عز وجل ويلزم حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى وقيل سمي السفر سفرا لانه يسفر عن أخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الأخلاق قال لا فقال ما أراك تعرفه ﴿الخامس﴾ أن يحج ماشيا ان قدر عليه فذلك الأفضل أوصى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما بنيه عند موته فقال يا بني حجوا مشاة فان للحاج الماشي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم قيل وما حسنات الحرم قال الحسنة بمائة ألف والاستحباب في المشي في المناسك والتردد من مكة الى الموقف

للرياء والسمعة (١) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصي بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه هق من حديث جابر بسند ضعيف (٢) حديث مثل الذي يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها ابن عدي من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن (٣) حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له ما بر الحج قال طيب الكلام وإطعام الطعام أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا

دنياه وآخرته وقيل هو طلب علم الحلال حيث كان أكل الحرام فريضة وقد ورد طلب الحلال فريضة بعد الفريضة فصار علمه فريضة من حيث انه فريضة وقيل هو طلب علم الباطن وهو ما يزداد به العبد يقينا وهذا العلم هو الذي يكتسب بالصحبة ومجالسة الصالحين من العلماء الموقنين والزهاد المقربين الذين جعلهم الله تعالى من جنوده يسوق الطالبين اليهم ويقويهم بطريقهم ويرشدهم بهم فهم ورثات علم النبي عليه السلام ومنهم يتعلم علم اليقين وقال بعضهم هو علم البيع والشراء والنكاح والطلاق اذا أراد الدخول في شيء من ذلك يجب عليه طلب علمه وقال بعضهم هو أن يكون العبد يريد عملا يجهل مالله عليه في ذلك فلا يجوز له أن يعمل برأيه إذ هو جاهل فيما له وعليه في ذلك فيراجع عالما يسأله عنه ليجيبه على بصيرة

والى منى آكد منه فى الطريق وان أضاف الى المشى الاحرام من دويرة أهله فقد قيل ان ذلك من اتمام الحج قاله عمر وعلى وابن مسعود رضى الله عنهم فى معنى قوله عزوجل ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ وقال بعض العلماء الركوب أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ولانه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه وأقرب الى سلامته وتمام حجة وهذا عند التحقيق ليس مخالفا للاول بل ينبغي أن يفصل ويقال من سهل عليه المشى فهو أفضل فان كان يضعف ويؤدى به ذلك الى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل كما ان الصوم للمسافر أفضل وللمريض مالم يفض الى ضعف وسوء خلق * وسئل بعض العلماء عن العمرة أى يمشى فيها أو يكترى حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشى وان كان المشى أشد عليه كالاغنياء فالمشى له أفضل فكأنه ذهب فيه الى طريق مجاهدة النفس وله وجه ولكن الافضل له أن يمشى ويصرف ذلك الدرهم الى خير فهو أولى من صرفه الى المكارى عوضا عن ابتذال الدابة فاذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه ﴿السادس﴾ أن لا يركب الا زاملة أما المحمل فليجتنبه الا اذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر وفيه معنيان أحدهما التخفيف على البعير فان المحمل يؤذيه والثانى اجتناب زى المترفين المتكبرين حج رسول الله ﷺ (١) على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم (٢) وطاف على الراحلة لينظر الناس الى هديه وشمائله وقال ﷺ (٣) خذوا عنى مناسككم وقيل ان هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء فى وقته ينكرونها فروى سفيان الثورى عن أبيه انه قال برزت من الكوفة الى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوالقات ورواحل ومارأيت فى جميعهم الا محملين وكان ابن عمر اذا نظر الى ما أحدث الحجاج من الزى والمحامل يقول الحاج قليل والركب كثير ثم نظر الى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج ﴿السابع﴾ أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر غير مستكثر من الزينة ولا مائل الى أسباب التفاخر والتكاثر فيكتب فى ديوان المتكبرين المترفهين ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين فقد أمر صلى الله عليه وسلم (٤) بالشعث والاحتفاء ونهى عن التنعم والرفاهية فى حديث فضالة بن عبيد (٥) وفى الحديث (٦) انما الحاج الشعث التفث (٧) يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاؤنى شعثا غبرا من كل فج عميق وقال تعالى ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾ والتفث الشعث والاغبرار وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى أمراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا أى البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة فى الاشياء وقد قيل زين الحجيج أهل اليمن لانهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف فينبغي أن يجتنب الحمرة فى زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم فقد روى أنه ﷺ (٨) كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية

وقال صحيح الاسناد (١) حديث حج رسول الله ﷺ على راحلته وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم الترمذى فى الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته تقدم (٣) حديث خذوا عنى مناسككم م والفظ له من حديث جابر (٤) حديث الامر بالشعث والاحتفاء البغوى والطبرانى من حديث عبدالله بن أبى حدرد قال قال رسول الله ﷺ تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدى من حديث أبى هريرة وكلاهما ضعيف (٥) حديث فضالة بن عبيد فى النهى عن التنعم والرفاهية وان النبى ﷺ كان ينهى عن كثير من الارفاه ولأحمد من حديث معاذ اياك والتنعم الحديث (٦) حديث انما الحاج الشعث التفث ت ه من حديث ابن عمر وقال غريب (٧) حديث يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتى قد جاؤا شعثا غبرا من كل فج عميق الحاكم وصححه من حديث ابى هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبدالله بن عمرو (٨) حديث أنه صلى الله عليه وسلم كان فى سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية حمر على

ولا يعمل برأيه وهذا علم يجب طلبه حيث جهل وقال بعضهم طلب علم التوحيد فرض فمن قائل يقول طريقة النظر والاستدلال ومن قائل يقول ان طريقه النقل وقال بعضهم اذا كان العبد على سلامة الباطن وحسن الاستسلام والانقياد فى الاسلام ولا يحيك فى صدره شيء فهو سالم فان حاك فى صدره شيء أو وسوس بشيء يقدح فى العقيدة أو ابتلى بشبهة لا تؤمن غائلتها أن تجره الى بدعة أو ضلالة فيجب عليه أن يستكشف عن الاشتباه ويراجع أهل العلم ومن يفهمه طريق الصواب وقال الشيخ أبو طالب المكى رحمه الله هو علم الفرائض الخمس التى بنى عليها الاسلام لانها افترضت على المسلمين واذا كان عملها فرضا صار علم العمل بها فرضا وذكر ان علم التوحيد داخل فى ذلك لان أولها الشهادتان والاخلاص داخل فى ذلك لان ذلك من ضرورة الاسلام وعلم الاخلاص داخل فى صحة

حمر على الاقتاب فقال ﷺ أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم قالوا فقمنا اليها ونزعناها عن ظهورها حتى شرد بعض الابل «الثامن» أن يرفق بالدابة فلا يحملها مالا تطيق والمحمل خارج عن حد طاقتها والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها كان أهل الورع لا ينامون على الدواب الا غفوة عن قعود وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل قال صلى الله عليه وسلم (١) لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى (٢) ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة وفيه آثار عن السلف وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل ويوفى الاجرة ثم كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى وكل من آذى بهيمة وحملها مالا تطيق طولب به يوم القيامة قال أبو الدرداء لبعيره عند الموت يا أيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فانى لم أكن أحملك فوق طاقتك وعلى الجملة فى كل كبد حراء أجر فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى قال رجل لابن المبارك احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال حتى أستأمر الجمال فانى قد اكتريت فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له وهو طريق الحزم فى الورع فانه اذا فتح باب القليل انجر الى الكثير يسيرا يسيرا «التاسع» أن يتقرب باراقة دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل منه ان كان واجبا قيل فى تفسير قوله تعالى ذلك ومن يعظم شعائر الله إنه تحسينه وتسمينه وسوق الهدى من الميقات أفضل ان كان لا يجهده ولا يكده وليترك المكاس فى شرائه فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن الهدى والاضحية والرقبة فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله (٣) وروى ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما أهدى بختية فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها وذلك لان القليل الجيد خير من الكثير الدون وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة وفيها تكثير اللحم ولكن ليس المقصود اللحم انما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عزوجل فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أو قل وسئل رسول الله ﷺ (٤) ما بر الحج فقال العج والثج والعج هو رفع الصوت بالتلبية والثج هو نحر البدن وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ (٥) قال ما عمل آدمى يوم النحر أحب الى الله عزوجل من اهراقه دما وانها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وان الدم يقع من الله عزوجل بمكان قبل أن يقع بالارض فطيبوا بها نفسا وفى الخبر (٦) لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها

الاقتاب فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم الحديث د من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم (١) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه (٢) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك الطبرانى فى الاوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبى ﷺ كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الادب وقال مشى قليلا وناقته تقاد (٣) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجيبة فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله ﷺ أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها أخرجه د وقال انحرها (٤) حديث سئل رسول الله ﷺ ما بر الحج فقال العج والثج ت واستغربه ه و ك وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقون أى الحج أفضل (٥) حديث عائشة ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب الى الله من اهراقه دما الحديث ت وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ أنه مرسل ووصله ابن خزيمة (٦) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا ه ك وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفى رواية للبيهقى بكل قطرة حسنة قال خ لا يصح وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا من حديث على أما انها يجاء بها يوم القيامة

الاسلام وحيث أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه فريضة على كل مسلم يقتضى أن لا يسع مسلما جهله وكل ما تقدم من الاقاويل أكثرها ما يسع المسلم جهله لانه قد لا يعلم علم الخواطر وعلم الحال وعلم الحلال بجميع وجوهه وعلم اليقين المستفاد من علماء الآخرة كما ترى وأكثر المسلمين على الجهل بهذه الاشياء ولو كانت هذه الاشياء فرضت عليهم لعجز عنها أكثر الخلق الا ما شاء الله وميلى فى هذه الاقاويل الا قول الشيخ أبى طالب أكثر والى قول من قال يجب عليه علم البيع والشراء والنكاح والطلاق اذا أراد الدخول فيه وهذا لعمرى فرض على المسلم علمه وهكذا الذى قاله الشيخ أبو طالب وعندى فى ذلك حد جامع لطلب العلم المفترض والله أعلم * فأقول العلم الذى طلبه فريضة على كل مسلم علم الامر والنهى والمأمور

لتوضع

لتوضع في الميزان فابشروا وقال ﷺ استنجدوا هدايا كم فانها مطايا كم يوم القيامة ٧ ﴿العاشر﴾ أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدي و بما أصابه من خسران ومصيبة في مال أو بدن ان أصابه ذلك فان ذلك من دلائل قبول حجه فان المصيبة في طريق الحج تعدل النفقة في سبيل الله عز وجل الدرهم بسبعمائة درهم وهو بمثابة الشدائد في طريق الجهاد فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب فلا يضيع منه شيء عند الله عز وجل ويقال ان من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصي وأن يتبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

﴿ بيان الأعمال الباطنة ووجه الاخلاص في النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة
وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج الى آخره ﴾

اعلم ان أول الحج الفهم أعني فهم موقع الحج في الدين ثم الشوق اليه ثم العزم عليه ثم قطع العلائق المانعة منه ثم شراء ثوب الاحرام ثم شراء الزاد ثم اكتراء الراحلة ثم الخروج ثم المسير في البادية ثم الاحرام من الميقات بالتلبية ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق وفي كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر وتنبيه للمريد الصادق وتعريف وإشارة للفطن فلنرمز الى مفاتحها حتى اذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه ﴿أما الفهم﴾ فاعلم أنه لا وصول الى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات والكف عن اللذات والاقتصار على الضرورات فيها والتجرد لله سبحانه في جميع الحركات والسكنات ولاجل هذا انفرد الرهبانيون في الملل السالفة عن الخلق وانحازوا الى قلل الجبال وآثروا التوحش عن الخلق لطلب الأنس بالله عز وجل فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة وألزموا أنفسهم المجاهدات الشاقة طمعا في الآخرة وأثنى الله عز وجل عليهم في كتابه فقال ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل وفتروا عنه بعث الله عز وجل نبيه محمدا ﷺ لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين في سلوكها (١) فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة في دينه فقال ﷺ أبدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف يعني الحج وسئل ﷺ (٢) عن السائحين فقال هم الصائمون فأنعم الله عز وجل على هذه الأمة بأن جعل الحج رهبانية لهم فشرف البيت العتيق بالاضافة الى نفسه تعالى ونصبه مقصدا لعباده وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق شعثا غبرا متواضعين لرب البيت ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ليكون ذلك أبلغ في رقهم وعبوديتهم وأتم في إذعانهم وانقيادهم ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ولا تهتدي الى معانيها العقول كرمي الجمار بالأحجار والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار وبمثل هذه الأعمال

بلحومها ودمائها حتى توضع في ميزانك يقولها لفاطمة (١) حديث سئل عن الرهبانية والسياحة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف أبو داود من حديث أبي أمامة أن رجلا قال يارسول الله ائذن لي في السياحة فقال ان سياحة أمتي الجهاد في سبيل الله رواه الطبراني بلفظ ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتي الجهاد في سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتي الرباط في نحر العدو وللبيهقي في الشعب من حديث أنس رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذي وحسنه والنسائي في اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبي هريرة ان رجلا قال يارسول الله إني أريد أن أسافر فأوصني قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف (٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا

---

٧ (قوله استنجدوا الخ) هذا الحديث لم يخرجه العراقي وهو ليس في نسخة الشرح فلعله لم يكن في نسخته اهـ مصححه

ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه والمنهي ما يعاقب على فعله ويثاب على تركه والمأمورات والمنهيات منها ماهو مستمر لازم للعبد بحكم الاسلام ومنها ما يتوجه الأمر فيه والنهي عنه عند وجود الحادثة فما هو لازم مستمر لزومه متوجه بحكم الاسلام علمه به واجب من ضرورة الاسلام وما يتجدد بالحوادث ويتوجه الأمر والنهي فيه فعلمه عند تجدده فرض لا يسع مسلما على الاطلاق أن يجهله وهذا الحد أعم من الوجوه التي سبقت والله أعلم * ثم ان المشايخ من الصوفية وعلماء الآخرة الزاهدين في الدنيا شمروا عن ساعد الجد في طلب العلم المفترض حتى عرفوه وأقاموا الأمر والنهي وخرجوا من عهدة ذلك بحسن توفيق الله تعالى فلما استقاموا في ذلك متابعين لرسول الله ﷺ حيث أمره الله تعالى بالاستقامة فقال تعالى فاستقم كما أمرت ومن تاب معك فتح

يظهر كمال الرق والعبودية فان الزكاة إرفاق ووجهه مفهوم وللعقل اليه ميل والصوم كسر للشهوة التي هي آلة عدو الله وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل والركوع والسجود. في الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هي هيئة التواضع وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل فاما ترددات السعي ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلاحظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ولا اهتداء للعقل الى معانيها فلا يكون في الاقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد وقصد الامتثال للامر من حيث أنه أمر واجب الاتباع فقط وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع اليه ميلا ما فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد ولذلك قال ﷺ في الحج على الخصوص(١) لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا ولم يقل ذلك في صلاة ولا غيرها واذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بان تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم وأن يكون زمامها بيد الشرع فيترددون في أعمالهم على سنن الانقياد وعلى مقتضى الاستعباد كان مالا يهتدى الى معانيه أبلغ أنواع التعبدات في تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق الى مقتضى الاسترقاق واذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الأفعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات وهذا القدر كاف في تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى ﴿وأما الشوق﴾ فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بان البيت بيت الله عز وجل وانه وضع على مثال حضرة الملوك فقاصده قاصد الى الله عز وجل وزائر له وان من قصد البيت في الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته فيرزق مقصود الزيارة في ميعاده المضروب له وهو النظر الى وجه الله الكريم في دار القرار من حيث ان العين القاصرة الفانية في دار الدنيا لا تتهيأ لقبول نور النظر الى وجه الله عز وجل ولا تطيق احتماله ولا تستعد للاكتحال به لقصورها وانها ان أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والابصار ولكنها بقصد البيت والنظر اليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم فالشوق الى لقاء الله عز وجل يشوقه الى أسباب اللقاء لا محالة هذا مع أن المحب مشتاق الى كل ماله الى محبوبه إضافة والبيت مضاف الى الله عز وجل فبالحري أن يشتاق اليه لمجرد هذه الاضافة فضلا عن الطلب لنيل ما وعد عليه من الثواب الجزيل ﴿وأما العزم﴾ فليعلم أنه بعزمه قاصد الى مفارقة الأهل والوطن ومهاجرة الشهوات واللذات متوجها الى زيارة بيت الله عز وجل وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره وان من طلب عظيما خاطر بعظيم وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة وليتحقق أنه لا يقبل من قصده وعمله إلا الخالص وان من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره فليصحح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه وإخلاصه باجتناب كل ما فيه رياء وسمعة فليحذر أن يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير ﴿وأما قطع العلائق﴾ فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصي فكل مظلمة علاقة وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادي عليه ويقول له الى أين تتوجه أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره في منزلك هذا ومستهين به ومهمل له أولا تستحي أن تقدم عليه قدوم العبد العاصي فيردك ولا يقبلك فان كنت راغبا في قبول زيارتك فنفذ أوامره ورد المظالم وتب اليه أولا من جميع المعاصي واقطع علاقة قلبك عن الالتفات الى ما وراءك لتكون متوجها اليه بوجه قلبك كما أنك متوجه الى بيته بوجه ظاهرك فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء وآخرا إلا الطرد والرد وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لا يعود اليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله فان المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة فان ذلك بين يديه على القرب وما يتقدمه من هذا السفر طمع في تيسير ذلك السفر فهو المستقر واليه المصير فلا ينبغي أن يغفل عن ذلك

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقدم في الزكاة

الله عليهم أبواب العلوم التي سبق ذكرها قال بعضهم من يطيق مثل هذه المخاطبة بالاستقامة إلا من أيد من المشاهدات القوية والأنوار البينة والآثار الصادقة بالتثبيت برهان عظيم كما قال تعالى ولولا أن ثبتناك ثم حفظ في وقت المشاهدة ومشافهة الخطاب وهو المزين بمقام القرب والمخاطب على بساط الأنس محمد ﷺ وبعد ذلك خوطب بقوله فاستقم كما أمرت ولولا هذه المقامات ما أطاق الاستقامة التي أمر بها * قيل لأبي حفص أي الأعمال أفضل قال الاستقامة لان النبي ﷺ يقول استقيموا ولن تحصوا وقال جعفر الصادق في قوله تعالى فاستقم كما أمرت أي افتقر الى الله بصحة العزم ورأى بعض الصالحين رسول الله ﷺ في المنام قال قلت يا رسول الله روي عنك أنك قلت شيبتني سورة هود

السفر عند الاستعداد لهذا السفر ﴿وأما الزاد﴾ فليطلبه من موضع حلال واذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر وان زاده التقوى وان ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه كالطعام الرطب الذي يفسد في أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له فليحذر أن تكون أعماله التي هي زاده الى الآخرة لا تصحبه بعد الموت بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير ﴿وأما الراحلة﴾ اذا أحضرها فليشكر الله بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الاذى وتخفف عنه المشقة وليتذكر عنده المركب الذي يركبه الى دار الآخرة وهي الجنازة التي يحمل عليها فان أمر الحج من وجه يوازي أمر السفر الى الآخرة ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لان يكون زاداله لذلك السفر على ذلك المركب فما أقرب ذلك منه وما يدريه لعل الموت قريب ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل وركوب الجنازة مقطوع به وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه فكيف يحتاط في أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر في زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن ﴿وأما شراء ثوبي الاحرام﴾ فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه فانه سيرتدي ويتزر بثوبي احرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره اليه وانه سيلقى الله عز وجل ملفوفا في ثياب الكفن لا محالة فكما لا يلقى بيت الله عز وجل الا مخالفا لعادته في الزي والهيئة فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت الا في زي مخالف لزي الدنيا وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب اذ ليس فيه مخيط كما في الكفن ﴿وأما الخروج من البلد﴾ فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها الى الله عز وجل في سفر لا يضاهي أسفار الدنيا فليحضر في قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه وزيارة من يقصد وانه متوجه الى ملك الملوك في زمرة الزائرين له الذين نودوا فأجابوا وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا وقطعوا العلائق وفارقوا الخلائق وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذي فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت الى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر الى مولاهم وليحضر في قلبه رجاء الوصول والقبول لا إدلالا باعماله في الارتحال ومفارقة الاهل والمال ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته وليرج أنه ان لم يصل اليه وأدركته المنية في الطريق لقي الله عز وجل وافدا اليه اذ قال جل جلاله ﴿ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله﴾ ﴿وأما دخول البادية الى الميقات ومشاهدة تلك العقبات﴾ فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت الى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الاهوال والمطالبات وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه وما فيه من الافاعي والحيات ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشة القبر وكربته ووحدته وليكن في هذه المخاوف في أعماله وأقواله متزودا لمخاوف القبر ﴿وأما الاحرام والتلبية من الميقات﴾ فليعلم أن معناه اجابة نداء الله عز وجل فارج أن تكون مقبولا واخش أن يقال لك لا لبيك ولا سعديك فكن بين الرجاء والخوف مترددا وعن حولك وقوتك متبرئا وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهي محل الخطر قال سفيان بن عيينة حج علي بن الحسين رضي الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفر لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي فقيل له لم لا تلبي فقال أخشى أن يقال لي لا لبيك ولا سعديك فلما لبي غشي عليه ووقع عن راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه * وقال أحمد بن أبي الحواري كنت مع أبي سليمان الداراني رضي الله عنه حين أراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال يا أحمد ان الله سبحانه أوحى الى موسى عليه السلام مر ظلمة بني اسرائيل أن يقلوا من ذكري فاني أذكر من ذكرني منهم باللعنة ويحك يا أحمد بلغني أن من حج من غير حله ثم لبي قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما في يديك فما نأمن أن يقال لنا ذلك وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية في الميقات اجابته لنداء الله عز وجل اذ قال وأذن في الناس بالحج ونداء الخلق بنفخ الصور وحشرهم من القبور

وأخوانها فقال نعم قال فقلت له ما الذي شيبك منها قصص الأنبياء وهلاك الأمم فقال لا ولكن قوله فاستقم كما أمرت فكما أن النبي صلى الله عليه وسلم بعد مقدمات المشاهدات خوطب بهذا الخطاب وطولب بحقائق الاستقامة فكذلك علماء الآخرة الزاهدون ومشايخ الصوفية المقربون منحهم الله تعالى من ذلك بقسط ونصيب ثم ألهمهم طلب النهوض بواجب حق الاستقامة ورأوا الاستقامة أفضل مطلوب وأشرف مأمور * قال أبو علي الجوزجاني كن طالب الاستقامة لا طالب الكرامة فان نفسك متحركة في طلب الكرامة وربك يطلب منك الاستقامة وهذا الذي ذكره أصل كبير في الباب وسر غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلب وذلك ان المجتهدين والمتعبدين سمعوا بسير الصالحين المتقدمين وما منحوا به من الكرامات

وازدحامهم في عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه منقسمين الى مقربين وممقوتين ومقبولين ومردودين ومترددين في أول الامر بين الخوف والرجاء تردد الحاج في الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم اتمام الحج وقبوله أم لا (وأما دخول مكة) فليتذكر عندها انه قد انتهى الى حرم الله تعالى آمنا وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت وليكن رجاؤه في جميع الاوقات غالبا فالكرم عميم والرب رحيم وشرف البيت عظيم وحق الزائر مرعي وذمام المستجير اللائذ غير مضيع (وأما وقوع البصر على البيت) فينبغي أن يحضر عنده عظمة البيت في القلب ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه اياه وارج أن يرزقك الله تعالى النظر الى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر الى بيته العظيم واشكر الله تعالى على تبليغه اياك هذه الرتبة والحاقه اياك بزمرة الوافدين عليه واذكر عند ذلك انصباب الناس في القيامة الى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ثم انقسامهم الى مأذونين في الدخول ومصروفين انقسام الحاج الى مقبولين ومردودين ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة في شيء مما تراه فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة (وأما الطواف بالبيت) فاعلم أنه صلاة فاحضر في قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه في كتاب الصلاة واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت حتى لا تبتدئ الذكر الا منه ولا تختم الا به كما تبتدئ الطواف من البيت وتختم بالبيت واعلم أن طواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية وان البيت مثال ظاهر في عالم الملك لتلك الحضرة التي لا تشاهد بالبصر وهي عالم الملكوت كما أن البدن مثال ظاهر في عالم الشهادة للقلب الذي لا يشاهد بالبصر وهو في عالم الغيب وان عالم الملك والشهادة مدرجة الى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بان البيت المعمور في السموات بازاء الكعبة فان طواف الملائكة به كطواف الانس بهذا البيت ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ووعدوا بأن (١) من تشبه بقوم فهو منهم والذي يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذي يقال ان الكعبة تزوره وتطوف به على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى (وأما الاستلام) فاعتقد عنده انك مبايع لله عز وجل على طاعته فصمم عزيمتك على الوفاء ببيعتك فمن غدر في المبايعة استحق المقت وقد روى ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ انه (٢) قال الحجر الأسود يمين الله عز وجل في الارض يصافح بها خلقه كما يصافح الرجل أخاه (وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم) فلتكن نيتك في الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت وتبركا بالمماسة ورجاء للتحصن عن النار في كل جزء من بدنك لا في البيت ولتكن نيتك في التعلق بالستر الالحاح في طلب المغفرة وسؤال الامان كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب اليه المتضرع اليه في عفوه عنه المظهر له انه لا ملجأ له منه الا اليه ولا مفزع له الا كرمه وعفوه وانه لا يفارق ذيله الا بالعفو وبذل الأمن في المستقبل (وأما السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت) فانه يضاهي تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء للملاحظة بعين الرحمة كالذي دخل على الملك وخرج وهو لا يدري ما الذي يقضي به الملك في حقه من قبول أو رد فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم في الثانية ان لم يرحم في الأولى وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتي الميزان في عرصات القيامة وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيآت وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا الى الرجحان والنقصان مترددا بين العذاب والغفران (وأما الوقوف بعرفة) فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات واتباع الفرق

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح (٢) حديث ابن عباس الحجر يمين الله في الارض يصافح بها خلقه الحديث تقدم في العلم من حديث عبد الله بن عمرو

يبقى منكسر القلب متهما لنفسه في صحة عمله حيث لم يكشف بشيء من ذلك ولو علموا سر ذلك لهان عليهم الأمر فيه فيعلم ان الله سبحانه وتعالى قد يفتح على بعض المجتهدين الصادقين من ذلك بابا والحكمة فيه ان يزداد بما يرى من خوارق العادات وآثار القدرة يقينا فيقوى عزمه على الزهد في الدنيا والخروج من دواعي الهوى وقد يكون بعض عباده يكاشف بصرف اليقين ويرفع عن قلبه الحجاب ومن كوشف بصرف اليقين استغنى بذلك عن رؤية خوارق العادات لان المراد منها كان حصول اليقين وقد حصل اليقين فلو كوشف هذا المرزوق صرف اليقين بشيء من ذلك ما ازداد يقينا

أنتم في الترددات على المشاعر اقتفاء لهم وسيرا بسيرهم عرصات القيامة واجتماع الامم مع الانبياء والائمة واقتداء كل أمة بنبيها وطمعهم في شفاعتهم وتحيرهم في ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول واذا تذكرت ذلك فألزم قلبك الضراعة والابتهال الى الله عز وجل فتحشر في زمرة الفائزين المرحومين وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف والرحمة انما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الارض ولا ينفك الموقف عن طبقة الابدال والاوتاد وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت اليه أعناقهم وشخصت نحو السماء أبصارهم مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم ولذلك قيل ان من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الابدال والاوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده فلا طريق الى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب في وقت واحد على صعيد واحد (وأما رمي الجمار) فاقصد به الانقياد للامر اظهارا للرق والعبودية وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له ابليس لعنه الله تعالى في ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لي الشيطان فاعلم ان هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذي ألقاه في قلبك ليفتر عزمك في الرمي ويخيل اليك أنه فعل لا فائدة فيه وأنه يضاهي اللعب فلم تشتغل به فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير في الرمي فيه برغم أنف الشيطان واعلم انك في الظاهر ترمي الحصى إلى العقبة وفي الحقيقة ترمي به وجه الشيطان وتقصم به ظهره إذ لا يحصل ارغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الامر من غير حظ للنفس والعقل فيه (وأما ذبح الهدي) فاعلم أنه تقرب الى الله تعالى بحكم الامتثال فأكمل الهدي وارج (١) أن يعتق الله بكل جزء منه جزأ منك من النار فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدي أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم (وأما زيارة المدينة) فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التي اختارها الله عز وجل لنبيه ﷺ وجعل اليها هجرته وأنها داره التي شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسننه وجاهد عدوه وأظهر بها دينه إلى أن توفاه الله عز وجل ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضي الله عنهما ثم مثل في نفسك مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند تردداته فيها وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل وتذكر مشيه وتخطيه في سككها وتصور خشوعه وسكينته في المشي وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه واحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته ثم تذكر ما من الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه واعظم تأسفك على ما فاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضي الله عنهم ثم اذكر انك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وانك من رؤيته في الآخرة على خطر وانك ربما لا تراه إلا بحسرة وقد حيل بينك وبين قبوله إياك بسوء عملك كما قال ﷺ (٢) يرفع الله إلي أقواما فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا فان تركت حرمة شريعته ولو في دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك وبينه بعدولك عن محجته وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك وبينه بعد أن رزقك

(١) حديث انه يعتق بكل جزء من الاضحية جزأ من المضحي من النار لم أقف له على أصل وفي كتاب الضحايا لأبي الشيخ من حديث ابي سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها ان يغفر لك ما تقدم من ذنوبك يقوله لفاطمة واسناده ضعيف (٢) حديث يرفع إلي اقوام فيقولون يا محمد يا محمد فأقول يا رب أصحابي فيقول انك لا تدري ما احدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يا محمد يا محمد

فلا تقتضي الحكمة كشف القدرة بخوارق العادات لهذا الموضع لاستغنائه وتقتضي الحكمة كشف ذلك للآخر لموضع حاجته فكان هذا الثاني يكون أتم استعدادا وأهلية من الأول حيث رزق حاصل ذلك وهو صرف اليقين بغير واسطة من رؤية قدرة فان فيه آفة وهو العجب فأغني عن رؤية شيء من ذلك فسبيل الصادق مطالبة النفس بالاستقامة فهي كل الكرامة ثم اذا وقع في طريقه شيء من ذلك جاز وحسن وان لم يقع فلا يبالي ولا ينقص بذلك وانما ينقص بالاخلال بواجب حق الاستقامة فليعلم هذا لانه أصل كبير للطالبين فالعلماء الزاهدون ومشايخ الصوفية والمقربون حيث أكرموا بالقيام بواجب حق الاستقامة رزقوا سائر العلوم التي أشار اليها المتقدمون كما ذكرنا وزعموا أنها فرض فمن ذلك علم الحال وعلم القيام وعلم الخواطر وسنشرح علم الخواطر وتفصيلها في باب

الايمان وأشخصك من وطنك لاجل زيارته من غير تجارة ولا حظ في دنيا بل لمحض حبك له وشوقك الى أن تنظر الى آثاره والى حائط قبره اذا سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته فما اجدرك بان ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة فاذا بلغت المسجد فاذكر انها العرصة التي اختارها الله سبحانه لنبيه ﷺ ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة وان فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت في تلك العرصة وانها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا فليعظم أملك في الله سبحانه أن يرحمك بدخولك اياه فادخله خاشعا معظما وما أجدر هذا المكان بان يستدعي الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن ابى سليمان انه قال حج أويس القرني رضي الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له هذا قبر النبي ﷺ فغشى عليه فلما أفاق قال أخرجوني فليس يلذ لي بلد فيه محمد ﷺ مدفون (وأما زيارة رسول الله ﷺ) فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه وتزوره ميتا كما تزوره حيا ولا تقرب من قبره الا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا وكما كنت ترى الحرمة في أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه فكذلك فافعل فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود واعلم انه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك وانه يبلغه سلامك وصلاتك فمثل صورته الكريمة في خيالك موضوعا في اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته في قلبك فقد روى عنه ﷺ (١) ان الله تعالى وكل بقبره ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته هذا في حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادي شوقا إلى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة وقد قال ﷺ (٢) من صلى علي مرة واحدة صلى الله عليه عشرا فهذا جزاؤه في الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ثم ائت منبر الرسول ﷺ وتوهم صعود النبي ﷺ المنبر ومثل في قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضي الله عنهم وهو ﷺ يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته وسل الله عز وجل أن لا يفرق في القيامة بينك وبينه فهذه وظيفة القلب في أعمال الحج فاذا فرغ منها كلها فينبغي ان يلازم قلبه الحزن والهم والخوف وانه ليس يدري أقبل منه حجه واثبت في زمرة المحبوبين أم رد حجه وألحق بالمطرودين وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الانس بالله تعالى ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع فليثق بالقبول فان الله تعالى لا يقبل إلا من احبه ومن احبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته وكف عنه سطوة عدوه ابليس لعنه الله فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وان كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك * تم كتاب أسرار الحج يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرآن

﴿ كتاب آداب تلاوة القرآن ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله الذى امتن على عباده بنبيه المرسل ﷺ وكتابه المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد حتى اتسع على أهل الافكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والاخبار واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصل فيه من الاحكام وفرق بين الحلال والحرام فهو الضياء والنور وبه النجاة من الغرور وفيه شفاء لما في الصدور من خالفه من الجبابرة قصمه الله ومن ابتغى العلم في غيره أضله

(١) حديث ان الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من امته ن حب لـ من حديث ابن مسعود بلفظ ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني عن أمتي السلام (٢) حديث من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا م من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو

﴿ كتاب آداب تلاوة القرآن ﴾

ان شاء الله تعالى وعلم اليقين وعلم الاخلاص وعلم النفس ومعرفتها ومعرفة اخلاقها وعلم النفس ومعرفتها من اعز علوم القوم واقوم الناس بطريق المقربين والصوفية أقومهم بمعرفة النفس وعلم معرفة اقسام الدنيا ووجود دقائق الهوى وخفايا شهوات النفس وشرها وشرهها وعلم الضرورة ومطالبة النفس بالوقوف على الضرورة قولا وفعلا ولبسا وخلعا واكلا ونوما ومعرفة حقائق التوبة وعلم خفي الذنوب ومعرفة سيآت هي حسنات الابرار ومطالبة النفس بترك مالا يعني ومطالبة الباطن بحصر خواطر المعصية ثم بحصر خواطر الفضول ثم علم المراقبة وعلم ما يقدح في المراقبة وعلم المحاسبة والرعاية وعلم حقائق التوكل وذنوب المتوكل في توكله وما يقدح في التوكل ومالا يقدح والفرق بين التوكل الواجب بحكم الايمان وبين

الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والعروة الوثقى والمعتصم الأوفى وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير لا تنقضي عجائبه ولا تتناهى غرائبه لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد هو الذي أرشد الأولين والآخرين ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا الى قومهم منذرين فقالوا انا سمعنا قرآناً عجباً يهدي الى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً فكل من آمن به فقد وفق ومن قال به فقد صدق ومن تمسك به فقد هدى ومن عمل به فقد فاز وقال تعالى ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ومن أسباب حفظه في القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة وذلك لا بد من بيانه وتفصيله وتنكشف مقاصده في أربعة أبواب ﴿الباب الأول﴾ في فضل القرآن وأهله ﴿الباب الثاني﴾ في آداب التلاوة في الظاهر ﴿الباب الثالث﴾ في الأعمال الباطنة عند التلاوة ﴿الباب الرابع﴾ في فهم القرآن وتفسيره بالرأي وغيره

﴿الباب الأول في فضل القرآن وأهله وذم المقصرين في تلاوته﴾

﴿فضيلة القرآن﴾

قال ﷺ (١) من قرأ القرآن ثم رأى أن أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى وقال ﷺ (٢) ما من شفيع أفضل منزلة عند الله تعالى من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره وقال ﷺ (٣) لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار وقال ﷺ (٤) أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن وقال ﷺ أيضاً (٥) ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لأمة ينزل عليهم هذا وطوبى لأجواف تحمل هذا وطوبى لألسنة تنطق بهذا وقال ﷺ (٦) خيركم من تعلم القرآن وعلمه وقال ﷺ (٧) يقول الله تبارك وتعالى من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسئلتي أعطيته أفضل ثواب الشاكرين وقال ﷺ (٨) ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك أسود لا يهولهم فزع ولا ينالهم حساب حتى يفرغ ما بين الناس رجل قرأ القرآن ابتغاء وجه الله عز وجل ورجل أم به قوماً وهم به راضون وقال ﷺ (٩) أهل القرآن أهل الله وخاصته وقال ﷺ (١٠) ان القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد فقيل يا رسول الله وما جلاؤها فقال تلاوة القرآن وذكر

﴿الباب الأول في فضل القرآن وأهله﴾

(١) حديث من قرأ القرآن ثم رأى ان أحداً أوتي أفضل مما أوتي فقد استصغر ما عظمه الله طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٢) حديث ما من شفيع أعظم منزلة عند الله من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلاً وللطبراني من حديث ابن مسعود القرآن شافع مشفع ولمسلم من حديث أبي أمامة اقرؤا القرآن فانه يجيء يوم القيامة شفيعاً لصاحبه (٣) حديث لو كان القرآن في إهاب ما مسته النار الطبراني وابن حبان في الضعفاء من حديث سهل بن سعد ولأحمد والدارمي والطبراني من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدي والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث عصمة بن مالك باسناد ضعيف (٤) حديث أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن أبو نعيم في فضائل القرآن من حديث النعمان بن بشير وأنس واسنادهما ضعيف (٥) حديث ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام الحديث الدارمي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف (٦) حديث خيركم من تعلم القرآن وعلمه خ من حديث عثمان ابن عفان (٧) حديث يقول الله من شغله قراءة القرآن عن دعائي ومسئلتي أعطيته ثواب الشاكرين ت من حديث أبي سعيد من شغله القرآن عن ذكري أو مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف (٨) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك الحديث تقدم في الصلاة (٩) حديث أهل القرآن أهل الله وخاصته ن في الكبرى وه ك من حديث أنس باسناد حسن (١٠) حديث ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ما جلاؤها قال تلاوة القرآن وذكر الموت البيهقي في الشعب من

وما لا يقدح في حقيقته ومعرفة الزهد في الزهد ومعرفة زهد ثالث بعد الزهد في الزهد وعلم الانابة والالتجاء ومعرفة أوقات الدعاء ومعرفة وقت السكوت عن الدعاء وعلم المحبة والفرق بين المحبة والعامة المفسرة بامتثال الامر والمحبة الخالصة وقد أنكر طائفة من علماء الدنيا دعوى علماء الآخرة المحبة الخاصة كما أنكروا الرضا وقالوا ليس الا الصبر وانقسام المحبة الخاصة الى محبة الذات والى محبة الصفات والفرق بين محبة القلب ومحبة الروح ومحبة العقل ومحبة النفس والفرق بين مقام المحب والمحبوب والمريد والمراد ثم علوم المشاهدات كعلم الهيبة والانس والقبض والبسط والفرق بين القبض والهم والنشاط وعلم الفناء والبقاء وتفاوت أحوال الفناء والاستتار والتجلي

الموت وقال ﷺ (١) لله أشد أذنا الى قارىء القرآن من صاحب القينة الى قينته (الآثار) قال أبو امامة الباهلى اقرؤا القرآن ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرآن وقال ابن مسعود اذا أردتم العلم فانثروا القرآن فان فيه علم الأولين والآخرين وقال أيضا اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات أما انى لا أقول الحرف الم ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف وقال أيضا لا يسأل أحدكم عن نفسه الا القرآن فان كان يحب القرآن ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله ﷺ وان كان يبغض القرآن فهو يبغض الله سبحانه ورسوله ﷺ وقال عمرو بن العاص كل آية فى القرآن درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم وقال أيضا من قرأ القرآن فقد أدرجت النبوة بين جنبيه الا أنه لا يوحى اليه وقال أبو هريرة ان البيت الذى يتلى فيه القرآن اتسع بأهله وكثر خيره وحضرته الملائكة وخرجت منه الشياطين وان البيت الذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته الشياطين وقال أحمد بن حنبل رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون اليك قال بكلامى يا أحمد قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم قال بفهم وبغير فهم وقال محمد بن كعب القرظى اذا سمع الناس القرآن من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط وقال الفضيل بن عياض ينبغى لحامل القرآن أن لا يكون له الى أحد حاجة ولا الى الخلفاء فمن دونهم فينبغى أن تكون حوائج الخلق اليه وقال أيضا حامل القرآن حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ولا يسهو مع من يسهو ولا يلغو مع من يلغو تعظيما لحق القرآن وقال سفيان الثورى اذا قرأ الرجل القرآن قبله الملك بين عينيه وقال عمرو بن ميمون من نشر مصحفا حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا ويروى (٢) ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله ﷺ وقال اقرأ على القرآن فقرأ عليه (ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى) الآية فقال له أعد فأعاد فقال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمورق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر وقال الحسن والله مادون القرآن من غنى ولا بعده من فاقة وقال الفضيل من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء وقال القاسم بن عبد الرحمن قلت لبعض النساك ماههنا أحد نستأنس به فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال هذا وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه ثلاث يزدن فى الحفظ ويذهبن البلغم السواك والصيام وقراءة القرآن

(فى ذم تلاوة الغافلين)

قال أنس بن مالك رب تال للقرآن والقرآن يلعنه وقال ميسرة الغريب هو القرآن فى جوف الفاجر وقال أبو سليمان الدارانى الزبانية أسرع الى حملة القرآن الذين يعصون الله عز وجل منهم الى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرآن وقال بعض العلماء اذا قرأ ابن آدم القرآن ثم خلط ثم عاد فقرأ قيل له مالك ولكلامى وقال ابن الرماح ندمت على استظهارى القرآن لأنه بلغنى ان أصحاب القرآن يسئلون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة وقال ابن مسعود ينبغى لحامل القرآن أن يعرف بليله اذا الناس ينامون وبنهاره اذا الناس يفرطون وبحزنه اذا الناس يفرحون وببكائه اذا الناس يضحكون وبصمته اذا الناس يخوضون وبخشوعه اذا الناس يختالون وينبغى لحامل القرآن أن يكون مستكينا لينا ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا

حديث ابن عمر بسند ضعيف (١) حديث لله أشد أذنا الى قارىء القرآن من صاحب القينة الى قينته ه حب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد (٢) حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله ﷺ وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة وكذا ذكره ابن اسحق

والجمع والفرق واللوامع والطوالع والبوداى والصحو والسكر الى غير ذلك لو اتسع الوقت ذكرناها وشرحناها فى مجلدات ولكن العمر قصير والوقت عزيز ولولا سهم الغفلة لضاق الوقت عن هذا القدر أيضا وهذا المختصر المؤلف يحتوى من علوم القوم على طرف صالح نرجو من الله الكريم أن ينفع به ويجعله حجة لنا لا حجة علينا وهذه كلها علوم من ورائها علوم عمل بمقتضاها وظفر بها علماء الآخرة الزاهدون وحرم ذلك علماء الدنيا الراغبون وهى علوم ذوقية لا يكاد النظر يصل اليها الا بذوق ووجدان كالعلم بكيفية حلاوة السكر لا يحصل بالوصف فمن ذاقه عرفه وينبئك عن شرف علم الصوفية وزهاد العلماء ان العلوم كلها لا يتعذر تحصيلها مع محبة الدنيا والاخلال بحقائق التقوى وربما كان محبة الدنيا عونا على اكتسابها لان الاشتغال بها

ولا

ولا حديدا وقال ﷺ (١) أكثر منافقي هذه الأمة قراؤها وقال ﷺ (٢) اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه وقال ﷺ (٣) ما آمن بالقرآن من استحل محارمه وقال بعض السلف ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه الملائكة حتى يفرغ منها وان العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها فقيل له وكيف ذلك فقال اذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته وقال بعض العلماء ان العبد ليتلو القرآن فيلعن نفسه وهو لا يعلم يقول ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم وقال الحسن انكم اتخذتم قراءة القرآن مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله وان من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار وقال ابن مسعود أنزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ان أحدكم ليقرأ القرآن من فاتحته الى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به وفي حديث ابن عمر وحديث جندب رضي الله عنهما (٤) لقد عشنا دهرا طويلا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن فتنزل السورة على محمد ﷺ فيتعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها ثم لقد رأيت رجالا يؤتى أحدهم القرآن قبل الايمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب الى خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره ولا ما ينبغي أن يقف عنده منه ينثره نثر الدقل وقد ورد في التوراة يا عبدي أما تستحي مني يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت في الطريق تمشي فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شيء منه وهذا كتابي أنزلته اليك أنظر كم فصلت لك فيه من القول وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك يا عبدي يقعد اليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغي الى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أو شغلك شاغل عن حديثه أومأت اليه أن كف وها أنا ذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك

﴿ الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة وهي عشرة ﴾

﴿ الأول في حال القارئ ﴾ وهو أن يكون على الوضوء واقفا على هيئة الأدب والسكون إما قائما وإما جالسا مستقبل القبلة مطرقا رأسه غير متربع ولا متكئ ولا جالس على هيئة التكبر ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدي أستاذه وأفضل الأحوال أن يقرأ في الصلاة قائما وأن يكون في المسجد فذلك من أفضل الأعمال فان قرأ على غير وضوء وكان مضطجعا في الفراش فله أيضا فضل ولكنه دون ذلك قال الله تعالى ﴿ الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ﴾ فأثنى على الكل ولكن قدم القيام في الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأها في غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب قال أبو ذر الغفاري رضي الله عنه ان كثرة السجود بالنهار وان طول القيام بالليل أفضل ﴿ الثاني في مقدار القراءة ﴾ وللقراء عادات مختلفة في الاستكثار والاختصار فمنهم من يختم القرآن في اليوم والليلة مرة وبعضهم مرتين وانتهى بعضهم الى ثلاث ومنهم من يختم في الشهر مرة وأولى ما يرجع اليه في التقديرات قول رسول

في السيرة بنحوه (١) حديث أكثر منافقي أمتي قراؤها أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيهما ابن لهيعة (٢) حديث اقرأ القرآن ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف (٣) حديث ما آمن بالقرآن من استحل محارمه ت من حديث صهيب وقال ليس إسناده بالقوي (٤) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرآن الحديث تقدما في العلم

﴿ الباب الثاني في ظاهر آداب التلاوة ﴾

الى تحمل الكلف وسهر الليل والصبر على الغربة والأسفار وتعذر الملاذ والشهوات وعلوم هؤلاء القوم لا تحصل مع محبة الدنيا ولا تنكشف إلا بمجانبة الهوى ولا تدرس إلا في مدرسة التقوى قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله جعل العلم ميراث التقوى وغير علوم هؤلاء القوم متيسر من غير ذلك بلا شك فعلم فضل علم علماء الآخرة حيث لم يكشف النقاب إلا لأولي الالباب وأولوا الألباب حقيقة هم الزاهدون في الدنيا قال بعض الفقهاء اذا أوصى رجل بماله لأعقل الناس يصرف الى الزهاد لأنهم أعقل الخلق ٭ قال سهل بن عبد الله التستري للعقل ألف إسم ولكل اسم منه ألف اسم وأول كل إسم منه ترك الدنيا (حدثنا) الشيخ الصالح أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال انا أبو الفضل احمد بن احمد

الله صلى الله عليه وسلم (١) من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه وذلك لأن الزيادة عليه تمنعه الترتيل وقد قالت عائشة رضي الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرآن هذرا ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت وأمر النبي صلى الله عليه وسلم (٢) عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن يختم القرآن في كل سبع وكذلك كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يختمون القرآن في كل جمعة كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وأبي بن كعب رضي الله عنهم ففي الختم أربع درجات الختم في يوم وليلة وقد كرهه جماعة والختم في كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزأ وكأنه مبالغة في الاقتصار كما أن الأول مبالغة في الاستكثار وبينهما درجتان معتدلتان إحداهما في الأسبوع مرة والثانية في الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث * والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين في ركعتي الفجر أو بعدهما ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة في ركعتي المغرب أو بعدهما ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته فإن الملائكة عليهم السلام تصلي عليه ان كانت ختمته ليلا حتى يصبح وان كان نهارا حتى يمسي فتشمل بركتهما جميع الليل والنهار والتفصيل في مقدار القراءة أنه ان كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغي أن ينقص عن ختمتين في الأسبوع وان كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر في الاسبوع على مرة وان كان نافذ الفكر في معاني القرآن فقد يكتفي في الشهر بمرة لكثرة حاجته الى كثرة الترديد والتأمل ﴿ الثالث في وجه القسمة ﴾ أما من ختم في الاسبوع مرة فيقسم القرآن (٣) سبعة أحزاب فقد حزب الصحابة رضي الله عنهم القرآن أحزابا فروي أن عثمان رضي الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة الى المائدة وليلة السبت بالأنعام الى هود وليلة الأحد بيوسف الى مريم وليلة الاثنين بطه الى طسم موسى وفرعون وليلة الثلاثاء بالعنكبوت الى ص وليلة الأربعاء بتنزيل الى الرحمن ويختم ليلة الخميس وابن مسعود كان يقسمه أقساما لا على هذا الترتيب وقيل أحزاب القرآن سبعة فالحزب الأول ثلاث سور والحزب الثاني خمس سور والحزب الثالث سبع سور والرابع تسع سور والخامس إحدى عشرة سورة والسادس ثلاث عشرة سورة والسابع المفصل من ق الى آخره فهكذا حزبه الصحابة رضي الله عنهم وكانوا يقرؤونه كذلك وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء فما سوى هذا محدث ﴿ الرابع في الكتابة ﴾ يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها فانها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء وروي عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك وكانوا يقولون جردوا القرآن والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدي الى إحداث زيادات وحسما للباب وتشوقا الى حراسة القرآن عما يطرق اليه تغييرا واذا لم يؤد الى محظور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ولا يمنع من ذلك كونه محدثا فكم من محدث حسن كما قيل في إقامة الجماعات في التراويح انها من محدثات عمر رضي الله وانها بدعة حسنة انما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضي الى تغييرها وبعضهم كان يقول أقرأ في المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسي وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير كان القرآن مجردا في المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به فانه نور له ثم أحدثوا بعده نقطا كبارا عند منتهى الآي فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح قال أبو بكر الهذلي

---

(١) حديث من قرأ القرآن في أقل من ثلاث لم يفقهه أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ت

(٢) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرآن في كل أسبوع متفق عليه من حديثه

(٣) حديث تحزيب القرآن على سبعة أحزاب د ه من حديث أوس بن حذيفة في حديث فيه طرأ علي حزبي من القرآن قال أوس فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرآن قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفي رواية للطبراني فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزئ القرآن فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا وإسناده حسن

قال انا الحافظ ابو نعيم الاصفهاني قال حدثنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا العباس بن احمد الشاشي قال حدثنا أبو عقيل الوصافي قال انا عبد الله الخواص وكان من أصحاب حاتم قال دخلت مع أبي عبد الرحمن حاتم الأصم الري ومعه ثلثمائة وعشرون رجلا يريدون الحج وعليهم الصوف والزرمنقات ليس معهم جراب ولا طعام فدخلنا الري على رجل من التجار متنسك يحب المتقشفين فأضافنا تلك الليلة فلما كان من الغد قال لحاتم يا أبا عبد الرحمن ألك حاجة فاني أريد أن أعود فقيها لنا هو عليل فقال حاتم ان كان لكم فقيه عليل فعيادة الفقيه لها فضل والنظر الى الفقيه عبادة فأنا أيضا أجيء معك وكان العليل محمد بن مقاتل قاضي الري فقال سر بنا يا أبا عبد الرحمن فجاؤوا الى الباب فاذا باب مشرف حسن فبقي حاتم متفكرا يقول باب عالم على هذا الحال ثم أذن لهم.

ذلك

سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالاحمر فقال وما تنقيطها قلت يعربون الكلمة بالعربية قال أما اعراب القرآن فلا بأس به وقال خالد الحذاء دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ في مصحف منقوط وقد كان يكره النقط وقيل ان الحجاج هو الذي أحدث ذلك وأحضر القراء حتى عدوا كلمات القرآن وحروفه وسووا أجزاءه وقسموه الى ثلاثين جزأ والى أقسام أخر ﴿الخامس الترتيل﴾ هو المستحب في هيئة القرآن لانا سنبين ان المقصود من القراءة التفكر والترتيل معين عليه ولذلك نعتت أم سلمة رضي الله عنها قراءة رسول الله ﷺ (١) فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا وقال ابن عباس رضي الله عنه لان اقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب الىّ من أن أقرأ القرآن كله هذرمة وقال أيضا لأن أقرأ اذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب الىّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا وسئل مجاهد عن رجلين دخلا في الصلاة فكان قيامهما واحدا الا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرآن كله فقال هما في الأجر سواء واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر فان العجمي الذي لا يفهم معنى القرآن يستحب له في القراءة أيضا الترتيل والتؤدة لان ذلك أقرب الى التوقير والاحترام وأشد تأثيرا في القلب من الهذرمة والاستعجال ﴿السادس البكاء﴾ البكاء مستحب مع القراءة قال رسول الله ﷺ (٢) اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا وقال ﷺ (٣) ليس منا من لم يتغن بالقرآن وقال صالح المرى قرأت القرآن على رسول الله ﷺ في المنام فقال لي يا صالح هذه القراءة فأين البكاء وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه وانما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن فمن الحزن ينشأ البكاء قال ﷺ (٤) ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ووجه احضار الحزن ان يتأمل ما فيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ثم يتأمل تقصيره في أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك اعظم المصائب ﴿السابع ان يراعي حق الآيات﴾ فاذا مر بآية سجدة سجد وكذلك اذا سمع من غيره سجدة سجد اذا سجد التالي ولا يسجد الا اذا كان على طهارة وفي القرآن أربع عشرة سجدة وفي الحج سجدتان وليس في ص سجدة واقله ان يسجد بوضع جبهته على الارض وأكمله ان يكبر فيسجد ويدعو في سجوده بما يليق بالآية التي قرأها مثل ان يقرأ قوله تعالى ﴿خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون﴾ فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك اوعلى اوليائك واذا قرأ قوله تعالى ﴿ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا﴾ فيقول اللهم اجعلني من الباكين اليك الخاشعين لك وكذلك كل سجدة ويشترط في هذه السجدة شروط الصلاة من ستر العورة واستقبال القبلة وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد وقد قيل في كمالها انه يكبر رافعا يديه لتحريمه ثم يكبر للهوى للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم وزاد زائدون التشهد ولا اصل لهذا الا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد فانه ورد الأمر في السجود فليتبع فيه الامر وتكبيرة الهوى اقرب للبداية وماعدا ذلك فيه بعد ثم المأموم ينبغي ان يسجد عند سجود الامام ولا يسجد لتلاوة نفسه اذا كان مأموما ﴿الثامن ان يقول في مبتدا قراءته﴾ اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان يحضرون وليقرأ قل اعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله ﷺ اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله

---

(١) حديث نعتت ام سلمة قراءة النبي ﷺ فاذا هي تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا د ن ت وقال حسن صحيح

(٢) حديث اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا ه من حديث سعد بن أبي وقاص باسناد جيد (٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن خ من حديث ابي هريرة (٤) حديث ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا ابو يعلى وابو نعيم في الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف

فدخلوا فاذا دار قوراء واذا بزة ومنعة وستور وجمع فبقي حاتم متفكرا ثم دخلوا الى المجلس الذي هو فيه فاذا بفرش وطيئة واذا هو راقد عليها وعند رأسه غلام وبيده مذبة فقعد الرازى يسائله وحاتم قائم فأومأ اليه ابن مقاتل أن اقعد فقال لا أقعد فقال له ابن مقاتل لعل لك حاجة قال نعم قال وماهى قال مسئلة أسألك عنها قال سلنى قال فقم فاستو جالسا حتى أسألكها فأمر غلمانه فأسندوه فقال له حاتم علمك هذا من أين جئت به قال الثقات حدثونى به قال عمن قال عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عمن قال عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ورسول الله من أين جاء به قال عن جبرائيل قال حاتم ففيما أداه جبرائيل عن الله وأداه الى رسول الله وأداه رسول الله الى أصحابه وأداه أصحابه الى الثقات وأداه الثقات اليك هل سمعت

رب العالمين وأستغفر الله الحي القيوم وفى أثناء القراءة اذا مر بآية تسبيح سبح وكبر واذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر وان مر بمرجو سأل وان مر بمخوف استعاذ يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول سبحان الله نعوذ بالله اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا قال حذيفة صليت مع رسول الله ﷺ فابتدأ سورة البقرة (١) فكان لا يمر بآية رحمة الا سأل ولا بآية عذاب الا استعاذ ولا بآية تنزيه الا سبح فاذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه (٢) عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لى اماما ونورا وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين

﴿التاسع فى الجهر بالقراءة﴾ ولا شك فى أنه لابد أن يجهر به الى حد يسمع نفسه اذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف ولا بد من صوت فأقله ما يسمع نفسه فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر ويدل على استحباب الاسرار ما روى أنه ﷺ (٣) قال فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر به كالمسر بالصدقة وفى الخبر العام (٤) يفضل عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا وكذلك قوله ﷺ (٥) خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وفى الخبر (٦) لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة فى مسجد رسول الله ﷺ عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة فى صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه اذهب الى هذا المصلي فمره ان يخفض من صوته فقال الغلام ان المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته وقال يا أيها المصلي ان كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك وان كنت تريد الناس فانهم لن يغنوا عنك من الله شيأ فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته فلما سلم أخذ نعليه وانصرف وهو يومئذ أمير المدينة ويدل على استحباب الجهر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم (٧) سمع جماعة من أصحابه يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك وقد قال ﷺ (٨) اذا قام

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب الا تعوذ ولا بآية رحمة الا سأل ولا بآية تنزيه الا سبح م مع اختلاف لفظ (٢) حديث كان رسول الله ﷺ يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لى اماما وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لى حجة يارب العالمين رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الارجاني فى فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك فى الشمائل كلاهما من طريق أبى ذر الهروي من رواية داود بن قيس معضلا (٣) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية قال وفى لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة د ن ت وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثانى (٤) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا البيهقى فى الشعب من حديث عائشة (٥) حديث خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبى وقاص (٦) حديث لا يجهر بعضكم على بعض فى القراءة بين المغرب والعشاء رواه أبو داود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقى فى الشعب من حديث على قبل العشاء وبعدها وفيه الحرث الأعور وهو ضعيف (٧) حديث انه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك فى الصحيحين من حديث عائشة ان رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله ﷺ رحم الله فلانا الحديث ومن حديث أبى موسى قال قال رسول الله ﷺ لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة الحديث ومن حديثه أيضا انما أعرف أصوات رفقة الاشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن الحديث (٨) حديث اذا قام أحدكم من الليل يصلي فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون الى قراءته ويصلون بصلاته رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع

فى الدنيا ورغب فى الآخرة وأحب المساكين وقدم لآخرته كان له عند الله المنزلة أكثر قال حاتم فأنت بمن اقتديت بالنبي وأصحابه والصالحين أم بفرعون ونمرود أول من بنى بالجص والآجر يا علماء السوء مثلكم يراه الجاهل الطالب للدنيا الراغب فيها فيقول العالم على هذه الحالة لا أكون أنا شرا منه وخرج من عنده فازداد ابن مقاتل مرضا فبلغ أهل الرى ماجرى بينه وبين ابن مقاتل فقالوا له يا أبا عبد الرحمن بقزوين عالم أكبر شأنا من هذا وأشاروا به الى الطنافسي قال فسار اليه متعمدا فدخل عليه فقال رحمك الله أنا رجل أعجمي أحب أن تعلمني أول مبتدأ ديني ومفتاح صلاتي كيف أتوضأ للصلاة قال نعم وكرامة

أحدكم من الليل يصلي فليجهر بالقراءة فان الملائكة وعمار الدار يستمعون قراءته ويصلون بصلاته ومر ﷺ بثلاثة من أصحابه رضي الله عنهم مختلفي الأحوال (١) فمر على أبي بكر رضي الله عنه وهو يخافت فسأله عن ذلك فقال ان الذي أناجيه هو يسمعني ومر على عمر رضي الله عنه وهو يجهر فسأله عن ذلك فقال أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسأله عن ذلك فقال أخلط الطيب بالطيب فقال ﷺ كلكم قد أحسن وأصاب فالوجه في الجمع بين هذه الأحاديث ان الأسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل في حق من يخاف ذلك على نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل لان العمل فيه أكثر ولان فائدته أيضا تتعلق بغيره فالخير المتعدي أفضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القارئ ويجمع همه الى الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم في رفع الصوت ولانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق الى الخدمة فمتي حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل وان اجتمعت هذه النيات تضاعف الأجر وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم فان كان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور ولهذا نقول قراءة القرآن في المصاحف أفضل إذ يزيد في العمل النظر وتأمل المصحف وحمله فيزيد الأجر بسببه وقد قيل الختمة في المصحف بسبع لان النظر في المصحف أيضا عبادة وخرق عثمان رضي الله عنه مصحفين لكثرة قراءته منهما فكان كثير من الصحابة يقرؤن في المصاحف ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضي الله عنه في السحر وبين يديه مصحف فقال له الشافعي شغلكم الفقه عن القرآن إني لأصلي العتمة وأضع المصحف بين يدي فما أطبقه حتى أصبح ﴿العاشر﴾ تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم فذلك سنة قال ﷺ (٢) زينوا القرآن بأصواتكم وقال عليه السلام (٣) ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن وقال ﷺ ليس منا من لم يتغن بالقرآن فقيل أراد به الاستغناء وقيل أراد به الترنم وترديد الألحان به وهو أقرب عند أهل اللغة وروى أن رسول الله ﷺ كان ليلة (٤) ينتظر عائشة رضي الله عنها فأبطأت عليه فقال ﷺ ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أستمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام ﷺ حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال ﷺ هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله (٥) واستمع ﷺ أيضا ذات ليلة الى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما فوقفوا طويلا ثم قال ﷺ من أراد أن يقرأ القرآن غضا طريا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد وقال ﷺ (٦) لابن مسعود اقرأ علي فقال يا رسول الله أقرأ عليك وعليك أنزل فقال

---

(١) حديث مروره صلى الله عليه وسلم بأبي بكر وهو يخافت وبعمر وهو يجهر وببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة الحديث تقدم في الصلاة (٢) حديث زينوا القرآن بأصواتكم د ن ه حب ك وصححه من حديث البراء بن عازب (٣) حديث ما أذن الله لشيء إذنه لحسن الصوت بالقرآن متفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي يتغنى بالقرآن زاد م لنبي حسن الصوت وفي رواية له كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن (٤) حديث كان ينتظر عائشة فأبطأت عليه فقال ما حبسك قالت يا رسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صوتا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع اليه طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذي جعل في أمتي مثله ه من حديث عائشة ورجال إسناده ثقات (٥) حديث استمع ذات ليلة الى عبد الله ابن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من اراد أن يقرأ القرآن غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد أحمد ن في الكبرى من حديث عمر و ت ه من حديث ابن مسعود ان أبا بكر وعمر بشراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرآن الحديث قال ت حسن صحيح (٦) حديث انه قال لابن مسعود اقرأ فقال يا رسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال إني أحب أن أسمعه من غيري الحديث متفق عليه من حديث ابن

يافلام هات إناء فيه ماء فأتى بإناء فيه ماء فقعد الطنافسي فتوضأ ثلاثا ثلاثا ثم قال هكذا فتوضأ فقعد فتوضأ حاتم ثلاثا ثلاثا حتي اذا بلغ غسل الذراعين غسل أربعا فقال له الطنافسي ياهذا أسرفت فقال له حاتم فيماذا قال غسلت ذراعيك أربعا قال حاتم ياسبحان الله أنا في كف ماء أسرفت وأنت في هذا الجمع كله لم تسرف فعلم الطنافسي أنه أراده بذلك ولم يرد منه التعلم فدخل البيت ولم يخرج الى الناس أربعين يوما وكتب تجار الري وقزوين ما جرى بينه وبين ابن مقاتل والطنافسي فلما دخل بغداد اجتمع اليه أهل بغداد فقالوا له يا أبا عبد الرحمن أنت رجل ألكن أعجمي ليس يكلمك أحد إلا وقطعته قال معي ثلاث خصال بهن أظهر على خصمي قالوا اى شيء هي قال افرح اذا اصاب خصمي واحزن اذا اخطأ واحفظ نفسي ان لا اجهل عليه فبلغ ذلك احمد بن حنبل فجاء اليه وقال سبحان الله ما اعقله فلما دخلوا عليه قالوا

صلى الله عليه وسلم إلى أحب أن أسمعه من غيري فكان يقرأ وعينا رسول الله ﷺ تفيضان (١) واستمع صلى الله عليه وسلم الى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود فبلغ ذلك أبا موسى فقال يارسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا ورأى هيثم القارئ رسول الله ﷺ في المنام قال فقال لي أنت الهيثم الذي تزين القرآن بصوتك قلت نعم قال جزاك الله خيرا وفي الخبر كان أصحاب رسول الله ﷺ اذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن وقد كان عمر يقول لأبي موسى رضي الله عنهما ذكرنا ربنا فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط فيقال ياأمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أولسنا في صلاة إشارة الى قوله عزوجل ولذكر الله أكبر وقال صلى الله عليه وسلم (٢) من استمع الى آية من كتاب الله عز وجل كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالي هو السبب فيه كان شريكا في الأجر إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع

﴿ الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة وهي عشرة ﴾

فهم أصل الكلام ثم التعظيم ثم حضور القلب ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي عن موانع الفهم ثم التخصيص ثم التأثر ثم الترقي ثم التبري ﴿ فالأول ﴾ فهم عظمة الكلام وعلوه وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة أفهام خلقه فلينظر كيف لطف بخلقه في إيصال معاني كلامه الذي هو صفة قديمة قائمة بذاته الى أفهام خلقه وكيف تجلت لهم تلك الصفة في طي حروف وأصوات هي صفات البشر إذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لما ثبت لسماع الكلام عرش ولا ثرى ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة على حد فهم الخلق ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال ان كل حرف من كلام الله عز وجل في اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف وان الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ما أطاقوه حتى يأتي إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به ولقد تأنق بعض الحكماء في التعبير عن وجه اللطف في إيصال معاني الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته وضرب له مثلا لم يقصر فيه وذلك انه دعا بعض الملوك حكيم الى شريعة الأنبياء عليهم السلام فسأله الملك عن أمور فأجاب بما لا يحتمله فهمه فقال الملك أرأيت ما تأتي به الأنبياء اذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وانه كلام الله عزوجل فكيف يطيق الناس حمله فقال الحكيم إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير ما يريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وإدبارها ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه فنزلوا الى درجة تمييز البهائم وأوصلوا مقاصدهم الى بواطن البهائم باصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التي سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذي سمعت به الدواب من الناس ولم يمنع ذلك معاني الحكمة المخبوءة في تلك الصفات من أن شرف الكلام أي الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا

مسعود (١) حديث استمع الى قراءة أبي موسى فقال لقد أوتي هذا من مزامير آل داود متفق عليه من حديث أبي موسى (٢) حديث من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفي الخبر كتب له عشر حسنات أحمد من حديث أبي هريرة من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع

﴿ الباب الثالث في أعمال الباطن في التلاوة ﴾

ياأباعبد الرحمن ما السلامة من الدنيا قال حاتم ياأباعبد الله لا تسلم من الدنيا حتى يكون معك اربع خصال قال اى شيء هي ياأباعبد الرحمن قال تغفر للقوم جهلهم وتمنع جهلك عنهم وتبذل لهم شيئك وتكون من شيئهم آيسا فاذا كان هذا سلمت ثم سار الى المدينة * قال الله تعالى انما يخشى الله من عباده العلماء ذكر بكلمة انما فينتفي العلم عمن لا يخشى الله كما اذا قال إنما يدخل الدار بغدادي ينتفي دخول غير البغدادي الدار فلاح لعلماء الآخرة ان الطريق مسدود الى أنصبة المعارف ومقامات القرب إلا بالزهد والتقوى (قال ابو يزيد) رحمه الله يوما لاصحابه بقيت البارحة الى الصباح اجهد ان اقول لا إله إلا الله فما قدرت عليه قيل ولم ذلك قال ذكرت كلمة قلتها في صباي فجاءتني وحشة تلك الكلمة فمنعتني عن ذلك واعجب ممن يذكر الله تعالى

والحكمة

والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التي فيها والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم في الحق والباطل وهو القاضي العدل والشاهد المرتضى يأمر وينهى ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ويستدلون به على حوائجهم فقط فالكلام كالملك المحجوب الغائب وجهه النافذ أمره وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها وكالنجوم الزاهرة التي قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها فهو مفتاح الخزائن النفيسة وشراب الحياة الذي من شرب منه لم يمت ودواء الأسقام الذي من سقى منه لم يسقم فهذا الذي ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة فينبغي أن يقتصر عليه ﴿الثاني﴾ التعظيم للمتكلم فالقارئ عند البداية بتلاوة القرآن ينبغي أن يحضر في قلبه عظمة المتكلم ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر وأن في تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر فإنه تعالى قال ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبي جهل إذا نشر المصحف غشي عليه ويقول هو كلام ربي هو كلام ربي فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر في صفاته وجلاله وأفعاله فإذا حضر بباله العرش والكرسي والسموات والأرض وما بينهما من الجن والإنس والدواب والأشجار وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد وأن الكل في قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته إن أنعم فبفضله وإن عاقب فبعدله وأنه الذي يقول هؤلاء إلى الجنة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي وهذا غاية العظمة والتعالي فبالتفكر في أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام ﴿الثالث﴾ حضور القلب وترك حديث النفس قيل في تفسير يا يحيى خذ الكتاب بقوة أي بجد واجتهاد وأخذه بالجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره وقيل لبعضهم إذا قرأت القرآن تحدث نفسك بشيء فقال أو شيء أحب إلي من القرآن حتى أحدث به نفسي وكان بعض السلف إذا قرأ آية لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية وهذه الصفة تتولد عما قبلها من التعظيم فإن المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به ويستأنس ولا يغفل عنه ففي القرآن ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلا له فكيف يطلب الأنس بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها فقد قيل إن في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياضا وخانات فالميمات ميادين القرآن والراآت بساتين القرآن والحاآت مقاصيره والمسبحات عرائس القرآن والحاميمات ديابيج القرآن والمفصل رياضه والخانات ما سوى ذلك فإذا دخل القارئ الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الديابيج وتنزه في الرياض وسكن غرف الخانات استغرقه ذلك وشغله عما سواه فلم يعزب قلبه ولم يتفرق فكره ﴿الرابع﴾ التدبر وهو وراء حضور القلب فإنه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع القرآن من نفسه وهو لا يتدبره والمقصود من القراءة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن قال علي رضي الله عنه لا خير في عبادة لا فقه فيها ولا في قراءة لا تدبر فيها وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد فليردد إلا أن يكون خلف إمام فإنه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الإمام بآية أخرى كان مسيئا مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه وكذلك إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس فقد روي عن عامر بن عبد قيس أنه قال الوسواس يعتريني في الصلاة فقيل في أمر الدنيا فقال لأن تختلف في الأسنة أحب إلي من ذلك ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدي ربي عز وجل وإني كيف أنصرف فعد

وهو متصف بشيء من صفاته فبصفاء التقوى وكمال الزهادة يصير العبد راسخا في العلم (قال الواسطي) الراسخون في العلم هم الذين رسخوا بأرواحهم في غيب الغيب في سر السر فعرفهم ما عرفهم وخاضوا في بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم من مذخور الخزائن ما تحت كل حرف من الكلام من الفهم وعجائب الخطاب فنطقوا بالحكم وقال بعضهم الراسخ من اطلع على محل المراد من الخطاب (وقال) الخراز هم الذين كملوا في جميع العلوم وعرفوها واطلعوا على همم الخلائق كلهم أجمعين وهذا القول من أبي سعيد لا يعني به أن الراسخ في العلم ينبغي أن يقف على جزئيات العلوم ويكمل فيها فإن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كان من الراسخين في العلم ووقف في معنى قوله تعالى ـ وفاكهة وأبا ـ وقال ما الأب ثم قال إن هذا إلا تكلف ونقل أن هذا الوقوف في معنى الأب كان من

ذلك وسواسا وهو كذلك فانه يشغله عن فهم ما هو فيه والشيطان لا يقدر على مثله الا بان يشغله بمهم دينى ولكن يمنعه به عن الأفضل ولما ذكر ذلك للحسن قال ان كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا ويروى أنه ﷺ (١) قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة وانما رددها ﷺ لتدبره فى معانيها وعن أبى ذر قال قام رسول الله ﷺ (٢) بنا ليلة فقام بآية يرددها وهى إن تعذبهم فانهم عبادك وإن تغفر لهم الآية وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام سعيد بن جبير ليلة يردد هذه الآية ﴿وامتازوا اليوم أيها المجرمون﴾ وقال بعضهم انى لافتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر وكان بعضهم يقول آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعد لها ثوابا وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال انى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا انى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها الى غيرها وعن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها وقال بعض العارفين لى فى كل جمعة ختمة وفى كل شهر ختمة وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه وكان هذا أيضا يقول أقمت نفسى مقام الاجراء فانا اعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة ﴿الخامس التفهم﴾ وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها اذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل وذكر أفعاله وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام وذكر أحوال المكذبين لهم وانهم كيف أهلكوا وذكر أوامره وزواجره وذكر الجنة والنار * أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى ﴿ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾ وكقوله تعالى ﴿الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر﴾ فليتأمل معانى هذه الاسماء والصفات لينكشف له أسرارها فتحتها معان مدفونة لا تنكشف الا للموفقين واليه أشار على رضى الله عنه بقوله (٣) ما أسر الى رسول الله ﷺ شيأ كتمه عن الناس الا أن يؤتى الله عز وجل عبدا فهما فى كتابه فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم وقال ابن مسعود رضى الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرآن وأعظم علوم القرآن تحت أسماء الله عز وجل وصفاته اذ لم يدرك أكثر الخلق منها الا أمورا لائقة بافهامهم ولم يعثروا على أغوارها وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والارض وغيرها فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله اذ الفعل يدل على الفاعل فتدل عظمته على عظمته فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق رآه فى كل شىء اذ كل شىء فهو منه واليه وبه وله فهو الكل على التحقيق ومن لا يراه فى كل ما يراه فكأنه ما عرفه ومن عرفه عرف ان كل شىء ما خلا الله باطل وان كل شىء هالك الا وجهه لا أنه سيبطل فى ثانى الحال بل هو الآن باطل ان اعتبر ذاته من حيث هو الا أن يعتبر وجوده من حيث إنه موجود بالله عز وجل وبقدرته فيكون له بطريق التبعية ثبات وبطريق الاستقلال بطلان محض وهذا مبدأ من مبادى علم المكاشفة ولهذا ينبغى اذا قرأ التالى قوله عز وجل ﴿أفرأيتم ما تحرثون أفرأيتم ما تمنون أفرأيتم الماء الذى تشربون أفرأيتم النار التى تورون﴾ فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الاجزاء ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب وكيفية تشكل أعضائها بالاشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ثم الى ما ظهر فيها من الصفات الشريفة من

(١) حديث أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة رواه أبو ذر الهروى فى معجمه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٢) حديث أبى ذر قام رسول الله ﷺ فينا ليلة بآية يرددها وهى إن تعذبهم فانهم عبادك ن ه بسند صحيح (٣) حديث على ما أسر الى رسول الله ﷺ شيأ كتمه عن الناس الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه ن من رواية أبى جحيفة قال سألنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله ﷺ شىء سوى القرآن فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه الحديث وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله ﷺ ما ليس فى القرآن وفى رواية وقال مرة ما ليس عند الناس ولأبى داود والنسائى فقلنا هل عهد اليك رسول الله ﷺ شيأ لم يعهده الى الناس قال لا الا ما فى كتابى هذا الحديث ولم

ابى بكر رضى الله تعالى عنه وانما عنى بذلك ابو سعيد ما يفسر اول كلامه بآخره وهو قوله اطلعوا على همم الخلائق كلهم لان المتقى حق التقوى والزهد حق الزهادة فى الدنيا صفا باطنه وانجلت مرآة قلبه ووقعت له محاذاة بشىء من اللوح المحفوظ فادرك بصفاء الباطن أمهات العلوم واصولها فيعلم منتهى اقدام العلماء فى علومهم وفائدة كل علم والعلوم الجزئية متجزئة فى النفوس بالتعليم والممارسة فلا يغنيه علمه الكلى ان يراجع فى الجزئى اهله الذين هم اوعيته فنفوس هؤلاء امتلات من الجزئى وتشققت به وانقطعت بالجزئى عن الكلى ونفوس العلماء الزاهدين بعد الاخذ مما لا بد لهم منه فى اصل الدين واساسه من الشرع اقبلوا على الله وانقطعوا اليه وخلصت ارواحهم الى مقام القرب منه فأفاضت ارواحهم على قلوبهم

السمع والبصر والعقل وغيرها ثم إلى ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة كما قال تعالى ﴿أولم ير الانسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين﴾ فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التي منها صدرت هذه الاعاجيب فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع ﴿وأما أحوال الانبياء عليهم السلام﴾ فاذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل اليهم وانه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيأ وإذا سمع نصرته في آخر الامر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق ﴿وأما أحوال المكذبين﴾ كعاد وثمود وماجرى عليهم فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه ان غفل وأساء الادب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية وكذلك إذا سمع وصف الجنة والنار وسائر مافي القرآن فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لان ذلك لا نهاية له وانما لكل عبد منه بقدر رزقه فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه فاما الاستقصاء فلا مطمع فيه ومن لم يكن له فهم مافي القرآن ولو في ادنى الدرجات دخل في قوله تعالى ﴿ومنهم من يستمع اليك حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم ماذا قال آنفا أولئك الذين طبع الله على قلوبهم﴾ والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم وقد قيل لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرآن كل مايريد ويعرف منه النقصان من المزيد ويستغني بالمولى عن العبيد ﴿السادس﴾ التخلي عن موانع الفهم فان أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرآن لاسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرآن قال ﷺ (١) لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وكل ماغاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم أربعة * أولها ان يكون الهم منصرفا الى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل اليهم أنه لم يخرج من مخرجه فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف فانى تنكشف له المعاني وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس * ثانيها أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول اليه ببصيرة ومشاهدة فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبدا له معنى من المعاني التي تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ولمثل هذا قالت الصوفية ان العلم حجاب وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا كمن يعتقد في الاستواء على العرش التمكن والاستقرار فان خطر له مثلا في القدوس انه المقدس عن كل مايجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك في نفسه ولو استقر في نفسه لانجر الى كشف ثان وثالث ولتواصل ولكن يتسارع الى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول الى الغور الباطن كما ذكرناه في الفرق بين العلم الظاهر والباطن في كتاب قواعد العقائد * ثالثها أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر أو مبتلى في الجملة بهوى في الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصدائه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن

بذكر الفهم في القرآن (١) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت تقدم

انوارا تهيأت بها قلوبهم لادراك العلوم فارواحهم ارتقت عن حد ادراك العلوم بعكوفها على العالم الازلى وتجردت عن وجود يصلح أن يكون وعاء للعلم وقلوبهم بنسبة وجهها الذى يلى النفوس صارت أوعية وجودية تناسب وجود العلم بالنسبة الوجودية فتألفت العلوم وتألفتها العلوم بمناسبة انفصال العلوم باتصالها باللوح المحفوظ والمعنى بالانفصال انتقاشها في اللوح لاغير وانفصال القلوب عن مقام الارواح لوجود انجذابها إلى النفوس فصار بين المنفصلين نسبة اشتراك موجب للتألف فحصلت العلوم لذلك وصار العالم الرباني راسخا في العلم * أوحى الله تعالى في بعض الكتب المنزلة يابني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم الارض من يصعد به ولا من وراء البحار من يعبر فيأتي به العلم مجعول في قلوبكم تأدبوا بين يدي بآداب الروحانيين وتخلقوا إلى بأخلاق الصديقين

يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب وبه حجب الأكثرون وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معاني الكلام أشد احتجابا وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلي المعنى فيه فالقلب مثل المرآة والشهوة مثل الصدا ومعاني القرآن مثل الصور التي تتراءى في المرآة والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ولذلك قال ﷺ (١) اذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرموا بركة الوحي قال الفضيل يعني حرموا فهم القرآن وقد شرط الله عز وجل الانابة في الفهم والتذكير فقال تعالى ﴿تبصرة وذكرى لكل عبد منيب﴾ وقال عز وجل ﴿وما يتذكر الا من ينيب﴾ وقال تعالى ﴿انما يتذكر اولوا الالباب﴾ فالذي آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوي الالباب ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب * رابعها أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرآن إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأي وان من فسر القرآن برأيه فقد تبوأ مقعده من النار فهذا أيضا من الحجب العظيمة وسنبين معنى التفسير بالرأي في الباب الرابع وأن ذلك لا يناقض قول علي رضي الله عنه الا أن يؤتى الله عبدا فهما في القرآن وانه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه ﴿السابع﴾ التخصيص وهو أن يقدر انه المقصود بكل خطاب في القرآن فان سمع أمرا أو نهيا قدر انه المنهي والمأمور وان سمع وعدا أو وعيدا فكمثل ذلك وان سمع قصص الاولين والانبياء علم أن السمر غير مقصود وانما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه فما من قصة في القرآن الا وسياقها لفائدة في حق النبي ﷺ وأمته ولذلك قال تعالى ﴿ما نثبت به فؤادك﴾ فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الانبياء وصبرهم على الايذاء وثباتهم في الدين لانتظار نصر الله تعالى وكيف لا يقدر هذا والقرآن ما أنزل على رسول الله ﷺ لرسول الله خاصة بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى ﴿واذكروا نعمة الله عليكم وما أنزل عليك من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾ وقال عز وجل ﴿لقد أنزلنا اليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم كذلك يضرب الله للناس أمثالهم واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم﴾ هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ واذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد فهذا القارئ الواحد مقصود فما له ولسائر الناس فليقدر انه المقصود قال تعالى ﴿وأوحي إلى هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ﴾ قال محمد بن كعب القرظي من بلغه القرآن فكأنما كلمه الله واذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرآن عمله بل نقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتأمل ويعمل بمقتضاه ولذلك قال بعض العلماء هذا القرآن رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده نتدبرها في الصلوات ونقف عليها في الخلوات وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات وكان مالك بن دينار يقول ما زرع القرآن في قلوبكم يا أهل القرآن ان القرآن ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض وقال قتادة لم يجالس أحد هذا القرآن الا قام بزيادة أو نقصان قال تعالى ﴿هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا﴾ ﴿الثامن﴾ التأثر وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الاحوال على قلبه فان التضييق غالب على آيات القرآن فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله عز وجل واني لغفار ثم أتبع ذلك بأربعة شروط لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى وقوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ذكر اربعة شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا فقال تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين فالاحسان يجمع الكل وهكذا

(١) حديث اذا عظمت أمتي الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحي رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضيل بن عياض قال ذكر

بصر مع العلم في كل قول وفعل ولا يصح ذلك الا لمن علم وقرب وتطرق إلى الحضور بين يدي الله تعالى فيتحفظ بالحق للحق (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب عبد القاهر السهروردي اجازة قال أخبرنا أبو منصور بن خيرون اجازة قال أنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري اجازة قال أنا أبو عمر محمد بن العباس قال حدثنا أبو محمد يحيي بن صاعد قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزي قال أنا عبد الله بن المبارك قال أنا الاوزاعي عن حسان بن عطية بلغني ان شداد ابن أوس رضي الله عنه نزل منزلا فقال ائتونا بالسفرة نعبث بها فأنكر منه ذلك فقال ما تكلمت بكلمة منذ أسلمت إلا وأنا أخطمها ثم أزمها غير هذه فلا تحفظوها .

على لمثل هذا يكون التأدب بآداب الروحانيين مكتوب في الانجيل لا تطلبوا علم ما لم تعلموا حتى تعملوا بما قد علمتم

من يتصفح القرآن من أوله الى آخره ومن فهم ذلك فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن ولذلك قال الحسن والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرآن يؤمن به الا كثر حزنه وقل فرحه وكثر بكاؤه وقل ضحكه وكثر نصبه وشغله وقلت راحته وبطالته * وقال وهيب بن الورد نظرنا في هذه الاحاديث والمواعظ فلم نجد شيأ أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرآن وتفهمه وتدبره فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته وعند ذكر الكفار ما يستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر في باطنه حياء من قبح مقالتهم وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) لابن مسعود اقرأ علي قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت {فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا} رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي حسبك الآن وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية ولقد كان في الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ومنهم من مات في سماع الآيات فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا في كلامه فاذا قال {اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم} ولم يكن خائفا كان حاكيا واذا قال {عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير} ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا واذا قال {ولنصبرن على ما آذيتمونا} فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه في قوله تعالى {ألا لعنة الله على الظالمين} وفي قوله تعالى {كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون} وفي قوله عز وجل {وهم في غفلة معرضون} وفي قوله {فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا} وفي قوله تعالى {ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون} الى غير ذلك من الآيات وكان داخلا في معنى قوله عز وجل {ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا أماني} يعني التلاوة المجردة وقوله عز وجل {وكأين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون} لأن القرآن هو المبين لتلك الآيات في السموات والارض ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها ولذلك قيل ان من لم يكن متصفا بأخلاق القرآن فاذا قرأ القرآن ناداه الله تعالى مالك ولكلامي وأنت معرض عني دع عنك كلامي ان لم تتب الي ومثال العاصي اذا قرأ القرآن وكرره مثال من يكرر كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت ولذلك قال يوسف بن أسباط اني لأهم بقراءة القرآن فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل الى التسبيح والاستغفار والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل {فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون} ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه قال الله تعالى {الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون} وقال صلى الله عليه وسلم (٣) ان أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم (٤) لا يسمع القرآن من أحد أشهى منه ممن يخشى الله عز وجل فالقرآن يراد لاستجلاب هذه الاحوال الى القلب

نبي الله صلى الله عليه وسلم (١) حديث انه قال لابن مسعود اقرأ علي الحديث تقدم في الباب قبله (٢) حديث اقرؤا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفي بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلي في اللفظ الثاني دون قوله ولانت جلودكم (٣) حديث ان أحسن الناس صوتا بالقرآن الذي اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى ه بسند ضعيف (٤) حديث لا يسمع القرآن من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الغافقي في كتاب فضائل

وقد ورد في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان ربما يسوفكم بالعلم قلنا يا رسول الله كيف يسوفنا بالعلم قال يقول اطلب العلم ولا تعمل حتى تعلم فلا يزال العبد في العلم قائلا وللعمل مسوفا حتى يموت وما عمل * وقال ابن مسعود رضي الله عنه ليس العلم بكثرة الرواية انما العلم الخشية وقال الحسن ان الله تعالى لا يعبأ بذي علم ورواية انما يعبأ بذي فهم ودراية فعلوم الوراثة مستخرجة من علم الدراسة ومثال علوم الدراسة كاللبن الخالص السائغ للشاربين ومثال علوم الوراثة كالزبد المستخرج منه فلو لم يكن لبن لم يكن زبد ولكن الزبد هو الدهنية المطلوبة من اللبن والمائية في اللبن جسم قام به روح الدهنية والمائية بها القوام قال الله تعالى وجعلنا

بالاسلام هو القوام الأول والأصل الأول وللاسلام علوم وهي علوم مباني الاسلام والاسلام بعد الايمان نظرا الى مجرد التصديق ولكن للايمان فروع بعد التحقق بالاسلام وهي مراتب كعلم اليقين وعين اليقين وحق اليقين فقد تقال للتوحيد والمعرفة والمشاهدة * وللايمان في كل فرع من فروعه علوم فعلوم الاسلام علوم اللسان وعلوم الايمان علوم القلوب ثم علوم القلوب لما وصف خاص ووصف عام فالوصف العام علم اليقين وقد يتوصل اليه بالنظر والاستدلال ويشترك فيه علماء الدنيا مع علماء الآخرة وله وصف خاص يختص به علماء الآخرة وهي السكينة التي أنزلت في قلوب المؤمنين ليزدادوا ايمانا مع ايمانهم.

والعمل به والافالمؤنة في تحريك اللسان بحروفه خفيفة ولذلك قال بعض القراء قرأت القران على شيخ لي ثم رجعت لأقرأ ثانيا فانتهرني وقال جعلت القران على عملا اذهب فاقرأ على الله عزوجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم في الاحوال والاعمال فمات رسول الله ﷺ (١) عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القران منهم الاستة اختلف في اثنين منهم وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم (٢) ولما جاء واحد ليتعلم القران فانتهى الى قوله عزوجل ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ قال يكفي هذا وانصرف فقال ﷺ انصرف الرجل وهو فقيه وانما العزيز مثل تلك الحالة التي من الله عزوجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى بل التالي باللسان المعرض عن العمل جدير بان يكون هو المراد بقوله تعالى ﴿ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى﴾ وبقوله عزوجل ﴿كذلك أتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ أي تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها فان المقصر في الامر يقال انه نسي الامر وتلاوة القران حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل وحظ العقل تفسير المعاني وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار فاللسان يرتل والعقل يترجم والقلب يتعظ ﴿التاسع الترقي﴾ وأعني به أن يترقى الى أن يسمع الكلام من الله عزوجل لامن نفسه فدرجات القراءة ثلاث أدناها أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عزوجل واقفا بين يديه وهو ناظر اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتملق والتضرع والابتهال * الثانية أن يشهد بقلبه كأن الله عزوجل يراه ويخاطبه بالطافه ويناجيه بانعامه واحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم * الثالثة أن يرى في الكلام المتكلم وفي الكلمات الصفات فلا ينظر الى نفسه ولا الى قراءته ولا الى تعلق الانعام به من حيث انه منعم

القران (١) حديث مات رسول الله ﷺ عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القران منهم الاستة اختلف منهم في اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذي يحفظ البقرة والانعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفا لعله أراد بالمدينة والا فقد روينا عن أبي زرعة الرازي انه قد قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى وأما من حفظ القران في عهده ففي الصحيحين من حديث أنس قال جمع القران على عهد رسول الله ﷺ أربعة كلهم من الانصار أبي بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبوزيد قلت ومن أبوزيد قال أحد عمومتي وزاد ابن أبي شيبة كالمصنف من رواية الشعبي مرسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو استقرئوا القران من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبي حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الانباري بسنده الى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله ﷺ في صدر هذه الأمة من يحفظ من القران السورة ونحوها الحديث وسنده ضعيف وللترمذي وحسنه من حديث أبي هريرة قال بعث رسول الله ﷺ بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل مامعه من القران فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال مامعك يافلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم الحديث (٢) حديث الرجل الذي جاء ليتعلم فانتهى الى قوله تعالى ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره﴾ فقال يكفيني هذا وانصرف فقال النبي ﷺ انصرف الرجل وهو فقيه د ن في الكبرى وحب ك وصححه من حديث عبد الله بن عمرو قال أتى رجل رسول الله ﷺ فقال أقرئني يارسول الله الحديث وفيه فأقرأه رسول الله ﷺ اذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذي بعثك بالحق لاأزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله ﷺ أفلح الرويجل أفلح الرويجل ولأحمد ون في الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق انه صاحب القصة فقال حسبي لاأبالي ان لاأسمع غيرها

عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره وهذه درجة المقربين وما قبله درجة أصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين وعن الدرجة العليا أخبرنا جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه قال والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون وقال أيضا وقد سألوه عن حالة لحقته في الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له في ذلك فقال مازلت أردد الآية على قلبي حتى سمعتها من المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمعاينة قدرته ففي مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة ولذلك قال بعض الحكماء كنت أقرأ القرآن فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأني أسمعه من رسول الله ﷺ يتلوه على أصحابه ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت أتلوه كأني أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله ﷺ ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به فعندها وجدت له لذة ونعيما لا أصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضي الله عنهما لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرآن وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم في الكلام ولذلك قال ثابت البناني كابدت القرآن عشرين سنة وتنعمت به عشرين سنة وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل ﴿ ففروا الى الله ﴾ ولقوله تعالى ﴿ ولا تجعلوا مع الله إلها آخر ﴾ فمن لم يره في كل شيء فقد رأى غيره وكل ما التفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته شيأ من الشرك الخفي بل التوحيد الخالص أن لا يرى في كل شيء إلا الله عز وجل ﴿ العاشر التبري ﴾ وأعني به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات الى نفسه بعين الرضا والتزكية فاذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ويتشوف الى أن يلحقه الله عز وجل بهم واذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا ولذلك كان ابن عمر رضي الله عنهما يقول اللهم إني أستغفرك لظلمي وكفري فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر فتلا قوله عز وجل ﴿ ان الانسان لظلوم كفار ﴾ وقيل ليوسف بن أسباط اذا قرأت القرآن بماذا تدعو فقال بماذا أدعو أستغفر الله عز وجل من تقصيري سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان رؤيته سبب قربه فان من شهد البعد في القرب لطف به في الخوف حتى يسوقه الخوف الى درجة أخرى في القرب وراءها ومن شهد القرب في البعد مكر به بالأمن الذي يفضيه الى درجة أخرى في البعد أسفل مما هو فيه ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه فاذا جاوز حد الالتفات الى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى في قراءته كشف له سر الملكوت قال أبو سليمان الداراني رضي الله عنه وعد ابن ثوبان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر فلقيه أخوه من الغد فقال له وعدتني أنك تفطر عندي فأخلفت فقال لولا ميعادي معك ما أخبرتك بالذي حبسني عنك إني لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأني لا آمن ما يحدث من الموت فلما كنت في الدعاء من الوتر رفعت إلي روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فما زلت أنظر اليها حتى أصبحت وهذه المكاشفات لا تكون إلا بعد التبري عن النفس وعدم الالتفات اليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا وان غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى أنواع عذابها وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف والشديد العسوف والمرجو والمخوف وذلك بحسب أوصافه إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب في اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها إذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لا يبالي وكلام حنان متعطف لا يهمل

﴿ الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ﴾

﴿ الباب الرابع في فهم القرآن وتفسيره بالرأي من غير نقل ﴾

فعلى هذا جميع الرتب يشملها اسم الايمان بوصفه الخاص ولا يشملها بوصفه العام فبالنظر الى الوصف الخاص اليقين ومراتبه من الايمان والى وصفه العام اليقين زيادة على الايمان والمشاهدة وصف خاص في اليقين وهو عين اليقين وفي عين اليقين وصف خاص وهو حق اليقين فحق اليقين إذن فوق المشاهدة وحق اليقين موطنه ومستقره في الآخرة وفي الدنيا منه لمح يسير لأهله وهو من أعز ما يوجد من أقسام العلم بالله لأنه وجدان فصار علم الصوفية وزهاد العلماء نسبته الى علم علماء الدنيا الذين ظفروا باليقين بطريق النظر والاستدلال كنسبة ما ذكرناه من علم الوراثة والدراسة عليهم بمثابة اللبن لأنه اليقين والايمان الذي هو الأساس وعلم الصوفية بالله تعالى من أنصبة المشاهدة وعين اليقين وحق اليقين كالزبد المستخرج من اللبن ففضيلة الانسان بفضيلة العلم ورزانة الأعمال على قدر الحظ

من العلم وقد ورد في الخبر فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي والاشارة في هـذا العلم ليس الى علم البيع والشراء

لعلك تقول عظمت الأمر فيما سبق في فهم أسرار القرآن وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه فكيف يستحب ذلك وقد قال ﷺ (١) من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار وعن هـذا اشنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوف من المفسرين المنسوبين الى التصوف في تأويل كلمات في القرآن على خلاف ما نقل عن ابن عباس وسائر المفسرين وذهبوا الى أنه كفر فان صح ما قاله أهل التفسير فما معنى فهم القرآن سوى حفظ تفسيره وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله ﷺ من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار فاعلم ان من زعم أن لا معنى للقرآن إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه وهو مصيب في الاخبار عن نفسه ولكنه مخطئ في الحكم برد الخلق كافة الى درجته التي هي حده ومحطه (٢) بل الأخبار والآثار تدل على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم قال علي رضي الله عنه الا أن يؤتي الله عبدا فهما في القرآن فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم وقال ﷺ (٣) ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا ويروى أيضا عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير فما معنى الظهر والبطن والحد والمطلع وقال علي كرم الله وجهه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاقتصار وقال أبو الدرداء لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرآن وجوها وقد قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر وقال آخرون القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم إذ كل كلمة علم ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع وترديد رسول الله ﷺ (٤) بسم الله الرحمن الرحيم عشرين مرة لا يكون إلا لتدبره باطن معانيها وإلا فترجمتها وتفسيرها ظاهر لا يحتاج مثله الى تكرير وقال ابن مسعود رضي الله عنه من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرآن وذلك لا يحصل بمجرد تفسيره الظاهر وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرآن شرح ذاته وأفعاله وصفاته وهذه العلوم لا نهاية لها وفي القرآن إشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع الى فهم القرآن ومجرد ظاهر التفسير لا يشير الى ذلك بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرآن اليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ولذلك قال ﷺ (٥) اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه وقال صلى الله عليه وسلم (٦) في حديث علي كرم الله وجهه والذي بعثني بالحق نبيا لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها على اثنتين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله عز وجل فان فيه نبأ من كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم وحكم ما بينكم من خالفه من الجبابرة قصمه الله عز وجل ومن ابتغى العلم في غيره أضله الله عز وجل وهو حبل الله المتين ونوره المبين وشفاؤه النافع عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستقيم ولا تنقضي عجائبه ولا يخلقه كثرة الترديد الحديث وفي حديث حذيفة لما أخبره رسول الله ﷺ (٧) بالاختلاف والفرقة بعده قال فقلت

(١) حديث من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث الأخبار والآثار الدالة على أن في معاني القرآن متسعا لأرباب الفهم تقدم قول علي في الباب قبله إلا أن يؤتي الله عبدا فهما في كتابه (٣) حديث ان للقرآن ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم في قواعد العقائد (٤) حديث تكرير النبي ﷺ البسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله (٥) حديث اقرؤا القرآن والتمسوا غرائبه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو يعلى الموصلي والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف (٦) حديث علي والذي بعثني بالحق لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم الحديث بطوله هو عند ت دون ذكر افتراق الأمة بلفظ ألا انها ستكون فتنة مضلة فقلت ما المخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وإسناده مجهول (٧) حديث حذيفة في الاختلاف والفرقة بعده

والطلاق والعتاق وانما الاشارة الى العلم بالله تعالى وقوة اليقين وقد يكون العبد عالما بالله تعالى ذا يقين كامل وليس عنده علم من فروض الكفايات وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم من علماء التابعين بحقائق اليقين ودقائق المعرفة وقد كان علماء التابعين فيهم من هو أقوم بعلم الفتوى والأحكام من بعضهم * روى أن عبد الله بن عمر كان اذا سئل عن شيء يقول سلوا سعيد بن المسيب وكان عبد الله بن عباس يقول سلو جابر بن عبد الله لو نزل أهل البصرة على فتياه لوسعهم وكان أنس بن مالك يقول سلوا مولانا الحسن فانه قد حفظ ونسينا فكانوا يردون الناس اليهم في علم الفتوى والأحكام ويعلمونهم حقائق

يا رسول الله فما تأمرنى ان أدركت ذلك فقال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه فهو المخرج من ذلك قال فاعدت عليه ذلك ثلاثا فقال ﷺ ثلاثا تعلم كتاب الله عز وجل واعمل بما فيه ففيه النجاة وقال على كرم الله وجهه من فهم القرآن فسر به جمل العلم أشار به الى أن القرآن يشير الى مجامع العلوم كلها وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيرا كثيرا﴾ يعنى الفهم فى القرآن وقال عز وجل ﴿ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما﴾ سمى ما آتاهما علما وحكما وخصص ما انفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم وجعله مقدما على الحكم والعلم فهذه الامور تدل على أن فى فهم معانى القرآن مجالا رحبا ومتسعا بالغا وان المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه فاما قوله ﷺ (١) من فسر القرآن برأيه ونهيه عنه ﷺ وقول أبى بكر رضى الله عنه أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى اذا قلت فى القرآن برأيى الى غير ذلك مما ورد فى الاخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرآن بالرأى فلا يخلو اما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم أو المراد به أمرا آخر وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرآن الا بما يسمعه لوجوه * أحدها أنه يشترط أن يكون ذلك مسموعا من رسول الله ﷺ ومسندا اليه وذلك مما لا يصادف الا فى بعض القرآن فاما ما يقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل ويقال هو تفسير بالرأى لانهم لم يسمعوه من رسول الله ﷺ وكذا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم * والثانى ان الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها وسماع جميعها من رسول الله ﷺ محال ولو كان الواحد مسموعا لرد الباقى فتبين على القطع ان كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباطه حتى قالوا فى الحروف التى فى أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل ان الر هى حروف من الرحمن وقيل ان الالف الله واللام لطيف والراء رحيم وقيل غير ذلك والجمع بين الكل غير ممكن فكيف يكون الكل مسموعا * والثالث أنه ﷺ (٢) دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك * والرابع أنه قال عز وجل ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ فأثبت لاهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القرآن يناقض هذا الخيال فبطل أن يشترط السماع فى التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرآن بقدر فهمه وحد عقله وأما النهى فانه ينزل على أحد وجهين * أحدهما أن يكون له فى الشئ رأى واليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه وتارة يكون مع الجهل ولكن اذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه الى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرآن ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو الى الاستغفار بالاسحار فيستدل بقوله ﷺ (٣) تسحروا فان فى السحور بركة ويزعم ان المراد به التسحر بالذكر وهو يعلم أن المراد به الاكل وكالذى يدعو الى مجاهدة القلب القاسى فيقول قال الله عز وجل ﴿اذهب الى فرعون انه طغى﴾ ويشير الى قلبه ويومئ الى أنه المراد بفرعون وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع وقد تستعمله الباطنية فى المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم الى مذهبهم الباطل

فقلت ما تأمرنى ان أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه الحديث د ن فى الكبرى وفيه تعلم كتاب الله واتبع ما فيه ثلاث مرات (١) حديث النهى عن تفسير القرآن بالرأى غريب (٢) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل تقدم فى الباب الثانى من العلم (٣) حديث تسحروا فان فى السحور بركة

والمفصل فتلقى منهم طائفة مجمله ومفصله وطائفة مفصلة دون مجمله والمجمل أصل العلم ومفصله المكتسب بطهارة القلوب وقوة الغريزة وكمال الاستعداد وهو خاص بالخواص قال الله تعالى لنبيه ﷺ ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن وقال تعالى قل هذه سبيلى أدعوا الى الله على بصيرة فلهذه السبل سابلة ولهذه الدعوات قلوب قابلة فمنها نفوس مستعصية جامدة باقية على خشونة طبيعتها وجبلتها فلينها بنار الانذار والموعظة والحذار ومنها نفوس زكية من تربة طيبة موافقة للقلوب قريبة منها لمن كانت نفسه ظاهرة على قلبه دعاه بالموعظة ومن كان قلبه ظاهرا على نفسه دعاه بالحكمة فالدعوة بالموعظة اجاب بها الابرار وهى الدعوة بذكر الجنة والنار والدعوة

فينزلون القرآن على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأى ويكون المراد بالرأى الرأى الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأى يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأى * والوجه الثانى ان يتسارع الي تفسير القرآن بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن ومافيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة ومافيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر الى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ودخل فى زمرة من يفسر بالرأى فالنقل والسماع لا بد منه فى ظاهر التفسير أولا ليتقى به مواضع الغلط ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط والغرائب التى لا تفهم الا بالسماع كثيرة ونحن نرمز الى جمل منها ليستدل بها على أمثالها ويعلم أنه لا يجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا ولا مطمع فى الوصول الى الباطن قبل احكام الظاهر ومن ادعي فهم أسرار القرآن ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ الى صدر البيت قبل مجاوزة الباب أو يدعي فهم مقاصد الاتراك من كلامهم وهو لا يفهم لغة الترك فان ظاهر التفسير يجرى مجرى تعليم اللغة التى لا بد منها للفهم ومالا بد فيه من السماع فنون كثيرة منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها فالناظر الى ظاهر العربية يظن أن المراد به ان الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وانهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم وقوله تعالى واشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم أى حب العجل فحذف الحب وقوله عز وجل اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات أى ضعف عذاب الاحياء وضعف عذاب الموتى فحذف العذاب وأبدل الاحياء والموتى بذكر الحياة والموت وكل ذلك جائز فى فصيح اللغة وقوله تعالى واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها أى أهل القرية وأهل العير فالاهل فيهما محذوف مضمر وقوله عز وجل ثقلت فى السموات والارض معناه خفيت على أهل السموات والارض والشىء اذا خفى ثقل فأبدل اللفظ به وأقيم فى مقام على وأضمر الاهل وحذف وقوله تعالى وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون أى شكر رزقكم وقوله عز وجل آتنا ماوعدتنا على رسلك أى على ألسنة رسلك فحذف الألسنة وقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر أراد القرآن وماسبق له ذكر وقال عز وجل حتى توارت بالحجاب أراد الشمس وماسبق لها ذكر وقوله تعالى والذين اتخذوا من دونه أولياء مانعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى أى يقولون مانعبدهم وقوله عز وجل فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك معناه لا يفقهون حديثا يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله قل كل من عند الله وسبق الى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب كقوله تعالى وطور سينين أى طور سيناء سلام على آل ياسين أى على الياس وقيل ادريس لان فى حرف ابن مسعود سلام على ادراسين ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر كقوله عز وجل وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء ان يتبعون الا الظن معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء الا الظن وقوله عز وجل ﴿قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم﴾ معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا ومنها المقدم والمؤخر وهو مظنة الغلط كقوله عز وجل ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام وقوله تعالى يسئلونك كأنك حفى عنها أى يسئلونك عنها كأنك حفى بها وقوله عز وجل لهم مغفرة ورزق كريم كما أخرجك ربك من بيتك بالحق فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد الى قوله السابق قل الانفال لله والرسول كما أخرجك ربك من بيتك بالحق أى فصارت أنفال الغنائم لك اذ أنت راض بخروجك وهم كارهون فاعترض بين الكلام الامر بالتقوى وغيره ومن هذا النوع قوله عز وجل حتى تؤمنوا بالله وحده الا قول ابراهيم لابيه الآية ومنها المبهم وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف أما الكلمة فكالشىء والقرين والامة والروح ونظائرها قال الله تعالى ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شىء أراد به النفقة مما رزق وقوله عز وجل

بالحكمة اجاب بها المقرون وهى الدعوة بتلويح منح القرب وصفو المعرفة واشارة التوحيد فلما وجدوا التلويحات الحقانية والتعريفات الربانية أجابوا بارواحهم وقلوبهم ونفوسهم فصارت متابعة الاقوال اجابتهم نفسا ومتابعة الاعمال اجابتهم قلبا والتحقق بالاحوال اجابتهم روحا فاجابة الصوفية بالكل واجابة غيرهم بالبعض * قال عمر رضى الله عنه رحم الله تعالى صهيبا لو لم يخف الله لم يعصه يعنى لو كتب له كتاب الأمان من النار حمله صرف المعرفة بعظيم أمر الله على القيام بواجب حق العبودية أداء لما عرف من حق العظمة فاجابة الصوفية الى الدعوة اجابة المحب للمحبوب على اللذاذة وذهاب الصبر واجابة غيرهم على المكابدة والمجاهدة وهذه الاجابة يظهر مع الساعات أثرها فى القيام بحقائق الاستقامة

وضرب

وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء أي الامر بالعدل والاستقامة وقوله عز وجل ﴿فان اتبعتنى فلا تسألنى عن شيء﴾ أراد به من صفات الربوبية وهي العلوم التي لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف في أوان الاستحقاق وقوله عز وجل ﴿أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون﴾ أي من غير خالق فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء إلا من شيء * وأما القرين فكقوله عز وجل ﴿وقال قرينه هذا مالدى عتيد ألقيا في جهنم كل كفار﴾ أراد به الملك الموكل به وقوله تعالى ﴿قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان﴾ أراد به الشيطان وأما الامة فتطلق على ثمانية أوجه الامة الجماعة كقوله تعالى ﴿وجد عليه أمة من الناس يسقون﴾ وأتباع الانبياء كقوله نحن من أمة محمد ﷺ ورجل جامع للخير يقتدى به كقوله تعالى ﴿ان ابراهيم كان أمة قانتا لله﴾ والامة الدين كقوله عز وجل ﴿انا وجدنا آباءنا على أمة﴾ والامة الحين والزمان كقوله عز وجل ﴿إلى أمة معدودة﴾ وقوله عز وجل ﴿وادكر بعد أمة﴾ والامة القامة يقال فلان حسن الامة أي القامة وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد قال ﷺ (١) يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده والامة الام يقال هذه أمة زيد أي أم زيد والروح أيضا ورد في القرآن على معان كثيرة فلا نطول بايرادها وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله عز وجل ﴿فأثرن به نقعا فوسطن به جمعا﴾ فالهاء الاولى كناية عن الحوافر وهي الموريات أي أثرن بالحوافر نقعا * والثانية كناية عن الاغارة وهي المغيرات صبحا فوسطن به جمعا جمع المشركين فاغاروا بجمعهم وقوله تعالى ﴿فانزلنا به الماء﴾ يعنى السحاب فأخرجنا به من كل الثمرات يعنى الماء وأمثال هذا في القرآن لا ينحصر ومنها التدريج في البيان كقوله عز وجل ﴿شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن﴾ إذ لم يظهر به انه ليلا أو نهارا وبان بقوله عز وجل ﴿انا أنزلناه في ليلة مباركة﴾ ولم يظهر به أي ليلة فظهر بقوله تعالى ﴿انا أنزلناه في ليلة القدر﴾ وربما يظن في الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه الا النقل والسماع فالقرآن من أوله الى آخره غير خال عن هذا الجنس لانه أنزل بلغة العرب فكان مشتملا على أصناف كلامهم من ايجاز وتطويل واضمار وحذف وابدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا في حقهم فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية وبادر الى تفسير القرآن ولم يستظهر بالسماع والنقل في هذه الامور فهو داخل فيمن فسر القرآن برأيه مثل أن يفهم من الامة المعنى الاشهر منه فيميل طبعه ورأيه اليه فاذا سمعه في موضع آخر مال برأيه الى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل في كثير معانيه فهذا ما يمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لاسرار المعانى كما سبق فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الالفاظ ولا يكفى ذلك في فهم حقائق المعانى ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال وهو أن الله عز وجل قال ﴿وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى﴾ فظاهره تفسير واضح وحقيقة معناه غامض فانه اثبات للرمى ونفى له وهما متضادان في الظاهر ما لم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله عز وجل وكذلك قال تعالى ﴿قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم﴾ فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم فما معنى أمرهم بالقتال فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات لا يغنى عنه ظاهر التفسير وهو أن يعلم وجه ارتباط الافعال بالقدرة الحادثة ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد ايضاح أمور كثيرة غامضة صدق قوله عز وجل ﴿وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى﴾ ولعل العمر لو أنفق في استكشاف أسرار هذا المعنى وما يرتبط بمقدماته ولواحقه لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه وما من كلمة من القرآن الا وتحقيقها محوج الى مثل ذلك وانما ينكشف للراسخين في العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم وصفاء قلوبهم وتوفر دواعيهم على التدبر وتجردهم للطلب ويكون لكل واحد حد في الترقى الى درجة أعلى منه فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولو كان البحر مدادا والاشجار أقلاما فاسرار كلمات الله لا نهاية لها فتنفد الابحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل فمن هذا الوجه

---

(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده ن في الكبرى من حديث زيد تقدم في الباب الثالث من العلم

والعبودية قال الله تعالى فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى قال بعضهم أعطى الدارين ولم ير شيأ واتقى اللغو والسيآت وصدق بالحسنى أقام على طلب الزلفى والآية قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضى الله عنه ويلوح في الآية وجه آخر أعطى بالمواظبة على الاعمال واتقى الوسواس والهواجس وصدق بالحسنى لازم الباطن بتصفية موارد الشهود عن مزاحمة لوث الوجود فسييسره لليسرى نفتح عليه باب السهولة في العمل والعيش والانس وأما من بخل بالاعمال واستغنى امتلاء بالاحول وكذب بالحسنى لم يكن في الملكوت بنفوذ بصيرته بالجوال فسنيسره للعسرى نسد عليه باب اليسر في الاعمال قال بعضهم إذا أراد الله بعبد سوأ سد عليه باب العمل وفتح عليه باب الكسل فلما أجابت نفوس الصوفية وقلوبهم وأرواحهم الدعوة ظاهرا وباطنا كان حظهم من العلم أوفر

تفاوت الخلق في الفهم بعد الاشتراك في معرفة ظاهر التفسير وظاهر التفسير لا يغني عنه ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله ﷺ (١) في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك أنه قيل له اسجد واقترب فوجد القرب في السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض فان الرضا والسخط وصفان ثم زاد قربه فاندرج القرب الاول فيه فرقي إلى الذات فقال أعوذ بك منك ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله لا أحصي ثناء عليك ثم علم أن ذلك قصور فقال أنت كما أثنيت على نفسك فهذه خواطر تفتتح لأرباب القلوب ثم لها أغوار وراء هذا وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ووصول إلى لبابه عن ظاهره فهذا ما نورده لفهم المعاني الباطنة لا ما يناقض الظاهر والله أعلم * تم كتاب آداب التلاوة والحمد لله رب العالمين والصلاة على محمد خاتم النبيين وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين وعلى آل محمد وصحبه وسلم * يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الاذكار والدعوات والله المستعان لا رب سواه

﴿كتاب الاذكار والدعوات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الحمد لله الشاملة رأفته العامة رحمته الذي جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى ﴿فاذكروني أذكركم﴾ ورغبهم في السؤال والدعاء بأمره فقال ﴿ادعوني استجب لكم﴾ فأطمع المطيع والعاصي والداني والقاصي في الانبساط إلى حضرة جلاله برفع الحاجات والأماني بقوله ﴿فاني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعاني﴾ والصلاة على محمد سيد أنبيائه وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه وسلم تسليما كثيرا ﴿أما بعد﴾ فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى ورفع الحاجات بالادعية الخالصة إلى الله تعالى فلا بد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل في أعيان الاذكار وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة ﴿الباب الاول﴾ في فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا ﴿الباب الثاني﴾ في فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ ﴿الباب الثالث﴾ في أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها ﴿الباب الرابع﴾ في أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثورة ﴿الباب الخامس﴾ في الادعية المأثورة عند حدوث الحوادث

﴿الباب الاول في فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار﴾

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة ﴿من الآيات﴾ قوله سبحانه وتعالى فاذكروني أذكركم قال ثابت البناني رحمه الله إني أعلم متى يذكرني ربي عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك فقال إذا ذكرته ذكرني وقال تعالى اذكروا الله ذكرا كثيرا وقال تعالى فاذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وقال عز وجل فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم وقال تعالى فاذا قضيتم الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم قال ابن عباس رضي الله عنهما أي بالليل والنهار في البر والبحر والسفر والحضر والغنى والفقر والمرض والصحة والسر والعلانية وقال تعالى في ذم المنافقين ولا يذكرون الله إلا قليلا وقال عز وجل واذكر ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر

ابن حارثة وأسماء بنت أبي بكر باسناد جيد (١) حديث قوله ﷺ في سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك الحديث مسلم من حديث عائشة

﴿كتاب الاذكار والدعوات﴾

﴿الباب الاول في فضيلة الذكر﴾

ونصيبهم من المعرفة أكمل فكانت أعمالهم أزكى وأفضل جاء رجل إلى معاذ قال أخبرني عن رجلين احدهما مجتهد في العبادة كثير العمل قليل الذنوب إلا أنه ضعيف اليقين يعتوره الشك قال معاذ ليحبطن شكه عمله قال فأخبرني عن رجل قليل العمل إلا أنه قوي اليقين وهو في ذلك كثير الذنوب فسكت معاذ فقال الرجل والله لئن أحبط شك الاول أعمال بره ليحبطن يقين هذا ذنوبه كلها قال فأخذ معاذ بيده وقال ما رأيت الذي هو أفقه من هذا وفي وصية لقمان لابنه يا بني لا يستطاع العمل الا باليقين ولا يعمل المرء إلا بقدر يقينه ولا يقصر عامل حتى يقصر يقينه فكان اليقين أفضل العلم لأنه أدعى إلى العمل وما كان أدعى إلى العمل كان أدعى إلى العبودية وما كان أدعى الى العبودية كان أدعى الى القيام بحق الربوبية وكمال الحظ من اليقين والعلم

من

من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين﴾ وقال تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما له وجهان أحدهما ان ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه والآخر أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه الى غير ذلك من الآيات ﴿وأما الأخبار﴾ فقد قال رسول الله ﷺ (١) ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم وقال ﷺ ذاكر الله في الغافلين كالمقاتل بين الفارين وقال ﷺ (٢) يقول الله عز وجل أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت شفتاه بي وقال ﷺ (٣) ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله عز وجل قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله إلا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع ثم تضرب به حتى ينقطع وقال ﷺ (٤) من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل وسئل رسول الله ﷺ (٥) أي الأعمال أفضل فقال أن تموت ولسانك رطب بذكر الله عز وجل وقال ﷺ (٦) أصبح وأمس ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة وقال ﷺ (٧) لذكر الله عز وجل بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا وقال ﷺ (٨) يقول الله تبارك وتعالى اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي واذا ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير من ملئه واذا تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا واذا تقرب مني ذراعا تقربت منه باعا واذا مشى الي هرولت اليه يعني بالهرولة سرعة الاجابة وقال ﷺ (٩) سبعة يظلهم الله عز وجل في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه من خشية الله وقال أبو الدرداء قال رسول الله ﷺ (١٠) ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربون أعناقهم ويضربون أعناقكم قالوا وما ذاك يا رسول الله قال ذكر الله عز وجل دائما وقال ﷺ (١١) قال الله عز وجل من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين ﴿وأما الآثار﴾ فقد

---

(١) حديث ذاكر الله في الغافلين كالشجرة الخضراء في وسط الهشيم أبو نعيم في الحلية والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال في وسط الشجر الحديث (٢) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفتاه هـ حب من حديث أبي هريرة ولك من حديث أبي الدرداء وقال صحيح الاسناد (٣) حديث ما عمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال ولا الجهاد في سبيل الله الا أن تضرب بسيفك حتى ينقطع ثلاث مرات ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ باسناد حسن (٤) حديث من أحب أن يرتع في رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبراني في الدعاء من حديث أنس وهو عند ت بلفظ اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (٥) حديث سئل أي الأعمال أفضل قال ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى حب وطب في الدعاء والبيهقي في الشعب من حديث معاذ (٦) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسي وليس عليك خطيئة أبو القاسم الاصبهاني في الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسي ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف (٧) حديث لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في سبيل الله ومن اعطاء المال سحا رويناه من حديث أنس بسند ضعيف في الاصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر في التمهيد (٨) حديث قال الله عز وجل اذا ذكرني عبدي في نفسه ذكرته في نفسي الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٩) حديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه متفق عليه من حديث أبي هريرة أيضا (١٠) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم الحديث ت هـ ك وصحح اسناده من حديث أبي الدرداء (١١) حديث قال الله تعالى من شغله ذكري عن مسئلتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين خ في التاريخ والبزار

بالله للصوفية والعلماء الزاهدين فبان بذلك فضلهم وفضل علمهم ثم اني أصور مسألة يستبين بها المعبر فضل العالم الزاهد العارف بصفات نفسه على غيره عالم دخل مجلسا وقد ومبز لنفسه مجلسا يجلس فيه كما في نفسه من اعتقاده في نفسه لمحله وعلمه فدخل داخل من أبناء جنسه وقعد فوقه فانعصر العالم وأظلمت عليه الدنيا ولو أمكنه لبطش بالداخل فهذا عارض عرض له ومرض اعتراه وهو لا يفطن أن هذه علة غامضة ومرض يحتاج الى المداواة ولا يتفكر في منشأ هذا المرض ولو علم ان هذه نفس ثارت وظهرت بجهلها وجهلها لوجود كبرها وكبرها برؤية نفسها خيرا من غيرها فعلم الانسان أنه أكبر من غيره كبر واظهاره ذلك الى الفعل تكبر فحيث القصر صار فعلا به تكبر الزاهد لا يميز نفسه بشيء دون المسلمين ولا يرى نفسه في مقام تمييز يميزها بمجلس فالصوفي العالم

قال الفضيل بلغنا ان الله عز وجل قال عبدي اذكرني بعد الصبح ساعة و بعد العصر ساعة أكفك ما بينهما وقال بعض العلماء ان الله عز وجل يقول أيما عبد اطلعت على قلبه فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وأنيسه وقال الحسن الذكر ذكران ذكر الله عز وجل بين نفسك و بين الله عز وجل ما أحسنه وأعظم أجره وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرم الله عز وجل ويروى ان كل نفس تخرج من الدنيا عطشى الا ذاكر الله عز وجل وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها والله تعالى أعلم

﴿فضيلة مجالس الذكر﴾

قال رسول الله ﷺ (١) ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله عز وجل الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله تعالى فيمن عنده وقال ﷺ (٢) ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت لكم سيئاتكم حسنات وقال أيضا ﷺ (٣) ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله سبحانه وتعالى فيه ولم يصلوا على النبي ﷺ الا كان عليهم حسرة يوم القيامة وقال داود ﷺ الهي اذا رأيتني أجاوز مجالس الذاكرين الى مجالس الغافلين فاكسر رجلي دونهم فانها نعمة تنعم بها علي وقال ﷺ (٤) المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء وقال أبو هريرة رضي الله عنه ان أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الارض التي يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم وقال سفيان بن عيينة رحمه الله اذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى اعتزل الشيطان والدنيا فيقول الشيطان للدنيا الا ترين ما يصنعون فتقول الدنيا دعهم فانهم اذا تفرقوا أخذت بأعناقهم اليك (٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق فلم يروا ميراثا فقالوا يا أبا هريرة ما رأينا ميراثا يقسم في المسجد قال فماذا رأيتم قالوا رأينا قوما يذكرون الله عز وجل ويقرؤن القرآن قال فذلك ميراث رسول الله ﷺ (٦) وروى الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا هلموا الى بغيتكم فيجيؤن فيحفون بهم الى السماء فيقول الله تبارك وتعالى أي شيء تركتم عبادي يصنعونه فيقولون تركناهم يحمدونك ويمجدونك و يسبحونك فيقول الله تبارك وتعالى وهل رأوني فيقولون لا فيقول جل جلاله كيف لو رأوني فيقولون لو رأوك لكانوا

في المسند والبيهقي في الشعب من حديث عمر بن الخطاب وفيه صفوان بن أبي الصفا ذكره حب في الضعفاء وفي الثقات أيضا (١) حديث ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى الا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده م من حديث أبي هريرة (٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيآتكم حسنات أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس (٣) حديث ما قعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي ﷺ فيه الا كان عليهم حسرة يوم القيامة ت وحسنه من حديث أبي هريرة (٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألفي ألف مجلس من مجالس السوء ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له اسنادا (٥) حديث أبي هريرة أنه دخل السوق وقال أراكم ههنا وميراث رسول الله ﷺ يقسم في المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق الحديث الطبراني في المعجم الصغير باسناد فيه جهالة أو انقطاع (٦) حديث الاعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة أو أبي سعيد الخدري عنه ﷺ أنه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين في الارض فضلا عن كتاب الناس الحديث رواه ت من هذا الوجه والحديث في

ويروى ان هذا داء وانه ان استرسل فيه بالاصغاء الى النفس وانحصارها صار ذلك ذنب حاله فيرفع في الحال داءه الى الله تعالى و يشكو اليه ظهور نفسه ويحسن الانابة و يقطع دابر ظهور النفس ويرفع القلب الى الله تعالى مستغيثا من النفس فيشغله اشتغاله برؤية داء النفس في طلب دوائها من الفكر فيمن قعد فوقه وربما أقبل على من قعد فوقه بمزيد التواضع والانكسار تكفيرا للذنب الموجود وتداويا لدائه الحاصل فتبين بهذا الفرق بين الرجلين فاذا اعتبر المعتبر وتفقد حال نفسه في هذا المقام يرى نفسه كنفوس عوام الخلق وطالبي المناصب الدنيوية فأي فرق بينه و بين غيره ممن لا علم له

أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول لهم من أي شيء يتعوذون فيقولون من النار فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول الله عز وجل فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد هربا منها وأشد نفورا فيقول الله عز وجل وأي شيء يطلبون فيقولون الجنة فيقول تعالى وهل رأوها فيقولون لا فيقول تعالى فكيف لو رأوها فيقولون لو رأوها لكانوا أشد عليها حرصا فيقول جل جلاله إني أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقولون كان فيهم فلان لم يردهم إنما جاء لحاجة فيقول الله عز وجل هم القوم لا يشقى جليسهم

﴿ فضيلة التهليل ﴾

قال ﷺ (١) أفضل ما قلت أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله وحده لا شريك له وقال ﷺ (٢) من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير كل يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك وقال ﷺ (٣) ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة يدخل من أيها شاء وقال ﷺ (٤) ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم كأني أنظر اليهم عند الصيحة ينفضون رؤسهم من التراب ويقولون الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور وقال ﷺ (٥) أيضا لأبي هريرة يا أبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فانها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك وقال ﷺ (٦) لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له ذلك وقال ﷺ (٧) يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فانها تهدم الذنوب هدما قلت يارسول الله هذا الموتى فكيف

الصحيحين من حديث أبي هريرة وحده وقد تقدم في الباب الثالث من العلم (١) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلي لا إله إلا الله الحديث تقدم في الباب الثاني من الحج (٢) حديث من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مائة مرة الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث ما من عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لا إله إلا الله الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم في الطهارة (٤) حديث ليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في النشور الحديث أبو يعلى والطبراني والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف (٥) حديث يا أبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة إلا شهادة أن لا إله إلا الله فانها لا توضع في ميزان لأنها لو وضعت في ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك قلت وصية أبي هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفري في الدعوات ولو جعلت لا إله إلا الله وهو معروف من حديث أبي سعيد من قولها لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة مالت بهن لا إله إلا الله رواه ن في اليوم والليلة وحب ك وصححه (٦) حديث لو جاء قائل لا إله إلا الله صادقا بقراب الأرض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ وللترمذي في حديث لأنس يقول الله يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أنس يارب ما جزاء من هلل مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع (٧) حديث يا أبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لا إله إلا الله فانها تهدم الذنوب الحديث أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبي هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبي الدنيا في المحتضرين من حديث الحسن مرسلا

فما ظنك بنفائس علومهم وشرائف أحوالهم والله الموفق للصواب

﴿ الباب الرابع في شرح حال الصوفية واختلاف طرقهم ﴾

أخبرنا الشيخ العالم ضياء الدين أبو أحمد عبد الوهاب بن علي قال أخبرنا أبو الفتح عبد الملك ابن أبي القاسم الهروي قال أنا أبو نصر عبد العزيز بن محمد الترياقي قال أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي قال أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي قال أنا ابو عيسى محمد بن عيسى الترمذي قال حدثنا مسلمة بن حاتم الأنصاري قال حدثنا محمد بن عبد الله الأنصاري عن أبيه عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال أنس بن مالك رضي الله عنه قال لي رسول الله ﷺ يا بني ان قدرت أن تصبح وتمسي وليس في قلبك غش لأحد فافعل ثم قال يا بني وذلك من سنتي

للاحياء قال ﷺ هي أهدم وأهدم وقال ﷺ (١) من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة وقال ﷺ (٢) لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد عن الله عز وجل شراد البعير عن أهله فقيل يارسول الله من الذي يأبى ويشرد عن الله قال من لم يقل لا إله إلا الله فأكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها فإنها كلمة التوحيد وهي كلمة الاخلاص وهي كلمة التقوى وهي الكلمة الطيبة وهي دعوة الحق وهي العروة الوثقى وهي ثمن الجنة وقال الله عز وجل ﴿ هل جزاء الاحسان إلا الاحسان ﴾ فقيل الاحسان في الدنيا قول لا إله إلا الله وفي الآخرة الجنة وكذا قوله تعالى ﴿ للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ﴾ وروى البراء بن عازب أنه ﷺ قال (٣) من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كانت له عدل رقبة أو قال نسمة وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال قال رسول الله ﷺ (٤) من قال في يوم مائتي مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير لم يسبقه أحد كان قبله ولا يدركه أحد كان بعده إلا من عمل بأفضل من عمله وقال ﷺ من قال في سوق من الأسواق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحا عنه ألف ألف سيئة وبني له بيت في الجنة (٥) ويروى أن العبد إذا قال لا إله إلا الله أتت إلى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس الى جنبها وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي ﷺ (٦) أنه قال من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسمعيل ﷺ وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ (٧) أنه قال من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قال اللهم اغفر لي غفر له أو دعا استجيب له فان توضأ وصلى قبلت صلاته

(١) حديث من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة الطبراني من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف (٢) حديث لتدخلن الجنة كلكم إلا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله قال البخاري من حديث أبي هريرة كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى زاد ك وصححها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال البخاري قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى ولابن عدي وأبي يعلى والطبراني في الدعاء من حديثه أكثروا من قول لا إله إلا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه ابن وردان أيضا ولأبي الشيخ في الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالي مرسلا اذا قلت لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد الحديث والحكم ضعيف ولأبي بكر بن الضحاك في الشمائل من حديث ابن مسعود في إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الاخلاص ولابن عدي من حديث ابن عمر في إجابة المؤذن دعوة الحق وللطبراني في الدعاء عن عبد الله بن عمرو وكلمة الاخلاص لا إله إلا الله الحديث وللطبراني من حديث سلمة بن الأكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لا إله إلا الله وللطبراني في الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه في قوله دعوة الحق قال شهادة أن لا إله إلا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لا إله إلا الله ولابن عدي والمستغفري من حديث أنس ثمن الجنة لا إله إلا الله ولا يصح شيء منها (٣) حديث البراء من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات (٤) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم من قال في كل يوم مائة مرة لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحديث أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في المستدرك وإسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الأحياء (٥) حديث ان العبد اذا قال لا إله إلا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئة إلا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس اليها أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف (٦) حديث أبي أيوب من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد إسمعيل متفق عليه (٧) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لا إله إلا الله الحديث رواه خ

ومن أحيا سنتي فقد أحياني ومن أحياني كان معي في الجنة وهذا أتم شرف وأكمل فضل أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم في حق من أحيا سنته فالصوفية هم الذين أحيوا هذه السنة وطهارة الصدور من الغل والغش عماد أمرهم وبذلك ظهر جوهرهم وبان فضلهم وإنما قدروا على إحياء هذه السنة ونهضوا بواجب حقها لزهدهم في الدنيا وتركها لأربابها وطلابها لأن مثار الغل والغش محبة الدنيا ومحبة الرفعة والمنزلة عند الناس والصوفية زهدوا في ذلك كله كما قال بعضهم طريقنا هذا لا يصلح إلا لأقوام كنست بأرواحهم المزابل فلما سقط عن قلوبهم محبة الدنيا وحب الرفعة أصبحوا وأمسوا وليس في قلوبهم غش لأحد فقول القائل كنست بأرواحهم المزابل إشارة منه الى غاية التواضع وأن لا يرى نفسه

فضيلة

تميز عن أحد من المسلمين لحقارته عند نفسه وعند هذا ينسد باب الغش والغل وجرت هذه الحكاية فقال

{ فضيلة التسبيح والتحميد وبقية الاذكار }

قال ﷺ من سبح (١) دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين وحمد ثلاثا وثلاثين وكبر ثلاثا وثلاثين وختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر وقال ﷺ (٢) من قال سبحان الله وبحمده في اليوم مائة مرة حطت عنه خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وروى أن رجلا جاء الى رسول الله ﷺ (٣) فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فاين أنت من صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون قال فقلت وماذا يارسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الى أن تصلي الصبح تأتيك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله عز وجل من كل كلمة ملكا يسبح الله تعالى الى يوم القيامة لك ثوابه وقال ﷺ (٤) اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض فاذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض السفلى فاذا قال الحمد لله الثالثة قال الله عز وجل سل تعط وقال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله ﷺ (٥) فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراء رسول الله ﷺ ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه فلما انصرف رسول الله ﷺ عن صلاته قال من المتكلم آنفا قال أنا يارسول الله فقال ﷺ لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أولا وقال رسول الله ﷺ (٦) الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والحمد لله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وقال ﷺ (٧) ما على الارض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر رواه ابن عمر وروى النعمان بن بشير عنه ﷺ أنه قال (٨) الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتكبيره وتحميده ينعطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن أولا يحب أحدكم أن لا يزال عند الله ما يذكر به وروى أبو هريرة أنه ﷺ (٩) قال لأن أقول سبحان الله

(١) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين الحديث م من حديث أبي هريرة (٢) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر متفق عليه من حديث أبي هريرة (٣) حديث ان رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي فقال رسول الله ﷺ فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون الحديث المستغفري في الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا في حديث مالك ولاحمد من حديث عبد الله بن عمرو ان نوحا قال لابنه آمرك بلا إله إلا الله الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق الخلق واسناده صحيح (٤) حديث اذا قال العبد الحمد لله ملأت ما بين السماء والارض واذا قال الحمد لله الثانية ملأت ما بين السماء السابعة الى الارض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعطه غريب بهذا اللفظ لم أجده (٥) حديث رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء النبي ﷺ فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه الحديث رواه خ (٦) حديث الباقيات الصالحات هن لا إله إلا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ن في اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث أبي سعيد ون ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة الا بالله (٧) حديث ما على الارض رجل يقول لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله الا غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند ت وحسنه ون في اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمد لله (٨) حديث النعمان بن بشير الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتمجيده وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوي كدوي النحل يذكر بصاحبه الحديث ه وك وصححه على شرط م (٩) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس

بعض الفقراء من أصحابنا وقع لي ان معنى كنست بأرواحهم المزابل ان الاشارة بالمزابل الى النفوس لانها مأوى كل رجس ونجس كالمزبلة وكنسها بنور الروح الواصل اليها لان الصوفية أرواحهم في محال القرب ونورها يسري الى النفوس وبوصول نور الروح الى النفس تطهر النفس ويذهب عنها المذموم من الغل والغش والحقد والحسد فكانها تكنس بنور الروح وهذا المعنى صحيح وان لم يرد القائل بقوله ذلك * قال الله تعالى في وصف أهل الجنة ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين قال أبو حفص كيف يبقى الغل في قلوب ائتلفت بالله واتفقت على محبته واجتمعت على مودته وأنست بذكره ان تلك قلوب صافية من هواجس النفوس وظلمات الطبائع بل كحلت بنور

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب الى مما طلعت عليه الشمس وفى رواية أخرى زاد لا حول ولا قوة الا بالله وقال هى خير من الدنيا وما فيها وقال ﷺ (١) أحب الكلام الى الله تعالى أربع سبحان الله والحمد لله ولا إله الا الله والله أكبر لا يضرك بأيهن بدأت رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك الأشعرى أن رسول الله ﷺ (٢) كان يقول الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان وسبحان الله والله أكبر يملآن ما بين السماء والارض والصلاة نور والصدقة برهان والصبر ضياء والقرآن حجة لك أو عليك كل الناس يغدو فبائع نفسه فموبقها أو مشتر نفسه فمعتقها وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٣) كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله ﷺ (٤) أى الكلام أحب الى الله عز وجل قال ﷺ ما اصطفى الله سبحانه لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٥) ان الله تعالى اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر فاذا قال العبد سبحان الله كتبت له عشرون حسنة وتحط عنه عشرون سيئة واذا قال الله أكبر فمثل ذلك وذكر الى آخر الكلمات وقال جابر قال رسول الله ﷺ (٦) من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة وعن أبى ذر رضى الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله ﷺ (٧) ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم فقال أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به ان لكم بكل تسبيحة صدقة وتحميدة وتهليلة صدقة وتكبيرة صدقة وأمر بمعروف صدقة ونهى عن منكر صدقة ويضع أحدكم اللقمة فى فى أهله فهى له صدقة وفى بضع أحدكم صدقة قالوا يارسول الله يأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر قال صلى الله عليه وسلم أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه فيها وزر قالوا نعم قال كذلك ان وضعها فى الحلال كان له فيها أجر وقال أبو ذر رضى الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) سبق أهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلا أدلك على عمل اذا أنت عملته أدركت من قبلك وفقت من بعدك الا من قال مثل قولك تسبح الله بعد كل صلاة ثلاثا وثلاثين وتحمد ثلاثا وثلاثين وتكبر أربعا وثلاثين وروت بسرة عن النبى صلى الله عليه وسلم (٩) أنه قال عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات

وزاد فى رواية ولا حول ولا قوة الا بالله وقال خير من الدنيا وما فيها م باللفظ الأول وللمستغرق فى الدعوات من رواية مالك بن دينار ان أبا أمامة قال النبى ﷺ قلت سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر خير من الدنيا وما فيها قال أنت أغنم القوم وهو مرسل جيد الاسناد (١) حديث سمرة بن جندب أحب الكلام الى الله أربع الحديث رواه م (٢) حديث أبى مالك الأشعرى الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان الحديث رواه م وقد تقدم فى الطهارة (٣) حديث أبى هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان الحديث متفق عليه (٤) حديث أبى ذر أى الكلام أحب الى الله قال ما اصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون قوله سبحان الله العظيم (٥) حديث ان الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله الحديث ن فى اليوم والليلة وك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبى هريرة وأبى سعيد الا انهما قالا فى ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة (٦) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة فى الجنة ت وقال حسن ون فى اليوم والليلة وحب وك وقال صحيح على شرط م وصححه (٧) حديث أبى ذر قال الفقراء لرسول الله ﷺ ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلى الحديث رواه م (٨) حديث أبى ذر قلت لرسول الله ﷺ سبق أهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق الحديث رواه هـ الا أنه قال قال سفيان لا أدرى أيتهن أربع ولاحمد فى هذا الحديث وتحمد أربعا وثلاثين واسنادهما جيد ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء وتكبر أربعا وثلاثين كما ذكر المصنف (٩) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات د ت ك

صفات نفوسهم فاذا تبدلت نعوت النفس ارتفع الحجاب وصحت المتابعة ووقعت الموافقة فى كل شىء مع رسول الله ﷺ ووجبت المحبة من الله تعالى عند ذلك قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله جعل متابعة الرسول ﷺ آية محبة العبد ربه وجعل جزاء العبد على حسن متابعة الرسول محبة الله إياه فأوفر الناس حظا من متابعة الرسول أوفرهم حظا من محبة الله تعالى والصوفية من بين طوائف الاسلام ظفروا بحسن المتابعة لانهم اتبعوا أقواله فقاموا بما أمرهم ووقفوا عما نهاهم قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ثم اتبعوه فى أعمالهم من الجد والاجتهاد فى العبادة والتهجد

يعني بالشهادة في القيامة وقال ابن عمر رأيته ﷺ (١) يعقد التسبيح وقد قال ﷺ فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري (٢) اذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله عز وجل صدق عبدي لا إله إلا أنا وأنا أكبر واذا قال العبد لا اله الا الله وحده لا شريك له قال تعالى صدق عبدي لا اله الا أنا وحدي لا شريك لي واذا قال لا اله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله سبحانه صدق عبدي لا حول ولا قوة إلا بي ومن قالهن عند الموت لم تمسه النار وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه ﷺ (٣) أنه قال أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة فقيل كيف ذلك يا رسول الله فقال ﷺ يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف سيئة وقال ﷺ (٤) يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى أولا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال قل لا حول ولا قوة إلا بالله وفي رواية أخرى ألا أعلمك كلمة من كنز تحت العرش لا حول ولا قوة إلا بالله وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ (٥) ألا أدلك على عمل من كنوز الجنة من تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله تعالى أسلم عبدي واستسلم وقال ﷺ (٦) من قال حين يصبح رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبالقرآن إماما وبمحمد ﷺ نبيا ورسولا كان حقا على الله أن يرضيه يوم القيامة وفي رواية من قال ذلك رضي الله عنه وقال مجاهد اذا خرج الرجل من بيته فقال بسم الله قال الملك هديت فاذا قال توكلت على الله قال الملك كفيت واذا قال لا حول ولا قوة إلا بالله قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ما تريدون من رجل قد هدي وكفي ووقي لا سبيل لكم اليه ﴿فان قلت﴾ فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان وقلة التعب فيه صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها فاعلم أن تحقيق هذا لا يليق إلا بعلم المكاشفة والقدر الذي يسمح بذكره في علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب فأما الذكر باللسان والقلب لاه فهو قليل الجدوى وفي الأخبار ما يدل عليه أيضا (٧) وحضور القلب في لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو في أكثر الأوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات وهو غاية ثمرة العبادات العملية وللذكر أول وآخر فأوله يوجب الأنس والحب وآخره يوجبه الأنس والحب ويصدر عنه والمطلوب ذلك الأنس والحب فان المريد في بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس الى ذكر الله عز وجل فان وفق للمداومة أنس به وانغرس في قلبه حب المذكور ولا ينبغي أن يتعجب من هذا فان من المشاهد في العادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدي شخص وتكرر ذكره عنده فيحبه وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ثم اذا عشق بكثرة الذكر المتكلف أولا صار

باسناد جيد (١) حديث ابن عمر رأيته ﷺ يعقد التسبيح قلت انما هو عبد الله بن عمرو بن العاص كما رواه د ن ت وحسنه وك (٢) حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله إلا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي الحديث ت وقال حسن ون في اليوم والليلة وه وك وصححه (٣) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة الحديث م إلا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح (٤) حديث يا عبد الله بن قيس أو يا أبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لا حول ولا قوة إلا بالله متفق عليه (٥) حديث أبي هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لا حول ولا قوة إلا بالله يقول الله أسلم عبدي واستسلم ن في اليوم والليلة وك من قال سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله قال أسلم عبدي واستسلم وقال صحيح الاسناد (٦) حديث من قال حين يصبح رضيت بالله ربا الحديث د ن في اليوم والليلة وك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبي ﷺ ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد بن المرزبان ضعيف جدا (٧) حديث الدال على ان الذكر والقلب لاه قليل الجدوى ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبي هريرة واعلموا أن الله لا يقبل الدعاء من قلب لاه

والنوافل من الصوم والصلاة وغير ذلك ورزقوا بركة المتابعة في الأقوال والأفعال التخلق بأخلاقه من الحياء والحلم والصفح والعفو والرأفة والشفقة والمداراة والنصيحة والتواضع ورزقوا قسطا من أحواله من الخشية والسكينة والهيبة والتعظيم والرضا والصبر والزهد والتوكل فاستوفوا جميع أقسام المتابعات وأحيوا سنته بأقصى الغايات * قيل لعبد الواحد بن زيد من الصوفية عندك قال القائمون بعقولهم على فهم السنة والعاكفون عليها بقلوبهم والمعتصمون بسيدهم من شر نفوسهم هم الصوفية وهذا وصف تام وصفهم به فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم الافتقار الى مولاه حتى يقول لا تكلني الى نفسي طرفة عين أكلأني كلاءة الوليد ومن أشرف ما ظفر به الصوفي من متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا الوصف وهو دوام الافتقار ودوام الالتجاء ولا يتحقق بهذا الوصف من

مضطرا الى كثرة الذكر آخرا بحيث لا يصبر عنه فان من أحب شيأ أكثر من ذكره ومن أكثر ذكر شيء وان كان تكلفا أحبه فكذلك أول الذكر متكلف الى أن يثمر الأنس بالمذكور والحب له ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمر مثمرا وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرآن عشرين سنة ثم تنعمت به عشرين سنة ولا يصدر التنعم إلا من الأنس والحب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا فكيف يستبعد هذا وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه أولا ويكابد أكله ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف * هي النفس ما عودتها تتعود * أي ما كلفتها أولا يصير لها طبعا آخرا ثم اذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله وما سوى الله عز وجل هو الذي يفارقه عند الموت فلا يبقى معه في القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه إذ ضرورات الحاجات في الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذي كان ممنوعا فيه عما به أنسه ولذلك قال ﷺ (١) ان روح القدس نفث في روعي أحبب ما أحببت فانك مفارقه أراد به كل ما يتعلق بالدنيا فان ذلك يفنى في حقه بالموت فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام وانما تفنى الدنيا بالموت في حقه الى أن تفنى في نفسها عند بلوغ الكتاب أجله وهذا الأنس يتلذذ به العبد بعد موته الى أن ينزل في جوار الله عز وجل ويترقى من الذكر الى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر ما في القبور ويحصل ما في الصدور ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت فيقول انه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت والى ما ذكرناه الاشارة بقوله ﷺ (٢) القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة وبقوله ﷺ (٣) أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر وبقوله ﷺ (٤) لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم النبي ﷺ هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فسمع عمر رضي الله عنه قوله ﷺ فقال يا رسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا فقال ﷺ والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لكلامي منهم ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا والحديث في الصحيح هذا قوله عليه السلام في المشركين فأما المؤمنون والشهداء فقد قال ﷺ (٥) أرواحهم في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ اليه لا ينافي ذكر الله عز وجل وقال تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم﴾ الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة لان المطلوب الخاتمة ونعني بالخاتمة وداع الدنيا والقدوم على الله والقلب مستغرق بالله عز وجل منقطع العلائق عن غيره فان قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل فلا يقدر على أن يموت

(١) حديث ان روح القدس نفث في روعي أحبب من أحببت فانك مفارقه تقدم في الكتاب السابع من العلم (٢) حديث القبر إما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة ت من حديث أبي سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافي ضعيف (٣) حديث أرواح الشهداء في حواصل طيور خضر م من حديث ابن مسعود انه سئل عن هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا﴾ الآية قال أما إنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم في جوف طير خضر فلم يسم فيه النبي ﷺ وفي رواية ت أما إنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس ان ابن منيع صرح برفعه في مسنده (٤) حديث ندائه لقتلى بدر من المشركين يا فلان يا فلان وقد سماهم إني قد وجدت ما وعدني ربي حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا م من حديث أنس (٥) حديث أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش ه من حديث كعب بن مالك ان أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ انما نسمة المؤمن طائر ورواه ت

القرب وخلا سره بلذاذة المسامرة فبقيت نفسه بين هذه الأشياء كلها أسيرة مأمورة ومع ذلك كله يراها مأوى كل شر وهي بمثابة النار لو بقيت منها شرارة أحرقت عالما وهي وشيكة الرجوع سريعة الانفلات والانقلاب فالله تعالى بكمال لطفه عرفها الى الصوفي وكشفها له على شيء من معنى ما كشفه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فهو دائم الاستغاثة الى مولاه من شرها وكأنها جعلت سوطا للعبد تسوقه لمعرفته بشرها مع اللحظات الى جناب الالتجاء وصدق الافتقار والدعاء فلا يخلو الصوفي عن مطالعتها أدنى ساعة كما لا يخلو عن ربه أدنى ساعة وربط معرفة الله تعالى فيما ورد من عرف نفسه

على

على تلك الحالة الا في صف القتال فانه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته وقد هون على قلبه حياته في حب الله عز وجل وطلب مرضاته فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة وورد فيه من الفضائل مالا يحصى فمن ذلك أنه لما استشهد عبد الله بن عمرو الانصاري يوم أحد قال رسول الله ﷺ (١) لجابر ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله عز وجل أحيا أباك فأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي ياعبدي ماشئت أعطيكه فقال يارب أن تردني الى الدنيا حتى أقتل فيك وفي نبيك مرة أخرى فقال عز وجل سبق القضاء مني بانهم اليها لا يرجعون ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة فانه لولم يقتل وبقي مدة ربما عادت شهوات الدنيا اليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة فان القلب وان ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب لا يخلو عن الالتفات الى شهوات الدنيا ولا ينفك عن فترة تعتريه فاذا تمثل في آخر الحال في قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا والحالة هذه فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ويتمنى الرجوع الى الدنيا وذلك لقلة حظه في الآخرة اذ يموت المرء على ما عاش عليه ويحشر على مامات عليه فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة اذا لم يكن قصد الشهيد (٢) نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر بل حب الله عز وجل واعلاء كلمته فهذه الحالة هي التي عبر عنها بان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك لا إله إلا الله فانه لا مقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود وكل معبود اله فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لا إله إلا الله اذ لا مقصود له سواه ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره في مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن في حقه الخطر ولذلك فضل رسول الله ﷺ (٣) قول لا إله إلا الله على سائر الاذكار وذكر ذلك مطلقا في مواضع الترغيب ثم ذكر في بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله مخلصا ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال * فنسأل الله تعالى أن يجعلنا في الخاتمة من أهل لا إله إلا الله حالا ومقالا وظاهرا وباطنا حتى نودع الدنيا غير ملتفتين اليها بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه فهذه مرامز الى معاني الذكر التي لا يمكن الزيادة عليها في علم المعاملة

﴿ الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله ﷺ ﴾

﴿ فضيلة الدعاء ﴾

قال الله تعالى ﴿ واذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي ﴾ وقال تعالى ﴿ ادعوا ربكم تضرعا وخفية إنه لا يحب المعتدين ﴾ وقال تعالى ﴿ وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ان الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين ﴾ وقال عز وجل ﴿ قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياما تدعوا

بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح (١) حديث ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله أحيا أباك وأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي الحديث ت وقال حسن و ه ك وصحح اسناده من حديث جابر (٢) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك متفق عليه من حديث أبي موسى قال جاء رجل الى النبي ﷺ فقال الرجل يقاتل للذكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن في سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣) حديث تفضيل لا إله إلا الله على سائر الاذكار ت وقال حسن ن في اليوم والليلة و ه من حديث جابر

﴿ الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله ﴾

صلى الله عليه وسلم غير الصوفي العالم بالله الزاهد في الدنيا المتمسك من التقوى باوثق العرى ومن ذلك يهتدى الى فائدة هذه الحال غير الصوفي فدوام افتقاره الى ربه تمسك بجناب الحق ولياذ به وفي هذا اللياذ استغراق الروح واستتباع القلب الى محل الدعاء وفي انجذاب القلب الى محل الدعاء بلسان الحال والكون فيه نبو النفس عن مستقرها من الاقسام العاجلة ونزولها اليها في مدارج العلم محفوفة بحراسة الله تعالى ورعايته والنفس المدبرة بهذا التدبير من حسن تدبير الله تعالى مأمونة الغائلة من الغل والغش والحقد والحسد وسائر المذمومات فهذا حال الصوفي ﴿ ويجمع جمل حال الصوفية شيأ من أوصاف الصوفية ﴾

فلله الأسماء الحسنى ﴿ وروى النعمان بن بشير عن النبي ﷺ (١) أنه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرأ ﴾ ادعوني أستجب لكم ﴾ الآية وقال ﷺ (٢) الدعاء مخ العبادة وروى أبو هريرة أنه ﷺ (٣) قال ليس شيء أكرم على الله عز وجل من الدعاء وقال ﷺ (٤) ان العبد لا يخطئه من الدعاء إحدى ثلاث إما ذنب يغفر له وأما خير يعجل له وأما خير يدخر له وقال أبو ذر رضي الله عنه يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح وقال ﷺ (٥) سلوا الله تعالى من فضله فان الله تعالى يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج

﴿ آداب الدعاء وهي عشرة ﴾

﴿الأول﴾ أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة ورمضان من الأشهر ويوم الجمعة من الأسبوع ووقت السحر من ساعات الليل قال تعالى ﴿ وبالاسحار هم يستغفرون ﴾ وقال ﷺ (٦) ينزل الله تعالى كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الاخير فيقول عز وجل من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب ﷺ انما قال سوف أستغفر لكم ربي ليدعو في وقت السحر فقيل أنه قام في وقت السحر يدعو وأولاده يؤمنون خلفه فأوحى الله عز وجل اليه انى قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء ﴿الثاني﴾ أن يغتنم الاحوال الشريفة قال أبو هريرة رضي الله عنه ان أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى وعند نزول الغيث وعند اقامة الصلوات المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد ان الصلاة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات وقال ﷺ (٧) الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال ﷺ (٨) أيضا الصائم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف الحالات أيضا اذ وقت السحر وقت صفاء القلب واخلاصه وفراغه من المشوشات ويوم عرفة ويوم الجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل فهذا أحد أسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من أسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود أيضا أجدر بالاجابة قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي ﷺ (٩) أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد فاكثروا فيه من الدعاء وروى ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (١٠) أنه قال اني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا فاما الركوع فعظموا فيه الرب تعالى وأما السجود فاجتهدوا فيه بالدعاء فانه قمن أن يستجاب لكم ﴿الثالث﴾ أن يدعو مستقبل القبلة ويرفع يديه

---

(١) حديث النعمان بن بشير ان الدعاء هو العبادة أصحاب السنن وك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح (٢) حديث الدعاء مخ العبادة ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه الا من حديث ابن لهيعة (٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء ت وقال غريب وه حب ك وقال صحيح الاسناد (٤) حديث ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث إما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له الديلمي في الفردوس من حديث أنس وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف ولاحمد وخ في الادب والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي سعيد اما ان تعجل له دعوته واما ان يدخر له في الآخرة واما أن يدفع عنه من السوء مثلها (٥) حديث سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره (٦) حديث ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٧) حديث الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد د ن في اليوم والليلة و ت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدي وابن القطان ورواه في اليوم والليلة باسناد آخر جيد وحب وك وصححه (٨) حديث الصائم لا ترد دعوته ت وقال حسن وه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه (٩) حديث أبي هريرة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء رواه م (١٠) حديث ابن عباس اني نهيت أن أقرأ القرآن راكعا أو ساجدا الحديث م

الصرف وقوم منهم خصوا بالهداية بشرط مقدمة الانابة فالاجتباء المحض غير معلل بكسب العبد وهذا حال المحبوب المراد يبادئه الحق بمنحه ومواهبه من غير سابقة كسب منه يسبق كشوفه اجتهاده وفي هذا أخذ بطائفة من الصوفية رفعت الحجب عن قلوبهم وبادرهم سطوع نور اليقين فأثار نازل الحال فيهم شهوة الاجتهاد والاعمال فأقبلوا على الاعمال باللذاذة والعيش فيها قرة أعينهم فسهل الكشف عليهم الاجتهاد كما سهل على سحرة فرعون لذاذة النازل بهم من صفو العرفان تحمل وعيد فرعون فقالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات قال جعفر الصادق رضي الله عنه وجدوا أرياح العناية القديمة بهم فالتجؤا الى السجود

بحيث يرى بياض إبطيه روى جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ (١) أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس وقال سلمان قال رسول الله ﷺ (٢) ان ربكم حيى كريم يستحى من عبيده اذا رفعوا أيديهم اليه أن يردها صفرا وروى أنس أنه ﷺ (٣) كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء ولا يشير بأصبعه وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه ﷺ (٤) مر على انسان يدعو ويشير بأصبعيه السبابتين فقال ﷺ أحد أحد أى اقتصر على الواحدة وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ارفعوا هذه الأيدى قبل أن تغل بالأغلال ثم ينبغي أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء قال عمر رضى الله عنه كان رسول الله ﷺ (٥) اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه وقال ابن عباس كان ﷺ (٦) اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه فهذه هيآت اليد ولا يرفع بصره الى السماء قال ﷺ (٧) لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم ﴿الرابع﴾ خفض الصوت بين المخافتة والجهر لما روى أن أبا موسى الأشعرى قال قدمنا مع رسول الله فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم فقال النبى ﷺ (٨) يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب ان الذى تدعون بينكم وبين أعناق ركابكم وقالت عائشة رضى الله عنها فى قوله عز وجل (٩) ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ أى بدعائك وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكريا عليه السلام حيث قال ﴿إذ نادى ربه نداء خفيا﴾ وقال عز وجل ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ ﴿الخامس﴾ أن لا يتكلف السجع فى الدعاء فان حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه قال ﷺ (١٠) سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وقد قال عز وجل ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين﴾ قيل معناه التكلف للاسجاع والاولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى فى دعائه فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته فما كل أحد يحسن الدعاء ولذلك روى عن معاذ رضى الله عنه أن العلماء يحتاج اليهم فى الجنة إذ يقال لأهل الجنة تمنوا فلا يدرون كيف يتمنون حتى يتعلموا من العلماء وقد قال ﷺ (١١) إياكم والسجع فى الدعاء حسب أحدكم أن يقول اللهم إنى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل وفى الخبر سيأتى قوم يعتدون فى الدعاء والطهور ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع فقال له أعلى الله تبالغ أشهد لقد رأيت حبيبا العجمى يدعو وما يزيد على قوله اللهم اجعلنا جيدين اللهم لا تفضحنا يوم القيامة اللهم وفقنا للخير

أيضا (١) حديث جابر ان رسول الله ﷺ أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفا ون من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات (٢) حديث سلمان ان ربكم حيي كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفرا د ت وحسنه و ه ك وقال إسناده صحيح على شرطهما (٣) حديث أنس كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه فى الدعاء ولا يشير بأصبعه م دون قوله ولا يشير باصبعه والحديث متفق عليه لكن مقيد بالاستسقاء (٤) حديث أبى هريرة مر على إنسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله ﷺ أحد أحد ن وقال حسن و ه ك وقال صحيح الاسناد (٥) حديث عمر كان رسول الله ﷺ اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب و ك فى المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف (٦) حديث ابن عباس كان ﷺ اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه الطبرانى فى الكبير بسند ضعيف (٧) حديث لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عند الدعاء أو لتخطفن أبصارهم م من حديث أبى هريرة وقال عند الدعاء فى الصلاة (٨) حديث أبى موسى الأشعرى يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لابى داود (٩) حديث عائشة فى قوله تعالى ﴿ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها﴾ اى بدعائك متفق عليه (١٠) حديث سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وفى رواية والطهور د ه حب ك من حديث عبد الله بن مغفل (١١) حديث إياكم والسجع فى الدعاء

شكرا وقالوا آمنا برب العالمين (اخبرنا) ابو زرعة طاهر بن ابى الفضل إجازة قال انا ابو بكر احمد بن على بن خلف أجازة قال انا عبد الرحمن السلمى قال سمعت منصورا يقول سمعت أبا موسى الزقاق يقول سمعت أبا سعيد الخراز يقول أهل الخاصة الذين هم المرادون اجتباهم مولاهم وأكمل لهم النعمة وهيأ لهم الكرامة فأسقط عنهم حركات الطلب فصارت حركاتهم فى العمل والخدمة على الالفة والذكر والتنعم بمناجاته والانفراد بقربه وبهذا الاسناد الى أبى عبد الرحمن السلمى قال سمعت عليا ابن سعيد يقول سمعت احمد بن الحسن الحمصى يقول سمعت فاطمة المعروفة بجويرية تلميذة ابى سعيد تقول سمعت الخراز يقول المراد محمول فى حاله معان على حركاته وسعيه فى الخدمة مكفى مصون عن الشواهد والنواظر وهذا الذى قاله الشيخ ابو سعيد هو الذى اشبه حقيقته على

والناس يدعون من كل ناحية وراءه وكان يعرف بركة دعائه وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق ويقال ان العلماء والابدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ويشهد له آخر سورة البقرة فان الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك * واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله ﷺ (١) أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وإنك تفعل ما تريد وأمثال ذلك فليقتصر على المأثور من الدعوات أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل ﴿السادس﴾ التضرع والخشوع والرغبة والرهبة قال الله تعالى ﴿انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا﴾ وقال عز وجل ﴿ادعوا ربكم تضرعا وخفية﴾ وقال ﷺ (٢) اذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه ﴿السابع﴾ أن يجزم الدعاء ويوقن بالاجابة ويصدق رجاءه فيه قال ﷺ (٣) لا يقل أحدكم اذا دعا اللهم اغفر لي إن شئت اللهم ارحمني إن شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له وقال ﷺ (٤) اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال ﷺ (٥) ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله عز وجل لا يستجيب دعاء من قلب غافل وقال سفيان بن عيينة لا يمنعن أحدكم من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق إبليس لعنه الله إذ قال رب فانظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين ﴿الثامن﴾ أن يلح في الدعاء ويكرره ثلاثا قال ابن مسعود كان عليه السلام (٦) اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا وينبغي أن لا يستبطئ الاجابة لقوله ﷺ (٧) يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول قد دعوت فلم يستجب لي فاذا دعوت فاسأل الله كثيرا فانك تدعو كريما وقال بعضهم إني أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة سألت الله تعالى أن يوفقني لترك ما لا يعنيني وقال ﷺ (٨) اذا سأل أحدكم ربه مسئلة فتعرف

بحسب أحدكم أن يقول اللهم إني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل غريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت أصحاب رسول الله ﷺ لا يفعلون الا ذلك وه ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة الى آخره (١) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وانك تفعل ما تريد ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله ﷺ يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سيء الحفظ (٢) حديث اذا أحب الله عبدا ابتلاه حتى يسمع تضرعه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا الحديث وفيه دعه فاني أحب أن أسمع صوته وللطبراني من حديث أبي أمامة ان الله يقول للملائكة انطلقوا الى عبدي فصبوا عليه البلاء الحديث وفيه فاني أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف (٣) حديث لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسئلة فانه لا مكره له متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لا يتعاظمه شيء حب من حديث أبي هريرة (٥) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل ت من حديث أبي هريرة وقال غريب و ك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف في الحديث (٦) حديث ابن مسعود كان ﷺ اذا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا رواه مسلم وأصله متفق عليه (٧) حديث يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لي متفق عليه من حديث أبي هريرة (٨) حديث اذا سأل أحدكم مسئلة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شيء فليقل

طائفة من الصوفية ولم يقولوا بالاكثار من النوافل وقد رأوا جمعا من المشايخ قلت نوافلهم فظنوا أن ذلك حال مستمر على الاطلاق ولم يعلموا ان الذين تركوا النوافل واقتصروا على الفرائض كانت بداياتهم بدايات المريدين فلما وصلوا الى روح الحال وأدركتهم الكشوف بعد الاجتهاد امتلؤا بالحال فطرحوا نوافل الأعمال فاما المرادون فتبقى عليهم الأعمال والنوافل وفيها قرة أعينهم وهذا أتم وأكمل من الأول فهذا الذي أوضحناه أحد طريقي الصوفية فأما الطريق الآخر طريق المريدين وهم الذين شرطوا لهم الانابة فقال الله تعالى ويهدي اليه من ينيب فطولبوا بالاجتهاد أولا قبل الكشوف قال الله تعالى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا يدرجهم الله تعالى في مدارج الكسب بأنواع الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر

الاجابة فليقل الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه شيء من ذلك فليقل الحمد لله على كل حال (التاسع) أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل فلا يبدأ بالسؤال قال سلمة بن الأكوع ماسمعت رسول الله ﷺ (١) يستفتح الدعاء الا استفتحه بقول سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله من أراد أن يسأل الله حاجة فليبدأ بالصلاة على النبي ﷺ ثم يسأله حاجته ثم يختم بالصلاة على النبي ﷺ فان الله عز وجل يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما وروى في الخبر عن رسول الله ﷺ (٢) أنه قال اذا سألتم الله عز وجل حاجة فابدؤا بالصلاة علي فان الله تعالى أكرم من أن يسئل حاجتين فيقضي احداهما ويرد الاخرى رواه أبو طالب المكي (العاشر) وهو الأدب الباطن وهو الأصل في الاجابة التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في الاجابة فيروى عن كعب الاحبار أنه قال أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله ﷺ فخرج موسى ببني اسرائيل يستسقي بهم فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا فأوحى الله عز وجل الى موسى عليه السلام اني لا استجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمام فقال موسى يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا فأوحى الله عز وجل اليه ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما فقال موسى لبني اسرائيل توبوا الى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا فأرسل الله تعالى عليهم الغيث وقال سعيد بن جبير قحط الناس في زمن ملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا فقال الملك لبني اسرائيل ليرسلن الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو في السماء فقال أقتل أولياءه وأهل طاعته فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء وقال سفيان الثوري بلغني ان بني اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل وأكلوا الأطفال وكانوا كذلك يخرجون الى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل الى أنبيائهم عليهم السلام لو مشيتم الي بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء وتكل ألسنتكم عن الدعاء فاني لا أجيب لكم داعيا ولا أرحم لكم باكيا حتى تردوا المظالم الى أهلها ففعلوا فمطروا من يومهم وقال مالك بن دينار أصاب الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل الى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون الي بأبدان نجسة وترفعون الي أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا مني الا بعدا وقال أبو الصديق الناجي خرج سليمان عليه السلام يستسقي فمر بنملة ملقاة على ظهرها رافعة قوائمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم وقال الأوزاعي خرج الناس يستسقون فقام فيهم بلال بن سعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يامعشر من حضر ألستم مقرين بالاساءة فقالوا اللهم نعم فقال اللهم انا قد سمعناك تقول ماعلى المحسنين من سبيل وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك الا لمثلنا اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطؤن المطر وأنا استبطىء الحجارة وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسقي فلما ضجروا قال عليه السلام من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه في المفازة الا واحد فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب فقال والله ماعلمت من شيء غير أني كنت ذات يوم أصلي فمرت بي امرأة فنظرت اليها بعيني هذه فلما جاوزتني أدخلت أصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى

الحمد لله على كل حال البيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف (١) حديث سلمة بن الاكوع ماسمعت رسول الله ﷺ يستفتح الدعاء الا استفتحه وقال سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب أحمد والحاكم وقال صحيح الاسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمامي ضعفه الجمهور (٢) حديث اذا سألتم الله حاجة فابدؤا بالصلاة علي فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطي احداهما ويرد الاخرى

الارادة وينخلعون عن كل مألوف وعادة وهي الانابة التي شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم ويجعل الهداية مقرونة بها وهذه الهداية آنفا هداية خاصة لانها هداية اليه غير الهداية العامة التي هي الهدى الى أمره ونهيه بمقتضى المعرفة الاولى وهذا حاله السالك المحب المريد فكانت الانابة غير الهداية العامة فأثمرت هداية خاصة واهتدوا اليه بعد ان اهتدوا له بالمكابدات تخلصوا من مضيق العسر الى فضاء اليسر وبرزوا من وهج الاجتهاد الى روح الاحوال فسبق اجتهادهم كشوفهم والمرادون سبق كشوفهم اجتهادهم (أخبرنا) الشيخ الثقة أبو الفتح محمد بن عبد الباقي قال أنا أبو الفضل أحمد بن أحمد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهاني قال ثنا محمد بن الحسين بن موسى قال سمعت محمد بن عبد

أو من على دعائك قال فدعا فتجللت السماء سحابا ثم صبت فسقوا وقال يحيى الغسانى أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام فاختاروا ثلاثة من علمائهم فخرجوا حتى يستسقوا بهم فقال أحدهم اللهم انك أنزلت فى توراتك ان نعفوا عمن ظلمنا اللهم انا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا وقال الثانى اللهم انك أنزلت فى توراتك ان نعتق أرقاءنا اللهم انا أرقاؤك فاعتقنا وقال الثالث اللهم انك أنزلت فى توراتك أن لا نرد المساكين اذا وقفوا بأبوابنا اللهم انا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا وقال عطاء السلمى منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فاذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر فنظر الى فقال ياعطاء أهذا يوم النشور أو بعثر ما فى القبور فقلت لا ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسقى فقال ياعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية فقلت بل بقلوب سماوية فقال هيهات ياعطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا فان الناقد بصير ثم رمق السماء بطرفه وقال إلهى وسيدى ومولاى لا تهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك وما وارت الحجب من آلائك الا ما سقيتنا ماء غدقا فراتا تحيى به العباد وتروى به البلاد يا من هو على كل شىء قدير قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت وجاءت بمطر كأفواه القرب فولى وهو يقول

أفلح الزاهدون والعابدونا * اذ لمولاهم أجاعوا البطونا
اسهروا الاعين العليلة حبا * فانقضى ليلهم وهم ساهرونا
شغلتهم عبادة الله حتى * حسب الناس ان فيهم جنونا

وقال ابن المبارك قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم اذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش قد اتزر باحداهما وألقى الاخرى على عاتقه فجلس الى جنبى فسمعته يقول إلهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الاعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك فاسألك ياحليما ذا إناة يامن لا تعرف عباده منه الا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب قال ابن المبارك فجئت الى الفضيل فقال مالى أراك كئيبا فقلت أمر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم إنه لم ينزل بلاء من السماء الا بذنب ولم يكشف الا بتوبة وقد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك ﷺ وهذه أيدينا اليك بالذنوب ونواصينا بالتوبة وأنت الراعى لا تهمل الضالة ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الاصوات بالشكوى وأنت تعلم السر وأخفى اللهم فاغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال

﴿ فضيلة الصلاة على رسول الله ﷺ وفضله ﷺ ﴾

قال الله تعالى ﴿ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾ وروى أنه ﷺ (١) جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال ﷺ إنه جاءنى جبريل عليه السلام فقال أما ترضى يامحمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك صلاة واحدة الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا وقال ﷺ (٢) من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل عند ذلك أو ليكثر وقال ﷺ

(١) حديث أنه ﷺ جاء ذات يوم والبشرى ترى فى وجهه فقال إنه جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال ما ترضى يامحمد أن لا يصلى عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا ن وحب من حديث أبى طلحة باسناد جيد لم أجده مرفوعا وانما هو موقوف على أبى الدرداء

(٢) حديث من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر ه من حديث عامر بن ربيعة باسناد ضعيف والطبرانى فى الاوسط باسناد حسن

والقال ولكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات فقال محمد بن خفيف الارادة سمو القلب لطلب المراد وحقيقة الارادة استدامة الجد وترك الراحة وقال أبو عثمان المريد الذى مات قلبه عن كل شىء دون الله تعالى فيريد الله وحده ويريد قربه ويشتاق اليه حتى تذهب شهوات الدنيا عن قلبه لشدة شوقه الى ربه وقال أيضا عقوبة قلب المريدين ان يحجبوا عن حقيقة المعاملات والمقامات الى أضدادها فهذان الطريقان يجمعان أحوال الصوفية ودونهما طريقان آخران ليسا من طرق التحقق بالتصوف * أحدهما مجذوب أبقى على جذبته ما ردا الى الاجتهاد بعد الكشف * والثانى مجتهد متعبد ما خلص الى ان

(١) ان أولى الناس بى أكثرهم على صلاة وقال ﷺ (٢) بحسب المؤمن من البخل أن أذكر عنده فلا يصلى على وقال ﷺ (٣) أكثروا من الصلاة على يوم الجمعة وقال ﷺ (٤) من صلى على من أمتي كتب له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت وقال ﷺ (٥) من قال حين يسمع الأذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي وقال رسول الله ﷺ (٦) من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة يستغفرون له مادام اسمى في ذلك الكتاب وقال ﷺ (٧) ان في الارض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتي السلام وقال ﷺ (٨) ليس أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام (٩) وقيل له يارسول الله كيف نصلى عليك فقال قولوا اللهم صل على محمد عبدك وعلى آله وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وآل ابراهيم انك حميد مجيد وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله ﷺ يبكى ويقول بابى أنت وأمى يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم (١٠) فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت أولى بالحنين اليك لما فارقتهم بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل ﴿من يطع الرسول فقد أطاع الله﴾ بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل

(١) حديث ان أولى الناس بى أكثرهم على صلاة ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب (٢) حديث بحسب امرئ من البخل ان أذكر عنده فلا يصلى على قاسم بن أصبغ من حديث الحسن بن على هكذا ون وحب من حديث أخيه الحسين البخيل من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن على عن أبيه وقال حسن صحيح (٣) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة د ن ه حب ك وقال صحيح على شرط خ من حديث أوس بن أوس وذكره ابن أبى حاتم في العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر (٤) حديث من صلى على من أمتي كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيآت ن في اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات وله في السير ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر محو السيآت ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات (٥) حديث من قال حين يسمع الأذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامه والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك وأعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتي البخارى من حديث جابر دون ذكر الاقامة والشفاعة والصلاة على النبي ﷺ وقال النداء وللمستغفرى في الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن على المعمرى في اليوم والليلة من حديث أبى الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفرى في الدعوات بسند ضعيف من حديث أبى رافع كان رسول الله ﷺ اذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه واذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة الحديث وزاد وتقبل شفاعته في أمه ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة وفيه فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة (٦) حديث من صلى على في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى في ذلك الكتاب الطبرانى في الأوسط وأبو الشيخ في الثواب والمستغفرى في الدعوات من حديث أبى هريرة بسند ضعيف (٧) حديث ان في الارض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتي السلام تقدم في آخر الحج (٨) حديث ليس أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام د من حديث ابى هريرة بسند جيد (٩) حديث قيل له يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وازواجه وذريته الحديث متفق عليه من حديث ابى حميد الساعدى (١٠) حديث عمر في حنين الجذع ونبع الماء من بين اصابعه والاسراء به على البراق الى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالا بطح وكلام الشاة المسمومة وانه دمى

الكشف بعد الاجتهاد وللصوفية في طريقهم ابابمزيدهم وصحة طريقهم بحسن المتابعة ومن ظن أن يبلغ غرضا أو يظفر بمراد لا من طريق المتابعة فهو مخذول مغرور (أخبرنا) شيخنا أبو النجيب السهروردى قال أنا عصام الدين عمر بن أحمد الصفار قال أنا أبو بكر أحمد بن على ابن خلف قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت نصر ابن أبى نصر يقول سمعت قسما غلام الزقاق يقول سمعت أبا سعيد السكرى يقول سمعت أباسعيد الخراز يقول كل باطن يخالفه ظاهر فهو باطل وكان يقول الجنيد رحمه الله علمنا هذا مشتبك بحديث رسول الله ﷺ * وقال بعضهم من أمر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن أمر الهوى على نفسه قولا وفعلا نطق بالبدعة * حكى أن أبا يزيد البسطامى رحمه الله قال ذات يوم لبعض أصحابه قم بنا حتى ننظر الى هذا الرجل الذى قد شهر نفسه بالولاية

أن يخبرك بالذنب فقال تعالى ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم﴾ بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم فقال عز وجل ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم﴾ الآية بابى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون يقولون ﴿ياليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا﴾ بابى أنت وأمى يارسول الله لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الانهار فماذا باعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بابى أنت وأمى يارسول الله لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوها شهر ورواحها شهر فماذا باعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالابطح صلى الله عليك بابى أنت وأمى يارسول الله لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا باعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لك الذراع لاتأكلني فانى مسمومة بابى أنت وأمى يارسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال ﴿رب لاتذر على الأرض من الكافرين ديارا﴾ ولو دعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فابيت أن تقول الا خيرا فقلت ﴿اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون﴾ بابى أنت وأمى يارسول الله لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنه وطول عمره ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل بابى أنت وأمى يارسول الله لولم تجالس الا كفؤا لك ماجالستنا ولولم تنكح الا كفؤا لك مانكحت الينا ولولم تؤاكل الا كفؤا لك ماواكلتنا فلقد والله جالستنا ونكحت الينا وواكلتنا ولبست الصوف وركبت الحمار وأردفت خلفك ووضعت طعامك على الأرض ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلى على النبى ﷺ فيه ولا أسلم فرأيت النبى ﷺ فى المنام فقال لى أما تتم الصلاة على فى كتابك فما كتبت بعد ذلك الا صليت وسلمت عليه وروى عن أبى الحسن الشافعى قال رأيت النبى ﷺ فى المنام فقلت يارسول الله بم جوزى الشافعى عنك حيث يقول فى كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون فقال ﷺ جوزى عنى انه لا يوقف للحساب

﴿ فضيلة الاستغفار ﴾

قال الله عز وجل ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم﴾ وقال علقمة والاسود قال عبدالله بن مسعود رضى الله عنهم فى كتاب الله عز وجل آيتان ماأذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل الا غفر الله تعالى له ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم﴾ الآية وقوله عز وجل ﴿ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما﴾ وقال عز وجل ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا﴾

وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون وانه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالارض ولعق أصابعه وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى فحديث حنين الجذع متفق عليه من حديث جابر وابن عمر وحديث نبع الماء من بين أصابعه متفق عليه من حديث أنس وغيره وحديث الاسراء متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالابطح وحديث كلام الشاة المسمومة رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع وحديث انه دمى وجهه وكسرت رباعيته متفق عليه من حديث سهل بن سعد فى غزوة أحد وحديث اللهم اغفر لقومى فانهم لا يعلمون رواه البيهقى فى دلائل النبوة والحديث فى الصحيح من حديث ابن مسعود انه ﷺ حكاه عن نبى من الأنبياء ضربه قومه وحديث لبس الصوف رواه الطيالسى من حديث سهل بن سعد وحديث ركوبه الحمار وارادفه خلفه متفق عليه من حديث أسامة بن زيد وحديث وضع طعامه بالارض رواه أحمد فى الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخارى من حديث انس ما اكل رسول الله ﷺ على خوان قط وحديث لعقه اصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وانس بن مالك

القبلة فقال أبو يزيد انصرفوا فانصرف ولم يسلم عليه وقال هذا رجل ليس بمأمون على أدب من آداب رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يكون مأمونا على مايدعيه من مقامات الأولياء والصديقين (وسئل) خادم الشبلى رحمه الله ماذا رأيت منه عند موته فقال لما أمسك لسانه وعرق جبينه أشار الى أن وضئني للصلاة فوضأته فنسيت تخليل لحيته فقبض على يدى وادخل اصابعى فى لحيته يخللها (وقال) سهل بن عبد الله كل وجد لا يشهد له الكتاب والسنة فباطل هذا حال الصوفية وطريقهم وكل من يدعى حالا على غير هذا الوجه فمدع مفتون كذاب

(الباب الخامس فى ماهية التصوف) اخبرنا الشيخ ابو زرعة

وقال تعالى ﴿والمستغفرين بالاسحار﴾ وكان ﷺ (١) يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم وقال ﷺ (٢) من أكثر من الاستغفار جعل الله عز وجل له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب وقال ﷺ (٣) انى لأستغفر الله تعالى وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة هذا مع أنه ﷺ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال ﷺ (٤) انه ليغان على قلبي حتى انى لأستغفر الله تعالى فى كل يوم مائة مرة وقال ﷺ (٥) من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر أو عدد رمل عالج أو عدد ورق الشجر أو عدد أيام الدنيا وقال ﷺ (٦) فى حديث آخر من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف وقال حذيفة (٧) كنت ذرب الاسان على أهلى فقلت يارسول الله لقد خشيت أن يدخلني لسانى النار فقال النبي ﷺ فأين أنت من الاستغفار فانى لأستغفر الله فى اليوم مائة مرة وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله ﷺ (٨) ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى اليه فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار وكان ﷺ (٩) يقول فى الاستغفار اللهم اغفر لى خطيئتي وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به مني اللهم اغفر لى هزلى وجدى وخطئى وعمدى وكل ذلك عندى اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وقال على رضى الله عنه كنت رجلا اذا سمعت من رسول الله ﷺ حديثا نفعنى الله عز وجل بما شاء أن ينفعنى منه واذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته قال وحدثني أبو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ (١٠) يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله عز وجل الا غفر له ثم تلا قوله عز وجل ﴿والذين اذا

---

(١) حديث كان النبي ﷺ يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى إنك أنت التواب الرحيم الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح ان كان أبو عبيدة سمع من أبيه والحديث متفق عليه من حديث عائشة انه كان يكثر أن يقول ذلك فى ركوعه وسجوده دون قوله إنك أنت التواب الرحيم (٢) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب د ن فى اليوم والليلة ه ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان (٣) حديث انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة خ من حديث أبى هريرة الا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره المصنف (٤) حديث انه ليغان على قلبي حتي اني لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة م من حديث الاغر (٥) حديث من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر الحديث ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى * قلت الوصافى وان كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى الى فراشه وقوله ثلاث مرات (٦) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف د ت من حديث زيد مولى النبي ﷺ وقال غريب * قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين (٧) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى الحديث وفيه أين أنت عن الاستغفار ن فى اليوم والليلة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين (٨) حديث عائشة ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار متفق عليه دون قوله فان التوبة الخ وزاد او توبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه وللطبرانى فى الدعاء فان العبد اذا اذنب ثم استغفر الله غفر له (٩) حديث كان يقول اللهم اغفر لى خطيئتى وجهلى واسرافى فى امرى وما انت اعلم به منى اللهم اغفر لى جدى وهزلى متفق عليه من حديث ابى موسى واللفظ لمسلم
(١٠) حديث على عن ابى بكر ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله

طاهر بن ابى الفضل فى كتابه قال انا أبو بكر احمد بن على بن خلف الشيرازى اجازة قال نا الشيخ ابو عبد الرحمن السلمى قال أنا ابراهيم بن احمد بن محمد بن رجاء قال ثنا عبد الله بن أحمد البغدادى قال ثنا عثمان بن سعيد قال ثنا عمر بن أسد عن مالك ابن أنس عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ﷺ لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر هم جلساء الله تعالى يوم القيامة فالفقر كائن فى ماهية التصوف وهو أساسه وبه قوامه * قال رويم التصوف مبنى على ثلاث خصال التمسك بالمقر والافتقار والتحقق بالبذل والايثار وترك التعرض والاختيار وقال الجنيد وقد سئل عن التصوف فقال ان تكون مع الله بلا علاقة (وقال) معروف الكرخي التصوف الاخذ بالحقائق واليأس مما فى ايدى الخلائق فمن لم يتحقق

فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم الآية ﴾ وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ (١) أنه قال ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه منها فان زاد ازدادت حتى تغلف قلبه فذلك الران الذي ذكره الله عز وجل في كتابه ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ وروى أبو هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ (٢) قال ان الله سبحانه ليرفع الدرجة للعبد في الجنة فيقول يارب أني لي هذه فيقول عز وجل باستغفار ولدك لك وروت عائشة رضي الله عنها أنه ﷺ (٣) قال اللهم اجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساؤا استغفروا وقال ﷺ (٤) اذا أذنب العبد ذنبا فقال اللهم اغفر لي فيقول الله عز وجل أذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب عبدي اعمل ماشئت فقد غفرت لك وقال ﷺ (٥) ما أصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وقال ﷺ (٦) ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي ربا يارب فاغفر لي فقال الله عز وجل قد غفرت لك وقال ﷺ (٧) من أذنب ذنبا فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر وقال ﷺ (٨) يقول الله تعالى يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني أغفر لكم ومن علم أني ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالي وقال صلى الله عليه وسلم (٩) من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوأ فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت غفرت له ذنوبه ولو كانت كمدب النمل وروى (١٠) ان أفضل الاستغفار اللهم أنت ربي وأنا عبدك خلقتني وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء على نفسي بذنبي فقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي ذنوبي ما قدمت منها وما أخرت فانه لا يغفر الذنوب جميعها الا أنت ﴿الآثار﴾ قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل ان أحب عبادي الي المتحابون بحبي والمتعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالاسحار أولئك الذين اذا أردت أهل الارض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم وقال قتادة رحمه الله القرآن يدلكم على دائكم

الا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت (١) حديث أبي هريرة ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء في قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه الحديث ت وصححه ون في اليوم والليلة وه حب ك

(٢) حديث أبي هريرة ان الله ليرفع العبد الدرجة في الجنة فيقول يارب أني لي هذه فيقول باستغفار ولدك لك رواه احمد باسناد حسن (٣) حديث عائشة اللهم اجعلني من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا اساؤا استغفروا ه وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه (٤) حديث اذا اذنب العبد فقال اللهم اغفر لي يقول الله اذنب عبدي ذنبا فعلم ان له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب الحديث متفق عليه من حديث ابي هريرة

(٥) حديث ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة د ت من حديث ابي بكر وقال غريب وليس اسناده بالقوي (٦) حديث ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لي ربا يارب اغفر لي فقال الله تعالى قد غفرت لك لم اقف له على اصل (٧) حديث من اذنب فعلم ان الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر الطبراني في الاوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف (٨) حديث يقول الله يا عبادي كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفروني اغفر لكم ومن علم اني ذو قدرة على ان اغفر له غفرت له ولا ابالي ت ه من حديث ابي ذر وقال ت حسن واصله عند م بلفظ آخر (٩) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسي وعملت سوا فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا انت غفرت ذنوبه وان كانت كمدب النمل البيهقي في الدعوات من حديث علي ان رسول الله ﷺ قال الا اعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل او كعدد الذر ذنوبا غفرها الله لك فذكره بزيادة لا إله إلا انت في اوله وفيه ابن لهيعة (١٠) حديث افضل الاستغفار اللهم انت ربي وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت الحديث خ من حديث شداد بن اوس دون قوله وقد ظلمت نفسي واعترفت بذنبي ودون قوله ذنوبي ما قدمت منها وما اخرت ودون قوله جميعا

بالفقر يتحقق بالتصوف (وسئل الشبلي) عن حقيقة الفقر فقال ان لا يستغني بشيء دون الحق (وقال) ابو الحسين النوري نعت الفقير السكون عند العدم والبذل والايثار عند الوجود (وقال) بعضهم ان الفقير الصادق ليحترز من الغنى حذر ان يدخل عليه الغنى فيفسد فقره كما ان الغني يحترز من الفقير حذران يدخل عليه الفقر فيفسد عليه غناه (وبالاسناد الذي سبق الى ابي عبد الرحمن) قال سمعت أبا عبد الرحمن الرازي يقول سمعت مظفرا القرميسيني يقول الفقير الذي لا يكون له الى الله حاجة قال وسمعته يقول سألت ابا بكر المصري عن الفقير فقال الذي لا يملك ولا يملك ﴿ قوله لا يكون له الى الله حاجة ﴾ معناه انه مشغول بوظائف عبوديته تام الثقة بربه عالم بحسن كلاءته به لا يحوجه الى رفع الحاجة

ودوائكم

ودوائكم أما دائكم فالذنوب وأما دواؤكم فالاستغفار وقال على كرم الله وجهه العجب ممن يهلك ومعه النجاة قيل وماهى قال الاستغفار وكان يقول ما ألهم الله سبحانه عبدا الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وقال الفضيل قول العبد أستغفر الله تفسيرها أقلني وقال بعض العلماء العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار وقال الربيع بن خيثم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب اليه فيكون ذنبا وكذبا ان لم يفعل ولكن ليقل اللهم اغفرلى وتب على وقال الفضيل رحمه الله الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين وقالت رابعة العدوية رحمها الله استغفارنا يحتاج الى استغفار كثير وقال بعض الحكماء من قدم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم وسمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول اللهم ان استغفارى مع إصرارى للؤم وان تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز فكم تتحبب إلى بالنعم مع غناك عنى وكم أتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك يامن اذا وعد وفى واذا أوعد عفا أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك يا أرحم الراحمين وقال أبو عبد الله الوراق لو كان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوب لمحيت عنك اذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى اللهم إنى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه وأستغفرك من كل ماوعدتك به من نفسى ولم أوف لك به وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها على فاستعنت بها على معصيتك وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل فى ملا أو خلاء وسر وعلانية يا حليم ويقال انه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام

﴿ الباب الثالث فى أدعية مأثورة ومعزية الى أسبابها وأربابها مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحا ومساء وبعقب كل صلاة ﴾

﴿منها﴾ دعاء رسول الله ﷺ بعد ركعتى الفجر قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس الى رسول الله ﷺ فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح (١) قال اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى وترد بها الفتن عنى وتصلح بها دينى وتحفظ بها غائبى وترفع بها شاهدى وتزكى بها عملى وتبيض بها وجهى وتلهمنى بها رشدى وتعصمنى بها من كل سوء اللهم أعطنى إيمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة أنال بها شرف كرامتك فى الدنيا والآخرة اللهم إنى أسألك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء وعيش السعداء والنصر على الأعداء ومرافقة الأنبياء اللهم إنى أنزل بك حاجتى وان ضعف رأيى وقلت حيلتى وقصر عملى وافتقرت الى رحمتك فأسألك يا كافى الأمور ويا شافى الصدور كما تجير بين البحور أن تجيرنى من عذاب السعير ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ماقصر عنه رأيى وضعف عنه عملى ولم تبلغه نيتى وأمنيتى من خير وعدته احدا من عبادك اوخير أنت معطيه احدا من خلقك فانى أرغب اليك فيه وأسألكه يارب العالمين اللهم اجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لأعدائك وسلما لأوليائك نحب بحبك من أطاعك من خلقك ونعادى بعداوتك من خالفك من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان وإنا لله وإنا اليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ذى الحبل الشديد والأمر الرشيد أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود إنك رحيم ودود وأنت تفعل ماتريد سبحان الذى لبس العز وقال به سبحان الذى تعطف بالمجد وتكرم به سبحان الذى لا ينبغى التسبيح إلا له سبحان ذى الفضل والنعم سبحان ذى العزة والكرم سبحان

﴿ الباب الثالث فى أدعية مأثورة ﴾

(١) حديث ابن عباس اللهم إنى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى الحديث ت وقال غريب ولم يذكر فى اوله بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه فى بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة فى الدعاء للطبرانى

لعلمه بعلم الله بحاله فيرى السؤال فى البين زيادة فوا أقوال المشايخ تتنوع معانيها لانهم أشاروا فيها الى أحوال فى أوقات دون أوقات ونحتاج فى تفصيل بعضها من البعض الى الضوابط فقصد تذكر أشياء فى معنى التصوف ذكر مثلها فى معنى الفقر وتذكر أشياء فى معنى الفقر ذكر مثلها فى معنى التصوف وحيث وقع الاشتباه فلا بد من بيان فاصل فقد تشتبه الاشارات فى الفقر بمعانى الزهد تارة وبمعانى التصوف تارة ولا يتبين للمسترشد بعضها من البعض * فنقول التصوف غير الفقر والزهد غير الفقر والتصوف غير الزهد فالتصوف اسم جامع لمعانى الفقر ومعانى الزهد مع مزيد أوصاف وإضافات لا يكون بدونها الرجل صوفيا وان كان زاهدا وفقيرا * قال أبو حفص التصوف كله آداب لكل وقت أدب ولكل حال أدب ولكل مقام أدب فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال ومن ضيع الآداب

الذى أحصى كل شىء بعلمه اللهم اجعل لى نورا فى قلبي ونورا فى قبرى ونورا فى سمعي ونورا فى بصرى ونورا فى شعرى ونورا فى بشرى ونورا فى لحمى ونورا فى دمى ونورا فى عظامى ونورا من بين يدى ونورا من خلفى ونورا عن يمينى ونورا عن شمالى ونورا من فوقى ونورا من تحتى اللهم زدنى نورا وأعطني نورا واجعل لى نورا

﴿ دعاء عائشة رضى الله عنها ﴾

قال رسول الله ﷺ (١) لعائشة رضي الله عنها عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم أعلم وأسألك الجنة وماقرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وماقرب اليها من قول وعمل وأسألك من الخير ماسألك عبدك ورسولك محمد ﷺ وأستعيذك مما استعاذك منه عبدك ورسولك محمد ﷺ وأسألك ماقضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا برحمتك ياأرحم الراحمين

﴿ دعاء فاطمة رضي الله عنها ﴾

قال رسول الله ﷺ (٢) يافاطمة مايمنعك أن تسمعى ما أوصيك به أن تقولى ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله

﴿ دعاء أبى بكر الصديق رضى الله عنه ﴾

علم رسول الله ﷺ (٣) أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك وروحك وبتوراة موسى وإنجيل عيسى وزبور داود وفرقان محمد ﷺ وعليهم أجمعين وبكل وحى أوحيته أو قضاء قضيته أو سائل أعطيته أو غني أفقرته او فقير أغنيته او ضال هديته وأسألك باسمك الذى أنزلته على موسى ﷺ وأسألك باسمك الذى بثثت به أرزاق العباد وأسألك باسمك الذى وضعته على الأرض فاستقرت وأسألك باسمك الذى وضعته على السموات فاستقلت وأسألك باسمك الذى وضعته على الجبال فرست وأسألك باسمك الذى استقل به عرشك وأسألك باسمك الطهر الطاهر الأحد الصمد الوتر المنزل فى كتابك من لدنك من النور المبين وأسألك باسمك الذى وضعته على النهار فاستنار وعلى الليل فأظلم وبعظمتك وكبريائك وبنور وجهك الكريم أن ترزقنى القرآن والعلم به وتخلطه بلحمى ودمى وسمعي وبصرى وتستعمل به جسدى بحولك وقوتك فانه لاحول ولاقوة إلا بك ياأرحم الراحمين

﴿ دعاء بريدة الأسلمى رضى الله عنه ﴾

روى انه قال له رسول الله ﷺ (٤) يابريدة ألا أعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن إياه ثم لم ينسهن إياه ابدا قال فقلت بلى يارسول الله قال قل اللهم إنى ضعيف فقو فى رضاك ضعفى وخذ الى الخير بناصيتي واجعل الاسلام منتهى رضاى اللهم إنى ضعيف فقونى وإنى ذليل فأعزنى وإنى فقير فاغنني ياأرحم الراحمين

﴿ دعاء قبيصة بن المخارق ﴾

---

(١) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم إنى اسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه ومالم اعلم الحديث ه و لك وصححه من حديثها (٢) حديث يافاطمة مايمنعك ان تسمعى ماأوصيك به ان تقولى ياحي ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله ن فى اليوم والليلة و لك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين (٣) حديث علم رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم إنى أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك الحديث فى الدعاء لحفظ القرآن رواه ابو الشيخ بن حبان فى كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه ان ابا بكر اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إنى اتعلم القرآن ويتفلت منى فذكره وعبد الملك وابوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وابى بكر (٤) حديث يابريدة الا أعلمك كلمات من اراد الله به خيرا علمهن إياه الحديث

فهو بعيد من حيث يظن القرب ومردود من حيث يرجو القبول * وقال أيضا حسن ادب الظاهر عنوان حسن أدب الباطن لان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو خشع قلبه لخشعت جوارحه (أخبرنا) الشيخ رضى الدين احمد ابن اسمعيل إجازة قال أنا الشيخ ابو المظفر عبد المنعم قال أخبرنى والدى أبو القاسم القشيرى قال سمعت محمد بن احمد بن يحيي الصوفى يقول سمعت عبد الله ابن على يقول سئل ابو محمد الجريرى عن التصوف فقال الدخول فى كل خلق سنى والخروج عن كل خلق دنى فاذا عرف هذا المعنى فى التصوف من حصول الأخلاق وتبديلها واعتبر حقيقته يعلم ان التصوف فوق الزهد وفوق الفقر وقيل نهاية الفقر مع شرفه هو بداية التصوف واهل الشام لا يفرقون بين التصوف والفقر يقولون قال

إنه

اذ قال لرسول الله ﷺ (١) علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبر سني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام أما لدنياك فاذا صليت الغداة فقل ثلاث مرات سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانك اذا قلتهن أمنت من الغم والجذام والبرص والفالج وأما لآخرتك فقل اللهم إهدني من عندك وأفض عليّ من فضلك وانشر عليّ من رحمتك وأنزل علي من بركاتك ثم قال ﷺ أما أنه اذا وفى بهن عبد يوم القيامة لم يدعهن فتح له أربعة أبواب من الجنة يدخل من أيها شاء

﴿ دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه ﴾

قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه (٢) قد احترقت دارك وكانت النار قد وقعت في محلته فقال ما كان الله ليفعل ذلك فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول ما كان الله ليفعل ذلك ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء ان النار حين دنت من دارك طفئت قال قد علمت ذلك فقيل له ما ندري أي قوليك أعجب قال اني سمعت رسول الله ﷺ قال من يقول هؤلاء الكلمات في ليل أو نهار لم يضره شيء وقد قلتهن وهي اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت عليك توكلت وأنت رب العرش العظيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن أعلم أن الله على كل شيء قدير وان الله قد أحاط بكل شيء علما وأحصى كل شيء عددا اللهم اني أعوذ بك من شر نفسي ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم

﴿ دعاء الخليل ابراهيم عليه الصلاة والسلام ﴾

كان يقول اذا أصبح اللهم ان هذا خلق جديد فافتحه عليّ بطاعتك واختمه لي بمغفرتك ورضوانك وارزقني فيه حسنة تقبلها مني وزكها وضعفها لي وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لي انك غفور رحيم ودود كريم قال ومن دعا بهذا الدعاء اذا أصبح فقد أدى شكر يومه

﴿ دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم ﴾

كان يقول اللهم اني أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجوا وأصبح الأمر بيد غيري وأصبحت مرتهنا بعملي فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمت بي عدوي ولا تسؤ بي صديقي ولا تجعل مصيبتي في ديني ولا تجعل الدنيا أكبر همي ولا تسلط عليّ من لا يرحمني ياحي ياقيوم

﴿ دعاء الخضر عليه السلام ﴾

يقال الخضر والياس عليهما السلام اذا التقيا في كل موسم لم يفترقا الا عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لا قوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء إلا الله فمن قالها ثلاث مرات اذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق ان شاء الله تعالى

﴿ دعاء معروف الكرخي رضي الله عنه ﴾

قال محمد بن حسان قال لي معروف الكرخي رحمه الله ألا أعلمك عشر كلمات خمس للدنيا وخمس للآخرة من دعا الله عز وجل بهن وجد الله تعالى عندهن قلت اكتبها لي قال لا ولكن أرددها عليك كما رددها على بكر بن خنيس رحمه الله حسبي الله لديني حسبي الله لدنياي حسبي الله الكريم لما أهمني حسبي الله الحليم القوي لمن بغى علي حسبي الله الشديد لمن كادني بسوء حسبي الله الرحيم عند الموت حسبي الله الرؤف عند المسئلة في القبر حسبي الله الكريم عند الحساب حسبي الله اللطيف عند الميزان حسبي الله القدير عند الصراط حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم وقد روي عن أبي الدرداء أنه قال من قال في كل يوم سبع مرات فان تولوا فقل حسبي

له من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد (١) حديث ان قبيصة بن المخارق قال لرسول الله ﷺ علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت الحديث ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد في المسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم (٢) حديث قيل لأبي الدرداء أحرقت

الحال به بين التصوف والفقر تقول الفقير في فقره متمسك به متحقق بفضله يؤثره على الغني متطلع الى ماتحقق من العوض عند الله حيث يقول رسول الله ﷺ يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بنصف يوم وهو خمسمائة عام فكلما لاحظ العوض الباقي أمسك عن الحاصل الفاني وعانق الفقر والقلة وخشي زوال الفقر لفوات الفضيلة والعوض وهذا عين الاعتلال في طريق الصوفية لانه تطلع الى الاعواض وترك لأجلها والصوفي يترك الأشياء لا للاعواض الموعودة بل للاحوال الموجودة فانه ابن وقته وأيضا ترك الفقير الحظ العاجل واغتنامه الفقر اختيار منه وارادة والاختيار والارادة علة في حال الصوفي لان الصوفي صار قائما في

الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم كفاه الله عز وجل ما أهمه من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا

﴿ دعاء عتبة الغلام ﴾

وقد رؤي في المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات اللهم يا هادي المضلين و يا راحم المذنبين و يا مقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الاخيار والمرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يارب العالمين

﴿ دعاء آدم عليه الصلاة والسلام ﴾

قالت عائشة رضي الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم ﷺ طاف بالبيت سبعا وهو يومئذ ليس بمبني ربوة حمراء ثم قام فصلى ركعتين ثم قال اللهم انك تعلم سري وعلانيتي فاقبل معذرتي وتعلم حاجتي فاعطني سؤلي وتعلم ما في نفسي فاغفر لي ذنوبي اللهم اني اسألك ايمانا يباشر قلبي و يقينا صادقا حتى أعلم أنه لن يصيبني الا ما كتبته علي والرضا بما قسمته لي باذا الجلال والاكرام فأوحى الله عز وجل اليه اني قد غفرت لك ولم يأتني أحد من ذريتك فيدعوني بمثل الذي دعوتني به الا غفرت له وكشفت غمومه وهمومه ونزعت الفقر من بين عينيه واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهي راغمة وان كان لا يريدها

﴿ دعاء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ﴾

رواه عن النبي ﷺ (١) أنه قال ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم و يقول اني انا الله رب العالمين اني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم اني أنا الله لا إله إلا أنا العلي العظيم اني انا الله لا إله إلا أنا لم ألد ولم أولد اني أنا الله لا إله إلا أنا العفو الغفور اني انا الله لا إله إلا أنا مبدئ كل شيء والي يعود العزيز الحكيم الرحمن الرحيم مالك يوم الدين خالق الخير والشر خالق الجنة والنار الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولدا الفرد الوتر عالم الغيب والشهادة الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر الخالق البارىء المصور الكبير المتعال المقتدر القهار الحليم الكريم أهل الثناء والمجد أعلم السر وأخفى القادر الرزاق فوق الخلق والخليقة وذكر قبل كل كلمة اني أنا الله لا إله إلا أنا كما أوردناه في الاول فمن دعا بهذه الأسماء فليقل إنك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين الذين يجاورون محمدا وابراهيم وموسى وعيسى والنبيين صلوات الله عليهم في دار الجلال وله ثواب العابدين في السموات والارضين وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى

﴿ دعاء ابن المعتمر وهو سليمان التيمي وتسبيحاته رضي الله عنه ﴾

روي أن يونس بن عبيد رأى رجلا في المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم فقال ما أفضل ما رأيت ثم من الاعمال قال رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهي هذه سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم عدد ما خلق وعدد ما هو خالق وزنة ما خلق وزنة ما هو خالق وملء ما خلق وملء ما هو خالق وملء سمواته وملء أرضه ومثل ذلك وأضعاف ذلك وعدد خلقه وزنة عرشه ومنتهى رحمته ومداد كلماته ومبلغ رضاه حتى يرضى واذا رضي وعدد ما ذكره به خلقه في جميع ما مضي وعدد ما هم ذاكروه فيما بقي في كل سنة وشهر وجمعة و يوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد الى أبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لا ينقطع أوله ولا ينفد آخره

﴿ دعاء ابراهيم ابن أدهم رضي الله عنه ﴾

روى ابراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء في كل يوم جمعة اذا أصبح واذا أمسى مرحبا بيوم المزيد

دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك الحديث الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف (١) حديث علي ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم فيقول اني أنا الله رب العالمين اني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم الحديث بطوله لم

الحق فيه و يدخله عليه و يعلم الأذن من الله تعالى في الدخول في الشيء وقد يدخل في صورة سعة مباينة للفقر باذن من الله تعالى و يرى الفضيلة حينئذ في السعة لمكان الاذن من الله فيه ولا يفسح في السعة والدخول فيها للصادقين الا بعد إحكامهم علم الاذن في هذا مزله للاقدام وباب دعوى للمدعين وما من حال يتحقق به صاحب الحال إلا وقد يحكيه راكب المحال ليهلك من هلك عن بينة و يحيا من حيّ عن بينة فاذا انضح ذلك ظهر الفرق بين الفقر والتصوف وعلم ان الفقر أساس التصوف و به قوامه على معنى أن الوصول الى المراتب التصوف طريقه الفقر لا على معنى أنه يلزم من وجود التصوف وجود

والصبح الجديد والكاتب والشهيد يومنا هذا يوم عيد اكتب لنا فيه ما نقول بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال في خلقه ما يريد أصبحت لله مؤمنا وبلقائه مصدقا وبحجته معترفا ومن ذنبي مستغفرا ولربوبية الله خاضعا ولسوى الله في الآلهة جاحدا وإلى الله فقيرا وعلى الله متكلا وإلى الله منيبا أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه بأنه هو الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ﷺ تسليما وأن الجنة حق وأن النار حق والحوض حق والشفاعة حق ومنكرا ونكيرا حق ووعدك حق ووعيدك حق ولقاءك حق والساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أبعث إن شاء الله اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك اللهم من شر ما صنعت ومن شر كل ذي شر اللهم إني ظلمت نفسي فاغفر لي ذنوبي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت واهدني لأحسن الأخلاق فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها فإنه لا يصرف سيئها إلا أنت لبيك وسعديك والخير كله بيديك أنا لك وإليك أستغفرك وأتوب إليك آمنت اللهم بما أرسلت من رسول وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب وصلى الله على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم تسليما كثيرا خاتم كلامي ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين اللهم أوردنا حوض محمد واسقنا بكأسه مشربا رويا سائغا هنيئا لا نظمأ بعده أبدا واحشرنا في زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولا مفتونين ولا مغضوب علينا ولا ضالين اللهم اعصمني من فتن الدنيا ووفقني لما تحب وترضى وأصلح لي شأني كله وثبتني بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولا تضلني وإن كنت ظالما سبحانك يا علي يا عظيم يا باريء يا رحيم يا عزيز يا جبار سبحان من سبحت له السموات بأكنافها وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها وسبحان من سبحت له الجبال بأصدائها وسبحان من سبحت له الحيتان بلغاتها وسبحان من سبحت له النجوم في السماء بأبراجها وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك سبحانك ياحي ياقيوم ياعليم ياحليم سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حي لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير.

﴿ الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي ﷺ وعن أصحابه رضي الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن المنذر رحمهم الله ﴾

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتي ذكره في كتاب الأوراد فإن كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله ﷺ فيما دعا به فقل في مفتتح دعواتك[1] أعقاب صلواتك[2] سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وقل[3] رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ثلاث مرات وقل[4] اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه وقل اللهم[5] إني أسألك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عوراتي وآمن روعاتي وأقل عثراتي واحفظني

أجدله أصلا ﴿ الباب الرابع في أدعية مأثورة عن النبي ﷺ ﴾

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربي العلي الأعلى الوهاب تقدم في الباب الثاني في الدعاء (٢) حديث القول عقب الصلوات لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير متفق عليه من حديث المغيرة ابن شعبة (٣) حديث رضيت بالله ربا الحديث تقدم في الباب الأول من الأذكار (٤) حديث اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسي وشر الشيطان وشركه د ت وصححه وحب وك وصححه من حديث أبي هريرة أن أبا بكر الصديق قال يارسول الله مرني بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم فذكره (٥) حديث اللهم إني أسألك العافية في ديني

الفقر (قال) الجنيد رحمة الله عليه التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به وهذا المعنى هو الذي ذكرناه من كونه قائما في الأشياء بالله لا بنفسه والفقير والزاهد يكونان في الأشياء بنفسهما واقفان مع إرادتهما مجتهدان مبلغ علمهما والصوفي متهم لنفسه مستقل لعلمه غير راكن الى معلومه قائم بمراد ربه لا بمراد نفسه (قال) ذو النون المصري رحمة الله عليه الصوفي من لا يتعبه طلب ولا يزعجه سلب وقال أيضا الصوفية آثروا الله تعالى على كل شيء فآثرهم الله على كل شيء فكان من إيثارهم أن آثروا علم الله على علم نفوسهم وارادة الله على إرادة نفوسهم ﴿ قيل لبعضهم ﴾ من أصحب من الطوائف قال الصوفية فان للقبيح عندهم وجها من المعاذير وليس للكبير من العمل عندهم وقع يرفعونك به فتعجبك نفسك وهذا علم لا يوجد عند الفقير والزاهد لان الزاهد يستعظم الترك

من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بك أن أغتال من تحتي اللهم [1] لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا تنزع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين وقل اللهم [2] أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ثلاث مرات وقل اللهم [3] عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات وقل اللهم إني أسألك [4] الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذة النظر الى وجهك الكريم وشوقا الى لقائك من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة واعوذ بك ان أظلم او أظلم او اعتدي او يعتدى علي او اكسب خطيئة اوذنبا لا تغفره اللهم انى أسألك [5] الثبات في الأمر والعزيمة في الرشد وأسألك شكر نعمتك وحسن عبادتك وأسألك قلبا خاشعا سليما وخلقا مستقيما ولسانا صادقا وعملا متقبلا وأسألك من خير ما تعلم وأعوذ بك من شر ما تعلم وأستغفرك لما تعلم فانك تعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم اغفر لي [6] ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني فانك أنت المقدم وأنت المؤخر وأنت على كل شيء قدير وعلى كل غيب شهيد اللهم إني أسألك [7] إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد ومرافقة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم في أعلى جنة الخلد اللهم إني أسألك [8] الطيبات وفعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين أسألك حبك وحب من أحبك وحب كل عمل يقرب الى حبك وأن تتوب علي وتغفر لي وترحمني واذا أردت بقوم فتنة فاقبضني اليك غير مفتون اللهم [9] بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما كانت الحياة خيرا لي وتوفني ما كانت الوفاة خيرا لي أسألك

ودنياي وأهلي ومالي اللهم استر عورتي وآمن روعتي وأقل عثرتي واحفظني من بين يدي ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسي وحين يصبح (١) حديث اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين رواه ابو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولني غيرك وإسناده ضعيف (٢) حديث اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وانا عبدك وانا على عهدك ووعدك ما استطعت اعوذ بك من شر ما صنعت ابوء لك بنعمتك علي وابوء بذنبي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب إلا أنت خ من حديث شداد بن أوس وقد تقدم (٣) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات د ن في اليوم والليلة من حديث ابي بكرة وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي (٤) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء الحديث الى قوله اوذنبا لا يغفر احمد وك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الاسناد (٥) حديث اللهم إني اسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد الحديث الى قوله ﴿ وأنت علام الغيوب ﴾ ت ن ك وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف (٦) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما اعلنت الحديث الى قوله وعلى كل غيب شهيد متفق عليه من حديث ابي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب (٧) حديث اللهم إني اسألك إيمانا لا يرتد ونعيما لا ينفد وقرة عين الأبد الحديث ن في اليوم والليلة وك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الأبد وقال صحيح الاسناد ون من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد واسألك نعيما لا يبيد وقرة عين لا تنقطع (٨) حديث اللهم إني اسألك الطيبات وفعل الخيرات الحديث الى قوله غير مفتون ت من حديث معاذ اللهم إني اسألك فعل الخيرات الحديث وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهي في الدعاء للطبراني من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال ابو حاتم ليست له صحبة (٩) حديث اللهم إني اسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق إحيني ما كانت الحياة خيرا لي الحديث الى قوله واجعلنا هداة مهتدين ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله ﷺ يدعو به

خشيتك

ويستقبح الأخذ وهكذا الفقير وذلك لضيق وعائهم ووقوفهم على حد علمهم * وقال بعضهم الصوفي من اذا استقبله حالان حسنان أو خلقان حسنان يكون مع الأحسن والفقير والزاهد لا يميزان كل التمييز بين الخلقين الحسنين بل يختاران من الأخلاق أيضا ما هو أدعى الى الترك والخروج عن شواغل الدنيا كما كان في ذلك بعلمهما والصوفي هو المستبين الأحسن من عند الله بصدق التجائه وحسن إنابته وحظ قربه ولطيف وجهه وخروجه الى الله تعالى لعلمه بربه وحظه من محادثته ومكالمته قال رويم التصوف استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد * وقال عمرو بن عثمان المكي التصوف أن يكون العبد في كل وقت مشغولا بما هو أولى في الوقت وقال بعضهم التصوف أوله علم وأوسطه عمل وآخره موهبة من الله تعالى وقيل

خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ولذة النظر الى وجهك والشوق إلى لقائك وأعوذ بك من ضراء مضرة وفتنة مضلة اللهم زينا بزينة الايمان واجعلنا هداة مهتدين اللهم (١) اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا والآخرة اللهم (٢) املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا منك فرقا وأسكن فى نفوسنا من عظمتك ما تذلل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهم أحب إلينا ممن سواك واجعلنا أخشى لك ممن سواك اللهم (٣) اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة ومغفرة (٤) الحمد لله الذى تواضع كل شىء لعظمته وذل كل شىء لعزته وخضع كل شىء لملكه واستسلم كل شىء لقدرته والحمد لله الذى سكن كل شىء لهيبته وأظهر كل شىء بحكمته وتصاغر كل شىء لكبريائه اللهم (٥) صل على محمد وعلى آل محمد وأزواج محمد وذريته وبارك على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم فى العالمين انك حميد مجيد اللهم (٦) صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى رسولك الأمين وأعطه المقام المحمود الذى وعدته يوم الدين اللهم (٧) اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين وعبادك الصالحين واستعملنا لمرضاتك عنا ووفقنا لمحابك منا وصرفنا بحسن اختيارك لنا (٨) نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه اللهم (٩) بقدرتك على تب على انك أنت التواب الرحيم وبحلمك عنى اعف عني إنك أنت الغفار الحليم وبعلمك بى ارفق بى إنك أنت أرحم الراحمين وبملكك لى ملكني نفسى ولا تسلطها على إنك أنت الملك الجبار (١٠) سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى

---

(١) حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك الحديث ت وقال حسن ون فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ كان يختم مجالسه بذلك (٢) حديث اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا الحديث إلى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لم أقف له على أصل (٣) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة عبد بن حميد فى المنتخب والطبرانى من حديث ابن أوفى بالشطر الاول فقط إلى قوله نجاحا واسناده ضعيف (٤) حديث الحمد لله الذى تواضع كل شى لعظمته وذل كل شى لعزته الحديث إلى قوله وتصاغر كل شىء لكبريائه الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله والحمد لله الذى سكن كل شى لهيبته إلى آخره وكذلك رواه فى الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا (٥) حديث اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته الحديث إلى قوله حميد مجيد تقدم فى الباب الثانى (٦) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمى رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين لم أجده بهذا اللفظ مجموعا وخ من حديث أبى سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وحب قط ك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبي الأمى ون من حديث جابر وابعثه المقام المحمود الذى وعدته وهو عند خ بلفظ وابعثه مقاما محمودا قال قط اسناده حسن وقال ك صحيح وقال هق فى المعرفة اسناده صحيح (٧) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين الحديث إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا لم أقف له على أصل (٨) حديث نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه طب من حديث أم سلمة إنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكرمنها اللهم إني أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه إلا موسى بن عقبة (٩) حديث اللهم بقدرتك على تب على انك أنت التواب الرحيم وبحلمك على اعف عني الحديث الى قوله انك الملك الجبار لم أقف له على أصل (١٠) حديث سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوأ وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبي أنت ربى انه لا يغفر الذنوب الا أنت هق فى الدعوات من حديث على دون قوله ذنبي انك

التصوف ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع اتباع وقيل التصوف ترك التكلف وبذل الروح وقال سهل بن عبد الله الصوفى من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر وانقطع إلى الله من البشر واستوى عنده الذهب والمدر (وسئل) بعضهم عن التصوف فقال تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية واخماد صفات البشرية ومجانبة الدواعي النفسانية ومنازلة الصفات الروحانية والتعلق بعلوم الحقيقة واتباع الرسول فى الشريعة (قال) ذوالنون المصرى رأيت ببعض سواحل الشام امرأة فقلت من أين أقبلت قالت من عند أقوام تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقلت وأين تريدين قالت الى رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فقلت صفيهم لى فأنشأت

قوم همومهم بالله قد علقت *

ذنبي إنك أنت ربي ولا يغفر الذنوب إلا أنت اللهم (١) ألهمني رشدي وقني شر نفسي اللهم (٢) ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني (٣) أسألك العفو والعافية وحسن اليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة (٤) يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك وأعطني مالا ينقصك ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا ربنا إنك أنت العزيز الحكيم ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤف رحيم ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ربنا إننا سمعنا مناديا ينادي للإيمان الى قوله عز وجل إنك لا تخلف الميعاد ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا إلى آخر السورة (٥) رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات (٦) رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وأنت خير الغافرين وإنا لله وإنا إليه راجعون. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد خاتم النبيين وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ﴿ أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾ اللهم (٧) اني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك من أن أرد إلى

أنت ربي وقد تقدم في الباب الثاني (١) حديث اللهم ألهمني رشدي وقني شر نفسي ت من حديث عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وسلم علمه لحصين وقال حسن غريب ورواه ن في اليوم والليلة وك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين (٢) حديث اللهم ارزقني حلالا لا تعاقبني فيه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني ك من حديث ابن عباس كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعني بما رزقتني وبارك لي فيه واخلف على كل غائبة لي بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه (٣) حديث اللهم اني أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين في الدنيا والآخرة ن من حديث أبي بكر الصديق بلفظ سلوا الله المعافاة فانه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة وفي رواية للبيهقي سلوا الله العفو والعافية واليقين في الأولى والآخرة فانه ما أتى العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفي رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية (٤) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لي مالا يضرك وأعطني مالا ينقصك أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث علي بسند ضعيف (٥) حديث رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات د ه باسناد حسن من حديث أبي أسيد الساعدي قال رجل من بني سلمة هل بقي على من بر أبوي شيء قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما الحديث ولأبي الشيخ حب في الثواب والمستغفري في الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفي صحيح حب من حديث أبي سعيد أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة (٦) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الرحمين وخير الغافرين أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدني السبيل الأقوم وفيه علي بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبراني في الدعاء من حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا سعى في بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبي سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح (٧) حديث اللهم اني أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر خ من حديث سعد بن

ما ان تنازعهم دنيا ولا شرف * من المطاعم واللذات والولد ولا للبس ثياب فائق أنق * ولا لروح سرور حل في بلد الا مسارعة في إثر منزلة * قد قارب الخطو فيها باعد الأبد فهم رهائن غدران وأودية * وفي الشوامخ تلقاهم مع العدد

(وقال الجنيد) الصوفي كالأرض يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها الا كل مليح وقال أيضا هو كالأرض يطؤها البر والفاجر وكالسحاب يظل كل شيء وكالقطر يسقي كل شيء وأقوال المشايخ في ماهية التصوف تزيد على ألف قول ويطول نقلها ونذكر ضوابطا يجمع جمل معانيها فان الألفاظ وان اختلفت متقاربة المعاني فنقول الصوفي هو الذي يكون دائم التصفية لا يزال يصفي الأوقات

أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر اللهم (١) إنى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع ومن طمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع اللهم انى أعوذ بك (٢) من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع ونفس لا تشبع وأعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع ومن الخيانة فانها بئست البطانة ومن الكسل والبخل والجبن والهرم ومن أن أرد إلى أرذل العمر ومن فتنة الدجال وعذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات اللهم انا نسألك قلوبا أواهة مخبتة منيبة فى سبيلك اللهم انى أسألك عزائم مغفرتك وموجبات رحمتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار اللهم انى أعوذ بك (٣) من التردى وأعوذ بك من الغم والغرق والهدم وأعوذ بك من أن أموت فى سبيلك مدبرا وأعوذ بك من أن أموت فى تطلب الدنيا اللهم إنى أعوذ بك (٤) من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم اللهم (٥) جنبني منكرات الأخلاق والأعمال والادواء والأهواء اللهم انى أعوذ بك (٦) من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء اللهم انى أعوذ بك (٧) من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال اللهم انى أعوذ بك من (٨) شر سمعى و بصرى وشر لسانى وقلبي وشر منيي اللهم انى أعوذ بك من (٩) جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول اللهم انى أعوذ بك (١٠) من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الكفر والفقر والفسوق والشقاق والنفاق وسوء الأخلاق وضيق الارزاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والعمى والجنون والجذام والبرص

أبى وقاص (١) حديث اللهم انى أعوذ بك من طبع يهدى إلى طمع وطمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لا مطمع أحمد ك من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد (٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من علم لا ينفع وقلب لا يخشع ودعاء لا يسمع الحديث إلى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال الا أنه ورد مفرقا فى أحاديث جيدة الاسانيد (٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم الحديث إلى قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب الدنيا د ن ك وصحح إسناده من حديث أبى اليسر واسمه كعب بن عمرو بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب دنيا وتقدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا (٤) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر ما علمت ومن شر ما لم أعلم قلت هكذا فى غير نسخة علمت وانما هو عملت وأعمل كذا رواه م من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل فى الاستعاذة وفيه وشر ما لم أعمل وشر ما لم أعلم (٥) حديث اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء ت وحسنه و ك وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك (٦) حديث اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء متفق عليه من حديث أبى هريرة (٧) حديث اللهم انى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله ﷺ أنه كان يقول من الكفر والدين وفى رواية للنسائى من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة فى حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال (٨) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر سمعى وشر بصرى وشر لسانى وقلبى وشر منى د ن ت وحسنه ك وصحح اسناده من حديث سهل بن حميد (٩) حديث اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول ن ك من حديث أبى هريرة وقال صحيح على شرط م (١٠) حديث اللهم انى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسيء الاسقام د ن مقتصرين على الاربعة الاخيرة و ك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

دوام افتقاره الى مولاه عن شوب الاكدار بتصفية القلب عن شوب النفس و يعينه على هذه التصفية فبدوام الافتقار يتقى من الكدر وكلما تحركت النفس وظهرت بصفة من صفاتها ادركها ببصيرته الناقدة وفر منها إلى ربه فبدوام تصفيته جمعيته وبحركة نفسه تفرقته وكدره فهو قائم بربه على قلبه وقائم بقلبه على نفسه قال الله تعالى كونوا قوامين لله شهداء بالقسط وهذه القوامية لله على النفس هو التحقق بالتصوف قال بعضهم التصوف كله اضطراب فاذا وقع السكون فلا تصوف والسر فيه ان الروح مجذوبة الى الحضرة الالهية يعني ان روح الصوفى متطلعة منجذبة الى مواطن القرب وللنفس بوضعها رسوب الى عالمها وانقلاب على عقبها ولا بد للصوفى من دوام الحركة بدوام الافتقار ودوام الفرار وحسن التفقد لمواقع إصابات النفس ومن وقف على هذا المعنى يجد فى معنى الصوفى

وسيء الأسقام اللهم اني أعوذ بك من (١) زوال نعمتك ومن تحول عافيتك ومن فجأة نقمتك ومن جميع سخطك اللهم اني أعوذ بك (٢) من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغني وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المغرم والمأثم اللهم اني أعوذ بك (٣) من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من شر الغم وفتنة الصدر اللهم اني أعوذ بك (٤) من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين آمين

﴿الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث﴾

اذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة فاذا خرجت الى المسجد فقل اللهم (٥) اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلفي نورا وأمامي نورا واجعل من فوقي نورا اللهم اعطني نورا وقل أيضا اللهم أني أسألك (٦) بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسألك أن تنقذني من النار وأن تغفر لي ذنوبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فان خرجت من المنزل لحاجة فقل (٧) بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي (٨) بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم بسم الله التكلان على الله فاذا انتهيت الى المسجد تريد دخوله فقل اللهم (٩) صلي على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم اغفر لي جميع ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك وقدم رجلك اليمنى في الدخول فاذا رأيت في المسجد (١٠) من يبيع أو يبتاع فقل لا أربح الله تجارتك واذا رأيت

---

(١) حديث اللهم اني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك م من حديث ابن عمر (٢) حديث اللهم اني أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم متفق عليه من حديث عائشة (٣) حديث اللهم اني أعوذ بك من نفس لا تشبع وقلب لا يخشع وصلاة لا تنفع ودعوة لا تستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر م من حديث زيد بن أرقم في أثناء حديث اللهم اني أعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعمل لا يرفع ودعوة لا يستجاب لها وصلاة لا تنفع وشك أبو المعتمر في سماعه من أنس وللنسائي باسناد جيد من حديث عمر في أثناء حديث وأعوذ بك و د من حديث أنس اللهم اني أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر (٤) حديث اللهم اني أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الاعداء ن ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم

﴿الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث﴾

(٥) حديث القول عند الخروج الى المسجد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس (٦) حديث اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك الحديث من حديث أبي سعيد الخدري باسناد حسن (٧) حديث القول عند الخروج من المنزل لحاجته بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي أصحاب السنن من حديث أم سلمة قال ت حسن صحيح (٨) حديث بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوة الا بالله التكلان على الله ه من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ كان اذا خرج من منزله قال بسم الله فذكره الا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف (٩) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله ﷺ قال ت حسن وليس اسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وزاد د في أوله فليسلم على النبي ﷺ (١٠) حديث القول اذا رأى من يبيع او يبتاع في المسجد لا اربح الله تجارتك ت وقال حسن غريب ون في اليوم

طاهر بن محمد بن طاهر قال اخبرني والدي قال أنا أبو علي الشافعي بمكة حرسها الله تعالى قال انا أحمد ابن ابراهيم قال انا ابو جعفر محمد بن ابراهيم قال انا أبو عبد الله المخزومي قال ثنا سفيان عن مسلم عن انس بن مالك قال كان رسول الله ﷺ يجيب دعوة العبد ويركب الحمار ويلبس الصوف فمن هذا الوجه ذهب قوم الى أنهم سموا صوفية نسبة لهم الى ظاهر اللبسة لأنهم اختاروا لبس الصوف لكونه أرفق ولكونه كان لباس الأنبياء عليهم السلام * روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال مر بالصخرة من الروحاء سبعون نبيا حفاة عليهم العباء يؤمنون البيت الحرام وقيل إن عيسى عليه الصلاة والسلام كان يلبس الصوف

والشمر ويأكل من الشجر ويبيت حيث امسى (وقال) الحسن البصري رضي الله عنه لقد ادركت سبعين بدريا كان لباسهم الصوف ووصفهم أبو هريرة وفضالة ابن عبيد فقالا كانوا يخرون من الجوع حتى تحسبهم الاعراب مجانين وكان لباسهم الصوف حتى ان بعضهم كان يعرق في ثوبه فيوجد منه رائحة الضأن اذا أصابه الغيث وقال بعضهم انه ليؤذيني ريح هؤلاء أما يؤذيك ريحهم يخاطب رسول الله ﷺ بذلك فكان اختيارهم للبس الصوف لتركهم زينة الدنيا وقناعتهم بسد الجوعة وستر العورة واستغراقهم في أمر الآخرة فلم يتفرغوا لملاذ النفوس وراحاتها لشدة شغلهم بخدمة مولاهم وانصراف هممهم الى أمر الآخرة وهذا الاختيار يلائم ويناسب من حيث الاشتقاق لانه يقال تصوف اذا لبس الصوف كما يقال تقمص اذا لبس القميص ولما كان حالهم بين سير وطير لتقلبهم في

من (١) ينشد ضالة في المسجد فقل لا ردها الله عليك أمر به رسول الله ﷺ (٢) فاذا صليت ركعتي الصبح فقل بسم الله اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الدعاء إلى آخره كما أوردناه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ (٣) فاذا ركعت فقل في ركوعك اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك آمنت ولك أسلمت وعليك توكلت أنت ربي خشع سمعي وبصري ومخي وعظمي وعصبي وما استقلت به قدمي لله رب العالمين وان أحببت فقل (٤) سبحان ربي العظيم ثلاث مرات (٥) أو سبوح قدوس رب الملائكة والروح (٦) فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات وملء الارض وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد واذا سجدت فقل اللهم (٧) لك سجدت وبك آمنت ولك أسلمت سجد وجهي للذي خلقه وصوره وشق سمعه وبصره فتبارك الله أحسن الخالقين اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتقول (٨) سبحان ربي الاعلى ثلاث مرات فاذا فرغت من الصلاة فقل اللهم (٩) أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام وتدعو بسائر الادعية التي ذكرناها فاذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل (١٠) سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب اليك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا أنت فاذا دخلت السوق فقل (١١) لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير (١٢) بسم الله اللهم اني أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة فان كان عليك دين فقل اللهم (١٣) اكفني بحلالك عن حرامك وأغنني بفضلك عمن سواك فاذا لبست ثوبا جديدا فقل اللهم

والليلة من حديث أبي هريرة (١) حديث القول اذا رأى من ينشد ضالة في المسجد لا ردها الله عليك م من حديث أبي هريرة (٢) حديث ابن عباس في القول بعد ركعتي الصبح اللهم اني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الخ قد تقدم في الدعاء (٣) حديث ابن عباس في القول في الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت الحديث م من حديث علي (٤) حديث القول فيه سبحان ربي العظيم ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع (٥) حديث القول فيه سبوح قدوس رب الملائكة والروح م من حديث عائشة (٦) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد الحديث م من حديث أبي سعيد الخدري وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده فهي في اليوم والليلة للحسن بن علي المعمري وهي عند م من حديث ابن أبي أوفى وعند خ من حديث أبي هريرة (٧) حديث القول في السجود اللهم لك سجدت الحديث م من حديث علي اللهم سجد لك سوادي وخيالي وآمن بك فؤادي أبوء بنعمتك علي وأبوء بذنبي وهذا ما جنيت على نفسي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب إلا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال بل هو ضعيف (٨) حديث سبحان ربي الأعلى ثلاثا د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع (٩) حديث القول اذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام م من حديث ثوبان (١٠) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك اشهد أن لا إله إلا أنت ن في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج باسناد حسن (١١) حديث القول عند دخول السوق لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير ت من حديث عمر وقال غريب وك وقال صحيح على شرط الشيخين (١٢) حديث بسم الله اللهم اني اسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم اني اعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيها يمينا فاجرة او صفقة خاسرة ك من حديث بريدة وقال اقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة * قلت فيه ابو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الأسدي مختلف فيه (١٣) حديث دعاء الدين اللهم اكفني بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك ت وقال حسن

الاحوال وارتقائهم من عال إلى اعلى منه لا يقيدهم وصف ولا يحبسهم نعت وابواب المزيد عليها وحالا عليهم مفتوحة بواطنهم معدن الحقائق ومجمع العلوم فلما تعذر تقيدهم بحال تقيدهم لتنوع وجدانهم وتجنس مزيدهم نسبوا إلى ظاهر اللبسة وكان ذلك أبين في الاشارة اليهم وأدعى إلى حصر وصفهم لان لبس الصوف كان غالبا على المتقدمين من سلفهم وأيضا لان حالهم حال المقربين كما سبق ذكره ولما كان الاعتزاء إلى القرب وعظم الاشارة إلى قرب الله تعالى أمر صعب يعز كشفه والاشارة اليه وقعت الاشارة إلى زيهم سترا لحالهم وغيرة على عزيز مقامهم أن تكثر الاشارة اليه وتتداوله الالسنة فكان هذا أقرب الى الادب والادب في الظاهر والباطن والقول والفعل عماد أمر الصوفية وفيه معنى آخر وهو ان نسبتهم إلى اللبسة تنبئ عن

(١) كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له (٢) وإذا رأيت شيأ من الطيرة تكرهه فقل اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة الا بالله وإذا رأيت الهلال فقل اللهم (٣) أهله علينا بالامن والايمان والبر والسلامة والاسلام والتوفيق لما تحب وترضى والحفظ عمن تسخط ربي وربك الله ويقول هلال (٤) رشد وخير آمنت بخالقك اللهم اني أسألك (٥) خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر وتكبر قبله أولا ثلاثا وإذا هبت الريح فقل اللهم اني أسألك (٦) خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها ومن شر ما أرسلت به وإذا بلغك وفاة أحد فقل (٧) إنا لله وإنا اليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه في المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله وتقول عند التصدق ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم وتقول عند الخسران عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون وتقول عند ابتداء الامور ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشدا رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري وتقول عند النظر إلى السماء ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار تبارك الذي جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا وإذا سمعت صوت الرعد فقل (٨) سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته فان رأيت الصواعق فقل اللهم (٩) لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك

غريب ولك وقال صحيح الاسناد من حديث علي بن أبي طالب (١) حديث الدعاء اذا لبس ثوبا جديدا اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ما صنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له د ت وقال حسن ون في اليوم والليلة من حديث أبي سعيد الخدري ورواه ابن السني بلفظ المصنف (٢) حديث القول إذا رأى شيأ من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتي بالحسنات الا أنت ولا يذهب بالسيئات الا أنت لا حول ولا قوة إلا بالله ابن أبي شيبة وأبو نعيم في اليوم والليلة وهق في الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفي اليوم والليلة لابن السني عن عقبة بن عامر فجعله مسندا (٣) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربي وربك الله الدارمي من حديث ابن عمر الا انه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا ورواه ت وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير وللبيهقي في الدعوات من حديث قتادة مرسلا كان النبي ﷺ إذا رأى الهلال كبر ثلاثا (٤) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك د مرسلا من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي ﷺ كان اذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذي خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطني في الافراد والطبراني في الاوسط من حديث أنس وقال د وليس في هذا عن النبي ﷺ حديث مسند صحيح (٥) حديث اللهم اني اسألك خير هذا الشهر وخير القدر واعوذ بك من شر يوم الحشر ابن ابي شيبة واحمد في مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوي عنه حدثني من لا اتهم (٦) حديث القول اذا هبت الريح اللهم اني اسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما ارسلت به ت وقال حسن صحيح ون في اليوم والليلة من حديث ابي بن كعب (٧) حديث القول اذا بلغه وفاة احد إنا لله وإنا إليه راجعون وإنا إلى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه في عليين واخلفه على عقبه في الغابرين اللهم لا تحرمنا اجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله ابن السني في اليوم والليلة وحب من حديث ام سلمة إذا اصاب احدكم مصيبة فليقل إنا لله وإنا إليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يارب العالمين وافسح له في قبره ونور له فيه (٨) حديث القول إذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته مالك في الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفا ولم اجده مرفوعا (٩) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا

وعافنا قبل ذلك قاله كعب فاذا أمطرت السماء فقل اللهم (١) سقيا هنيئا وصيبا نافعا اللهم اجعله (٢) صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب فاذا غضبت فقل اللهم (٣) اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم فاذا خفت قوما فقل اللهم (٤) إنا نجعلك في نحورهم ونعوذ بك من شرورهم فاذا غزوت فقل اللهم (٥) أنت عضدي ونصيري وبك أقاتل (٦) واذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل ذكر الله من ذكرني بخير (٧) فاذا رأيت استجابة دعائك فقل الحمد لله الذي بعزته وجلاله تتم الصالحات واذا أبطأت فقل الحمد لله على كل حال (٨) واذا سمعت أذان المغرب فقل اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي (٩) وإذا أصابك هم فقل اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ماض في حكمك عدل في قضاؤك أسألك بكل إسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلبي ونور صدري وجلاء غمي وذهاب حزني وهمي قال صلى الله عليه وسلم ما أصاب أحدا حزن فقال ذلك إلا أذهب الله همه وأبدله مكانه فرحا فقيل له يا رسول الله أفلا نتعلمها فقال صلى الله عليه وسلم بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها واذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا اشتكى الانسان قرحة أو جرحا وضع سبابته على الأرض ثم رفعها وقال (١٠) بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا (١١) واذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يتألم من جسدك وقل بسم الله ثلاثا وقل سبع مرات أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر (١٢) فاذا أصابك كرب فقل لا إله إلا الله العلي الحليم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات السبع ورب العرش الكريم

بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك ت وقال غريب ن في اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السني باسناد حسن (١) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيئا وصيبا نافعا خ من حديث عائشة كان اذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيبا نافعا وه سيبا بالسين أوله ون في اليوم والليلة اللهم اجعله صيبا هنيئا وإسنادها صحيح (٢) حديث اللهم اجعله سيب رحمة ولا تجعله سيب عذاب ن في اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا (٣) حديث القول اذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم ابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف (٤) حديث القول اذا خاف قوما اللهم إني أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم د ن في اليوم والليلة من حديث ابي موسى بسند صحيح (٥) حديث القول إذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري بك أقاتل د ت ن من حديث أنس قال ت حسن غريب (٦) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرني الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم والليلة من حديث ابي رافع بسند ضعيف (٧) حديث القول اذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات تقدم في الدعاء (٨) حديث القول اذا سمع أذان المغرب اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفر لي ت د وقال غريب ولك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الخرائطي في مكارم الأخلاق والحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة (٩) حديث القول اذا أصابه هم اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك الحديث احمد وحب ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م ان سلم من إرسال عبد الرحمن عن أبيه فانه مختلف في سماعه من أبيه (١٠) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا متفق عليه من حديث عائشة (١١) حديث وضع يده على الذي يألم من جسده ويقول بسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات م من حديث عثمان بن ابي العاص (١٢) حديث دعاء الكرب لا إله إلا الله العلي الحليم الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس

ثقلهم من الدنيا وزهدهم فيما تدعو اليه النفس بالهوى من الملبوس الناعم حتى ان المبتدئ المريد الذي يؤثر طريقهم ويحب الدخول في أمرهم يوطن نفسه على التقشف والتقلل ويعلم أن المأكول أيضا من جنس الملبوس فيدخل في طريقهم على بصيرة وهذا أمر مفهوم معلوم عند المبتدى والاشارة الى شيء من حالهم في تسميتهم بذلك أبعد من فهم أرباب البدايات فكان تسميتهم بهذا أنفع وأولى وأيضا غير هذا المعنى مما يقال انهم سموا صوفية لذلك يتضمن دعوى واذا قيل سموا صوفية للبسهم الصوف كان ابعد من الدعوى وكل ما كان ابعد من الدعوى كان اليق بحالهم وايضا لان لبس الصوف حكم ظاهر على الظاهر من امرهم ونسبتهم الى امر آخر من حال او مقام امر باطن والحكم بالظاهر اوفق واولى فالقول بانهم سموا صوفية للبسهم الصوف أليق واقرب الى

(١) فان أردت النوم فتوضأ أولا ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين وسبحه ثلاثا وثلاثين واحمده ثلاثا وثلاثين ثم قل (٢) اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم إنى لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك اللهم (٣) باسمك أحيا وأموت اللهم (٤) رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والانجيل والقرآن أعوذ بك من شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عنى الدين وأغننى من الفقر اللهم (٥) انك خلقت نفسى وأنت تتوفاها لك مماتها ومحياها اللهم ان أمتها فاغفر لها وان أحييتها فاحفظها اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة (٦) باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى اللهم (٧) قنى عذابك يوم تجمع عبادك اللهم (٨) أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهى إليك وفوضت أمرى إليك وألجأت ظهرى إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذى أنزلت وبنبيك الذى أرسلت ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله ﷺ بذلك وليقل قبل ذلك اللهم (٩) أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى بأحب الأعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى (١٠) فاذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور (١١) أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله

---

(١) حديث التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين متفق عليه من حديث علي (٢) حديث القول عند إرادة النوم اللهم إنى أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك النسائى فى اليوم والليلة من حديث على وفيه انقطاع (٣) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت خ من حديث حذيفة وم من حديث البراء (٤) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى الحديث الى قوله وأغننا من الفقر م من حديث أبى هريرة (٥) حديث اللهم أنت خلقت نفسى وأنت تتوفاها الحديث الى قوله إنى أسألك العافية م من حديث ابن عمر (٦) حديث باسمك ربى وضعت جنبى فاغفر لى ذنبى ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبى هريرة باسمك ربى وضعت جنبى وبك أرفعه ان أمسكت نفسى فاغفر لها وقال خ فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين (٧) حديث اللهم قنى عذابك يوم تجمع عبادك ت فى الشمائل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه (٨) حديث اللهم إنى أسلمت نفسى إليك وفوضت امرى إليك الحديث متفق عليه من حديث البراء (٩) حديث اللهم أيقظنى فى أحب الساعات إليك واستعملنى فى أحب الأعمال إليك تقربنى إليك زلفى وتبعدنى من سخطك بعدا أسألك فتعطينى وأستغفرك فتغفر لى وأدعوك فتستجيب لى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث بن عباس اللهم ابعثنا فى أحب الساعات إليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا وإسناده ضعيف وهو معروف من قول حبيب الطائى كما رواه ابن أبى الدنيا فى الدعاء (١٠) حديث القول اذا استيقظ من منامه الحمد لله الذى احيانا بعدما اماتنا واليه النشور خ من حديث حذيفة وم من حديث البراء (١١) حديث اصبحنا واصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة اصبحنا واصبح الملك والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان والسموات والأرض وكل شيء لله رب العالمين وله فى الدعاء من حديث ابن ابى اوفى اصبحت واصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وماسكن فيهما لله وإسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود اصبحنا واصبح الملك لله

كالخرقة الملقاة والصوفة المرمية التى لا يرغب فيها ولا يلتفت إليها فيقال صوفى نسبة الى الصوفة كما يقال كوفى نسبة الى الكوفة وهذا ماذكره بعض اهل العلم والمعنى المقصود به قريب ويلائم الاشتقاق ولم يزل لبس الصوف اختيار الصالحين والزهاد والمتقشفين والعباد (اخبرنا) ابو زرعة طاهر عن ابيه قال انا عبد الرزاق بن عبد الكريم قال انا ابو الحسن محمد بن محمد قال ثنا ابو على اسمعيل ابن محمد قال ثنا الحسن بن عرفة قال ثنا خلف بن خليفة عن حميد ابن الأعرج عن عبد الله بن الحرث عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ يوم كلم الله تعالى موسى عليه السلام كان عليه جبة صوف وسراويل صوف وكساء صوف وكمه

اصبحنا

(١) أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص وعلى دين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين اللهم (٢) بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير اللهم (٣) انى أسألك ان تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم فانك قلت وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى اللهم (٤) فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه (٥) بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة من الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله (٦) رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير * (٧) واذا أمسى قال ذلك الا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة

---

(١) حديث أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد ﷺ وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى بن كعب مرفوعا (٢) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير أصحاب السنن و حب وحسنه ت الا أنهم قالوا واليك النشور ولابن السنى واليك المصير (٣) حديث اللهم انا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم الحديث لم أجد أوله و ت من حديث أبى بكر فى حديث له وأعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن نقترف على أنفسنا سوأ أو نجره الى مسلم ر و اه د من حديث أبى مالك الأشعرى باسناد جيد (٤) حديث اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر ما فيه قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد قال كان رسول الله ﷺ يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وقونى على الجهاد فى سبيلك وللدارقطنى فى الافراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير ما بعده ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبى مالك الأشعرى اللهم انا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده وسنده جيد وللحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم انى أسألك خير ما فى هذا اليوم وخير ما بعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده والحديث عند م فى المساء خير ما فى هذه الليلة الحديث ثم قال واذا أصبح قال ذلك أيضا (٥) حديث بسم الله ماشاء الله لا قوة الا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله عد فى الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه الا مرفوعا الى النبى ﷺ قال يلتقى الخضر والياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لا يسوق الخير الا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسى أمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أورده فى ترجمة الحسين بن رزين وقال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر (٦) حديث رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا تقدم فى الباب الاول (٧) حديث القول عند المساء مثل الصباح الا أنك تقول أمسينا ويقول مع ذلك أعوذ بكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ما ذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما خلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين الحديث وفيه وان قالهن حين يمسى كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن فى حديث ان جبريل

من صوف ونعلاه من جلد حمار غير مذكى وقيل سموا صوفية لأنهم فى الصف الاول بين يدى الله عز وجل بارتفاع هممهم واقبالهم على الله تعالى بقلوبهم ووقوفهم بسرائرهم بين يديه وقيل كان هذا الاسم فى الاصل صفوى فاستثقل ذلك وجعل صوفيا وقيل سموا صوفية نسبة الى الصفة التى كانت لفقراء المهاجرين على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين قال الله تعالى فيهم للفقراء الذين أحصروا فى سبيل الله لا يستطيعون ضربا فى الارض الآية وهذا وان كان لا يستقيم من حيث الاشتقاق اللغوى ولكن صحيح من حيث المعنى لأن الصوفية يشاكل حالهم حال أولئك لكونهم مجتمعين متألفين متصاحبين لله وفى الله كأصحاب الصفة وكانوا نحوا من أربعمائة رجل لم يكن لهم مساكن بالمدينة ولا عشائر جمعوا أنفسهم فى المسجد كاجتماع الصوفية

قديما وحديثا فى الزوايا والربط وكانوا لا يرجعون الى زرع ولا الى ضرع ولا الى تجارة كانوا يحتطبون ويرضخون النوى بالنهار وبالليل يشتغلون بالعبادة وتعلم القرآن وتلاوته وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يواسيهم ويحث الناس على مواساتهم ويجلس معهم ويأكل معهم وفيهم نزل قوله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه وقوله تعالى واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى ونزل فى ابن أم مكتوم قوله تعالى عبس وتولى أن جاءه الأعمى وكان من أهل الصفة فعوتب النبى صلى الله عليه وسلم لاجله وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافحهم لا ينزع يده من أيديهم وكان يفرقهم على أهل الجدة والسعة يبعث مع واحد ثلاثة ومع الآخر أربعة وكان

أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط مستقيم (١) واذا نظر فى المرآة قال الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين (٢) واذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيته وقل اللهم انى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه (٣) واذا هنأت بالنكاح فقل بارك الله فيك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير واذا قضيت الدين فقل للمقضى له (٤) بارك الله لك فى أهلك ومالك اذ قال ﷺ انما جزاء السلف الحمد والاداء فهذه أدعية لا يستغنى المريد عن حفظها وما سوى ذلك من أدعية السفر والصلاة والوضوء ذكرناها فى كتاب الحج والصلاة والطهارة * فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له * فاعلم ان من القضاء رد البلاء بالدعاء فالدعاء سبب لرد البلاء واستجلاب الرحمة كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الارض فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح وقد قال تعالى خذوا حذركم وأن لا يسقى الارض بعد بث البذر فيقال ان سبق القضاء بالنبات نبت البذر وان لم يسبق لم ينبت بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ثم فى الدعاء من الفائدة ما ذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات ولذلك قال ﷺ (٥) الدعاء مخ العبادة والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم الى ذكر الله عز وجل الا عند الماام حاجة وارهاق ملمة فان الانسان اذا مسه الشر فذو دعاء عريض فالحاجة تحوج الى الدعاء والدعاء يرد القلب الى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات ولذلك صار البلاء موكلا بالانبياء عليهم السلام ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل لانه يرد القلب بالافتقار والتضرع الى الله عز وجل ويمنع من نسيانه وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى فهذا ما أردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات والله الموفق للخير وأما بقية الدعوات فى الاكل والسفر وعيادة المريض وغيرها فستأتى فى مواضعها ان شاء الله تعالى وعلى الله التكلان تم كتاب الاذكار والدعوات بكماله * يتلوه ان شاء الله تعالى كتاب الاوراد والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال يا محمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء الحديث واسناده جيد ولمسلم من حديث أبى هريرة فى الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء اللهم انى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة الخ الحديث وقد تقدم فى الباب الثانى (١) حديث القول اذا نظر فى المرآة الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين الطبرانى فى الاوسط وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف (٢) حديث القول اذا اشترى خادما أو دابة اللهم انى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ما جبل عليه د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد (٣) حديث التهنئة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير د ت ه من حديث أبى هريرة قال ت حسن صحيح (٤) حديث الدعاء لصاحب الدين اذا قضى الله دينه بارك الله لك فى أهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والاداء ن من حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال استقرض منى النبى ﷺ أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه الى قال فذكره واسناده حسن (٥) حديث الدعاء مخ العبادة تقدم فى الباب الاول

﴿كتاب ترتيب الاوراد وتفصيل احياء الليل﴾

وهو الكتاب العاشر من احياء علوم الدين وبه اختتام ربع العبادات نفع الله به المسلمين

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

نحمد الله على آلائه حمدا كثيرا ونذكره ذكرا لا يغادر في القلب استكبارا ولا نفورا ونشكره اذ جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا ونصلي على نبيه الذي بعثه بالحق بشيرا ونذيرا وعلى آله الطاهرين وصحبه الاكرمين الذين اجتهدوا في عبادة الله غدوة وعشيا وبكرة وأصيلا حتى أصبح كل واحد منهم نجما في الدين هاديا وسراجا منيرا ﴿أما بعد﴾ فان الله تعالى جعل الارض ذلولا لعباده لا ليستقروا في مناكبها بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها زادا يحملهم في سفرهم إلى أوطانهم ويكتنزون منها تحفا لنفوسهم عملا وفضلا محترزين من مصايدها ومعاطبها ويتحققون ان العمر يسير بهم سير السفينة براكبها فالناس في هذا العالم سفر وأول منازلهم المهد وآخرها اللحد والوطن هو الجنة أو النار والعمر مسافة السفر فسنوه مراحله وشهوره فراسخه وأيامه أمياله وأنفاسه خطواته وطاعته بضاعته وأوقاته رؤس أمواله وشهواته وأغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله تعالى مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل في نفس من أنفاسه حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل شمر الموفقون عن ساق الجد وودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا بحسب تكرر الاوقات وظائف الاوراد حرصا على احياء الليل والنهار في طلب القرب من الملك الجبار والسعي إلى دار القرار فصار من مهمات علم طريق الآخرة تفصيل القول في كيفية قسمة الاوراد وتوزيع العبادات التي سبق شرحها على مقادير الاوقات ويتضح هذا المهم بذكر بابين ﴿الباب الاول﴾ في فضيلة الاوراد وترتيبها في الليل والنهار ﴿الباب الثاني﴾ في كيفية احياء الليل وفضيلته وما يتعلق به ﴿الباب الاول﴾ في فضيلة الاوراد وترتيبها وأحكامها

﴿فضيلة الاوراد وبيان أن المواظبة عليها هي الطريق إلى الله تعالى﴾

اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة الا في لقاء الله تعالى وانه لا سبيل إلى اللقاء الا بان يموت العبد محبا لله تعالى وعارفا بالله سبحانه وأن المحبة والانس لا تحصل الا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة به لا تحصل الا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم الا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الاذكار والافكار والنفس لما جبلت عليه من السآمة والملال لا تصبر على فن واحد من الأسباب المعينة على الذكر والفكر بل اذا ردت إلى نمط واحد أظهرت الملال والاستثقال وان الله تعالى لا يمل حتى تملوا فمن ضرورة اللطف بها أن تروح بالتنقل من فن إلى فن ومن نوع إلى نوع بحسب كل وقت لتغزر بالانتقال لذتها وتعظم باللذة رغبتها وتدوم بدوام الرغبة مواظبتها فلذلك تقسم الاوراد قسمة مختلفة فالذكر والفكر ينبغي أن يستغرقا جميع الاوقات أو أكثرها فان النفس بطبعها مائلة إلى ملاذ الدنيا فان صرف العبد شطر أوقاته إلى تدبيرات الدنيا وشهواتها المباحة مثلا والشطر الآخر إلى العبادات رجح جانب الميل إلى الدنيا لموافقتها الطبع اذ يكون الوقت متساويا فانى يتقاومان والطبع لاحدهما مرجح اذ الظاهر والباطن يتساعدان على أمور الدنيا ويصفو في طلبها القلب ويتجرد وأما الرد إلى العبادات فمتكلف ولا يسلم اخلاص القلب فيه وحضوره الا في بعض الاوقات فمن أراد أن يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق أوقاته في الطاعة ومن

﴿كتاب الاوراد وفضل احياء الليل﴾

﴿الباب الاول في فضيلة الاوراد﴾

سعد بن معاذ يحمل الى بيته منهم ثمانين يطعمهم وقال أبو هريرة رضى الله عنه لقد رأيت سبعين من أهل الصفة يصلون في ثوب واحد منهم من لا يبلغ ركبتيه فاذا ركع أحدهم قبض بيديه مخافة ان تبدو عورته ﴿وقال﴾ بعض أهل الصفة جئنا جماعة الى رسول الله ﷺ وقلنا يارسول الله أحرق بطوننا التمر فسمع بذلك رسول الله ﷺ فصعد المنبر ثم قال ما بال أقوام يقولون أحرق بطوننا التمر أما علمتم أن هذا التمر هو طعام أهل المدينة وقد واسونا به وواسيناكم مما واسونا به والذي نفس محمد بيده ان منذ شهرين لم يرتفع من بيت رسول الله ﷺ دخان للخبز وليس لهم الا الاسودان الماء والتمر ﴿أخبرنا﴾ الشيخ أبو الفتح محمد بن عبد الباقي في كتابه قال أنا الشيخ أبو بكر بن زكريا الطريثيثي قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال حدثنا محمد بن محمد

أرادمن أن تترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعة أكثر أوقاته فإن خلط عملا صالحا وآخر سيئا فأمره مخطر ولكن الرجاء غير منقطع والعفو من كرم الله منتظر فعسى الله تعالى أن يغفر له بجوده وكرمه فهذا ما انكشف للناظرين بنور البصيرة فإن لم تكن من أهله فانظر الى خطاب الله تعالى لرسوله واقتبسه بنور الايمان فقد قال الله تعالى لأقرب عباده إليه وأرفعهم درجة لديه ان لك في النهار سبحا طويلا واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ومن الليل فاسجد له وسبحه ليلا طويلا وقال تعالى وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود وقال سبحانه وسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم وقال تعالى ان ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقال تعالى ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقال عز وجل وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ثم انظر كيف وصف الفائزين من عباده وبماذا وصفهم فقال تعالى أمن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون وقال تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا وقال عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقال عز وجل كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون وقال عز وجل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقال تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه فهذا كله يبين لك أن الطريق الى الله تعالى في مراقبة الأوقات وعمارتها بالأوراد على سبيل الدوام ولذلك قال ﷺ (١) أحب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله تعالى وقد قال تعالى الشمس والقمر بحسبان وقال تعالى ألم تر الى ربك كيف مد الظل ولو شاء لجعله ساكنا ثم جعلنا الشمس عليه دليلا ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وقال تعالى والقمر قدرناه منازل وقال تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر فلا تظنن أن المقصود من سير الشمس والقمر بحسبان منظوم مرتب ومن خلق الظل والنور والنجوم أن يستعان بها على أمور الدنيا بل لتعرف بها مقادير الأوقات فتشتغل فيها بالطاعات والتجارة للدار الآخرة يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا أي يخلف أحدهما الآخر ليتدارك في أحدهما ما فات في الآخر وبين أن ذلك للذكر والشكر لا غير وقال تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وانما الفضل المبتغى هو الثواب والمغفرة ونسأل الله حسن التوفيق لما يرضيه

﴿ بيان عدد الأوراد وترتيبها ﴾

اعلم ان أوراد النهار سبعة فما بين طلوع الصبح الى طلوع قرص الشمس ورد وما بين طلوع الشمس الى الزوال وردان وما بين الزوال الى وقت العصر وردان وما بين العصر الى المغرب وردان والليل ينقسم الى أربعة أوراد وردان من المغرب الى وقت نوم الناس ووردان من النصف الأخير من الليل الى طلوع الفجر فلنذكر فضيلة كل ورد ووظيفته وما يتعلق به ﴿فالورد الأول﴾ ما بين طلوع الصبح الى طلوع الشمس وهو وقت شريف ويدل على شرفه وفضله أقسام الله تعالى به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال فالق الاصباح وقال تعالى قل أعوذ برب الفلق واظهاره القدرة بقبض الظل فيه اذ قال تعالى ثم قبضناه الينا قبضا يسيرا وهو وقت قبل ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الى التسبيح فيه بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وبقوله تعالى فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها وقوله عز وجل ومن آناء الليل فسبح وأطراف النهار لعلك ترضى وقوله تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا ﴿فأما ترتيبه﴾ فليأخذ من وقت انتباهه من النوم فاذا انتبه فينبغي أن يبتدىء بذكر الله تعالى فيقول الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور الى

(١) حديث أحب عباد الله الى الله الذين يراعون الشمس والقمر والأهلة لذكر الله الطبراني وك وقال

حدثني سعيد بن حاتم البلخي قال حدثنا سهل بن أسلم عن خلاد بن محمد عن أبي عبد الرحمن السكري عن يزيد النحوي عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهم قال وقف رسول الله ﷺ يوما على أهل الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال أبشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي منكم على النعت الذي أنتم عليه اليوم راضيا بما هو فيه فانه من رفقائي يوم القيامة ﴿وقيل﴾ كان منهم طائفة بخراسان يأوون الى الكهوف والمغارات ولا يسكنون القرى والمدن يسمونهم في خراسان شكفتية لأن شكفت اسم الغار ينسبونهم الى المأوى والمستقر وأهل الشام يسمونهم جوعية والله تعالى ذكر في القرآن

آخر الأدعية والآيات التي ذكرناها في دعاء الاستيقاظ من كتاب الدعوات وليلبس ثوبه وهو في الدعاء وينوي به ستر عورته امتثالا لأمر الله تعالى واستعانة به على عبادته من غير قصد رياء ولا رعونة ثم يتوجه الى بيت الماء ان كان به حاجة الى بيت الماء ويدخل أولا رجله اليسرى ويدعو بالأدعية التي ذكرناها فيه في كتاب الطهارة عند الدخول والخروج ثم يستاك على السنة كما سبق ويتوضأ مراعيا لجميع السنن والأدعية التي ذكرناها في الطهارة فانا انما قدمنا آحاد العبادات لكي نذكر في هذا الكتاب وجه التركيب والترتيب فقط فاذا فرغ من الوضوء (١) صلى ركعتي الفجر أعني السنة في منزله كذلك كان يفعل رسول الله ﷺ ويقرأ بعد الركعتين سواء أداهما في البيت أو المسجد الدعاء الذي رواه ابن عباس رضي الله عنهما ويقول اللهم (٢) إني أسألك رحمة من عندك تهدي بها قلبي الى آخر الدعاء ثم يخرج من البيت متوجها الى المسجد ولا ينسى دعاء الخروج الى المسجد ولا يسعى الى الصلاة سعيا (٣) بل يمشي وعليه السكينة والوقار كما ورد به الخبر ولا يشبك بين أصابعه ويدخل المسجد ويقدم رجله اليمنى ويدعو (٤) بالدعاء المأثور لدخول المسجد ثم يطلب من المسجد الصف الأول ان وجد متسعا ولا يتخطى رقاب الناس ولا يزاحم كما سبق ذكره في كتاب الجمعة ثم يصلي ركعتي الفجر إن لم يكن صلاهما في البيت ويشتغل بالدعاء المذكور بعدهما وان كان قد صلى ركعتي الفجر صلى ركعتي التحية وجلس منتظرا للجماعة والأحب التغليس بالجماعة فقد كان ﷺ (٥) يغلس بالصبح ولا ينبغي أن يدع الجماعة في الصلاة عامة وفي الصبح والعشاء خاصة فلهما زيادة فضل فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ (٦) أنه قال في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد ليصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها فاذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع الضحى كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بعمرة مبرورة وكان من عادة السلف دخول المسجد قبل طلوع الفجر قال رجل من التابعين دخلت المسجد قبل طلوع الفجر فلقيت أبا هريرة قد سبقني فقال لي يا ابن أخي لأي شيء خرجت من منزلك في هذه الساعة فقلت لصلاة الغداة فقال أبشر (٧) فانا كنا نعد خروجنا وقعودنا في المسجد في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله تعالى أو قال مع رسول الله ﷺ وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ (٨) طرقه وفاطمة رضي الله عنهما وهما نائمان فقال ألا تصليان قال علي فقلت يا رسول الله انما أنفسنا بيد الله تعالى فاذا شاء أن يبعثها بعثها فانصرف صلى الله عليه وسلم فسمعته وهو منصرف يضرب فخذه ويقول وكان الانسان أكثر شيء جدلا ثم ينبغي أن يشتغل بعد ركعتي الفجر ودعائه بالاستغفار والتسبيح الى أن تقام الصلاة فيقول

صحيح الاسناد من حديث ابن أبي أوفى بلفظ خيار عباد الله (١) حديث صلاة ركعتي الصبح في المنزل متفق عليه من حديث حفصة (٢) حديث الدعاء بعد ركعتي الصبح اللهم إني أسألك رحمة من عندك الحديث تقدم (٣) حديث المشي الى الصلاة وعليه السكينة متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث الدعاء المأثور لدخول المسجد تقدم في الباب الخامس من الأذكار (٥) حديث التغليس في الصبح متفق عليه من حديث عائشة (٦) حديث أنس في صلاة الصبح من توضأ ثم توجه الى المسجد يصلي فيه الصلاة كان له بكل خطوة حسنة ومحي عنه سيئة والحسنة بعشر أمثالها واذا صلى ثم انصرف عند طلوع الشمس كتب له بكل شعرة في جسده حسنة وانقلب بحجة مبرورة فان جلس حتى يركع كتب له بكل ركعة ألفا ألف حسنة ومن صلى العتمة فله مثل ذلك وانقلب بحجة مبرورة لم أجد له أصلا بهذا السياق وفي شعب الايمان للبيهقي من حديث أنس بسند ضعيف ومن صلى المغرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة متقبلة (٧) حديث أبي هريرة كنا نعد خروجنا وقعودنا في المجلس في هذه الساعة بمنزلة غزوة في سبيل الله لم أقف له على أصل (٨) حديث علي أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة وهما نائمان فقال ألا تصلون قال علي فقلت يا رسول الله إنما أنفسنا

طوائف الخير والصلاح فسمي قوما أبرارا وآخرين مقربين ومنهم الصابرون والصادقون والذاكرون والمحبون واسم الصوفي مشتمل على جميع المتفرق في هذه الأسماء المذكورة وهذا الاسم لم يكن في زمن رسول الله ﷺ وقيل كان في زمن التابعين (ونقل) عن الحسن البصري رحمة الله عليه أنه قال رأيت صوفيا في الطواف فأعطيته شيأ فلم يأخذ وقال معي أربع دوانيق يكفيني ما معي ويشيد هذا ما روى عن سفيان انه قال لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفت دقيق الرياء وهذا يدل على أن هذا الاسم كان يعرف قديما وقيل لم يعرف هذا الاسم الى المائتين من الهجرة العربية لأن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمون الرجل صحابيا لشرف صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكون الاشارة اليها أولى من كل إشارة

أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه سبعين مرة و سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يصلي الفريضة مراعيا جميع ما ذكرناه من الآداب الباطنة والظاهرة في الصلاة والقدوة فاذا فرغ منها قعد في المسجد الى طلوع الشمس في ذكر الله تعالى كما سنرتبه فقد قال ﷺ (١) لأن أقعد في مجلس أذكر الله تعالى فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربع رقاب وروى أنه ﷺ (٢) كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها و يصلي ركعتين أي بعد الطلوع وقد ورد في فضل ذلك مالا يحصى وروى الحسن أن رسول الله ﷺ (٣) كان فيما يذكره من رحمة ربه يقول انه قال يا ابن آدم اذكرني بعد صلاة الفجر ساعة و بعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما وإذا ظهر فضل ذلك فليقعد ولا يتكلم الى طلوع الشمس بل ينبغي أن تكون وظيفته الى الطلوع أربعة أنواع أدعية وأذكار و يكررها في سبحة وقراءة قرآن وتفكر أما الأدعية فكلما يفرغ من صلاته فليبدأ و ليقل اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم اللهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يعود السلام حينا ربنا بالسلام وأدخلنا دار السلام تباركت يا ذا الجلال والاكرام ثم يفتتح الدعاء بما كان يفتتح به رسول الله ﷺ (٤) وهو قوله سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب (٥) لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا إله إلا الله أهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ثم يبدأ بالأدعية التي أوردناها في الباب الثالث والرابع من كتاب الأدعية فيدعو بجميعها ان قدر عليه أو يحفظ من جملتها ما يراه أوفق بحاله وأرق لقلبه وأخف على لسانه وأما الأذكار المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها فضائل لم نطول بايرادها وأقل ما ينبغي أن يكرر كل واحدة منها ثلاثا أو سبعا وأكثره مائة أو سبعون وأوسطه عشر فليكررها بقدر فراغه وسعة وقته وفضل الأكثر أكثر والأوسط الاقصد أن يكررها عشر مرات فهو أجدر بأن يدوم عليه وخير الأمور أدومها وان قل وكل وظيفة لا يمكن المواظبة على كثيرها فقليلها مع المداومة أفضل وأشد تأثيرا في القلب من كثيرها مع الفترة ومثال القليل الدائم كقطرات ماء تتقاطر على الأرض على التوالي فتحدث فيها حفيرة ولو وقع ذلك على الحجر ومثال الكثير المتفرق ماء يصب دفعة أو دفعات متفرقة متباعدة الأوقات فلا يبين لها أثر ظاهر وهذه الكلمات عشرة «الأولى» قوله لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير «الثانية» قوله (٦) سبحان الله

بيد الله الحديث متفق عليه (١) حديث لأن أقعد في مجلس أذكر الله فيه من صلاة الغداة الى طلوع الشمس أحب إلىّ من أن أعتق أربع رقاب د من حديث أنس وتقدم في الباب الثالث من العلم (٢) حديث كان إذا صلى الغداة قعد في مصلاه حتى تطلع الشمس وفي بعضها و يصلي ركعتين أي بعد الطلوع م من حديث جابر ابن سمرة دون ذكر الركعتين و ت من حديث أنس وحسنه من صلى الفجر في جماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة تامة تامة تامة (٣) حديث الحسن ان رسول الله ﷺ كان فيما يذكر من رحمة ربه انه قال يا ابن آدم اذكرني من بعد صلاة الفجر ساعة و بعد صلاة العصر ساعة أكفك ما بينهما ابن المبارك في الزهد هكذا مرسلا (٤) حديث كان يفتتح الدعاء بسبحان ربي العلي الأعلى الوهاب تقدم (٥) حديث الفضل في تكرار لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي و يميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير تقدم من حديث أبي أيوب تكرارها عشرا دون قوله يحيي و يميت وهو حي لا يموت بيده الخير فانها في اليوم والليلة للنسائي من حديث أبي ذر دون قوله وهو حي لا يموت وهي كلها عند البزار من حديث عبد الرحمن بن عوف فيما يقال عند الصباح والمساء وتقدم تكرارها مائة ومائتين وللطبراني في الدعاء من حديث عبد الله بن عمرو تكرارها ألف مرة وإسناده ضعيف (٦) حديث الفضل في تكرار سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله في اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث

و بعد انقراض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ منهم العلم سمى تابعيا ثم لما تقادم زمان الرسالة و بعد عهد النبوة وانقطع الوحي السماوي وتوارى النور المصطفوي واختلفت الآراء وتنوعت الأنحاء وتفرد كل ذي رأي برأيه وكدر شرب العلوم شوب الأهوية وتزعزعت أبنية المتقين واضطربت عزائم الزاهدين وغلبت الجهالات وكثف حجابها وكثرت العادات وتملكت أربابها وتزخرفت الدنيا وكثر خطابها تفرد طائفة بأعمال صالحة وأحوال سنية وصدق في العزيمة وقوة في الدين وزهدوا في الدنيا ومحبتها واغتنموا العزلة والوحدة واتخذوا لنفوسهم زوايا يجتمعون فيها تارة وينفردون أخرى أسوة بأهل الصفة تاركين للأسباب متبتلين إلى رب الأرباب فأثمر لهم صالح الأعمال سني الأحوال وتهيأ لهم صفاء الفهوم لقبول العلوم وصار

لهم بعد اللسان لسان وبعد العرفان عرفان وبعد الايمان ايمان كما قال حارثة أصبحت مؤمنا حقا حيث

والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿الثالثة﴾ قوله (١) سبوح قدوس رب الملائكة والروح ﴿الرابعة﴾ قوله (٢) سبحان الله العظيم وبحمده ﴿الخامسة﴾ قوله (٣) أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة ﴿السادسة﴾ قوله اللهم (٤) لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد ﴿السابعة﴾ قوله (٥) لا إله إلا الله الملك الحق المبين ﴿الثامنة﴾ قوله (٦) بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم ﴿التاسعة﴾ اللهم (٧) صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم ﴿العاشرة﴾ قوله (٨) أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون فهذه العشر كلمات اذا كرر كل واحدة عشر مرات حصل له مائة مرة فهو أفضل من أن يكرر ذكرا واحدا مائة مرة لان لكل واحدة من هؤلاء الكلمات فضلا على حياله وللقلب بكل واحدة نوع تنبه وتلذذ وللنفس فى الانتقال من كلمة إلى كلمة نوع استراحة وأمن من الملل فأما القراءة فيستحب له

أبى سعيد الخدرى استكثروا من الباقيات الصالحات فذكرها (١) حديث تكرار سبوح قدوس رب الملائكة والروح لم أجد ذكرها مكررة لكن عند م من حديث عائشة أنه صلى الله عليه وسلم كان يقولها فى ركوعه وسجوده وقد تقدم ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث البراء أكثر من أن تقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح (٢) حديث تكرار سبحان الله وبحمده متفق عليه من حديث أبى هريرة من قال ذلك فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر (٣) حديث تكرار أستغفر الله الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأسأله التوبة المستغفرى فى الدعوات من حديث معاذ من قالها بعد الفجر وبعد العصر ثلاث مرات كفرت ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ولفظه وأتوب اليه وفيه ضعف وهكذا رواه ت من حديث أبى سعيد فى قولها ثلاثا وللبخارى من حديث أبى هريرة انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة ولم يقل الطبرانى أكثر ولمسلم من حديث الاعرابى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة تقدمت هذه الاحاديث فى الباب الثانى من الاذكار (٤) حديث تكرار اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك لم أجد تكرارها فى حديث وانما وردت مطلقة عقب الصلوات وفى الرفع من الركوع (٥) حديث تكرار لا إله إلا الله الملك الحق المبين المستغفرى فى الدعوات والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث على من قالها فى يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر وأمان من وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة وفيه الفضل بن غانم ضعيف ولابى نعيم فى الحلية من قال ذلك فى كل يوم وليلة مائتى مرة لم يسأل الله فيهما حاجة الا قضاها وفيه سليم الخواص ضعيف وقال فيه أظنه عن على (٦) حديث تكرار بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم أصحاب السنن وابن حبان وك وصححه من حديث عثمان من قال ذلك ثلاث مرات حين يمسى لم يصبه فجأة بلاء حتى يصبح ومن قالها حين يصبح ثلاث مرات لم يصبه فجأة بلاء حتى يمسى قال ت حسن صحيح غريب (٧) حديث تكرار اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الامى وعلى آل محمد ذكره أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقى فى فضائل القرآن من حديث ابن أبى أوفى من أراد أن يموت فى السماء الرابعة فليقل كل يوم ثلاث مرات فذكره وهو منكر قلت ورد التكرار عند الصباح والمساء من غير تعيين لهذه الصيغة رواه الطبرانى من حديث أبى الدرداء بلفظ من صلى على حين يصبح عشرا وحين يمسى عشرا أدركته شفاعتى يوم القيامة وفيه انقطاع (٨) حديث تكرار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم أعوذ بالله من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون ت من حديث معقل بن يسار من قال حين يصبح ثلاث مرات أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر وكل الله به سبعين ألف ملك الحديث ومن قالها حين يمسى كان بتلك المنزلة وقال حسن غريب ولابن أبى الدنيا من حديث أنس مثل حديث مقطوع قبله من قالها حين يصبح عشر

كوشف برتبة فى الايمان غيرما يتعاهدها فصار لهم بمقتضى ذلك علوم يعرفونها واشارات يتعاهدونها فحرروا لنفوسهم اصطلاحات تشير الى معان يعرفونها تعرب عن أحوال يجدونها فأخذ ذلك الخلف عن السلف حتى صار ذلك رسما مستمرا وخبرا مستقرا فى كل عصر وزمان فظهر هذا الاسم بينهم وتسموا به وسموا به فالاسم سمتهم والعلم بالله صفتهم والعبادة حليتهم والتقوى شعارهم وحقائق الحقيقة أسرارهم نزاع القبائل وأصحاب الفضائل سكان قباب الغيرة وقطان ديار الحيرة لهم مع الساعات من امداد فضل الله مزيد ولهيب شوقهم يتأجج ويقول هل من مزيد اللهم احشرنا فى زمرتهم وارزقنا حالاتهم والله أعلم

﴿الباب السابع فى ذكر المتصوف والمتشبه به﴾

(أخبرنا) شيخنا شيخ الاسلام أبو النجيب

قراءة جملة من الآيات وردت الاخبار بفضلها وهو أن يقرأ سورة الحمد (١) وآية الكرسى (٢) وخاتمة البقرة (٣) من قوله آمن الرسول (٤) وشهد الله (٥) وقل اللهم مالك الملك الآيتين وقوله تعالى (٦) لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها وقوله تعالى (٧) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق إلى آخرها وقوله سبحانه (٨) الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية (٩) وخمس آيات من أول الحديد (١٠) وثلاثا من آخر سورة الحشر وان قرأ المسبعات العشر

مرات أجير من الشيطان إلى الصبح الحديث ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة ألا أعلمك يا خالد كلمات تقولها ثلاث مرات قل أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه وشر عباده ومن همزات الشياطين وان يحضرون والحديث عند أبى داود و ت وحسنه و ك وصححه فيما يقال عند الفزع دون تكرارها ثلاثا من حديث عبد الله بن عمرو (١) حديث فضل سورة الحمد خ من حديث أبى سعيد بن المعلى انها أعظم السور فى القرآن و م من حديث ابن عباس فى الملك الذى نزل إلى الارض وقال للنبي ﷺ أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك فاتحة الكتاب وخواتم سورة البقرة لم تقرأ بحرف منهما الا أعطيته (٢) حديث فضل آية الكرسى م من حديث أبى بن كعب يا أبا المنذر أتدرى أى آية من كتاب الله معك أعظم قلت الله لا إله إلا هو الحى القيوم الحديث و خ من حديث أبى هريرة فى توكيله بحفظ تمر الصدقة ومجىء الشيطان اليه وقوله اذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى فانه لن يزال عليك من الله حافظ الحديث وفيه فقال رسول الله ﷺ أما انه قد صدقك وهو كذوب (٣) حديث فضل خاتمة البقرة متفق عليه من حديث أبى مسعود من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه وتقدم حديث ابن عباس قبله بحديث (٤) حديث فضل شهد الله أبو الشيخ حب فى كتاب الثواب من حديث ابن مسعود من قرأ شهد الله الى قوله الاسلام ثم قال وأنا أشهد بما شهد الله به وأستودع الله هذه الشهادة وهى لى عنده وديعة جىء به يوم القيامة فقيل له عبدى هذا عهد إلى عهدا وأنا أحق من وفى بالعهد أدخلوا عبدى الجنة وفيه عمر بن المختار روى الاباطيل قاله ابن عدى وسيأتى حديث على بعده (٥) حديث فضل قل اللهم مالك الملك الآيتين المستغفرى فى الدعوات من حديث على أن فاتحة الكتاب وآية الكرسى والآيتين من آل عمران شهد الله الى قوله الاسلام وقل اللهم مالك الملك الى قوله بغير حساب معلقات ما بينهن وبين الله حجاب الحديث وفيه فقال الله لا يقرأ كن أحد من عبادى دبر كل صلاة الا جعلت الجنة مثواه الحديث وفيه الحارث بن عمير وفى ترجمته ذكره حب فى الضعفاء وقال موضوع لا أصل له والحارث يروى عن الاثبات الموضوعات قلت وثقه حماد بن زيد وابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم و ن وروى له خ تعليقا (٦) حديث فضل لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخرها طب فى الدعاء من حديث أنس بسند ضعيف علمني رسول الله ﷺ ما أحترز به من كل شيطان رجيم ومن كل جبار عنيد فذكر حديثا وفى آخره فقل حسبي الله الى آخر السورة وذكر أبو القاسم الغافقى فى فضائل القرآن فى رغائب القرآن لعبد الملك بن حبيب من رواية محمد بن بكار أن رسول الله ﷺ قال من لزم قراءة لقد جاءكم رسول من أنفسكم إلى آخر السورة لم يمت هدما ولا غرقا ولا حرقا ولا ضربا بحديدة وهو ضعيف (٧) حديث فضل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لم أجد فيه حديثا يخصها لكن فى فضل سورة الفتح ما رواه أبو الشيخ فى كتاب من حديث أبى بن كعب من قرأ سورة الفتح فكأنما شهد فتح مكة مع النبي ﷺ وهو حديث موضوع (٨) حديث فضل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية أحمد والطبرانى من حديث معاذ بن أنس آية العز الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا الآية كلها واسناده ضعيف (٩) حديث فضل خمس آيات من أول سورة الحديد ذكر أبو القاسم الغافقي فى فضائل القرآن من حديث على إذا أردت تسأل الله حاجة فاقرأ خمس آيات من أول سورة الحديد الى قوله عليم بذات الصدور ومن آخر سورة الحشر من قوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل الى آخر السورة ثم تقول يا من هو كذا افعل بى كذا وتدعو بما تريد (١٠) حديث فضل ثلاث آيات من آخر سورة الحشر ت من حديث معقل بن يسار وقد تقدم قبل

السهروردي اجازة قال أنا الشيخ أبو منصور بن خيرون قال أنا أبو محمد الحسن بن على الجوهرى اجازة قال أنا محمد ابن العباس بن زكريا قال أنا أبو محمد يحيى بن محمد ابن صاعد الاصفهانى قال حدثنا الحسين بن الحسن المروزى قال أنا عبد الله ابن المبارك قال انا المعتمر بن سليمان قال أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال جاء رجل إلى النبي عليه الصلاة والسلام فقال يا رسول الله متى قيام الساعة فقام رسول الله ﷺ إلى الصلاة فلما قضى الصلاة قال أين السائل عن الساعة فقال الرجل أنا يا رسول الله قال ما أعددت لها قال ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام أو قال ما أعددت لها كبير عمل الا انى احب الله ورسوله فقال النبي عليه الصلاة والسلام المرء مع من احب او انت مع من أحببت قال انس فما رايت

التي

التي أهداها الخضر عليه السلام الى ابراهيم التيمي رحمه الله ووصاه أن يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك فضيلة جملة الأدعية المذكورة فقد روى عن (١) كرز بن وبرة رحمه الله وكان من الابدال قال أتاني أخ لي من أهل الشام فأهدى لي هدية وقال يا كرز اقبل مني هذه الهدية فانها نعمت الهدية فقلت يا أخي ومن أهدى لك هـذه الهدية قال أعطانيها ابراهيم التيمي قلت أفلم تسأل ابراهيم من أعطاه إياها قال بلى قال كنت جالسا في فناء الكعبة وانا في التهليل والتسبيح والتحميد والتمجيد فجاءني رجل فسلم علي وجلس عن يميني فلم أر في زماني أحسن منه وجها ولا أحسن منه ثيابا ولا أشد بياضا ولا أطيب ريحا منه فقلت يا عبد الله من أنت ومن أين جئت فقال أنا الخضر فقلت في أي شيء جئتني فقال جئتك للسلام عليك وحبا لك في الله وعندي هدية أريد أن أهديها لك فقلت ماهي قال أن تقول قبل طلوع الشمس وقبل انبساطها على الأرض وقبل الغروب سورة الحمد وقل أعوذ برب الناس وقل أعوذ برب الفلق وقل هو الله أحد وقل يا أيها الكافرون وآية الكرسي كل واحدة سبع مرات وتقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر سبعا وتصلي على النبي ﷺ سبعا وتستغفر لنفسك ولوالديك وللمؤمنين والمؤمنات سبعا وتقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين والدنيا والآخرة ما أنت له أهل ولا تفعل بنا يا مولانا ما نحن له أهل إنك غفور حليم جواد كريم رؤوف رحيم سبع مرات وانظر أن لا تدع ذلك غدوة وعشية فقلت أحب أن تخبرني من أعطاك هذه العطية العظيمة فقال أعطانيها محمد ﷺ فقلت أخبرني بثواب ذلك فقال اذا لقيت محمدا ﷺ فاسأله عن ثوابه فانه يخبرك بذلك فذكر ابراهيم التيمي انه رأى ذات يوم في منامه كأن الملائكة جاءته فاحتملته حتى أدخلوه الجنة فرأى ما فيها ووصف أمورا عظيمة مما رآه في الجنة قال فسألت الملائكة فقلت لمن هذا فقالوا للذي يعمل مثل عملك وذكر أنه أكل من ثمرها وسقوه من شرابها قال فأتاني النبي ﷺ ومعه سبعون نبيا وسبعون صفا من الملائكة كل صف مثل ما بين المشرق والمغرب فسلم علي وأخذ بيدي فقلت يا رسول الله الخضر أخبرني انه سمع منك هذا الحديث فقال صدق الخضر صدق الخضر وكل ما يحكيه فهو حق وهو عالم أهل الأرض وهو رئيس الابدال وهو من جنود الله تعالى في الأرض فقلت يا رسول الله فمن فعل هذا أو عمله ولم ير مثل الذي رأيت في منامي هل يعطى شيأ مما أعطيته فقال والذي بعثني بالحق نبيا انه ليعطى العامل بهذا وان لم يرني ولم ير الجنة انه ليغفر له جميع الكبائر التي عملها ويرفع الله تعالى عنه غضبه ومقته ويأمر صاحب الشمال أن لا يكتب عليه خطيئة من السيآت الى سنة والذي بعثني بالحق نبيا ما يعمل بهذا إلا من خلقه الله سعيدا ولا يتركه إلا من خلقه الله شقيا وكان ابراهيم التيمي يمكث أربعة أشهر لم يطعم ولم يشرب فلعله كان بعد هذه الرؤيا فهذه وظيفة القراءة فان أضاف اليها شيأ مما انتهى اليه ورده من القرآن أو اقتصر عليه فهو حسن فان القرآن جامع لفضل الذكر والفكر والدعاء مهما كان بتدبر كما ذكرنا فضله وآدابه في باب التلاوة * وأما الأفكار فليكن ذلك إحدى وظائفه وسيأتي تفصيل ما يتفكر فيه وكيفيته في كتاب التفكر من ربع المنجيات ولكن مجامعه ترجع الى فنين * أحدهما أن يتفكر فيما ينفعه من المعاملة بان يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويرتب وظائفه في يومه الذي بين يديه ويدبر في دفع الصوارف والعوائق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل من أعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة من أعماله في نفسه وفي معاملته للمسلمين الفن الثاني فيما ينفعه في علم المكاشفة وذلك بان يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر آلائه الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته بها ويكثر شكره عليها أو في عقوباته ونقماته لتزيد معرفته بقدرة الاله واستغنائه وتزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة يتسع التفكر فيها على بعض الخلق دون البعض وانما نستقصي ذلك في كتاب التفكر ومهما

هذا بورقة وللبيهقي في الشعب من حديث أبي أمامة بسند ضعيف من قرأ خواتيم سورة الحشر في ليل أو نهار فمات من يومه أو ليلته فقد أوجب الله له الجنة (١) حديث كرز بن وبرة عن رجل من أهل الشام عن ابراهيم التيمي ان الخضر علمه المسبعات العشرة وقال في آخرها أعطانيها محمد صلى الله عليه وسلم ليس له أصل ولم يصح

المسلمين ما فرحوا بشيء بعد الاسلام فرحهم بهذا فالمتشبه بالصوفية ما اختار التشبه بهم دون غيرهم من الطوائف إلا لمحبته إياهم وهو مع تقصيره عن القيام بما هم فيه يكون معهم لموضع إرادته ومحبته وقد ورد بلفظ آخر أوضح من الخبر الذي رويناه في المعنى روى عبادة بن الصامت عن أبي ذر الغفاري قال قلت يا رسول الله الرجل يحب القوم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم قال أنت يا أبا ذر مع من أحببت قال قلت فاني أحب الله ورسوله قال فانك مع من أحببت قال فأعادها أبو ذر فأعادها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمحبة المتشبه إياهم لا تكون إلا لتنبه روحه لما تنبهت له أرواح الصوفية لأن محبة أمر الله وما يقرب اليه ومن يقرب منه تكون بجاذب الروح غير أن المتشبه تعوق بظلمة النفس والصوفي تخلص من ذلك والمتصوف مطلع

تيسر الفكر فهو أشرف العبادات إذ فيه معنى الذكر لله تعالى وزيادة أمرين أحدهما زيادة المعرفة إذ الفكر مفتاح المعرفة والكشف والثاني زيادة المحبة إذ لا يحب القلب إلا من اعتقد تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله سبحانه وجلاله إلا بمعرفة صفاته ومعرفة قدرته وعجائب أفعاله فيحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر أيضا يورث الأنس وهو نوع من المحبة ولكن المحبة التي سببها المعرفة أقوى وأثبت وأعظم ونسبة محبة العارف الى أنس الذاكر من غير تمام الاستبصار كنسبة عشق من شاهد جمال شخص بالعين واطلع على حسن أخلاقه وأفعاله وفضائله وخصاله الحميدة بالتجربة الى أنس من كرر على سمعه وصف شخص غائب عن عينه بالحسن في الخلق والخلق مطلقا من غير تفصيل وجوه الحسن فيهما فليس محبته له كمحبة المشاهد وليس الخبر كالمعاينة فالعباد المواظبون على ذكر الله بالقلب واللسان الذين يصدقون بما جاءت به الرسل بالإيمان التقليدي ليس معهم من محاسن صفات الله تعالى إلا أمور جميلة اعتقدوها بتصديق من وصفها لهم والعارفون هم الذين شاهدوا ذلك الجلال والجمال بعين البصيرة الباطنة التي هي أقوى من البصر الظاهر لأن أحدا لم يحط بكنه جلاله وجماله فان ذلك غير مقدور لأحد من الخلق ولكن كل واحد شاهد بقدر ما رفع له من الحجاب ولا نهاية لجمال حضرة الربوبية ولا لحجبها وإنما عدد حجبها التي استحقت أن تسمى نورا وكاد يظن الواصل اليها أنه قد تم وصوله الى الأصل سبعون حجابا قال ﷺ (١) ان لله سبعين حجابا من نور لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل ما أدرك بصره وتلك الحجب أيضا مترتبة وتلك الأنوار متفاوتة في الرتب تفاوت الشمس والقمر والكواكب ويبدو في الأول أصغرها ثم ما يليه وعليه أول بعض الصوفية درجات ما كان يظهر لإبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم في ترقيه وقال فلما جن عليه الليل أي أظلم عليه الأمر رأى كوكبا أي وصل الى حجاب من حجب النور فعبر عنه بالكوكب وما أريد به هذه الأجسام المضيئة فان آحاد العوام لا يخفى عليهم ان الربوبية لا تليق بالأجسام بل يدركون ذلك بأوائل نظرهم فما لا يضلل العوام لا يضلل الخليل عليه السلام والحجب المسماة أنوارا ما أريد بها الضوء المحسوس بالبصر بل أريد بها ما أريد بقوله تعالى الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح الآية ولنتجاوز هذه المعاني فانها خارجة عن علم المعاملة ولا يوصل الى حقائقها إلا الكشف التابع للفكر الصافي وقل من ينفتح له بابه والمتيسر على جماهير الخلائق الفكر فيما يفيد في علم المعاملة وذلك أيضا مما تغزر فائدته ويعظم نفعه فهذه الوظائف الأربعة أعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي أن تكون وظيفة المريد بعد صلاة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من وظيفة الصلاة فليس بعد الصلاة وظيفة سوى هذه الأربع ويقوى على ذلك بأن يأخذ سلاحه ومجنته والصوم وهو الجنة التي تضيق مجاري الشيطان المعادي الصارف له عن سبيل الرشاد وليس بعد طلوع الصبح صلاة سوى ركعتي الفجر وفرض الصبح الى طلوع الشمس كان رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم يشتغلون في هذا الوقت بالأذكار (٢) وهو الأولى إلا أن يغلبه النوم قبل الفرض ولم يندفع إلا بالصلاة فلو صلى لذلك فلا بأس به (الورد الثاني) ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار وأعني بالضحوة منتصف ما بين طلوع الشمس الى الزوال وذلك بمضي ثلاث ساعات من النهار إذا فرض النهار اثنتي عشرة ساعة وهو الربع وفي هذا الربع من النهار وظيفتان زائدتان إحداهما صلاة الضحى وقد ذكرناها في كتاب الصلاة وان الأولى أن يصلي ركعتين عند الاشراق وذلك اذا انبسطت الشمس وارتفعت قدر نصف رمح ويصلي أربعا أو ستا أو ثمانيا اذا رمضت الفصال وضحيت الأقدام بحر الشمس فوقت الركعتين هو الذي أراد الله تعالى بقوله يسبحن بالعشي والاشراق فانه وقت إشراق الشمس وهو ظهور تمام نورها بارتفاعها عن موازات البخارات والغبارات التي على وجه الأرض فانها تمنع

في حديث قط اجتماع الخضر بالنبي صلى الله عليه وسلم ولا عدم اجتماعه ولا حياته ولا موته (١) حديث ان لله سبعين حجابا من نور الحديث تقدم في قواعد العقائد (٢) حديث اشتغاله بالأذكار من الصبح الى طلوع الشمس تقدم حديث جابر بن سمرة عند م في جلوسه صلى الله عليه وسلم اذا صلى الفجر في مجلسه حتى تطلع

الى حال الصوفي وهو مشارك ببقاء شيء من صفات نفسه عليه للمتشبه وطريق الصوفية أوله إيمان ثم علم ثم ذوق فالمتشبه صاحب إيمان والإيمان بطريق الصوفية أصل كبير قال الجنيد رحمة الله عليه الإيمان بطريقنا هذا ولاية ووجه ذلك أن الصوفية تميزوا بأحوال عزيزة وآثار مستغربة عند أكثر الخلق لأنهم مكاشفون بالقدر وغرائب العلوم وإشاراتهم الى عظيم أمر الله والقرب منه والإيمان بذلك إيمان بالقدرة وقد أنكر قوم من أهل الملة كرامات الأولياء والإيمان بذلك إيمان بالقدرة ولهم علوم من هذا القبيل فلا يؤمن بطريقهم إلا من خصه الله تعالى بمزيد عنايته فالمتشبه صاحب إيمان والمتصوف صاحب علم لأنه بعد الإيمان اكتسب مزيد علم بطريقهم وصار له من ذلك مواجيد يستدل بها على سائرها والصوفي صاحب

إشراقها

إشراقها التام ووقت الركعات الاربع هو الضحى الاعلى الذى أقسم الله تعالى به فقال والضحى والليل إذا سجى وخرج رسول الله ﷺ (١) على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى بأعلى صوته ألا ان صلاة الاوابين إذا رمضت الفصال فلذلك نقول اذا كان يقتصر على مرة واحدة فى الصلاة فهذا الوقت أفضل لصلاة الضحى وان كان أصل الفضل يحصل بالصلاة بين طرفى وقتي الكراهة وهو ما بين ارتفاع الشمس بطلوع نصف رمح بالتقريب الى ماقبل الزوال فى ساعة الاستواء واسم الضحى ينطلق على الكل وكأن ركعتي الاشراق تقع فى مبتدا وقت الاذن فى الصلاة وانقضاء الكراهة إذ قال ﷺ (٢) ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاقل ارتفاعها ان ترتفع عن بخارات الارض وغبارها وهذا يراعي بالتقريب ﴿الوظيفة الثانية فى هذا الوقت﴾ الخيرات المتعلقة بالناس التي جرت بها العادات بكرة من عيادة مريض وتشييع جنازة ومعاونة على بر وتقوى وحضور مجلس علم وما يجرى مجراه من قضاء حاجة لمسلم وغيرها فان لم يكن شئ من ذلك عاد الى الوظائف الاربع التي قدمناها من الادعية والذكر والقراءة والفكر والصلوات المتطوع بها ان شاء فانها مكروهة بعد صلاة الصبح وليست مكروهة الآن فتصير الصلاة قسما خامسا من جملة وظائف هذا الوقت لمن أراده أما بعد فريضة الصبح فتكره كل صلاة لا سبب لها وبعد الصبح الأحب أن يقتصر على ركعتي الفجر وتحية المسجد ولا يشتغل بالصلاة بل بالاذكار والقراءة والدعاء والفكر ﴿الورد الثالث﴾ من ضحوة النهار الى الزوال ونعنى بالضحوة المنتصف وماقبله بقليل وان كان بعد كل ثلاث ساعات أمر بصلاة فاذا انقضى ثلاث ساعات بعد الطلوع فعندها وقبل مضيها صلاة الضحى فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالظهر فاذا مضت ثلاث ساعات أخرى فالعصر فاذا مضت ثلاث أخرى فالمغرب ومنزلة الضحى بين الزوال والطلوع كمنزلة العصر بين الزوال والغروب الا أن الضحى لم تفرض لانه وقت انكباب الناس على أشغالهم فخفف عنهم ﴿الوظيفة الرابعة﴾ فى هذا الوقت الاقسام الاربعة وزيد أمران * أحدهما الاشتغال بالكسب وتدبير المعيشة وحضور السوق فان كان تاجرا فينبغي أن يتجر بصدق وأمانة وان كان صاحب صناعة فبصنع وشفقة ولا ينسى ذكر الله تعالى فى جميع أشغاله ويقتصر من الكسب على قدر حاجته ليومه مهما قدر على أن يكتسب فى كل يوم لقوته فاذا حصل كفاية يومه فليرجع الى بيت ربه وليتزود لآخرته فان الحاجة الى زاد الآخرة أشد والتمتع به أدوم فالاشتغال بكسبه أهم من طلب الزيادة على حاجة الوقت فقد قيل لا يوجد المؤمن الا فى ثلاث مواطن مسجد يعمره أو بيت يستره أو حاجة لا بد له منها وقل من يعرف القدر فيما لا بد منه بل أكثر الناس يقدرون فيما عنه بد انه لا بد لهم منه وذلك لان الشيطان يعدهم الفقر ويأمرهم بالفحشاء فيصغون اليه ويجمعون ما لا يأكلون خيفة الفقر والله يعدهم مغفرة منه وفضلا فيعرضون عنه ولا يرغبون فيه * الامر الثانى القيلولة وهى سنة يستعان بها على قيام الليل كما ان التسحر سنة يستعان به على صيام النهار فان كان لا يقوم بالليل لكن لو لم ينم لم يشتغل بخير وربما خالط أهل الغفلة وتحدث معهم فالنوم أحب له إذا كان لا ينبعث نشاطه للرجوع الى الاذكار والوظائف المذكورة إذ فى النوم الصمت والسلامة وقد قال بعضهم يأتى على الناس زمان الصمت والنوم فيه أفضل أعمالهم وكم من عابد أحسن أحواله النوم وذلك اذا كان يرائى بعبادته ولا يخلص فيها فكيف بالغافل الفاسق قال سفيان الثورى رحمه الله كان يعجبهم اذا تفرغوا أن يناموا طلبا للسلامة فاذا كان نومه على قصد طلب السلامة ونية قيام الليل كان نومه قربة ولكن ينبغي أن يتنبه قبل الزوال بقدر الاستعداد للصلاة بالوضوء وحضور المسجد قبل دخول وقت الصلاة فان ذلك من فضائل الاعمال وان لم ينم ولم يشتغل بالكسب واشتغل بالصلاة والذكر فهو أفضل أعمال النهار لانه وقت غفلة الناس عن الله عز وجل واشتغالهم بهموم الدنيا فالقلب المتفرغ لخدمة ربه عند اعراض العبيد

الشمس وليس فيه ذكر اشتغاله بالذكر وانما هو من قوله عما تقدم من حديث أنس (١) حديث خرج على أصحابه وهم يصلون عند الاشراق فنادى باعلى صوته الا إن صلاة الأوابين اذا رمضت الفصال طب من حديث زيد بن أرقم دون قوله فنادى بأعلى صوته وهو عند م دون ذكر الاشراق (٢) حديث ان الشمس تطلع

سنة الله تعالى جارية أن كل صاحب حال له ذوق فيه لا بد أن يكشف له علم بحال أعلى مما هو فيه فيكون فى الحال الاول صاحب ذوق وفى الحال الذى كوشف به صاحب علم وبحال فوق ذلك صاحب ايمان حتى لا يزال طريق الطلب مسلوكا فيكون فى حال الذوق صاحب قدم وفى حال العلم صاحب نظر وفى حال فوق ذلك صاحب ايمان قال الله تعالى (ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون) وصف الأبرار ووصف شرابهم ثم قال سبحانه وتعالى (ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون) فكان لشراب الأبرار مزج من شراب المقربين وللمقربين ذلك صرفا فللصوفى شراب صرف وللمتوصف من ذلك مزج فى شرابه وللتشبه مزج من شراب المتوصف فالصوفى سبق الى مقار الروح من بساط

عليه من وصفه فهو مجتهد فى طريقه سائر الى ربه قال رسول الله ﷺ سيروا سبق المفردون قيل من المفردون يارسول الله قال المستهترون بذكر الله وضع الذكر عنهم أوزارهم فوردوا القيامة خفافا فالصوفى فى مقام المفردين والمتصوف فى مقام السائرين وأصل فى سيره الى مقار القلب من ذكر الله عزوجل ومراقبته بقلبه وتلذذه بنظره الى نظر الله اليه فالصوفى فى مقار الروح صاحب مشاهدة والمتصوف فى مقار القلب صاحب مراقبة والمتشبه فى مقاومة النفس صاحب مجاهدة وصاحب محاسبة فتلوين الصوفى بوجود قلبه وتلوين المتصوف بوجود نفسه والمتشبه لا تلوين له لان التلوين لارباب الاحوال والمتشبه مجتهد

عن بابه جدير بان يزكيه الله تعالى ويصطفيه لقربه ومعرفته وفضل ذلك كفضل احياء الليل فان الليل وقت الغفلة بالنوم وهذا وقت الغفلة باتباع الهوى والاشتغال بهموم الدنيا واحد معنى قوله تعالى وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أى يخلف أحدهما الآخر فى الفضل والثانى أنه يخلفه فيتدارك فيه مافات فى أحدهما ﴿الورد الرابع﴾ ما بين الزوال إلى الفراغ من صلاة الظهر وراتبته وهذا أقصر أوراد النهار وأفضلها فاذا كان قد توضأ قبل الزوال وحضر المسجد فمهما زالت الشمس وابتدأ المؤذن الاذان فليصبر الى الفراغ من جواب أذانه ثم ليقم إلى احياء ما بين الاذان والاقامة فهو وقت الاظهار الذى أراده الله تعالى بقوله وحين تظهرون (١) وليصل فى هذا الوقت أربع ركعات لا يفصل بينهن بتسليمة واحدة وهذه الصلاة وحدها من بين سائر صلوات النهار نقل بعض العلماء أنه يصليها بتسليمة واحدة ولكن طعن فى تلك الرواية ومذهب الشافعى رضى الله عنه أنه يصلى مثنى مثنى كسائر النوافل ويفصل بتسليمة وهو الذى صحت به الاخبار (٢) وليطول هذه الركعات اذفيها تفتح أبواب السماء كما أوردنا الخبر فيه فى باب صلاة التطوع وليقرأ فيها سورة البقرة أو سورة من المئين أو أربعا من المثانى فهذه ساعات يستجاب فيها الدعاء وأحب رسول الله ﷺ أن يرفع له فيها عمل ثم يصلى الظهر بجماعة بعد أربع ركعات طويلة كما سبق أو قصيرة لا ينبغى أن يدعها ثم ليصل بعد الظهر ركعتين ثم أربعا فقد كره ابن مسعود أن تتبع الفريضة بمثلها من غير فاصل ويستحب أن يقرأ فى هذه النافلة آية الكرسى وآخر سورة البقرة والآيات التى أوردناها فى الورد الاول ليكون ذلك جامعا له بين الدعاء والذكر والقراءة والصلاة والتحميد والتسبيح مع شرف الوقت ﴿الورد الخامس﴾ ما بعد ذلك الى العصر ويستحب فيه العكوف فى المسجد مشتغلا بالذكر والصلاة أو فنون الخير ويكون فى انتظار الصلاة معتكفا فمن فضائل الاعمال انتظار الصلاة بعد الصلاة وكان ذلك سنة السلف وكان الداخل يدخل المسجد بين الظهر والعصر فيسمع للمصلين دويا كدوى النحل من التلاوة فان كان بيته أسلم لدينه وأجمع لهمه فالبيت أفضل فى حقه فاحياء هذا الورد وهو أيضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث فى الفضل وفى هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار قال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والأكل من غير جوع والنوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد فى النوم أن الليل والنهار أربع وعشرون ساعة فالاعتدال فى نومه ثمان ساعات فى الليل والنهار جميعا فان نام هذا القدر بالليل فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه بالنهار فحسب ابن آدم ان عاش ستين سنة أن ينقص من عمره عشرون سنة ومهما نام ثمان ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الأبدان وكما ان العلم والذكر غذاء القلب لم يمكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان منه ربما يفضى الى اضطراب البدن الا من يتعود السهر تدريجا فقد يمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من أطول الاوراد وأمتعها للعباد وهو أحد الاصال التى ذكرها الله تعالى اذ قال ولله يسجد من فى السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال واذا سجد لله عزوجل الجمادات فكيف يجوز أن يغفل العبد العاقل عن أنواع العبادات ﴿الورد السادس﴾ اذا دخل وقت العصر دخل وقت الورد السادس وهو الذى أقسم الله تعالى به فقال تعالى والعصر هذا أحد معنى الآية وهو المراد بالآصال فى أحد التفسيرين وهو العشى المذكور فى قوله وعشيا وفى قوله بالعشى والاشراق وليس فى هذا الورد صلاة الا أربع ركعات بين الاذان والاقامة كما سبق فى الظهر ثم يصلى الفرض ويشتغل بالاقسام الاربعة المذكورة فى الورد الاول الى أن ترتفع الشمس الى رؤس الحيطان وتصفر والافضل فيه اذ منع عن الصلاة تلاوة القرآن بتدبر وتفهم اذ

ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها تقدم فى الصلاة (١) حديث صلاة أربع بعد الزوال بتسليمة واحدة وفيه انها فيها تفتح أبواب السماء وانها ساعة يستجاب فيها الدعاء فأحب أن يرفع لى فيها عمل صالح د ه من حديث أبى أيوب وقد تقدم فى الصلاة فى الباب السادس (٢) حديث صلاة الليل والنهار مثنى مثنى د وحب

بجمع ذلك بين الذكر والدعاء والفكر فيندرج في هذا القسم أكثر مقاصد الاقسام الثلاثة ﴿الورد السابع﴾ اذا اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطى نورها الغبارات والبخارات التي على وجه الارض ويرى صفرة في ضوئها دخل وقت هذا الورد وهو مثل الورد الاول من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو المراد بقوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وهذا هو الطرف الثاني المراد بقوله تعالى فسبح وأطراف النهار قال الحسن كانوا أشد تعظيما للعشى منهم لأول النهار وقال بعض السلف كانوا يجعلون أول النهار للدنيا وآخره للآخرة فيستحب في هذا الوقت التسبيح والاستغفار خاصة وسائر ما ذكرناه في الورد الاول مثل أن يقول أستغفر الله الذي لا إله الا هو الحي القيوم وأسأله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده مأخوذ من قوله تعالى واستغفر لذنبك وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار والاستغفار على الاسماء التي في القرآن أحب كقوله أستغفر الله انه كان غفارا أستغفر الله إنه كان توابا رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ويستحب أن يقرأ قبل غروب الشمس والشمس وضحاها والليل اذا يغشى والمعوذتين ولتغرب الشمس عليه وهو في الاستغفار فاذا سمع الاذان قال اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك كما سبق ثم يجيب المؤذن ويشتغل بصلاة المغرب وبالغروب قد انتهت أوراد النهار فينبغي أن يلاحظ العبد أحواله ويحاسب نفسه فقد انقضى من طريقه مرحلة فان ساوى يومه أمسه فيكون مغبونا وان كان شرا منه فيكون ملعونا فقد قال ﷺ (١) لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا فان رأى نفسه متوفرا على الخير جميع نهاره مترفها عن التجشم كانت بشارة فليشكر الله تعالى على توفيقه وتسديده اياه لطريقه وان تكن الاخرى فالليل خلفة النهار فليعزم على تلافي ما سبق من تفريطه فان الحسنات يذهبن السيآت وليشكر الله تعالى على صحة جسمه وبقاء بقية من عمره طول ليله ليشتغل بتدارك تقصيره وليحضر في قلبه ان نهار العمر له آخر تغرب فيه شمس الحياة فلا يكون لها بعد طلوع وعند ذلك يغلق باب التدارك والاعتذار فليس العمر الا أياما معدودة تنقضي لا محالة جملتها بانقضاء آحادها

﴿بيان أوراد الليل وهي خمسة﴾

﴿الاول﴾ اذا غربت الشمس صلى المغرب واشتغل باحياء ما بين العشاءين فآخر هذا الورد عند غيبوبة الشفق أعني الحمرة التي بغيبوبتها يدخل وقت العتمة وقد أقسم الله تعالى به فقال فلا أقسم بالشفق والصلاة فيه هي ناشئة الليل لأنه أول نشو ساعاته وهو آن من الآناء المذكورة في قوله تعالى ومن آناء الليل فسبح وهي صلاة الاوابين وهي المراد بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع روى ذلك عن الحسن وأسنده ابن أبي زياد الى رسول الله ﷺ أنه سئل (٢) عن هذه الآية فقال ﷺ الصلاة بين العشاءين ثم قال ﷺ عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره والملغاة جمع ملغاة من اللغو وسئل أنس رحمه الله عمن ينام بين العشاءين فقال لا تفعل فانها الساعة المعنية بقوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وسيأتي فضل احياء ما بين العشاءين في الباب الثاني * وترتيب هذا الورد أن يصلى بعد المغرب ركعتين أولا يقرأ فيهما قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد ويصليهما عقيب المغرب من غير تخلل كلام ولا شغل ثم يصلى أربعا يطيلها ثم يصلى الى غيبوبة الشفق ما تيسر له وان كان المسجد قريبا من المنزل فلا بأس أن يصليها في بيته ان لم يكن عزمه العكوف في المسجد

من حديث ابن عمر (١) حديث لا بورك لي في يوم لا أزداد فيه خيرا تقدم في العلم في الباب الاول الا أنه قال علما بدل خيرا (٢) حديث سئل عن قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع فقال الصلاة بين العشاءين ثم قال عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات النهار وتهذب آخره قال المصنف أسنده ابن أبي الزناد ٧ الى رسول الله ﷺ قلت انما هو اسماعيل بن أبي زياد بالياء المثناة من تحت رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من رواية اسماعيل بن أبي زياد الشامي عن الأعمش حدثنا أبو العلاء العنبري عن سلمان قال قال

٧ قول العراقي ابن أبي الزناد هي نسخة وقعت له والا ففي النسخ الصحيحة ابن أبي زياد فتأمل اهـ مصححه

سالك لم يصل بعد الى الاحوال والكل تجمعهم دائرة الاصطفاء قال الله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات قال بعضهم الظالم الزاهد والمقتصد العارف والسابق المحب وقال بعضهم الظالم الذي يجزع من البلاء والمقتصد الذي يصبر عند البلاء والسابق الذي يتلذذ بالبلاء وقال بعضهم الظالم يعبد على الغفلة والعادة والمقتصد يعبد على الرغبة والرهبة والسابق يعبد على الهيبة والمنة وقال بعضهم الظالم يذكر الله بلسانه والمقتصد بقلبه والسابق لا ينسى ربه وقال أحمد ابن عاصم الانطاكي رحمه الله الظالم صاحب الاقوال والمقتصد صاحب الافعال والسابق صاحب الاحوال وكل هذه الاقوال قريبة التناسب من حال الصوفي والمتصوف والمتشبه وكلهم من أهل الفلاح والنجاح تجمعهم دائرة الاصطفاء وتؤلف بينهم نسبة التخصيص بالمنح والعطاء ﴿أخبرنا﴾

وان عزم على العكوف فى انتظار العتمة فهو الافضل إذا كان آمنا من التصنع والرياء ﴿الورد الثانى﴾ يدخل بدخول وقت العشاء الآخرة الى حد نومة الناس وهو أول استحكام الظلام وقد أقسم الله تعالى به اذ قال والليل وما وسق أى وما جمع من ظلمته وقال الى غسق الليل فهنالك يغسق الليل و تستوسق ظلمته * وترتيب هذا الورد بمراعاة ثلاثة أمور * الاول أن يصلى سوى فرض العشاء عشر ركعات أربعا قبل الفرض احياء لما بين الاذانين وستا بعد الفرض ركعتين ثم أربعا و يقرأ فيها من القرآن الآيات المخصوصة كآخر البقرة وآية الكرسى وأول الحديد وآخر الحشر وغيرها * والثانى أن يصلى [1] ثلاث عشرة ركعة آخرهن الوتر فانه أكثر ماروى أن النبى ﷺ صلى بها من الليل والاكياس يأخذون أوقاتهم من أول الليل والاقوياء من آخره والحزم التقديم فانه ربما لا يستيقظ أو يثقل عليه القيام الا اذا صار ذلك عادة له فآخر الليل أفضل ثم ليقرأ فى هذه الصلاة قدر ثلثمائة آية من السور المخصوصة التى كان النبى ﷺ يكثر قراءتها مثل يس [2] وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة فان لم يصل فلا يدع قراءة هذه السور أو بعضها قبل النوم فقد روى فى ثلاث أحاديث ما كان يقرؤه رسول الله ﷺ [3] فى كل ليلة أشهرها السجدة وتبارك الملك والزمر [4] والواقعة وفى رواية الزمر وبنى اسرائيل وفى أخرى أنه كان يقرأ [5] المسبحات فى كل ليلة ويقول فيها آية أفضل من ألف آية وكان العلماء يجعلونها ستا فيزيدون سبح اسم ربك الاعلى إذ فى الخبر أنه ﷺ [6] كان يحب سبح اسم ربك الاعلى [7] وكان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر ثلاث سور سبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك القدوس ثلاث مرات

رسول الله ﷺ عليكم بالصلاة بين العشاءين فانها تذهب بملاغات أول النهار ومهذبة آخره واسماعيل هذا متروك يضع الحديث قال الدارقطنى واسم أبى زياد مسلم وقد اختلف فيه على الأعمش ولابن مردويه من حديث أنس أنها نزلت فى الصلاة بين المغرب والعشاء والحديث عند ت وحسنه بلفظ نزلت فى انتظار الصلاة التى تدعى العتمة (١) حديث الوتر ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل وانه أكثر ما صلى به النبى صلى الله عليه وسلم من الليل د من حديث عائشة لم يكن يوتر بانقص من سبع ولا بأكثر من ثلاث عشرة ركعة و خ من حديث ابن عباس كانت صلاته ثلاث عشرة ركعة يعنى بالليل و م كان يصلى من الليل ثلاث عشر ركعة وفى رواية للشيخين منها ركعتا الفجر ولهما أيضا ما كان يزيد فى رمضان ولا غيره على احدى عشرة ركعة (٢) حديث اكثاره صلى الله عليه وسلم من قراءة يس وسجدة لقمان وسورة الدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة غريب لم أقف على ذكر الاكثار فيه و حب من حديث جندب من قرأ يس فى ليلة ابتغاء وجه الله غفر له و ت من حديث جابر كان لا ينام حتى يقرأ الم تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك وله من حديث عائشة كان لا ينام حتى يقرأ بنى اسرائيل والزمر وقال حسن غريب وله من حديث أبى هريرة من قرأ حم الدخان فى ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك وقال غريب ولابى الشيخ فى الثواب من حديث عائشة من قرأ فى ليلة الم تنزيل ويس وتبارك الذى بيده الملك واقتربت كن له نورا الحديث ولابى منصور المظفر بن الحسين الغزنوى فى فضائل القرآن من حديث على يا على أكثر من قراءة يس الحديث وهو منكر وللحارث بن أبى أسامة من حديث ابن مسعود بسند ضعيف من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة ابدا و ت من حديث ابن عباس شيبتنى هود والواقعة الحديث وقال حسن غريب (٣) حديث كان يقرأ فى كل ليلة السجدة وتبارك الملك ت وتقدم فى الحديث قبله (٤) حديث كان يقرأ فى كل ليلة الزمر وبنى اسرائيل ت وتقدم أيضا (٥) حديث كان يقرأ المسبحات فى كل ليلة و يقول فيهن آية أفضل من ألف آية د ت وقال حسن و ن فى الكبرى من حديث عرباض بن سارية (٦) حديث كان يحب سبح اسم ربك الاعلى أحمد والبزار من حديث على بسند ضعيف

(٧) حديث كان يقرأ فى ثلاث ركعات الوتر بسبح اسم ربك الاعلى وقل يا أيها الكافرون والاخلاص د ن

أنا القاضى محمد بن سعيد قال أنا أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم قال أخبرنى الحسين بن محمد ابن فنجويه قال حدثنا أحمد بن محمد بن رزمة قال حدثنا يوسف بن عاصم الرازى قال حدثنا أبو أيوب سليمان بن داود قال حدثنا حصين ابن نمير عن أبى ليلى عن أخيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ انه قال فى قوله تعالى فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات كلهم فى الجنة قال ابن عطاء الظالم الذى يحب الله من أجل الدنيا والمقتصد الذى يحب الله من أجل العقبى والسابق هو الذى أسقط مراده بمراد الله فيه وهذا هو حال الصوفى فالمتشبه تعرض لشىء من أمر القوم و يوجب له ذلك القرب منهم

* الثالث الوتر وليوتر قبل النوم ان لم يكن عادته القيام قال أبو هريرة رضي الله عنه أوصاني رسول الله ﷺ (١) أن لا أنام الا على وتر وان كان معتادا صلاة الليل فالتأخير أفضل قال ﷺ (٢) صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة وقالت عائشة رضي الله عنها أوتر رسول الله ﷺ (٣) أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر وقال علي رضي الله عنه الوتر على ثلاثة أنحاء ان شئت أوترت أول الليل ثم صليت ركعتين ركعتين يعني أنه يصير وترا بما مضى وان شئت أوترت بركعة فاذا استيقظت شفعت اليها أخرى ثم أوترت من آخر الليل وان شئت أخرت الوتر ليكون آخر صلاتك هذا ما روي عنه والطريق الاول والثالث لا بأس به (٤) وأما نقض الوتر فقد صح فيه نهي فلا ينبغي أن ينقض وروي مطلقا انه ﷺ (٥) قال لا وتران في ليلة ولمن يتردد في استيقاظه تلطف استحسنه بعض العلماء وهو أن يصلي بعد الوتر ركعتين جالسا على فراشه عند النوم كان رسول الله ﷺ (٦) يزحف الى فراشه ويصليهما ويقرأ فيهما اذا زلزلت وألهاكم لما فيهما من التحذير والوعيد وفي رواية قل يا أيها الكافرون لما فيها من التبرئة وافراد العبادة لله تعالى فقيل ان استيقظ قامتا مقام ركعة واحدة وكان له أن يوتر بواحدة في آخر صلاة الليل وكأنه صار ما مضى شفعا بهما وحسن استئناف الوتر واستحسن هذا أبو طالب المكي وقال فيه ثلاثة أعمال قصر الامل وتحصيل الوتر والوتر آخر الليل وهو كما ذكره لكن ربما يخطر انهما لو شفعتا ما مضى لكان كذلك وان لم يستيقظ وأبطل وتره الاول فكونه شافعا ان استيقظ غير مشفع ان نام فيه نظر الا ان يصح من رسول الله ﷺ ايتاره قبلهما واعادته الوتر فيفهم منه ان الركعتين شفع بصورتهما وتر بمعناهما فيحسب وترا ان لم يستيقظ وشفعا ان استيقظ ثم يستحب بعد التسليم من الوتر أن يقول سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح جللت السموات والارض بالعظمة والجبروت وتعززت بالقدرة وقهرت العباد بالموت روي أنه ﷺ (٧) ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا الا المكتوبة وقد قال (٨) للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد وذلك يدل على صحة النافلة نائما (الورد الثالث) النوم ولا بأس أن يعد ذلك في الاوراد فانه اذا روعيت آدابه احتسب عبادة فقد قيل (٩) ان العبد اذا نام على طهارة وذكر الله تعالى يكتب مصليا حتى يستيقظ ويدخل في شعاره ملك فان تحرك في نومه فذكر الله تعالى دعا له الملك واستغفر له الله وفي الخبر (١٠) اذا نام على طهارة رفع روحه الى العرش هذا في العوام فكيف بالخواص والعلماء وأرباب القلوب الصافية

ه من حديث أبي بن كعب باسناد صحيح وتقدم في الصلاة من حديث أنس (١) حديث أبي هريرة أوصاني رسول الله ﷺ أن لا أنام الا على وتر متفق عليه بلفظ ان أوتر قبل أن أنام (٢) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه من حديث ابن عمر (٣) حديث عائشة أوتر رسول الله ﷺ أول الليل وأوسطه وآخره وانتهى وتره الى السحر متفق عليه (٤) حديث النهي عن نقض الوتر قال المصنف صح فيه نهي قلت وانما صح من قول عائذ بن عمرو وله صحبة كما رواه خ ومن قول ابن عباس كما رواه هق ولم يصرح بأنه مرفوع فالظاهر أنه انما أراد ما ذكرناه عن الصحابة (٥) حديث لا وتران في ليلة د ت وحسنه ون من حديث طلق بن علي (٦) حديث الركعتين بعد الوتر جالسا تقدم في الصلاة رواه مسلم من حديث عائشة (٧) حديث ما مات حتى كان أكثر صلاته جالسا الا المكتوبة متفق عليه من حديث عائشة لما مرض النبي ﷺ وثقل كان أكثر صلاته جالسا (٨) حديث للقاعد نصف أجر القائم وللنائم نصف أجر القاعد خ من حديث عمران بن حصين (٩) حديث قيل انه اذا نام على طهارة ذاكرا لله تعالى يكتب مصليا ويدخل في شعاره ملك الحديث حب من حديث ابن عمر من بات طاهرا بات في شعاره ملك فلم يستيقظ الا قال الملك اللهم اغفر لعبدك فلان فانه بات طاهرا (١٠) حديث اذا نام على الطهارة رفع روحه الى العرش ابن المبارك في الزهد موقوفا على أبي الدرداء وهق في الشعب موقوفا على عبد الله بن عمرو بن العاص وروى طب في الأوسط من حديث علي ما من عبد ولا أمة تنام فتثقل نوما الا عرج بروحه الى العرش فالذي لا يستيقظ الا عند العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ

والقرب منهم مقدمة كل خير (سمعت) شيخنا يقول جاء بعض أبناء الدنيا الى الشيخ أحمد الغزالي ونحن بأصبهان يريد منه الخرقة فقال له الشيخ اذهب الى فلان يشير الى حتى يكلمك في معنى الخرقة ثم احضر حتى ألبسك الخرقة قال فجاء الي فذكرت له حقوق الخرقة وما يجب من رعاية حقها وآداب من يلبسها ومن يؤهل للبسها فاستعظم الرجل حقوق الخرقة وجبن ان يلبسها فأخبر الشيخ بما تجدد عند الطالب من قولي له فاستحضرني وعاتبني على قولي له ذلك وقال بعثته اليك حتى تكلمه بما يزيد رغبته في الخرقة فكلمته بما فترت عزيمته ثم الذي ذكرته كله صحيح وهو الذي يجب من حقوق الخرقة ولكن اذا ألزمنا المبتدي بذلك نفر وعجز عن القيام به فنحن نلبسه الخرقة حتى يتشبه بالقوم ويتزيى بزيهم فيقربه ذلك من مجالسهم ومحافلهم وببركة مخالطته معهم ونظره الى أحوال القوم وسيرهم

فانهم يكاشفون بالأسرار فى النوم ولذلك قال ﷺ (١) نوم العالم عبادة و نفسه تسبيح (٢) وقال معاذ لأبي موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيأ و أتفوق القرآن فيه تفوقا فقال معاذ لكنى أنا أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما أحتسب من قومتى فذكرا ذلك لرسول الله ﷺ فقال معاذ أفقه منك ﴿وآداب النوم عشرة * الاول الطهارة والسواك﴾ قال ﷺ (٣) اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة وان لم ينم على الطهارة قصرت روحه عن البلوغ فتلك المنامات أضغاث أحلام لا تصدق وهذا أريد به طهارة الظاهر والباطن جميعا وطهارة الباطن هى المؤثرة فى انكشاف حجاب الغيب * الثانى أن يعد عند رأسه سواكه وطهوره و ينوى القيام للعبادة عند التيقظ وكلما يتنبه يستاك كذلك كان يفعله بعض السلف وروى عن رسول الله ﷺ (٤) أنه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها و إن لم تتيسر له الطهارة يستحب له مسح الأعضاء بالماء فان لم يجد فليقعد وليستقبل القبلة وليشتغل بالذكر والدعاء والتفكر فى آلاء الله تعالى و قدرته فذلك يقوم مقام قيام الليل وقال ﷺ (٥) من أتى فراشه وهو ينوى أن يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة عليه من الله تعالى * الثالث أن لا يبيت من له وصية إلا و وصيته مكتوبة عند رأسه فانه لا يأمن القبض فى النوم فان من مات من غير وصية لم يؤذن له فى الكلام بالبرزخ الى يوم القيامة يتزاوره الأموات و يتحدثون وهو لا يتكلم فيقول بعضهم لبعض هذا المسكين مات من غير وصية وذلك مستحب خوف موت الفجأة وموت الفجأة تخفيف إلا لمن ليس مستعدا للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم * الرابع أن ينام تائبا من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه بظلم أحد ولا يعزم على معصية ان استيقظ قال ﷺ (٦) من أوى الى فراشه لا ينوى ظلم أحد ولا يحقد على أحد غفر له ما اجترم * الخامس أن لا يتنعم بتمهيد الفرش الناعمة بل يترك ذلك أو يقتصد فيه كان بعض السلف يكره التمهيد للنوم و يرى ذلك تكلفا وكان أهل الصفة لا يجعلون بينهم و بين التراب حاجزا و يقولون منها خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك أرق لقلوبهم وأجدر بتواضع نفوسهم فمن لم تسمح بذلك نفسه فليقتصد * السادس أن لا ينام ما لم يغلبه النوم ولا يتكلف استجلابه إلا اذا قصد به الاستعانة على القيام فى آخر الليل فقد كان نومهم غلبة وأكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك وصفوا بأنهم كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وان غلبه النوم عن الصلاة والذكر وصار لا يدرى ما يقول فلينم حتى يعقل ما يقول وكان ابن عباس رضى الله عنه يكره النوم قاعدا وفى الخبر (٧) لا تكابدوا الليل وقيل لرسول الله ﷺ (٨) ان فلانة تصلى

دون العرش فهى الرؤيا التى تكذب هو ضعيف (١) حديث نوم العالم عبادة ونفسه تسبيح قلت المعروف فيه الصائم دون العالم وقد تقدم فى الصوم (٢) حديث قال معاذ لأبى موسى كيف تصنع فى قيام الليل فقال أقوم الليل أجمع لا أنام منه شيأ وأتفوق القرآن تفوقا قال معاذ لكنى أنام ثم أقوم وأحتسب فى نومتى ما أحتسب فى قومتى فذكر ذلك للنبى ﷺ فقال معاذ أفقه منك متفق عليه بنحوه من حديث أبى موسى وليس فيه أنهما ذكرا ذلك للنبى ﷺ ولا قوله معاذ أفقه منك وانما زاد فيه طب فكان معاذ افضل منه (٣) حديث اذا نام العبد على طهارة عرج بروحه الى العرش فكانت رؤياه صادقة الحديث تقدم (٤) حديث انه كان يستاك فى كل ليلة مرارا عند كل نومة وعند التنبه منها تقدم فى الطهارة (٥) حديث من اتى فراشه وهو ينوى ان يقوم يصلى من الليل فغلبته عيناه حتى يصبح كتب له ما نوى وكان نومه صدقة من الله عليه ن ه من حديث ابى الدرداء بسند صحيح (٦) حديث من اوى الى فراشه لا ينوى ظلم احد ولا يحقد على احد غفر له ما اجترم ابن ابى الدنيا فى كتاب النية من حديث انس من اصبح ولم يهم بظلم احد غفر له ما اجترم وسنده ضعيف (٧) حديث لا تكابدوا الليل ابو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أنس بسند ضعيف وفى جامع سفيان الثورى موقوفا على ابن مسعود لا تغالبوا هذا الليل (٨) حديث قيل له ان فلانة تصلى فاذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهاها عن ذلك الحديث متفق عليه من حديث أنس

شيخنا رحمه الله قال انا عصام الدين عمر بن احمد الصفار قال انا ابو بكر احمد ابن علي بن خلف قال انا الشيخ عبد الرحمن السلمي قال سمعت الحسين بن يحيي يقول سمعت جعفرا يقول سمعت ابا القاسم الجنيد يقول اذا لقيت الفقير فلا تبدأه بالعلم وابدأه بالرفق فان العلم يوحشه والرفق يؤنسه و رفق الصوفية بالمتشبهين بهم ينفع المبتدئ الطالب و كل من كان منهم أكمل حالا واوفر علما كان اكثر رفقا بالمبتدئ الطالب (حكى) عن بعضهم انه صحبه طالب فكان يأخذ نفسه بكثرة المعاملات والمجاهدات ولم يقصد بذلك إلا نظر المبتدئ اليه والتأدب به والاقتداء به فى عمله وهذا هو الرفق الذي ما دخل فى شيء

بالليل

بالليل فإذا غلبها النوم تعلقت بحبل فنهى عن ذلك وقال ليصل أحدكم من الليل ما تيسر له فإذا غلبه النوم فليرقد وقال صلى الله عليه وسلم [١] تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لن يمل حتى تملوا وقال ﷺ [٢] خير هذا الدين أيسره وقيل له ﷺ [٣] إن فلانا يصلي فلا ينام ويصوم فلا يفطر فقال لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني وقال ﷺ [٤] لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه فلا تبغض إلى نفسك عبادة الله * السابع أن ينام مستقبل القبلة والاستقبال على ضربين أحدهما استقبال المحتضر وهو المستلقي على قفاه فاستقباله أن يكون وجهه وأخمصاه إلى القبلة والثاني استقبال اللحد وهو أن ينام على جنب بأن يكون وجهه إليها مع قبالة بدنه إذا نام على شقه الأيمن * الثامن [٥] الدعاء عند النوم فيقول باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك أرفعه إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في كتاب الدعوات ويستحب أن يقرأ الآيات المخصوصة مثل آية الكرسي وآخر البقرة وغيرهما وقوله تعالى وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو إلى قوله لقوم يعقلون يقال إن من قرأها عند النوم حفظ الله عليه القرآن فلم ينسه ويقرأ من سورة الأعراف هذه الآية إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام إلى قوله قريب من المحسنين وآخر بني إسرائيل قل ادعوا الله الآيتين فإنه يدخل في شعاره ملك يوكل بحفظه فيستغفر له ويقرأ المعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده كذلك روي من فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٦] وليقرأ عشرا من أول الكهف وعشرا من آخرها وهذه الآي للاستيقاظ لقيام الليل وكان علي كرم الله وجهه يقول ما أرى أن رجلا مستكملا عقله ينام قبل أن يقرأ الآيتين من آخر سورة البقرة وليقل خمسا وعشرين مرة سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ليكون مجموع هذه الكلمات الأربع مائة مرة * التاسع أن يتذكر عند النوم أن النوم نوع وفاة والتيقظ نوع بعث قال الله تعالى الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقال وهو الذي يتوفاكم بالليل فسماه توفيا وكما أن المستيقظ تنكشف له مشاهدات لا تناسب أحواله في النوم فكذلك المبعوث يرى ما لم يخطر قط بباله ولا شاهده حسه ومثل النوم بين الحياة والموت مثل البرزخ بين الدنيا والآخرة وقال لقمان لابنه يا بني إن كنت تشك في الموت فلا تنم فكما أنك تنام كذلك تموت وإن كنت تشك في البعث فلا تنتبه فكما أنك تنتبه بعد نومك فكذلك تبعث بعد موتك وقال كعب الأحبار إذا نمت فاضطجع على شقك الأيمن واستقبل القبلة بوجهك فإنها وفاة وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله ﷺ [٧] آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى وهو يرى أنه ميت في ليلته تلك اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء ومليكه الدعاء إلى آخره كما ذكرناه في كتاب الدعوات فحق على العبد أن يفتش عن ثلاثة عند نومه أنه على ماذا ينام وما الغالب عليه حب الله تعالى وحب لقائه أو حب الدنيا وليتحقق أنه يتوفى على

---

(١) حديث تكلفوا من العمل ما تطيقون فإن الله لا يمل حتى تملوا متفق عليه من حديث عائشة بلفظ اكلفوا (٢) حديث خير هذا الدين أيسره أحمد من حديث محجن بن الأدرع وتقدم في العلم (٣) حديث قيل له إن فلانا يصلي ولا ينام ويصوم ولا يفطر فقال لكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر هذه سنتي فمن رغب عنها فليس مني ن من حديث عبد الله بن عمرو دون قوله هذه سنتي الخ وهذه الزيادة لابن خزيمة من رغب عن سنتي فليس مني وهي متفق عليها من حديث أنس (٤) حديث لا تشادوا هذا الدين فإنه متين فمن يشاده يغلبه ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله خ من حديث أبي هريرة لن يشاد هذا الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وللبيهقي من حديث جابر إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله ولا يصح إسناده (٥) حديث الدعاء المأثور عند النوم باسمك اللهم رب وضعت جنبي الحديث إلى آخر الدعوات المأثورة التي أوردناها في الدعوات تقدم هناك وبقية الدعوات (٦) حديث قراءة المعوذتين عند النوم ينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه وسائر جسده متفق عليه من حديث عائشة (٧) حديث عائشة كان آخر ما يقول حين ينام وهو واضع خده على يده اليمنى اللهم رب السموات السبع ورب العرش العظيم الحديث

الإرادة فالمتشبه الحقيق له إيمان بطريق القوم وعمل بمقتضاه وسلوك واجتهاد على ما ذكرناه أنه صاحب مجاهدة ومحاسبة ثم يصير متصوفا صاحب مراقبة ثم يصير صوفيا صاحب مشاهدة فأما من لم يتطلع إلى حال المتصوف والصوفي بالتشبه ولا يقصد أوائل مقاصدهم بل هو مجرد تشبه ظاهر من ظاهر اللبسة والمشاركة في الزي والصورة دون السيرة والصفة فليس بمتشبه بالصوفية لأنه غير محاك لهم بالدخول في بداياتهم فإذن هو متشبه بالمتشبه يعزى إلى القوم بمجرد لبسه ومع ذلك هم القوم لا يشقى بهم جليسهم وقد ورد من تشبه بقوم فهو منهم (أخبرنا) الشيخ أبو الفتح

ماهو الغالب عليه و يحشر على ما يتوفى عليه فان المرء مع من أحب ومع ما أحب * العاشر الدعاء عند التنبه فليقل فى تيقظاته و تقلباته مهما تنبه ما كان يقوله رسول الله ﷺ (١) لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والارض وما بينهما العزيز الغفار وليجتهد أن يكون آخر ما يجرى على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى وأول ما يرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله تعالى فهو علامة الحب ولا يلازم القلب فى هاتين الحالتين إلا ما هو الغالب عليه فليجرب قلبه به فهو علامة الحب فانها علامة تنكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه الأذكار لتستجر القلب الى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ ليقوم قال الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور الى آخر ما أوردناه من أدعية التيقظ ﴿الورد الرابع﴾ يدخل بمضى النصف الأول من الليل الى أن يبقى من الليل سدسه وعند ذلك يقوم العبد للتهجد فاسم التهجد يختص بما بعد الهجود والهجوع وهو النوم وهذا وسط الليل و يشبه الورد الذى بعد الزوال وهو وسط النهار وبه أقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى أى اذا سكن وسكونه هدوءه فى هذا الوقت فلا تبقى عين إلا نائمة سوى الحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا أظلم وسئل رسول الله ﷺ (٢) أى الليل أسمع فقال جوف الليل وقال داود صلى الله عليه وسلم إلهى إنى أحب أن أتعبد لك فأى وقت أفضل فأوحى الله تعالى إليه ياداود لا تقم أول الليل ولا آخره فان من قام أوله نام آخره ومن قام آخره لم يقم أوله ولكن قم وسط الليل حتى تخلو بى وأخلو بك وارفع إلى حوائجك وسئل رسول الله ﷺ (٣) أى الليل أفضل فقال نصف الليل الغابر يعنى الباقى وفى آخر الليل وردت الأخبار (٤) باهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن ومن نزول الجبار تعالى الى سماء الدنيا وغير ذلك من الأخبار وترتيب هذا الورد انه بعد الفراغ من الأدعية التى للاستيقاظ يتوضأ وضوأ كما سبق بسننه وآدابه وأدعيته ثم يتوجه الى مصلاه و يقوم مستقبلا القبلة و يقول الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثم يسبح عشرا وليحمد الله عشرا وليهلل عشرا وليقل الله أكبر ذو الملكوت والجبروت والكبرياء والعظمة والجلال والقدرة وليقل هذه الكلمات فانها مأثورة عن رسول الله ﷺ (٥) فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ولك الحمد أنت بهاء السموات والأرض ولك الحمد أنت رب السموات والأرض ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ومن عليهن أنت الحق ومنك الحق ولقاؤك حق والجنة حق والنار حق والنشور حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا

تقدم فى الدعوات دون وضع الخد على اليد وتقدم من حديث حفصة (١) حديث كان يقول عند تيقظه لا إله إلا الله الواحد القهار رب السموات والأرض وما بينهما العزيز الغفار ابن السنى وأبو نعيم فى كتابيهما عمل اليوم والليلة من حديث عائشة رضى الله عنها (٢) حديث سئل أى الليل أسمع قال جوف الليل د ت وصححه من حديث عمرو بن عبسة (٣) حديث سئل أى الليل أفضل قال نصف الليل الغابر أحمد وحب من حديث أبى ذر دون قوله الغابر وهى فى بعض طرق حديث عمرو بن عبسة

﴿(٤) الأخبار الواردة فى اهتزاز العرش وانتشار الرياح من جنات عدن فى آخر الليل ونزول الجبار الى سماء الدنيا﴾ أما حديث النزول فقد تقدم وأما الباقى فهى آثار رواها محمد بن نصر فى قيام الليل من رواية سعيد الجريرى قال قال داود ياجبريل أى الليل أفضل قال ما أدرى غير أن العرش يهتز من السحر وفى رواية له عن الجريرى عن سعيد ابن أبى الحسن قال اذا كان من السحر ألا ترى كيف تفوح ريح كل شجر وله من حديث أبى الدرداء مرفوعا ان الله تبارك وتعالى لينزل فى ثلاث ساعات بقين من الليل يفتح الذكر فى الساعة الأولى وفيه ثم ينزل فى الساعة الثالثة الى جنة عدن الحديث وهو مثله (٥) حديث القول فى قيامه للتهجد اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض الحديث متفق عليه من حديث ابن عباس دون قوله أنت بهاء السموات والأرض

قال أنا أبو الفضل حميد قال أنا الحافظ أبو نعيم الاصفهانى قال أنا عبدالله بن محمد ابن جعفر قال حدثنا عمر بن أحمد ابن أبى عاصم قال ثنا ابراهيم بن محمد الشافعى قال حدثنا على بن احمد قال حدثنا على بن على المقدسى قال حدثنا محمد بن عبدالله ابن عامر قال حدثنا ابراهيم بن الاشعث قال حدثنا فضيل ابن عياض عن سليمان الاعمش عن ابى صالح عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى الطرق و يتتبعون مجالس الذكر فاذا رأوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم باجنحتهم الى

أنت اللهم (١) آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها اللهم (٢) اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت (٣) أسألك مسئلة البائس المسكين وأدعوك دعاء المفتقر الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن بي رؤفا رحيما يا خير المسؤلين وأكرم المعطين وقالت عائشة رضي الله عنها كان ﷺ (٤) اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم ثم يفتتح الصلاة ويصلي (٥) ركعتين خفيفتين ثم يصلي مثنى مثنى ما تيسر له ويختم بالوتر ان لم يكن قد صلى الوتر ويستحب أن يفصل بين الصلاتين عند تسليمه بمائة تسبيحة ليستريح ويزيد نشاطه للصلاة وقد صح في صلاة رسول الله ﷺ بالليل أنه صلى أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة وسئلت عائشة رضي الله عنها أكان رسول الله ﷺ (٦) يجهر في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر وقال ﷺ (٧) صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة وقال صلاة (٨) المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل وأكثر ما صح عن رسول الله ﷺ (٩) في قيام الليل ثلاث عشرة ركعة ويقرأ في هذه الركعات من ورده من القرآن أو من السور المخصوصة ما خف عليه وهو في حكم هذا الورد قريب من السدس الاخير من الليل ﴿الورد الخامس﴾ السدس الاخير من الليل وهو وقت السحر فان الله تعالى قال وبالاسحار هم يستغفرون قيل يصلون لما فيها من الاستغفار وهو مقارب للفجر الذي هو وقت انصراف ملائكة الليل واقبال ملائكة النهار وقد أمر بهذا الورد سلمان أخاه أبا الدرداء رضي الله عنهما ليلة زاره (١٠) في حديث طويل قال في آخره فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام ثم ذهب ليقوم فقال له نم فنام فلما كان عند الصبح قال له سلمان قم الآن فقاما فصليا فقال ان لنفسك عليك حقا وان لضيفك عليك حقا وان لأهلك عليك حقا فأعط كل ذي حق حقه وذلك أن امرأة أبي الدرداء أخبرت سلمان أنه لا ينام الليل قال فأتيا النبي ﷺ فذكرا ذلك له فقال صدق سلمان وهذا هو الورد الخامس وفيه يستحب السحور وذلك عند خوف طلوع

ولك الحمد أنت زين السموات والارض ودون قوله ومن عليهن ومنك الحق (١) حديث اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها أحمد باسناد جيد من حديث عائشة انها فقدت النبي ﷺ من مضجعه فلمسته بيدها فوقعت عليه وهو ساجد وهو يقول رب اعط نفسي تقواها الحديث (٢) حديث اللهم اهدني لأحسن الأعمال لا يهدي لأحسنها إلا أنت واصرف عني سيئها لا يصرف عني سيئها إلا أنت م من حديث علي عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة فذكره بلفظ لأحسن الأخلاق وفيه زيادة في أوله (٣) حديث أسألك مسألة البائس المسكين وأدعوك دعاء المضطر الذليل الحديث الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس أنه كان من دعاء النبي ﷺ عشية عرفة تقدم في الحج (٤) حديث عائشة كان اذا قام من الليل افتتح صلاته قال اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل فاطر السموات والأرض الحديث رواه م (٥) حديث أنه صلى بالليل أولا ركعتين خفيفتين ثم ركعتين طويلتين ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لم يزل يقصر بالتدريج إلى ثلاث عشرة ركعة م من حديث زيد ابن خالد الجهني (٦) حديث سئلت عائشة أكان يجهر رسول الله ﷺ في قيام الليل أم يسر فقالت ربما جهر وربما أسر د ن ه باسناد صحيح (٧) حديث صلاة الليل مثنى مثنى فاذا خفت الصبح فأوتر بركعة متفق عليه وقد تقدم (٨) حديث صلاة المغرب أوترت صلاة النهار فأوتروا صلاة الليل أحمد من حديث ابن عمر باسناد صحيح (٩) حديث القيام من الليل ثلاث عشرة ركعة فانه أكثر ما صح عنه تقدم (١٠) حديث زار سلمان أبا الدرداء فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء ليقوم فقال له سلمان نم فنام الحديث وفي

عنان السماء فيقول الله وهو أعلم ما يقول عبادي قالوا يحمدونك ويسبحونك ويمجدونك فيقول وهل رأوني فيقولون لا فيقول كيف لو رأوني قالوا لو رأوك كانوا أشد تسبيحا وتحميدا وتمجيدا فيقول ما يسألونني قالوا يسألونك الجنة فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا لو رأوها كانوا أشد لها طلبا وعليها أكثر حرصا قالوا ويتعوذون من النار فيقول وهل رأوها قالوا لا فيقول كيف لو رأوها قالوا كانوا أشد منها تعوذا وأشد فرارا فيقول أشهدكم أني قد غفرت لهم فيقول الملك فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة فيقول تبارك وتعالى هم الجلسا لا يشقى

الفجر والوظيفة فى هذين الوردين الصلاة فاذا طلع الفجرا نقضت أوراد الليل ودخلت أوراد النهار فيقوم ويصلى ركعتي الفجر وهو المراد بقوله تعالى ومن الليل فسبحه وادبار النجوم ثم يقرأ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة الى آخرها ثم يقول وأنا أشهد بما شهد الله به لنفسه وشهدت به ملائكته وأولو العلم من خلقه واستودع الله هذه الشهادة وهى لى عند الله تعالى وديعة وأسأله حفظها حتي يتوفانى عليها اللهم احطط عنى بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا واحفظها على وتوفنى عليها حتى ألقاك بها غير مبدل تبديلا فهذا ترتيب الأوراد للعباد وقد كانوا يستحبون أن يجمعوا مع ذلك فى كل يوم بين أربعة أمور صوم وصدقة وان قلت وعيادة مريض وشهود جنازة ففى الخبر (١) من جمع بين هذه الأربع فى يوم غفر له وفى رواية دخل الجنة فإن اتفق بعضها وعجز عن الآخر كان له أجر الجميع بحسب نيته وكانوا يكرهون أن ينقضى اليوم ولم يتصدقوا فيه بصدقة ولو بتمرة أو بصلة أو كسرة خبز لقوله ﷺ (٢) الرجل فى ظل صدقته حتي يقضى بين الناس ولقوله ﷺ (٣) اتقوا النار ولو بشق تمرة ودفعت عائشة رضى الله عنها إلى سائل عنبة واحدة فأخذها فنظر من كان عندها بعضهم الى بعض فقالت ما لكم إن فيها لمثاقيل ذر كثير وكانوا لا يستحبون رد السائل إذ كان من أخلاق رسول الله ﷺ (٤) ذلك ما سأله أحد شيأ فقال لا ولكنه إن لم يقدر عليه سكت وفى الخبر (٥) يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة يعنى المفصل وفى جسده ثلثمائة وستون مفصلا فأمرك بالمعروف صدقة ونهيك عن المنكر صدقة وحملك عن الضعيف صدقة وهدايتك الى الطريق صدقة واماطتك الاذى صدقة حتي ذكر التسبيح والتهليل ثم قال وركعتا الضحي تأتى على ذلك كله أو تجمعن لك ذلك كله

﴿ بيان اختلاف الأوراد باختلاف الأحوال ﴾

اعلم أن المريد لحرث الآخرة السالك لطريقها لا يخلو عن ستة أحوال فانه اما عابد واما عالم واما متعلم واما وال واما محترف واما موحد مستغرق بالواحد الصمد عن غيره ﴿الأول﴾ العابد وهو المتجرد للعبادة الذى لا شغل له غيرها أصلا ولو ترك العبادة لجلس بطالا فترتيب أوراده ما ذكرناه نعم لا يبعد أن تختلف وظائفه بأن يستغرق أكثر أوقاته اما فى الصلاة أو فى القراءة أو فى التسبيحات فقد كان فى الصحابة رضى الله عنهم من ورده فى اليوم اثنا عشر ألف تسبيحة وكان فيهم من ورده ثلاثون ألفا وكان فيهم من ورده ثلثمائة ركعة الى ستمائة والى ألف ركعة وأقل ما نقل فى أورادهم من الصلاة مائة ركعة فى اليوم والليلة وكان بعضهم أكثر ورده القرآن وكان يختم الواحد منهم فى اليوم مرة وروى مرتين عن بعضهم وكان بعضهم يقضى اليوم أو الليلة فى التفكر فى آية واحدة يرددها وكان كرز بن وبرة مقيما بمكة فكان يطوف فى كل يوم سبعين أسبوعا وفى كل ليلة سبعين أسبوعا وكان مع ذلك يختم القرآن فى اليوم والليلة مرتين فحسب ذلك فكان عشرة فراسخ ويكون مع كل أسبوع ركعتان فهو مائتان وثمانون ركعة وختمتان وعشرة فراسخ فان قلت فما الاولى أن يصرف اليه أكثر الاوقات من هذه الاوراد فاعلم ان قراءة القرآن فى الصلاة قائما مع التدبر يجمع الجميع ولكن ربما تعسر المواظبة عليه فالافضل يختلف باختلاف حال الشخص ومقصود الاوراد تزكية القلب وتطهيره وتحليته بذكر الله تعالى وايناسه به فلينظر المريد إلى قلبه فما يراه أشد تأثيرا فيه فليواظب عليه فاذا أحس بملالة منه فلينتقل إلى غيره ولذلك نرى الاصوب لاكثر الخلق توزيع هذه الخيرات المختلفة على الاوقات كما سبق والانتقال فيها من نوع إلى نوع لان الملال هو الغالب على الطبع وأحوال الشخص الواحد فى ذلك أيضا تختلف ولكن اذا فهم فقه الاوراد وسرها فليتبع المعنى فان سمع

آخره فقال صدق سلمان خ من حديث أبى جحيفة (١) حديث من جمع بين صوم وصدقة وعيادة مريض وشهود جنازة فى يوم غفر له وفى رواية دخل الجنة م من حديث أبى هريرة ما اجتمعن فى امرىء الا دخل الجنة (٢) حديث الرجل فى ظل صدقته حتى يقضى بين الناس تقدم فى الزكاة (٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة تقدم فى الزكاة (٤) حديث ما سأله أحد شيأ فقال لا ان لم يقدر عليه سكت م من حديث جابر وللبزار من حديث أنس أو يسكت (٥) حديث يصبح ابن آدم وعلى كل سلامى من جسده صدقة الحديث م

جليسهم فلا يشقى جليس الصوفية والمتشبه بهم والمحب لهم

(الباب الثامن فى ذكر الملامتى وشرح حاله)

قال بعضهم الملامتى هو الذى لا يظهر خيرا ولا يضمر شرا وشرح هذا هو أن الملامتي تشربت عروقه طعم الاخلاص وتحقق بالصدق فلا يحب أن يطلع أحد على حاله وأعماله (أخبرنا) الشيخ أبو زرعة طاهر ابن أبى الفضل المقدسى اجازة قال أنا أبو بكر أحمد بن على بن خلف الشيرازى اجازة قال أنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمى قال سمعت على بن سعيد وسألته عن الاخلاص ماهو قال سمعت على ابن ابراهيم وسألته عن الاخلاص ما هو قال سمعت محمد

تسبيحه مثلا وأحس لها بوقع فى قلبه فليواظب على تكرارها مادام يجد لها وقعا وقد روى عن ابراهيم بن أدهم عن بعض الابدال أنه قام ذات ليلة يصلى على شاطئ البحر فسمع صوتا عاليا بالتسبيح ولم ير أحدا فقال من أنت أسمع صوتك ولا أرى شخصك فقال انا ملك من الملائكة موكل بهذا البحر أسبح الله تعالى بهذا التسبيح منذ خلقت قلت فما اسمك قال مهلهيا ئيل قلت فما ثواب من قاله قال من قاله مائة مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة أو يرى له والتسبيح هو قوله سبحان الله العلى الديان سبحان الله الشديد الأركان سبحان من يذهب بالليل ويأتى بالنهار سبحان من لا يشغله شأن عن شان سبحان الله الحنان المنان سبحان الله المسبح فى كل مكان فهذا وأمثاله اذا سمعه المريد ووجد له فى قلبه وقعا فيلازمه وأياما وجد القلب عنده وفتح له فيه خير فليواظب عليه ﴿الثانى﴾ العالم الذى ينفع الناس بعلمه فى فتوى أو تدريس أو تصنيف فترتيبه الأوراد يخالف ترتيب العابد فانه يحتاج الى المطالعة للكتب والى التصنيف والافادة ويحتاج الى مدة لها لا محالة فان أمكنه استغراق الأوقات فيه فهو أفضل ما يشتغل به بعد المكتوبات ورواتبها ويدل على ذلك جميع ما ذكرناه فى فضيلة التعليم والتعلم فى كتاب العلم وكيف لا يكون كذلك وفى العلم المواظبة على ذكر الله تعالى وتأمل ما قال الله تعالى وقال رسوله وفيه منفعة الخلق وهدايتهم الى طريق الآخرة ورب مسئلة واحدة يتعلمها المتعلم فيصلح بها عبادة عمره ولو لم يتعلمها لكان سعيه ضائعا وانما نعنى بالعلم المقدم على العبادة العلم الذى يرغب الناس فى الآخرة ويزهدهم فى الدنيا أو العلم الذى يعينهم على سلوك طريق الآخرة إذا تعلموه على قصد الاستعانة به على السلوك دون العلوم التى تزيد بها الرغبة فى المال والجاه وقبول الخلق والأولى بالعالم أن يقسم أوقاته أيضا فان استغراق الأوقات فى ترتيب العلم لا يحتمله الطبع فينبغى أن يخصص ما بعد الصبح الى طلوع الشمس بالأذكار والأوراد كما ذكرناه فى الورد الأول وبعد الطلوع الى ضحوة النهار فى الافادة والتعليم ان كان عنده من يستفيد علما لأجل الآخرة وان لم يكن فيصرفه الى الفكر ويتفكر فيما يشكل عليه من علوم الدين فان صفاء القلب بعد الفراغ من الذكر وقبل الاشتغال بهموم الدنيا يعين على التفطن للمشكلات ومن ضحوة النهار الى العصر للتصنيف والمطالعة لا يتركها إلا فى وقت أكل وطهارة ومكتوبة وقيلولة خفيفة إن طال النهار ومن العصر الى الاصفرار يشتغل بسماع ما يقرأ بين يديه من تفسير أو حديث أو علم نافع ومن الاصفرار الى الغروب يشتغل بالذكر والاستغفار والتسبيح فيكون ورده الأول قبل طلوع الشمس فى عمل اللسان ووردة الثانى فى عمل القلب بالفكر الى الضحوة ووردة الثالث الى العصر فى عمل العين واليد بالمطالعة والكتابة ووردة الرابع بعد العصر فى عمل السمع ليروح فيه العين واليد فان المطالعة والكتابة بعد العصر ربما أضرا بالعين وعند الاصفرار يعود الى ذكر اللسان فلا يخلو جزء من النهار عن عمل له بالجوارح مع حضور القلب فى الجميع وأما الليل فأحسن قسم فيه قسمة الشافعى رضى الله عنه إذ كان يقسم الليل ثلاثة أجزاء ثلثا للمطالعة وترتيب العلم وهو الأول وثلثا للصلاة وهو الوسط وثلثا للنوم وهو الأخير وهذا يتيسر فى ليالى الشتاء والصيف ربما لا يحتمل ذلك إلا اذا كان أكثر النوم بالنهار فهذا ما نستحبه من ترتيب أوراد العلم ﴿الثالث﴾ المتعلم والاشتغال بالتعلم أفضل من الاشتغال بالأذكار والنوافل فحكمه حكم العالم فى ترتيب الأوراد ولكن يشتغل بالاستفادة حيث يشتغل العالم بالافادة وبالتعليق والنسخ حيث يشتغل العالم بالتصنيف ويرتب أوقاته كما ذكرنا وكل ما ذكرناه فى فضيلة التعلم والعلم من كتاب العلم يدل على أن ذلك أفضل بل إن لم يكن متعلما على معنى انه يعلق ويحصل ليصير عالما بل كان من العوام فحضوره مجالس الذكر والوعظ والعلم أفضل من اشتغاله بالأوراد التى ذكرناها بعد الصبح وبعد الطلوع وفى سائر الأوقات ففى حديث أبى ذر رضى الله عنه (١) ان حضور مجلس ذكر أفضل من صلاة ألف ركعة وشهود ألف جنازة وعيادة ألف مريض وقال ﷺ (٢) اذا رأيتم رياض

(١) حديث أبى ذر حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة الحديث تقدم فى العلم

(٢) حديث اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها الحديث تقدم فى العلم

ابن جعفر الخصاف وسألته عن الاخلاص ماهو قال سألت احمد ابن بشار عن الاخلاص ما هو قال سألت أبا يعقوب الشروطى عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد ابن غسان عن الاخلاص ما هو قال سألت أحمد بن على الجهمى عن الاخلاص ما هو قال سألت عبد الواحد بن زيد عن الاخلاص ما هو قال سألت الحسن عن الاخلاص ماهو قال سألت حذيفة عن الاخلاص ماهو قال سألت رسول الله ﷺ عن الاخلاص ماهو قال سألت جبرائيل عن الاخلاص ماهو قال سألت رب العزة عن الاخلاص ماهو قال هو سر من سرى استودعته قلب من أحببت

الجنة فارتعوا فيها فقيل يارسول الله وما رياض الجنة قال حلق الذكر وقال كعب الأحبار رضى الله عنه لو أن ثواب مجالس العلماء بدا للناس لاقتتلوا عليه حتى يترك كل ذى إمارة إمارته وكل ذى سوق سوقه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان الرجل ليخرج من منزله وعليه من الذنوب مثل جبال تهامة فاذا سمع العالم خاف واسترجع عن ذنوبه وانصرف الى منزله وليس عليه ذنب فلا تفارقوا مجالس العلماء فان الله عز وجل لم يخلق على وجه الارض تربة أكرم من مجالس العلماء وقال رجل للحسن رحمه الله أشكو إليك قساوة قلبي فقال أدنه من مجالس الذكر ورأى عمار الزاهدى مسكينة الطفاوية فى المنام وكانت من المواظبات على حلق الذكر فقال مرحبا يامسكينة فقالت هيهات هيهات ذهبت المسكنة وجاء الغنى فقال هيه فقالت ماتسأل عمن أبيح لها الجنة بحذافيرها قال وبم ذلك قالت بمجالسة أهل الذكر وعلى الجملة فما ينحل عن القلب من عقد حب الدنيا بقول واعظ حسن الكلام زكى السيرة أشرف وأنفع من ركعات كثيرة مع إشتمال القلب على حب الدنيا ﴿الرابع﴾ المحترف الذى يحتاج الى الكسب لعياله فليس له أن يضيع العيال ويستغرق الأوقات فى العبادات بل ورده فى وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال بالكسب ولكن ينبغي أن لا ينسى ذكر الله تعالى فى صناعته بل يواظب على التسبيحات والأذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن أن يجمع الى العمل وانما لا يتيسر مع العمل الصلاة إلا أن يكون ناظورا فانه لا يعجز عن إقامة أوراد الصلاة معه ثم مهما فرغ من كفايته ينبغي أن يعود الى ترتيب الأوراد وان داوم على الكسب وتصدق بما فضل عن حاجته فهو أفضل من سائر الأوراد التى ذكرناها لان العبادات المتعدية فائدتها أنفع من اللازمة والصدقة والكسب على هذه النية عبادة له فى نفسه تقربه الى الله تعالى ثم يحصل به فائدة للغير وتنجذب اليه بركات دعوات المسلمين ويتضاعف به الأجر ﴿الخامس﴾ الوالى مثل الامام والقاضى والمتولى لينظر فى أمور المسلمين فقيامه بحاجات المسلمين عن أغراضهم على وفق الشرع وقصد الاخلاص أفضل من الأوراد المذكورة فحقه أن يشتغل بحقوق الناس نهارا ويقتصر على المكتوبة ويقيم الأوراد المذكورة بالليل كما كان عمر رضى الله عنه يفعله إذ قال مالى وللنوم فلو نمت بالنهار ضيعت المسلمين ولو نمت بالليل ضيعت نفسى وقد فهمت بما ذكرناه انه يقدم على العبادات البدنية أمران أحدهما العلم والآخر الرفق بالمسلمين لان كل واحد من العلم وفعل المعروف عمل فى نفسه وعبادة تفضل سائر العبادات بتعدى فائدته وانتشار جدواه فكانا مقدمين عليه ﴿السادس﴾ الموحد المستغرق بالواحد الصمد الذى أصبح وهمومه هم واحد فلا يحب إلا الله تعالى ولا يخاف إلا منه ولا يتوقع الرزق من غيره ولا ينظر فى شىء إلا ويرى الله تعالى فيه فمن ارتفعت رتبته إلى هذه الدرجة لم يفتقر الى تنويع الأوراد واختلافها بل كان ورده بعد المكتوبات واحدا وهو حضور القلب مع الله تعالى فى كل حال فلا يخطر بقلوبهم أمر ولا يقرع سمعهم قارع ولا يلوح لأبصارهم لائح إلا كان له فيه عبرة وفكر ومزيد فلا محرك لهم ولا مسكن إلا الله تعالى فهؤلاء جميع أحوالهم تصلح أن تكون سببا لازديادهم فلا تتميز عندهم عبادة عن عبادة وهم الذين فروا إلى الله عز وجل كما قال تعالى لعلكم تذكرون ففروا إلى الله وتحقق فيهم قوله تعالى وإذا اعتزلتموهم ومايعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته وإليه الاشارة بقوله إنى ذاهب الى ربى سيهدين وهذه منتهى درجات الصديقين ولا وصول اليها إلا بعد ترتيب الأوراد والمواظبة عليها دهرا طويلا فلا ينبغي أن يغتر المريد بما سمعه من ذلك فيدعيه لنفسه ويفتر عن وظائف عبادته فذلك علامته أن لا يهجس فى قلبه وسواس ولا يخطر فى قلبه معصية ولا تزعجه هواجم الأهوال ولا تستفزه عظائم الأشغال وأنى ترزق هذه الرتبة لكل أحد فيتعين على الكافة ترتيب الأوراد كما ذكرناه وجميع ماذكرناه طرق الى الله تعالى قال الله تعالى ﴿ قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا ﴾ فكلهم مهتدون وبعضهم أهدى من بعض وفى الخبر (١) الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله تعالى بالشهادة على طريق منها دخل الجنة وقال بعض العلماء الايمان ثلثمائة وثلاثة عشر خلقا بعدد الرسل

(١) حديث الايمان ثلاث وثلاثون وثلثمائة طريقة من لقى الله بالشهادة على طريق منها دخل الجنة ابن شاهين

فكل

من عبادى فاللامتية لهم مزيد اختصاص بالتمسك بالاخلاص يرون كتم الأحوال والأعمال ويتلذذون بكتمها حتى لو ظهرت أعمالهم وأحوالهم لأحد استوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته فالملامتى عظم وقع الاخلاص وموضعه وتمسك به معتدا به والصوفى غاب فى إخلاصه عن إخلاصه (قال) أبو يعقوب السوسى متى شهدوا فى اخلاصهم الاخلاص احتاج إخلاصهم الى إخلاص * وقال ذو النون ثلاث من علامات الاخلاص استواء الذم والمدح من العامة ونسيان رؤية الأعمال فى الأعمال وترك اقتضاء ثواب العمل فى الآخرة ﴿ أخبرنا ﴾ أبو

فكل مؤمن على خلق منها فهو سالك الطريق الى الله فاذا الناس وان اختلفت طرقهم فى العبادة فكلهم على الصواب أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب وانما يتفاوتون فى درجات القرب فى أصله وأقربهم الى الله تعالى أعرفهم به وأعرفهم به لا بدوأن يكون أعبدهم له فمن عرفه لم يعبد غيره * والأصل فى الاوراد فى حق كل صنف من الناس المداومة فان المراد منه تغيير الصفات الباطنة وآحاد الاعمال يقل آثارها بل لا يحس بآثارها وانما يترتب الأثر على المجموع فاذا لم يعقب العمل الواحد أثرا محسوسا ولم يردف بثان وثالث على القرب انمحى الأثر الأول وكان كالفقيه يريد أن يكون فقيه النفس فانه لا يصير فقيه النفس إلا بتكرار كثير فلو بالغ ليلة فى التكرار وترك شهرا أو أسبوعا ثم عاد وبالغ ليلة لم يؤثر هذا فيه ولو وزع ذلك القدر على الليالى المتواصلة لأثر فيه ولهذا السر قال رسول الله ﷺ (١) أحب الاعمال الى الله أدومها وان قل وسئلت عائشة رضى الله عنها عن عمل رسول الله ﷺ (٢) فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا أثبته لذلك قال ﷺ (٣) من عوده الله عبادة فتركها ملالة مقته الله وهذا كان السبب فى صلاته بعد العصر تداركا لما فاته من ركعتين (٤) شغله عنهما الوفد ثم لم يزل بعد ذلك يصليهما بعد العصر ولكن فى منزله لا فى المسجد كيلا يقتدى به روته عائشة وأم سلمة رضى الله عنهما * فان قلت فهل لغيره أن يقتدى به فى ذلك من أن الوقت وقت كراهية * فاعلم أن المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى الكراهية من الاحتراز عن التشبه بعبدة الشمس أو السجود وقت ظهور قرن الشيطان أو الاستراحة عن العبادة حذرا من الملال لا يتحقق فى حقه فلا يقاس عليه فى ذلك غيره ويشهد لذلك فعله فى المنزل حتى لا يقتدى به ﷺ

(الباب الثانى فى أسباب الميسرة لقيام الليل وفى الليالى التى يستحب احياؤها وفى فضيلة احياء الليل وما بين العشاءين وكيفية قسمة الليل)

(فضيلة احياء ما بين العشاءين)

قال رسول الله ﷺ فيما روت عائشة رضى الله عنها (٥) ان أفضل الصلوات عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم فتح بها صلاة الليل وختم بها صلاة النهار فمن صلى المغرب وصلى بعدها ركعتين بنى الله له قصرين فى الجنة قال الراوى لا أدرى من ذهب أو فضة ومن صلى بعدها أربع ركعات غفر له ذنب عشرين سنة أو قال أربعين سنة وروت أم سلمة وأبو هريرة رضى الله عنهما عن النبى ﷺ (٦) انه قال لمن صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة كاملة أو كأنه صلى ليلة القدر وعن سعيد بن جبير عن ثوبان قال قال

واللالكائى فى السنة والطبرانى والبيهقى فى الشعب من رواية المغيرة بن عبد الرحمن بن عبيد عن أبيه عن جده الايمان ثلثمائة وثلاثة وثلاثون شريعة من وافى شريعة منهن دخل الجنة وقال الطبرانى والبيهقى ثلثمائة وثلاثون وفى إسناده جهالة (١) حديث أحب الاعمال إلى الله أدومها وان قل متفق عليه من حديث عائشة (٢) حديث سئلت عائشة عن عمل رسول الله ﷺ فقالت كان عمله ديمة وكان اذا عمل عملا اثبته رواه م (٣) حديث من عوده الله عبادة فتركها ملالا مقته الله تقدم فى الصلاة وهو موقوف على عائشة (٤) حديث شغله الوفد عن ركعتين فصلاهما بعد العصر ثم لم يزل يصليهما بعد العصر فى منزله متفق عليه من حديث أم سلمة انه صلى بعد العصر ركعتين وقال شغلنى ناس من عبد القيس عن الركعتين بعد الظهر ولهما من حديث عائشة ما تركهما حتى لقى الله وكان النبى ﷺ يصليهما ولا يصليهما فى المسجد مخافة ان يثقل على امته والله الموفق للصواب

(الباب الثانى فى الاسباب الميسرة لقيام الليل)

(٥) حديث عائشة أن أفضل الصلاة عند الله صلاة المغرب لم يحطها عن مسافر ولا عن مقيم الحديث رواه أبو الوليد يونس بن عبيد الله الصفار فى كتاب الصلاة ورواه الطبرانى فى الأوسط مختصرا واسناده ضعيف (٦) حديث ابى سلمة عن ابى هريرة من صلى ست ركعات بعد المغرب عدلت له عبادة سنة أو كأنه صلى ليلة القدر ت ه

زرعة اجازة قال أنا أبو بكر أحمد ابن على بن خلف اجازة قال أنا أبو عبد الرحمن قال سمعت أبا عثمان المغربى يقول الاخلاص مالا يكون للنفس فيه حظ بحال وهذا اخلاص العوام واخلاص الخواص ما يجرى عليهم لا بهم فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية ولا بها اعتداد فذلك اخلاص الخواص وهذا الذى فصله الشيخ أبو عثمان المغربى يفرق بين الصوفى والملامتى لان الملامتى أخرج الخلق عن عمله وحاله ولكن أثبت نفسه فهو مخلص والصوفى أخرج نفسه عن عمله وحاله كما أخرج غيره فهو مخلص وشتان ما بين المخلص والمخلص * قال أبو بكر

رسول الله ﷺ (١) من عكف نفسه فيما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة مسيرة كل قصر منهما مائة عام و يغرس له بينهما غراسا لو طافه أهل الدنيا لوسعهم وقال ﷺ (٢) من ركع عشر ركعات ما بين المغرب والعشاء بنى الله له قصرا فى الجنة فقال عمر رضى الله عنه اذا تكثر قصورنا يا رسول الله فقال الله أكثر وأفضل أو قال أطيب وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (٣) من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولم يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا و يقرأ فى الركعة الاولى فاتحة الكتاب و عشر آيات من اول سورة البقرة وآيتين من وسطها و إلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم إن فى خلق السموات والأرض إلى آخر الآية وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ثم يركع و يسجد فاذا قام فى الركعة الثانية قرأ فاتحة الكتاب وآية الكرسى وآيتين بعدها الى قوله ﴿أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وثلاث آيات من آخر سورة البقرة من قوله ﴿لله ما فى السموات وما فى الأرض الى آخرها وقل هو الله أحد خمس عشرة مرة ووصف من ثوابه فى الحديث ما يخرج عن الحصر (٤) وقال كرز بن وبرة. وهو من الابدال قلت للخضر عليه السلام علمنى شيأ أعمله فى كل ليلة فقال اذا صليت المغرب فقم الى وقت صلاة العشاء مصليا من غير أن تكلم أحدا وأقبل على صلاتك التي أنت فيها وسلم من كل ركعتين واقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب مرة وقل هو الله أحد ثلاثا فاذ فرغت من صلاتك انصرف الى منزلك ولا تكلم أحدا وصل ركعتين واقرأ فاتحة الكتاب وقل هو الله أحد سبع مرات فى كل ركعة ثم اسجد بعد تسليمك واستغفر الله تعالى سبع مرات وقل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم سبع مرات ثم ارفع رأسك من السجود واستو جالسا وارفع يديك وقل ياحي يا قيوم ياذا الجلال والاكرام يا إله الاولين والآخرين يا رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما يارب يارب يارب يا الله يا الله يا الله ثم قم وأنت رافع يديك وادع بهذا الدعاء ثم نم حيث شئت مستقبل القبلة على يمينك وصل على النبي ﷺ وأدم الصلاة عليه حتى يذهب بك النوم فقلت له أحب أن تعلمني ممن سمعت هذا فقال انى حضرت محمدا ﷺ حيث علم هذا الدعاء وأوحى اليه به فكنت عنده وكان ذلك بمحضر منى فتعلمته ممن علمه إياه ويقال ان هذا الدعاء و هذه الصلاة من دوام عليهما بحسن يقين وصدق نية رأى رسول الله ﷺ فى منامه قبل أن يخرج من الدنيا وقد فعل ذلك بعض الناس فرأى أنه أدخل الجنة ورأى فيها الانبياء ورأى فيها رسول الله ﷺ وكلمه وعلمه وعلى الجملة ما ورد فى فضل احياء ما بين العشاءين كثير حتى قيل

بلفظ اثني عشرة سنة وضعفه وأما قوله كأنه صلى ليلة القدر فهو من قول كعب الاحبار كما رواه أبو الوليد الصفار ولأبى منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عباس من صلى أربع ركعات بعد المغرب قبل أن يكلم احدا وضعت له فى عليين وكان كمن ادرك ليلة القدر فى المسجد الاقصى وسنده ضعيف (١) حديث سعيد بن جبير عن ثوبان من عكف نفسه ما بين المغرب والعشاء فى مسجد جماعة لم يتكلم إلا بصلاة أو قرآن كان حقا على الله أن يبنى له قصرين فى الجنة لم أجد له أصلا من هذا الوجه وقد تقدم فى الصلاة من حديث ابن عمر

(٢) حديث من ركع عشر ركعات بين المغرب والعشاء بنى له قصرا فى الجنة فقال عمر اذن تكثر قصورنا يا رسول الله الحديث ابن المبارك فى الزهد من حديث عبد الكريم بن الحرث مرسلا (٣) حديث أنس من صلى المغرب فى جماعة ثم صلى بعدها ركعتين ولا يتكلم بشيء فيما بين ذلك من أمر الدنيا ويقرأ فى الركعة الاولى بفاتحة الكتاب وعشر آيات من أول البقرة وآيتين من وسطها والهكم إله واحد الحديث أبو الشيخ فى الثواب من رواية زياد بن ميمون عنه مع اختلاف يسير وهو ضعيف (٤) حديث كرز بن وبرة ان الخضر علمه صلاة بين المغرب والعشاء وفيه ان كرزا سأل الخضر ممن سمعت هذا قال انى حضرت محمدا ﷺ حين علم هذا الدعاء الحديث وهذا باطل لا أصل له

الزقاق نقصان كل مخلص فى اخلاصه رؤية اخلاصه فاذا أراد الله أن يخلص اخلاصه أسقط عن اخلاصه رؤيته لاخلاصه فيكون مخلصا لا مخلصا * قال أبو سعيد الخراز رياء العارفين أفضل من اخلاص المريدين ومعنى قوله ان اخلاص المريدين معلول برؤية الاخلاص والعارف منزه عن الرياء الذى يبطل العمل ولكن أهله يظهر شيأ من حاله وماله بعلم كامل عنده فيه لجذب مريد او معاناة خلق من أخلاق النفس فى اظهار الحال والعمل وللعارفين فى ذلك علم دقيق لا يعرفه غيرهم فيرى ذلك ناقص العلم صورة رياء وليس برياء انما هو صريح العلم

(١) لعبيد الله مولى رسول الله ﷺ هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة قال ما بين المغرب والعشاء وقال ﷺ (٢) من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين وقال الاسود ما أتيت ابن مسعود رضي الله عنه في هذا الوقت إلا ورأيته يصلي فسألته فقال هي نعم هي ساعة الغفلة وكان أنس رضي الله عنه يواظب عليها ويقول هي ناشئة الليل ويقول فيها نزل قوله تعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقال أحمد بن أبي الحواري قلت لابي سليمان الداراني أصوم النهار وأتعشى بين المغرب والعشاء أحب اليك أو أفطر بالنهار وأحيي ما بينهما فقال اجمع بينهما فقلت إن لم يتيسر قال أفطر وصل ما بينهما

{فضيلة قيام الليل}

أما من الآيات فقوله تعالى ان ربك يعلم انك تقوم أدنى من ثلثي الليل الآية وقوله تعالى إن ناشئة الليل هي أشد وطأ وأقوم قيلا وقوله سبحانه وتعالى تتجافى جنوبهم عن المضاجع وقوله تعالى أمن هو قانت آناء الليل الآية وقوله عز وجل والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما وقوله تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة قيل هي قيام الليل يستعان بالصبر عليه على مجاهدة النفس {ومن الاخبار} قوله ﷺ (٣) يعقد الشيطان على قافية أحدكم اذا هو نام ثلاث عقد يضرب مكان كل عقدة عليك ليل طويل فارقد فان استيقظ وذكر الله تعالى انحلت عقدة فان توضأ انحلت عقدة فان صلى انحلت عقدة فاصبح نشيطا طيب النفس والا اصبح خبيث النفس كسلان وفي الخبر (٤) انه ذكر عنده رجل ينام كل الليل حتى يصبح فقال ذاك رجل بال الشيطان في أذنه وفي الخبر (٥) ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا أسعط العبد ساء خلقه واذا ألعقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتى يصبح وقال ﷺ (٦) ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم وفي الصحيح عن جابر أن النبي ﷺ قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا إلا أعطاه إياه وفي رواية يسأل الله تعالى خيرا من الدنيا والآخرة وذلك في كل ليلة وقال المغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ (٧) حتى تفطرت قدماه فقيل له أما قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال أفلا أكون عبدا شكورا ويظهر من معناه ان ذلك كناية عن زيادة الرتبة فان الشكر سبب المزيد قال تعالى لئن شكرتم لأزيدنكم وقال ﷺ (٨) يا أباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا ومبعوثا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أباهريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكواكب والنجم عند أهل الدنيا وقال ﷺ (٩)

---

(١) حديث عبيد مولى رسول الله ﷺ وقيل له هل كان رسول الله ﷺ يأمر بصلاة غير المكتوبة. قال ما بين المغرب والعشاء رواه أحمد وفيه رجل لم يسم (٢) حديث من صلى ما بين المغرب والعشاء فذلك صلاة الاوابين تقدم في الصلاة (٣) حديث يعقد الشيطان على قافية رأس أحدكم إذا هو نام ثلاث عقد الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة (٤) حديث ذكر عنده رجل نام حتى أصبح فقال ذاك بال الشيطان في أذنه متفق عليه من حديث ابن مسعود (٥) حديث ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا الحديث طب من حديث أنس ان للشيطان لعوقا وكحلا فاذا لعق الانسان من لعوقه ذرب لسانه بالشر واذا كحله من كحله نامت عيناه عن الذكر ورواه البزار من حديث سمرة بن جندب وسندهما ضعيف (٦) حديث ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل خير له من الدنيا وما فيها ولولا أن أشق على أمتي لفرضتهما عليهم آدم بن أبي اياس في الثواب ومحمد بن نصر المروزي في كتاب قيام الليل من رواية حسان بن عطية مرسلا ووصله أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عمر ولا يصح (٧) حديث المغيرة بن شعبة قام رسول الله ﷺ حتى تفطرت قدماه الحديث متفق عليه (٨) حديث يا أباهريرة أتريد أن تكون رحمة الله عليك حيا وميتا ومقبورا قم من الليل فصل وأنت تريد رضا ربك يا أباهريرة صل في زوايا بيتك يكن نور بيتك في السماء كنور الكوكب والنجوم عند أهل الدنيا باطل لا أصل له (٩) حديث عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم الحديث ت من حديث بلال وقال غريب ولا يصح ورواه طب وهق من حديث أبي أمامة بسند حسن وقال ت انه أصح

لله بالله من غير حضور نفس ووجود آفة فيه {قال رويم} الاخلاص أن لا يرضى صاحبه عليه عوضا في الدارين ولا حظا من الملكين * وقال بعضهم صدق الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الحق والملامتي يرى الخلق فيخفي عمله وحاله وكل ما ذكرناه من قبل وصف اخلاص الصوفي ولهذا قال الزقاق لابد لكل مخلص من رؤية اخلاصه وهو نقصان عن كمال الاخلاص والاخلاص هو الذي يتولى الله حفظ صاحبه حتي يأتي به على التمام قال جعفر الخلدي سألت أبا القاسم الجنيد رحمه الله قلت أبين الاخلاص والصدق فرق قال نعم الصدق أصل وهو الاول

عليكم بقيام الليل فانه دأب الصالحين قبلكم فان قيام الليل قربة الى الله عز وجل وتكفير للذنوب ومطردة للداء عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال ﷺ (١) مامن امرئ تكون له صلاة بالليل فغلبه عليها النوم إلا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه وقال ﷺ (٢) لابى ذر لو أردت سفرا اعددت له عدة قال نعم قال فكيف سفر طريق القيامة الا أنبئك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى أنت وأمى قال صم يوما شديدا الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور وحج حجة لعظائم الامور وتصدق بصدقة على مسكين أو كلمة حق تقولها أو كلمة شر تسكت عنها وروى أنه كان على عهد النبي ﷺ (٣) رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرنى منها فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال اذا كان ذلك فآذنونى فأتاه فاستمع فلما أصبح قال يا فلان هلا سألت الله الجنة قال يارسول الله انى لست هناك ولا يبلغ عملى ذاك فلم يلبث الا يسيرا حتى نزل جبرائيل عليه السلام وقال أخبر فلانا أن الله قد أجاره من النار وأدخله الجنة وروى أن جبرائيل عليه السلام قال للنبي ﷺ (٤) نعم الرجل بن عمر لو كان يصلى بالليل فاخبره النبي ﷺ بذلك فكان يدوام بعده على قيام الليل قال نافع كان يصلى بالليل ثم يقول يا نافع اسحرنا فاقول لا فيقوم لصلاته ثم يقول يا نافع أسحرنا فأقول نعم فيقعد فيستغفر الله تعالى حتى يطلع الفجر وقال على بن أبى طالب شبع يحيي بن زكريا عليهما السلام من خبز شعير فنام عن ورده حتي أصبح فأوحى الله تعالى اليه يا يحيي أوجدت دارا خيرا لك من دارى أم وجدت جوارا خيرا لك من جوارى فوعزتى وجلالى يا يحيي لو اطلعت الى الفردوس اطلاعة لذاب شحمك ولزهقت نفسك اشتياقا ولو اطلعت الى جهنم اطلاعة لذاب شحمك ولبكيت الصديد بعد الدموع ولبست الجلد بعد المسوح وقيل لرسول الله ﷺ (٥) ان فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق فقال سينهاه ما يعمل وقال ﷺ (٦) رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت فان أبت نضح فى وجهها الماء وقال ﷺ رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت ثم أيقظت زوجها فصلى فان أبى نضحت فى وجهه الماء وقال ﷺ (٧) من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات وقال ﷺ (٨) أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ﷺ (٩) من نام على حزبه أو عن

---

(١) حديث مامن امرئ يكون له صلاة بالليل يغلبه عليها نوم الا كتب له أجر صلاته وكان نومه صدقة عليه د ن من حديث عائشة وفيه رجل لم يسم سماه ن فى رواية الاسود بن يزيد لكن فى طريقه ابن جعفر الرازى قال ن ليس بالقوى ورواه ن ه من حديث ابن الدرداء نحوه بسند صحيح وتقدم فى الباب قبله (٢) حديث أنه قال لابى ذر لو أردت سفرا أعددت له عدة فكيف بسفر طريق القيامة ألا أنبئك يا أباذر بما ينفعك ذلك اليوم قال بلى بأبى وأمى قال صم يوما شديدا الحر ليوم النشور وصل ركعتين فى ظلمة الليل لوحشة القبور الحديث ابن أبى الدنيا فى كتاب التهجد من رواية السرى بن مخلد مرسلا والسرى ضعفه الازدى (٣) حديث انه كان على عهد رسول الله ﷺ رجل اذا أخذ الناس مضاجعهم وهدأت العيون قام يصلى ويقرأ القرآن ويقول يارب النار أجرنى منها فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال اذا كان ذلك فآذنونى الحديث لم أقف له على أصل (٤) حديث أن جبريل قال للنبي ﷺ نعم الرجل ابن عمر لو كان يصلى بالليل الحديث متفق عليه من حديث ابن عمر أن النبي ﷺ قال ذلك وليس فيه ذكر لجبريل (٥) حديث قيل له أن فلانا يصلى بالليل فاذا أصبح سرق قال سينهاه ما يقول ابن حبان من حديث أبى هريرة (٦) حديث رحم الله رجلا قام من الليل فصلى ثم أيقظ امرأته فصلت الحديث د حب من حديث أبى هريرة (٧) حديث من استيقظ من الليل وأيقظ امرأته فصليا ركعتين كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات د ن من حديث أبى هريرة وأبى سعيد بسند صحيح (٨) حديث أفضل الصلاة بعد المكتوبة قيام الليل م من حديث أبى هريرة (٩) حديث عمر من نام عن حزبه أو عن شىء منه فقرأه بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنه قرأه من الليل رواه م

والاخلاص فرع وهو تابع وقال بينهما فرق لان الاخلاص لا يكون الا بعد الدخول فى العمل ثم قال انما هو اخلاص وخالصة الاخلاص وخالصة كائنة فى الخالصة فعلى هذا الاخلاص حال الملامتى وخالصة الاخلاص حال الصوفى والخالصة الكائنة من الخالصة ثمرة خالصة الاخلاص وهو فناء العبد عن رسومه برؤية قيامه بقيومه بل غيبته عن رؤية قيامه وهو الاستغراق فى العين عن الآثار والتخلص عن لوث الاستتار وهو مفقد حال الصوفى والملامتى مقيم فى أوطان اخلاصه غير متطلع الى حقيقة خلاصه وهذا فرق واضح بين الملامتي والصوفى ولم يزل فى خراسان منهم طائفة ولهم

شيء منه بالليل فقرأ بين صلاة الفجر والظهر كتب له كأنما قرأه من الليل (الآثار) روى أن عمر رضي الله عنه كان يمر بالآية من ورده بالليل فيسقط حتى يعاد منها أياما كثيرة كما يعاد المريض وكان ابن مسعود رضي الله عنه اذا هدأت العيون قام فيسمع له دوي كدوي النحل حتى يصبح ويقال ان سفيان الثوري رحمه الله شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك الليلة حتى أصبح وكان طاوس رحمه الله اذا اضطجع على فراشه يتقلى عليه كما تتقلى الحبة على المقلاة ثم يثب ويصلي الى الصباح ثم يقول طير ذكر جهنم نوم العابدين وقال الحسن رحمه الله ما نعلم عملا أشد من مكابدة الليل و نفقة هذا المال فقيل له ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوها قال لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم نورا من نوره وقدم بعض الصالحين من سفره فمهد له فراش فنام عليه حتى فاته ورده فحلف أن لا ينام بعدها على فراش أبدا وكان عبد العزيز بن أبي رواد اذا جن عليه الليل يأتي فراشه فيمر يده عليه ويقول إنك للين ووالله ان في الجنة لألين منك ولا يزال يصلي الليل كله وقال الفضيل إني لأستقبل الليل من أوله فيهولني طوله فأفتتح القرآن فأصبح وما قضيت نهمتي وقال الحسن ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل وقال الفضيل اذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار فاعلم أنك محروم وقد كثرت خطيئتك وكان صلة بن أشيم رحمه الله يصلي الليل كله فاذا كان في السحر قال إلهي ليس مثلي يطلب الجنة ولكن أجرني برحمتك من النار وقال رجل لبعض الحكماء إني لأضعف عن قيام الليل فقال له يا أخي لا تعص الله تعالى بالنهار ولا تقم بالليل وكان للحسن بن صالح جارية فباعها من قوم فلما كان في جوف الليل قامت الجارية فقالت يا أهل الدار الصلاة الصلاة فقالوا أصبحنا أطلع الفجر فقالت وما تصلون إلا المكتوبة قالوا نعم فرجعت الى الحسن فقالت يا مولاي بعتني من قوم لا يصلون إلا المكتوبة ردني فردها وقال الربيع بت في منزل الشافعي رضي الله عنه ليالي كثيرة فلم يكن ينام من الليل إلا يسيرا وقال أبو الجويرية لقد صحبت أبا حنيفة رضي الله عنه ستة أشهر فما فيها ليلة وضع جنبه على الأرض وكان أبو حنيفة يحيي نصف الليل فمر بقوم فقالوا ان هذا يحيي الليل كله فقال إني أستحي أن أوصف بما لا أفعل فكان بعد ذلك يحيي الليل كله ويرى أنه ما كان له فراش بالليل ويقال ان مالك بن دينار رضي الله عنه بات يردد هذه الآية ليلة حتى أصبح ﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ الآية وقال المغيرة بن حبيب رمقت مالك بن دينار فتوضأ بعد العشاء ثم قام الى مصلاه فقبض على لحيته فخنقته العبرة فجعل يقول اللهم حرم شيبة مالك على النار إلهي قد علمت ساكن الجنة من ساكن النار فأي الرجلين مالك وأي الدارين دار مالك فلم يزل ذلك قوله حتى طلع الفجر وقال مالك بن دينار سهوت ليلة عن وردي ونمت فاذا أنا في المنام بجارية كأحسن ما يكون وفي يدها رقعة فقالت لي أتحسن تقرأ فقلت نعم فدفعت إلي الرقعة فاذا فيها

أألهتك اللذائذ والأماني * عن البيض الأوانس في الجنان
تعيش مخلدا لا موت فيها * وتلهو في الجنان مع الحسان
تنبه من منامك ان خيرا * من النوم التهجد بالقرآن

وقال حج مسروق فما بات ليلة إلا ساجدا ويروى عن أزهر بن مغيث وكان من القوامين أنه قال رأيت في المنام امرأة لا تشبه نساء أهل الدنيا فقلت لها من أنت قالت حوراء فقلت زوجيني نفسك فقالت اخطبني إلى سيدي وأمهرني فقلت وما مهرك قالت طول التهجد وقال يوسف بن مهران بلغني أن تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصئصئه من زبرجد أخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم القائمون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المتهجدون فاذا مضى ثلثا الليل ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر ضرب بجناحيه وزقا وقال ليقم الغافلون وعليهم أوزارهم وقيل ان وهب بن منبه اليماني ما وضع جنبه الى الأرض ثلاثين سنة وكان يقول لأن أرى في بيتي شيطانا أحب إلي من أن أرى في بيتي وسادة لأنها تدعو الى النوم وكانت له مسورة من أدم اذا غلبه النوم وضع صدره عليها وخفق خفقات ثم يفزع الى الصلاة وقال بعضهم رأيت رب العزة في النوم فسمعته يقول وعزتي وجلالي لأكرمن مثوى سليمان التيمي فانه صلى لي الغداة بوضوء العشاء أربعين سنة ويقال كان مذهبه أن النوم إذا خامر القلب بطل الوضوء وروى

مشايخ يهدون أساسهم ويعرفونهم شروط حالهم وقد رأينا في العراق من يسلك هذا المسلك ولكن لم يشتهر بهذا الاسم وقلما تتداول ألسنة أهل العراق هذا الاسم (حكى) أن بعض الملامتية استدعي الى سماع فامتنع فقيل له في ذلك فقال لأني ان حضرت يظهر علي وجد ولا أوثر أن يعلم احد حالي (وقيل) ان احمد بن ابي الحواري قال لأبي سليمان الداراني إني اذا كنت في الخلوة أجد لمعاملتي لذة لا أجدها بين الناس فقال له

في بعض الكتب القديمة عن الله تعالى أنه قال ان عبدي الذي هو عبدي حقا الذي لا ينتظر بقيامه صياح الديكة

﴿ بيان الأسباب التي بها يتيسر قيام الليل ﴾

إعلم أن قيام الليل عسير على الخلق إلا على من وفق للقيام بشروطه الميسرة له ظاهرا وباطنا ﴿فاما الظاهرة﴾ فاربعة أمور ﴿الأول﴾ أن لا يكثر الأكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام كان بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تأكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتتحسروا عند الموت كثيرا وهذا هو الأصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام ﴿الثاني﴾ أن لا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح وتضعف بها الأعصاب فان ذلك أيضا مجلبة للنوم ﴿الثالث﴾ أن لا يترك القيلولة بالنهار فانها سنة (١) للاستعانة على قيام الليل ﴿الرابع﴾ أن لا يحتقب الاوزار بالنهار فان ذلك مما يقسي القلب ويحول بينه وبين أسباب الرحمة قال رجل للحسن يا أبا سعيد إني أبيت معافى وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم فقال ذنوبك قيدتك وكان الحسن رحمه الله اذا دخل السوق فسمع لغطهم ولغوهم يقول أظن أن ليل هؤلاء ليل سوء فانهم لا يقيلون وقال الثوري حرمت قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته قيل وما ذاك الذنب قال رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي هذا مراء وقال بعضهم دخلت على كرز بن وبرة وهو يبكي فقلت أتاك نعي بعض أهلك فقال أشد فقلت وجع يؤلمك قال أشد قلت فما ذاك قال بابي مغلق وستري مسبل ولم أقرأ حزبي البارحة وما ذاك إلا بذنب أحدثته وهذا لان الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما يجر الى الكثير ولذلك قال أبو سليمان الداراني لا تفوت أحدا صلاة الجماعة إلا بذنب وكان يقول الاحتلام بالليل عقوبة والجنابة بعد وقال بعض العلماء اذا صمت يا مسكين فانظر عند من تفطر وعلى أي شيء تفطر فان العبد ليأكل أكلة فينقلب قلبه عما كان عليه ولا يعود الى حالته الأولى فالذنوب كلها تورث قساوة القلب وتمنع من قيام الليل وأخصها بالتأثير تناول الحرام وتؤثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه الى الخير مالا يؤثر غيرها ويعرف ذلك أهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع له ولذلك قال بعضهم كم من أكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت قراءة سورة وان العبد ليأكل أكلة أو يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة وكما أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلاة وسائر الخيرات وقال بعض السجانين كنت سجانا نيفا وثلاثين سنة أسأل كل مأخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة فكانوا يقولون لا وهذا تنبيه على أن بركة الجماعة تنهى عن تعاطي الفحشاء والمنكر ﴿ وأما الميسرات الباطنة فأربعة أمور ﴾

﴿الأول﴾ سلامة القلب عن الحقد على المسلمين وعن البدع وعن فضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر في صلاته إلا في مهماته ولا يجول إلا في وساوسه وفي مثل ذلك يقال

يخبرني البواب أنك نائم * وأنت اذا استيقظت أيضا فنائم

﴿الثاني﴾ خوف غالب يلزم القلب مع قصر الأمل فانه اذا تفكر في أهوال الآخرة ودركات جهنم طار نومه وعظم حذره كما قال طاوس ان ذكر جهنم طير نوم العابدين وكما حكى أن غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت له سيدته ان قيامك بالليل يضر بعملك بالنهار فقال ان صهيبا اذا ذكر النار لا يأتيه النوم وقيل لغلام آخر وهو يقوم كل الليل فقال اذا ذكرت النار اشتد خوفي واذا ذكرت الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام وقال ذو النون المصري رحمه الله

منع القران بوعده ووعيده * مقل العيون بليلها أن تهجعا
فهموا عن الملك الجليل كلامه * فرقابهم ذلت إليه تخضعا

وأنشدوا أيضا

يا طويل الرقاد والغفلات * كثرة النوم تورث الحسرات
ان في القبر إن نزلت اليه * لرقادا يطول بعد الممات * ومهادا ممهدا لك فيه

(١) حديث الاستعانة بقيلولة النهار على قيام الليل هـ من حديث ابن عباس وقد تقدم

إنك إذا لضعيف فالملامتي وان كان متمسكا بعروة الاخلاص مستفرشا بساط الصدق ولكن بقي عليه بقية رؤية الخلق وما أحسنها من بقية تحقق الاخلاص والصدق والصوفي صفا من هذه البقية في طرفي العمل والترك للخلق وعزلهم بالكلية ورآهم بعين الفناء والزوال ولاح له ناصية التوحيد وعاين سر قوله كل شيء هالك إلا وجهه كما قال بعضهم في بعض غلباته ليس في الدارين غير الله وقد يكون إخفاء الملامتي الحال على وجهين أحد الوجهين لتحقيق الاخلاص

بذنوب عملت أو حسنات * أأمنت البيات من ملك المو * ت وكم نال آمنا ببيات

وقال ابن المبارك اذا ما الليل أظلم كابدوه * فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا * وأهل الامن فى الدنيا هجوع

(الثالث) أن يعرف فضل قيام الليل بسماع الآيات والاخبار والآثار حتى يستحكم به رجاؤه وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة فى درجات الجنان كما حكى أن بعض الصالحين رجع من غزوته فمهدت امرأته فراشها وجلست تنتظره فدخل المسجد ولم يزل يصلى حتى أصبح فقالت له زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح قال والله انى كنت أتفكر فى حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلى شوقا اليها (الرابع) وهو أشرف البواعث الحب لله وقوة الايمان بانه فى قيامه لا يتكلم بحرف الا وهو مناج ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فاذا أحب الله تعالى أحب لا محالة الخلوة به وتلذذ بالمناجاة فتحمله لذة المناجاة بالحبيب على طول القيام ولا ينبغى أن تستبعد هذه اللذة اذ يشهد لها العقل والنقل فأما العقل فليعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله أو الملك بسبب انعامه وأمواله أنه كيف يتلذذ به فى الخلوة ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليله * فان قلت ان الجميل يتلذذ بالنظر اليه وان الله تعالى لا يرى فاعلم أنه لو كان الجميل المحبوب وراء ستر أو كان فى بيت مظلم لكان المحب يتلذذ بمجاورته المجردة دون النظر ودون الطمع فى أمر آخر سواه وكان يتنعم باظهار حبه عليه وذكره بلسانه بمسمع منه وان كان ذلك أيضا معلوما عنده * فان قلت انه ينتظر جوابه فيتلذذ بسماع جوابه وليس يسمع كلام الله تعالى * فاعلم انه كان يعلم أنه لا يجيبه ويسكت عنه فقد بقيت له أيضا لذة فى عرض أحواله عليه ورفع سريرته اليه كيف والموقن يسمع من الله تعالى كل ما يرد على خاطره فى أثناء مناجاته فيتلذذ به وكذا الذى يخلو بالملك ويعرض عليه حاجاته فى جنح الليل يتلذذ به فى رجاء انعامه والرجاء فى حق الله تعالى أصدق وما عند الله خير وأبقى وأنفع مما عند غيره فكيف لا يتلذذ بعرض الحاجات عليه فى الخلوات وأما النقل فيشهد له احوال قوام الليل فى تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف أنت والليل قال ما راعيته قط يرينى وجهه ثم ينصرف وما تأملته بعد وقال آخر أنا والليل فرسا رهان مرة يسبقنى الى الفجر ومرة يقطعنى عن الفكر وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة أنا فيها بين حالتين أفرح بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم فرحى به قط وقال على بن بكار منذ أربعين سنة ما أحزننى شىء سوى طلوع الفجر وقال الفضيل بن عياض اذا غربت الشمس فرحت بالظلام لخلوتى بربى واذا طلعت حزنت لدخول الناس على وقال أبو سليمان أهل الليل فى ليلهم ألذ من أهل اللهو فى لهوهم ولولا الليل ما أحببت البقاء فى الدنيا وقال أيضا لو عوض الله أهل الليل من ثواب أعمالهم ما يجدونه من اللذة لكان ذلك أكثر من ثواب أعمالهم وقال بعض العلماء ليس فى الدنيا وقت يشبه نعيم أهل الجنة الا ما يجده أهل التملق فى قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة وقال بعضهم لذة المناجاة ليست من الدنيا انما هى من الجنة أظهرها الله تعالى لاوليائه لا يجدها سواهم وقال ابن المنكدر ما بقى من لذات الدنيا الا ثلاث قيام الليل ولقاء الاخوان والصلاة فى الجماعة وقال بعض العارفين ان الله تعالى ينظر بالاسحار الى قلوب المتيقظين فيملؤها أنوارا فترد الفوائد على قلوبهم فتستنير ثم تنتشر من قلوبهم العوافى الى قلوب الغافلين وقال بعض العلماء من القدماء ان الله تعالى أوحى الى بعض الصديقين ان لى عبادا من عبادى أحبهم ويحبوننى ويشتاقون الى وأشتاق اليهم ويذكروننى وأذكرهم وينظرون الى وأنظر اليهم فان حذوت طريقهم أحببتك وان عدلت عنهم مقتك قال يارب وما علامتهم قال يراعون الظلال بالنهار كما يراعى الراعى غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى أوكارها فاذا جنهم الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا الى أقدامهم وافترشوا الى وجوههم وناجونى بكلامى وتملقوا الى بانعامى فبين صارخ وباك وبين متأوه وشاك بعينى ما يتحملون من أجلى وبسمعى ما يشتكون من حبى أول ما أعطيهم اقذف من نورى فى قلوبهم فيخبرون عنى كما أخبر عنهم والثانية لو كانت

والصدق والوجه الآخر وهو الاتم لستر الحال عن غيره بنوع غيرة فان من خلا بمحبوبه يكره اطلاع الغير عليه بل يبلغ فى صدق المحبة ان يكره اطلاع احد على حبه لمحبوبه وهذا وان علا ففى طريق الصوفى علة ونقص فعلى هذا يتقدم الملامتى على المتصوف ويتأخر عن الصوفى وقيل ان من اصول الملامتية ان الذكر على اربعة اقسام ذكر باللسان وذكر بالقلب وذكر بالسر وذكر بالروح فاذا صح ذكر الروح سكت السر والقلب واللسان

السموات السبع والارضون السبع وما فيهما في موازينهم لاستقللتها لهم والثالثة أقبل بوجهي عليهم أفترى من أقبلت بوجهي عليه أيعلم أحد ما أريد أن أعطيه وقال مالك بن دينار رحمه الله اذا قام العبد يتهجد من الليل قرب منه الجبار عز وجل وكانوا يرون ما يجدون من الرقة والحلاوة في قلوبهم والانوار من قرب الرب تعالى من القلب وهذا له سر وتحقيق ستأتي الاشارة اليه في كتاب المحبة * وفي الاخبار عن الله عز وجل أي عبدي أنا الله الذي اقتربت من قلبك وبالغيب رأيت نوري وشكا بعض المريدين الى أستاذه طول سهر الليل وطلب حيلة يجلب بها النوم فقال أستاذه يا بني ان لله نفحات في الليل والنهار تصيب القلوب المتيقظة وتخطىء القلوب النائمة فتعرض لتلك النفحات فقال يا سيدي تركتني لا أنام بالليل ولا بالنهار * واعلم ان هذه النفحات بالليل أرجى لما في قيام الليل من صفاء القلب واندفاع الشواغل وفي الخبر الصحيح عن جابر بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله تعالى خيرا الا أعطاه إياه وفي رواية أخرى يسأل الله خيرا من أمر الدنيا والآخرة الا أعطاه إياه وذلك كل ليلة ومطلوب القائمين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل كليلة القدر في شهر رمضان وكساعة يوم الجمعة وهي ساعة النفحات المذكورة والله أعلم ﴿بيان طرق القسمة لأجزاء الليل﴾ اعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له سبع مراتب ﴿الأولى﴾ احياء كل الليل وهذا شأن الاقوياء الذين تجردوا لعبادة الله تعالى وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحياة لقلوبهم فلم يتعبوا بطول القيام وردوا المنام الى النهار في وقت اشتغال الناس وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف كانوا يصلون الصبح بوضوء العشاء حكى أبو طالب المكي ان ذلك حكي على سبيل التواتر والاشتهار عن أربعين من التابعين وكان فيهم من واظب عليه أربعين سنة قال منهم سعيد بن المسيب وصفوان بن سليم المدنيان وفضيل بن عياض ووهيب بن الورد المكيان وطاوس ووهب بن منبه اليمانيان والربيع بن خيثم والحكم الكوفيان وأبو سليمان الداراني وعلي بن بكار الشاميان وأبو عبد الله الخواص وأبو عاصم العباديان وحبيب أبو محمد وأبو جابر السلماني الفارسيان ومالك بن دينار وسليمان التيمي ويزيد الرقاشي وحبيب بن أبي ثابت ويحيى البكاء البصريون وكهمس بن المنهال وكان يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهمه رجع وقرأه مرة أخرى وأيضا من أهل المدينة أبو حازم ومحمد بن المنكدر في جماعة يكثر عددهم ﴿المرتبة الثانية﴾ ان يقوم نصف الليل وهذا لا ينحصر عدد المواظبين عليه من السلف وأحسن طريق فيه أن ينام الثلث الأول من الليل والسدس الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل ﴿المرتبة الثالثة﴾ ان يقوم ثلث الليل فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير وبالجملة نوم آخر الليل محبوب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون ذلك ويقلل صفرة الوجه والشهرة به فلو قام اكثر الليل ونام سحرا قلت صفرة وجهه وقل نعاسه وقالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) اذا أوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه للصلاة وقالت أيضا رضي الله عنها (٣) ما ألفيته بعد السحر الا نائما حتى قال بعض السلف هذه الضجعة قبل الصبح سنة منهم أبو

عن الذكر وذلك ذكر المشاهدة واذا صح ذكر السر سكت القلب واللسان عن الذكر وذلك ذكر الهيبة واذا صح ذكر القلب فتر اللسان عن الذكر وذلك ذكر الآلاء والنعماء واذا غفل القلب عن الذكر أقبل اللسان على الذكر وذلك ذكر العادة ولكل واحد من هذه الاذكار عندهم آفة فآفة ذكر الروح اطلاع السر عليه وآفة ذكر السر اطلاع القلب عليه وآفة ذكر القلب اطلاع النفس عليه وآفة ذكر النفس رؤية ذلك وتعظيمه

---

(١) حديث جابر ان من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيرا من امر الدنيا والآخرة الا اعطاه إياه وذلك كل ليلة رواه م (٢) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اوتر من آخر الليل فان كانت له حاجة الى اهله دنا منهن والا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذن بالصلاة م من حديث عائشة كان ينام اول الليل ويحيي آخره ثم ان كان له حاجة الى اهله قضى حاجته ثم ينام وقال النسائي فاذا كان من السحر اوتر ثم اتى فراشه فاذا كان له حاجة ألم بأهله ولأبي داود كان اذا قضى صلاته من آخر الليل نظر فان كنت مستيقظة حدثني وان كنت نائمة أيقظني وصلى الركعتين ثم اضطجع حتى يأتيه المؤذن فيؤذنه بصلاة الصبح فيصلي ركعتين خفيفتين ثم يخرج الى الصلاة وهو متفق عليه بلفظ كان اذا صلى فان كنت مستيقظة حدثني والا اضطجع حتى يؤذن بالصلاة وقال م اذا صلى ركعتي الفجر (٣) حديث عائشة ما ألفيته السحر الأعلى الا نائما متفق عليه بلفظ ما ألفى رسول الله صلى الله عليه وسلم السحر الأعلى في بيتي أو عندي الا نائما لم يقل خ الأعلى وقال ه ما كنت ألفى أو ألفي

هريرة رضي الله عنه وكان نوم هذا الوقت سببا للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجب الغيب وذلك لأرباب القلوب وفيه استراحة تعين على الورد الاول من أوراد النهار وقيام ثلث الليل من النصف الاخير ونوم السدس الاخير قيام داود ﷺ ﴿المرتبة الرابعة﴾ أن يقوم سدس الليل أو خمسه وأفضله أن يكون في النصف الاخير وقبل السدس الاخير منه ﴿المرتبة الخامسة﴾ أن لا يراعي التقدير فان ذلك انما يتيسر لنبي يوحى أو لمن يعرف منازل القمر ويوكل به من يراقبه ويواظبه ويوقظه ثم ربما يضطرب في ليالي الغيم ولكنه يقوم من أول الليل الى أن يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه النوم عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان وقومتان وهو من مكابدة الليل وأشد الاعمال وأفضلها وقد كان هذا من أخلاق رسول الله ﷺ (١) وهو طريقة ابن عمر وأولي العزم من الصحابة وجماعة من التابعين رضي الله عنهم وكان بعض السلف يقول هي أول نومة فاذا انتبهت ثم عدت الى النوم فلا أنام الله لي عينا فاما قيام رسول الله ﷺ من حيث المقدار فلم يكن على ترتيب واحد بل ربما كان يقوم (٢) نصف الليل أو ثلثيه أو ثلثه أو سدسه يختلف ذلك في الليالي ودل عليه قوله تعالى في الموضعين من سورة المزمل ﴿ان ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل ونصفه وثلثه﴾ فأدنى من ثلثي الليل كأنه نصفه ونصف سدسه فان كسر قوله ونصفه وثلثه كان نصف الثلثين وثلثه فيقرب من الثلث والربع وان نصب كان نصف الليل وقالت عائشة رضي الله عنها كان ﷺ (٣) يقوم اذا سمع الصارخ يعني الديك وهكذا يكون السدس فما دونه وروى غير واحد أنه قال راعيت صلاة رسول الله ﷺ (٤) في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك به وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل الذي نام ثم اضطجع حتى قلت نام مثل ما صلى ثم استيقظ فقال ما قال أول مرة وفعل ما فعل أول مرة ﴿المرتبة السادسة﴾ وهي الاقل أن يقوم مقدار أربع ركعات أو ركعتين أو تتعذر عليه الطهارة فيجلس مستقبل القبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل برحمة الله وفضله وقد جاء في الاثر (٥) صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه طرق القسمة فليختر المريد لنفسه ما يراه أيسر عليه وحيث يتعذر عليه القيام في وسط الليل فلا ينبغي أن يهمل احياء ما بين العشاءين والورد الذي بعد العشاء ثم يقوم قبل الصبح وقت السحر فلا يدركه الصبح نائما ويقوم بطرفي الليل وهذه هي المرتبة السابعة ومهما كان النظر الى المقدار فترتيب هذه المراتب بحسب

النبي ﷺ من آخر الليل الا وهو نائم عندي (١) حديث قيامه أول الليل الى ان يغلبه النوم فاذا انتبه قام فاذا غلبه عاد الى النوم فيكون له في الليل نومتان د ت وصححه ن من حديث أم سلمة كان يصلي وينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام ثم ينام قدر ما صلى حتى يصبح وللبخاري من حديث ابن عباس صلى العشاء ثم جاء فصلى أربع ركعات ثم نام ثم قام وفيه فصلى خمس ركعات ثم صلى ركعتين ثم نام حتى سمعت غطيطه الحديث (٢) حديث ربما كان يقوم نصف الليل أو ثلثه أو ثلثيه أو سدسه الشيخان من حديث ابن عباس قام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل استيقظ الحديث وفي رواية للبخاري فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر الى السماء الحديث ولأبي داود قام حتى اذا ذهب ثلث الليل أو نصفه استيقظ الحديث لمسلم من حديث عائشه فيبعثه بما شاء أن يبعثه من الليل (٣) حديث عائشة كان يقوم اذا سمع الصارخ متفق عليه (٤) حديث غير واحد قال راعيت صلاة رسول الله ﷺ في السفر ليلا فنام بعد العشاء زمانا ثم استيقظ فنظر في الافق فقال ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك حتى بلغ انك لا تخلف الميعاد ثم استل من فراشه سواكا فاستاك وتوضأ وصلى حتى قلت صلى مثل ما نام الحديث ن من رواية حميد بن عبد الرحمن بن عوف أن رجلا من أصحاب النبي ﷺ قال قلت وأنا في سفر رسول الله ﷺ والله لأرقبن رسول الله ﷺ فذكر نحوه وروى أبو الوليد بن مغيث في كتاب الصلاة من رواية اسحق بن عبد الله بن أبي طلحة أن رجلا قال لأرمقن صلاة رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه انه أخذ سواكه من مؤخر الرجل وهذا يدل انه أيضا كان في سفره (٥) حديث صل من الليل ولو قدر حلب شاة أبو يعلى من حديث ابن عباس في صلاة الليل مرفوع نصفه ثلثه ربعه فواق حلب ناقة فواق حلب شاة

أو طلب ثوابه أو ظن انه يصل الى شيء من المقامات وأقل الناس قيمة عندهم من يريد اظهاره واقبال الخلق عليه بذلك وسر هذا الاصل الذي بنوا عليه أن ذكر الروح ذكر الذات وذكر السر ذكر الصفات بزعمهم وذكر القلب من الآلاء والنعماء ذكر اثر الصفات وذكر النفس متعرض للعلات فمعنى قولهم اطلاع السر على الروح يشيرون الى التحقق بالفناء عند ذكر الذات وذكر الهيبة في ذلك الوقت ذكر الصفات مشعر بنصيب الهيبة وهو وجود الهيبة

الوقت وقصره وأما فى الرتبة الخامسة والسابعة لم ينظر فيها الى القدر فليس يجرى أمرهما فى التقدم والتأخر على الترتيب المذكور اذ السابعة ليست دون ماذكرناه فى السادسة ولا الخامسة دون الرابعة

﴿بيان الليالى والايام الفاضلة﴾

اعلم ان الليالى المخصوصة بمزيد الفضل التى يتأكد فيها استحباب الاحياء فى السنة خمس عشرة ليلة لا ينبغى أن يغفل المريد عنها فانها مواسم الخيرات ومظان التجارات ومتى غفل التاجر عن المواسم لم يربح ومتى غفل المريد عن فضائل الاوقات لم ينجح فستة من هذه الليالى فى شهر رمضان خمس فى أوتار العشر الاخير اذ فيها تطلب ليلة القدر وليلة سبع عشرة من رمضان فهى ليلة صبيحتها يوم الفرقان يوم التقى الجمعان فيه كانت وقعة بدر وقال ابن الزبير رحمه الله هى ليلة القدر وأما التسع الأخر فأول ليلة من المحرم وليلة عاشوراء وأول ليلة من رجب وليلة نصف منه وليلة سبع وعشرين منه وهى ليلة المعراج وفيها صلاة مأثورة(١) فقد قال ﷺ للعامل فى هذه الليلة حسنات مائة سنة فمن صلى فى هذه الليلة اثنتى عشرة ركعة يقرأ فى كل ركعة فاتحة الكتاب وسورة من القرآن ويتشهد فى كل ركعتين ويسلم فى آخرهن ثم يقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر مائة مرة ثم يستغفر الله مائة مرة ويصلى على النبى ﷺ مائة مرة ويدعو لنفسه بما شاء من أمر دنياه وآخرته ويصبح صائما فان الله يستجيب دعاءه كله إلا أن يدعو فى معصية وليلة النصف من شعبان ففيها مائة ركعة يقرأ فى كل ركعة بعد الفاتحة سورة الاخلاص عشر مرات كانوا لا يتركونها كما أوردناه فى صلاة التطوع وليلة عرفة وليلة العيدين قال ﷺ (٢) من أحيا ليلتى العيدين لم يمت قلبه يوم تموت القلوب * وأما الايام الفاضلة فتسعة عشر يستحب مواصلة الاوراد فيها يوم عرفة ويوم عاشوراء ويوم سبعة وعشرين من رجب له شرف عظيم وروى أبو هريرة أن رسول الله ﷺ (٣) قال من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى أهبط الله فيه جبرائيل عليه السلام على محمد ﷺ بالرسالة ويوم سبعة عشر من رمضان وهو يوم وقعة بدر ويوم النصف من شعبان ويوم الجمعة ويوم العيدين والايام المعلومات وهى عشر ذى الحجة والايام المعدودات وهى أيام التشريق وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ (٤) أنه قال اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة وقال بعض العلماء من أخذ مهناة فى الايام الخمسة فى الدنيا لم ينل مهناة فى الآخرة وأراد به العيدين والجمعة وعرفة وعاشوراء * ومن فواضل الايام فى الاسبوع يوم الخميس والاثنين ترفع فيهما الاعمال الى الله تعالى وقد ذكرنا فضائل الاشهر والايام للصيام فى كتاب الصوم فلا حاجة الى الاعادة والله أعلم وصل الله على كل عبد مصطفى من كل العالمين

حلب شاة ولابى الوليد بن مغيث من رواية اياس بن معاوية مرسلا لا بد من صلاة الليل ولو حلبة ناقة أو حلبة شاة (١) حديث الصلاة المأثورة فى ليلة السابع والعشرين من رجب ذكر أبو موسى المدينى فى كتاب فضائل الايام والليالى أن أبا محمد الجبارى رواه من طريق الحاكم أبى عبد الله من رواية محمد بن الفضل عن أبان عن أنس مرفوعا ومحمد بن الفضل وأبان ضعيفان جدا والحديث منكر (٢) حديث من أحيا ليلتى العيد لم يمت قلبه يوم تموت القلوب ه باسناد ضعيف من حديث أبى أمامة (٣) حديث أبى هريرة من صام يوم سبع وعشرين من رجب كتب الله له صيام ستين شهرا وهو اليوم الذى هبط فيه جبريل على محمد ﷺ رواه أبو المدينى فى كتاب فضائل الليالى والايام من رواية شهر بن حوشب عنه (٤) حديث أنس اذا سلم يوم الجمعة سلمت الايام واذا سلم شهر رمضان سلمت السنة تقدم فى الباب الخامس من الصلاة فذكر يوم الجمعة فقط وقد رواه بجملته ابن حبان فى الضعفاء وأبو نعيم فى الحلية من حديث عائشة وهو ضعيف

﴿تم الربع الاول من كتاب إحياء علوم الدين ويتلوه الربع الثانى مفتتحا بآداب الاكل بحمد الله تعالى وعونه﴾

ووجود الهيبة يستدعى وجودا وبقية وذلك يناقض حال الفناء وهكذا ذكر السر وجود هيبة وهو ذكر الصفات مشعر بنصيب القرب وذكر القلب الذى هو ذكر الآلاء والنعماء مشعر ببعد ما لانه اشتغال بذكر النعمة وذهول عن المنعم والاشتغال برؤية العطاء عن رؤية المعطى ضرب من بعد المنزلة واطلاع النفس نظرا الى الاعواض اعتداد بوجود العمل وذلك عين الاعتلال حقيقة وهذه اقسام هذه الطائفة وبعضها اعلى من بعض والله اعلم

فهرست

الجزء الأول من كتاب إحياء علوم الدين لحجة الاسلام الامام الغزالى

﴿ تمت ﴾

